

وَأَشْرَافُ الْقَابِرِي

بشْرَحِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ

صَلْحِ الْبَخَارِيِّ

تَأَلَّفَ

فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

عَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَخَارِيِّ

الْمُدْرِسِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقاً

مَحَلَّةُ الْفِرْقَانِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



مكتبة الفرقان

تليفون: ٧٤٤٤٤٣٥-٦ - فاكس: ٧٤٢٤٠٩٤-٦

صرب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - ا.ع.م

E-mail Furqan 1 @ emirates. net. a e

فهرس المواظبم

- ٣ المقدمة - خطبة الحاجة
- ٤ سبب التألف
- ٥ منهج التألف
- ٩ التمهيد وفيها أربعة مباحث
- ١٠ المبحث الأول : ترجمة الإمام البخاري
- ١٧ المبحث الثاني: بيان موضوع صحيح البخاري والكشف عن مغزاه فيه
- ١٩ المبحث الثالث : شرط البخاري في صحيحه
- ٢٠ المبحث الرابع : المفاضلة بين الصحيحين
- ٢٢ كتاب التفسير : معنى كلمة كتاب وكلمة تفسير لغة واصطلاحاً
- ٢٢ التفسير على أربعة أوجه
- ٢٣ الكلام على البسمة
- ٢٤ ١ - باب ما جاء في فاتحة الكتاب
- ٢٤ معنى الباب لغة واصطلاحاً :
- ٢٤ شرح جملة من الكلمات وعددها أربعة
- ٢٦ سياق حديث أبي سعيد بن المعلى - شرح الحديث -
- ٢٧ بعض الأحكام المستنبطة من الحديث
- ٢٩ ٢ - باب ﴿غير المفضوب عليهم ولا الضالين﴾
- ٣٠ سياق حديث أبي هريرة في الباب - شرح الحديث -
- ٣١ تنبيه هل يؤمن الإمام
- تفسير سورة البقرة
- ٣٢ في معنى السورة لغة واصطلاحاً
- ٣٢ بيان فضل هذه السورة
- ٣ - باب قول الله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾

- تفسير آية الباب ٣٣
- سياق حديث أنس في الباب وشرحه وفيه ست عشرة مسألة ٣٤
- المسألة الخامسة عشرة وفيها شروط الشفاعة ٤٠
- ٤ - باب ، وفيه ثمانية عشرة من الآثار والكلمات ٤٢
- ٥ - باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَدْدَاءَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرح الآية ٤٦
- سياق حديث ابن مسعود في الباب وشرحه وفيه أربع مسائل ٤٦
- ٦ - باب قوله تعالى : ﴿ووظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾
- شرح آية الباب..... ٤٩
- سياق حديث سعيد بن زيد في الباب ٥١
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٥١
- الاختلاف في معنى قوله (وماؤها شفاء للعين) ٥١
- توجيه رواية وماؤها شفاء من العين ٥٢
- ٧ - باب ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾
- شرح آية الباب ٥٣
- سياق حديث أبي هريرة ٥٣
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٥٤
- ٨ - باب قوله ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾
- تفسير آية الباب ٥٥
- من فقه الآية ٥٥
- سياق حديث أنس وشرحه ٥٦
- وفيه أربع عشرة مسألة ٥٧
- منها المسألة السابعة وفيها الجمع بين قوله ﷺ :
- (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) ٥٨
- وحديث حذيفة بن أسيد (إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات) ٥٨
- المسألة الثامنة وفيها الجمع بين :

- قوله ﷺ (وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت) وحديث أبي سعيد
 الخدري (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة...) الحديث ٦١
- المسألة التاسعة وفيها نقل من الطرق الحكمية في الحكم بالقافة ٦١
- ثلاثة فروع : الفرع الأول في مادة خلق الولد ٦٣
- الفرع الثاني : خصائص مي الرجل والمرأة ٦٣
- الفرع الثالث : الجمع بين حديث الباب وحديث ثوبان (جاء خبر ...) ٦٤
- ٩ - باب قوله ﴿ما ننسخ من آية﴾
- شرح آية الباب ٦٧
- سياق حديث عمر ٦٨
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٦٨
- ١٠ - باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ تفسير آية الترجمة ٧١
- سياق حديث ابن عباس (قال الله كذبي ابن آدم) ٧١
- ١١ - باب قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾
- شرح آية الباب ٧٣
- فائدة في القراءات في الآية ٧٤
- سياق حديث عمر (وافقت الله في ثلاث) ٧٤
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٧٥
- ١٢ - باب قوله تعالى ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾
- شرح آية الترجمة ٧٦
- سياق حديث عائشة ٧٨
- شرح الحديث ٧٩
- وفيه تسع مسائل ، ومنها المسألة الرابعة ٨٠
- وفيها تنبيهان : التنبيه الأول : من بنى البيت الحرام ٨٠
- التنبيه الثاني : اقتصر ههنا على ذكر الشرط ٨٠
- قاعدة عظيمة في السياسة الشرعية وفقه الدعوة ٨١

- وفيها أمران: الأمر الأول: مستفاض عن النبي ﷺ في هذا الأمر مع
 ٨١ آي الكتاب
- الأمر الثاني: نقول عن الأئمة في هذه القاعدة ٨٢
- ١٣ - باب ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ تفسير آية الباب
 من فقه الآية ٨٦
- سياق حديث أبي هريرة (كما أن أهل الكتاب يقرؤون التوراة ...) ٨٧
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٨٧
- منها المسألة الثانية وفيها أخبار بني إسرائيل على ثلاثة أضرب ٨٧
- ١٤ - باب ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾
 • تفسير آية الباب - وفيه ذكر الاختلاف في المعنى بالسفهاء - ٨٩
- سياق حديث البراء (أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس) ٩٠
- شرح الحديث وفيه عشر مسائل ٩٠
- منها المسألة التاسعة وفيها ثلاث فوائد ٩٢
- والمسألة العاشرة وفيها ثلاثة أمور ٩٢
- ١٥ - باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾
 • شرح آية الترجمة ٩٤
- سياق حديث أبي سعيد (دعى نوح يوم القيامة...) ٩٦
- شرح الحديث وفيه ثمان مسائل ٩٦
- ١٦ - باب قوله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾ ٩٩
- سياق حديث ابن عمر (بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء ...) ٩٩
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٩٩
- منها: المسألة الأولى قوله (بينما الناس) ٩٩
- وفيه أمران: الأول في معنى بينا . والثاني: في المراد بالناس ٩٩
- ١٧ - باب ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء...﴾
 • شرح آية الترجمة ١٠١

- من فقه الآية ١٠١
- سياق حديث أنس (لم يبق ممن صلى القبلتين) ١٠٢
- شرح الحديث وفي مسألتان ١٠٢
- ١٨ - باب ﴿ولئن أتيت الدين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾
- تفسير آية الباب ١٠٣
- فائدة في ما قاله ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي الفضل الهمداني في أن
مبتدعة الإسلام أشد من الملحدين ١٠٤
- سياق حديث ابن عمر في الباب ١٠٥
- ١٩ - باب ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾
- تفسير آية الباب ١٠٦
- سياق حديث ابن عمر في الباب ١٠٦
- ٢٠ - باب ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾
- شرح آية الترجمة ١٠٧
- سياق حديث البراء ١٠٧
- ٢١ - باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾
- تفسير آية الباب ١٠٨
- سياق حديث ابن عمر ١٠٨
- ٢٢ - باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما...﴾
- شرح آية الترجمة ١٠٩
- سياق حديث ابن عمر ١١٠
- ٢٣ - باب قوله ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾
- شرح آية الباب ١١١
- شرح جملة من الآثار ١١١
- سياق حديث عروة (قلت لعائشة ...) ١١٢
- سياق حديث عاصم الأحول (سألت أنس بن مالك عن الصفا) ١١٢

- شرح الحديثين وفيهما تسع مسائل ١١٣
- منها المسألة التاسعة ١١٤
- وفيها التنبيه على الجمع بين حديث عائشة وأنس في سبب نزول الآية ١١٥
- تنبيه آخر في حكم السعي بين الصفا والمروة ١١٥
- ٢٤ - باب قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ...﴾
 - شرح آية الترجمة ١١٧
 - فائدة في أقسام المحبة ١١٧
 - سياق حديث عبد الله بن مسعود (قال النبي ﷺ كلمة ...) ١١٩
 - شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١١٩
- ٢٥ - باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾
 - تفسير آية الباب وفيها ما يخص من عموم قوله الحر بالحر ١٢١
 - سياق حديث ابن عباس (كان في بني إسرائيل القصاص) ١٢٣
 - سياق حديث أنس (كتاب الله القصاص) وسياقه مطولاً ١٢٣
 - شرح الأحاديث وفيها مسألتان ١٢٤
- ٢٦ - باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾
 - شرح آية الترجمة وبيان فوائد الصيام ١٢٥
 - سياق حديث ابن عمر (كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية) ١٢٦
 - سياق حديث عائشة ١٢٦
 - سياق حديث عبد الله بن مسعود (أنه دخل عليه الأشعث وهو يطعم) ١٢٦
 - سياق حديث عائشة ١٢٧
 - شرح الأحاديث وفيها أربع مسائل ١٢٧
- ٢٧ - باب قوله ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ... الآية﴾ تفسير آية الترجمة
 - بيان اختلاف أهل التفسير في المراد بالأيام المعدودات ١٣٠
 - قوله ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ فيها ثلاثة مطالب ١٣١
 - الأول: في حكم الصيام على المريض والمسافر ١٣١

- الثاني : في مقدار المرض المرخص فيه بالفطر ١٣١
- الثالث : اختلاف الفقهاء في تحديد عدة الأيام الأخر ١٣١
- جملة من الآثار وفيها الاختلاف في المرض والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ١٣٢
- سياق حديث ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطوقونه ...) ١٣٥

٢٨ - باب ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾

- شرح آية الترجمة ويتضمن خمسة أمور ١٣٦
- سياق حديث ابن عمر أنه قرأ ﴿فدية طعام مساكين﴾ ١٣٧
- سياق حديث سلمة بن الأكوع (لما نزلت ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾) ١٣٧
- شرح الحديثين وفيهما ثلاث مسائل ١٣٨

٢٩ - باب ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾

- تفسير آية الباب ١٣٩
- سياق حديث البراء لما نزل صوم رمضان ١٤٠
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ١٤٠

٣٠ - باب ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض...﴾

- شرح آية الترجمة وتتضمن خمسة أمور ١٤٢
- سياق حديثي عدي بن حاتم في الباب ١٤٣
- سياق حديث سهل بن سعد ١٤٣
- شرح الأحاديث وفيها تسع مسائل منها : ١٤٤
- المسألة الرابعة في معنى وقوله ﷺ (إن وسادك إذا لعريض) ١٤٤

٣١ - باب ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها...﴾

- شرح آية الباب وتشتمل على أربعة أمور ١٤٧
- سياق حديث البراء ﴿كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت﴾ ١٤٧
- شرح الحديث وفيه ثلاثة أمور ١٤٨

٣٢ - باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾

- شرح آية الباب ١٤٩
- سياق حديث ابن عمر (أتاه رجلان في فتنه ابن الزبير) ١٥٠
- شرح الحديث ويتضمن ثلاث مسائل ١٥١
- ٣٣ - باب ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾
- شرح آية الباب ١٥٢
- شرح حديث حذيفة (﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ قال نزلت في النفقة) ١٥٢
- ٣٤ - باب ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾
- شرح آية الترجمة ١٥٥
- سياق حديث كعب بن عجرة (حملت إلى النبي ﷺ... الحديث) ١٥٦
- شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل ١٥٦
- ٣٥ - باب ﴿فمن تمتع بالعمرة بالحج ...﴾
- تفسير آية الباب وتتضمن أربعة أمور ١٥٩
- سياق حديث عمران بن حصين (أنزلت آية المتعة في كتاب الله) ١٦٠
- شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل ١٦٠
- من فوائد الحديث ١٦٢
- ٣٦ - باب ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ...﴾
- شرح آية الترجمة وتتضمن ثلاثة أمور ١٦٣
- سياق حديث ابن عباس (كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً...) ١٦٣
- شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل: ١٦٣
- منها الأولى: وفيها معنى عكاظ ومجنة وذو الحجاز ١٦٤
- ٣٧ - باب ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾
- تفسير آية الباب ١٦٦
- سياق حديث عائشة (كانت قريش ومن دان دينها) ١٦٧
- سياق حديث ابن عباس قال: (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً) ١٦٧
- شرح الحديثين ويتضمن اثني عشرة مسألة ١٦٨

- منها : المسألة الثامنة : وفيها بيان وقت الوقوف يوم عرفة ١٧٠
- ٣٨ - باب ﴿ومنها من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾
- سياق الآيات من أولها ١٧٥
- شرح الآيات ويتضمن حمسة أمور ١٧٥
- سياق حديث أنس كان النبي ﷺ يقول : (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ...) ١٧٦
- شرح الحديث ويتضمن مسألتان ١٧٦
- ٣٩ - باب ﴿وهو ألد الخصام﴾
- سياق آية الترجمة مع شرحها ١٧٨
- سياق حديث عائشة (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) ١٧٩
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ١٨٠
- ٤٠ - باب ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾
- شرح آية الترجمة ١٨٢
- سياق حديث ابن عباس ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ ١٨٣
- شرح جزء من الحديث ١٨٣
- ٤١ - باب ﴿نساؤكم حرث لكم ياتوا حرثكم أنى شئتم... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ١٨٥
- سياق حديث نافع قال : (كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم) ١٨٦
- سياق حديث جابر (كانت اليهود تقول :) ١٨٦
- شرح الحديثين وفيها سبع مسائل ١٨٦
- منها : المسألة الرابعة وفيها حكم إتيان المرأة في دبرها ١٨٧
- ٤٢ - باب ﴿إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن...﴾
- شرح آية الباب ويتضمن أربعة أمور ١٩١
- سياق حديث معقل بن يسار (كانت لي أخت نخطب علي) ١٩٢
- شرح الحديث ويتضمن ست مسائل ١٩٢

• منها : المسألة السادسة وفيها : وجه الدلالة من الآية على اشتراط الولي

في النكاح وبيان الأدلة على ذلك من السنة ١٩٣

٤٣ - باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن...﴾

• تفسير آية الترجمة وتتضمن ثلاثة أمور ١٩٥

• سياق حديث ابن الزبير (قلت لعثمان ﴿والذين يتوفون... الآية﴾ ١٩٦

• سياق أثر مجاهد (كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب) ١٩٦

• سياق أثر ابن سيرين (جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار) ١٩٧

• شرح الحديث مع الآثار وتتضمن ثلاثة عشرة مسألة ١٩٧

٤٤ - باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾

• شرح آية الترجمة وتتضمن ثلاث مسائل ٢٠٤

• سياق حديث علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال يوم الخندق حبسوناً) ٢٠٤

• شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل : ٢٠٤

• منها : المسألة الثانية وفيها : بيان الأدلة على فضل صلاة الجماعة ٢٠٥

• المسألة الرابعة وفيها : فوائد حديث الباب وما في معناه ٢٠٧

٤٥ - باب ﴿وقوموا لله قانتين ... الآية﴾

• شرح آية الباب ٢٠٩

• بيان الاختلاف في معنى القنوت على أقوال ٢٠٩

• سياق حديث زيد بن أرقم (كنا نتكلم في لاصلاة...) ٢٠٩

• شرح الحديث ويتضمن مسألتين منهما المسألة الثانية وفيها : هل تبطل الصلاة

بالكلام؟ ٢١٠

٤٦ - باب ﴿فإن خفتم فرجلاً أو ركبناً ... الآية﴾

• تفسير آية الترجمة ٢١٢

• سياق حديث نافع (أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف) ٢١٨

• شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل ٢١٨

• منها : المسألة الثانية هل تشرع صلاة الخوف في الحضر وكيف ٢٢٠

٤٧ - باب ﴿والذين يتوفون منكم ويلدرون أزواجاً...﴾

- شرح آية الباب وتتضمن ثلاثة أمور ٢٢٣
- سياق حديث ابن الزبير (قلت لعثمان... الخ) ٢٢٤
- شرح الحديث ٢٢٤

٤٨ - باب ﴿واذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى... الآية﴾

- تفسير آية الترجمة ٢٢٥
- حديث أبي هريرة (نحن أحق بالشك من إبراهيم) ويتضمن ثلاث مسائل ٢٢٦

٤٩ - باب ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب...﴾

- شرح آية الباب ٢٢٨
- سياق حديث ابن عباس (قال عمر يوماً لأصحاب النبي ﷺ... الحديث) ٢٢٩
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٢٢٩

٥٠ - باب ﴿لا يسألون الناس إلحافاً... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ٢٣٢
- سياق حديث أبي هريرة (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان) ٢٣٤
- شرح الحديث ٢٣٤

٥١ - باب ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾

- تفسير آية الباب ٢٣٧
- سياق حديث عائشة (لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة...) ٢٣٨
- شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل ٢٣٩
- منها : المسألة الرابعة وفيها ما تواتر من الأحاديث على تحريم الخمر ٢٣٩

٥٢ - باب ﴿يمحق الله الربا... الآية﴾

- تفسير آية الترجمة وتتضمن ثلاث مسائل ٢٤١
- سياق حديث عائشة المتقدم في الباب قبله ٢٤٢

٥٣ - باب ﴿فأذنوا بحرب... الآية﴾

- سياق الآية مع شرحها ٢٤٣

- ٢٤٤..... • سياق حديث عائشة المتقدم
- ٥٤ - باب ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ... الآية﴾
- ٢٤٥..... • شرح آية الترجمة
- ٢٤٥..... • بيان مجاء في الترغيب في إنتظار المعسر والوضع عنه
- ٢٤٥..... • سياق حديث عائشة المتقدم
- ٢٤٦..... • بيان الحكمة في تحريم الربا
- ٥٥ - باب ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ... الآية﴾
- ٢٤٧..... • شرح آية الباب
- ٢٤٧..... • سياق حديث ابن عباس (آخر آية أنزلت على ﷺ آية الربا... الحديث)
- ٢٤٧..... • شرح الحديث ويتضمن مسألتين
- ٢٤٧..... • منها: المسألة الأولى: الاختلاف في آخر ما نزل من القرآن
- ٥٦ - باب ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾
- ٢٤٩..... • شرح آية الترجمة
- ٢٤٩..... • سياق حديث ابن عمر أنها قد نسخت ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم...﴾
- ٢٥١..... • شرح الحديث ويتضمن ثلاث أمور
- ٢٥٢..... • منها: المسألة الثالثة في اختلاف المفسرين في الآية من حيث النسخ
- ٥٧ - باب ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ... الآية﴾
- ٢٥٤..... • شرح آية الباب
- ٢٥٥..... • سياق حديث ابن عمر المتقدم
- سورة آل عمران
- ٥٨ - باب تفسير سورة آل عمران
- ٢٥٦..... • فيه شاهد التسمية
- ٢٥٧..... • وفي الباب شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٥٩ - باب ﴿منه آيات محكمات﴾
- ٢٦٢..... • شرح آية الترجمة

- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٦٢
- سياق حديث عائشة (تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ...) ٢٦٥
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٢٦٥
- منها : المسألة الرابعة وفيها التحذير من مخالطة أهل الزبيغ والبدع ٢٦٦
- ٦٠ - باب ﴿واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾
- تفسير آية الباب ٢٦٨
- سياق حديث أبي هريرة (ما من مولود يولد ... الحديث) ٢٦٩
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٢٦٩
- منها : المسألة الرابعة وفيها فضائل المسيح وأمه صلى الله عليهما وسلم .. ٢٧٠
- ٦١ - باب ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ... الآية﴾
- تفسير آية الباب ٢٧٢
- سياق حديث ابن مسعود (من حلف بيمين صير ... الحديث) ٢٧٣
- سياق حديث ابن أبي أوفى (أن رجلاً أقام سلعة في السوق ...) ٢٧٤
- سياق حديث ابن أبي مليكة (أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت ...) ٢٧٤
- شرح الأحاديث وتتضمن ثلاثين مسألة ٢٧٥
- منها : المسألة الثامنة وفيها معنى كلمة (كذا) ٢٧٦
- والمسألة : الحادية عشرة وفيها بيان أن البينة ليست مقصورة على الشهادة ونقل كلام ابن القيم في ذلك ٢٧٧
- المسألة الثامنة عشرة وفيها: جواز تكرار نزول الآية ونقل كلام الزركشي ٢٧٨
- بيان ما اشتملت عليه هذه الأحاديث من القواعد والأحكام ٢٨٠
- - باب ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ...﴾
- شرح آية الترجمة ٢٨٢
- سياق حديث أبي سفيان (انطلقت في المدة التي كانت بيني) ٢٨٣
- شرح الحديث وفيه ثلاث وأربعون مسألة ٢٨٦
- من فقه الحديث ٢٩٣

- - باب ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٢٩٤
- سياق حديث أنس بن مالك (كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة نخلا) ٢٩٤.
- فيه ثلاث عشرة مسألة ٢٩٥
- منها : المسألة السادسة في قوله (قام أبو طلحة ... ضعها يا رسول الله حيث أراك الله) وفيه عدة فوائد ٢٩٦
- بعض ما استنبطه الإمام ابن عبد البر من الحديث ٢٩٧
- ٦٤ - باب ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾
- شرح آية الترجمة ٣٠٠
- سياق حديث ابن عمر (أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ ...) ٣٠١
- شرح الحديث وفيه ست مسائل ٣٠٢
- فوائد عظيمة ومسائل من الفقه جديرة بالاعتناء استنبطها ابن عبد البر ٣٠٣
- ٦٥ - باب ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس ... الآية﴾
- تفسير آية الباب ٣٠٤
- سياق حديث أبي هريرة قال (خير الناس للناس ...) ٣٠٦
- شرح الحديث ٣٠٦
- ٦٦ - باب ﴿إذ همم طائفتان منكم أن تفشلا ... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٣٠٧
- سياق حديث جابر (فيما نزلت ﴿إذ همم طائفتان الآية﴾) ٣٠٧
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٠٨
- ٦٧ - باب ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾
- تفسير آية الباب ٣٠٩
- حديث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع (..... ٣٠٩
- حديث أبي هريرة (أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد) ٣١٠
- شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل ٣١٠

- ٣١١ تنبيه .
- ٣١٢ من فقه الحديثين .
- ٣١٢ هديه ﷺ في القنوت ونقل ما نقله ابن القيم فيه .
- ٣١٣ حكم لعن المعين أو الدعاء عليه .
- ٦٨ - باب ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم ... الآية﴾
- ٣١٤ شرح آية الترجمة .
- ٣١٥ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣١٥ سياق حديث البراء بن عازب (جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد) ...
- ٣١٦ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل .
- ٦٩ - باب ﴿أمنة نعاساً ... الآية﴾
- ٣١٧ سياق الآية تامة وشرحها .
- ٣٢٠ سياق حديث أبي طلحة (غشينا النعاس ونحن في مصافنا ... الحديث) ...
- ٣٢٠ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل .
- ٧٠ - باب ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع﴾
- ٣٢١ شرح آية الباب .
- ٣٢١ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٢٢ تنبيه في السر في عدم ذكر المصنف حيثاً في هذا الباب .
- ٧١ - باب ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ... الآية﴾
- ٣٢٣ سياق الآية وشرحها .
- ٣٢٤ سياق حديثي ابن عباس في الباب .
- ٣٢٤ شرح الحديثين وفيه سبع مسائل .
- ٣٢٤ منها : المسألة الثانية وفيها معنى ونعم الوكيل .
- ٣٢٦ من فقه الحديثين .
- ٧٢ - باب ﴿ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله...﴾
- ٣٢٧ شرح آية الباب .

- سياق حديث أبي هريرة (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ...)..... ٣٢١
- شرح الحديث وفيه تسع مسائل ٣٢١
- تنبيهان: الأول: في الحديث دليل على وجوب الزكاة وأن مانعها بخلاً
لا يكفر ويبان ذلك ٣٢٢
- التنبيه الثاني : في تعدد عقوبة مانع الزكاة ٣٢٣
- ٧٣ - باب ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... الآية﴾
- تفسير آية الترجمة ٣٢٤
- حديث أسامة بن زيد (أن النبي ﷺ ركب على حمار على قطيفة فذكية)..... ٣٢٥
- شرح الحديث وفيه ست عشرة مسألة ٣٢٦
- منها :
- المسألة الخامسة: جواز ابتداء السلام على قوم فيهم مسلمون وكفار..... ٣٢٧
- من فقه الحديث ٣٢٩
- ٧٤ - باب ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٣٣٠
- فائدة ٣٣٠
- سياق حديث أبي سعيد الخدري (أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول ﷺ
الله كان إذا خرج رسول ﷺ ... الحديث)..... ٣٣١
- سياق حديث علقمة (أن مروان قال لبوابه اذهب يارافع إلى ابن عباس)..... ٣٣١
- شرح الحديثين وفيهما اثنا عشرة مسألة ٣٣١
- تنبيه ٣٣٤
- ٧٥ - باب ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار...﴾
- شرح آية الترجمة ٣٣٥
- سياق حديث ابن عباس (بت عند خالتي ميمونة...)..... ٣٣٥
- شرح الحديث ويتضمن سبع مسائل ٣٣٥
- منها المسألة السادسة : معنى الأذان لغة وشرعاً ٣٣٧

٧٦ - باب ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم...﴾

- تفسير آية الباب ٣٤٦
- فائدتان : الأولى فيما جاءت به السنة من فضل الذكر والحث عليه ٣٤٧
- الثانية : فيما ذكره أهل العلم من فوائد الذكر ٣٤٧
- سياق حديث ابن عباس وفيه عشر مسائل ٣٥٠

٧٧ - باب ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتنا ... الآية﴾

- شرح آية الباب ٣٥٣
- سياق حديث ابن عباس ٣٥٣
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٣٥٤
- منها : المسألة الثالثة: جواز تنبيه المصلي إلى جنبه إذا تعس في الصلاة ٣٥٤
- ومنها : المسألة الرابعة في جواز الاضطجاع بين صلاة الليل وركعتي الفجر وأن النوم اليسير لا ينقض الوضوء ٣٥٤

٧٨ - باب ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ... الآية﴾

- تفسير آية الترجمة ٣٥٥
- سياق حديث ابن عباس ٣٥٥
- الجمع بين رواية إحدى عشرة ركعة ورواية ثلاثة عشرة ركعة ٣٥٦
- تنبيهان : الأول : في جواز الجماعة لصلاة التطوع ٣٥٦
- الثاني : في جواز الوتر بواحدة وثلاث ٣٥٧

سورة النساء

٧٩ - باب تفسير سورة النساء

- شاهد التسمية وبيان فضائل السورة ٣٥٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٥٩
- باب ﴿وإن خفتن إن لا تقسطوا في اليتامى﴾
- تفسير آية الترجمة ويتضمن خمسة أقوال في معناها ٣٦١
- فائدة في الحكمة من تعدد الزوجات ٣٦٢

- من فقه الآية ٣٦٣
- سياق حديثي عائشة (أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها ... الحديث) ... ٣٦٤
- شرح الحديثين ٣٦٥

٨١ - باب ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾

- شرح آية الترجمة ٣٦٨
- بيان الاختلاف فيما أكله الولي من مال اليتيم بالمعروف. هل يرد إذا أسير ٣٦٩
- شروط دفع مال اليتيم إليه ٣٦٩
- شرح جملة من الكلمات والآثار ٣٧٠
- سياق حديث عائشة أنها نزلت في والي اليتيم ٣٧٠
- شرح الحديث ٣٧٠

٨٢ - باب ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين ...﴾

- شرح آية الباب ٣٧١
- ذكر الاختلاف في الآية ٣٧١
- سياق حديث ابن عباس في الباب ٣٧٢
- شرح الحديث ٣٧٢

٨٣ - باب ﴿يوصيكم الله في أولادكم ... الآية﴾

- تفسير آية الترجمة ٣٧٣
- بيان ميراث الأولاد ٣٧٤
- أحكام الأبوين في الميراث ٣٧٦
- سياق حديث جابر (عادني ﷺ النبي وأبو بكر في بني سلمة... الحديث) ٣٧٨
- شرح الحديث ويتضمن ست مسائل ٣٧٩
- تنبيه ٣٨١
- تنبيه آخر ٣٨١

٨٤ - باب ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ... الآية﴾

- تفسير آية الباب ويتضمن بيان ميراث ثلاثة أصناف من الناس ٣٨٢

- بيان السر في تقديم الوصية على الدين مع أنه أوجب منها ٣٨٣
- سياق حديث ابن عباس (كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين) ٣٨٥
- شرح الحديث ويتضمن أربع مسائل ٣٨٥
- ٨٥ - باب ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا...﴾
- تفسير آية الترجمة ويشمل على أربعة أمور ٣٨٧
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٨٨
- سياق حديث ابن عباس (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه ...) ٣٨٩
- شرح الحديث ٣٨٩
- ٨٦ - باب ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون...﴾
- تفسير آية الترجمة ٣٩٠
- سياق حديث ابن عباس في الباب ٣٩٢
- شرح الحديث ويتضمن ثلاث مسائل ٣٩٢
- ٨٧ - باب ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٣٩٤
- سياق حديث أبي سعيد الخدري (أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا ...) ٣٩٥
- شرح الحديث ويتضمن عشرين مسألة ٣٩٦
- منها : المسألة الخامسة وفيها الدليل على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وشبه
أهل البدع في نفيها وبيان الرد عليهم من وجوه عدة ٣٩٦
- المسألة السادسة عشرة: بيان معنى قوله في أدنى صورة من التي رأوه فيها ٣٩٩
- ٨٨ - باب ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ... الآية﴾
- تفسير آية الترجمة ٤٠١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٠١
- سياق حديث عمر بن مرة قال (قال لي النبي ﷺ اقرأ علي... الحديث) ٤٠٢
- شرح الحديث ويتضمن ثمان مسائل ٤٠٢
- تنبيه ٤٠٤

٨٩ - باب ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط...﴾

- تفسير آية الباب ٤٠٥
- أربعة أمور في تفسير قوله تعالى ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾ ٤٠٧
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٠٧
- سياق حديث عائشة (هلكت قلادة لأسماء ... الحديث) ٤٠٩
- شرح الحديث ويتضمن خمس مسائل ٤٠٩

٩٠ - باب قوله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾

- تفسير آية الترجمة ٤١١
- فائدة في تضمن الآية أمر الله بلزوم الجماعة ونهيها عن الفرقة ٤١٢
- سؤال هام جدير بالإجابة، وهو: عرفونا هذه الجماعة التي قام الدليل صراحة على وجوب لزومها من الكتاب والسنة والمأثور عن الأئمة؟ ٤١٦
- حديث ابن عباس (نزلت في عبد الله بن حذافة) ويتضمن ثلاث مسائل ٤١٨
- شرح الحديث ٤١٩
- وجوب طاعة الأمير في غير معصية الله وذكر بعض ما تواتر من النقل في ذلك ٤١٩

• ثلاثة أسئلة جديرة بالعناية :

١ - ما حق الإمام على رعيته؟

٢ - ما حق الرعية على إمامها؟

٣ - كيف تصنع الرعية إذا بخصها الإمام حقها؟

- الجواب عن السؤال الأول ٤٢٢
- الجواب عن السؤال الثاني ٤٢٤
- الجواب عن السؤال الثالث ٤٢٥

٩١ - باب ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...﴾

- شرح آية الباب ٤٢٧
- سياق حديث عروة قال (خاسم الزبير رجلاً من الأنصار ... الحديث) ٤٢٧

- وفيه تسع مسائل ٤٢٧
- منها المسألة الثامنة في قوله (واسترعى النبي ﷺ للزبير حقه في صرح الحكم حين
- أحفظه الأنصاري ثلاثة أمور ٤٢٩
- تنبيه ٤٢٩
- ٩٢ - باب ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين...﴾
- تفسير آية الترجمة وفيها تعريف النبي ولاصديق والشهيد والصالح ٤٣٠
- حديث عائشة (ما من نبي يمرض إلا خير...) وفيه أربع مسائل ٤٣١
- شرح الحديث ٤٣١
- ٩٣ - باب ﴿ومالكم لا تقاتلون في والمستضعفين من الرجال والنساء...﴾
- شرح آية الباب ٤٣٣
- سياق حديثي ابن عباس ٤٣٣
- شرح الحديثين وفيهما مسألتان ٤٣٤
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٣٤
- ٩٤ - باب ﴿فمالكم في المنافقين فتنين والله أركسهم بما كسبوا...﴾
- تفسير آية الترجمة ٤٣٦
- من فقه الآية ٤٣٦
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٣٧
- حديث زيد بن ثابت (رجع ناس من اصحاب النبي ﷺ من أحد...) ٤٣٧
- شرح الحديث ويشتمل على ثلاث مسائل ٤٣٧
- من فقه الحديث ٤٣٨
- ٩٥ - باب ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذا عوا به...﴾
- تفسير آية الترجمة ٤٤٠
- ما تفيده الآية ٤٤١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٤١
- تنبيه ٤٤٢

٩٦ - باب ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤهم جهنم...﴾

- سياق الآية مع شرحها وبيان مذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآية وغيرها من نصوص الوعيد ٤٤٤
- سياق حديث سعيد بن جبير (آية اختلف أهل الكوفة فيها .. الحديث) ٤٤٥
- شرح الحديث ٤٤٥

٩٧ - باب ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً...﴾

- سياق الآية مع شرحها ٤٤٦
- سياق حديث ابن عباس (كان رجل في غنيمة له ... الحديث) ٤٤٧
- شرح الحديث ويتضمن ست مسائل ٤٤٧

٩٨ - باب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين... الآية﴾

- تفسير آية الترجمة ٤٤٩
- سياق حديث سهل بن سعد ٤٥٠
- سياق حديثي البراء ٤٥١
- شرح الأحاديث وتشتمل على ثمانية أمور ٤٥١
- سياق أثر ابن عباس في قوله ﴿لا يستوي القاعدون﴾ ... قال عن بدر والخارجون إلى بدر ٤٥٣
- شرح الأثر ويتضمن ثلاثة أمور ٤٥٣

٩٩ - باب ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾

- تفسير آية الترجمة ٤٥٤
- سياق حديث محمد بن عبدالرحمن (قطع على أهل المدينة بعث ...) ٤٥٥
- شرح الحديث ويشتمل على خمس مسائل ٤٥٥
- من فقه الحديث ٤٥٧

١٠٠ - باب ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء... الآية﴾

- شرح آية الباب ٤٥٨
- سياق حديث ابن عباس (كانت أمي ممن عذر الله ...) ٤٥٨

- ٤٥٨ شرح الحديث
- ١٠١ - باب قوله ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم...﴾ الآية ٤٥٩
- ٤٥٩ شرح آية الترجمة
- ٤٥٩ حديث أبي هريرة (بينما النبي ﷺ يصلي العشاء)
- ٤٥٩ شرح الحديث ويشتمل على ثلاث مسائل
- ٤٦٠ من فقه الحديث
- ٤٦٠ تنبيه
- ١٠٢ - باب ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر...﴾ الآية ﴿
- ٤٦١ سياق وشرح آية الترجمة
- ٤٦٣ من فقه الآية
- ٤٦٣ سياق حديث ابن عباس في الباب
- ٤٦٣ شرح الحديث
- ١٠٣ - باب ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن...﴾
- ٤٦٥ شرح آية الترجمة
- ٤٦٦ من فقه الآية
- ٤٦٦ سياق حديث عائشة (هو الرجل تكون عنده اليتيمة... الحديث)
- ٤٦٧ شرح الحديث
- ١٠٤ - باب ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً...﴾
- ٤٦٨ شرح آية الباب
- ٤٦٩ من فقه الآية
- ٤٦٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٧٠ سياق حديث عائشة (الرجل تكون عنده المرأة... الحديث)
- ٤٧٠ شرح الحديث ويشتمل على خمس مسائل
- ١٠٥ - باب ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار...﴾
- ٤٧٢ شرح آية الترجمة

- من فقه الآية ٤٧٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٧٣
- سياق حديث الأسود بن يزيد (كنا في حلقة عبدا لله فجاء حذيفة ...) ٤٧٤
- شرح الحديث ويتضمن خمس مسائل ٤٧٥
- ١٠٦ - باب ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٤٧٦
- من فقه الآية ٤٧٦
- سياق حديث ابن مسعود (ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس...) ٤٧٦
- سياق حديث أبي هريرة (من قال أنا خير من يونس ابن متى ...) ٤٧٦
- شرح الحديثين ويتضمن أربع مسائل ٤٧٧
- ١٠٧ - باب ﴿ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٤٧٨
- من فقه الآية ٤٧٩
- سياق حديث البراء (آخر سورة نزلت براءة ...) ٤٧٩
- شرح الحديث ويتضمن مسألتين ٤٧٩

سورة المائدة

- ١٠٨ - باب تفسير سورة المائدة ٢
- شاهد التسمية ٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣
- ١٠٩ - باب ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾
- شرح آية الترجمة ٧
- من فقه الآية ١١
- سياق حديث طارق بن شهاب ١٢
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١٢
- ومنها المسألة الثانية قوله (لو نزلت فينا لا نخذناها عيداً...) ١٢
- من فقه الحديث ١٣
- ١١٠ - باب قوله ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾
- شرح آية الترجمة ١٤
- تفسير قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة... إلى الكعيبين﴾ ١٤
- أمران تضمنتهما السنة : أمثلة للأمر الأول ١٦
- أمثلة للأمر الثاني ١٨
- معنى ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ وفيه من أكمل الصفات في غسل الجنابة ١٩
- معنى ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ صفة التيمم ١٩
- اختلاف أهل العلم في معنى (من) هل هي لابتداء الغاية أو للتبويض ١٩
- شروط التيمم ٢٠
- معنى قوله ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ ٢٠
- من فقه الآية ٢١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢١
- سياق حديثي عائشة في الباب ٢٢
- شرح الحديثين ويتضمن تسع عشرة مسألة ٢٣

١١١ - باب ﴿فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾

- شرح آية الباب وفيه السر في مخاطبة اليهود المعاصرين لرسول ﷺ ٢٨
- بيان الحكمة من هذا وأمثاله من المواقف المخزية كيف يوبخون هذا التوبيخ
- وهو من فعل أسلافهم ٢٨
- سياق حديث ابن مسعود ٢٩
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٠
- من فقه الحديث ٣١

١١٢ - باب ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ٣٢
- من فقه الآية وفيه هل للإمام أن يعاقب كل محارب بما يستحق أو هو مخير بفعل ما شاء ٣٢
- سياق حديث أبي قلابة ٣٤
- شرح الحديث وفيه تسع عشرة مسألة ٣٤
- منها : المسألة الرابعة وفيها فائدتان :
- الأولى : في معنى القسامة ٣٥
- الثانية : في شروط الحكم بالقسامة ٣٦
- من فقه الحديث ٣٩

١١٣ - باب ﴿وألجروح قصاص﴾

- شرح آية الترجمة ٤١
- من فقه الآية ومنه ثالثاً وصف الحاكم بغير ما أنزل الله بالظلم ، وهل ذلك الظلم كفر ناقل عن الملة موجب للردة أم في ذلك تفصيل ٤٢
- سياق حديث أنس بن مالك ٥٠
- شرح الحديث ويتضمن تسع مسائل ٥١
- من فقه الحديث ٥٢
- فائدة في شروط وجوب القصاص ٥٢

- ٥٣ فائدة أخرى في شروط استيفاء القصاص
- ١١٤ - باب ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...﴾
- ٥٤ شرح آية الترجمة
- ٥٥ سياق حديث عائشة
- ١١٥ - باب ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾
- ٥٦ تفسير آية الترجمة
- ٥٩ من فقه الآية
- ٥٩ سياق حديثي عائشة
- ٥٩ شرح الحديثين وفيهما أربع مسائل
- ٦١ من فقه الحديثين
- ١١٦ - باب قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾
- ٦٢ شرح آية الترجمة
- ٦٢ من فقه الآية
- ٦٣ سياق حديث ابن مسعود
- ٦٣ شرح الحديث ويتضمن ست مسائل
- ١١٧ - باب قوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ...﴾
- ٦٥ شرح غريب الآية
- ٦٦ من أعظم المفاسد في الخمر
- ٦٦ من فقه الآيتين
- ٦٧ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٦٧ سياق حديث ابن عمر
- ٦٨ سياق حديث أنس بن مالك
- ٦٨ سياق حديث جابر
- ٦٨ سياق حديث ابن عمر
- ٦٨ شرح الأحاديث وفيه ثنتا عشرة مسألة

- تنبيه : فيما كان يتخذ منه الخمر حين تحريمه ٧٠
- فائدة : في الأطوار التي مر بها ذكر الخمر في القرآن ٧١
- ١١٨ - باب ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾
- شرح آية الباب ٧٦
- من فقه الآية ٧٦
- سياق حديث أنس ٧٧
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٧٧
- ١١٩ - باب ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾
- شرح آية الترجمة ٧٩
- سياق حديث أنس ٧٩
- سياق حديث ابن عباس ٨٠
- شرح الحديثين وفيهما تسع مسائل ٨٠
- تنبيه ٨٢
- ١٢٠ - باب ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة وحام﴾
- شرح آية الباب ٨٣
- تفسير جملة من الآثار والكلمات ٨٣
- سياق حديث سعيد بن المسيب ٨٤
- سياق حديث عائشة ٨٥
- شرح الحديثين وفيهما ثمان مسائل ٨٥
- ١٢١ - باب ﴿وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم ...﴾
- شرح آية الترجمة ٨٨
- من فقه الآية ٨٨
- سياق حديث ابن عباس ٨٩
- شرح الحديث وفيه ثنتا عشرة مسألة ٨٩
- من فقه الحديث ٩٣

١٢٢ - باب قوله ﴿إِن تَعْلَبِهِمْ فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾

- شرح آية الباب ٩٤
- من فقه الآية ٩٤
- سياق حديث ابن عباس ٩٤

سورة الأنعام

١٢٣ - باب تفسير سورة الأنعام

- شاهد التسمية ٩٥
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٩٦

١٢٤ - باب ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾

- شرح آية الترجمة ١٠٦
- من فقه الآية ١٠٧
- فائدة ١٠٨
- سياق حديث ابن عمر ١٠٨
- شرح الحديث وفيه مسألتان ١٠٨

١٢٥ - باب ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ...﴾

- شرح آية الباب ١٠٩
- من فقه الآية ١١٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١١٠
- سياق حديث جابر ١١٠
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ١١١
- من فقه الحديث ١١١

١٢٦ - باب ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

- شرح آية الترجمة ١١٢
- سياق حديث ابن مسعود ١١٣

١٢٧ - باب ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكَلَّا فَضَلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾

- شرح آية الباب ١١٤
- سياق حديث ابن عباس ١١٥
- سياق حديث أبي هريرة ١١٥
- شرح الحديثين ١١٥
- ١٢٨ - باب ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾
- شرح آية الباب ١١٦
- من فقه الآية ١١٦
- سياق حديث ابن عباس ١١٦
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١١٧
- ١٢٩ - باب ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾
- شرح آية الترجمة ١١٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١١٩
- سياق حديث جابر ١٢٠
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ١٢٠
- ١٣٠ - باب قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾
- شرح آية الترجمة ١٢٢
- من فقه الآية ١٢٢
- سياق حديث ابن مسعود ١٢٥
- شرح جملة من الآثار والأحاديث ١٢٥
- ١٣١ - باب ﴿هلم شهداءكم...﴾
- شرح آية الباب ١٢٨
- ١٣٢ - باب ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾ شرح آية الوجوه ١٢٩
- من فقه الآية ١٣٠
- سياق حديثي أبي هريرة ١٣٠
- شرح الحديثين وفيهما أربع مسائل ١٣١

- ١٣٣ - باب تفسير سورة الأعراف ١٣٤
- شاهد التسمية ١٣٤
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٣٥
- ١٣٤ - باب ﴿إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾
- شرح آية الباب ١٤٨
- فائدة من كلام ابن القيم ١٤٨
- سياق حديث ابن مسعود ١٤٩
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ١٤٩
- تنبيه ١٥١
- من فقه الحديث ١٥٢
- ١٣٥ - باب ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾
- شرح آية الترجمة ١٥٣
- من فقه الآية ١٥٤
- ومنه سادساً: في بيان دلالة هذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة من وجوه عدة ١٥٤
- سياق حديث أبي سعيد الخدري ١٥٦
- شرح الحديث وفيه تسع مسائل ١٥٦
- من فقه الحديث ١٦٠
- ١٣٦ - باب ﴿المن والسلوى﴾
- شرح آية الباب ١٦١
- سياق حديث سعيد بن زيد ١٦١
- ١٣٧ - باب ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً...﴾
- شرح آية الباب ١٦٢
- من فقه الآية ١٦٣
- سياق حديث أبي الدرداء ١٦٣

- ١٦٤..... شرح الحديث وفيه خمس عشرة مسألة
- ١٦٦..... من فقه الحديث
- ١٣٨ - باب ﴿وقولوا حطة﴾
- ١٦٧..... شرح آية الترجمة
- ١٦٧..... سياق حديث أبي هريرة
- ١٣٩ - باب ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾
- ١٦٨..... شرح آية الباب
- ١٦٨..... فائدة من كلام ابن القيم
- ١٦٩..... سياق حديث ابن عباس
- ١٦٩..... سياق حديث ابن الزبير
- ١٧٠..... شرح الحديثين وفيهما ثلاث عشرة مسألة
- ١٧٠..... ومنها : المسألة الرابعة وتتضمن أقسام الدخول على السلطان
- تفسير سورة الأنفال
- ١٧٥..... شاهد التسمية
- ١٤٠ - باب قوله ﴿يسألونك عن الأنفال﴾
- ١٧٦..... شرح آية الترجمة
- ١٧٧..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٧٨..... سياق حديث سعيد بن جبير
- ١٧٨..... شرح الحديث وفيه مسألتان
- ١٧٩..... شرح جملة من الآثار
- ١٤١ - باب ﴿إن شر الدواب عندا لله الصم البكم...﴾
- ١٨٣..... شرح آية الباب
- ١٨٣..... سياق حديث ابن عباس
- ١٨٣..... شرح الحديث
- ١٤٢ - باب ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾

- ١٨٤..... شرح آية الباب •
- ١٨٥..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ١٨٥..... سياق حديث أبي سعيد بن المعلى وبيان الشاهد منه •
- ١٤٣ - باب ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر... الخ﴾
- ١٨٦..... شرح آية الترجمة •
- ١٨٧..... سياق حديث أنس بن مالك •
- ١٤٤ - باب ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم... الخ﴾
- ١٨٨..... شرح آية الترجمة وبيان اختلاف أهل التفسير فيها •
- ١٨٩..... سياق حديث أنس بن مالك •
- ١٨٩..... شرح الحديث وفيه مسألتان •
- ١٤٥ - باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾
- ١٩١..... شرح آية الباب •
- ١٩١..... سياق حديث ابن عمر •
- ١٩٢..... سياق حديث سعيد بن جبیر •
- ١٩٢..... شرح الحديثين وفيهما ست مسائل •
- ١٩٤..... ثلاث فوائد في ذكر الخوارج •
- ١٩٤..... الأولى : في حد الخوارج •
- ١٩٤..... الثانية في ذم هذه الفرقة •
- ١٩٦..... الثالثة : في موقف الأئمة من هذه الفرقة الضالة •
- ١٤٦ - باب ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال...﴾
- ١٩٧..... شرح آية الباب •
- ١٩٧..... سياق حديث ابن عباس •
- ١٩٨..... شرح الحديث •
- ١٤٧ - باب ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾
- ١٩٩..... شرح آية الترجمة •

- سياق حديث ابن عباس ١٩٩
- شرح الحديث وفيه مسألتان ١٩٩
- فائدة ٢٠٠

سورة براءة

١٤٨ - سورة براءة

- شاهد التسمية ٢٠٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٠٣
- ١٤٩ - باب ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾
- شرح آية الباب ٢٠٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٠٨
- ١٥٠ - باب قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر...﴾
- شرح آية الباب ٢١١
- سياق حديث أبي هريرة ٢١٢
- ١٥١ - باب ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾
- شرح آية الترجمة ٢١٣
- من فقه الآية ٢١٣
- سياق حديث أبي هريرة ٢١٣
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٢١٤
- ١٥٢ - باب ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾
- شرح آية الباب من الآية ٢١٦
- من فقه الآية ٢١٦
- سياق حديث أبي بكر ٢١٦
- شرح الحديث ٢١٧
- ١٥٣ - باب ﴿فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم﴾
- شرح آية الباب ٢١٨

- ٢١٨ من فقه الآية .
- ٢١٨ سياق حديث حذيفة .
- ٢١٨ شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة .
- ١٥٤ - باب ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله...﴾
- ٢٢٢ شرح آية الترجمة .
- ٢٢٢ من فقه الآية .
- ٢٢٣ سياق حديث أبي هريرة .
- ٢٢٣ سياق حديث أبي ذر .
- ٢٢٣ شرح الحديثين .
- ٢٢٣ ومنها الأولى قوله : يكون كنز أحدكم يوم القيامة .
- ٢٢٣ وفيها اختلاف أهل العلم في هذا الكنز .
- ١٥٥ - باب قوله ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾
- ٢٢٦ شرح آية الترجمة .
- ٢٢٦ سياق حديث عبد الله بن عمر .
- ٢٢٧ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل .
- ١٥٦ - باب قوله ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾
- ٢٢٨ شرح آية الترجمة .
- ٢٢٩ من فقه الآية .
- ٢٢٩ سياق حديث أبي بكر .
- ٢٢٩ شرح الحديث وفيه ثمان مسائل .
- ١٥٧ - باب قوله ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار...﴾
- ٢٣٢ شرح آية الباب .
- ٢٣٣ من فقه الآية .
- ٢٣٣ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٢٣٣ سياق حديث أبي بكر .

- سياق حديث ابن عباس ٢٣٤
- سياق حديث ابن جريح عن ابن أبي مليكة ٢٣٤
- سياق حديث عمر بن سعيد عن ابن أبي مليكة ٢٣٥
- شرح الأحاديث وفيها ست وثلاثون مسألة ٢٣٥

١٥٨ - باب ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾

- شرح آية الباب ٢٤٢
- أقسام المؤلفة قلوبهم ٢٤٣
- سياق حديث أبي سعيد الخدري ٢٤٥
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٢٤٥
- من فقه الحديث ٢٤٦

١٥٩ - باب ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين﴾

- شرح آية الباب ٢٤٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٤٨
- سياق حديثي أبي مسعود ٢٤٨
- شرح الحديثين وفيهما عشر مسائل ٢٤٩

١٦٠ - باب ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾

- شرح آية الباب ٢٥١
- من فقه الآية ٢٥١
- سياق حديث ابن عمر ٢٥١
- سياق حديث ابن عباس ٢٥٢
- شرح الحديثين وفيهما أربع عشرة مسألة ٢٥٣
- من فقه الحديثين ٢٥٦

١٦١ - باب ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾

- شرح آية الباب ٢٥٧
- سياق حديث ابن عمر ٢٤٧

١٦٢ - باب ﴿سبحلّفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾

- ٢٥٨ شرح آية الترجمة .
- ٢٥٨ سياق حديث كعب بن مالك .
- ٢٥٨ شرح الحديث وفيه أربع مسائل .

١٦٣ - باب ﴿يخلفون لكم لترضوا عنهم﴾

- ٢٦٠ شرح آية الباب .
- ٢٦٠ تنبيه .

١٦٤ - باب ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾

- ٢٦١ شرح آية الباب .
- ٢٦١ من فقه الآية .
- ٢٦٢ سياق حديث سمرة بن جندب .
- ٢٦٢ شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة .
- ٢٦٤ من فقه الحديث .

١٦٥ - باب ﴿ما كان للنبي والدين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...﴾

- ٢٦٦ شرح آية الباب .
- ٢٦٦ من فقه الآية .
- ٢٦٦ سياق حديث سعيد بن المسيب .

١٦٦ - باب ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...﴾

- ٢٦٧ شرح آية الباب .
- ٢٦٧ فائدة من كلام الشوكاني .
- ٢٦٧ فائدة من كلام ابن القيم .
- ٢٦٨ سياق حديث كعب بن مالك .
- ٢٦٨ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل .
- ٢٦٩ فائدة إسنادية .

١٦٧ - باب ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾

- شرح آية الباب ٢٧٠
- سياق حديث كعب بن مالك ٢٧١
- شرح الحديث وفيه تسع عشرة مسألة ٢٧٢
- من فقه الحديث ٢٧٥
- الاستدلال بالقصة على بطلان قاعدة الموازنة بين الحسنات والسيئات ٢٧٦
- قاعدة شريفة في ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧٦
- تنبيه ٢٧٨

١٦٨ - باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾

- شرح آية الباب ٢٧٩
- سياق حديث كعب بن مالك وفيه ثلاث مسائل ٢٧٩
- شرح الحديث ٢٧٩

١٦٩ - باب ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾

- شرح آية الباب ٢٨١
- سياق حديث زيد بن ثابت ٢٨١
- شرح الحديث وفيه عشرون مسألة ٢٨٣
- فائدة ٢٨٥
- من فقه الحديث ٢٨٨

سورة يونس

١٧٠ - سورة يونس

- شاهد التسمية ٢٨٩
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٩٠
- باب ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا﴾
- سياق حديث ابن عباس ٢٩٥

سورة هود

١٧٢ - سورة هود

- ٢٩٧ شاهد التسمية .
- ٢٩٨ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٧٣ - باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه...﴾
- ٣٠٢ شرح آية الباب
- ٣٠٣ سياق أحاديث ابن عباس
- ٣٠٣ شرح الأحاديث
- ٣٠٤ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٧٤ - باب قوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾
- ٣٠٥ شرح آية الترجمة
- ٣٠٦ من فقه الآية
- ٣٠٦ سياق حديث أبي هريرة
- ٣٠٦ شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة
- ٣٠٩ من فقه الحديث
- ٣٠٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٧٥ - باب ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾
- ٣١٤ شرح آية الباب
- ٣١٤ سياق حديث صفوان بن محرز
- ٣١٥ شرح الحديث وفيه عشر مسائل
- ٣١٧ من فقه الحديث
- ١٧٦ - باب قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة...﴾
- ٣١٨ شرح آية الترجمة
- ٣١٨ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٢٠ سياق حديث أبي موسى الأشعري
- ٣٢٠ شرح الحديث وفيه خمس مسائل
- ١٧٧ - باب قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وسرفاً من الليل... الآية﴾

- شرح آية الباب ٣٢١
- سياق حديث ابن مسعود ٣٢٢
- شرح الحديث وفيه ست مسائل ٣٢٣

سورة يوسف

- ١٧٨ - سورة يوسف ٣٢٥
- شاهد التسمية ٣٢٥
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٢٦
- ١٧٩ - باب قوله ﴿وَيْتِم نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...﴾
- شرح آية الترجمة ٣٣٤
- من فقه الآية ٣٣٥
- سياق حديث ابن عمر ٣٣٥
- شرح الحديث ٣٣٥
- ١٨٠ - باب ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَاءِلِينَ...﴾
- شرح آية الباب ٣٣٦
- سياق حديث أبي هريرة ٣٣٦
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٣٣٦
- ١٨١ - باب قوله ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً...﴾
- شرح آية الترجمة ٣٣٩
- سياق حديث عائشة ٣٣٩
- سياق حديث أم رومان عن عائشة ٣٤٠
- شرح الحديثين ٣٤٠
- ١٨٢ - باب ﴿وَرَأَوْتَهُ فِي مَخْرَبٍ وَنَسِيتُ الْوَجْهَ الَّذِي رَأَيْتُ فِي الْوَالِدِ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ وَنَسِيتُ الْوَجْهَ الَّذِي رَأَيْتُ فِي الْوَالِدِ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ﴾
- شرح آية الباب ٣٤١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٤١
- سياق حديث ابن مسعود ٣٤٢

- ٣٤٢ شرح الحديث
- ٣٤٣ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٨٣ - باب ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ... الآية﴾
- ٣٤٥ شرح آية الباب
- ٣٤٦ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٤٦ سياق حديث أبي هريرة
- ٣٤٧ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ١٨٤ - باب ﴿حتى إذا استنسى الرسل ... الآية﴾
- ٣٤٨ شرح آية الترجمة
- ٣٤٩ سياق حديث عائشة
- ٣٤٩ سياق حديث عروة
- ٣٤٩ شرح الحديثين وفيهما ست مسائل

سورة الرعد

- ١٨٥ - سورة الرعد ٣٥١
- ٣٥١ شاهد التسمية
- ٣٥٢ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٨٦ - باب قوله ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام... الآية﴾
- ٣٥٩ شرح آية الترجمة
- ٣٦٠ سياق حديث ابن عمر

سورة إبراهيم

- ١٨٧ - سورة إبراهيم ٣٦١
- ٣٦١ شاهد التسمية
- ٣٦٢ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٨٨ - باب ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ... الآية﴾
- ٣٦٦ شرح آية الباب

- فائدة من كلام ابن القيم ٣٦٦
- سياق حديث ابن عمر ٣٦٧
- شرح الحديث وفيه ثمان مسائل ٣٦٨
- من فقه الحديث ٣٧٠

١٨٩ - باب ﴿بشيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ٣٧١
- فائدة من كلام ابن القيم ٣٧١
- سياق حديث البراء بن عازب ٣٧٢
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٧٢
- فائدة في نعيم القبر وعذابه ٣٧٣

١٩٠ - باب ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ... الآية﴾

- شرح آية الباب ٣٧٧
- شرح ثلاثة آثار في الباب ٣٧٧
- سياق حديث ابن عباس ٣٧٨
- شرح الحديث ٣٧٨

سورة الحجر

- ١٩١ - سورة الحجر ٣٨٠
- شاهد التسمية ٣٨٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٨١
- ١٩٢ - باب قوله ﴿إلا من استزق السمع فاتبعه شهاب مبين ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٣٨٥
- فائدة ٣٨٥
- سياق حديث أبي هريرة ٣٨٥
- شرح الحديث ٣٨٦

١٩٣ - باب قوله ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ... الآية﴾

- ٣٨٨ آية الترجمة •
- ٣٨٨ سياق حديث ابن عمر •
- ٣٨٨ شرح الحديث وفيه أربع مسائل •
- ١٩٤ - باب ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾
- ٣٩٠ شرح آية الترجمة •
- ٣٩٠ سياق حديث أبي سعيد بن المعلى •
- ٣٩٠ سياق حديث أبي هريرة •
- ٣٩١ شرح الحديثين •
- ١٩٥ - باب قوله ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾
- ٣٩٢ شرح آية الترجمة •
- ٣٩٣ شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٣٩٤ سياق حديث ابن عباس •
- ٣٩٤ سياق حديث أبي ظبيان عن ابن عباس •
- ٣٩٤ شرح الحديثين وفيهما مسألتان •
- ١٩٦ - باب ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾
- ٣٩٥ شرح آية الباب •
- ٣٩٥ فائدة من كلام ابن القيم •

سورة النحل

- ١٩٧ - باب تفسير سورة النحل
- ٣٩٦ شاهد التسمية •
- ٣٩٧ شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٣٩٨ تنبيه •
- ١٩٨ - باب ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾
- ٤٠٤ شرح آية الترجمة •
- ٤٠٤ سياق حديث أنس بن مالك •

- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٤٠٥
- سورة بني إسرائيل**
- ١٩٩ - شاهد التسمية ٤٠٧
- سياق حديث ابن مسعود ٤٠٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٠٨
- ٢٠٠ - باب قوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٤١٤
- سياق حديث أبي هريرة ٤١٥
- سياق حديث جابر ٤١٥
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٤١٥
- فائدة من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حول حكم الاحتفال
- بليلة الاسراء والمعراج ٤١٧
- ٢٠١ - باب ﴿ولقد كرمنا بني آدم... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٤٢٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٢٠
- ٢٠٢ - باب ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٤٢٦
- سياق حديث عبد الله بن مسعود ٤٢٨
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٤٢٨
- ٢٠٣ - باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً... الآية﴾
- شرح آية الباب ٤٢٩
- سياق حديث أبي هريرة ٤٢٩
- شرح الحديث وفيه ست عشرة مسألة ٤٣٠
- ٢٠٤ - باب ﴿وآتينا داود زبوراً﴾
- شرح آية الباب ٤٣٤

- ٤٣٤ سياق حديث أبي هريرة .
- ٤٣٤ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٢٠٥ - باب ﴿قل ادعوا الدين زعمتم مندونه ... الآية﴾
- ٤٣٥ شرح آية الترجمة
- ٤٣٥ سياق حديث ابن مسعود
- ٤٣٥ شرح الحديث وفيه مسألتان
- ٤٣٦ من فقه الحديث
- ٢٠٦ - باب ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ... الآية﴾
- ٤٣٧ شرح آية الترجمة
- ٤٣٧ سياق حديث ابن مسعود
- ٢٠٧ - باب ﴿وما جعلنا الرؤيا التي إلفتنه للناس ... الآية﴾
- ٤٣٨ شرح آية الباب
- ٤٣٩ سياق حديث ابن عباس
- ٤٣٩ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٢٠٨ - باب ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾
- ٤٤١ شرح آية الترجمة
- ٤٤١ سياق حديث أبي هريرة
- ٤٤١ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٢٠٩ - باب ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾
- ٤٤٣ شرح آية الباب
- ٤٤٣ سياق حديث ابن عمر
- ٤٤٤ سياق حديث جابر
- ٤٤٤ شرح الحديثين وفيهما اثنا عشرة مسألة
- ٤٤٥ منها المسألة الرابعة: وفيها المراد بالدعوة التامة والأدلة على تمام هذه الكلمة
- ٤٤٦ فائدة: شرع النبي لأئمة عند الأذان خمس أنواع

٢١٠ - باب ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ... الآية﴾

- ٤٤٨ شرح آية الباب
- ٤٤٨ سياق حديث ابن مسعود
- ٤٤٨ شرح الحديث وفيه ثمان مسائل
- ٤٤٩ منها : المسألة الثامنة وفيها كلام ابن القيم حول درجات إنكار المنكر

٢١١ - باب ﴿ويسألونك عن الروح ... الآية﴾

- ٤٥١ شرح آية الباب
- ٤٥١ سياق حديث ابن مسعود
- ٤٥٢ شرح الحديث وفيه ثلاث عشرة مسألة منها
- ٤٥٣ المسألة السابعة وفيها كلام لابن القيم حول معاني الروح في القرآن

٢١٢ - باب ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ... الآية﴾

- ٤٥٥ شرح آية الترجمة
- ٤٥٦ سياق حديث ابن عباس
- ٤٥٧ سياق حديث عائشة
- ٤٥٧ شرح الحديثين وفيهما أربع مسائل

سورة الكهف

٢١٣ - شاهد التسمية

- ٤٥٨ شرح جملة من الآثار والكلمات

٢١٤ - باب ﴿وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً...﴾

- ٤٦٤ شرح آية الترجمة
- ٤٦٤ سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٤٦٤ شرح الحديث ويتضمن رواية أخرى وفيه ست مسائل
- ٤٦٥ تنبيه في احتجاج علي بالقدر في ترك قيام الليل
- ٤٦٦ من فقه الحديث
- ٤٦٦ شرح جملة من الآثار والكلمات

٢١٥ - باب ﴿وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين... الآية﴾

- ٤٧٠ شرح آية الترجمة
- ٤٧٠ سياق حديث سعيد بن جبیر
- ٤٧٢ شرح الحديث وفيه تسع وأربعون مسألة
- ٤٨٢ من فقه الحديث

٢١٦ - باب ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾

- ٤٨٣ شرح آية الباب
- ٤٨٣ سياق حديث سعيد بن جبیر
- ٤٨٥ شرح الحديث وفيه تسع مسائل
- ٤٨٧ فائدة في ترجمة الخضر

٢١٧ - باب ﴿فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا ...﴾

- ٤٨٩ شرح آية الترجمة
- ٤٨٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٩١ سياق حديث سعيد بن جبیر

٢١٨ - باب ﴿قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالاً ... الآية﴾

- ٤٩٣ شرح آية الباب
- ٤٩٤ فائدة من كلام ابن القيم
- ٤٩٤ سياق حديث مصعب بن سعد
- ٤٩٥ شرح الحديث وفيه ست مسائل

٢١٩ - باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم...﴾

- ٤٩٧ شرح آية الترجمة
- ٤٩٧ سياق حديث أبي هريرة
- ٤٩٧ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل

سورة مريم

- ٥٠٠ شاهد التسمية

- ٥٠١ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٢١ - باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة ... الآية﴾
- ٥٠٦ شرح آية الباب
- ٥٠٦ سياق حديث أبي سعيد الخدري
- ٥٠٦ شرح الحديث وفيه ثمان مسائل
- ٥٠٨ فائفة من كلام ابن القيم
- ٢٢٢ - باب ﴿وما تنزل إلا بأمر ربك﴾
- ٥١١ شرح آية الترجمة
- ٥١١ سياق حديث ابن عباس
- ٥١١ شرح الحديث
- ٢٢٣ - باب ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾
- ٥١١ شرح آية الترجمة
- ٥١٣ سياق حديث خباب بن الأرت
- ٥١٣ شرح الحديث وفيه ثمان مسائل
- ٢٢٤ - باب قوله ﴿اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾
- ٥١٥ شرح آية الباب
- ٥١٥ سياق حديث خباب
- ٢٢٥ - باب ﴿كلا سنكتب ما يقول ونعد له من العذاب مدا﴾
- ٥١٦ شرح آية الباب
- ٥١٦ سياق حديث خباب
- ٢٢٦ - باب قوله ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾
- ٥١٧ شرح آية الباب
- ٥١٧ سياق حديث خباب

سورة طه

- ٢٢٧ - شاهد التسمية ٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣
- ٢٢٨ - باب قوله ﴿واصطنعتك لنفسى﴾
- شرح آية الترجمة ١٤
- سياق حديث أبي هريرة ١٤
- ٢٢٩ - باب قوله ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ... الآية﴾
- شرح آية الباب ١٦
- سياق حديث ابن عباس ١٦
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١٧
- ٢٣٠ - باب ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾
- شرح آية الترجمة ١٨
- سياق حديث أبي هريرة ١٨
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١٨
- فائدة من كلام ابن عبدالبر ٢٠
- ذكر افتراق الناس في فهم الحديث إلى خمس فرق ٢١
- من فقه الحديث ٢٣

سورة الأنبياء

- ٢٣١ - شاهد التسمية ٢٤
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٥
- ٢٣٢ - باب ﴿كما بدأنا أو خلق نعيده، وعدأ علينا إنا كنا فاعلين﴾
- شرح آية الترجمة ٣٣
- سياق حديث ابن عباس ٣٣

سورة الحج

- ٢٣٣ - شاهد التسمية ٣٤

- ٣٥ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٣٤ - باب ﴿وترى الناس سكارى﴾
- ٣٨ شرح آية الترجمة
- ٢٨ سياق حديث أبي سعيد الخدري
- ٣٩ شرح الحديث وفيه أربع عشرة مسألة
- ٤٤ من فقه الحديث
- ٢٣٥ - باب ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف... الآية﴾
- ٤٥ شرح آية الباب
- ٤٦ سياق حديث ابن عباس
- ٤٦ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٢٣٦ - باب ﴿هذا خصمان اختصموا في ربهم... الآية﴾
- ٤٧ شرح آية الباب
- ٤٧ سياق حديث أبي ذر رضي الله عنه
- ٤٨ سياق حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه
- ٤٨ شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل
- سورة المؤمنون
- ٢٣٧ - سورة المؤمنون
- ٥١ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٣٨ - سورة النور
- ٥٥ شاهد التسمية
- ٥٦ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٣٩ - باب قوله ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾
- ٦٠ شرح آية الترجمة
- ٦٠ سياق حديث سهل بن سعد
- ٦١ شرح الحديث وفيه خمس عشرة مسألة

- ٦٤..... من فقه الحديث
- ٢٤٠ - باب ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين... الآية﴾
- ٦٦..... شرح آية الباب
- ٦٦..... سياق حديث سهل بن سعد
- ٦٦..... شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٦٧..... فائدة في كيفية إرث ولد اللعان
- ٢٤١ - باب ﴿ويدبرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بألله إنه لمن الكاذبين﴾
- ٦٨..... شرح آية الباب
- ٦٨..... سياق حديث ابن عباس
- ٦٨..... شرح الحديث وفيه خمس عشرة مسألة
- ٧١..... من فقه الحديث
- ٢٤٢ - باب قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾
- ٧٢..... شرح آية الترجمة
- ٧٢..... سياق حديث ابن عمر
- ٧٢..... شرح الحديث وفيه ست مسائل
- ٧٣..... فائدة : أربع مباحث في أحكام اللعان
- ٧٣..... الأول : في تعريفه
- ٧٣..... الثاني : في صفته
- ٧٤..... الثالث : الحكمة من مشروعيته
- ٧٤..... الرابع فيمن وجد مع امرأته رجلاً فتحقق الأمر فقتله هل يقتل به
- ٢٤٣ - باب قوله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم... الآية﴾
- ٧٥..... شرح آية الباب
- ٧٥..... سياق حديث عائشة
- ٧٥..... شرح الحديث وفيه مسألتان
- ٢٤٤ - باب قوله ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون بأنفسهم خيراً﴾

- شرح آية الباب ٧٧
- سياق حديث عائشة ٧٧
- شرح الحديث وفيه إحدى وستون مسألة ومئة ٨٢
- منها : المسألة الخامسة والأربعون بعد المئة وفيها قوله: فقالت أمي قومي إليه فقلت:
والله لا أقوم إليه. توجيه ابن الجوزي لهذا القول..... ١١٤
- فوائد الحديث ١١٩
- ٢٤٥ - باب قوله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم...﴾
- شرح آية الباب ١٢١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٢١
- سياق حديث أم رومان ١٢١
- ٢٤٦ - باب ﴿إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم...﴾
- شرح آية الترجمة ١٢٢
- سياق حديث ابن أبي مليكة ١٢٢
- شرح الحديث وفيه مسألتان ١٢٢
- ٢٤٧ - باب ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتكم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان
عظيم﴾
- شرح آية الترجمة ١٢٤
- سياق حديث ابن أبي مليكة ١٢٤
- شرح الحديث وفيه عشر مسائل ١٢٤
- ٢٤٨ - باب ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ١٢٧
- سياق حديث عائشة ١٢٧
- شرح الحديث وفيه عشر مسائل ١٢٧
- ٢٤٩ - باب قوله ﴿ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾
- شرح آية الباب ١٣٠

- سياق حديث مسروق ١٣٠
- شرح الحديث وفيه مسألتان ١٣٠
- ٢٥٠ - باب قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ يَجِبُونَ أَنْ تُشَاعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا...الآية﴾
- شرح آية الترجمة ١٣١
- سياق حديث عائشة ١٣٢
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ١٣٤
- ٢٥١ - باب ﴿وَلِيُضْرِبَ بِنَجْمِهِمْ عَلَى جُيُوبِهِمْ...الآية﴾
- شرح آية الباب ١٣٦
- سياق حديث عائشة ١٣٨
- سياق حديث صفية بنت شيبة عن عائشة ١٣٩
- شرح الحديثين وفيهما خمس مسائل ١٣٩
- سورة الفرقان
- ٢٥٢ - شاهد التسمية ١٤١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٤٢
- ٢٥٣ - باب قوله ﴿الَّذِي يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ...الآية﴾
- شرح آية الترجمة ١٤٧
- سياق حديث أنس ١٤٧
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ١٤٧
- ٢٥٤ - باب قوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...الآية﴾
- شرح آية الباب ١٤٩
- سياق حديث ابن مسعود ١٤٩
- سياق حديث القاسم بن أبي بزة ١٥٠
- سياق حديث سعيد بن جبیر ١٥٠
- سياق حديث منصور عن سعيد بن جبیر ١٥٠
- شرح الأحاديث وفيها خمس مسائل ١٥٠

٢٥٥ - باب ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ... الآية﴾

- شرح آية الباب ١٥٢
- سياق حديث ابن عباس ١٥٢
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ١٥٢

٢٥٦ - باب ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ١٥٤
- سياق حديث سعيد بن جبير ١٥٤
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ١٥٥

٢٥٧ - باب ﴿فسوف يكون لزاماً ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ١٥٨
- سياق حديث ابن مسعود ١٥٥

سورة الشعراء

٢٥٨ - شاهد التسمية ١٥٩

- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٦٠

٢٥٩ - باب ﴿ولا تخزني يوم يبعثون ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ١٦٥
- سياق حديثي أبي هريرة ١٦٥
- شرح الحديثين وفيهما ثمان مسائل ١٦٥

٢٦٠ - باب ﴿وأندر عشيرتك الأقربين ... الآية﴾

- شرح آية الباب ١٦٨
- من فقه الآيتين ١٦٨
- سياق حديث ابن عباس ١٦٨
- سياق حديث أبي هريرة ١٦٩
- شرح الحديثين وفيهما تسع مسائل ١٦٩

سورة النمل

- ٢٦١ - سورة النمل ١٧٣
- شاهد التسمية ١٧٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٧٤
- ٢٦٢ - سورة القصص ١٧٧
- شاهد التسمية ١٧٧
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٧٨
- ٢٦٣ - باب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... الآية﴾
- شرح آية الباب وبيان أنواع الهداية ١٧٩
- سياق حديث سعيد بن المسيب ١٧٩
- شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة ١٨٠
- من فقه الحديث ١٨٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٨٣
- ٢٦٤ - باب ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ١٨٩
- سياق حديث ابن عباس ١٨٩
- شرح الحديث ١٨٩
- سورة العنكبوت
- ٢٦٥ - شاهد التسمية ١٩١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٩٢
- سورة الروم
- ٢٦٦ - سورة الم غلبت الروم ١٩٣
- شاهد التسمية ١٩٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٩٤
- سياق حديث مسروق وبيان الشاهد منه ١٩٧
- ٢٦٧ - باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ١٩٨
- من فقه الآية ١٩٩
- شرح جملة من الأثار والكلمات ١٩٩
- سياق حديث أبي هريرة ١٩٩
- شرح الحديث وفيه ست مسائل ٢٠٠
- منها : المسألة الثانية وفيها قوله (يولد على الفطرة) وبيان المراد بالفطرة ٢٠٠
- من فقه الحديث ٢٠٥
- تنبيه في حكم أولاد المشركين في الآخرة ٢٠٥

سورة لقمان

٢٦٨ - باب ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ٢٠٨
- من فقه الآية ٢٠٨
- سياق حديث ابن مسعود ٢٠٨
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٢٠٩

٢٦٩ - باب ﴿إن الله عنده علم الساعة... الآية﴾

- شرح آية الترجمة ٢١٠
- من فقه الآية ٢١٠
- سياق حديث أبي هريرة ٢١٠
- سياق حديث ابن عمر ٢١١
- شرح الحديثين وفيهما خمس وعشرون مسألة ٢١١
- منها : المسألة التاسعة وفيها قوله (وتؤمن بالبعث) ٢١٥
- ثلاث فوائد :
- الأولى : في معرفة الركن السادس من أركان الإيمان وهو القدر ٢١٦
- الثانية : معنى القدر ومراتبه وأقسامه من حيث العلم والكتابة ٢١٦
- الثالثة : أركان الإيمان الستة وورودها في القرآن ٢١٧

- ومنها : المسألة الثالثة عشرة وفيها قوله (وتصوم رمضان) جواز قول رمضان من غير إضافة شهر إليه ورد ما يستدل به على عدم جواز ذلك ٢١٩
- تنبيه في عدم وقوع رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا ٢٢١
- فائدة ٢٢١
- ومنها المسألة التاسعة عشرة وفيها قوله (المرأة ربتها) واختلاف العلماء في معناه إلى أربعة أقوال ٢٢٣
- تنبيه ٢٢٥
- ومنها المسألة الرابعة والعشرون وفيها قوله (جاء ليعلم الناس دينهم) ٢٢٦
- وفيها تنبيهان : التنبيه الأول ٢٢٨
- التنبيه الثاني ٢٢٨

سورة تنزيل السجدة

- ٢٧٠ - شاهد التسمية ٢٣٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٣١
- ٢٧١ - باب قوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٢٣٣
- سياق حديثي أبي هريرة ٢٣٣
- شرح الحديثين وفيهما ست مسائل ٢٣٤

سورة الأحزاب

- ٢٧٢ - سورة الأحزاب - شاهد التسمية ٢٣٦
- ٢٧٣ - باب ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... الآية﴾
- شرح آية الترجمة ٢٣٨
- من فقه الآية ٢٣٩
- سياق حديث أبي هريرة ٢٤٠
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٢٤٠
- من فقه الحديث ٢٤١

٢٧٤ - باب ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ... الآية﴾

- ٢٤٢ شرح آية الباب .
- ٢٤٢ من فقه الآية .
- ٢٤٣ سياق حديث سالم بن عبد الله بن عمر .
- ٢٤٣ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل .

٢٧٥ - باب ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ... الآية﴾

- ٢٤٥ شرح آية الترجمة .
- ٢٤٥ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٢٤٦ سياق حديث أنس .
- ٢٤٦ سياق حديث زيد بن ثابت .
- ٢٤٦ شرح الحديثين وفيهما ست مسائل .

٢٧٦ - باب ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا ... الآية﴾

- ٢٤٩ شرح آية الباب .
- ٢٤٩ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٢٥٠ سياق حديث عائشة .

٢٧٧ - باب ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله ... الآية﴾

- ٢٥١ شرح آية الترجمة .
- ٢٥١ سياق حديث عائشة .
- ٢٥٢ شرح الحديث وفيه خمس مسائل .
- ٢٥٥ من فقه الحديث .
- ٢٥٥ فائدة .

٢٧٨ - باب ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه ... الآية﴾

- ٢٥٧ شرح آية الباب .
- ٢٦١ سياق حديث أنس بن مالك .
- ٢٦١ شرح الحديث وفيه مسألتان .

٢٧٩ - باب قوله ﴿ترجي من تشاء منهمن وتؤي إليك من تشاء... الآية﴾

- شرح آية الباب ٢٦٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٦٤
- سياق حديثي عائشة ٢٦٥
- شرح الحديثين وفيهما ثمان مسائل ٢٦٥
- منها: المسألة السادسة وفيها قوله (أن رسول الله ﷺ كان يستأذن...) وتتضمن شرحه ٢٦٧

• تنبيه ويتضمن الأدلة على وجوب القسم بين النساء في حقه ﷺ ٢٦٨

٢٨٠ - باب قوله ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام...﴾

- شرح آية الباب ٢٧١
- من فقه الآية ٢٧١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٧٣
- سياق حديث حميد عن أنس ٢٧٣
- سياق حديث أبي مجلز عن أنس ٢٧٤
- سياق حديث أبي قلابة عن أنس ٢٧٤
- سياق حديث عبدالعزيز بن صهيب عن أنس ٢٧٤
- سياق حديث حميد عن أنس ٢٧٥
- سياق حديث عائشة ٢٧٥
- شرح الأحاديث وفيها ثمان عشرة مسألة ٢٧٦
- من فقه الأحاديث ٢٨٠

٢٨١ - باب قوله ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾

- شرح آية الترجمة ٢٨٢
- سياق حديث عائشة ٢٨٢
- شرح الحديث وفيه تسع مسائل ٢٨٣
- من فقه الحديث ٢٨٦

- ٢٨٦ تنبيه •
- ٢٨٧ فوائد في الرضاعة ، الأولى : في معناها •
- ٢٨٧ الثانية : في القدر المحرم من الرضعات •
- ٢٨٨ الثالثة : شروط تحقق الرضاع •

٢٨٢ - باب ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ... الآية﴾

- ٢٨٩ شرح آية الباب •
- ٢٨٩ شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٢٩٠ سياق حديث كعب بن عجرة •
- ٢٩٠ سياق حديث أبي سعيد الخدري •
- ٢٩٠ شرح الحديثين وفيهما ست مسائل •
- ٢٩١ منها : المسألة الرابعة ، وفيها فائدة من جلاء الأفهام لابن القيم •
- ٢٩٨ فائدتان : الأولى : في حكم الصلاة على النبي ﷺ •
- ٢٩٨ الثانية : فيما صح عنه ﷺ من صيغ الصلاة عليه •

٢٨٣ - باب قوله ﴿ولا تكونوا كالذين آذوا موسى ... الآية﴾

- ٣٠٠ شرح آية النجدة •
- ٣٠١ سياق حديث بي هريرة •
- ٣٠١ شرح الحديث وفيه مسألتان •
- ٣٠٢ من فقه الحديث •

سورة سبأ

٢٨٤ - سورة سبأ

- ٣٠٣ شاهد التسمية •
 - ٣٠٤ شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ### ٢٨٥ - باب ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم ... الآية﴾
- ٣١٠ شرح آية الباب •
 - ٣١١ سياق حديث أبي هريرة •

- ٣١١..... شرح الحديث وفيه ثمان مسائل
- ٣١٣..... من فقه الحديث
- ٢٨٦ - باب قوله ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾
- ٣١٥..... شرح آية الباب
- ٣١٥..... فائدة من كلام الشيخ ابن سعدي
- ٣١٦..... سياق حديث ابن عباس
- ٢٨٧ - سورة الملائكة [فاطر]
- ٣١٧..... شاهد التسمية
- ٣١٨..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- سورة يس
- ٢٨٨ - سورة يس
- ٣٢٠..... شاهد التسمية
- ٣٢١..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٨٩ - باب ﴿والشمس تجري لمستقر لها ... الآية﴾
- ٣٢٥..... شرح آية الترجمة
- ٣٢٥..... سياق حديثي أبي ذر
- ٣٢٥..... شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل
- ٣٢٧..... من فقه الحديثين
- ٢٩٠ - سورة والصفات
- ٣٢٨..... شاهد التسمية
- ٣٢٩..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٩١ - باب ﴿وإن يونس لمن المرسلين ... الآية﴾
- ٣٣٥..... شرح آية الباب
- ٣٣٥..... سياق حديث ابن مسعود
- ٣٣٥..... سياق حديث أبي هريرة

- ٢٩٢ - سورة ص ص ٣٣٦
- شاهد التسمية ٣٣٦
- سياق حديثي العوام ٣٣٧
- شرح الحديثين وفيهما ست مسائل ٣٣٧
- تنبيهات : الأول : في موضع السجدة في سورة ص ٣٣٨
- الثاني : مذاهب الأئمة في سجدة القرآن ٣٣٨
- الثالث : في حكم السجود للتالي والمستمع ٣٣٩
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٣٩
- ٢٩٣ - باب ﴿هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ... الْآيَةَ﴾
- شرح آية الباب ٣٤٤
- تنبيه ٣٤٤
- سياق حديث أبي هريرة ٣٤٥
- شرح الحديث وفيه ثمان مسائل ٣٤٥
- تنبيه ٣٤٧
- من فقه الحديث ٣٤٧
- ٢٩٤ - باب قوله ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ... الْآيَةَ﴾
- شرح آية الباب ٣٤٨
- سياق حديث مسروق ٣٤٨
- ٢٩٥ - سورة الزمر ٣٤٩
- شاهد التسمية ٣٤٩
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٥٠
- ٢٩٦ - باب ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أُسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... الْآيَةَ﴾
- فائدة ٣٥٤
- تنبيه ٣٥٥
- من فقه الآية ٣٥٥

- سياق حديث ابن عباس ٣٥٥
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٣٥٦
- ٢٩٧ - باب ﴿وما قدروا الله حق قدره ... الآية﴾
- شرح آية الباب ٣٥٨
- فائدة من كلام ابن القيم ٣٥٨
- سياق حديث ابن مسعود ٣٥٨
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٣٥٩
- من فقه الحديث ٣٦١
- ٢٩٨ - باب قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ... الآية﴾
- سياق حديث أبي هريرة ٣٦٤
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٣٦٤
- من فقه الحديث ٣٦٤
- ٢٩٩ - باب ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض...﴾
- شرح آية الباب ٣٦٦
- فائدة ٣٦٦
- سياق حديثي أبي هريرة ٣٦٧
- شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل ٣٦٧
- تنبيه ٣٧٠
- من فقه الحديثين ٣٧٠
- ٣٠٠ - سورة حم المؤمن [غافر] ٣٧١
- شاهد التسمية ٣٧١
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٧٢
- تنبيه: (الطريقة المثلي في الوعظ من كلام ابن القيم) ٣٧٥
- سياق حديث عروة بن الزبير ٣٧٥
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ٣٧٦

- ٣٧٧ من فقه الحديث
- ٣٧٨ ٣٠١ - سورة حم السجدة [فصلت]
- ٣٧٨ شاهد التسمية
- ٣٧٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٧٩ سياق حديث سعيد بن جبیر
- ٣٨٠ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٣٨١ من فقه الحديث
- ٣٨١ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٨٧ ٣٠٢ - باب ﴿وما كنتم تستزون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾
- ٣٨٧ شرح آية الباب
- ٣٨٧ سياق حديث ابن مسعود
- ٣٨٧ شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٣٨٩ ٣٠٣ - باب ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ... الآية﴾
- ٣٨٩ شرح آية الترجمة
- ٣٨٩ سياق حديثي ابن مسعود وبيان الشاهد منها
- ٣٩١ ٣٠٤ - سورة حم عسق [الشورى]
- ٣٩١ شاهد التسمية
- ٣٩٢ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٩٤ ٣٠٥ - باب قوله ﴿إلا المؤدة في القربى ... الآية﴾
- ٣٩٤ شرح آية الترجمة
- ٣٩٥ من فقه الآية
- ٣٩٥ سياق حديث ابن عباس
- ٣٩٥ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٣٩٦ تنبيه
- ٣٩٧ ٣٠٦ - سورة حم الزخرف

- ٣٩٧..... شاهد التسمية .
- ٣٩٨..... شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٠٧ - باب ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾
- ٣٠٨ - سورة حم الدخان
- ٤٠٨..... شاهد التسمية .
- ٤٠٩..... شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٠٩ - باب ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين...﴾
- ٤١١..... شرح آية الباب .
- ٤١١..... سياق حديث ابن مسعود .
- ٤١٢..... شرح الحديث وفيه ست مسائل .
- ٣١٠ - باب ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾
- ٤١٣..... شرح آية الباب .
- ٤١٣..... سياق حديث ابن مسعود .
- ٤١٣..... شرح الحديث وفيه ثمان مسائل .
- ٣١١ - باب ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾
- ٤١٦..... شرح آية الباب .
- ٤١٦..... سياق حديث ابن مسعود .
- ٤١٧..... شرح الحديث وفيه سبع مسائل .
- ٤١٩..... من فقه الحديث .
- ٣١٢ - باب ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾
- ٤٢٠..... شرح آية الباب .
- ٤٢٠..... سياق حديث ابن مسعود .
- ٣١٣ - باب ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾
- ٤٢١..... شرح آية الترجمة .
- ٤٢١..... سياق حديث ابن مسعود .

- ٤٢١ شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٣١٤ - باب ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى...﴾
- ٤٢٣ شرح آية الباب
- ٤٢٣ سياق حديث ابن مسعود
- ٣١٥ - سورة حم الجاثية
- ٤٢٤ شاهد التسمية
- ٤٢٥ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣١٦ - باب ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾
- ٤٢٦ شرح آية الترجمة
- ٤٢٦ من فقه الآية
- ٤٢٦ سياق حديث أبي هريرة
- ٤٢٧ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٤٢٨ من فقه الحديث
- ٣١٧ - سورة حم الأحقاف
- ٤٢٩ شاهد التسمية
- ٤٢٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣١٨ - باب ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني...﴾
- ٤٣٢ شرح آية الباب
- ٤٣٢ سياق حديث يوسف بن ماهك
- ٤٣٣ شرح الحديث وفيه ست مسائل
- ٤٣٤ تنبيه
- ٣١٩ - باب قوله ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾
- ٤٣٦ شرح آية الترجمة
- ٤٣٦ سياق حديث عائشة
- ٤٣٧ شرح الحديث وفيه خمس مسائل

- ٤٣٩..... سورة محمد ﷺ ٣٢٠
- ٤٣٩..... شاهد التسمية ٣٢٠
- ٤٤٠..... شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٢١
- ٤٤٢..... شرح آية الترجمة ٣٢١
- ٤٤٢..... من فقه الآيتين ٣٢١
- ٤٤٢..... سياق حديث أبي هريرة ٣٢١
- ٤٤٣..... شرح الحديث وفيه ثمان مسائل ٣٢١
- ٤٤٥..... فائدة من كلام القرطبي في أقسام الرحم ٣٢١
- ٤٤٥..... فائدة في الأحاديث الآمرة بصلة الرحم ٣٢١
- ٤٤٥..... من فقه الحديث ٣٢٢
- ٤٤٦..... سورة الفتح ٣٢٢
- ٤٤٦..... شاهد التسمية ٣٢٢
- ٤٤٧..... شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٢٣
- ٤٤٩..... باب ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ٣٢٣
- ٤٤٩..... سياق حديث زيد بن أسلم ٣٢٣
- ٤٤٩..... سياق حديث أنس ٣٢٣
- ٤٤٩..... سياق حديث عبد الله بن المغفل ٣٢٣
- ٤٥٠..... شرح الأحاديث وفيه أربع عشرة مسألة ٣٢٣
- ٤٥٣..... فائدة ٣٢٤
- ٢٢٤ - باب ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب وما تأخر﴾
- ٤٥٥..... شرح آية الترجمة ٢٢٤
- ٤٥٥..... فائدة من كلام ابن القيم ٢٢٤
- ٤٥٦..... سياق حديث المغيرة ٢٢٤
- ٤٥٦..... سياق حديث عائشة ٢٢٤

- ٤٥٦ شرح الحديثين وفيهما خمس مسائل
- ٢٢٥ - باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾
- ٤٥٩ شرح آية الترجمة
- ٤٥٩ سياق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
- ٤٥٩ شرح الحديث وفيه عشر مسائل
- ٤٦٢ تنبيه
- ٤٦٣ فائدة
- ٤٦٤ من فقه الحديث
- ٢٢٦ - باب ﴿هو الذي أنزل السكينة على قلوب المؤمنين﴾
- ٤٦٥ شرح آية الباب
- ٤٦٥ سياق حديث البراء
- ٤٦٥ شرح الحديث وفيه ست مسائل
- ٤٦٧ تنبيه في اختلاف أهل العلم في معنى ﴿السكينة﴾
- ٤٦٧ من فقه الحديث
- ٣٢٧ - باب ﴿إذ يباعدونك تحت الشجرة...﴾
- ٤٦٩ شرح آية الباب
- ٤٦٩ سياق حديث جابر
- ٤٦٩ سياق حديث عبد الله بن معقل
- ٤٦٩ سياق حديث ثابت بن الضحاك
- ٤٧٠ سياق حديث حبيب بن أبي ثابت
- ٤٧٠ شرح الأحاديث وفيها إحدى عشرة مسألة
- ٤٧٣ منها : المسألة السابعة
- ٤٧٣ وفيها : قوله (فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله ...)
- ٤٧٣ وفيها : تنبيه من كلام شيخ الإسلام
- ٤٧٦ من فقه الأحاديث

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

- ٣٢٧ - سورة الحجرات ٣
- شاهد التسمية ٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤
- ٣٢٨ - باب ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...﴾
- شرح آية الباب ٦
- سياق حديث ابن أبي مليكة ٧
- سياق حديث أنس بن مالك ٧
- شرح الحديثين وفيهما ست عشرة مسألة ٨
- من فقه الحديثين ١١
- ٢٢٩ - باب ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾
- شرح آية الترجمة ١٣
- سياق حديث عبد الله بن الزبير ١٣
- شرح الحديث وفيه مسألتان ١٣
- ٣٣٠ - باب قوله ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ... الآية﴾
- شرح آية الباب ١٤
- ٣٣١ - سورة ق ١٥
- شاهد التسمية ١٥
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٦
- ٣٣٢ - باب قوله ﴿وتقول هل من مزيد﴾
- شرح آية الباب ٢١
- سياق حديث أنس ٢١
- سياق حديث أبي هريرة ٢١
- شرح الأحاديث وفيها إحدى عشرة مسألة ٢٢

- ٢٤..... تنبيه •
- ٢٤..... من فقه الأحاديث •
- ٣٣٣ - باب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ ٢٦
- ٢٦..... شرح آية الباب •
- ٢٧..... سياق حديث جرير بن عبد الله •
- ٢٧..... سياق حديث ابن عباس •
- ٢٧..... شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل •
- ٢٧..... منها : المسألة الرابعة وفيها قوله (لا تضامون في رؤيته) •
- ٢٧..... سياق الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وفي الجنة •
- ٢٩..... تنبيه في إنكار الجهمية والمعتزلة للرؤية •
- ٣٣٤ - سورة الداريات ٣١
- ٣١..... شاهد التسمية •
- ٣٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٣٣٥ - سورة الطور ٣٩
- ٣٩..... شاهد التسمية •
- ٤٠..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٤٣..... سياق حديث أم سلمة •
- ٤٣..... سياق حديث جبير بن مطعم •
- ٤٣..... شرح الحديثين وفيهما ست مسائل •
- ٤٥..... من فقه الحديثين •
- ٣٣٦ - سورة النجم ٤٧
- ٤٧..... شاهد التسمية •
- ٤٨..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٥٢..... سياق حديث مسروق •
- ٥٢..... شرح الحديث وفيه سبع مسائل •

- تنبيه ٥٥
- من فقه الحديث ٥٥
- ٣٣٧ - باب ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى ...﴾ ٥٦
- شرح آية الترجمة ٥٦
- سياق حديث ابن مسعود ٥٦
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٥٧
- ٣٣٨ - باب قوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ ٥٨
- شرح آية الباب ٥٨
- سياق حديث زر بن حبیش ٥٨
- شرح الحديث وفيه مسألتان ٥٨
- ٣٣٩ - باب ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى ...﴾ ٦٠
- شرح آية الباب ٦٠
- سياق حديث ابن مسعود ٦٠
- شرح الحديث ٦٠
- ٣٤٠ - باب ﴿أفرايتم اللات والعزى ...﴾ ٦١
- شرح آية الباب ٦١
- سياق حديث ابن عباس ٦١
- سياق حديث أبي هريرة ٦١
- شرح الحديثين وفيهما ست مسائل ٦١
- تنبيه في أدلة تحريم الحلف بغير الله ٦٣
- وأقسامه ٦٣
- من فقه الحديثين ٦٤
- ٣٤١ - باب ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ ٦٥
- شرح آية الترجمة ٦٥
- سياق حديث عائشة ٦٥

- ٣٤٢ - باب ﴿فاسجدوا لله واعبدوا... الآية﴾ ٦٦
- ٦٦ شرح آية الباب
 - ٦٦ فائدة من كلام شيخ الإسلام في تعريف العبادة
 - ٦٦ سياق حديث ابن عباس
 - ٦٦ سياق حديث ابن مسعود
 - ٦٧ شرح الحديثين وفيهما ثمان مسائل
 - ٦٨ تنبيه يتضمن رد قصة الغرائق المروية عن محمد بن كعب القرظي وغيره
- ٣٤٣ - سورة اقربت الساعة ٧٥
- ٧٥ شاهد التسمية
 - ٧٦ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٤٤ - باب ﴿وانشق القمر وان يرو آية يعرضوا...﴾ ٨٠
- ٨٠ شرح الآيتان للترجمة
 - ٨٠ سياق حديثين ابن مسعود
 - ٨٠ سياق حديث ابن عباس
 - ٨١ سياق حديثي أنس
 - ٨١ شرح الأحاديث وفيها سبع مسائل
 - ٨٣ تنبيه
- ٣٤٥ - باب ﴿تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر...﴾ ٨٤
- ٨٤ شرح آية الترجمة
 - ٨٤ سياق حديث ابن مسعود
 - ٨٤ شرح الحديث
- ٣٤٦ - باب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ٨٥
- ٨٥ شرح آية الباب
 - ٨٥ فائدة من كلام ابن القيم
 - ٨٦ سياق حديث ابن مسعود

- ٣٤٧ - باب ﴿اعجاز نخل منقعر﴾ ٨٧
- شرح آية الترجمة ٨٧
- سياق حديث أبي إسحاق ٨٧
- ٣٤٨ - باب ﴿فكانوا كهشيم المختصر﴾ ٨٨
- شرح آية الباب ٨٨
- سياق حديث ابن مسعود ٨٨
- ٣٤٩ - باب ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ ٨٩
- شرح آية الترجمة ٨٩
- سياق حديث ابن مسعود ٨٩
- ٣٥٠ - باب ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مذكر...﴾ ٩٠
- شرح آية الترجمة ٩٠
- سياق حديث ابن مسعود ٩٠
- شرح الحديث ٩٠
- فائدة ٩٠
- ٣٥١ - باب قوله ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر... الآية﴾ ٩١
- شرح آية الترجمة ٩١
- سياق حديث ابن عباس ٩١
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٩١
- ٣٥٢ - باب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر...﴾ ٩٤
- شرح آية الباب ٩٤
- سياق حديث عائشة ٩٤
- سياق حديث ابن عباس ٩٤
- شرح الحديثين وفيهما ثلاث مسائل ٩٤
- ٣٥٣ - سورة الرحمن ٩٦
- شاهد التسمية ٩٦

- ٩٧ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٠٦ ٣٥٤ - باب قوله ﴿ومن دونهما جنتان ...﴾
- ١٠٦ شرح آية الترجمة
- ١٠٦ سياق حديث عبد الله بن قيس
- ١٠٧ ٣٥٥ - باب ﴿حور مقصورات في الخيام﴾
- ١٠٧ شرح آية الباب
- ١٠٧ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٠٨ سياق حديث عبد الله بن قيس
- ١٠٨ شرح الحديث وفيه سبع مسائل
- ١١٠ تنبيه
- ١١٢ ٣٥٦ - سورة الواقعة
- ١١٢ شاهد التسمية
- ١١٣ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٢٠ ٣٥٧ - باب ﴿وظل ممدود ...﴾
- ١٢٠ شرح آية الباب
- ١٢٠ سياق حديث أبي هريرة
- ١٢٠ شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ١٢٢ ٣٥٨ - سورة الحديد
- ١٢٢ شاهد التسمية
- ١٢٣ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٢٥ تنبيه
- ١٢٦ ٣٥٩ - باب سورة المجادلة
- ١٢٦ شاهد التسمية
- ١٢٧ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٢٨ ٣٦٠ - سورة الحشر

- ١٢٨..... شاهد التسمية
- ١٢٩..... سياق حديث سعيد بن جبير
- ١٢٩..... شرح الحديثين وفيهما خمس مسائل
- ١٣١..... ٣٦١ - باب ﴿وما قطعتم من لينة ... الآية﴾
- ١٣١..... شرح آية الترجمة
- ١٣٢..... سياق حديث ابن عمر
- ١٣٢..... شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ١٣٣..... ٣٦٢ - باب ﴿وما أفاء الله على رسوله ...﴾
- ١٣٣..... شرح آية الباب
- ١٣٣..... سياق حديث عمر
- ١٣٣..... شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ١٣٦..... تنبيه
- ١٣٧..... فائدتان : الأولى في بيان صفة مال الفنى وحكمه
- ١٣٧..... الثانية : فيمن يستحق أن يعطى من مال الفنى
- ١٣٩..... ٣٦٣ - باب ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ...﴾
- ١٣٩..... شرح آية الباب
- ١٣٩..... سياق حديثي ابن مسعود
- ١٣٩..... شرح الحديثين وفيهما خمس عشرة مسألة
- ١٤٢..... من فقه الحديثين
- ١٤٣..... ٣٦٤ - باب ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان ...﴾
- ١٤٣..... شرح آية الباب
- ١٤٤..... سياق حديث عمر
- ١٤٤..... شرح الحديث وفيه ثمان مسائل
- ١٤٦..... من فقه الحديث
- ١٤٧..... ٣٦٥ - باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم ... الآية﴾

- ١٤٧..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ١٤٨..... سياق حديث أبي هريرة
- ١٤٨..... شرح الحديث وفيه سبع مسائل
- ١٥٠..... من فقه الحديث
- ٣٦٦ - سورة الممتحنة..... ١٥٢
- ١٥٢..... شاهد التسمية
- ١٥٣..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٦٧ - باب ﴿لا تتخلوا عدوي وعدوكم أولياء...﴾..... ١٥٤
- ١٥٤..... شرح آية الترجمة
- ١٥٥..... فائدة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- ١٥٥..... سياق حديث علي رضي الله عنه
- ١٥٦..... شرح الحديث وفيه سبع عشرة مسألة
- ١٥٨..... منها : المسألة الثانية عشرة وفيها قوله (دعني يا رسول الله أضرب عنقه).....
- ١٥٨..... وفيها : فائدة في مذهب أهل العلم في الجاسوس
- ١٥٨..... ومنها : المسألة الرابعة عشرة قوله (إنه شهد بداراً...) وفيها تنبيه
- ١٦٠..... من فقه الحديث
- ٣٦٨ - باب ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات...﴾..... ١٦١
- ١٦١..... شرح آية الباب
- ١٦٣..... سياق حديث عائشة
- ١٦٤..... شرح الحديث وفيه ست مسائل
- ٣٦٩ - باب ﴿إذا جاءك المؤمنات يبائعنك...﴾..... ١٦٦
- ١٦٦..... شرح آية الباب
- ١٦٦..... سياق حديث أم عطية
- ١٦٧..... سياق حديث ابن عباس
- ١٦٧..... سياق حديث عبادة بن الصامت

- سياق حديث ابن عباس ١٦٧
- شرح الأحاديث وفيها تسع عشرة مسألة ١٦٨
- من فقه حديث ابن عباس ١٧٢
- ٣٧٠ - سورة الصف ١٧٣
- شاهد التسمية ١٧٣
- شرح جملة من الآثار والكلمات ١٧٤
- ٣٧١ - باب قوله تعالى ﴿من بعد اسمه أحمد...﴾
- شرح آية الباب ١٧٥
- سياق حديث جبير بن مطعم ١٧٥
- شرح الحديث وفيه ست مسائل ١٧٥
- منها: المسألة الأولى قوله (إن لي أسماء) وفيها فائدة من كلام القاضي عياض.. ١٧٦
- سورة الجمعة
- سورة الجمعة ١٧٩
- شاهد التسمية ١٧٩
- ٣٧٢ - باب قوله ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم...﴾
- شرح آية الباب ١٨٠
- سياق حديث أبي هريرة ١٨١
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ١٨١
- ٣٧٣ - باب ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً... الآية﴾
- شرح آية الباب ١٨٢
- سياق حديث جابر بن عبد الله ١٨٣
- شرح الحديث وفيه أربع مسائل ١٨٣
- من فقه الحديث ١٨٥

سورة المنافقون

- ٣٧٤ - باب قوله ﴿إذا جاءك المنافقون... الآية﴾

- ١٨٦..... شرح آية الباب •
- ١٨٧..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ١٨٧..... شرح الحديث وفيه اثني عشرة مسألة •
- ١٩٠..... من فقه الحديث •
- ٣٧٥ - باب ﴿اتخذوا إيمانهم جنة... الآية﴾
- ١٩١..... شرح آية الترجمة •
- ١٩١..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ٣٧٦ - باب ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم... الآية﴾
- ١٩٢..... شرح آية الباب •
- ١٩٢..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ٣٧٧ - باب ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم...﴾
- ١٩٤..... شرح آية الباب •
- ١٩٥..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ٣٧٨ - باب ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم...﴾
- ١٩٦..... شرح آية الباب •
- ١٩٦..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ٣٧٩ - باب قوله ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم...﴾
- ١٩٧..... شرح آية الباب •
- ١٩٧..... سياق حديث جابر •
- ١٩٧..... شرح الحديث وفيه تسع مسائل •
- ٣٨٠ - باب قوله ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله...﴾
- ٢٠٠..... شرح آية الباب •
- ٢٠٠..... سياق حديث زيد بن أرقم •
- ٢٠١..... شرح الحديث وفيه أربع مسائل •
- ٣٨١ - باب قوله ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾

- شرح آية الباب ٢٠٣
- سياق حديث جابر بن عبد الله ٢٠٣
- ٣٨٢ - سورة التغابن ٢٠٤
- شاهد التسمية ٢٠٤
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٠٥
- ٣٨٣ - سورة الطلاق ٢٠٥
- شاهد التسمية ٢٠٦
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٢٠٧
- سياق حديث ابن عمر ٢٠٨
- شرح الحديث وفيه سبع مسائل ٢٠٨
- المسألة الرابعة : قوله (فإن بداله أن يطلقها فليطلقها ...) ٢١٠
- وفيه فائدتان : الأولى في الحكمة من هذا الأمر ٢١٠
- الثانية اختلاف العلماء في التطليق في الطهر الذي يلي الحيض ٢١٠
- ومنها المسألة السابعة قوله (فتلك العدة كما أمر الله ...) ٢١٠
- وفيه : تنبيه من كلام ابن القيم ٢١١
- ٣٨٤ - باب ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن...﴾ ٢١١
- شرح آية الترجمة ٢٢٣
- من فقه الآية ٢٢٣
- سياق حديث أبي سلمة ٢٢٤
- سياق حديث ابن سيرين ٢٢٤
- شرح الحديثين وفيهما ثمان عشرة مسألة ٢٢٥
- من فقه الحديثين ٢٢٨
- سورة التحريم
- ٣٨٥ - باب ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك...﴾ ٢٣٠
- شرح آية الترجمة ٢٣٠

- ٢٣٠ • سباق حديث ابن عباس
- ٢٣١ • سباق حديث عائشة
- ٢٣١ • شرح الحديثين وفيهما سبع مسائل
- ٢٣٢ • تنبيه
- ٢٣٥ • من فقه الحديثين
- ٣٨٦ - باب ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾
- ٢٣٦ • شرح آية الترجمة
- ٢٣٦ • من فقه الآية
- ٢٣٦ • سباق حديث ابن عباس
- ٢٣٨ • شرح الحديث وفيه أربع وثلاثون مسألة
- ٢٤٤ • من فقه الحديث
- ٣٨٧ - باب ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾
- ٢٤٧ • شرح آية الباب
- ٢٤٧ • سباق حديث ابن عباس
- ٣٨٨ - باب قوله ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما...﴾
- ٢٤٨ • شرح آية الباب
- ٢٤٨ • شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٢٤٩ • سباق حديث ابن عباس
- ٣٨٩ - باب قوله ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن...﴾
- ٢٥٠ • شرح آية الباب
- ٢٥٠ • سباق حديث عمر
- ٢٥٠ • شرح الحديث وفيه مسألتان
- ٣٩٠ - باب تفسير سورة الملك
- ٢٥٢ • شاهد التسمية
- ٢٥٣ • شرح جملة من الآثار والكلمات

- ٣٩١ - سورة ن والقلم
- ٢٥٥ شاهد التسمية .
- ٢٥٦ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٩٢ - باب ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾
- ٢٥٨ شرح آية الترجمة .
- ٢٥٨ سياق حديث ابن عباس .
- ٢٥٨ سياق حديث وهب الخزاعي .
- ٢٥٨ شرح الحديثين وفيهما ثمان مسائل .
- ٣٩٣ - باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾
- ٢٦٢ شرح آية الترجمة .
- ٢٦٢ سياق حديث أبي سعيد الخدري .
- ٢٦٢ شرح الحديث وفيه أربع مسائل منها .
- ٢٦٢ المسألة الأولى : قوله (يكشف ربنا عن ساقه) وفيها فائدتان .
- ٢٦٣ الفائدة الأولى : إثبات الحجى لله تعالى وأدلته وكلام ابن القيم في ذلك .
- ٢٦٣ الثانية إثبات الساق لله تعالى .
- ٢٦٣ فائدة أخرى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٣٩٤ - سورة الحاقة
- ٢٦٦ شاهد التسمية .
- ٢٦٧ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٩٥ - سورة سأل سائل [المعارج]
- ٢٧٠ شاهد التسمية .
- ٢٧١ شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٩٦ - سورة نوح
- ٢٧٣ شاهد التسمية .
- ٢٧٤ شرح جملة من الآثار والكلمات .

٣٩٧ - باب ﴿ولا تدرن وداً ولا سواها﴾

- ٢٧٦..... شرح آية الترجمة •
- ٢٧٦..... سياق حديث ابن عباس •
- ٢٧٦..... فائدة إسنادية •
- ٢٧٨..... شرح الحديث وفيه تسع مسائل •
- ٢٨٠..... من فقه الحديث •
- ٢٨٢..... ٣٩٨ - سورة قل أوحى [الجن] •
- ٢٨٢..... شاهد التسمية •
- ٢٨٣..... سياق حديث ابن عباس •
- ٢٨٣..... شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة •
- ٢٨٧..... من فقه الحديث •
- ٢٨٨..... ٣٩٩ - سورة المزمل •
- ٢٨٨..... شاهد التسمية •
- ٢٨٩..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٢٩١..... ٤٠٠ - سورة المدثر •
- ٢٩١..... شاهد التسمية •
- ٢٩٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات •
- ٢٩٣..... سياق حديث يحيى بن أبي كثير (سألت أبا سلمة ابن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن ... الحديث) •
- ٢٩٣..... شرح الحديث وفيه تسع مسائل •
- ٤٠١ - باب ﴿قم فأنذر﴾
- ٢٩٦..... شرح آية الباب •
- ٢٩٦..... سياق حديث جابر بن عبد الله •
- ٤٠٢ - باب ﴿وربك فكبر﴾
- ٢٩٧..... شرح آية الباب •

- ٢٩٧..... سياق حديث يحيى بن أبي كثير
- ٤٠٣ - باب ﴿وثيابك فطهر...﴾
- ٢٩٨..... شرح آية الترجمة
- ٢٩٨..... سياق حديث جابر بن عبد الله
- ٤٠٤ - باب قوله ﴿والرجز فاهجر...﴾
- ٣٠٠..... شرح آية الباب
- ٣٠٠..... سياق حديث جابر بن عبد الله
- ٤٠٥ - سورة القيامة
- ٣٠١..... شاهد التسمية
- ٣٠٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٠٣..... سياق حديث ابن عباس
- ٣٠٣..... شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٤٠٦ - باب ﴿إن علينا جمعه وقرآنه...﴾
- ٣٠٥..... شرح آية الباب
- ٣٠٥..... سياق حديث سعيد بن جبير
- ٤٠٧ - باب ﴿فإذا قرآنناه فاتبع قرآنه﴾
- ٣٠٦..... شرح آية الباب
- ٣٠٦..... سياق حديث ابن عباس
- ٤٠٨ - سورة هل أتى على الإنسان
- ٣٠٧..... شاهد التسمية
- ٣٠٨..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٠٩ - سورة والمرسلات
- ٣١١..... شاهد التسمية
- ٣١٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣١٣..... سياق حديثي ابن مسعود

- ٣١٤..... شرح الحديثين وفيهما خمس مسائل
- ٣١٥..... فائدة
- ٣١٥..... من فقه الحديثين
- ٤١٠ - باب قوله ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾
- ٣١٧..... شرح آية الباب
- ٣١٧..... سياق حديث ابن عباس
- ٣١٧..... شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٤١١ - باب قوله ﴿كأنه جمالات صفر﴾
- ٣١٩..... شرح آية الترجمة
- ٣١٩..... سياق حديث ابن عباس
- ٣١٩..... شرح الحديث
- ٤١٢ - باب قوله ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾
- ٣٢٠..... شرح آية الباب
- ٣٢٠..... سياق حديث ابن مسعود
- ٣٢٠..... شرح الحديث
- ٤١٣ - سورة عم يتساءلون
- ٣٢١..... شاهد التسمية
- ٣٢٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤١٤ - باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾
- ٣٢٤..... شرح آية الباب
- ٣٢٤..... سياق حديث أبي هريرة
- ٤١٥ - سورة والنازعات
- ٣٢٥..... شاهد التسمية
- ٣٢٦..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٢٨..... سياق حديث سهل بن سعد

- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٢٨
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٢٩
- ٤١٦ - سورة عبس ٣٣٠
- شاهد التسمية ٣٣٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٣١
- سياق حديث عائشة ٣٣٤
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٣٤
- ٤١٧ - سورة إذا الشمس كورت ٣٣٦
- شاهد التسمية ٣٣٦
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٣٧
- ٤١٨ - سورة إذا السماء انفطرت ٣٤٠
- شاهد التسمية ٣٤٠
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٤١
- ٤١٩ - سورة ويل للمطففين ٣٤٢
- شاهد التسمية ٣٤٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٤٣
- سياق حديث ابن عمر ٣٤٤
- شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل ٣٤٤
- ٤٢٠ - سورة إذا السماء انشقت
- شاهد التسمية ٣٤٦
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٣٤٧
- ٤٢١ - باب ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾
- شرح آية الباب ٣٤٨
- سياق حديث عائشة ٣٤٨
- شرح الحديث وفيه خمس مسائل ٣٤٨

- ٣٥٠ من فقه الحديث
- ٤٢٢ - باب ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾
- ٣٥١ شرح آية الباب
- ٣٥١ فائدة من كلام ابن القيم
- ٣٥١ من فقه الآية
- ٣٥١ سياق حديث ابن عباس
- ٣٥١ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
- ٤٢٣ - سورة البروج
- ٣٥٢ شاهد التسمية
- ٣٥٤ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٢٤ - سورة الطارق
- ٣٥٥ شاهد التسمية
- ٣٥٦ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٢٥ - سورة سبح اسم ربك الأعلى
- ٣٥٨ شاهد التسمية
- ٣٥٩ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٦٠ سياق حديث البراء
- ٣٦٠ شرح الحديث وفيه تسع مسائل
- ٣٦٣ من فقه الحديث
- ٤٢٦ - سورة ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾
- ٣٦٤ شاهد التسمية
- ٣٦٥ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٢٧ - سورة الفجر
- ٣٦٧ شاهد التسمية
- ٣٦٨ شرح جملة من الآثار والكلمات

- ٤٢٨ - سورة لا أقسم [البلد]
- ٣٧٢..... شاهد التسمية .
- ٣٧٣..... شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٤٢٩ - سورة والشمس وضحاها
- ٣٧٦..... شاهد التسمية .
- ٣٧٧..... شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٣٧٩..... سياق حديث عبدا لله بن زمعة .
- ٣٧٩..... شرح الحديث وفيه إحدى عشرة مسألة .
- ٣٨١..... من فقه الحديث .
- ٤٣٠ - سورة والليل إذا يمشي
- ٣٨٢..... شاهد التسمية .
- ٣٨٣..... شرح جملة من الآثار والكلمات .
- ٤٣١ - باب ﴿والنهار إذا تجلى﴾
- ٣٨٥..... شرح آية الباب .
- ٣٨٥..... سياق حديث علقمة .
- ٣٨٥..... شرح الحديث وفيه ثمان مسائل .
- ٣٨٧..... من فقه الحديث .
- ٤٣٢ - باب ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾
- ٣٨٨..... شرح آية الترجمة .
- ٣٨٨..... سياق حديث إبراهيم النعمي (قدم أصحاب عبدا لله على أبي الدرداء...)
- ٤٣٣ - باب قوله ﴿فأما من أعطى واتقى﴾
- ٣٨٩..... شرح آية الباب .
- ٣٨٩..... سياق حديث علي رضي الله عنه .
- ٣٨٩..... شرح الحديث وفيه خمس مسائل .
- ٣٩٠..... من فقه الحديث .

- ٣٩٢..... ٤٣٤ - باب قوله تعالى ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾
- ٣٩٢..... • شرح آية الترجمة
- ٣٩٢..... • سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٣٩٣..... ٤٣٥ - باب ﴿فَسَيَسْرُهُ لِيَسْرَى﴾
- ٣٩٣..... • شرح آية الترجمة
- ٣٩٣..... • سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٣٩٤..... ٤٣٦ - باب ﴿وَأَمَّا مَنْ يَجَلُ وَاسْتَفْنَى﴾
- ٣٩٣..... • شرح آية الباب
- ٣٩٣..... • سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٤٣٧ - باب قوله ﴿وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى﴾
- ٣٩٥..... • شرح آية الباب
- ٣٩٥..... • سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٣٩٦..... ٤٣٨ - باب ﴿فَسَيَسْرُهُ لِّلْعَسْرَى﴾
- ٣٩٦..... • شرح آية الباب
- ٣٩٦..... • سياق حديث علي رضي الله عنه
- ٣٩٧..... ٤٣٩ - سورة والضحي
- ٣٩٧..... • شاهد التسمية
- ٣٩٨..... • شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٣٩٨..... • سياق حديث جندب بن سفيان
- ٣٩٩..... • شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٤٤٠ - باب قوله ﴿مَا وَدَعَكَ رِيكَ وَمَا قَلَى﴾
- ٤٠٠..... • شرح آية الباب
- ٤٠٠..... • شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٠٠..... • سياق حديث جندب البجلي
- ٤٠٠..... • شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل

- ٤٤١ - سورة ألم نشرح لك ٤٠٢
- شاهد التسمية ٤٠٢
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٠٣
- ٤٤٢ - سورة والتين ٤٠٦
- شاهد التسمية ٤٠٦
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤٠٧
- سياق حديث البراء ٤٠٧
- شرح الحديث ٤٠٨
- ٤٤٣ - سورة [اقرأ باسم ربك الذي خلق]
- شاهد التسمية ٤٠٩
- شرح جملة من الآثار والكلمات ٤١٠
- سياق حديث عائشة ٤١١
- من فقه الحديث ٤٢٠
- سياق حديث جابر ٤٢٠
- ٤٤٤ - باب قوله ﴿خلق الإنسان من علق﴾
- شرح آية الباب ٤٢١
- ٤٤٥ - باب قوله ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾
- شرح آية الترجمة ٤٢٢
- سياق حديث عائشة ٤٢٢
- ٤٤٦ - باب ﴿الذي علم بالقلم﴾
- شرح آية الباب ٤٢٣
- سياق حديث عائشة ٤٢٤
- ٤٤٧ - باب ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾
- شرح آية الترجمة ٤٢٥
- سياق حديث ابن عباس ٤٢٥

- ٤٢٥ شرح الحديث وفيه مسألتان
- ٤٢٧ ٤٤٨ - سورة القدر
- ٤٢٧ شاهد التسمية
- ٤٢٨ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٢٩ ٤٤٩ - سورة لم يكن
- ٤٢٩ شاهد التسمية
- ٤٣٠ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٣٠ سياق حديثي أنس بن مالك
- ٤٣١ شرح الحديثين وفيهما خمس مسائل
- ٤٣١ من فقه الحديثين
- ٤٥٠ - سورة إذا زلزلت الأرض زلزالها
- ٤٣٣ شاهد التسمية
- ٤٣٤ سياق حديث أبي هريرة
- ٤٣٤ شرح الحديث وفيه ثني عشرة مسألة
- ٤٣٤ منها : المسألة الأولى ، قوله (الخليل ثلاثة) وفيها فائدة
- ٤٣٨ من فقه الحديث
- ٤٣٩ ٤٥٩ - باب ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾
- ٤٣٩ سياق حديث أبي هريرة
- ٤٤٠ ٤٥٢ - سورة العاديات
- ٤٤٠ شاهد التسمية
- ٤٤١ شرح جملة م الآثار والكلمات
- ٤٤٢ ٤٥٣ - سورة القارعة
- ٤٤٢ شاهد التسمية
- ٤٤٣ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٤٤ ٤٥٤ - سورة الهاكم العكائر

- ٤٤٤..... شاهد التسمية
- ٤٥٥ - سورة والعصر
- ٤٤٦..... شاهد التسمية
- ٤٤٧..... تبييه
- ٤٤٨..... سورة ويل لكل همزة لمزة
- ٤٤٨..... شاهد التسمية
- ٤٥٧ - سورة ألم تر
- ٤٤٩..... شاهد التسمية
- ٤٤٩..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٥٨ - سورة [لايلاف فريش]
- ٤٥١..... شاهد التسمية
- ٤٥٢..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٥٩ - سورة [أرايت] الماهون
- ٤٥٣..... شاهد التسمية
- ٤٥٤..... شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٦٠ - سورة [إنا أعطيناك الكورث]
- ٤٥٦..... شاهد التسمية
- ٤٥٧..... حياق حديث أنس بن مالك
- ٤٥٧..... حياق حديث عائشة
- ٤٥٧..... حياق حديث ابن عباس
- ٤٥٨..... شرح الأحاديث وفيها إحدى عشرة مسألة
- ٤٥٩..... من فقه الأحاديث
- ٤٦١ - سورة [قل يا أيها الكافرون]
- ٤٦٠..... شاهد التسمية
- ٤٦١..... شرح جملة من الآثار والكلمات

- ٤٦٢ - سورة [إذا جاء نصر الله]
- ٤٦٣ شاهد التسمية
- ٤٦٤ سياق حديثي عائشة
- ٤٦٤ شرح الحديثين وفيهما مسألتان
- ٤٦٥ من فقه الحديثين
- ٤٦٣ - باب قوله ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾
- ٤٦٦ شرح آية الترجمة
- ٤٦٦ سياق حديث ابن عباس
- ٤٦٦ شرح الحديث وفيه أربع مسائل
- ٤٦٧ من فقه الحديث
- ٤٦٤ - باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾
- ٤٦٩ سياق حديث ابن عباس
- ٤٦٥ - سورة [تبت يدا أبي لهب]
- ٤٧٠ شاهد التسمية
- ٤٧١ شرح جملة من الآثار والكلمات
- ٤٧١ سياق حديث ابن عباس
- ٤٧٢ - باب قوله ﴿وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾
- ٤٧٢ شرح آية الباب
- ٤٧٢ سياق حديث ابن عباس
- ٤٧٣ - باب قوله ﴿سيعلى ناراً ذات لهب﴾
- ٤٧٣ شرح آية الترجمة
- ٤٧٣ سياق حديث ابن عباس
- ٤٦٨ - باب ﴿وامراته حمالة الحطب﴾
- ٤٧٤ شرح آية الباب
- ٤٧٥ شرح جملة من الآثار والكلمات

- ٤٦٩ - سورة [قل هو الله أحد]
- ٤٧٦ شاهد التسمية
 - ٤٧٧ شرح جملة من الآثار والكلمات
 - ٤٧٩ ٤٧٠ - باب قوله ﴿الصمد﴾
 - ٤٨٠ شرح جملة من الآثار وا لكلمات
 - ٤٧١ - سورة [قل أعوذ برب الفلق]
 - ٤٨١ شاهد التسمية
 - ٤٨٢ شرح جملة من الآثار والكلمات
 - ٤٨٢ سياق حديث أبي بن كعب
 - ٤٨٢ شرح الحديث وفيه ثلاث مسائل
 - ٤٧٢ - سورة [قل أعوذ برب الناس]
 - ٤٨٤ شاهد التسمية
 - ٤٨٥ سياق حديث أبي بن كعب
 - ٤٨٦ فهرس الأحاديث
 - ٥٠٢ فهرس المصادر

إرشاد القاري

بشرح كتاب التفسير

مكيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان البخاري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الأول

مكتبة الفرقانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد فإنَّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكلُّ محدثة بدعة وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

ثمَّ أما بعد:

فإنَّ السنة تفسر القرآن وتبينه وتدلُّ عليه وتعبر عنه، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

قال مقبده: وبها يخصص عمومه ويقيده مطلقه كما أنها قد تنسخ القرآن وينسخها وهذا هو مذهب المحققين من أهل العلم والإئمة كما أن العمل سائغ عندهم ومقبول بما جاءت به السنة وإن لم يكن منصوصاً عليه في القرآن مادامت السنة الواردة بذلك الحكم ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ذلك إلا لأن السنة وحي من الله

إلى رسوله ﷺ قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ وعن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) أخرجه أبو داود والترمذي.

وأخرج الترمذي عن المقدم بن معدي كرب قال قال رسول الله ﷺ: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله)

قلت: فكلا الحديثين نص صريح في وجوب العمل بما صح عن النبي ﷺ وإن لم يكن منصوباً عليه في القرآن، ومن الكتب التي عني مصنفوها بتدوين صحيح السنة أصح الكتب بعد كتاب الله وهو الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الذي وفقت والله الحمد بشرح كتاب التفسير منه وسميته إمداد القارئ بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري.

سبب التأليف:

كنت يوماً جالساً في مجموعة من مدرسي المعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية فقال الأخ الفاضل الأستاذ خالد بن صالح الرشود مخاطباً إياي لو شرحت كتاب التفسير من صحيح البخاري كما شرح الشيخ عبدالله الغنيمان كتاب التوحيد منه أو كلمة نحوها، فاستحسن العرض وعزمت على العمل مستعيناً بالله وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب من عام خمسة عشر وأربعمئة وألف بدأت الكتابة في الموضوع.

منهج التأليف:

نظرت في كتاب التفسير من صحيح البخاري فوجدت فيه ثلاثة وسبعين باباً وأربعمائة باب وتحتوي على اثنين وتسعين حديثاً وأربعمائة حديث في جانب الكثير من الآثار والكلمات التي شمل بها الشيخ - رحمه الله جميع سور القرآن الكريم، وقد سلكت في شرحي للكتاب ما يأتي:

أولاً: التمهيد وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري وتتضمن نسبه ومولده

وتاريخ وفاته وأمور أخرى منها:

رحلاته في طلبه للعلم.

ذكر بعض شيوخه وتلاميذه.

بيان فضله ومكانته.

المبحث الثاني: في بيان موضوع الصحيح والكشف عن مغزاه فيه.

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحيحه.

المبحث الرابع: في المفاضلة بين الصحيحين.

ثانياً: تفسير الآيات التي ترجم عليها أبو عبدالله تامة وإن اقتصر المصنف رحمه الله على بعضها وقد أربطها في الشرح بما قبلها أو بما بعدها أو بكليهما؛ إذا اقتضى الأمر ذلك مضمناً كثيراً الشرح اختلاف أهل التأويل مع الترجيح والاختيار متبعاً ذلك في كثير من الأحيان بما تيسر من فقه الآية.

ثالثاً: كتبت أحاديث الأبواب مسندة بخط أسود عريض مع الترجمة

المختصرة للرواة معتمداً على التقريب وجعلت ذلك في الحواشي.

رابعاً: جعلت شرحي للأحاديث في شكل مسائل سالكاً في جمع روايات

الحديث المختلفة مسلك الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - لأن ذلك من

بيان السنة بالسنة مضمناً شرحي للأحاديث الخلاف في المسائل الفقهية مع ترجيح

ما أراه بالدليل كما ضمنته الجمع والترجيح عند ظهور التعارض بين حديث الباب والأحاديث الأخرى وكثيراً ما أختتم شرحي لأحاديث الباب باستنباط ما تيسر من الأحكام وسميته من فقه الحديث أو الأحاديث حسب ما يوجد في الباب وقد اعتمدت في شرحي للآيات والأحاديث على كلام الأئمة فجعلت جله نقلاً عنهم، ومن أولئك الأعلام والإئمة الذين اعتمدت النقل عنهم من المفسرين:

١ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر وثلاثمائة المعروف عند أهل الفن بشيخ المفسرين.

٢ - أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة.

٣ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

٤ - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة إحدى وسبعين وستمائة.

٥ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف.

٦ - أبو الطيب صديق بن حسن بن خان القنوجي المتوفى سنة سبع وثلاثمائة وألف.

٧ - أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف.

ومن المحدثين:

١ - الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

٢ - أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

٣ - أبو محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

٤ - أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري الحزامي النسوي المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة.

٥ - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة.

٦ - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالير النمري الأندلسي المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

وقد تقصدت النقل عن هؤلاء وغيرهم من الإئمة في مختلف الفنون وجعلت جل الشرح من كلامهم لأسباب كثيرة منها:

أولاً: اعترافي الصريح لأهل السابقة من علماء الإسلام والإئمة بالفضل الجزيل علي يحفزني على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس).

ثانياً: الإسهام في دعوة شباب الإسلام المتطلعين إلى سبل الرشاد والاستقامة والمتحمسين لسبل الإصلاح والصلاح إلى أن ينهلوا من كتب علماء الإسلام الذين بنوا فقههم على الكتاب والسنة وتربوا عليهما وأن لا يغتروا بريق الكتب الفكرية المعاصرة فإن غالبها مبني على الجهل بحقائق الدين أصولاً وفروعاً.

ثالثاً: الدليل على أن أئمة الإسلام المشهود لهم بالفضل كمن سميهم خير من يؤخذ عنهم العلم وذلك لعنايتهم بدواوين الإسلام المعنية بنقل الدين أصولاً وفروعاً.

خامساً: في الآثار المعلقة والكلمات.

اشتمل هذا السفر العظيم على كثير من الآثار المعلقة والكلمات وقد سلكت

فيها ما يلي:

أ- إذا كان في الباب أكثر أثر أو كلمة فإني أعنون هكذا (شرح جملة من الآثار والكلمات) مع ترفيمها في الباب وكتابتها مميزة عن الشرح بخط أسود عريض.

ب- أخرج ما عزاه البخاري إلى قائله مسنداً، مع ذكر من قال به غيره وعزو ما لم يذكر البخاري قائله من غير إسناد غالباً.

ج- الاقتصار على من قال بالخير إذا لم يذكر البخاري قائله.

د- ذكر الخلاف في ذلك إن وجد مع ترجيح الراجح لدينا وقد تقتصر على ترجيح ابن جرير.

هـ- ذكر مناسبة الأثر أو الكلمة للباب ما استطعنا السبيل إلى ذلك.

و- ذكر الآية التي أشار إليها المصنف بالأثر أو الكلمة.

سادساً: جعلت للكتاب أربعة فهارس.

أ: فهرس السور والأبواب، ويتضمن بعض الموضوعات الهامة، وهذا مفرقاً على الأجزاء.

ب: فهرس الأحاديث التي رواها المصنف في كتاب التفسير.

ج: ثبت المراجع، وهذان في آخر الجزء الرابع.

رابعاً: فهرس السور والأبواب، ويتضمن بعض الموضوعات الهامة وهذا مفرقاً على الأجزاء.

وبعد.. فقد آن الأوان للشروع في المقصود سائلين الله التوفيق والسداد في

الأقوال والأفعال.

فنقول مستعينين بالله:

التمهيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري

المبحث الثاني: في بيان موضوع صحيح البخاري والكشف عن مغزاه فيه.

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحيحه.

المبحث الرابع: في المفاضلة بين الصحيحين.

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام البخاري:

نسبه ومولده:

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، وقيل بددزبة، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، الجعفي مولاهم أسلم المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

رحلاته وطلبه للعلم:

رحل في سن مبكرة إلى أقطار عدة في طلب العلم وكان أولها إلى مكة سنة عشر ومائتين وهو ابن ثمان عشرة سنة ثم كانت رحلاته بعد للأخذ عن الشيوخ إلى بغداد والشام ومصر والمدينة وبلخ.

تصانيفه:

ألف أبو عبدالله كتباً عدة، منها كتابه الصحيح جمعه كما قال هو من ستمائة ألف حديث وقد جاء في سبب تأليفه كما حكاه هو نفسه قال: كنت عند إسحاق بن راهوية فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب.

ثانياً: التاريخ الكبير.

ثالثاً: التاريخ الصغير.

رابعاً: جزء في خلق أفعال العباد.

خامساً: جزء في القراءة خلف الإمام.

سادساً: جزء في رفع اليدين.

سابعاً: قضايا الصحابة.

شيوخه:

سمع ببخارى قبل أن يرحل من:

١ - مولاة من فوق: عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن الهمان

الجعفي المسندي.

٢ - محمد بن سلام البيكندي وجماعة.

ثم سمع ببلخ من:

٣ - مكّي بن إبراهيم وهو من عوالي شيوخه.

وسمع بمرو:

٤ - عبدان بن عثمان.

٥ - وعلي بن الحسن بن شقيق.

٦ - صدقة بن الفضل وجماعة.

وبنيسابور:

٧ - يحيى بن يحيى وجماعة.

وبالري:

٨ - إبراهيم بن موسى.

وبغداد:

إذ قدم العراق في آخر سنة عشر ومائتين من:

٩ - محمد بن عيسى بن الطباع.

١٠ - وسريج بن النعمان.

١١ - محمد بن سابق.

١٢ - وعفان.

وبالبصرة:

١٣ - أبو عاصم النبيل.

١٤ - الأنصاري.

١٥ - عبدالرحمن بن حماد الشعثي صاحب بن عون.

١٦ - محمد بن عرعر.

١٧ - حجاج بن منهل.

١٨ - بدل بن المحبر.

١٩ - عبدالله بن رجاء وعدة.

وبالكوفة:

٢٠ - عبيدالله بن موسى.

٢١ - أبو نعيم.

٢٢ - خالد بن مخلد.

٢٣ - طلق بن غنام.

٢٤ - خالد بن يزيد المقرئ ممن قرأ على حمزة.

وبمكة:

٢٥ - أبو عبدالرحمن المقرئ.

٢٦ - خلاد بن يحيى.

٢٧ - حسان بن حسان البصري.

٢٨ - أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرق.

٢٩ - الحميدي.

وبالمدينة:

٣٠ - عبدالعزيز الأوسي.

٣١ - أيوب بن سليمان بن بلال.

٣٢ - إسماعيل بن أبي أويس.

وبعصر:

- ٣٣ - سعيد بن أبي مريم.
- ٣٤ - أحمد بن إشكاب.
- ٣٥ - عبدالله بن يوسف.
- ٣٦ - أصبغ بن الفرج وعدة.

وبالشام:

- ٣٧ - أبو اليمان الحكم بن نافع.
- ٣٨ - آدم بن أبي إياس.
- ٣٩ - علي بن عياش.
- ٤٠ - بشر بن شعيب.

تلاميذه:

منهم:

- ١ - أبو عيسى الترمذي.
- ٢ - أبو حاتم.
- ٣ - إبراهيم بن إسحاق الحربي.
- ٤ - أبو بكر بن أبي الدنيا.
- ٥ - أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم.
- ٦ - صالح بن محمد جزيرة.
- ٧ - محمد بن عبدالله الحضرمي مطين.
- ٨ - إبراهيم بن معقل النسفي.
- ٩ - عبدالله بن ناجية.
- ١٠ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة.
- ١١ - عمر بن محمد بن بجير.

- ١٢ - أبو قريش محمد بن جمعة.
 ١٣ - يحيى بن محمد بن صاعد.
 ١٤ - محمد بن يوسف الفربري راوي الصحيح.
 ١٥ - منصور بن محمد مزبذة.
 ١٦ - أبو بكر بن أبي داود.
 ١٧ - الحسين.
 ١٨ - القاسم أبناء المحامل.
 ١٩ - عبدالله بن محمد بن الأشقر.
 ٢٠ - محمد بن سليمان بن فارس.
 ٢١ - محمود بن عنبر النسفي في آخرين لا يحصون.

حفظه وسعة علمه وذكائه:

قال رحمه الله: «كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده» .

وقدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لهذا، وإسناد هذا المتن لهذا ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته فقال لا أعرفه وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض. ويقولون: الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز. ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرف. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العشرة

فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ.
فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح.

ذكر وفاته:

كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وقد بلغ من العمر نحو ثنتين وستين سنة.

قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول إنه أقام عندنا أياماً فمرض واشتد به المرض حتى وجه رسول إلى سمرقند في إخراج محمد فلما وافى تهيأ للركوب فليس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا أخذ بعضده ورجل أخذ معي نقوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله فسال منه العرق شئ لا يوصف فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه فكان مما قاله لنا: وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك» .

مكانته بين الأئمة:

كفى بأبي عبد الله دليلاً على علو مكانته بين الأئمة وجليل قدره أن يثني عليه من أهل الإمامة والفضل خلق كثيرون، يضيق المقام عن تدوين عباراتهم وإليك على سبيل المثال لا الحصر بعض أولئك الأئمة مع عباراتهم في الثناء على أبي عبد الله:

أولاً: قال ابو جعفر محمد بن أبي حاتم: «سمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام فدخل عليه محمد بن إسماعيل فلما خرج قال محمد بن سلام، كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت وألبس علي أمر الحديث وغيره ولا أزال خائفاً ما لم يخرج» .

ثانياً: قال أبو إسحاق: «من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فليُنظر إلى محمد بن إسماعيل» .

ثالثاً: قال يحيى بن جعفر: «لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم» .

رابعاً: قال نعيم بن حماد محمد بن إسماعيل: «فقيه هذه الأمة» .

خامساً: قال مسدد: «لا تختاروا علي محمد بن إسماعيل يا أهل خراسان» .

سادساً: قال أحمد بن عبد السلام: «ذكرنا قول البخاري لعلي بن المديني -

يعني - ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المديني : فقال علي: دعوا هذا. فإن محمد بن إسماعيل: لم ير مثل نفسه» .

سابعاً: قال إسحاق بن راهوية: «أكتبوا عن هذا الشاب فلو كان في وقت

الحسن لاحتاج الناس لمعرفته بالحديث وفقهه» .

ثامناً: عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول «ما أخرجت

خراسان مثل محمد بن إسماعيل» .

تاسعاً - محمد بن بشار: «ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل» .

عاشراً: قال أيضاً حفاظ الدنيا أربع: «أبو زرعة بالري والدارمي بسمرقند

ومحمد بن إسماعيل ببخارى ومسلم بنيسابور» .

المبحث الثاني: بيان موضوع صحيح البخاري والكشف عن مغزاه

فيه :

تقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثير فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.

قال الشيخ محي الدين نفع الله به: «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ولهذا المعنى أدخل كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر فيه على قوله: فيه فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك وقد يذكر المتن من غير إسناد وقد يورده معلقاً وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث بكونه معلوماً وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريباً ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديث واحد وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وفي بعضها لا شيء فيه البتة، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه ومن ثمت وقع من بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر في باب، فأشكل فهمه على الناظر فيه وقد أوضح السبب في ذلك الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري فرأيت فيه أشياء لم تتم مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ومنها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض» .

قال أبو الوليد الباجي: «ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروري مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد. وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما أضافه إليه، وبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث. قال الباجي: وإنما أوردت هذا هنا لما عنى به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ» اهـ.

قال الحافظ: «وهذه قاعدة حسنة يفرع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جداً... إلى أن قال: ثم ظهر لي أن البخاري مع ذلك فيما يورده من تراجم الأبواب على أطوار إن وجد حديثاً يناسب ذلك الباب ولو على وجه خفي ووافق شرطه أورده فيه بالضيعة التي جعلها مصطلحة لموضوع كتابه وهي حدثنا وما قام مقام ذلك، والعنونة بشرطها عنده وإن لم يجد فيه إلا حديثاً لا يوافق شرطه مع صلاحيته للحجة كتبه في الباب مغايراً للضيعة التي يسوق بها ما هو من شرطه ومن ثم أورد التعاليق» .

المبحث الثالث: شرط البخاري في صحبته:

أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه كفى.

وما ادعاه الحاكم أبو عبدالله أن شرط البخاري ومسلم أن يكون للصحابي راويان فصاعداً ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان إلى آخر كلامه فمنتقض عليه بأنهما أخرجنا أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم إلا راو واحد.

وقال أبو بكر الحازمي: «إن شرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً، وأن يكون راويه مسلماً صادقاً غير مدلس ولا مختلط متصفاً بصفات العدالة ضابطاً متحفظاً سليم الذهن قليل الوهن سليم الاعتقاد، قال: ومذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه العدول، فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضهم حديثه مدخول، قال: وهذا باب فيه غموض وطريق إيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم، فلنوضح ذلك بمثال وهو: أن تعلم أن أصحاب الزهري مثلاً على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التي تليها، فالطبقة الأولى جمعت بين الحفظ والاتقان وبين طول الملازمة حتى كان فيهم من يزامله في السفر ويلازمه في الحضر، فهذه هي الغاية وهي مقصد البخاري» .

المبحث الرابع: المفاضلة بين الصحيحين:

عند التأمل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالاً وأشد اتصالاً، وبيان ذلك من أوجه:

أحدها: أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلاً المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلاً، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلاً، ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً.

ثانيها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها خلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ: كأبي الزبير عن جابر، وسهيل عن أبيه، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك.

ثالثها: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدها من موهومها، بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عن عصره من التابعين ومن بعدهم، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم.

رابعها: أن البخاري يخرج من أحاديث أهل الطبقة الثانية انتقاء، ومسلم يخرجها أصولاً، فهذه الأوجه الأربعة تتعلق بإتقان الرواة.

وبقي ما يتعلق بالاتصال، وهو الوجه الخامس وذلك أن مسلماً كان مذهبه على ما صرح به في مقدمة صحيحه وبالغ في الرد على من خالفه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه، وإن لم يثبت اجتماعهما إلا إن

كان المعنعن مدلساً، والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة، وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالبَاب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً،

وأما ما يتعلق بعدم العلة وهو الوجه السادس فإن الأحاديث التي انتقدت عليهما بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر. انتهى مع المبحث قبله من هدي الساري بشيء من الاختصار والتصريف.

[كتاب التفسير]

ش / كتاب: مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابةً وكتباً، ومدار المادة على الجمع، ومنه تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا، والكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف، وسمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له.

والتفسير: الفسر إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما نبىء عنه البول تفسيره وسمي بها قارورة الماء والتفسير في المبالغة كالفسر والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها قال: ﴿وأحسن تفسيراً﴾^(١).

قلت: هذا في اللغة، وأما في الاصطلاح: فكما قال الزركشي^(٢) التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. وروي عن ابن عباس قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامهم، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله^(٣).

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة (فسر).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (١٣/١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٧/١).

[بسم الله الرحمن الرحيم]

ش/ اختلف العلماء في البسمة هل هي آية من كل سورة افتتحت بها أو هي آية مستقلة؟ أنزلت للفصل بها بين السور وللتبرك بالابتداء بها وهذا هو الصحيح، واتفقوا على أنها جزء من آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة براءة لأنها جعلت هي والأنفال كسورة واحدة، والباء في بسم للاستعانة وهي متعلقة بمحذوف قدره بعضهم فعلاً وقدره بعضهم اسماً والقولان متقاربان وكل ورد في القرآن قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وقال: ﴿بسم الله مجربها﴾ ويحسن جعل المقدر متأخراً لأن الاسم أحق بالتقديم، ولأن تقديم الجار والمحرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبركاً به، والاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على مسمى تعييناً له أو تمييزاً، واختلف في أصل اشتقاقه فقليل إنه من السِمة بمعنى العلامة وقيل من السمو وهو المختار، وهمزته همزة وصل، وليس الاسم نفس المسمى كما زعم بعضهم فإن الاسم هو اللفظ الدال، والمسمى هو المدلول عليه بذلك الاسم.

واسم الجلالة: مشتق من **وَلَهُ يُأَلِّهُهُ** بمعنى **عُبد يُعبد** عبادةً ومعناه كما

قال ابن عباس: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

والرحمن الرحيم: اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دلان على اتصافه تعالى

بصفة الرحمة وهي صفة حقيقية له سبحانه لا تائقه به ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها كإرادة الإحسان ونحوه كما يزعم المعطلة. واختلف في الجمع بينهما فقليل المراد بالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا لأن صيغة فعلان تدل على الامتلاء والكثرة، والرحيم الذي يختص برحمته المؤمنين في الآخرة وقيل العكس، وقد ذهب العلامة ابن القيم - رحمه الله - إلى أن الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ولهذا لم يجمع اسم الرحمن متعدياً في القرآن قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ولم يقل رحماناً، وهذا أحسن ما

قيل في الفرق بينهما.

[الرحمن الرحيم: اسمان من الرحمة، الرحيم والراحم بمعنى واحد كالعليم والعالم]

ش/ قال نحوه أبو عبيدة، ولفظه: الرحمن مجازة ذو الرحمة، والرحيم مجازة الراحم، وقد يقدرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد.

١ - [باب ما جاء في فاتحة الكتاب]

ش/ الباب لغة: المدخل إلى الشيء والطريق الموصل إليه.

واصطلاحاً: اسم لحملة من العلم تحته فصول ومسائل غالباً، وليس مرادهم الباب في كذا الحصر، بل المقصود بالذات والمعظم، فلو ذكروا غيره نادراً أو بالتبعية أو استطراداً لم يضر، ومعنى الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتح به ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فسميت هذه السورة فاتحة الكتاب لكونه افتتح بها إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز ولم تكن أول ما نزل من القرآن، وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة في أيام النبوة وقول الشيخ ما جاء... الخ أي من الفضل أو من التقييد أو أعم من ذلك.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ - [وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ

بقراءتها في الصلاة]

ش/ هو قول أبي عبيدة، ذكره في أول كتابه (١).

قلت: وأسمائها كثيرة؛ منها سورة الكنز، والواقية، وسورة الحمد، وسورة الصلاة، والسبع المثاني، وهي مكية وعدد آياتها سبع مع البسمة.

وحديث الباب ظاهر في تسميتها بأمر الكتاب وفضلها.

٢ - [والذَّيْنِ الجزاء في الخير والشر كما تدينُ تَدان]

ش / قاله أبو عبيدة وزاد: وقال ابن نفيل:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تَدان

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: يوم حساب الخلائق هو يوم القيامة،

وأخرج في المعنى عن قتادة وابن جريج^(١).

٣ - [وقال مجاهد: بالذَّيْنِ بالحساب]

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم

قال حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال حدثنا الحسن قال حدثنا ورقاء جميعاً عن

ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره^(٢).

والآية المشار إليها هي التاسعة من سورة الانفطار.

٤ - [مدينين محاسبين]

ش / أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأشار به المصنف إلى

الآية السادسة والثمانين من سورة الواقعة، وقد ذكر وما قبله ها هنا على سبيل

الاستشهاد.

[حدثنا مسدد^(٣) ثنا يحيى^(٤) عن شعبة^(٥) قال حدثني خبيب ابن

(١) جامع البيان: (٦٨/١).

(٢) المصدر السابق: (٨٨/١٥).

(٣) هو أبو الحسن مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري ثقة حافظ، يقال إنه أول من صنف المسند بالبصرة، من العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومئتين (خ، د، س، ت).

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (ع).

(٥) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن السورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة حافظ متقن أمير المؤمنين في الحديث كان عابداً، من السابعة، مات سنة ستين ومائة (ع).

عبدالرحمن^(١) عن حفص بن عاصم^(٢) عن أبي سعيد بن المعلا^(٣) قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجه فقلت يارسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته [

ش / قال ابن كثير في تفسيره^(٤) قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال حدثني خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلا ﷺ فذكره وقال: وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ورواه في موضع آخر من التفسير وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به... وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس - رحمه الله - ما ينبغي التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى ابن عامر ابن كرز أخبرهم أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب... وساق حديثه بنحو حديث الباب مختصراً وقال: فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلا كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول ومن تبعه فإن ابن المعلا صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالي خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهر أنه منقطع إلم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب فإن كان سمعه منه فهو على شرط

(١) أبو الحارث خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب بن يساف الأنصاري المدني، ثقة من الرابعة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (ع).

(٢) حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب الغمري، ثقة من الثالثة (ع).

(٣) أبو سعيد بن المعلا الأنصاري المدني، يقال اسمه رافع بن أوس وقيل الحارث ويقال ابن نفيح صحابي مات سنة ثلاث وسبعين (خ، د، س، ق).

(٤) تفسير ابن كثير: (١/١).

مسلم والله أعلم.

قلت: أفاد الحديثان مجتمعين فضل سورة الفاتحة وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته النبي ﷺ كما يستفاد منهما تسميتها بالحمد، وقد جاءت الأحاديث مستفيضة صحيحة بفضل هذه السورة وتسميتها بالفاتحة وأم القرآن وغير ذلك، ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم فالحديث دليل على صحة مذهب الجمهور بتسمية الفاتحة أم الكتاب، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي... الحديث)، وسر التسمية بذلك لأن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، وفي الحديث بيان للمراد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال الراغب في مادة ثنا: والثناء ما يذكر في محامد الناس فيثنى حالاً فحلاً ذكره يقال: أثني عليه وتثنى في مشيته نحو تبختر، وسميت سور القرآن مثاني في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ لأنها تثنى على مرور الأوقات وتكرر فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضحل وتبطل على مرور الأيام.

قلت: فخصت الفاتحة من بين سائر سور الكتاب العزيز بالتكرير في كل ركعة من الصلاة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

ومن الأحكام المستنبطة من الحديث:

أولاً: وجوب طاعة رسول الله ﷺ بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه، وأن في هديه فقط حياة القلوب، قال ابن القيم في الفوائد تعليقاً على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فتضمنت هذه الآية أمور:

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له. وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله وللرسول ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياةً أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعى إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول، إلى أن قال -رحمه الله-: والآية تتناول هذا كله، فإن الإسلام والإيمان والقرآن والجهد تحيي القلوب الحياة الطيبة وكمال الحياة في الجنة والرسول داعٍ إلى الإيمان وإلى الجنة فهو داعٍ إلى الحياة في الدنيا والآخرة. انتهى محل الغرض.

٢ - [باب: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾]

ش / قال القرطبي: المسألة الثانية والثلاثون: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ اختلف في المغضوب عليهم والضالين من هم؟ فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى عن النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده والترمذي في جامعه، ويشهد لهذا التفسير أيضاً قوله سبحانه في اليهود: ﴿وبأوأ بغضب من الله﴾ وقال: ﴿وغضب الله عليهم﴾، وقال في النصارى: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾، وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالين المنافقون.

وقيل المغضوب عليهم من أسقط فرض هذه السورة في الصلاة والضالين عن بركة قراءتها حكاة السلمي في حقائقه والماوردي في تفسيره وليس بشيء.

قال مقيدته: ويشهد من السنة لصحة قول الجمهور وترجيحه على ما عداه نصوص: منها ما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: (أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم وجمعت بغير أمان ولا كتاب فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي قال: قام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتها ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى الله؟ قال قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شيئاً أكبر من الله قال: قلت: لا، قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال... الحديث) وقد ذكره الحافظ في الفتح عن غير الترمذي وحسنه.

٢ - [حدثنا عبدالله بن يوسف^(١) أخبرنا مالك^(٢) عن سمي^(٣) عن أبي صالح^(٤) عن أبي هريرة^(٥) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) [ش / فيه مسألتان:

الأولى: بيان موضع تأمين المأموم وأنه بعد قول الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وذلك معارض في الظاهر بما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا آمن الإمام فأمنوا) إذ جعل صلى الله عليه وسلم عليه وسلم تأمين المأموم بعد تأمين إمامه كما يدل له الترتيب بالفاء الواقعة في جواب الشرط، ولهذا اختلف أهل العلم في الجمع بين الحديثين، وعندني أن حديث الباب فيمن لم يمكنه سماع تأمين الإمام، وأما الحديث الثاني فيمن أمكنه سماع تأمينه؛ ولمزيد الاستفادة راجع شرح ابن دقيق العيد لعمدة الأحكام مع

(١) أبو محمد عبدالله بن يوسف التنيسي بمثناة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة الكلامي، أصله من دمشق، ثقة متقن من كبار العاشرة، مات سنة ثمان عشرة ومئتين (خ، د، ت، س).

(٢) أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين (ع).

(٣) هو مولى أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ثقة من السادسة، مات سنة ثلاثين ومائة مقتولا بقرية (ع).

(٤) هو السمان واسمه ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، من الثالثة، مات سنة إحدى ومائة (ع).

(٥) هو عبدالرحمن بن صخر، مشهور بكنيته، واختلف في اسمه على أقوال كثيرة أشهرها أنه عبدالرحمن بن صخر، صحابي جليل حافظ مكثر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف حديث، أسلم سنة سبع، وتوفي بالمدينة سنة سبع وخمسين وقيل غير ذلك وهو ابن ثمان وسبعين سنة (ع).

حاشية العدة: (٢٥٢/٢) حديث ٦٧ في باب الإمامة.

المسألة الثانية: فضيلة التأمين؛ وذلك في قوله: (من وافق قوله قول الملائكة

غفر له ما تقدم من ذنبه).

قلت: في ذلك حث للمأموم على التأمين، وأمر له به، حيث إن الوعد على

الفعل إحدى صيغ الأمر الفرعية. وهل مغفرة الذنب على إطلاقها كما يظهر من

صيغة العموم في الحديث، أو أنها مقيدة؟ فالظاهر -والله أعلم- هو الثاني لقوله

تعالى: ﴿إِن تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخَلْكُمْ مَدْخَلَ

كَرِيمًا﴾ فقد أفادت الآية أن كبائر الذنوب لا بد فيها من الاجتناب، وأن صفائر

الذنوب مغفرتها مشروطة باجتنب الكبائر؛ قال ابن كثير في تفسيره: وقوله

تعالى: ﴿إِن تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الآية أي إذا

اجتنبتم كبار الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صفائر الذنوب وأدخلناكم الجنة،

ولهذا قال: ﴿وَنَدْخَلْكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا﴾ اهـ

قلت: ويدل لهذا الباب من السنة ما رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها

وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما بينها والصلاة التي تليها وذلك الدهر

كله ما لم يأت كبيرة).

تنبيه:

هل يؤمن الإمام؟ الجواب: ليس في حديث الباب ذكر لتأمين الإمام ولكن

حديث أبي هريرة المتقدم نص صريح في أن الإمام يؤمن، ولذا علّق النبي صلى الله عليه وسلم

تأمين المأموم على تأمينه.

استدراك: قوله (آمين) اسم فعل أمر بمعنى استجب

سورة البقرة

[باب تفسير سورة البقرة]

ش / باب: خير لمبتدأ محذوف تقديره هذا، والسورة في اللغة: اسم للمنزلة الشريفة، ولذلك سميت السورة من القرآن سورة ومنه قول الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
أي منزلة.

واصطلاحاً: عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ومختم، وشاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾ الآية. وأخرج مسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة) فالحديث نص في تسميتها وبيان فضلها.

قال أهل العلم: وهي أول سورة نزلت بالمدينة إلا قوله تعالى: ﴿وَاقْبُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فإنه آخر آية نزلت من السماء. وآياتها ست وثمانون ومائتا آية.

قال ابن العربي: «سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خير».

قلت: فحق لابن عمر -رضي الله عنهما- أن يمكث في تعلمها ثمان سنوات.

٣ - [باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾]

ش / تمامها: ﴿ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ وهذه إحدى الآيات في خير آدم ﷺ، قال ابن كثير: هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك فأحبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم مما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال السدي عن حدثه عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال: علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل هذا الحمار هذا الجمل هذا الفرس، وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال: هي هذه قال علمه أسم الصحفة والقدرة؟ قال: نعم، حتى الفسوة والفسية، وقال مجاهد ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال: علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء، وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة، وقال حميد الشامي: أسماء النجوم، وقال عبدالرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم، واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال: ﴿ثم عرضهم﴾ عبارة عما يعقل، وهذا الذي رجح به ليس بلازم فإنه لا ينفي أن يدخل معه غيره، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتقلين كما قال تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على

أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير^(١).

٣ - حدثنا مسلم بن إبراهيم^(٢) قال حدثنا هشام^(٣) قال حدثنا قتادة^(٤)

عن أنس - رضي الله عنه^(٥) عن النبي ﷺ، وقال لي خليفة^(٦) حدثنا يزيد ابن زريع^(٧) حدثنا سعيد^(٨) عن قتادة عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ

قال: (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يرزقنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي، فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا

(١) تفسير ابن كثير: (٧٦/١).

(٢) هو أبو عمرو مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي البصري، ثقة مأمون، من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وهو أكبر شيخ لأبي داود.

(٣) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنير. مهملة ثم نون موحدة. وزن جعفر الدستوائي، ثقة ثبت، وقد رُمي بالقدر، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (ع).

(٤) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشر ومائة (ع).

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة (ع).

(٦) أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصري، لقبه شباب، صدوق ربما أخطأ، وكان أخبارياً علامة، من العاشرة، مات سنة أربعين ومئتين (خ).

(٧) أبو معاوية يزيد بن زريع بتقديم الزاي مصغراً البصري، ثقة ثبت، من الثامنة، مات سنة اثنتين ومائتين ومائة (ع).

(٨) أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم البصري، ثقة حافظ، له تصانيف لكنه كثير التدليس واختلط، من السادسة، مات سنة ست وقيل سبع وخمسين ومائة (ع).

موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحي من ربه فيقول: اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيقول: لست هناكم، اتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأنتقل حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال: ارفع رأسك وسل تعطى وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود) قال أبو عبد الله: إلا من حبسه القرآن يعني قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾.

ش / في الحديث ست عشرة مسألة:

الأولى: قوله: (يجتمع المؤمنون) لا ينافي ما جاء عن أبي هريرة وغيره من قوله ﷺ: (يجمع الله الأولين والآخرين) إذ هذا الموقف في الشفاعة في أهل الكبائر وذاك في الشفاعة العامة بفصل القضاء بين الناس.

الثانية: قوله: (لو استشفعنا إلى ربنا) أي طلبنا شفيعاً عند الله عز وجل، فالاستشفاع هو طلب الشفاعة والمعنى أنهم من شدة ما بهم تمنوا من يشفع لهم عند الله في إراحتهم من ذلك الهول.

الثالثة: قوله (فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء) فيه إظهار شرف أبي البشر صلى الله عليه وسلم وما امتن الله به عليه من هذه الفضائل الأربع التي اختص بها دون غيره. وهل هو نبي؟ هذا هو القول الحق ويدل له ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة ﷺ: (أن رجلاً سأل النبي ﷺ هل كان آدم نبياً؟ قال: نعم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال عشرة قرون).

الرابعة: قوله: (لست هناكم) قال الحافظ (٤٣٣/١١): «قال عياض قوله: (لست هناكم) كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعاً وإكباراً، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري، قلت وقد وقع في رواية معبد ابن هلال: (فيقول: لست لها) وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة: (لست بصاحب ذاك) وهو يؤيد الإشارة المذكورة» اهـ

الخامسة: قوله: (فيذكر ذنبه فيستحي) قلت: وذلك الذنب بيانه في قوله تعالى ﴿ووقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ الآية.

السادسة: قوله: (ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض) فيه إثبات نبوة نوح عليه الصلاة والسلام وأنه أول الرسل، ولا يعارض ذلك نبوة آدم ﷺ فإنه نبي في ذريته ونوح إلى أهل الأرض من بعده فإنه بعد غشيان الطوفان ليس في الأرض أحد غيره وأتباعه، ويدل لأولية نوح في الرسالة قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية، ووجه الدلالة منها إخباره تعالى نبيه ﷺ أنه أوحى إليه كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده.

السابعة: قوله: (فيذكر سؤاله ربه... الخ).

قلت: يعني قوله تعالى: ﴿وونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾.

الثامنة: قوله: (ائتوا خليل الرحمن... الخ) فيه شرف إبراهيم ﷺ وما من

اللَّهِ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ وَهِيَ نَهَايَةُ الْحُبِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وَفِي الصَّحِيحِ قَالَ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) قُلْتُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ يَفِيدُ مَعَ الْآيَةِ اخْتِصَاصَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ بِالْخَلَّةِ وَأَنَّهُ لَمْ يَشَارِكْهُ فِي ذَلِكَ سِوَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَذَلِكَ مَا لَا نَعْلَمُ غَيْرَهُ.

التاسعة: قوله: (فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ أَتْتُوا مُوسَى) لَمْ يَذْكَرْ هَاهُنَا سَبَبَ اعْتِزَالِ الْخَلِيلِ ﷺ وَلَكِنْ جَاءَ ذَلِكَ فِيْمَا رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ فِي الْأَنْبِيَاءِ بِسَبَبِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ ثَتْنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلِهِ (إِنِّي سَقِيمٌ) وَقَوْلِهِ (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةَ إِذْ أَتَى عَلِيَّ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ: إِنْ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي... الْحَدِيثُ) وَفِيهِ فَأَتَى سَارَةَ فَقَالَ يَا سَارَةَ لَيْسَ عَلِيٌّ وَجْهَ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ وَإِنْ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبِرْتَهُ إِنَّكَ أُخْتِي فَلَا تَكْذِيبِي فَأَرْسَلْ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأَخَذَ فَقَالَ: ادْعِ اللَّهَ وَلَا أَضْرِكَ فَدَعَتِ اللَّهَ فَأَطْلَقَ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ... الخ).

العاشرة: قوله: (ائْتُوا مُوسَى... الخ) فِيهِ فَضِيلَتَانِ لِمُوسَى ﷺ أَحَدَاهُمَا: تَكْلِيمُ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَالثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ...﴾ الْآيَةُ، فَقَدْ دَلَّتِ الْآيَتَانِ صَرَاحًا عَلَى حُصُولِ كَلَامِ اللَّهِ لِمُوسَى وَذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الْكَلَامَ يُضَافُ إِلَى مَنْ يَقُولُهُ ابْتِدَاءً وَلَا يُضَافُ إِلَى مَنْ يَقُولُهُ مَبْلَغًا وَمُؤَدِّيًا إِلَّا بِقَرِينَةٍ، قَالَ تَعَالَى عَمَّا أَنْزَلَهُ

على موسى من الكتاب: ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ وحديث الباب وما في معناه نص في أن التوراة منزلة على موسى ﷺ. الحادية عشرة: قوله: (ويذكر قتل النفس بغير نفس) قلت: يعني بذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضٍ مبين﴾.

الثانية عشرة: قوله (اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه).

قلت: جاءت هذه الخصال الأربع فيما رواه المصنف ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من شهد ألا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) وفي الكتاب العزيز: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان (١/٢٤٤): «لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى لأنها هي النسب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسيبه ولكنه بين في موضع آخر أنها لفظة كن وذلك في قوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ وقيل: الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير، والأول قول الجمهور اهـ

وقال البغوي في تفسيره (١/٣٠٩): «الآية نزلت في وفد نجران وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول

فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم لأنه خلق من غير أب وأم)) اهـ

قلت: وقد جمع الله بعيسى ﷺ في سورة النساء بين ثلاث مناقب منها قوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾

قلت: وفي هذا رد على اليهود الذين فرطوا في المسيح ﷺ وقذفوا أمه بالبهتان، كما أن فيه الرد على النصارى الذين غلوا فيه واتخذوه إلهاً من دون الله، وإن قال قائل ما القول في الروح ها هنا وفي الحديث؟ قلنا: الجواب ما قاله غير واحد من أهل العلم إن تلك الروح هي النفخة التي نفخها الملك في جيب أم المسيح عليهما السلام فاستقرت في رحمها فولدت عيسى ﷺ.

الثالثة عشرة: قوله: (لست هناكم) ليس في الحديث ذكر ذنب المسيح ﷺ لكن أخرج الترمذي في تفسير سورة الإسراء عن أبي سعيد وفيه: (... فيأتوا عيسى فيقول: إني عبدت من دون الله)، وقال الحافظ في الفتح: وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: (إني أُتِخِذت إلهاً من دون الله)، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور مثله وزاد: (وإن يغفر لي اليوم حسبي).

قلت: فحديث أبي سعيد من طريق علي بن جدعان وهو ضعيف وما حكاه الحافظ من الروايات شاهد له، والله أعلم.

الرابعة عشرة: قوله: (ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)

قلت: قد ثبت هذا الفضل وهذه المزية والمنقبة لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، ففي الكتاب العزيز: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-

في تفسيره (٤٣/٥): «ورتب الله على هذا الفتح عدة أمور فقال: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وذلك والله أعلم بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة والدخول في الدين بكثرة وبما تحمل صلى الله عليه وسلم من تلك الشروط التي لا يصير عليها إلا أولوا العزم من المرسلين وهذا من أعظم مناقبه وكرامته صلى الله عليه وسلم أن غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر» انتهى.

وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- (أن رسول الله ﷺ كان يقوم حتى تورمت قدماه فقالت: يا رسول الله ألم يكن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً) قال أبو صفية: وفي هذه رد قوي قاصم لظهور المفكرين العصريين من الدعاة كما زعموا الذين اتخذوا من هذه الآية وما شاكلها قدحاً في عصمة النبي ﷺ فقد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وانحرفوا عن جادة الحق وركبوا الهوى وقالوا ما لم يقله أحد قبلهم فيما أعلم.

الخامسة عشرة: قوله (فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي) فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم شافع مشفع ولكن بعد إذن الله فإن الشفاعة هي خالص ملك الله عز وجل قال تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ وقال: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ فقد أفادت الآية الأولى أن الشفاعة ملك الرب جل وعلا، كما أفادت الثانية أنه لا ينالها الملائكة المقربون إلا بشرطين:

أحدها: إذن الله للشافع، وثانيها: رضاه عن المشفوع فيه، وهو لا يرضى جل وعلا إلا عن أهل التوحيد، ففي الصحيح (أن أبا هريرة قال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) فإذا كان سيد الخلق لا ينال هذا المقام العظيم إلا بعد

استأذانه على ربه فما بالك بمن دونه من الخلق.

السادسة عشرة: قوله (ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة) هذا في أهل الكباثر من أمته صلى الله عليه وسلم، وهو دليل على صحة معتقد أهل السنة والجماعة في إخراج عصاة الموحدين بالشفاعة من النار وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم النقل في ذلك وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم من المبتدعة فقالوا فيمن مات من أهل الكباثر دون توبة أنه خالد مخلد في النار.

تنبيه :

استدل أهل الزيغ والخرافة بهذا الحديث على جواز الاستغاثة بالأموات من الأنبياء والأولياء قالوا: فالناس استغاثوا بالأنبياء قلنا: هذه حجة داحضة وشبهة فاسدة والجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أنه لم تقع استغاثة في هذا الحديث بميت وإنما وقعت بالأنبياء وهم أحياء في الموقف؛ الثاني: أن الناس استغاثوا بالأنبياء في أمر مقدور لهم عليه وهو طلب الشفاعة لهم عند الله عز وجل بالخلاص من هول ذلك الموقف إلا أن أولئك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أبدوا اعتذارهم وشرف الله بها محمداً ﷺ والله يختص من يشاء بفضله ورحمته.

٤ - [باب :

ش / شرح جملة من الكلمات والاثار:-

١- قال مجاهد: ﴿إلى شياطينهم﴾ أصحابهم من المنافقين والمشركين [

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى ابن إبراهيم حدثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس وابن جريج نحوه، والآية المشار إليها: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن﴾.

٢- [﴿محيط بالكافرين﴾ الله جامعهم]

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس قال: يقول الله منزل ذلك بهم من النقم، والآية المشار إليها: ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾.

٣- [﴿صبغة﴾ دين]

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى قال حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن مجاهد مثله، قلت: يعني مثل قول أبي العالية قال: ﴿صبغة الله﴾ دين الله، والآية المشار إليها: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾.

٤- [﴿على الخاشعين﴾ على المؤمنين حقاً]

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد فذكره، وأخرج عن ابن عباس والضحاك وأبي العالية نحوه، والآية المشار إليها: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾.

٥- [قال مجاهد: ﴿بقوة﴾ يعمل بما فيه]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثت عن إبراهيم بن بشار قال حدثنا ابن عيينة حدثنا أبو عاصم حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج عن قتادة وأبي العالية والسدي وابن زيد معناه، والآية المشار إليها: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٦- [وقال أبو العالية: ﴿مرضٌ﴾ شك]

ش/ قال ابن أبي حاتم حدثنا عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية فذكره حكاه في التعليق، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد، والآية المشار إليها: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

٧- [﴿وما خلفها﴾ عبرة لمن بقي]

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد ما قبله كما في التعليق، وأخرجه ابن جرير عن الربيع بن أنس، والآية المشار إليها: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٨- [﴿لاشية﴾ لا بياض]

ش/ أخرجه ابن جرير قال حدثني المثنى قال حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره، وأخرج عن قتادة ومجاهد وعطية والسدي والربيع وابن زيد معناه، والآية المشار إليها: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾.

٩- [وقال غيره: ﴿يسومونكم﴾ يولونكم]

ش/ قاله أبو عبيدة، وقال ابن جرير وأما تأويل قوله: ﴿يسومونكم﴾ فإنه يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم يقال منه سامكم خطبه ظيم إذا أولاه ذلك

وأذاقه، والآية المشار إليها: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

١٠- [الولاية] مفتوحة مصدر الولاء: الربوبية وإذا كسرت الواو فهي الإمارة [

ش/ قال أبو عبيدة مصدر الولي فإذا كسرت الواو فهو مصدر وليت العمل والأمر تليه، قلت: والآية المشار إليها هي الرابعة والأربعون من سورة الكهف، وقد ذكرها البخاري ههنا لتقوية ما قبلها.

١١- [وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم] [

ش/ أخرج ابن جرير عن قتادة قال: الفوم الحب الذي يختبز الناس منه، وأخرج عن ابن عباس قال: الفوم الحنطة. والآية المشار إليها: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا﴾.

١٢- [وقال قتادة: ﴿فَبَاءُوا﴾ فأنقلبوا] [

ش/ وصله عبد بن حميد من طريقه حكاه في الفتح هنا، وأخرجه ابن جرير قال حدثنا بشر بن معاذ حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿فَبَاءُوا بَغْضَبِ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، وأخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية والسدي، والآية المشار إليها: ﴿فَبَاءُوا بَغْضَبِ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

١٣- [وقال غيره: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون] [

ش/ قاله أبو عبيدة، وأخرج ابن جرير من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يستظهرون يقولون: نحن نعين محمدا عليهم، والآية المشار إليها: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

١٤- [﴿شَرَوْا﴾ باعوا] [

ش/ قاله أبو عبيدة، وزاد وقال ابن مفرغ الحميري:

وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه

أي بعته، والآية المشار إليها: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا

يعلمون﴾.

١٥- [راعنا] من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا راعنا]

ش/ قال أبو عبيدة: من راعيت إذا لم تنون ومن نون جعلها كلمة نهوا عنها

راعيت حافظت وتعاهدت، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانوا يقولون

للنبي ﷺ راعنا سمعك وإنما راعنا كقولك اعطنا، وأخرج عن قتادة قال: ﴿لا

تقولوا راعنا﴾ كانت تقوله اليهود استهزاءً فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم

والحاصل نهى المؤمنين عن استعمال هذه الكلمة لما فيها من سوء الأدب مع النبي

ﷺ، والآية المشار إليها: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾.

١٦- [لا تجزي] لا تغني]

ش/ قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن

نفس شيئاً﴾ الآية الثامنة والأربعون والثالثة والعشرون بعد المائة من السورة.

١٧- [خطوات] من الخطو، والمعنى آثاره]

ش/ قال أبو عبيدة: هي الخطا واحدها خطوة معناها أثر الشيطان، وأخرج

ابن جرير عن ابن عباس قوله ﴿خطوات الشيطان﴾ عمله، وكلا المعنيين

صحيح، والآية المشار إليها: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا

تتبعوا خطوات الشيطان﴾.

١٨- [ابتلى] اختبر]

ش/ قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات

فأتمهن﴾.

٥ - [باب قوله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾]

ش / قلت: الند الشبيه والمثيل والنظير فالآية نهى عن اتخاذ الند مع الله وهو الشريك.

وقوله ﴿وأنتم تعلمون﴾ جملة حالية والخطاب للكفار والمنافقين، فإن قيل كيف وصفهم بالعلم وقد نعتهم بخلاف ذلك حيث قال: ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ﴿ولكن لا يشعرون﴾ ﴿وما كانوا مهتدين﴾ ﴿صم بكم عمي﴾ فيقال إن المراد أن جهلهم وعدم شعورهم لا يتناول هذا أي كونهم يعلمون أنه المنعم دون غيره من الأنداد فإنهم كانوا يعلمون هذا ولا ينكرونه كما حكاه الله عنهم في غير آية وقد يقال المراد: أنتم تعلمون وحدانيته بالقوة والإمكان لو تدبرتم ونظرتم. وفيه دليل على وجوب استعمال الحجج وترك التقليد.

٤ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة^(١) حدثنا جرير^(٢) عن منصور^(٣) عن أبي وائل^(٤) عن عمرو بن شرحبيل^(٥) عن عبد الله^(٦) قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: إن ذلك

(١) أبو الحسن عثمان بن محمد بن إبراهيم العبسي الكوفي ثقة حافظ من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومئتين (خ، م، د، س، ق).

(٢) جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي ثقة صحيح الكتاب مات سنة ثمان وثمانون ومائة وكان مولده سبع ومائة (ع).

(٣) أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي ثقة ثبت من طبقة الأعمش مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (ع).

(٤) هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة (ع).

(٥) هو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين (خ، م، د، س، ت).

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه حجة وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها في المدينة (ع).

لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك).

ش / فيه أربع مسائل.

الأولى: قوله (سألت النبي ﷺ) فيه فقه ابن مسعود رضي الله عنه وحرصه على معرفة أعظم المعاصي كي يكون على حذر منها إذ جل الدين أمر ونهي وهذا شأن أصحاب النبي ﷺ الذين هم الأسوة الحسنة للسلف الصالح فقد روى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يدركني... الحديث).

وأخرج الترمذي وصححه عن معاذ رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: (دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار... الحديث).

الثانية: قوله: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) فيه التصريح بأن الشرك أعظم الذنوب والآثام ولذا بدأ به. وقد دل الكتاب والسنة على خطورة الشرك في صور مختلفة منها حبوط العمل قال تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ ومنها تحريم الجنة على صاحبه قال تعالى: ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: ما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر... الحديث) ونظير حديث ابن مسعود هذا ما أخرجاه عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين... الحديث) وإن قال قائل: ألا يظهر تعارض بين هذا الحديث وحديث الباب. قلنا: التوفيق بينهما ليس المراد الحصر في كل منهما لأن رسول الله ﷺ يتحدث في كل مكان بما يناسبه وقد أعطي جوامع الكلم فكلا

الحديثين وما شابههما نص في أن الشرك أعظم المعاصي.

الثالثة: قوله: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) قلت ذلك ما كان يصنعه أهل الجاهلية بأولادهم خشية الفقر كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾.

قال الحافظ ابن كثير (٢/١٩٥): «وقوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يبدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار... إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿من إملاق﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم: وهو الفقر أي ولا تقتلوهم خوفاً من فقركم الحاصل وقال في سورة الإسراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ لأنه الأهم هنا» اهـ.

قلت: وبهذا يظهر علة قوله ﷺ: (أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك).

الرابعة: قوله: (أن تزاني حليلة جارك) قال الكرمانى في شرحه (٢٩/١٨): «والحليلة الزوجة، فإن قلت الزنا مطلقاً من الكبائر قلت: لا شك أن الشر من حيث يتوقع منه الخير أشد والجار محل الإحسان إليه لا الإساءة.

قال أبو عبدالعزيز: وصاحب هذه الفعلة القبيحة قد أساء وخان الجوار وعرض نفسه لقوله ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا من هو يارسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه) والبوائق هي الغوائل والشُرور.

٦- [باب قوله تعالى: ﴿ووظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾].

ش / قلت في الآية الكريمة تعداد لبعض ما امتن الله به على بني إسرائيل من النعم بعد ما دفعه عنهم من النقم والمصائب في أنفسهم وأموالهم.

قال ابن كثير (٩٨/١): «لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال: ﴿ووظللنا عليكم الغمام﴾ وهو جمع غمامة سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواربها ويستزها وهو السحاب الأبيض ظللوا به ليقهيم حر الشمس... إلى أن قال: ﴿وأنزلنا عليكم المن﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، كان المن ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا وقال مجاهد: المن صمغة... إلى أن قال: والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس له فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاماً وحلاوه وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده، انتهى محل الغرض.

والسلوى: اسم طائر يشبه السمانى واحده، وجماعته بلفظ واحد كذلك السمانى لفظ جماعها وواحدها سواء قاله ابن جرير وأخرج في المعنى عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وقتادة ومجاهد ووهب والربيع بن أنس وآخرين ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان وقوله تعالى ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا كما قال ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ فخالقوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق

العادات، ومن ههنا نتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك القيض والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع أن ذلك كان سهلاً على النبي ﷺ ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا إلى الماء سألو الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل وملؤا أسقيتهم ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر فهذا هو الأكمل في أتباع الشيء مع قدرة الله مع متابعة الرسول ﷺ اهـ (١).

وقال مجاهد: «(المن) صمغة (والسلوى) الطير».

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو عاصم حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٥ - حدثنا أبو نعيم (٢) حدثنا سفيان (٣) عن عبد الملك (٤) عن عمرو بن

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٠١).

(٢) الفضل بن دكين الكوفي واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي مولاهم الأحول الملائي، ثقة ثبت من التاسعة مات سنة ثمان عشرة ومنتسب وكان مولده سنة ثنتين ومائة (ع).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/١٦٤) ((ووقع في رواية. ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير في حديث الباب من المن الذي أنزل على بني إسرائيل)).

قلت: فلعله سفيان هنا هو ابن عيينة وهو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة من رؤوس الطبقة الثامنة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعين سنة (ع).

(٤) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي ويقال له القرشي نسبة إلى فرس له ثقة فقيه تغير حفظه ربما دلس، مات سنة ست وثلاثين ومائة، من الثالثة (ع).

حريث^(١) عن سعيد بن زيد^(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين).

ش/ فيه مسألتان:

الأولى: قوله (الكمأة من المن) قال في اللسان مادة كمأ في الجزء (٤٣):
«الكمأة واحدها (كمء) غير قياسي وهو من النوادر فإن القياس العكس. والكمء
نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر والجمع أكء وكمأة قال ابن
سيده: هذا قول أهل اللغة». اهـ

وقال ابن القيم في كتاب الطب من زاد المعاد (٤/٣٦٠): «والكمأة تكون
في الأرض من غير أن تزرع وسميت كمأة لا ستارها ومنه كمأ الشهادة إذا
سترها وأخفاها، والكمأة مخفية تحت الأرض لا ورق له ولا ساق ومادتها من
جوهر أرضي بخاري محتقن في الأرض نحو سطحها يحتقن برد الشتاء وتنمية أمطار
الربيع فيتولد ويندفع نحو سطح الأرض متجسداً، ولذلك يقال لها جذري الأرض
تشبيهاً بالجذري في صورته ومادته لأن مادته رطوبة دموية فتندفع عند سن
الترعرع في الغالب وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة وهي ما يوجد في الربيع
ويؤكل نيأً ومطبوخاً، وتسمية العرب نبات الرعد لأنها تكثر بكثرة وتنفطر عنها
الأرض وهي من أطعمة أهل البوادي وتكثر بأرض العرب وأجودها ما كانت
أرضها رملية قليلة الماء» اهـ

الثانية: قوله (وماؤها شفاء للعين) قال ابن القيم في المرجع السابق
(٣٦٤): «فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ماءها يخلط في الأدوية التي تعالج بها العين
لا أنه يستعمل وحده ذكره أبو عبيد.

(١) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الفرسي
المخزومي صحابي صغير مات سنة خمس ومئتين (ع).

(٢) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة مات سنة خمسين أو
بعدها بسنة أو ستين (ع).

الثاني: أنه يستعمل بحتاً بعد شيبها واستقطار مائها لأن النار تلتطفه وتنضجه وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية وتبقى المنافع.

الثالث: أن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل إلى الأرض فتكون الإضافة إقتران لا إضافة جزء ذكره ابن الجوزي وهو أبعد الوجوه وأضعفها، وقيل ان استعمل ماؤها لتبريد ما في العين فمأؤها مجرداً شفاء وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره وقال الغافقي: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوةً وحدةً ويدفع عنها نزول النوازل... انتهى.

قلت: وهذا كله على أن المراد بالعين هي العين التي هي آلة البصر وهو ما يتبادر ظاهراً من لفظ الحديث لكن ذكر الحافظ (١٦٤/١): «أنه وقع في رواية المستملي (وماؤها شفاء من العين)».

قال مقيده: وعليه فالمراد أن ماء الكمأة شفاء من داء العين وأن العين حق فقد أخرج مالك (٩٣٨/٢) في قصة سهل بن حنيف من رواية ولده أبي أمامة قال: «اغتسل إبي سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال: وكان سهل رجل أبيض حسن الجلد قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كالיום ولا جلد عذراء قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر فقال رسول الله ﷺ: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت، إن العين حق، توضأ له). فتوضأ له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس.

٧- [باب ﴿واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾].
[رغداً : واسعاً كثيراً].

ش / قلت: إذا انظم إلى الآية ما بعدها وهي قوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم... الآية﴾ تحصل عندنا أمران:
أحدهما: أمر الله بني إسرائيل بدخول بيت المقدس ساجدين شكراً لله وخضوعاً له ووعدهم على ذلك بالمغفرة وزيادة الحسنات وذلك في عهد يوشع بن نون ﷺ بعد خروجهم من التيه.
وثانيهما: تبديلهم أمر الله بالدخول زحفاً على أديبارهم وتحريفهم كلامه بتغييرهم كلمة حطة كما سيأتي شرح ذلك في حديث الباب.
قوله: (رغداً واسعاً كثيراً).

ش / قال أبو عبيدة الرغد الكثير الذي لا يعنك من ماء أو عيش أو كلاً أو مال يقال قد أرغد فلان أي أصاب عيشاً واسعاً قال الأعشى:
زبداً بمصر يوم يسعى أهلها رغداً تفجره النبيط خلالها
٦ - حدثني محمد^(١) حدثنا عبدالرحمن بن مهدي^(٢) عن ابن المبارك^(٣) عن

(١) قوله (محمد) قال الحافظ: ((لم يقع منسوباً إلا في رواية علي بن السكن عن الفربري فقال: محمد بن سلام، ويحتمل عندي أن يكون محمد بن يحيى الذهلي فإنه يروي عن عبدالرحمن بن مهدي أيضاً وأما أبو علي الجياني فقال الأشبه أنه محمد بن بشار)) اهـ.

قال عبيد: فكل أولئك ثقات وهم من شيوخ البخاري.

(٢) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم البصري ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة (ع).

(٣) عبدالله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير من الثامنة مات سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة (ع).

معمر^(١) عن همام بن منبه^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقلوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدولوا وقالوا: حِطَّة حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ).
ش / فيه مسألتان:

الأولى: مطابقة الترجمة وهي كيفية تبديل بني إسرائيل وهم بنو يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم الخليل ﷺ ما أمروا به بالقول والفعل فقد ذكر ابن هشام في السيرة (٥٣٥/١) قال ابن إسحاق: «وكان من تبديلهم ذلك كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة بنت أمية بن خلف عن أبي هريرة ومن لا أتهم أن رسول الله ﷺ قال: (دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سجداً يزحفون وهم يقولون: حنط في شعير) قال ابن هشام ويروى: حنطة في شعيرة». وروى الحاكم من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال أنهم قالوا: «هطي سقما» وهي بالعربية: حنطة حمراء قوية فيها شعيرة سوداء.

قال أبو صفية: وحاصل هذه الأخبار الاتفاق على تبديل بني إسرائيل ما أمروا به من القول والفعل استهزاء وعناداً، ولا مانع عندي أنهم قالوا بدل حطة كل ما جاء في تلك الآثار فإنه لا تعارض بينها.

الثانية: في معنى حطة: اختلفت فيها عبارات المفسرين فمنهم من قال حطة: أي احطط عنا خطايانا، وقال بعضهم: مغفرة: أي استغفروا. والله أعلم.

(١) أبو عروة معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً. من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة (ع).

(٢) هو أبو عتبة همام بن منبه بن كامل الصنعاني أخو وهب، ثقة، من الرابعة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح (ع).

٨ - [باب قوله: ﴿من كان عدواً لجبريل﴾].

ش / تمامها ﴿... فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾.

والمعنى: قل هؤلاء اليهود الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك أو وليك جبريل عليه السلام ولو كان غيره من ملائكة الله لآمنوا بك وصدقوا إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت وتكبر على الله فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل القرآن من عند الله على قلبك وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك والله هو الذي أمره وأرسله بذلك فهو رسول محض مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقاً لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات والبشارة بخيري الدنيا والآخرة لمن آمن به.

من فقه الآية:

- ١ - وجوب الإيمان بأن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق.
- ٢ - فضيلة جبريل ﷺ وأنه أمين الله على وحيه وسفيره إلى رسله وأن عداوته كفر.

٣ - أن الهداية التامة فيما جاء من عند الله.

[قال عكرمة: جبر، وميك وسراف: عبد: إيل: الله].

ش / أخرجه ابن جرير قال حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة قال: جبر: عبد، إيل: الله وميك، قال: عبد، إيل: الله. وأخرج من وجه آخر عن عكرمة قال: جبريل، اسمه عبد الله، وميكائيل اسمه عبيد الله، إيل: الله.

قال ابن جرير: «وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون جبريل وميكال بغير همز بكسر الجيم والراء من جبريل وبالتخفيف، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة، أما تميم وقيس وبعض نجد

فيقولون جبرائيل وميكائيل على مثال جبراعيل وميكاعيل بفتح الجيم والراء والهمز وزيادة ياء بعد الهمزة، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة» اهـ.

٧ - حدثنا عبدالله بن منير^(١) سمع عبدالله بن بكر^(٢) حدثنا حميد^(٣) عن أنس قال سمع عبدالله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترق فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال أخبرني بهن جبريل آنفاً. قال جبريل؟ قال نعم. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزع، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله يارسول الله، إن اليهود قوم بهت وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسأهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام فقالوا: أعاذه الله من ذلك فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال. فهذا الذي كنت أخاف).

(١) أبو عبدالرحمن عبدالله بن منير المروزي الزاهد ثقة عابد من الحادية عشرة مات سنة إحدى وأربعين ومئتين ويقال بعدها (خ، س، ت).

(٢) أبو وهب عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي البصري نزيل بغداد، امتنع عن القضاء، ثقة حافظ، من التاسعة، مات في المحرم سنة ثمان ومئتين (ع).

(٣) أبو عبيدة حميد بن أبي حميد الطويل البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس من الخامسة، مات سنة اثنتين ويقال ثلاث وأربعين ومائة وهو قائم يصلي وله خمس وسبعون سنة. (ع).

ش / فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله: (عبدالله بن سلام) هو أبو يوسف عبدالله بن سلام بالتخفيف الإسرائيلي حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله مشهور له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ٤٣ (ع).

الثانية: قوله (يخترف) أي يجتني الثمر والمخرف البستان.

الثالثة: قوله (فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي) فيه فقه عبدالله بن سلام رضي الله عنه وأن المسائل الثلاث قد اختص بها الأنبياء من قبل محمد ﷺ وأنهم متفوقون عليها وأنها في التوراة.

الرابعة: قوله: (فما أول أشراط الساعة).

قلت: هذه أولى المسائل والجملة بعدها بيان لقوله إني سائلك عن ثلاث.

والأشراط: جمع شرط كما يجمع على شروط وشرائط وأشراط، وأشراط الساعة علامتها وهي على ضربين صغرى وكبرى فمن الأول قوله في الحديث الصحيح (وأن تلد الأمة ربثها) ومن الثاني نزول المسيح عليه السلام وظهور الدجال وخروج الدابة وما أخبر عنه النبي ﷺ في حديث الباب من خروج النار من المشرق.

الخامسة: قوله (أخبرني بهن جبريل آنفاً) أي قريباً وفيه دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم من أمر الغيب إلا ما علمه الله. قال الله تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ وقال: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ وقال ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾.

فهذه الآيات قد اتفقت جميعها على أن علم الغيب من اختصاص الرب جل

ثناؤه وأن ما يأتي رسول الله ﷺ هو وحي من ربه لا رجماً بالغيب ولا تخرساً كما قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ وذلك الوحي من طرفه ما ينزل به إليه جبريل ﷺ ونظائر ما سقناه من الآيات في الباب كثير.

السادسة: قوله (قال: جبريل؟ قال نعم).

قلت: هذا استفهام إنكاري يحمل الاستغراب والهمزة محذوفة تقديره أجبريل أخبرك بذلك؟ وهو صريح في بيان ما تقرر عند اليهود من عداوة جبريل ﷺ والكفر به دون الملائكة وقد تقدم في الترجمة الكلام على ذلك، وفي قراءة النبي ﷺ الآية على عبدالله بن سلام تنبيه إلى رد حجة الخصم بالنص إن وجد فإن في ذلك إفحامه.

السابعة: قوله (أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب).

قلت: فيه أمران: أحدهما: في معنى (أما) فإنها حرف شرط وتفصيل ومعناه مهما يكن من شيء ويؤتى بها في الكلام للنقل من أسلوب إلى آخر وكان رسول الله ﷺ يأتي بها في خطبه وكتبه، من ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه... الحديث) وفيه (أما بعد فإن خير الكلام كلام الله... الحديث).

والكلمة ههنا جاءت في أول الشروع في الجواب منه ﷺ، وثاني الأمرين في قوله (أول أشراط الساعة) أخبر ههنا أن تلك النار هي أول أشراط الساعة ويشكل عليه ما رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون فيه؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها... الحديث).

ووجه الإشكال أن في حديث حذيفة هذا: أول الأشراف (الدخان) وفي

آخره (نار) وأنها تخرج من اليمن بينما في حديث الباب أن أول أشراف الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

فالجواب على هذا الإشكال. قال أهل العلم: والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراف الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراف الساعة أن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا، وأما الثاني: فله أجوبة ثلاثة:

١- إنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشر الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد بقوله: (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢ - أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولاً ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب، فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب.

٣ - يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارها الشر العظيم والتهبت كما تلهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى حرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مراراً من عهد جنكيز خان ومن بعده، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية.

قال مقيله: وهذا الأخير عندي بعيد إذ هو صرف للنصوص عن ظاهرها بغير دليل إلى مالا سبيل إليه إلا بخبر المعصوم عليه السلام.

تنبيه:

فإن قال قائل أخرج البخاري ومسلم كلاهما عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل ببصرى) فهل هي نار حشر؟ فالجواب: قال النووي متعباً للقاضي عياض في قوله: «ولعلمنا ناراً يجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز - هذا كلام القاضي وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراف الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة...» اهـ^(١) واعلم أن الحشر في حديث الباب وما في معناه حشر دينوي ويدل له أمران: أولهما: تصريح الأحاديث بأنه من أشراف الساعة أي العلامات التي تتقدمها.

ثانيهما: دلالة الكتاب والسنة المتواترة على أن الحشر الأخروي بعد النفخة الثانية في الصور قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ وقال ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾. وقال: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، إن كانت إلا

(١) شرح النووي (٢٨/١٨).

صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون... ﴿٦١﴾

وأخرج مسلم والمصنف واللفظ له عن أبي حازم ابن دينار عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيام على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي، قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد...).

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً... الحديث) فإذا ضمنت هذه الأحاديث وما في معناها إلى الآيات قبلها ونظائرها تبين لك أن هذا الحشر غير ذلك لأنه يوم القيامة وذلك من أشراط الساعة، وهذا هو وجه الدلالة منها والله أعلم.

الثامنة: قوله: (وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت) قلت: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وإن قال أحد: يشكل على هذا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ: فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بأدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا وما هذا قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدها سبعون ألف).

ووجه الإشكال أن الطعام المذكور مع أدمه في الحديث نزل أهل الجنة وهو أول طعامهم قلنا: لا تعارض بين الحديثين فمن مجموعهما يظهر لك أن أول ما يطعمه القوم في الجنة من نزلهم وتكرمتهم عند ربهم زيادة كبد الحوت فبودروا بها لأنها أفضله، ثم يتبعها بقية ما أعدده لهم ربهم من النزل.

التاسعة: قوله: (وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء

المرأة نزعتم) في قوله (نزعتم) ضمير محذوف هو المفعول والتقدير نزعته.
 والمعنى: أن أي المائتين ورد على الرحم قبل الآخر كان الشبه لصاحبه.
 فقد أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب
 بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا
 رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟
 فقال رسول الله ﷺ: نعم إذا رأت الماء، فقالت أم سلمة: يارسول الله، وتحتلم
 المرأة؟ فقال: تربت يداك فبم يشبهها ولدها).

وفي الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة
 رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود
 فقال: هل لك من إبل. قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من
 أورك؟ قال: نعم. قال: فأني ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا
 نزعه.

قال الحافظ في الفتح (٤٤٣/٩). «والمعنى يحتمل أن يكون في أصولها ما هو
 باللون المذكور فاجتذبه إليه فجاء على لونه». اهـ.

قلت: ظهر من مجموع ما سقناه لك من الأحاديث مع أحاديث الباب
 ثبوت شبه الولد بأحد أبويه وانفرد حديث الباب بذكر السبب وهو سبق ماء
 أحدهما إلى الرحم وفي هذه الأحاديث وما في معناها دليل على صحة الحكم
 بالقافة، وهو مذهب جمهور أهل العلم، ونرى اتماً للفائدة نقل ما قاله ابن القيم
 في ذلك في الطرق الحكيمة (ص ١٨١): «فصل: الطريق السادس والعشرون
 الحكم بالقافة وقد دلت عليها سنة رسول الله ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين
 والصحابة بعدهم منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو موسى
 الأشعري وابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ولا يخالف لهم في الصحابة
 وقال بها من التابعين سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري وإياس بن

معاوية وقتادة وكعب بن سوار، ومن تابع التابعين الليث بن سعد ومالك بن أنس وأصحابه، ومن بعدهم الشافعي وأصحابه وإسحاق وأبو ثور وأهل الظاهر كلهم وبالجملة فهذا قول جمهور الأمة وخالفهم في ذلك أبو حنيفة وأصحابه وقالوا: العمل بها تعويل على مجرد الشبه وقد يقع بين الأجنب ويتنفي بين الأقارب... إلى أن قال رحمه الله بعد أن ساق أدلة الجمهور (ص ١٨٤): والقياس وأصول الشريعة تشهد للقافة لأن القول بها حكم يستند إلى درك أمور خفية وظاهره توجب للنفس سكوتاً، فوجب اعتبارها كنفد الناقد وتقويم المقوم» اهـ.

قال أبو صافية: وفي المسألة غير ما تقدم ثلاثة فروع وهي:

الأول: تصديق حديث الباب ونظائره في أن مادة خلق الولد مني الرجل

والمرأة.

الثاني: خصائص كل من المنين.

الثالث: الجمع بين حديث الباب وحديث ثوبان المتضمن سؤال حبر من

اليهود رسول الله ﷺ وللحديث عن كل فرع على حده نقول وبالله التوفيق:

الفرع الأول: جاء ما يفوق الحصر من أي التنزيل العزيز ما يدل على أن مادة

خلق الولد هي مني الرجل والمرأة باجتماعهما في الرحم من ذلك قوله تعالى

﴿فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾

فالآية بيان بأن مادة خلق الولد ما يجتمع في الرحم من المني خارجاً من صلب

الرجل وصلب المرأة وترائب الرجل وترائب المرأة ومن نظائرها قوله تعالى

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يميني ثم كان علقة فخلق

فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ إلى غير ذلك من الآيات في الباب

ونرى فيما سقناه غنية عن استقصاءها لأن مقصودنا التمثيل لا الحصر.

الفرع الثاني: من بديع صنع الحكيم العليم أن جعل لكل من المنين من

الأوصاف والخصائص ما يتميز به عن الآخر ولييان تلك الخصائص نسوق ما

ذكر النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم (٢٢٢/٣) قال: «هذا أصل عظيم في بيان صفة المني وهذه صفته في حال السلامة وفي الغالب قال العلماء مني الرجل في حال الصحة أبيض ثخين يتدفق في خروجه فتور دفقة بعد دفقة ويخرج بشهوة ويتلذذ بخروجه، وإذا خرج استعقب خروجه فتور ورائحة كرائحة طلع النخل ورائحة الطلع قريبة من رائحة العجين وقيل تشبه رائحة الفصيل، وقيل إذا يس كانت رائحته كرائحة البول فهذه صفاته وقد يفارقه بعضها مع بقاء ما يستقل لكونه منياً وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقاً أصفر أو يسترخي وعاء المني فيسيل من التذاذ وشهوه... إلى أن قال: ثم إن خواص المني التي عليها الاعتماد في كونه منياً ثلاث:

أحدها: الخروج بشهوة مع الفتور عقبه.

الثاني: الرائحة التي شبه رائحة الطلع كما سبق.

الثالث: الخروج بزريق ودفق ودفعات.... إلى أن قال: وأما مني المرأة فهو

أصفر رقيق وقد يبيض لفضل قوتها وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما:

أحدهما: أن رائحته كرائحة مني الرجل.

الثانية: التلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه « اهـ.

الفرع الثالث: يعارض حديث الباب في الظاهر ما أخرجه مسلم عن أبي

أسماء الرحي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال: «كنت قائماً عند رسول

الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة

كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني فقلت: ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي:

إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ إن اسمي محمد الذي

سماني به أهلي فذكر مسأله ومنها: قال وجئت أسألك عن شي لا يعلمه أحد

من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: ينفعك إن حدثتك قال: أسمع

بأذني قال: جئت أسألك عن الولد قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا

اجتمعاً فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله، وإذا على مني المرأة مني الرجل أنت بإذن الله. قال اليهودي: لقد صدقت... الحديث.»

فالجمع بين الحديثين بأن السائل في حديث ثوبان هذا هو غير عبدالله بن سلام كما في حديث أنس كما أن المسئول عنه في قصة عبدالله بن سلام نزع أحد الأبوين الولد والمسئول عنه في حديث ثوبان الإذكار والإينات. فأجاب النبي ﷺ عن كل مسألة حسب ما أوحى إليه من ربه وذاتك الأمران من أعلام نبوته ﷺ.

المسألة العاشرة: قوله (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله)

الشهادة في اللغة الإقرار والإعلام والحضور والأول والثاني هما المرادان وهنا حيث أقر ابن سلام رضي الله عنه بالله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وهذان أعظم أركان الإسلام بل لا إسلام دونهما ولا تنفك إحدى الشهادات عن الأخرى وفي هذا الصنيع من عبدالله بن سلام رضي الله عنه دليل على أنه كان طالباً للحق، ولذا شهد شهادة الحق حين تبين له صدق النبي ﷺ.

الحادية عشرة: قوله (يارسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا

ياسلامي قبل أن تسألم يبهتوني).

قلت: بهت جمع بهيت، والمعنى أن اليهود إن يعلموا بإسلامه يقعون فيه بالباطل افتراءً عليه وليس فيه كذباً وزوراً وهكذا شأن أهل الباطل مع مخالفهم من أهل الحق الوقية والتنقص.

الثانية عشرة: قوله (فجاءت اليهود) لم يبين هنا سبب مجيئهم لكن أخرج

أحمد الحديث وفيه أن عبدالله بن سلام قال: (فأرسل إليهم فسألمهم عني أي رجل ابن سلام فيكم قال: فأرسل إليهم).

الثالثة عشرة: قوله (قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا) ثم قوله

في ابن سلام ثانياً حين أعلن إسلامه (شرنا وابن شرنا وانتقصوه).

فيه أولاً: علو مكانة ابن سلام ورفعة شأنه ومنزلته عندهم.
وفيه ثانياً: بغض اليهود وعداوتهم لأهل الإسلام، وهذا شأن جميع الكفار،
قال تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.
وفيه ثالثاً: شجاعة ابن سلام رضي الله عنه إذ أعلن إسلامه على الملأ من
اليهود وأغاظهم بذلك ولم يشنه عن ذلك تنقص القوم له ووقيعتهم فيه.
الرابعة عشرة: قوله (فهذا الذي كنت أخاف يارسول الله) أي ما كنت
أتوقعه وأتيقن حصوله منهم وذلك لخبرته بخبثهم وعداوتهم لأهل الإيمان وإن
كانوا يعرفون الحق فإنهم يجحدونه.

٩- [باب قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾]

ش / تمامها ﴿... أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

قلت فيها: وعد الله رسوله ﷺ وأمته تبعاً له أنه سبحانه وتعالى لا يرفع آية تلاوة أو حكماً أوهما معاً إلا وجعل بديلاً منها وذلك البديل إما خير منها وأنفع للعباد أو مثلها يوضح ذلك ما حكاه الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢): «قال المفسرون: إن المشركين قالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فأنزل الله تعالى ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية... الآية﴾ وأنزل أيضاً ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها... الآية﴾».

قلت: وعليه فالآية دليل على وقوع النسخ وقد جاء الدليل من القرآن والسنة قال تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان فيما أنزل على رسول الله ﷺ عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات)، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها). فأفادت هذه النصوص مجتمعة وقوع النسخ وعليه أجمع من يعتد بقوله من الأئمة والتفصيل بذكر حكم النسخ وشروطه وأقسامه وطرق معرفته في كتب الأصول فليراجع ذلك من يشاء.

قوله: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ فيه التنبيه إلى أن النسخ

في مقدوره جل وعلا وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية.

٨ - حدثنا عمر بن علي^(١) حدثنا يحيى^(٢) حدثنا سفيان^(٣) عن حبيب^(٤) عن سعيد بن جبير^(٥) عن ابن عباس^(٦) قال قال عمر^(٧) رضي الله عنه: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وإنا لندع من قول أبي، وذاك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾. ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (أقرؤنا أبي) أي أكثرنا قرآنًا.

الثانية: قوله (وأقضانا علي) أي أعلمنا بالقضاء، وهذه شهادة من الفاروق رضي الله عنه لكلا الصحابييين رضي الله عنهما بالخيرية لحيازته باباً من الفقه والعلم إلى جانب ما نالاه من الفضائل الجملة والمناقب العظيمة وأجل تلك المناقب

(١) أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن كنيز بنون وزاي الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ثقة حافظ من العاشرة مات سنة تسع وأربعين ومئتين (ع).

(٢) يحيى هو القطان. تقدم.

(٣) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلس مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة (ع).

(٤) حبيب بن أبي ثابت أبو يحيى قيس ويقال هند بن دينار الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة، فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة (ع).

(٥) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوها مرسله، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. (ع).

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعاه رسول الله ﷺ فكان يسمى البحر والحر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف. (ع).

(٧) أبو حفص عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصف. (ع).

السابقة إلى الإسلام وشرف الصحبة لرسول الله ﷺ.

الثالثة: قوله (إنا لندع من قول أبي وذاك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ) فيه أمران:

الأول: حرص أبي رضي الله عنه على التمسك بكل ما سمعه من النبي ﷺ وهذا من فقهه فما أحسن من انتهى إلى ما سمع، كيف وقد قال الله جل ثناؤه ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٨٣/٣):

«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتزحجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿من كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾». اهـ.

قلت: هذا وأمثاله من التوجيه هو ما حمل أياً رضي الله عنه على التمسك بسنة النبي ﷺ والوقوف عندها فلا يظن أحد أن عمر رضي الله عنه يشنع على أبي كما لا يظن بأبي الجمود على النصوص من غير فقه وعندي أنه رضي الله عنه لا يخالف إلا فيما يسوغ فيه الاجتهاد وقد أجمع الأئمة على أنه لا يعتمد أحد ممن أجمع الناس على إمامته مخالفة الكتاب والسنة قصداً فليتبته إلى ذلك.

الأمر الثاني: قوله (وإنا لندع من قول أبي) هذا بناء على ما استقر عند القوم أنه من أبواب الفقه معرفة الناسخ والمنسوخ حتى لا يحكم الحاكم أو يفتي المفتي بالمنسوخ ويدع الناسخ كما أنه فيه التنبيه إلى أن أقوال الرجال وأعمالهم توزن بأمرين، وذانك الأمران: النص والإجماع. فمن وافق نصاً أو إجماعاً قبل

منه، ومن خالف أياً منهما رد عليه وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولهذا قالوا: يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.

الرابعة: قوله (قد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾) هذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة وقد مضى شرحه أول الباب.

١٠- [باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾] ش / تمامها ﴿بل له ما في السموات وما في الأرض كل له قانتون﴾.

قلت في هذه الآية:

أولاً: تكذيب الزاعمين اتخاذ الله الولد وأولئك الزاعمون هم النصارى، حيث قالوا المسيح ابن الله واليهود لمقاتلهم العزيز ابن الله ومشركو العرب: لقولهم الملائكة بنات الله، وكل تلك المقالات الضالة الكافرة قد جاء بها القرآن. ثانياً: تنزيه الله نفسه سبحانه وتعالى عن اتخاذ الولد لكمال قدرته وكمال غناه.

ثالثاً: بيان أن ما في الكون كله سماؤه وأرضه قانت له، أي مطيع مسخر مقهور بسلطانه جل علاه.

٩ - حدثنا أبو اليمان^(١) أخبرنا شعيب^(٢) عن عبد الله بن أبي حسين^(٣) حدثنا نافع بن جبیر^(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قال الله: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه

(١) الحكم بن نافع البهراني بفتح الموحدة الحمصي مشهور بكنيته ثقة ثبت يقال إن أكثر حديثه عن شعيب منأولة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين. (ع).

(٢) أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأموي مولا هم واسم أبيه دينار الحمصي ثقة عابد، قال ابن معين من أثبت الناس في الزهري من السابعة مات سنة اثنتين وستين ومائة أو بعدها (ع).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل المكي النوفلي ثقة عالم بالمناسك، من الخامسة. (ع).

(٤) أبو محمد نافع بن جبیر بن مطعم النوفلي المدني ثقة فاضل من الثالثة، مات سنة تسع وتسعين. (ع).

إياي فقله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا).

ش / مناسبة الحديث للآية في قوله (وأما شتمه إياي فقله لي ولد

فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدًا).

قلت: فذلك أعظم تكذيب لله وأعظم مسبة له وسيأتي شرح الحديث في

تفسير سورة الإخلاص، ضمن الباب السبعين بعد الأربعمئة.

[١١ - باب قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾]

ش / قلت الآية ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

قوله: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾.

البيت هو الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا ومثابة مصدر من ثاب يثوب مثاباً ومثابة أي مرجعاً يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم عنه، ومنه قول ورقة بن نوفل:

فتاب لا قفا القبائل كلها تحب إليها العملات الذوايل.

وقوله (وأمناً) هو اسم مكان أي موضع أمن يأمن الناس فيه.

وقوله: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾. قلت: هذا امر من الرب

تبارك وتعالى لعباده أن يجعلوا صلاتهم بعد الطواف عند مقام إبراهيم أي خلفه ومقام إبراهيم هو المكان الذي كان يقوم عليه حين بناء الكعبة، وهل هذه الصلاة واجبة؟ أم مستحبة؟ وهل لا بد أن تصلى خلف المقام؟ قال ابن قدامة في المغني (٣/٣٨٣) وجملة ذلك أنه يسن للطائف أن يصلي بعد فراغه ركعتين ويستحب

أن يركعهما خلف المقام لقوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾

ويستحب أن يقرأ فيهما ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ في الأولى و﴿قل هو الله

أحد﴾ في الثانية، فإن جابراً روى في صفة حجة النبي ﷺ قال: «حتى إذا أتينا

البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ

﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت. قال محمد بن

علي: ولا أعلمه إلا ذكره عن النبي ﷺ، كان يقرأ في الركعتين ﴿قل هو الله

أحد﴾ و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وحيث ركعهما ومهما قرأ فيهما جاز، فإن

عمر ركعهما بذي طوى . انتهى محل الغرض.

فائدة في القراءة في الآية:

قال مكي بن أبي طالب (٢٦٣/١): «﴿واتخذوا من﴾ قرأه نافع وابن عامر بفتح الحاء على الخير عمن كان قبلنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فهو مردود على ما قبله من الخير وما بعده والتقدير واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم فكله خبر فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان فحمل على ما قبله وما بعده ليتفق الكلام ويتطابق، وإذ محذوفة مع كل خبر للدلالة إذ الأولى الظاهرة على ذلك، وقرأ باقي القراء بكسر الحاء على الأمر بأن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى وبذلك أتت الروايات عن النبي ﷺ».

[مثابة: يثوبون: يرجعون].

ش / قاله أبو عبيدة إلا أنه قال: «يصيرون» بدل «يرجعون».

١٠ - حدثنا مسدد عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو لبيد لن الله رسوله خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر أما في رسول ﷺ ما يعرض نسائه حتى تعضهن أنت فأنزل الله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات...﴾ الآية.

وقال ابن أبي مريم^(١) أخبرنا يحيى بن أيوب^(٢) حدثني حميد سمعت أنساً

عن عمر.

(١) أبو محمد سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء المصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار العاشرة، مات سنة، أربع وعشرين ومائتين، وله ثمانون سنة (خت، م، ٤).

(٢) أبو العباس يحيى بن أيوب العافقي المصري صدوق ربما أخطأ من السابعة، مات سنة ثمان وستين ومائة (ع).

ش / فيه خمس مسائل:

الأولى: (وافقت ربي) الموافقة تصديق أحد الطرفين ما يصدر عن الآخر من قول أو فعل، بقول أو فعل يدل صراحة على إقرار ذلك القول أو الفعل وإجازته، والمعنى وافقني ربي، فأنزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه.

الثانية: قوله (في ثلاث) أي في ثلاث خصال وهي المينة بعدُ بقوله (قلت يا رسول الله... الخ) وذكر الثلاث لا يقتضي نفي غيرها، فقد روي عنه موافقات كثيرة منها إشارته على النبي ﷺ بقتل أسرى بدر.

تنبية: وقع ههنا (وافقت أو وافقني ربي) بحرف الشك وقد أخرجه المصنف في أبواب القبلة: باب ما جاء في القبلة من رواية هشيم عن حميد عن أنس بالجزم وأخرجه بهذا الإسناد الإمام أحمد وإسناده أعلى وهذا يقوي عندي رواية الجزم.

الثالثة: قوله (قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى).

قلت: في رواية هشيم عن حميد عن أنس عن عمر قال: (نزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم عن حميد عن أنس عن عمر به وذكر ذلك ابن كثير (١/١٧٤).

الرابعة: قوله (حتى أتيت إحدى نسائه) في حديث ابن عباس الآتي في سورة التحريم (ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها).

الخامسة: قوله (وقال ابن أبي مریم) وفي رواية كريمة (حدثنا ابن أبي مریم) وفائدة إيراد هذا الإسناد ما فيه من التصريح بسماع حميد من أنس فأمن من تدليسه.

[١٢- باب قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾].

ش / قلت يتم معنى هذه الآية التي أوردها المصنف رحمه الله الآيتان بعدها ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٤٩/١): «أي واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساسي واستمرارهما على هذا العمل العظيم وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء حتى أنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهم عملهم حتى يجعل فيه النفع العميم ودعوا لأنفسهما وذريتهما بالإسلام الذي حقيقته خضوع القلب وانقياده لربه والمتضمن لانقياد الجوارح ﴿وأرنا مناسكنا﴾ أي علمناها على وجه الإرادة والمشاهدة ليكون أبلغ يجتمل أن يكون المراد بالمناسك أعمال الحج كلها كما يدل عليه السياق والمقام ويجتمل أن يكون المراد ما هو أعظم من ذلك وهو الدين كله والعبادات كلها كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك التعب ولكن غلب على متعبات الحج تغليباً عرفياً فيكون حاصل دعائهما يرجع إلى التوفيق بالعلم النافع والعمل الصالح ولما كان العبد مهما كان لا بد أن يعزّيه التقصير ويحتاج إلى التوبة قال: ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي في ذريتنا رسولا منهم ليكون أرفع لدرجتهم ولينقادوا له وليعرفوه حقيقة المعرفة ﴿يتلوا عليهم آياتك﴾ لفظاً وحفظاً وتحفيظاً ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ معنى ﴿ويزكيهم﴾ بالتزكية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الرديئة التي لا ترك النفس معها ﴿إنك أنت العزيز﴾ أي القاهر لكل شيء الذي لا يمتنع على قوته شيء ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء في مواضعها فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول فاستجاب

اللَّهُ لهما فبعث الله هذا الرسول الكريم الذي رحم الله به ذريتهما خاصة وسائر الخلق عامة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام)».

قال مقيده: ويؤيد القول بأن كلاً من الخليل وابنه عليهما الصلاة والسلام كان يرفع القواعد ويدعو ما رواه البخاري في الأنبياء باب (يزفون النسلان السرعة في المشي) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبناتها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أُنيس ولا شيء... فذكر الحديث وفيه: ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبكي نبالاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال وتعيني، قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبنى ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ قال فجعلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ فالحديث كما ترى صريح الدلالة في أن إبراهيم الخليل هو أول من بنى البيت وأن ابنه إسماعيل ﷺ يعاونه في ذلك ويشاركه في الدعاء.

قوله: ﴿القواعد﴾ أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء واحدها

قاعد.

ش / قال أبو عبيدة قواعد البيت أساسه مخفف والجميع أسس وجماعه الأسس إذا ضمته أساس تقديره أفعال، والقواعد الواحد من قواعد البيت قاعدة والواحد من قواعد النساء قاعدة وقاعد أكثر. قال الكميت

في ذروة يفاع أولهم زانت عواليها قواعدها
وقال أيضاً:

وعادية من بناء الملون تمت قواعد منها وسوراً
واحدها قاعدة.

١١ - حدثنا إسماعيل^(١) حدثني مالك عن ابن شهاب^(٢) عن سالم بن عبد الله^(٣) أن عبد الله بن محمد^(٤) بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر^(٥) عن عائشة^(٦) رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت: يارسول الله. ألا

(١) إسماعيل بن عبد الله بن اويس بن مالك الأصبحي المدني صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين وميتين (خ، م، ت، ق).

(٢) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك بسنة أو بستين (ع).

(٣) أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني أحد الفقهاء السبعة كان ثبناً عابداً فاضلاً، كان يشبهه بأبيه في الهدى والسمت من كبار الثالثة مات في آخر سنة ست ومائة (ع).

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي المدني أخو القاسم ثقة من الثالثة، قتل في الحرة سنة ثلاث وستين (خ، م، د، س).

(٥) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ولد بعد المبعث ببسبر واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر مات سنة ثلاث وسبعين (ع).

(٦) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، أفقه الناس مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح (ع).

تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر. فقال عبد الله بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركبتين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

ش / فيه تسع مسائل.

الأولى: قوله (زوج النبي ﷺ).

قلت: هذا هو الأفصح، فإن زوج من الأجناس التي يستوي فيها المذكر والمؤنث وقد جاء في القرآن العزيز هذا اللفظ مراداً به المؤنث. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ وقال في موضع آخر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ والمراد بالزوج في المرضعين حواء بالاتفاق ولحوق التاء بما يراد به المؤنث صحيح ولكنه قليل.

الثانية: قوله (ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم).

(ألم تري) أي ألم تعلمي والاستفهام ههنا للتقرير والتعجب وقوله (واقتصروا عن قواعد إبراهيم) ذكر المؤرخون أن الكعبة تهدمت في عهد قريش وحين بلغ النبي ﷺ خمساً وثلاثين عاماً عازمت قريش على تحديد بناء الكعبة وكانت قد انهدمت لخراب أصابها وذكر بعضهم أن سبب ذلك الخراب: أن امرأة جمرت الكعبة فأصابها شرارة من مجمرتها فشبت فيها النار فاحترقت وأن السبب في اقتصار القوم عن قواعد إبراهيم، أنهم قالوا: لا يكون في هذا العمل مهر بغي ولا حلوان كاهن ولا ربا ولا أي كسب حرام فقصرت عليهم النفقة لأن جل أموالهم من الكسب الحرام، فلم يبلغوا قواعد الخليل ﷺ. والله أعلم.

الثالثة: قوله (ألا تردها على قواعد إبراهيم) هذا عرض، وهو الطلب برفق

يتضمن سؤال عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ لإعادة الكعبة إلى ما كانت عليه في عهد الخليل ﷺ.

الرابعة: قوله (لولا حدثان قومك بالكفر) معنى لولا ههنا حرف شرط تفيد الامتناع للوجود قال ابن مالك في الألفية:

لولا ولو ما يلزمان الابتداء إذا امتناع بوجود عقدا

والمعنى: أن رسول الله ﷺ امتنع من إجابة سؤال عائشة لأن قومها حديثوا عهد بالجاهلية، ومعنى حدثان قال ابن الأثير في النهاية مادة حدث، حدثان الشيء بكسر أوله وهو مصدر حدث يحدث حدثاً وحدثاناً والحديث ضد القديم والمراد به قرب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام.

تنبيهان:

أولاً: من بنى البيت الحرام؟ قال الله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ قال في الجلالين: «وإذ ذكر إذ بوأنا بيتاً لإبراهيم مكان البيت لبيته». وقال ابن كثير (٢/٢٢٥): هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت - أي أرشده إليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل به الكثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله.

قال مقبده أبو صفية: وليس في الآية النص صراحة على أن الخليل ﷺ هو أول من بنى البيت الحرام، وينبغي الاستدلال على أن أول من بنى البيت إبراهيم بحديث ابن عباس المتقدم وفيه (إن الله أمرني أن أبنى ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة...) الحديث. والله أعلم.

ثانياً: اقتصر ههنا على ذكر الشرط دون الجواب وقد أخرجه المصنف في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها وفيه قال ﷺ: (لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبيته على أساس إبراهيم عليه السلام فإن قريشاً استقصرت بناءه وجعلت له خلفاً) قال أبو معاوية حدثنا هشام خلفاً يعني باباً.

قلت: وبهذا السبب يظهر لك أن رسول الله ﷺ ترك هذا العمل وهو من جلائل الأعمال الصالحة والمانع من ذلك هو حداثة قومه بالكفر وعدم تمكن الإسلام من قلوبهم وهذه قاعدة جلييلة وأصل كبير في السياسة الشرعية وفقه الدعوة إلى الله وتلك القاعدة: (تقديم درء المفساد على جلب المصالح) ولتستبين في هذا الباب المحجة وتتضح بالأدلة صواب الحجة نذكر أمرين: أولهما: ما استفاض في هذا الأمر العظيم عن النبي ﷺ مع أي الكتاب الكريم.

ثانيهما: نقول عن الأئمة توضح أهمية هذا الجانب لا سيما في مجال الدعوة إلى الله فنقول وبالله التوفيق.

الأمر الأول: الأدلة على هذا الأصل العظيم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٩٦/٢): يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسبب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو. اهـ.

وقال العلامة ابن سعدي في شرحه للآية (٥٦/٢): «ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً بل مشروعاً في الأصل وهو سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثاناً وآلهة مع الله التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السبب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيهه جانبه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح نهى الله عن سب آلهة المشركين لأنهم يتحمسون لدينهم ويتعصبون له، لأن كل أمة زين الله لهم عملهم فأروه حسناً وذبووا عنه ودافعوا بكل طريق حتى إنهم يسبون الله رب العالمين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفقار إذا سب المسلمون آلهتهم، ولكن الخلق كلهم مرجعهم

ومآثم إلى الله يوم القيامة يعرضون عليه وتعرض أعمالهم فينبؤهم بما كانوا يعملون من خير أو شر.

وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وإن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر، اهـ.

قلت: ثم في سنة رسول الله ﷺ ما يؤيد شرح هذين العالمين الجليلين وهو إن لم يكن متواتراً فمستفيض، ولذا فسوف نقتصر على حديثين منبهين بهما إلى ما هو في معناهما من صحيح سنة النبي ﷺ وأول ذينك الحديثين ما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: اذهب بنعلي هاتين فممن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره... فذكر الحديث بتمامه وفيه أن عمر قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. فقال ﷺ: خلهم.

وثانيهما: مارواه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، عن أنس أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل. قال: يا معاذ ابن جبل قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: (يامعاذ). قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثلاثاً. قال: (ممن أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)، قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: (إذن يتكلوا)، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً، فانظر هداك الله إلى مرشدأمورك كيف عدل النبي ﷺ عما بعث به أبا هريرة من البشارة على الشهادة بدخول الجنة إلى مشورة عمر، وذلك حتى لا يتكل الناس

إلى تلك البشارة ويدعوا العمل وكذا نهى معاذاً عن بشارته الناس للنسب نفسه
فإن قلت أية مفسدة درأها النبي ﷺ؟ قلنا: ترك الناس العمل اتكالا على
الشهادتين.

الأمر الثاني: وهو ما جاء من النقول عن الأئمة في هذه القاعدة.
أولاً: ما بوبه البخاري حين أخرج حديث عائشة الذي نحن بصدد شرحه،
وذلك حين أخرج في كتاب العلم فقال رحمه الله: باب من ترك بعض الاختيار
مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه.

قال الحافظ في الفتح (٤٤٨/٣): «والمراد بالاختيار في عبارته المستحب،
وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره وما يخشى منه تولد الضرر
عليهم في دين أو دنيا وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمراً واجباً.

وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة» اهـ.

ثانياً: قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/٣) «المثال الأول: أن النبي ﷺ
شرع لأئمة إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله
فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا
يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالانكار على الملوك
والولاية بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن
الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها
وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا.. ما أقاموا الصلاة.

وقال: (من رأى من أميره ما يكره فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة) ومن
تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل
وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه وقد كان رسول
الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة
وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك

مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء» اهـ.

وعلى هذا النهج السديد والفقهاء العظيم مشى دعاة الحق وأئمة الهدى ورأس أولئك الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم فحفظوا الأمة من الفتن وجنبوهم الخن إلى اليوم فكانوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية التي لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله.

قال شيخ الإسلام في كتاب التفسير من مجموع الفتاوى عن المعتزلة والخوارج (٩٨/١٣): «وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما يقصده الخوارج والزيدية فغلطوا في ذلك» اهـ.

قلت: فاحذر يا طالب الحق سبيل الضالين واسلك سبيل الراشدين سبيل أهل السنة والجماعة وإياك والحزبيات فإن بغيت لنفسك السلامة والنجاة من الفتن فعليك بوصية النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه وهو يسأله كيف يصنع إن أدركه دعاة جهنم؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك. أخرجه البخاري في الفتن. باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (٣٦/١٣): «قوله (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) بكسر الهمزة أي أميرهم زاد في رواية الأسود (تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني (فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك فإن لم يكن خليفة فالهرب) اهـ.

وقال النووي في شرحه (٢٣٧/١٢):

«وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته

وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية».

قال مقيده: ونحن هنا في أرض الحرمين وما يتبعها من المناطق لنا جماعة وإمام فلا يجوز أن نغتر بدعايات الجماعات الدعوية الحديثة التي لا ترى جماعة سواها ولا دعوة إلى الله صحيحة إلا وفق قواعدها وأصولها التي أخذتها عن مؤسسيها الذين لم يروا أئمة سواهم.

المسألة الخامسة: قوله (لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله

ﷺ).

قلت: أخرج المصنف هذا الحديث من طريق الأسود قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك فما حدثك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ فذكره.

ورواه في باب فضل مكة وبنائها من كتاب الحج عن الأسود أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ فذكرته. فانزاح والله الحمد ما يظن أنه إشكال قال الحافظ (٤٤٢/٣): «ليس هذا شكاً من ابن عمر في صدق عائشة ﷺ، لكن يقع في كلام العرب كثيراً صورة التشكيك والمراد التقرير واليقين».

السادسة: قوله (ما أرى) بالبناء للمفعول أي أظن.

السابعة: قوله (ترك استلام الركنين) أي أثناء الطواف باللمس أو القبلة

والاستلام افتعال من السلام.

الثامنة: قوله (يليان الحجر) أي يقربان من حجر إسماعيل.

التاسعة: قوله (إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم) بيان سبب ترك

النبي ﷺ استلام ذينك الركنين».

١٣- [باب ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾]

ش / تمامها ﴿وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٩٢/١):

«أرشد الله تعالى عبادة المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين بمحمد ﷺ ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء وألا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً... الآية﴾ اهـ.

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله (٩٨/١):

«في قوله ﴿قولوا﴾ إشارة إلى الاعلان بالعقيدة والصدع بها والدعوة لها إذ هي أصل الدين وأساسه... إلى أن قال: فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إنجازها واختصارها على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح، والاخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين ومن ادعى النبوة من الكاذبين وعلى تعليم الباري عباده كيف يقولون ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» اهـ

من فقه الآية:

١ - إعلان العقيدة والصدع بها في وجوه المخالفين.

- ٢ - وجوب الإيمان بجميع الرسل وأن التفريق بينهم كفر.
 ٣ - وجوب الإخلاص لله وحده في الأقوال والأعمال التعبدية.
 ٤ - تجريد المتابعة للنبي ﷺ.

١٢ - حدثنا محمد بن بشار^(١) حدثنا عثمان بن عمر^(٢) أخبرنا علي بن المبارك^(٣) عن يحيى بن أبي كثير^(٤) عن أبي سلمة^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا...).

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله (كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام).

قلت: المراد بهم اليهود لأنهم هم الذين أنزل إليهم التوراة، فالعبرانية لغتهم والمعنى أنهم - أي اليهود - يترجمون كتابهم لأهل الإسلام بالعربية.
 الثانية: قوله (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) قال الحافظ

- (١) أبو بكر الملقب ببندار محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري ثقة من العاشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومئتين وله بضع وثمانون سنة (ع).
 (٢) عثمان بن عمر بن فارس العبدي البصري أصله من بخارى، ثقة من التاسعة مات سنة تسعين ومائة (ع).
 (٣) علي بن المبارك الهنائي ثقة كان له عن يحيى بن كثير كتابان، أحدهما سماع والآخر إرسال، محدث الكوفيين عنه، من كبار السابعة (ع).
 (٤) أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم اليمامي، ثقة ثبت، لكنه يدلّس ويرسل من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقيل قبل ذلك (ع).
 (٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، ثقة، مكثر، من الثالثة مات سنة، أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين (ع).

(١٧٠/٨): «أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبه أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله، ويؤخذ من هذا الحديث، التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك» اهـ.

قلت: هذا توجيه جيد وتخريج لطيف فإن أخبار بني إسرائيل على ثلاثة أضرب: أحدها: ما كان موافقاً للقرآن فهذا يجب تصديقه.

ثانيها: ما كان مخالفاً للقرآن فهذا يجب رده وتكذيبه.

ثالثها: ما لم يرد في القرآن موافقة له ولا مخالفة فهذا يجب التوقف فيه، فإن قال قائل: كيف تصنعون بقوله ﷺ (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

قلنا: هذه قطعة من حديث أخرجه المصنف في الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وله عند أهل العلم عدة توجيهات، وأفضلها عندي ما نقله العيني عن الإمام مالك - رحمه الله تعالى - (٩٩/١٣).

قال مالك: «المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه، فلا، وقال بعضهم حدثوا عنهم مثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح.

المسألة الثالثة: قوله (وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) هذا وجه مطابقة الحديث للترجمة وقد أخرجه المصنف في الاعتصام. باب قول النبي ﷺ (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) بلفظ (وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم... الآية).

قلت: فيه التنبيه إلى وجوب الحب والبغض والموالة والمعادة في الله، فبذاك تستقيم حال الأمة، واعلم أيها المسلم الناصح لنفسه، أن أصحاب الأهواء والمبتدعة قديماً وحديثاً لم يتسلطوا على الأمة إلا بإدخال في العقيدة الصحيحة ما ليس منها والله المستعان.

١٤- [باب ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾].
ش / قلت: لا بد لإيضاح ما تضمنته هذه الترجمة من بيان أمرين:
أحدهما: في المراد بالسفهاء.

ثانيهما: فيما ترشد إليه هذه الآية.

الأمر الأول: اختلف المفسرون في السفهاء في هذه الآية من هم؟ على ثلاثة أقوال، حكاه ابن جرير عند تفسير الآية.

أحدها: أنهم اليهود وهو قول مجاهد وابن عباس والبراء في قول.

ثانيها: أنهم المنافقون وبه قال السدي.

ثالثها: أنهم أهل الكتاب، قاله البراء في الرواية الثانية عنه.

والراجح عندي أنهم اليهود ويدل له ما رواه المصنف في أبواب القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً فذكر الحديث وفيه: وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها... الخ﴾).

الأمر الثاني: ترشد الآية الكريمة:

أولاً: إلى أنه لا بد من وجود معترض على أهل الإسلام في تمسكهم بشرع الله أمراً ونهياً كما ترشدنا ثانياً إلى أن الأمر كله لله فهو الذي بيده الهداية فإنه كما أن له الخلق له الأمر.

وثالثاً: أن الصراط المستقيم والنهج القويم هو فيما شرعه الله لعباده في

كتابه وسنة رسوله ﷺ.

١٣ - حدثنا أبو نعيم سمع زهير^(١) عن أبي إسحاق^(٢) عن البراء^(٣) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾.

ش / فيه عشر مسائل:

الأولى قوله (إن رسول الله ﷺ صلى) وقع عند مسلم وغيره صليت مع رسول الله ﷺ وفي لفظ (صلينا مع رسول الله ﷺ) والمعنى واحد.

الثانية: قوله (إلى بيت المقدس) هو المسجد الأقصى الذي أسرى برسول الله ﷺ إليه من مكة كما قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا﴾.

يقال بيت المقدس والبيت المقدس وبيت القدس ومعناه المطهر والذي يتقدس فيه من الذنوب أي يتطهر منها.

الثالثة: قوله (ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً) كذا ههنا بالشك من

(١) أبو خيشمة زهير بن معاوية بن خديج الجعفي الكوفي نزيل الجزيرة، ثقة ثبت، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة من السابعة، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة وقيل بعدها وكان مولده سنة مائة (ع).

(٢) عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي مكنى ثقة عابد من الثالثة اختلط بآخره مات سنة تسع وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك. (ع).

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة واستصغر يوم بدر وكان هو وابن عمر لدة، مات اثنتين وسبعين (ع).

رواية زهير عن أبي إسحاق عن البراء كما وقع كذلك عند أحمد من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق وعند مسلم من رواية سفيان عن أبي إسحاق ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ (ستة عشر شهراً) دون تردد.

قال الحافظ في الفتح (٩٦/١) في الجمع بين هذه الرواية والروايات الأخرى التي نصت على سبعة عشر شهراً: «والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً والغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدما معاً ومن شك تردد في ذلك» اهـ.

الرابعة: قوله (وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت).

(قبل البيت) أي جهته ويدل لما تضمنته هذه الجملة قوله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها... الآية﴾.

قال ابن جرير (١٩/٢): «يعني بذلك جل ثناؤه ﴿قد نرى﴾ يا محمد نحن ﴿تقلب وجهك في السماء﴾ ويعني بالتقلب التحول والتصرف، ويعني بقوله ﴿في السماء﴾ نحو السماء، وقبلها، وإنما قيل له ذلك صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لأنه كان قبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة يرفع بصره إلى السماء ينتظر من الله جل ثناؤه أمره بالتحويل نحو الكعبة...» اهـ.

الخامسة: قوله (إنه صلى أو صلاها صلاة العصر) أخرجه المصنف في كتاب الإيمان باب الصلاة من الإيمان بلفظ (وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر) فالخضوف ههنا يوضحه المذكور هناك، وإن قال قائل كيف التوفيق بين هذه الرواية وبين ما جاء أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى البيت صلاة الظهر فالجواب عندنا مرضياً ما قاله الحافظ رحمه الله في الفتح (٩٧/١): «والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي صلاة العصر» اهـ.

السادسة: قوله (فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون) نقل الحافظ عن ابن مندة أن الرجل هو عباد بن بشر، وأما أهل المسجد فقال بعضهم هم ناس من بني سلمة فخذ من الأنصار.

السابعة: قوله (أشهد بالله) أي أحلف بالله، فالشهادة هنا بمعنى القسم والحلف يقال: أشهد بالله على كذا أي أقسم به عليه وذلك لتأكيد المخبر به. الثامنة: قوله: (لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة) هذا هو جواب القسم واللام في قوله (لقد صليت) لام التأكيد.

التاسعة: قوله (فداروا كما هم قبل البيت) أي انحرفوا نحو الكعبة وهم في صلاتهم دون تغيير لأماكنهم وفيه من الفوائد: أولاً: جواز الحركة في الصلاة لمصلحتها وأنها لا تبطلها.

ثانياً: إن من صلى إلى غير القبلة خطأ بعد اجتهاده ثم تبين له ذلك أثناء الصلاة اتجه إلى القبلة من غير استئناف للصلاة وإن صلاته صحيحة.

ثالثاً: قبول خير الواحد وقد أجمع على ذلك الصحابة في وقائع كثيرة، هذه منها ولا يشكل عليه رد عمر رضي الله عنه قول أبي موسى في الاستئذان حتى أتى بمن يشهد له لأن المراد الاستثبات والاستيثاق، ولأنه حتى بعد أن أتى أبو موسى بشاهد على قوله لا يخرج ذلك عن كونه خير واحد لأن معنى خير الواحد عند المحدثين ما لم يبلغ حد التواتر وتفصيل ذلك في علم المصطلح.

العاشر: قوله (وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قتلوا لم ندر ما نقول فيهم) فيهم ثلاثة أمور:

الأول: في أولئك الذين ماتوا على القبلة الأولى سمى الحافظ في الفتح (٩٨/١) عشرة متفق عليهم وهم في مكة من قريش: عبدالله بن شهاب والمطلب بن أزهر الزهريان والسكران بن عمرو العامري وبأرض الحبشة منهم خطاب بالمهملة ابن الحارث الجمحي وعمر بن أمية الأسدي وعبدالله بن

الحارث السهمي وعروة بن عبد العزى وعدي بن نضلة العدويان ومن الأنصار بالمدينة، البراء بن معرور. مهملات وأسعد بن زراره فهوؤلاء العشرة متفق عليهم.

الثاني: تسمية الصلاة بالإيمان وذلك والله أعلم لأنها أعظم فرائض الدين العملية كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة...) الحديث.

الثالث: شفقة الصحابة على من مضى من إخوانهم على القبلة الأولى وخصيتهم من حبوط عملهم، فقد روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم... الآية﴾.

١٥ - [باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾].

ش / تمامها ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾.

قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره (٦/٢): «يعني جل ثناؤه بقوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ. وما جاءكم به من عند الله فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسط وقد بينا أن الأمة هي القرن من الناس والصنف منهم، وغيرهم وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار يقال منه فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه وهو وسط في قومه وواسط كما يقال شاة يابسة اللبن وبيسة اللبن، وكما قال جل ثناؤه ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ وقال زهير بن أبي سلمى في الوسط.

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظمهم وأنا أرى أن الوسط هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل وسط الدار محرك الوسط مثقله غير جائز في سینه التخفيف، وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلوفيه غلر النصرارى الذين غلوا بالذهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءه وكذبوا على ربهم وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها.

قال مقيده: وعندى أن الوسطية في الآية شاملة للمعنيين جميعها، فأمة محمد ﷺ خير الأمم ديناً وأعدلها حكماً ولذا اختيرت للشهادة على الأمم قبلها، كما

قال تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ .
 وأما قوله ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ هو كما قال تعالى في موضع
 آخر ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم... الآية﴾ .
 والمعنى أنه ﷺ يشهد على أمته يوم القيامة بما بلغها به من شرع الله.
 قوله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن
 ينقلب على عقبيه﴾ قال ابن كثير (١/١٩٧):

« يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم
 صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويتقبل معك حيثما
 توجهت ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي مرتداً عن دينه ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي
 هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي وإن كان هذا
 لأمرًا عظيمًا في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول
 وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما
 يريد فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة
 في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنهم كلما حدث أمر أحدث لهم
 شكاً كما يحصل للذين آمنوا إيقاناً وتصديقاً » انتهى محل الغرض.

قوله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ قال القرطبي: اتفق العلماء على
 أنها نزلت فيمن مات زهر يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال: فسمى الصلاة إيماناً
 لاجتماعها على نية وقول وعمل، وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند
 تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم، والأول يتعين القول به والمصير
 إليه. أهـ

قوله ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ هذه الجملة مقررة ومؤكدة لما
 قبلها وفيها إثبات الرأفة والرحمة صفتين لله عز وجل لا تفتين بجلاله وهما صفتان
 حقيقتان.

١٤ - حدثنا يوسف بن راشد^(١) حدثنا جرير وأبو أسامة^(٢) واللفظ لجرير عن الأعمش^(٣) عن أبي صالح وقال أبو أسامة حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ يدعى نوح يوم القيامة فيقول: ليك وسعديك يارب. فيقول: هل بلغت فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فذلك قوله جل ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ . والوسط العدل.
فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله (يدعى نوح يوم القيامة) وعند المصنف في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ من طريق عبدالواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بلفظ (يجي نوح وأمته) ورواه في الاعتصام باب قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ من طريق أبي أسامة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بلفظ (يجاء بنوح يوم القيامة) ولا تعارض بين هذه الروايات

(١) أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفي نزيل الري ثم بغداد صدوق من العاشرة، مات سنة ثلاث وحمسين ومئتين (خ، د، ت، ع، س، ق).

(٢) حماد بن أسامة القرشي مولاهم الكوفي مشهور بكنيته ثقة ثبت، ربما دلس، وكان بآخره يحدث من كتب غيره، من كبار التاسعة، مات سنة إحدى ومئتين وهو ابن ثمانين. (ع).

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفي الأعمش ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس من الخامسة، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة، وكان مولده أول إحدى وستين (ع).

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري له ولأبيه صحبة، استصغر في أحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث وستين أو بعدها، وقيل سنة أربع وسبعين. (ع).

فإن مجي نوح ﷺ وأمه بعد دعائه، فيدعى هو أولاً لأنه إمامهم ثم تحضر أمته معه أو بعده للسؤال.

الثانية: قوله: (فيقول لبيك وسعديك يارب) لبيك مصدر لبي يلسي تليبة، وثنى للتأكيد والمعنى إجابة بعد إجابة وسعديك من المساعدة. معنى المطاوعة، قال ابن الأثير في مادة سعد أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة، وإسعاداً بعد إسعاد ولهذا ثنى، وهو من المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر في الاستعمال.

الثالثة: قوله (هل بلغت) السائل هو الله سبحانه وتعالى كما يدل لذلك رواية المصنف في الأنبياء حيث جاء فيها (فيقول الله تعالى) والسؤال من الله عزوجل وهو أعلم بحال نوح مع قومه لتفريع القوم وتوبيهخم ومعناه هل بلغت قومك ما أرسلت به إليهم؟.

الرابعة: قوله (نعم) عند المصنف في الاعتصام بزيادة (نعم يارب) ونعم هذا جواب من نوح ﷺ ومعنى الكلمة حرف تصديق ووعد وإعلام قاله ابن هشام في المغني (٣٤٥/٢).

قلت والمعنى: نعم بلغتهم ما أرسلت به إليهم.
الخامسة: قوله (فيقال لأمته هل بلغكم؟) وهذا السؤال أيضاً للتوبيخ وإقامة الحججة على القوم فإنه ليس يخاف على الله عزوجل حال القوم مع نبيهم.
السادسة: قوله (فيقولون ما أتانا من نذير) هذا إنكار من قوم نوح بلوغهم الرسالة ظناً منهم أن ذلك ينجيهم من الله عزوجل.
السابعة: قوله (من يشهد لك) هذا من كمال عدل الله وإقامة الحججة على القوم.

الثامنة: قوله (محمد وأمه) فيه فضيلة النبي ﷺ على سائر الأنبياء وفضيلة هذه الأمة على سائر الأمم بالشهادة للأنبياء على قومهم وليس خاصاً بنوح، يوضحه ما رواه أحمد في المسند (٥٨/٣) والنسائي في التفسير باب (وكذلك

جعلناكم أمة وسطاً) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيئ النبي يوم القيامة ومع الرجل والنبي ومع الرجلان، وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم. فيقال: وما علمكم. فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ قال: يقول: عدلاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

وفي حديث الباب مع الآية وما في معناهما من الآيات والأحاديث دليل

على عموم رسالة النبي ﷺ.

قوله (والوسط العدل).

ش / هذا أحد التفسيرين للآية وهو قول أبي عبيدة وزاد: خياراً، ومنه

قولهم: فلان وسط في عشيرته. أي في خيار عشيرته.

ويشهد له رواية المصنف في الاعتصام ورواية أحمد والنسائي المتقدمة.

١٦- [باب قوله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾].
ش / تقدم معناها في الباب قبله.

١٥ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء جاء فقال: أنزل الله على النبي ﷺ قرآناً أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فتوجهوا إلى الكعبة.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (بيننا الناس) فيه أمران:

الأول: في معنى (بيننا) قال أهل اللغة: أصله بين فاشبعت الفتحة فصارت ألفاً ويقال بينا وبينما وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى، والأفصح في جوابهما إلا يكون فيه إذ وإذا وقد جاء كثيراً تقول: بينا زيد جالس دخل عليه عمرو، وإذا دخل عليه عمرو، وإذا دخل عليه، وبيننا ههنا أضيف إلى المبتدأ والخبر وجوابه قوله (إذ جاء جاء).

الثاني: في (الناس) فالمراد به أهل قباء ومن حضر معهم، فالألف واللام فيه للعهد الذهني، ورواه مسلم في المساجد باب تحويل القبلة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت ﴿قد نرى قلبك وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى ألا إن القبلة قد حولت

(١) عبد الله بن دينار هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوي مولاهم المدني مولى ابن عمر ثقة، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين ومائة (ع).

فمالوا كما هم نحو القبلة).

قلت: فالجمع بين حديث أنس هذا وحديث الباب أن بني سلمة غير بني عمرو ابن الحارث أهل قباء، فتعددت القصة. والله أعلم.

الثانية: قوله (يصلون الصبح) فيه تسمية الصلاة التي تحول فيها أهل قباء إلى الكعبة ولا يعارضه ما رواه مسلم عن ابن عمر قال: (بينما الناس في صلاة الغداة... الحديث) فكل من الاسمين تسمى به صلاة الصبح خلافاً لمن كره تسميتها بالغداة.

الثالثة: قوله (في مسجد قباء) هو ذلك المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم كما قال جل ذكره: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين﴾. وقباء مكان معروف جنوب المدينة وفيه عدة لغات: قباء بالمد، وقباء بالقصر منونا.

والحديث دليل على سرعة استحبابه القسوم وقبوضهم السنة كماخوانهم من أصحاب النبي ﷺ الذي صلوا إلى القبليتين وتلك منقبة لهم ودليل على انشراح صدورهم فكانوا يحق من هدى الله فطابت نفوسهم بالاستئين.

الرابعة: قوله (إذ جاء جاء).

هذا جواب بينا ولم أقف لذلك الآتي على تسمية ولعل عدم تسميته مبني على عدم المصلحة في ذلك إذ العبرة حاصلة. مما في الخير من أحكام، والكلام على بقية الحديث قد تضمنه حديث البراء قبله.

١٧ - [باب ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام... إلى قوله: عما تعملون﴾].
ش/تمامها ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾.

قال البغوي رحمه الله (١/١٢٤): «هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه، إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعتة في التوراة، فصلى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليهما السلام. إلى أن قال: ﴿فلنولينك﴾ فلنحولنك إلى ﴿قبلة ترضاها﴾ أي تحبها وتهواها ﴿فول﴾ أي حول و﴿المسجد الحرام﴾ أي نحوه وأراد به الكعبة؟ و﴿الحرام﴾ المحرم ﴿وحيثما كنتم﴾ من ير أو نحو شرق أو غرب ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ عند الصلاة، إلى أن قال ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾ يعني أمر الكعبة ﴿للحق من ربهم﴾ ثم هددهم فقال: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ انتهى

قلت: وفي الآية من الأحكام العظيمة:

أولا: إثبات العلو لله سبحانه وتعالى:

ثانيا: علم الله بأحوال العباد وأفعالهم ومن ثم مجازاتهم عليها.

ثالثا: أن الكعبة هي قبلة من سبق من الأنبياء.

رابعا: نسخ السنة بالقران.

١٦ - حدثنا علي بن عبد الله (١) حدثنا معتمر (٢) عن أبيه (٣) عن أنس رضي الله عنه لم يبق ممن صلى القبليتين غيري. فيه مسألتان:

الأولى: المراد بالقبليتين بيت المقدس والكعبة وكل منهما كان سنة واجبة الاتباع ثم نسخت الأولى وبقيت الثانية. وقوله (صلى القبليتين) حذف حرف الجر وهو إلى، فالاسم منصوب بنزع الخافض.

الثانية: في الحديث دليل على أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم من صلوا إلى القبليتين، وقول أنس هذا لأنه مات بعد سنة تسعين فقال ذلك تحدثنا بنعمة الله عليه إذ جاوز عمره المائة كما تقدم في ترجمته.

(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم ابن المديني بصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه حتى قال البخاري ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، وقال النسائي (كأن الله خلقه للحديث) من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين. (ع).

(٢) أبو محمد معتمر بن سليمان التيمي البصري يلقب الطفيل ثقة من كبار التاسعة مات سنة سبع وثمانين ومائة (ع).

(٣) أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد، من الرابعة مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين سنة (ع).

١٨ - [باب ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك... إلى قوله: إنك إذا لمن الظالمين﴾].

ش: تمامها ﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾.
قلت: اللام موطئة للقسم فالتقدير والله لعن أتيت... الخ.

وقوله: ﴿ما تبعوا قبلتك﴾ جواب القسم، قال ابن سعدي (١ / ١١٠):

«كان النبي ﷺ من كمال حرصه على هداية الخلق ببذل غاية ما يقدر عليه من النصيحة، و يتلطف بهدايتهم ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، فكان من الكفار من تمرد عن أمر الله واستكبر على رسل الله وترك الهدى عمداً وعدواناً فمنهم اليهود والنصارى أهل الكتاب الأول الذين كفروا بمحمد ﷺ عن يقين لا عن جهل، فهذا أخبره الله تعالى إنك ﴿لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية﴾ أي بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ماتدعوا إليه ﴿ماتبعوا قبلتك﴾ أي ما اتبعوك، لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون عرفوا الحق وتركوه فالآيات إنما ينتفع بها من يتطلب الحق فتوضح له الآيات البيّنات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه؛ وأيضاً فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل، وبعضهم غير تابع قبلة بعض فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد، وهم الأعداء الحسدة حقيقة، وقوله ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ أبلغ من قوله: ولا تتبع لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل ولو أتوا بكل آية لأنهم لا دليل لهم على قولهم، وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه لأنها لا حد لها ولأنه يعلم بطلانها للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح فهو باطل فيكون حل الشبه من باب التبرع، ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ إنما قال أهواءهم ولم يقل دينهم لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس

حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ومن ترك الدين اتبع الهوى لا محالة. قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل ﴿إنك إذا﴾ أي إن اتبعتهم فهذا احتراز لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها ولو في الأفهام ﴿لن الظالمين﴾ أي داخل فيهم ومندرج في جملتهم وأي ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل فأثر الباطل على الحق وهذا وإن كان الخطاب له ﷺ فإن أمته داخله في ذلك، وأيضا فإذا كان هو ﷺ لوفعل ذلك وحاشاه صار ظالماً مع علو مرتبته وكثرة إحسانه فغيره من باب أولى وأحرى» اهـ.

فائدة:

قال ابن الجوزي في الموضوعات (١ / ٥١):

«قال أبو الوفاء على بن عقيل الفقيه، قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعو في إفساد أحواله والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملابس له».

قلت: هكذا حذر علماء الإسلام من سبيل المبتدعة وإن تسموا بالدعاة إلى الله فإنهم يخوضون الحرب الضروس ضد السلفية، وأهل السنة والجماعة فلا تغتر باطالب الحق يريق الكتب الفكرية المعاصرة وما فيها من زخرف القول فتتسلخ عن العقيدة وتتنكر لأهل السنة والجماعة.

١٧ - حدثنا خالد بن مخلد^(١) حدثنا سليمان^(٢) حدثني عبد الله بن دينار

(١) أبو الهيثم خالد بن مخلد القطواني البجلي مولاهم الكوفي صدوق يتشيع وله أفراد من

كبار العاشرة مات سنة ثلاث عشر ومنتين وقيل بعدها (خ، م، كد، ت، س، ق).

(٢) أبو محمد سليمان بن بلال التيمي مولاهم المدني ثقة من الثامنة مات سنة سبع وسبعين

ومائة (ع).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في الصبح بقباء جاءهم رجل فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وأمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.
ش / تقدم في باب ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها...﴾.

١٩- [باب ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق...﴾ إلى قوله ﴿فلا تكونن من الممترين﴾] ش: تمام السياق ﴿وهم يعلمون، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾.

قوله تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يخبر جل ثناؤه أن أهل الكتاب يعرفون معرفة تامة صحة ما جاءهم به النبي ﷺ من الحق كما يعرف الرجل ولده فلا يشك وإن فريقا من هؤلاء يكتمون الحق مع علمهم به والمراد أنهم يكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ.

قوله ﴿الحق من ربك﴾ قال ابن جرير (٢٧/٢):

«يقول الله جل ثناؤه: اعلم يا محمد أن الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده لا ما يقول لك اليهود والنصارى وهذا من الله تعالى ذكره خير لنييه عليه الصلاة والسلام عن أن القبلة التي وجهه نحوها هي القبلة الحق التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومن بعده من أنبياء الله عز وجل ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي فلا تكونن من الشاكين في أن القبلة التي وجهتك نحوها قبلة إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره».

١٨ - حدثنا يحيى بن قرعة^(١) حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن

عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن النبي ﷺ أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

ش: تقدم.

(١) يحيى بن قرعة بفتح القاف والزاي القرشي المكي المؤدب. مقبول من العاشرة (خ).

٢٠ - [باب ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شئ قدير﴾].
ش / قال ابن كثير (٢٠٠/١):

«وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعا﴾ وقال ههنا ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شئ قدير﴾ أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم».

فائدة:

قال ابن سعدي رحمه الله (١١٣/١):

«ويستدل بهذه الآية الشريفة على الاتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل كالصلاة في أول وقتها والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج والعمرة وإخراج الزكاة والاتيان بسنن العبادات وآدابها فله ما أجمعها وأنفعها من آية».

١٩ - حدثنا محمد بن المثني^(١) حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثني أبو إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه قال: صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه نحو القبلة.

ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر

(١) أبو موسى محمد بن المثني بن عبيد العنزي البصري المعروف بالزمن مشهور بكنيته واسمه، ثقة ثبت، من العاشرة وكان هو وبندار فرسي رهان وماتا في سنة واحدة.
(ع).

٢١ - [باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون﴾].

ش / يأمر جل ثناؤه نبيه ﷺ والأمة تبع له أن تكون وجهته في الصلاة المسجد الحرام في أي مكان كان براً أو بحراً.

وقوله ﴿وانه للحق من ربك﴾ أي هذا التولي وهو التوجه إلى البيت، وفي قوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ إخبار عن إحاطة علمه بأفعال العباد وذلك دليل على مجازاتهم عليها.

[شطره: تلقاءه]

ش / أخرجه ابن جرير عن أبي العالية والربيع بن أنس.

٢٠ - حدثنا موسى بن إسماعيل^(١) حدثنا عبدالعزيز بن مسلم^(٢) حدثنا

عبدالله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: بينا الناس في الصبح بقاء إذ جاءهم رجل فقال: أنزل الليلة قران فأمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا كهيتهم فوجهوا إلى الكعبة وكان وجه الناس إلى الشام.

ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر.

(١) أبو سلمة موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي مشهور بكنته واسمه ثقة ثبت من صغار التاسعة ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه، مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين. (ع).

(٢) أبو زيد عبدالعزيز بن مسلم القسملبي المروزي ثم البصري ثقة عابد، ربما وهم، من السابعة مات سنة سبع وستين مائة (خ. م. د. ت. س).

٢٢ - [باب ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره... إلى قوله : ولعلكم تهتدون﴾].
ش / تمامها ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمي عليكم ولعلكم تهتدون﴾.

الآية تأكيد لما سبق من أمر التوجه في الصلاة إلى المسجد الحرام وذلك للاهتمام به وفي قوله ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ خطاب للأمة بعد خطاب نبيها ﷺ. لتأكيد تبعيتها له وقوله ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾.
قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/١١٣): «أي شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركون فإنه لو بقي مستقبلاً لبيت المقدس لتوجهت عليه الحجة فإن أهل الكتاب يجردون في كتابهم أن قبلته المستقرة هي الكعبة البيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم هذا البيت العظيم وأنه من ملة إبراهيم وأنه إذا لم يستقبله محمد ﷺ توجهت نحوه حججهم وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم وهو من ذريته وقد ترك استقبال قبلته فباستقبال القبلة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركون وانقطعت حججهم عليه ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم فهذا لا سبيل إلى اقناعه والاحتجاج عليه وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها ولا يلقي لها بال فلهذا قال تعالى ﴿فلا تخشوهم﴾ لأن حججهم باطلة والباطل كاسمه مخذول صاحبه وهذا بخلاف صاحب الحق فإن للحق صولة وعزة يوجب خشية من هو معه وأمر تعالى بخشيته التي هي رأس كل خير فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته ولم يمثل أمره.

كان صرف المسلمين إلى الكعبة مما حصلت فيه فتنة كبيرة أشاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون وأكثرها فيها الكلام والشبه فلهذا بسطها الله

تعالى وبينها أكمل بيان وأكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات.. إلى أن قال: ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة نعمة عظيمة وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته لم يزل يتزايد وكلما شرع لهم شريعة فهي نعمة عظيمة قال ﴿وَلَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ فأصل النعمة الهداية لدينه بإرسال رسوله وإنزال كتابه ثم بعد ذلك النعم المتممات لهذا الأصل لاتعد كثرة ولا تحصر منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم وأعطى أمته ما أتم به نعمته عليه وعليهم وأنزل الله عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فله الحمد على فضله الذي لا يبلغ له عدلاً فضلاً عن القيام بشكره ﴿ولعلكم تهتدون﴾ أي تعلمون الحق وتعملون به.

٢١ - حدثنا قتيبة بن سعيد^(١) عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر، قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى القبلة (الكعبة).
ش / تقدم ضمن الباب الرابع عشر

(١) أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي البغلاني ثقة ثبت، من العاشرة مات سنة أربعين وميتين عن تسعين سنة (ع).

٢٣ - [باب قوله: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾].

ش / قلت: الصفا في الأصل الحجر الأملس قال في المصباح مادة: صفو، «والصفا مقصور الحجارة ويقال الحجارة الملّس الواحدة صفاة مثل حصى وحصاة» وقال في مادة مرو، المرو: «الحجارة البيض الواحدة مروة وسمي بالواحدة الجبل المعروف بمكة».

والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة والمعنى أن الله سبحانه وتعالى جعل الصفا والمروة من علامات النسك التي شرعها لعباده وأنه لا أثم على من أتى البيت حاجاً أو معتمراً أن يسعى بين ذينك الموضعين وقوله ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ اختلف أهل التفسير في المراد به، والراجح عندي أن من فعل تطوعاً وهو ما زاد على الفرائض من نوافل العبادات.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فيه اتصاف الرب جل وعلا بالشكر لمن فعل خيراً من عباده كما يليق بجلاله وهو دليل على إثابته أهل طاعته.

قال ابن كثير: «(أي يثيب على القليل بالكثير، عليم بقدر الجزاء فلا يبخل أحداً ثوابه لا يظلم مثقال ذرة) ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَافِعْهَا وَيُؤْتِيْ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾».

شرح جملة من الاثار والكلمات :

١ - [شعائر: علامات واحدها شعيرة].

ش / قاله أبو عبيدة عدا علامات.

٢ - [وقال ابن عباس الصفوان: الحجر].

ش / اخرج ابن جرير قال حدثني المثني حدثنا أبو صالح حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

٣ - [ويقال الحجارة الملس التي لا تنبت شيئا والواحدة صفوانه. بمعنى الصفا والصفاء للجميع].

ش / قال أبو عبيدة: «الصفوان: جماع ويقال للواحدة صفوانة في معنى الصفاة والصفاء للجميع وهي الحجارة الملس».

وأشار به المصنف إلى قوله ﴿فمثلته كمثله صفوان عليه تراب..﴾. وقد ذكره هنا على سبيل الاستشهاد.

٢٢ - حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة^(١) عن أبيه^(٢) أنه قال. قلت لعائشة زوج النبي ﷺ، وأنا يومئذ حديث السن: رأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

٢٣ - حدثنا محمد بن يوسف^(٣) حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان^(٤)

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي فقيه ثقة ربما دلس من الخامسة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة وله سبع ومئتان سنة (ع).

(٢) أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني ثقة فقيه مشهور من الثالثة مات سنة أربع وتسعين على الصحيح، ومولده في أوائل خلافة عثمان (ع).

(٣) محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفجعي مولا هم القرطبي نزيل قيسارية من ساحل الشام ثقة فاضل يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان، وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبدالرزاق من التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومئتين (ع).

(٤) أبو عبدالرحمن عاصم بن سليمان الأحول البصري، ثقة من الرابعة لم يتكلم فيه سوى القطان، فكأنه بسبب دخوله في الولاية، مات بعد سنة أربعين ومائة (ع).

قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

ش / فيهما تسع مسائل:

الأولى: قوله (قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن) فيه ثلاثة أمور:
أحدها: التصريح بأن عروة هو السائل لعائشة وقد أخرجه المصنف في كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة بلفظ (سألت عائشة).
ثانيها: جملة (وأنا) حالية والمعنى وقت أنا.

ثالثها: في قوله (حديث السن) أي صغير السن ولم أجد تحديدا لذلك ولعله يعني صغر سنه بالنسبة لأهل عصره وهذا دليل على توفير الأصغر للأكابر من أهل العلم والفضل وأخذ العلم عنهم والاستعانة بهم في فهم المشكلات.
الثانية: قوله (أرأيت قول الله تبارك وتعالى) إلى قوله: (فما أرى على أحد شيئا إلا يطوف بهما) أرأيت أي أخبريني ثم أبان ما فهمه من الآية من عدم وجوب الطواف بين الصفا والمروة مستدلا برفع الجناح وهو الاثم عمن طاف بهما.

الثالثة: قوله (كلا لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) كلا حرف نفي والمنفي محذوف أي ليس الأمر كما قلت، وقوله (لو كانت... الخ) بيان المعنى الصحيح للآية كما استدلت على ذلك بسبب نزولها كما سيأتي.

الرابعة: قوله (إنما أنزلت) هذا بيان لسبب نزول الآية، وفيه دليل على أهمية سبب النزول وأنه معين على فهم الآية قال الزركشي في البرهان (٢٢/١):
«وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه تصانيف منهم على ابن

المديني شيخ البخاري، ومن أشهرها تصنيف الواحدي في ذلك وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشميري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا... الخ ما ذكره من الفوائد».

الخامسة: قوله (يهلون لمناة) أي يحجون لمناة، قال ابن إسحاق وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال: علي بن أبي طالب.

السادسة: قوله (حدو قديد) أي مقابلة له، وقديد قرية معروفة بين مكة والمدينة وقد وقع في كتاب الحج بالمشلل.

قلت: والمشلل ثنية مشرفة على قديد، فتكون هذا الرواية مينة لرواية الباب السابعة: قوله: (يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة). قال ابن الأثير (١ / ٣٦١):

«وتخرج فلان إذا فعل فعلا يخرج به من الحرج: الاثم والضيق».

قلت: فمعناه أن الأنصار وجدوا في أنفسهم من الطواف بين الصفا والمروة ضيقا وحرجا خشية أن يشابهوا أهل الجاهلية كما سيأتي توضيحه.

الثامنة: قوله (سألت أنسا) وقد وقع في كتاب الحج من رواية عبد الله بن المبارك عن عاصم قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة).

قلت: ولا تعارض فإن تلك مصرحة بنص السؤال.

التاسعة: قوله (كننا نرى أنهما من أمر الجاهلية) يوضحه ما أخرجه

الواحدي في «أسباب النزول» صفحة (٤٢) فقال: «وقال عمرو بن حبشي سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال: انطلق إلى ابن عباس فسله فإنه أعلم من بقي. مما أنزل الله على محمد ﷺ فاتيته فسألته فقال: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له: إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى: نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا على الوثنيين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية».

فإن قال قائل: هذا الخبر معلق فكيف تورده بيانا لحديث أنس؟

قلت أخرج ابن جرير (٤٥ / ٢) ما تظافر عن السلف من الصحابة والتابعين بمثل ما أخرجه الواحدي معنى وإن اختلفت في اللفظ.

تنبيه:

ظاهر حديث أنس التعارض مع حديث عائشة قبله والجمع بينهما عندي أن كلا الأمرين سبب لنزول الآية، إذ مفادهما تخرج المسلمين من السعي بين الصفا والمروة خشية التشبه بأعمال الجاهلية. والله أعلم.

تنبيه آخر:

أفاد الحديثان وما في معناه من الأوامر مع الآية مشروعية السعي بين الصفا والمروة وقد اختلف أهل العلم هل السعي ركن يبطل الحج بتركه أو واجب يجبر بدم أو سنة.

فالأول: قول عروة ومالك والشافعي وهو رواية عن أحمد.

والثاني: قول أبي حنيفة والحسن والثوري.

والثالث: قول ابن عباس وأنس وهو الرواية الثانية عن أحمد وهو قول

جماعة من أهل العلم. ذكر ذلك ابن قدامة في المغني (٣ / ٤١٠) ورجح أنه

واجب يجبر تركه بدم.

قال مقيده: والصواب عندنا هو القول الأول وبه قال غير من تقدم: عائشة
واسحاق بن راهويه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري، ويؤيده أحاديث كثيرة
منها، قوله ﷺ: (يا أيها الناس إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا) وقوله (خذوا
عني مناسككم) مع ظاهر الآية وحديثي الباب.

٢٤ - [باب قوله ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم

كحب الله﴾]

ش/ تمامها ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾.

جاءت هذه الآية عقب آية ضمنها الحق جل ثناؤه عدداً من الأدلة على وحدانيته وتفرده بالعبادة وعلى الرغم من تلك الأدلة، فقد عمد بعض الناس إلى اتخاذ الأنداد وهم الشركاء وجعلوا لهم من المحبة مثل ما لله عزوجل، وفي معنى قوله تعالى ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ قولان لأهل العلم.

أحدهما: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ من محبة المشركين لله لأن محبتهم للرب خالصة ومحبة المشركين مشتركة.

ثانيهما: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ من محبة المشركين لأناداهم.

والأول أرجح وأظهر والعلم عند الله تعالى.

وفي الآية دليل على تحريم نوع من أنواع الشرك الأكبر وهو شرك المحبة كصنيع المشركين في تسويتهم أندادهم في المحبة بالله.

فائدة: قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير

العزیز الحمید صفحة (٤٦٧): «واعلم أن المحبة قسمان مشتركٌ وخاص، فالمشرك

ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء ونحو ذلك، وهذه

لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل وهذه أيضاً لا

تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أنس وإلف وهي محبة المشركين في صناعة أو علم أو مرافقة

أو تجارة أو سفر بعضهم بعضاً وكمحبة الأخوة بعضهم بعضاً فهذه الأنواع الثلاثة

التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل وكان يحب نساءه وعائشة أحبهن إليه وكان يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه.

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً كما حقه ابن القيم وهي التي سوى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها، انتهى محل الغرض.

وفي معنى قوله ﴿ولو يرى الذين ظلموا... الخ﴾ قال ابن جرير بعد ترجيحة قراءة ﴿ولو ترى﴾ بالتاء الفوقية وإنما عني تعالى ذكره بقوله ﴿ولو ترى﴾ الذي ظلموا﴾ ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم فاتخذوا من دوني أنداداً يحبونهم كحبكم إياي حين يعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم لعلمتم أن القوة كلها لي دون الانداد والآلهة، وأن الانداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئاً ولا تدفع عنهم عذاباً أحللت بهم وأيقنتم أن شديد عذابي لمن كفر بي وادعى معي إلهاً غيري».

[يعني أضداداً واحداً: ند]

ش / قاله أبو عبيدة وزاد قال حسان:

اتهجوه ولست له بند
فشركم خير كما الفداء

٢٤ - حدثنا عبدان^(١) عن أبي حمزة^(٢) عن الأعمش، عن شقيق، عن

(١) عبدان هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي المروزي لقبه عبدان ثقة حافظ من العاشرة مات سنة إحدى وعشرين ومئتين في شعبان (خ، م، د، ت، س).

(٢) أبو حمزة محمد بن ميمون المروزي السكري، ثقة فاضل، من السابعة مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة (ع).

عبدالله قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أخرى: قال النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار)، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداءً دخل الجنة.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله (عن عبدالله) قلت هو عبدالله بن مسعود الصحابي المعروف.

الثانية: قوله (قال النبي ﷺ كلمة) قوله كلمة أي مقولة ولم يرد به الكلمة التي هي مفرد الكلمة، وإطلاق هذا سائغ وفصيح في العربية. قال ابن مالك:
وكلمة بها كلام قد يؤم
.....

والمعنى أن لفظ الكلمة يقصد به كثيراً جمل من الكلام ولذلك شواهد من القرآن والسنة قال تعالى: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالح فيما تركت. كلا إنها كلمة هو قائلها...﴾.

فقد سمى جل ثناؤه الجميع كلمة، وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه... الحديث) ووجه الدلالة تسميته ما تضمنه الحديث من جمل كلمات.

الثالثة: قوله (وقلت أخرى) أي كلمة أخرى اكتفى بالصفة دون الموصوف لدلالة الكلام على ذلك وقد بين الكلمتين بما يأتي بعد.

الرابعة: قوله (من مات وهو يدعو من دون الله نداءً الدعاء السؤال ويشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة. فالأول: سؤال الداعي ما يحتاجه من جلب نفع وكشف ضرر، والثاني: هو التبعيد والتقرب بالسؤال وكلا النوعين محض حق الله ومن صرف شيئاً منهما لغير الله فإنه مشرك كافر قال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾

فقد سمي الداعي مع الله غيره كافراً وتوعده بعدم الفلاح، وقال في موضع آخر: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ فقد سمي دعاء غير الله في هذه الآية ظلماً كما سماه هناك كافراً، والآيات في الباب أكثر من أن تحصر والحديث صريح في الدلالة على الخلود في النار لمن مات على الشرك وهو نظير قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

الخامسة: قوله: (وقلت أنا من مات وهو لا يدعو الله نداً دخل الجنة) قلت: لا يخفى أن هذا القول موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه وهو صحيح لأمرين أولهما دلالة ما تواتر عن النبي ﷺ في ذلك ومنها ما أخرجه الشيخان عن عيادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار. قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم على هذه الأحاديث وما في معناها. باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

قلت: فهذه الأحاديث وما في معناها واضحة الدلالة على ذلك.

وثاني الأمرين: إجماع أهل السنة والجماعة على أن عاصي الموحدين لا يسلب الإيمان بالكلية في الدنيا ما لم يستحل ما علم تحريمه من الدين بالضرورة، أو أنكر واجباً معلوماً من الدين بالضرورة، وإن مات على ذلك فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وإن عذبه لم يخلده في النار قال الإمام أحمد في أصول السنة (٦٠) «ومن مات من أهل القبلة موحداً صلى عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولا نترك الصلاة عليه لذنب أصغيراً كان أو كبيراً أمره إلى الله تعالى».

٢٥- [باب ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر... إلى قوله: عذاب أليم﴾].

ش / تمامها ﴿والعبد بالعبد والأنتى بالأنتى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾.

هذه آية عظيمة وفيها أحكام هامة وذلك لأنها من الأصول في العبادات والمعاملات، وإليك تفصيلها بادئين بسبب نزول الآية:

أخرج ابن جرير (١٠٣/٢) والواحدي صفحة (٤٤):

«عن قتادة والشعبي وغيرهما من المفسرين أنه كان بين حيين من العرب قتال وكان لأحدهما طول على الآخر فقالوا: لا نقتل بالعبد منا إلا الحر منهم ولا بالأنتى منا إلا الذكر منهم فنزلت».

قلت: فالآية إذن دالة بعمومها على أن المساواة في النوع بين الجاني والجاني عليه من شروط القصاص فإذا تقرر هذا وتبين لك من خلال سبب النزول أن الحق جل وعلا أراد بهذه الآية ما كان من تطاول أحد الحيين على الآخر في القصاص فاعلم أنه لا معارضة بين آية البقرة هذه وآية المائدة ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس... الآية﴾ فتلك محمولة في استيفاء القصاص على هذه ولكن يخص من هذا العموم أصناف لا يقاد أحدها بالآخر منها: الأول: المسلم بالكافر. لما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا يقتل مسلم بكافر. ولقوله تعالى: في آية المائدة السابقة ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾. ووجه الدلالة أنه لا صدقة من كافر يكفر بها عنه إذ جميع أعماله حابطة بالكفر. الثاني: لا يقتل الحر بالعبد وهو مذهب الجمهور ومن أدلتهم أن أطراف العبد فيها القيمة لا القصاص، وأما حديث سمرة أن رسول الله ﷺ قال: من قتل عبده قتلناه. أخرجه أبو داود وغيره فمعلول بتدليس الحسن رحمه الله .

ثانياً: في الآية دليل على أن القصاص في النفس هو الأصل إذ بدأ الله به، ولا ينزل عنه إلى الدية إلا بعفو الولي عنه وقبوله الدية، وفي قوله تعالى ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ بيان لكيفية القصاص في القتل وفي قوله ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾.

ثلاثة أمور:

أولها: الترغيب في العفو عن الجاني من القصاص إلى الدية يوضحه قوله تعالى ﴿إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾ وقوله ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾.

ثانيها: حسن المطالبة من الولي وحسن الأداء من الجاني وذلك بالألّا يكون من الأول أذى في الاقتضاء ولا مماثلة من الثاني في الأداء.

ثالثها: تسمية القاتل أحمًا للمقتول فيه شاهد للمذهب الحق وهو أن المسلم لا يكفر بالكبيرة ما لم يستحلها ونظير هذا في قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ ووجه الدلالة تسمية الله سبحانه وتعالى كلتا الطائفتين الباغية والمبغى عليها مؤمنة.

وقوله ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ امتنان على هذه الأمة بما شرعه لها من جواز قبول ولي الدم الدية والعفو عن القصاص كما يوضحه حديث ابن عباس الآتي:

وقوله ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ يعني أن من قتل الجاني بعد أخذه الدية فله العذاب المؤلم الموجه وهو في الدنيا بالقتل وفي الآخرة النار والعياذ بالله.

[عفي: ترك]

ش / قاله أبو عبيدة.

٢٥ - حدثنا الحميدي^(١) حدثنا سفيان حدثنا عمرو^(٢) قال سمعت مجاهدًا^(٣) قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال الله تعالى هذه الأمة ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى. فمن عفي له من أخيه شيء﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾.

يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ قتل بعد قبول الدية.

٢٦ - حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري^(٤) حدثنا حميد أن أنسًا حدثه عن النبي ﷺ قال: كتاب الله القصاص.

٢٧ - حدثنا عبدالله بن منير سمع عبدالله بن بكر السهمي^(٥) حدثنا حميد عن أنس أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الإرش فأبوا فاتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يارسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا

(١) أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي المكي ثقة حافظ فقيه أجل أصحاب ابن عيينة قال الحاكم كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره من العاشرة، مات بمكة سنة تسع عشرة وميتين وقيل بعدها (خ، م، د، ت، س، ف).

(٢) أبو محمد عمرو بن دينار الأثرم الجمحي مولاهم المكي، ثقة ثبت، من الرابعة (ع).
(٣) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي ثقة، إمام في التفسير والعلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة (ع).
(٤) محمد بن عبدالله بن المثني بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي، ثقة من التاسعة، مات سنة خمس عشرة وميتين (ع).

(٥) أبو وهب عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي البصري نزيل بغداد، ثقة امتنع من القضاء، مات في المحرم سنة ثمان وميتين (ع).

والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنايتها فقال رسول الله ﷺ: يا أنس كتاب الله القصاص. فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله ﷺ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

ش / في ههنا مسألتان:

الأولى: قوله (كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية إلى قوله... وقال الله تعالى هذه الأمة ﴿كتب عليكم القصاص...﴾ الآية.

فيه أمران: الأول: أن قبول الدية في القتل بدلاً من القصاص من خصائص هذه الأمة بنص الآية المترجم عليها ويدل له أيضاً قوله ﷺ: (ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودي وإما أن يقاد) أخرجه المصنف في الديات.

فإن قال قائل: كتب في الآية بمعنى فرض وعليه فالقصاص واجب.

قلنا: جوابك من وجهين.

إحدهما: ما قاله أهل العلم من أن معنى ﴿كتب﴾ في الآية هو بمعنى فرض نظير قول القائل: إذا أردت الصلاة كتبت عليك الطهارة وإذا أردت الصيام كتبت عليك النية وليس معناه كما تصورت أن القصاص واجب لا يسوغ تركه والعدول عنه.

الوجه الثاني: ما قدمناه من قوله ﷺ: (ومن قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين).

الأمر الثاني: أنه لم يكن في بني إسرائيل في القتل عمداً إلا القصاص يدل له قوله تعالى ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ يوضحه قوله (فيها) وذلك أن مرجع الضمير إلى التوراة في الآية قبلها.

المسألة الثانية: قوله ﴿فمن عفي له من أخيه... الخ﴾ تقدم شرحه في الآية. ويأتي الكلام على بقية الأحاديث في تفسير سورة المائدة ضمن الباب الثالث عشر بعد المائة.

٢٦- [باب ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾].
ش / في الآية الكريمة ثلاثة أمور.

أولها: فرضية الصيام على هذه الأمة وهو هنا مجمل بينه بقوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن...﴾ وقد تواترت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ بأن صيام رمضان واجب على كل مسلم وأجمع المسلمون على كفر من ترك صيام رمضان جاحداً لوجوبه إذا كان عالماً بذلك.
وثانيها: أن فرضية الصيام لم تكن من خصائص هذه الأمة بل عامة في جميع الأمم.

وثالثها: أن الصيام سبب لتقوى الله جل وعلا وذلك ما أبانه بقوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ وقد جاءت السنة المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ قال الله عز وجل: ﴿كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام حنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يؤمئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه). فقد اتفق الحديث مع الآية على أن الحكمة من فرضية الصيام هي الرقابة من ارتكاب ما نهى الله عنه من قبيح الأقوال والأفعال.

واعلم أن للصيام فوائد جمّة، وقد ذكر الشيخ ابن سعدي (١٤٣/١) جملة منها بقوله: «فمما اشتمل عليه من التقوى أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقرباً بذلك إلى الله راجياً بتركها ثوابه فهذا من التقوى، ومنها أن الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها أن الصيام يضيق بحاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف

نفوذه وتقل منه المعاصي ومنها أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات من خصال التقوى، ومنها أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين وهذا من خصال التقوى».

٢٨ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله^(١) قال: أخبرني نافع^(٢) عن

ابن عمر رضي الله عنهما قال كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان قال: (من شاء صامه ومن شاء لم يصمه).

٢٩ - حدثنا عبد الله^(٣) بن محمد حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عروة

عن عائشة رضي الله عنها كان عاشوراء يصام قبل رمضان فلما نزل رمضان قال: (من شاء صام ومن شاء أفطر).

٣٠ - حدثني محمود^(٤) أخبرنا عبيد الله^(٥) عن إسرائيل^(٦) عن منصور

عن إبراهيم^(٧) عن علقمة^(٨) عن عبد الله قال: دخل عليه الأشعث وهو يطعم.

(١) أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ثقة ثبت من الخامسة مات سنة بضع وأربعين ومائة (ع).

(٢) أبو عبد الله المدني مولى ابن عمر ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك (ع).

(٣) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي البخاري المعروف بالمسندي ثقة حافظ جمع المسند من العاشرة مات سنة تسع وعشرين ومئتين (خ، ت).

(٤) أبو أحمد محمود بن غيلان العدوي مولاهم المروزي نزيل بغداد ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين، وقيل بعد ذلك (خ، م، ت، س، ق).

(٥) أبو محمد عبيد الله بن موسى بن باذام العبسي الكوفي، ثقة كان يتشيع، من التاسعة، قال أبو حاتم كان أثبت في إسرائيل من نعيم، واستصغر في سفيان الثوري، مات سنة ثلاث عشرة، ومئتين على الصحيح (ع).

(٦) أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي، ثقة تكلم فيه بلا حجة من السابعة، مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها (ع).

(٧) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيرا من الخامسة، مات سنة ست وتسعين ومائة وهو ابن خمسين أو نحوها (ع).

(٨) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ثقة ثبت فقيه عابد من الثانية، مات بعد الستين وقيل بعد السبعين. (ع).

فقال: اليوم عاشوراء؟ فقال: كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادن فكل.

٣١ - حدثني محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه.

ش / فيها أربع مسائل:

الأولى: أمر النبي ﷺ الناس بصيام عاشوراء وهو العاشر من شهر محرم قبل فرض رمضان. وهل ذلك الأمر للوجوب أو الاستحباب؟ فالأول مروى عن الإمام أحمد كما جاء في المغني (٤/٤٤٢) ورجحه الحافظ في الفتح (٤/٢٤٧) فقال: «ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنه كان واجباً لثبوت الأمر بصومه ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمر من أكل بالإمساك ثم زيادته بأمر الأمهات ألا يرضعن فيه الأطفال ويقول ابن مسعود الثابت في صحيح مسلم: لما فرض رمضان ترك عاشوراء» انتهى محل الغرض.

قال مقبده: فإن قال قائل: كيف تصنع بما رواه البخاري عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر).

قلنا: الجواب عن هذا الحديث له عدة أوجه:

منها: أنه لم يكتب عليكم صيامه الآن يعني بعد فرض رمضان.

ومنها: أنه مرجوح بالأوامر الصريحة بصيام عاشوراء قبل رمضان ومن تلك الأوامر ما رواه البخاري في الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض

رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر.

ومنها: ما رواه أبو داود في كتاب الصيام، باب (في فضل صومه - يعني عاشوراء) عن عبدالرحمن بن سلمة عن عمه أن أسلم أتت النبي ﷺ فقال: (صمتم يومكم هذا؟) قالوا: لا. قال (فأتموا بقية يومكم واقضوه).

قال أبو داود يعني يوم عاشوراء.

قلت: ورواه النسائي في الصيام من الكبرى (باب صيام يوم عاشوراء) دون الجملة الأخيرة.

المسألة الثالثة: سنية صيام عاشوراء وهذا يدل عليه ما جاء في الأحاديث الأربعة مجتمعة ومن ذلك: فلما نزل رمضان قال (من شاء صامه ومن شاء أفطره).

الثالثة: قوله (فلما نزل رمضان) أي فرضه نصاً في القرآن بقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

الرابعة: في قول ابن مسعود للأشعث حين دعاه أن يأكل معه وأجبره أن هذا اليوم عاشوراء كان يصام قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل رمضان ترك (فادن فكل) دليل على أمرين:

أحدهما: جواز إخبار المتطوع بعمله لمصلحة راجحة وأن ذلك ليس من الرياء.

ثانيهما: جواز ترك صيام التطوع والافطار وإن مضى شيء من النهار وهذا شاهد القاعدة الفقهية (المتطوع أمير نفسه إلا في الحج والعمرة).

تنبيه:

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ للبخاري قال:

قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا:
هذا يوم صالح . هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فضامه موسى
قال: فأنا أحق بموسى منكم... الحديث.
فالجمع بين هذا الحديث وأحاديث الباب أن عاشوراء كانت تصومه اليهود
لما ذكر في الحديث، وكان يصومه أهل الجاهلية تبعاً لليهود لأنهم أصحاب كتاب
والله أعلم.

٢٧- [باب قوله ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾].
ش / فيها أربع مسائل:

الأولى : قوله ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام على وزن أفعال من جموع القلة واحده يوم قال ابن مالك في الألفية:

أفعل أفعله ثم فعله ثم أفعال جموع قلة

وهذا التعبير يشعر بقلة المفروض من الصيام على العباد وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالأيام المَعْدُودَاتِ على قولين حكاهما ابن كثير (١/٢١٩): أحدهما: أنه صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وبه قال معاذ وابن مسعود وابن عباس في آخرين.

ثانيهما: أنه شهر رمضان نفسه وهو قول الحسن والسدي وفيه حديث مرفوع عن ابن عمر عن النبي ﷺ (صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم) أخرجه ابن أبي حاتم وحكاه عنه ابن كثير بإسناده لكن قال الحافظ (١٧٨/٨) فيه مجهول. وذكر له شاهداً عند الترمذي من طريق معقل النسابة ولم يثبت له صحة.

وثاني القولين راجح عندي لأمرين:

الأول: سياق آيات الصيام بدءاً من قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ إلى قوله ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فإنها في صيام رمضان لاسيما قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِيهَا نُنصِرُكَ صَرِيحٌ فِي بَيَانِ الصِّيَامِ الْمَفْرُوضِ، وَالْأَصْلُ أَنَّ النُّصُوصَ عَلَى ظَاهَرِهَا الْمَتَبَادِرُ إِلَى الذَّهْنِ مِنْهَا إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

والثاني: حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق مع شاهده الذي ذكره

الحافظ فإنه فصل النزاع في الخلاف لأن الحديثين يقوي أحدهما الآخر.
المسألة الثانية: قوله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام
 آخر﴾ فيه ثلاثة مطالب:

الأول: قوله ﴿فعدة﴾ الفاء واقعة في جواب شرط محذوف يدل عليه
 السياق تقديره فأفطر، وعليه فالعنى أن المريض والمسافر يباح لهما الفطر وإن
 صاماً أجزأهما وهذا هو مذهب الجمهور ويدل له ما في الصحيح عن جابر رضي
 الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يعني في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يعب
 الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم).

قلت: وعندني أن الفطر في حقهما أفضل لحديث (عليكم برخص الله التي
 رخص لكم) والفطر في حق المريض والمسافر رخصة خلافاً لمذهب أهل الظاهر.
المطلب الثاني: في مقدار المرض الذي يرخص فيه للصائم بالفطر ذهب
 أحمد والجمهور إلى أن المرض المبيح للفطر هو ما تضرر به الصائم وذهب عطاء
 كما ذكره المصنف وأهل الظاهر إلى أن مجرد المرض مبيح للفطر وأول القولين
 أرجح لأن إباحة الفطر للمريض دفع المشقة عنه وذلك لا يتحقق إلا بمعرض
 يتضرر منه وأما المرض الخفيف فليس في الصيام معه مشقة. والله أعلم.

المطلب الثالث: اختلف الفقهاء في تحديد عدة الأيام الأخر التي أذن الله
 للمريض والمسافر للقضاء فيها فذهب أحمد والشافعي ومالك والجمهور من
 الصحابة والتابعين إلى أن من أخر القضاء مفرطاً حتى يدركه رمضان الآخر فإن
 عليه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم محتجين بحديث عائشة رضي الله
 عنها قالت: كان يكون عليّ الصيام من شهر رمضان فما أقضيه حتى يجئ
 شعبان متفق عليه.

قالوا: لأن عائشة رضي الله عنها لم تؤخر إلا إلى ذلك ولو أمكنها لأخرته
 ولأن الصوم عبادة متكررة، فلم يجز تأخير الأولى عن الثانية كالصلوات

المفروضة.

وذهب أبو حنيفة والحسن والنخعي إلى أنه لا فدية عليه، لأنه صيام واجب فلم يجب في تأخيره كفارة. ذكر القولين ابن قدامة في المغني (٤/٤٠٠).

والراجح عندي هو القول الثاني للأدلة التالية:

أولاً: أنه ليس في حديث عائشة سوى إقرار النبي ﷺ إياها على تأخير القضاء إلى شعبان وكونه لم يمكنها التأخير إلى ما بعد يحتاج إلى دليل خارجي ولا دليل على ذلك.

ثانياً: لا دليل على أن النبي ﷺ أنكر على من أخر القضاء عن شعبان.

ثالثاً: العدة في الآية مطلقة والأصل فيما أطلق أنه على إطلاقه حتى يقيده دليل شرعي صحيح ولا مقيد لأطلاق الآية وما ذهب إليه الجمهور رحمهم الله لا يعدو عندي أن يكون اجتهاداً منهم.

المسألة الثالثة: قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين... الآية).

فيه أمران: أولهما: الإخبار عن حال المسلمين أول ما فرض رمضان فإنهم مخبرون فمن شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم. قاله معاذ ورواه المصنف عن سلمة بن الأكوع كما سيأتي.

الثاني: أن من تطوع فزاد في الفدية أو صام فهو الأفضل.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ - [وقال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى]

ش / أخرجه عبدالرزاق في جامعه عن ابن جريج قال: قلت لعطاء من أي وجع يفطر في رمضان؟ قال: منه كله، قلت: يصوم حتى إذا غلب أفطر؟ قال: نعم كما قال الله.

وقد تقدم الكلام عليه.

٢ - [وقال الحسن وإبراهيم في المرض والحامل إذا خافتا على أنفسهما

أو ولدهما تفران ثم تقضيان].

ش / أما قول الحسن فقال: عبد أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن قال: تفران وتقضيان صياماً.

وأما قول إبراهيم فقال عبد حدثنا محمد بن بشر عن سعيد عن أبي معشر عن النخعي قال: الحامل والمرضع إذا خافتا أفطرتا وقضتا مكان ذلك صوماً.

قلت: وبه قال أبو حنيفة والزهري وسعيد بن جبير من غير تفريق بين ما إذا خافت الحامل والمرضع على نفسيهما أو ولديهما فالأولى متفق عليها ولم نجد فيها خلافاً بين أهل العلم وأما الثانية ففيها ثلاثة أقوال:

هذا أحدها. وقال الشافعي في المشهور عنه وهو مذهب أحمد أيضاً وروي عن ابن عمر أن عليهما مع القضاء الكفارة وفرق بينهما الليث فقال: الكفارة على المرضع دون الحامل وهو إحدى الروايتين عن مالك لأن المرضع يمكنها أن تسترضع لولدها. بخلاف الحامل ولأن الحمل متصل بالحامل فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضائها وقول أبي حنيفة ومن وافقه راجح عندنا لما رواه أبو داود في الصيام باب اختيار الفطر. والترمذي في الصيام باب الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع. كلاهما عن أبي هلال الراسي عن عبدالله بن سودة عن أنس بن مالك رجل من بني عبدالله بن كعب أخوة قشير قال: أغارت علينا خيل لرسول الله ﷺ فأنتهيت أو قال، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ وهو يأكل فقال اجلس فأصب من طعامنا هذا فقلت إني صائم قال: اجلس أحدثك عن الصلاة وعن الصيام. إن الله تعالى وضع شطر الصلاة أو نصف الصلاة والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى والله لقد قاهما جميعاً أو أحدهما... الحديث). ورواه النسائي في الصيام باب وضع الصيام عن الحبلى والمرضع، قال أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا مسلم بن إبراهيم عن وهيب بن خالد قال حدثنا عبدالله بن سودة القشيري عن أبيه عن أنس بن مالك... فذكره وفيه: (إن الله عز وجل

وضع للمسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الجبلى والمرضع بالجزم وهذا إسناده رجاله ثقات عدا سودة والد عبد الله، قال الحافظ فيه: صدوق.

٣ - [وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عاماً أو عامين كل يوم مسكينا خبزاً ولحماً وأفطر].

ش / قال عبد أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس بن مالك أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر فأطعم مسكينا كل يوم وقال عبد أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا حميد الطويل عن أنس أنه كان في العام الذي مات فيه لم يستطع أنس أن يصوم رمضان فأطعم ثلاثين مسكينا خبزاً ولحماً وزيادة حفنة أو حفنتين.

قلت: فيه ثلاثة أمور:

أحدها: الرخصة للعجوز والشيخ الكبير إذا كان الصوم يشق عليهما في الفطر مع الإطعام وبه قال: علي وابن عباس في جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو قول أحمد وأبي حنيفة وإحدى الروایتين عن الشافعي. وقال مالك وهو الرواية الثانية عن الشافعي: لا يجب عليه شيء لأنه ترك الصوم لعجزه فلم تجب فدية كما لو تركه لمرض اتصل به الموت ويرجح أول القولين ما رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان عن كل يوم مسكينا. حكى ذلك ابن كثير في تفسيره (٢٢١/١).

الثاني: في كيفية الإطعام فإن أنسا أطعم عن كل يوم مسكينا ويظهر أنه مفرق وهل يجوز جمعه وإخراجه آخر الشهر ظاهر الآية الإطلاق في ذلك وهو على ظاهره حتى يقيد ذلك نص عن النبي ﷺ.

الثالث: في نوع الطعام فقد أطعم أنس كما ترى في الأثر خبزاً ولحماً وهو

من خير طعامه ولا يعارض هذا قوله تعالى في كفارة اليمين من أوسط ما تطعمون أهليكم لأن ما زاد على الفرض وهو الوسط من الطعام تطوع مرغب فيه لقوله تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خيراً له﴾ وهذا العموم شامل للنوع والمقدار.

٤ - [قراءة العامة ﴿يَطِيقُونَهُ﴾ وهو أكثر].

ش / قال ابن جرير: «وأما قراءة من قرأ ذلك (وعلى الذين يطوَّقونه) فقراءة مصاحف أهل الإسلام خلافه، وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثه عن نبيهم ﷺ نقداً ظاهراً قاطعاً للعدر لأن ما جاءت به الحجة من الدين هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله ولا يعترض على ما قد ثبت وقامت به حجة أنه من عند الله بالآراء والظنون والأقوال الشاذة» انتهى.

٣٢ - حدثني إسحاق^(١) أخبرنا روح^(٢) حدثنا زكريا بن إسحاق^(٣) حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء^(٤) سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يُطوَّقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً).

ش / قلت تقدم معناه في الآية والمسائل قبله ولعل إيراد المصنف له هنا مشعر باختياره.

(١) أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنضلي ابن راهوية المروزي ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته ببسبب مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين. وله اثنتان وسبعون سنة (خ، م، د، ت، س).

(٢) أبو محمد روح بن عباد بن العلاء بن حسان القيسي، البصري ثقة فاضل له تصانيف من التاسعة مات سنة خمس أو سبع ومئتين (ع).

(٣) زكريا بن إسحاق المكي ثقة رمي بالقدر من السادسة (ع).

(٤) عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح: أسلم، القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من الثالثة. مات سنة أربع عشرة ومائة على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة، ولم يكتر ذلك منه (ع).

٢٨- [باب ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾].

ش / قلت الآية ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

قلت: في هذه الآية بيان الصيام الذي افترضه الله على عباده وكان أجمله في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ وتتضمن خمسة أمور: أولاً: أن الشهر المراد من العباد صيامه وهو واجب عليهم شهر رمضان والشهر فيما قيل أصله من الشهره يقال منه قد شهر فلان سيفه إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد ضربه يشهره شهراً وكذلك شهر الشهر إذا طلع هلاله وأشهرنا نحن إذا دخلنا في الشهر، ورمضان فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض فيه الفصال كما يقال للشهر الذي يحج فيه ذو الحجة والذي يرتبع فيه ربيع الأول وربيع الآخر، قاله ابن جرير.

ثانياً: ماختص به هذا الشهر من الفضائل وهي إنزال القرآن فيه على محمد ﷺ وكان أول إنزاله في ليلة القدر كما قال تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ثم بين جل وعلا أن الحكمة في إنزال هذا القرآن ﴿هدى للناس﴾ أي إرشاداً للناس إلى سبيل الحق وقصد المنهج، وقوله ﴿بينات من الهدى﴾ يعني واضحات من الهدى يعني من البينات الدالة على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه، وقوله ﴿والفرقان﴾ يعني والفصل بين الحق والباطل والهدى والضلال والكفر والإيمان.

ثالثاً: ومعنى ﴿شهد﴾ أي حضر والمعنى أن من أدركه شهر رمضان وهو مقيم صحيح فقد وجب عليه الصوم ومفهوم ذلك أنه لا يجب على المسافر والمريض كما تقدم ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾.

رابعاً: ثم بين جل ثناؤه الحكمة من وجوب الصوم على المقيم الصحيح

فقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي عدة ما افترض الله عليكم من الشهر من غير مشقة ﴿وَلِتُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي لتعظموه وتوقروه على ما يسر لكم من سبل الهداية، ومنها صيام شهر رمضان الذي أجل النعم فيه إنزال القرآن.

خامساً: قوله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لتشكروه على نعمه التي لا تحصى ومنها تيسير شرعه كله ومن ذلك صيام رمضان فإنه شهر واحد في العام والصوم فيه من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس

٣٣ - حدثنا عياش بن الوليد^(١) حدثنا عبد الأعلى^(٢) حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿فدية طعام مساكين﴾ قال هي منسوخة.

٣٤ - حدثنا قتيبة حدثنا بكر بن مضر^(٣) عن عمرو بن الحارث^(٤) عن بكير بن عبد الله^(٥) عن يزيد^(٦) مولى سلمة بن الأكوع^(٧) عن سلمة قال: لما نزلت ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾ كان من أراد أن يفطر

(١) أبو الوليد عياش بن الوليد الرقاص البصري ثقة من العاشرة، مات سنة ست وعشرين وميتين (خ، د، س).

(٢) أبو أيوب عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قديماً قبل الخمسين ومائة (ع). أبو محمد عبد الأعلى البصري السامي وكان يعضب إذا قيل له: أبو همام، ثقة من الثامنة، مات سنة تسع وثمانين ومائة (ع).

(٣) أبو محمد أو أبو عبد الملك بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري ثقة ثبت من الثامنة مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومائة وله نيف وسبعون سنة (خ، م، د، ق، س).

(٤) أبو أيوب عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قديماً قبل الخمسين ومائة (ع).

(٥) أبو عبد الله أو أبو يوسف بكير بن عبد الله بن الأشج مولى بني مخزوم المدني نزيل مصر ثقة من الخامسة مات سنة عشرين ومائة وقيل بعدها (ع).

(٦) يزيد بن أبي عبيد الأسلمي مولى سلمة بن الأكوع ثقة من الرابعة مات سنة بضع وأربعين (ع).

(٧) أبو ملم أو أبو إياس سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي شهد بيعة الرضوان مات سنة أربع وسبعين. (ع).

ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

قال أبو عبدالله: مات بكير قبل يزيد.

ش / فيهما ثلاث مسائل.

الأولى: قوله ﴿فدية طعام مساكين﴾ قرأ نافع وابن ذكوان ﴿فدية طعام﴾

بالإضافة، وقرأ الباقر بالتونين في فدية ويرفع الطعام وقرأ نافع وابن عامر ﴿مساكين﴾ بالجمع وقرأ الباقر بالتوحيد منوناً مخفوضاً بالإضافة حكاه مكّي (٢٨٢/١).

الثانية: اتفق الأثران على أن آية فمن شهد منكم الشهر ناسخة لقوله

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ ويمكن الجمع بينهما وبين خبر ابن عباس في الباب قبله، قال «ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً».

بأن المنسوخ التخيير بين الصيام والافطار مع الاطعام كما نص عليه أثر

سلمة.

الثالثة: قوله (قال أبو عبدالله) هو المصنف وثبت هذا الكلام في رواية

المستملي وحده .

قوله (مات بكير قبل يزيد) أي مات بكير بن عبدالله بن الأشج الراوي

عن يزيد وهو ابن أبي عبيد قبل شيخه يزيد وكانت وفاته سنة عشرين ومائة وقيل قبلها أو بعدها، ومات يزيد سنة ست أو سبع وأربعين ومائة.

٢٩- [باب ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس هن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾].

ش / قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره:

«كان في أول فرض الصيام يحرم على المسلمين الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم فحصلت المشقة لبعضهم فخفف الله تعالى عنهم ذلك وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع سواء نام أو لم ينم لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به ﴿فتاب عليكم﴾ بأن وسع لكم أمراً كان لولا توسعته موجباً للآثم ﴿وعفا عنكم﴾ ما سلف من التخون ﴿فالآن﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿باشروهن﴾ وطأً وقبلة ولساً وغير ذلك ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي أنووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقريب إلى الله تعالى والمقصود الأعظم من الوطاء وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته وحصول مقاصد النكاح، ومما رتب الله لكم ليلة القدر الموافقة لليالي صيام رمضان فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها فاللذة مدركة وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك».

قلت: وما قرره الشيخ من أنه كان أول فرض الصيام يحرم على المسلمين الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم، وأن هذه الآية كانت تخفيفاً عليهم في إباحة ذلك في الليل قد سبقه إليه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقال: «هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة».

قال مقيده: وهذه هو الحق إن شاء الله تعالى ويدل له أمران:

أحدهما: قوله في الآية ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴿ووجه الاستدلال أنه أمر بفعل ما كان محرماً عليهم قبل.

وثانيهما: سبب نزول الآية كما سيأتي وإن قال أحد: عرفونا الحاضر كما عرفتمونا ناسخه فيما تزعمون؟ قلنا: لم نقف على أمر سوى ما ذكرنا وهو مستفاد من قوله أول الآية ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ الآية ﴿ وهذا كاف في الدلالة على ما ذهبنا إليه، إذ هو بيان القرآن بالقرآن وسنة النبي ﷺ.

٣٥ - حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء وحدثنا أحمد بن عثمان^(١) حدثنا شريح بن سلمة^(٢) حدثني إبراهيم بن يوسف^(٣) عن أبيه^(٤) عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾.

ش / قلت كذا أخرجه الشيخ هنا مختصراً وقد أخرجه في الصيام باب قوله ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ...﴾ الآية ﴿ بإسناد حديث الباب مطولاً ولفظه: (كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما

(١) أبو عبد الله أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي الكوفي ثقة من الحادية عشرة مات سنة احدى وستين ومئتين (خ، م، س، ق).

(٢) شريح بن سلمة التنوخي الكوفي صدوق من قدماء العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين (خ، س).

(٣) إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، صدوق يهيم من السابعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة (خ، م، د، س، ق).

(٤) يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي وقد ينسب لجلده ثقة من السابعة مات سنة سبع وخمسين ومائة (ع).

حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام قالت: لا ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً... الحديث).

قلت: وأخرجه أيضاً الترمذي في التفسير باب ومن سورة البقرة عن عبدالله بن حميد حدثنا عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بنحوه.

قال مقيده: فتبين بهذا السبب الذي من أجله نزلت الآية نسخ لما كان محرماً ليلة الصيام من قبل وفيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله (لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله).
قلت: يزيل الإشكال ويوضح المراد قوله في الرواية المتقدمة من كتاب الصيام (كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي).

الثانية: قوله (وكان رجال يخونون أنفسهم) روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله جل ذكره ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى النساء والطعام﴾ وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم إن ناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

قلت: فهذا نص صريح في بيان عموم خيانة القوم أنفسهم بإصابة ما كان محضوراً عليهم بعد الوقت المحدد لهم.

الثالثة: قوله ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ أي ما قارفت من خيانتكم أنفسكم وكان موجبا للائم لو لا فضل الله عليكم ورحمته.

٣٠- [باب ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد... إلى قوله: لعلمهم يتقون﴾].

ش / تمامها ﴿... تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلمهم يتقون﴾ فيما ذكره الشيخ من الآية خمسة أمور.

الأول: تحديد الأكل والشرب وما قبله وهو الرفث إلى النساء بتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ومعناه انبلاج نور النهار عن ظلمة الليل.

الثاني: الأمر باتمام الصيام إلى الليل وهو غروب الشمس.

الثالث: النهي عن مباشرة الأزواج حال الاعتكاف في المساجد. واعلم أن المراد بالمباشرة ما كان للاستمتاع والتلذذ.

الرابع: في قوله ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ قال ابن جرير: «يعني تعالى ذكره بذلك هذه الأشياء التي يبتنها من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهائياً في غير عذر وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد، يقول هذه الأشياء حددتها لكم وأمرتكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها وحرمتها فيها عليكم فلا تقربوها وأبعدوا منها أن تركبوها فتستحقوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدي حدودي وسالف أمري وركب معاصي».

قلت: هذا التفسير أولى من تفسير من قصر حدود الله في الآية على أنه مباشرة الأزواج في الاعتكاف، وذلك لموافقته ظاهراً للعموم في الآية.

الخامس: في قوله: ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلمهم يتقون﴾.

قال ابن كثير: «أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿لنناس لعلمهم يتقون﴾ أي يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون كما قال تعالى ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف

رحيم ﴿العاكف: المقيم﴾.

قاله أبو عبيدة في تفسير سورة الحج: «والآية المشار إليها هي الخامسة والعشرون من سورة الحج».

٣٦ - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة^(١) عن حصين^(٢) عن الشعبي^(٣) عن عدي^(٤) قال أخذ عدي عقلاً أبيض وعقلاً أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيننا فلما أصبح قال: يا رسول الله: جعلت تحت وصادي، قال: إن وصادك إذن لعريض. أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وصادتك؟.

٣٧ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن مطرف^(٥) عن الشعبي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ثم قال: لا بل هو سواد الليل وبياض النهار.

٣٨ - حدثنا ابن أبي مريم حدثنا أبو غسان^(٦) محمد بن مطرف حدثني

(١) أبو عوانة وضاح اليشكري الواسطي البزار مشهور بكنيته، ثقة ثبت من السابعة مات سنة خمس أو ست وسبعين ومئتين (ع).

(٢) حصين هو أبو المنذر حصين بن عبدالرحمن السلمى الكوفي ثقة تغير حفظه في الآخر من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون (ع).

(٣) الشعبي أبو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة، قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة (ع).

(٤) أبو طريف عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي صحابي شهير وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين (ع).

(٥) أبو بكر أو أبو عبدالرحمن مطرف بن الطريف الكوفي، ثقة فاضل من صفار السادسة مات سنة إحدى وأربعين ومائة أو بعد ذلك (ع).

(٦) محمد بن مطرف بن داود الليثي المدني نزيل عسقلان ثقة من السابعة مات بعد الستين ومئتين (ع).

أبو حازم^(١) عن سهل بن سعد^(٢) قال أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾، ولم ينزل من الفجر، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعده ﴿من الفجر﴾ فعلموا إنما يعني الليل من النهار.

ش / فيها تسع مسائل:

الأولى قوله (أخذ عدي عقلاً أبيضاً وعقالاً أسوداً) أخرجه المصنف في الصيام باب قوله الله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ من رواية هشيم بلفظ (لما نزلت) حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض والمعنى واحد، والعقال هو ما يربط به البعير من الحبال.

الثانية: قوله: (حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبيناً) في رواية هشيم المتقدمة (فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي) وهي مفسرة لرواية الباب.

وقوله (يستبيناً) أي لم يتميز لي ذانك العقالان.

الثالثة: قوله (فلما أصبح قال: يا رسول الله جعلت تحت وسادي) وفي رواية هشيم (فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك) والمعنى أنه ذكر للنبي ﷺ قصته مستفسراً كما يدل له في الحديث الآتي (قلت يا رسول الله ما الخيط البيض من الخيط الأسود. هما الخيطان؟)

الرابعة: قوله (إن وسادك إذن لعريض أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك؟) في الحديث الثاني (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين).

(١) سلمة بن دينار الأعرج الأقرع التمار المدني القاص مولى الأسود بن سفيان ثقة عابد من الخامسة مات في خلافة المنصور (ع).

(٢) أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي له ولأبيه صحبة مشهور مات سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها وقد جاوز المائة (ع).

قال الخطابي في المعالم (٢٣٢/٣):

«فيه قولان: أحدهما: يريد أن نومك لكثير وكنتى بالوساد عن النوم إذ كان النائم يتوسده أو يكون أراد إن ليلك إذن لطويل إذ كنت لا تمسك عن الأكل والشرب حتى يتبين لك سواد العقال من بياضه. والقول الآخر، إنه كنى بالوساد عن الموضوع الذي يضعه من راسه وعنقه على الوسادة إذا نام، والعرب تقول: فلان عريض القفا إذا كانت فيه غباوة وغفلة».

الخامسة: قوله (ماخيظ الأبيض من الخيظ الأسود، أهما الخيطان؟) الخيطان تشية خيظ وهو السلك الذي يخاط به كما يطلق على الرفيع من الحبال. السادسة: قوله (لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار) (لا) حرف نفي و(بل) للاضراب وهو أي ما سألت عنه، والمعنى ليس الأمر كما تصورت؛ بل المراد بالخيطين بياض النهار وسواد الليل كما يوضحه قوله في رواية هشيم (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار) والعرب تسمى بياض الصبح أول ما يبدو خيظه، قال النابغة:

فلما تبدت سدفة ولاح من الصبح خيظ أنارا

قلت: فذلك لأنه أول ما يبدو الفجر ممتداً كالخيظ.

السابعة: قوله (أنزلت ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيظ الأبيض من الخيظ الأسود﴾) كذا هنا بالبناء للمفعول وعند النسائي في التفسير نزلت. قلت: فالمنزل هو الله جل وعلا وإسناد النزول إلى الآية جار في لغة القوم. الثامنة: قوله (ولم ينزل من الفجر... الحديث) ظاهره التعارض مع قصة عدي وذلك أن حديث عدي يقتضي أن قوله (من الفجر) نزل متصلاً بقوله ﴿من الخيظ الأسود﴾ بخلاف حديث سهل فإنه ظاهر في أن قوله (من الفجر) نزل بعد ذلك لرفع ما وقع لهم من الإشكال والجمع كما قال القرطبي إن حديث

عدي متأخر عن حديث سهل فكأن عدياً لم يبلغه ما جرى في حديث سهل وإنما سمع الآية مجردة ففهم على ما وقع له فبين له النبي ﷺ أن المراد بقوله ﴿من الفجر﴾ أن ينفصل أحد الخيطين عن الآخر، وأن قول ﴿من الفجر﴾ متعلق بقوله ﴿يتبين﴾ حكاه الحافظ في الفتح (١٣٤/٤) ورجحه.

التاسعة: قوله (فعلّموا أنّما يعني الليل من النهار).

قلت: فهذا صريح في الدلالة على أن هذه الجملة هي التي رفعت ما وقع عند القوم من إشكال لأنه من صريح لغتهم استعمال الخيط في الفجر وقد أفادت الأحاديث مجتمعة أنه لا عيب على من فسر القرآن بفصيح اللغة إذ أنه منزل بها حتى يأتيه البيان من الشارع وهو إما من القرآن نفسه أو من سنة النبي ﷺ.

٣١ - [باب ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾].

ش / قلت: صدر الآية ﴿يستلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...﴾ هذه الآية مشتملة على أربعة أمور:

الأول: أنه ليس في سؤال النبي ﷺ عن الأهلة من حيث زيادتها ونقصانها واختلاف أحوالها مصلحة وإنما الذي ينبغي أن يعرفه العباد ما جعله الله في الأهلة من حكم، وهي كونها مواقيت للناس والحج أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: سأل الناس رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿يستلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس﴾ ﴿قل هي مواقيت للناس﴾ يعلمون بها دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم . وروى نحوه عن علي وغيره في جماعة من المفسرين.

الثاني: إخبار الحق جل وعلا بأنه ليس من الإحسان في العبادة والاجتهاد في الطاعة أن يتسلق الرجل بيته من ظهره بل عليه أن يأتي بيته من بابه فهو الأليق إذ جعل الباب هو مدخل البيت المألوف شرعاً وعرفاً كما سيأتي في سبب نزولها.

الأمر الثالث: في قوله: ﴿ولكن البر من اتقى﴾ فإن معناه أن الإحسان في العبادة يكون بتقوى الله عزوجل وتقوى الله يجمعها امتثال أوامره واجتناب نواهيه طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه.

الرابع: في أمره العباد بتقواه وأن ذلك سبب للفلاح وهو شامل لفلاح الدنيا والآخرة.

٣٩ - حدثنا عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

ش / قلت: أخرجه المصنف في أبواب العمرة باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا البيوت من أبوابها﴾ عن أبي الوليد وهو هشام بن عبد الملك الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: (نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه غير بذلك فنزلت ﴿وليس البر بأن أتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى﴾ واتوا البيوت من أبوابها﴾ وأخرجه مسلم في أوائل التفسير من طريقين عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بنحوه وأخرجه بالإسناد نفسه أبو داود الطيالسي في مسند البراء بن عازب رقم (١١٧) لكنه قال: (كان الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية... الحديث). فظهر لك بما سقناه من الروايات لحديث البراء الذي هو سبب نزول الآية ثلاثة أمور:

الأول: أن الآية في الأنصار دون غيرهم خلافاً لما توهمه رواية الباب وهذا هو أصح الأقوال.

الثاني: أن إتيان الأنصار بيوتهم من ظهورها في الإحرام كما في حديث الباب أو في العودة من النسك كما في رواية الشيخين والجمع بينهما يمكن بأنهم كانوا يفعلون في الحالين.

الثالث: انفردت رواية أبي داود الطيالسي بأن الأنصار يفعلون ذلك إذا قدموا من سفر فأخشى أن تكون شاذة إذ لا ذكر للسفر في رواية الآخرين عن شعبة. والله أعلم.

٣٢- [باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾].

ش / فيها أمر النبي ﷺ والأمة تبع له بقتال المشركين حتى لا تكون فتنة والفتنة ههنا هي الكفر والشرك كما أخرجه ابن جرير في تفسير الآية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغيرهم ومعنى ﴿ويكون الدين لله﴾ أي وتكون العبادة كلها خالصة لله تعالى لا شرك فيها لأحد، هذا هو أول الأمرين في الآية.

وثانيهما: في قوله تعالى ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ والمعنى إذا انتهى المشركون عن عبادة غير الله واخلصوا له الدين فإنه يجب الكف عنهم لأنه لا اعتداء إلا على الظالمين أي الكافرين يوضح هذا قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾.

فقد جعل أمد قتال المشركين التوبة وهذه التوبة يوضحها ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى).

فإذا انضم هذا الحديث إلى الآية السابقة تبين أن الكف عن قتال المشركين مشروط بالأمر الثلاثة وهي: الشهاداتان والصلاة والزكاة.

٤٠ - حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب^(١) حدثنا عبيد الله عن

(١) أبو محمد عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي البصري ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين من الثامنة، مات سنة أربع وتسعين وممتين عن نحو من ثمانين سنة (ع).

نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضيُّعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي. فقالا: ألم يقل الله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. وزاد عثمان بن صالح^(١) عن ابن وهب^(٢) قال: أخبرني فلان وحيوة بن شريح^(٣) عن بكر بن عمر المعافري^(٤) أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما هلك علي أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله عزوجل، قد علمت ما رغب الله فيه، قال: يا ابن أخي بني الإسلام على خمس إيمان بالله ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت قال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة قال: فما قولك في علي وعثمان قال: أما عثمان فكأن الله عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن

(١) أبو يحيى عثمان بن صالح بن صفوان السهمي مولا هم المصري صدوق من كبار العاشرة وقد ثبت عنه أنه قال: رأيت صحابياً من الجن، مات سنة تسع عشرة ومئتين (خ، س، ق).

(٢) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولا هم المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد، من الثامنة، مات سنة سبع وتسعين ومئتين وله اثنتان وسبعون سنة (ع).

(٣) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي، أبو زرعة المصري، ثقة ثبت فقيه زاهد من اسابعة، مات سنة ثمان وقيل تسع وخمسين ومائة (ع).

(٤) بكر بن عمرو المعافري المصري إمام جامعها صدوق عابد من السادسة، مات في خلافة أبي جعفر بعد الأربعين (خ، م، د، ت، س، ق).

تعفوا عنه وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، فقال وهذا بيته حيث ترون.

ش / سيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة الأنفال ، ضمن الباب الخامس والأربعين بعد المائة وفيه هنا ثلاث مسائل:

الأولى: قوله (أتاه رجلان) قال الحافظ (٤/٨): «تقدم في مناقب عثمان أن اسم أحدهما العلاء بن عرار وهو بالمهملات واسم الآخر حبان السلمي صاحب الدثينة أخرج سعيد بن منصور من طريقه ما يدل على ذلك» اهـ.

قلت: والذي وجدته (٧٠٨/٢) في التفسير من سننه في قوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ من رواية سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبدالله بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً فبدر إليه رجل قال: يا أبا عبد الرحمن ما تقول في القتال في الفتنة ثم ذكره مختصراً.

وأخرج النسائي نحوه في التفسير . ووجه الجمع، بالحمل على تعدد السؤال فمرة سأله رجل ومرة سأله رجلان والله أعلم.

الثانية: قوله (في فتنة ابن الزبير) أي ما حدث في إمارة ابن الزبير رضي الله عنهما من الخروج على يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقتاله كانت إمارة ابن الزبير من عام أربعة وستين حتى قتل على يدي الحجاج يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

الثالثة: قوله (إما قتلوه وإما يعذبونه) كذا فيه الأول بصيغة الماضي لكونه إذا قتل ذهب والثاني بصيغة المضارع لأنه يبقى ويتجدد له التعذيب قاله في الفتح.

٣٣- [باب ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾].

ش / قال ابن كثير: «ومضمون الآية الأمر بالانفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾» اهـ..

وقال الشيخ صديق بن حسن القنوجي في قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾: «قال المراد: أي بأنفسكم تعبير بالبعض عن الكل كقوله ﴿عما كسبت أيديكم﴾ وقيل هذا مثل مضروب يقال: فلان ألقى بيده في أمر كذا إذا استسلم لأن المستسلم في القتال يلقى سلاحه بيديه فكذلك فعل كل عاجز في أي فعل كان» اهـ..

[التهلكة والهلاك واحد].

ش / قاله أبو عبيدة.

٤١ - حدثنا إسحاق أخبرنا النضر^(١) حدثنا شعبة عن سليمان قال:

سمعت أبا وائل عن حذيفة: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قال نزلت في النفقة.

ش / وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بنحوه وبه قال ابن عباس ومجاهد في جماعة من الصحابة والتابعين وأخرج الترمذي في تفسير سورة البقرة من سننه عن أسلم أبي عمران التميمي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من

(١) أبو الحسن النضر بن شمير المازني النحوي، البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة مات سنة أربع ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة (ع).

المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم».

قال مقبده: فكلا القولين عندي صحيح لأن إلقاء اليد إلى التهلكة يكون

بواحد من شيئين:

الأول: أن يعمد المرء إلى ترك واجب به قوام حياته وفي تضييعه هلاكه أو

إلى محرم يعود عليه بمفسدة دينية أو دنيوية.

وثانيهما: تعريض نفسه إلى الإضرار بها أو إتلافها كأن يسلك طريقاً مخوفاً

من غير عدة يتقى بها المخاوف ومعنى الآية عام يشمل الأمرين معاً ولكل منهما

شاهد من السنة، فيشهد للأول ما رواه أبو داود في البيوع والإجازات، باب في

النهي عن العينة، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا تبايعتم

بالعينة وأخذتم أذنان البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا

لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

وهذا الحديث صحيح بمجموع طرقه كما ذكر الشيخ الألباني حفظه الله

في الصحيحة (١/رقم ١١).

قلت: وهل تسليط الذل من الله على العباد لقاء انشغالهم عن الجهاد

بالأمور الدنيوية كالثلاث المذكورة في الحديث إلا مهلكة؟، ومن ذلك النذل تسليط العدو عليهم حتى يستبيح بيضتهم.

وشاهد الثاني ما أخرجه أحمد في المسند (٢٠٣/٤) وأبو داود في التيمم باب إذا خاف الجنب البرد أتيتم؟، عن عمرو بن العاص قال: (احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال. وقلت: إني سمعت الله يقول ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً.

ووجه الاستدلال منه في إقرار النبي ﷺ عمراً حيث تيمم خوف الضرر على نفسه من البرد مستدلاً بالآية.

[٣٤ - باب ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾].

ش / قلت الآية ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسْكَ﴾.

قال ابن كثير: «لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فأمر بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إتمام أفعالهما بعد الشروع فيهما ولهذا قال بعده ﴿فإن أحصرتم﴾ أي صددتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء» اهـ.

وقال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه ﴿فإن أحصرتم فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ إلا أن يضطر إلى حلقه منكم مضطر إما لمرض وإما لأذى في رأسه من هوام أو غيرها فيحلق هنالك للضرورة النازلة به وإن لم يبلغ الهدى محله فيلزمه بحلاق رأسه وهو كذلك فدية من صيام أو صدقة أو نسك» اهـ.

قلت: فهذا تأويل جيد ويقضيه سياق الآية فإن شاهد الترجمة عند البخاري ضمن ما اشتملت عليه الآية بتمامها من أحكام الإحرام التي بدأها الحق بقوله ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وختمها بقوله ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾.

٤٢ - حدثنا آدم^(١) حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصبهاني^(٢) قال:

(١) أبو الحسن آدم بن أبي إياس عبد الرحمن العسقلاني أصله خراساني نشأ ببغداد ثقة عابد من التاسعة، مات سنة إحدى وعشرين ومئتين (خ، خد، ت، س، ق).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصبهاني الكوفي الجهني ثقة من الرابعة، مات في أمانة خالد القسري على العراق. (ع).

سمعت عبد الله بن معقل^(١) قال: قعدت إلى كعب بن عجرة^(٢) في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة فسألته عن ﴿فدية من صيام﴾ قال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: (ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟) قلت: لا. قال: (صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك) فنزلت في خاصة وهي لكم عامة.
ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد، يعني مسجد الكوفة) فيه حرص السلف على مذاكرة العلم وأخذ الفقه عن أصحاب النبي ﷺ وجواز الجلوس لذلك في المسجد.

الثانية: قوله (حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا) فيه ثلاثة أمور:
أولاً: لم يذكر من حمله إلى النبي ﷺ ولم أقف على تسميته فيما استعرضته من طرق الحديث.

ثانياً: في قوله (والقمل يتناثر على وجهي) الجملة حالية والقمل اسم جنس جمعي واحده قملة وهو الدود الذي ينبعث من الرأس أو الجسم بسبب المرض المعبي في الغالب.

ثالثاً: في قوله (ما كنت أرى...) أي ما كنت أظن أن المشقة والإعياء وصل بك إلى هذا الحال وهذا من كمال شفقتة ﷺ وملاطفته.

المسألة الثالثة: قوله (أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لك مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك) فيه أمران:

(١) أبو الوليد عبد الله بن معقل بن مقرن المزني الكوفي، ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ثمان وثمانين (ع).

(٢) أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون (ع).

أحدهما: إن الحلق بعد الفدية لكن أخرجه المصنف في الإحصار، باب قول الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا... الآية﴾ بلفظ: احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاة، كذا بتقديم الحلق قبل النسك، فالجمع بينهما عندي بجواز الأمرين البدء بالنسك أو الحلق، والأول أولى لكونه في رواية الأكثرين.

وثانيهما: البداءة في الفدية بالنسك وعند العجز عنه التخيير بين الصوم والإطعام وقد أخرجه من هذا الوجه أحمد (٢٤٢/٤) والمصنف في مواضع منها الإحصار، باب الإطعام في الفدية نصف صاع، ومسلم في الحج باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، وابن جرير في تفسير الآية وكلهم عن ابن معقل عن كعب. وأخرجه أبو داود عن الشعبي عن كعب بنحوه وكذا ابن جرير عن الشعبي ومحمد بن كعب القرظي، وأخرجه المصنف في الإحصار باب قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسْكَ﴾ بلفظ: (احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنسك بشاه) ومفاده التخيير بين الأصناف الثلاثة وكذا أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب فدية من حلق قبل أن ينحر ومسلم في الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، وأبو داود في المناسك باب في الفدية، والترمذي في التفسير باب (ومن سورة البقرة) وغيرهم. وجميعهم من رواية عبدالرحمن بن أبي ليلى، ورواه بالتخيير أيضاً الواحدي من طريق إسرائيل عن عبدالرحمن ابن الأصفهاني عن عبدالله بن معقل عن كعب.

قال مقيد: وبهذا يتبين لك أن أكثر الروايات عن ابن معقل، ويرجح التخيير في هذه الفدية ثلاثة أمور:

أولها: ظاهر الآية، فإن العطف فيها بين هذه الثلاثة أشياء (أو) وهي

للتخيير.

ثانيها: كون أكثر الروايات جاءت به وهو ماجزم به الحافظ.

ثالثها: ما قاله ابن عبد البر في التمهيد (٦٤/٢٠) في معرض كلامه على رواية التخيير: «ولفظ حديث مالك هذا عن عبدالكريم، مستعمل عند جميع العلماء فيمن حلق راسه من أذى وضرورة لا يختلفون في شيء منه».

الرابعة: قوله (فنزلت في خاصة وهي لكم عامة) فيه استشهاد الصحابة بالعمومات الواردة في أسباب خاصة على أن تلك العمومات على ما هي، وفي ذلك دليل على ما قرره الأصوليون من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ما لم يدل دليل على اختصاصه بتلك الحادثة.

تنبيهان:

الأول: قال الشوكاني في النيل كتاب الحج باب (النهي عن أخذ الشعر إلا لعذر وبيان فديته): «لا خلاف بين العلماء أن النسك المذكور في الآية هو شاه لكنه يعكر عليه ما أخرجه أبو داود عن كعب أنه أصابه أذى فحلق رأسه فأمره النبي ﷺ أن يهدي بقره وفي رواية للطبراني فأمره النبي ﷺ أن يفتدي فافتدى ببقره وكذا لعبد بن حميد وسعيد بن منصور قال الحافظ وقد عارض هذه الروايات ما هو أصح منها من أن الذي أمر به كعب وفعله في النسك إنما هو شاة وروى سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن أبي هريرة أن كعباً ذبح شاة لأذى كان أصابه وهذا أصوب من الذي قبله، واعتمد ابن بطلال على رواية نافع عن سليمان بن يسار قال: أخذ كعب بأرفع الكفارات ولم يخالف النبي ﷺ فيما أمر به من ذبح الشاة بل وافق وزاد وتعقبه الحافظ بأن الحديث الدال على الزيادة لم يثبت» اهـ.

قلت: فهذا تعقب جيد بل وسديد في رد ما يعارض صريح القرآن وصحيح السنة من الأخبار الضعيفة.

الثاني: أخرج المصنف في المغازي باب غزوة الحديبية عن كعب بن عجرة قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في الحديبية ونحن محرمون).

قلت: فهذا اللفظ مع ما سبقه من الروايات يوضح الحال التي حمل فيها كعب إلى رسول الله ﷺ وأمره بالحلق والفدية.

٣٥- [باب ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾].

ش / قلت الآية ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

فيها أربعة أمور:

الأول: أن من من الله عليه بالسلامة من المنع عن الوصول إلى البيت وتمتع بالعمرة إلى الحج وصفة ذلك أن يحرم بالعمرة من ميقاته في أشهر الحج أولاً ويتحلل منها ثم يحرم ثانياً بالحج في عامه، فعليه هدي وهو شاة أو سبعم من بدنة أو بقرة.

الثاني: إذا عجز المتمتع عن الهدي فعليه البدل وهو صيام ثلاثة أيام في الحج يعني حال كونه متلبساً بأعمال الحج على الصحيح ويجوز له صيام أيام التشريق وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله فهذه عشرة أيام يصومها من عجز عن دم المتعة وفي حكمه من كان قارناً.

الثالث: أن التمتع خاص بالآفاقيين وهم الوافدون على البيت من خارج مكة ولهذا قال تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾.

الرابع: الأمر بتقوى الله والتحذير من شدة عقابه وهذا الأمر يحتمل الخصوص بما فرضه قبل في الآية ويحتمل العموم يعني تقوى الله في كل حال وفي كل زمان.

٤٣ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر^(١) حدثنا أبو رجاء^(٢)

(١) هو عمران بن مسلم المنقري أبو بكر القصير البصري صدوق ربما وهم قيل هو الذي روى عن عبدالله بن دينار وقيل بل هو غيره وهو مكّي من السادسة (خ، د، ت، س).

(٢) عمران بن ملحان ويقال ابن تيم العطاردي مشهور بكنيته مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة (ع).

عن عمران بن حصين^(١) رضي الله عنهما قال: أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى مات. قال رجل برأيه ما شاء.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (أنزلت آية المتعة في كتاب الله) يشير إلى قوله تعالى ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة...﴾ الآية، وقد أسلفنا قريباً شرحها والمراد بالمتعة هي متعة الحج وقد تقدم صفتها أول الباب.

الثانية: قوله (ففعلناها مع رسول الله ﷺ) يعني متعة الحج وهل يختص ذلك بفسخ الحج إلى العمرة أو هو على عمومته؟، فالثاني هو الراجح لما أخرج المصنف في الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج ومسلم في الحج باب جواز العمرة في الحج واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفر ويقولون إذا برأ الدبر، وعفا الأثر وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر فقدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله: أي الحل؟ قال: الحل كله.

فالحديث مفيد أمرين:

أولهما: أن أمر النبي ﷺ الناس بفسخ الحج إلى العمرة سببه اعتقادهم أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور فأراد إبطال هذا الاعتقاد.

ثانيهما: وهو شاهدنا من الحديث جواز الإحرام بالعمرة في أشهر الحج وقد بوب عليه الإمام النووي، ويزيده وضوحاً ما أخرج المصنف في الحج باب

(١) أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أسلم عام خيبر وصحب وكان فضلاً وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة (ع).

التمتع والاقران والافراد بالحج ومسلم في باب جواز التمتع واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب قال: (اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه فقال عثمان: دعنا منك. فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي ذلك أهل بهما جميعاً).

فانظر إلى مسلك أبي الحسن رضي الله عنه حيث رأى ما رأى من أمر المؤمنين عثمان رضي الله عنه كيف عمد - أعنى أبا الحسن - إلى الأخذ بسنة النبي ﷺ دون أن يتخذ من مخالفة أمير المؤمنين سبيلاً للتشنيع عليه والتشهير به أمام العامة والخاصة.

المسألة الثالثة: قوله (ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى مات) يعني بقوله (لم ينزل قرآن) يحرم جواز العمرة في أشهر الحج تمتعاً إلى الحج أو أراد الجمع بين العمرة والحج فكل منهما يسمى عندهم متعة، وفيه دليل على نسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن، فقد أخرج النسائي في التفسير عن عمران قال: نزلت آية المتعة يعني متعة الحج في كتاب الله وأمر بها رسول الله ﷺ لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات... الحديث).

المسألة الرابعة: قوله: (قال رجل برأيه ما شاء) لم يصرح باسم ذلك الرجل وهنا وكذا عند المصنف في الحج باب (التمتع) لكن روى مسلم في الحج باب جواز التمتع نحو حديث الباب عن مطرف ثم قال بعده وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن حاتم كلاهما عن وكيع حدثنا سفيان عن الجريري في هذا الإسناد وقال ابن حاتم في روايته: ارتأ رجل برأيه ما شاء يعني عمر.

قلت: وليس النهي عن المتعة خاص بعمر وعثمان رضي الله عنهما فإن أول من نهى عن متعة الحج هو الصديق رضي الله عنه فقد روى أحمد (٢٣٧/١): «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تمتع النبي ﷺ. فقال عمرو بن

الزبير نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس ما يقول عُرِيَّة؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون. اقول: قال النبي ﷺ ويقول: نهى أبو بكر وعمر « ورواه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد (١٣٩/٢) بنحوه.

من فوائد الحديث :

واعلم أن حديث الباب قد اشتمل على فوائد نفيسة منها:

- ١ - حصر النسخ في النصوص من القرآن أو السنة، أما الإجماع فإنه لا ينسخ ولا ينسخ به، ولكنه طريق لمعرفة النسخ.
- ٢ - وقوع الاجتهاد بين الصحابة في الأحكام.
- ٣ - الرد على المخالف للنص كائناً من كان.

٣٦ - [باب ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾] ش / تمامها ﴿فإذا أفقتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾. يقول جل ثناؤه ﴿ليس عليكم﴾ أيها الناس في حجكم إثم حين ابتغائكم الكسب في بيع أو شراء وغيرهما من وجوه الكسب المباح، وهذا هو الأمر الأول.

ثانياً: أمره عباده بالاكثار من ذكره عند المشعر الحرام وهو مزدلفة حين إفاضتهم إليها من عرفات.

ثالثاً: قوله ﴿واذكروه كما هداكم﴾ تنبيه لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية والبيان الإرشاد إلى مشاعر الحج على ما كان عليه من هداية إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾.

٤٤ - حدثني محمد أخبرني ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج.

ش / أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من سننه بنحوه والبيهقي في سننه في الحج باب التجارة في الحج وغيرهما، وأخرجه المصنف في الحج باب التجارة أيام المواسم بلفظ: (كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج) ووقع له في البيوع باب (ما جاء في قول الله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾) وباب (الأسواق التي كانت في الجاهلية) أن ابن عباس قرأ ضمن الآية (في مواسم الحج).

قلت: وهذه القراءة ليست من المتواتر ولكنها من الشاذ الذي يفسر به

المعنى ونظائرها كثيرة.

وفي الحديث أربع مسائل:

الأولى: قوله (كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز) هذه أماكن ينتابها العرب لإقامة مواسمهم فيها كل عام وإليك تفسيرها كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه مرتبة:

قال في (١٤٢/٤):

١ - عكاظ: بضم أوله وآخره ظاء معجمة قال الليث سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه، فَيَعْكُظُ بعضها بعضاً بالفخار أي يدعك، وعكظ فلان خصمه باللدد والحجج عكظاً، وقال غيره: عكظ الرجل دابته يعكظها عكظاً إذا حبسها، وتعكظ القوم تعكظاً إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم، قال وبه سميت عكاظ، وحكى السهيلي كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا... وعكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية... قال الأصمعي: عكاظ نخل في وادي بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليالي».

٢ - قال في (٥٨/٥):

«مجنة: بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والاختفاء... إلى أن قال: ومجنة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية.

قال الأصمعي: «وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة».

٣ - وقال (٥٥/٥): «وذو الحجاز موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن

يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام وقال الأصمعي ذو الحجاز: ماء من أصل كبكب وهو لهذيل خلف عرفة»

الثانية: قوله (أسواقاً) بالنصب خير كان جمع سوق وهو مكان الاتجار،

وسمي السوق سوقاً لأنه تساق إليه البضائع وتجلب عليه المبيعات.

الثالثة: قوله (فتأثموا أن يتجروا في المواسم) أي تخرج المسلمون من البيع والشراء في المواسم خشية من مشابهة أهل الجاهلية.

الرابعة: قوله (فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج).

تقدم تفسير الآية. ومراد ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية الكريمة إخبار من الله بإباحة الاتجار في الحج ورفع الإثم وإن تخرج القوم، وذلك هو سبب نزولها.

٣٧- [باب ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾].

ش / قال مقيده: بين هذه الآية والتي قبلها ارتباط وثيق جداً إذ كلتاهما في بيان وجه الصواب في الوقوف والانصراف، فلا بد أولاً من سياقهما معاً ثم تتبعهما ثانياً بأقوال أهل التفسير في آية الترجمة فنقول وبالله التوفيق:

قال جل ثناؤه ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من الضالين، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾.

قال الحافظ ابن كثير: « (ثم) هنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها؛ إلا قريشاً فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم، فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون: نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته.. إلى أن قال: وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع».

قلت: ونحن نرجح ما اختاره ابن جرير لثبوته نصاً كما سيأتي في الباب وقد ختم الحق هذه الآية بقوله ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ وهو ختام بديع جرى أمر الشارع به بعد نهاية كثير من العبادات فقد أخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة عن ثوبان رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام).

وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ تعليل للأمر بالاستغفار وحث عليه وبيان لسعة رحمته وفضله على عباده بمغفرة ذنوب من استغفر، كما أن فيه إثبات هذين الاسمين للحق جل وعلا.

٤٥ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم^(١) حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: كانت قریش ومن دان دينها يقفون بالزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

٤٦ - حدثني محمد بن أبي بكر^(٢) حدثنا فضيل بن سليمان^(٣) حدثنا موسى بن عقبة^(٤) أخبرني كريب^(٥) عن ابن عباس قال: يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهل بالحج فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء غير أنه إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعاً الذي يتبررفيه، ثم ليذكروا الله كثيراً، أو أكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى ﴿ثم أفيضوا

(١) أبو معاوية محمد بن خازم الضرير الكوفي عمي وهو صغير ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد بهم في حديث غيره، من كبار التاسعة مات سنة خمس وتسعين ومائة وله اثنتان وثمانون سنة، وقد رمي بالاجاء (ع).

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي بالتشديد الثقفي مولاهم البصري ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين (خ، م، س).

(٣) أبو سليمان فضيل بن سليمان النميري البصري، صدوق له خطأ كثير، من الثامنة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل غير ذلك (ع).

(٤) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير ثقة فقيه إمام في المغازي من الخامسة، لم يصح أن ابن معين لينه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة وقيل بعد ذلك (ع).

(٥) أبو رشدين كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولاهم المدني مولى ابن عباس ثقة من الثالثة مات سنة ثمان وتسعين (ع).

من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿ حتى ترموا
الجمرة).

ش / أخرج حديث عائشة مسلم في الحج باب في الوقوف وقوله تعالى
﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾، وأخرجه النسائي في التفسير، باب (ثم
أفيضوا من حيث أفاض الناس) من رواية أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة غير أن لفظ الشيخين أتم، وأخرجه المصنف في الحج باب الوقوف
بعرفة وكذا مسلم عن عروة كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس،
والحمس قريش وما ولدت، وكانت الحمس يحتسبون على الناس، يعطي الرجل
الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه
الحمس طاف بالبيت عرياناً، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض
الحمس من جمع - قال وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها: أن هذه الآية
نزلت في الحمس ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ قال كانوا يفيضون من
جمع فدفعوا إلى عرفات).

قلت: فالمرفوع منه هو الشطر الثاني وأما الأول فمرسل كما ترى ولعل
عروة عمد إلى ذلك استدلالاً على المرسل بعد حكايته بالمرفوع.
وفي الحديثين اثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله: (كانت قريش ومن دان دينها يقفون في المزدلفة) أي من
كان على مسلك قريش في العبادة وقال بعضهم: أن قريشاً إذا صاهرهم أحد من
العرب اشتروا عليه أن يكون الولد على دينهم.

وقوله (مزدلفة) هو آخر الحل من جهة عرفة سمي بذلك لازدلاف الناس
إليه، والمعنى أن قريشاً ومن نحى نحوهم لا يجاوزون في الوقوف مزدلفة خلافاً
لمسائر الناس.

الثانية: قوله (الحمس) قال إبراهيم الحربي في غريب الحديث من طريق ابن

جريح عن مجاهد قال: «الحمس قريش ومن كان يأخذ مأخذها من القبائل كالأوس والخزرج وخزاعة وتقيف وغزوان وبني عامر وبني صعصعة وبني كنانة إلا بني بكر، والأحمس في كلام العرب الشديد وسموا بذلك لما شددوا على أنفسهم، وكانوا إذا أهلوا بحج أو عمرة لا يأكلون لحماً ولا يضربون وبراً ولا شعراً، وإذا قدموا مكة وضعوا ثيابهم التي كانت عليهم.

وروى إبراهيم أيضاً من طريق عبدالعزیز بن عمران اللدني قال: سموا حمساً بالكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد» اهـ.

ذكر القولين الحافظ ثم قال: «الأول أشهر وأكثر وأنه من التحمس وهو التشدد قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تحمس تشدد ومنه حمس الوغاء إذا اشتد. الثالثة: قوله: (وكان سائر العرب) يقفون عرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها) فيه أمران:

أحدهما: بيان ضيق سائر العرب غير قريش في الموقف.

ثانيهما: رد قريش إلى موافقة جمهور الناس في الوقوف بعرفة وأنه الحق.

المسألة الرابعة: قوله (ثم يفيض منها).

قلت: هذه الإفاضة هي الدفع من عرفة إلى مزدلفة بعد غروب شمس يوم

التاسع من ذي الحجة كما سيأتي بعد.

الخامسة: قوله (فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾

وذلك تفسير للمراد بالإفاضة، وأن المراد بالناس ما عدا قريشاً من جمهور العرب،

وهنا هو أصح الأقوال، وفي الباب ما أخرجه المصنف في الحج، باب الوقوف

بعرفة، ومسلم في الحج باب في الوقوف واللفظ له عن جبير بن مطعم قال:

أضلت بعيراً لي فنهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس

بعرفة فقلت: واللّه إن هذا لمن الحمس فما شأنه ههنا، وكانت قريش تعد من

الحمس.

السادسة: قوله: (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهمل بالحج)، يعني به من كان مقيماً بمكة أو من دخلها معتمراً متمتعاً بعمرته إلى الحج فإنه يبقى حلالاً إلى يوم التروية ثم يهمل منها.

السابعة: قوله (فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء) فيه بيان بأن الهدى المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى﴾ بأنه من بهيمة الأنعام.

الثامنة: قوله (غير أنه إن لم يتيسر له ذلك فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه). قلت: فيه أولاً: تقييد لما جاء مطلقاً في الآية ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾.

وفيه ثانياً: أن من لم يجد الهدى فهو مخير بين أن يكون آخر صيامه قبل يوم عرفة إن تيسر له وإلا فيسوغ له ختمه بيوم عرفة وفي المسألة قولان حكاهما في المغني فقال (٤٧٦/٣):

«ولكل واحد من صوم الثلاثة والسبعة وقتان: وقت جواز ووقت استحباب فأما وقت الثلاثة فوقت الاختيار لها أن يصومها ما بين إحرامه بالحج ويوم عرفة ويكون آخر الثلاثة يوم عرفة.

قال طاووس: يصوم ثلاثة أيام آخرها يوم عرفة، وروي ذلك عن عطاء والشعبي ومجاهد والحسن والنخعي وسعيد بن جبير وعلقمة وعمرو بن دينار وأصحاب الرأي، وروي عن ابن عمر وعائشة أنه يصومهن ما بين إهلاله بالحج ويوم عرفة، وظاهر هذا أن يجعل آخرها يوم التروية وهو قول الشافعي، لأن صوم يوم عرفة بعرفة غير مستحب وكذلك ذكر القاضي في المحرر والمنصوص عن أحمد الذي وقفنا عليه مثل قول الخزقي أنه يكون آخرها يوم عرفة وهو قول من

سمينا من العلماء.

التاسعة: قوله (ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام) يعني إذا أهل من مكة بالحج، وقوله (من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام) فيه أمران:

الأول: تحديد بدء الوقوف بعرفة وأنه من صلاة العصر وهذا يحتمل وقتها وهو من مصير ظل الشيء مثله، ويحتمل حين تصلى يوم عرفة مع الظهر جمع تقديم والأخير هو الراجح لما رواه مسلم عن جابر في حجة النبي ﷺ قال: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِّلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس إلى أن قال: ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف) فهو صريح في أن رسول الله ﷺ ابتداء الوقوف بعرفة بعد صلاة الظهر والعصر جمع تقديم.

وقوله (إلى أن يكون الظلام) قلت في حديث جابر المتقدم (فلم ينزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص).

قلت: لعل ابن عباس أراد هذا فإنه بغروب قرص الشمس يبدأ ظلام الليل وهذا هو الأفضل لأنه وقت دفع النبي ﷺ من عرفة وإلا فإن الوقوف به يمتد إلى طلوع فجر يوم النحر لما روى أبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة عن عروة بن مضر الطائي قال: أتيت رسول الله ﷺ بالموقف يعني بجمع، قلت: جئت يارسول الله من جبل طى، أكلت مطيتي واتعبت نفسي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج، فقال رسول الله ﷺ من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجة وقضى تفته).

فقوله: (من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفته) صريح الدلالة على ما قلناه من امتداد الوقوف حتى فجر يوم النحر.

قال ابن قدامة (٤١٥/٣):

«لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أن آخر الوقت طلوع فجر يوم النحر». قال جابر: (لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة جمع. قال أبو الزبير: فقلت له: أقال رسول الله ﷺ ذلك؟ قال: نعم) رواه الأثرم. وقال النووي في المجموع (١٠١/٨):

«وقت الوقوف ما بين زوال الشمس يوم عرفة وطلوع الفجر الثاني يوم النحر هذا هو المذهب ونص عليه الشافعي وقطع به جمهور الأصحاب، وحكى جماعة من الخراسانيين وجهاً أنه لا يصح الوقوف في ليلة النحر وحكى الفوراني قولاً مثل هذا وفيه ما بين زوال الشمس وغروبها وحكى اللارمي والرافعي وجهاً آخر أنه يشترط كون الوقوف بعد الزوال وبعد مضي إمكان صلاة الظهر، وهذان الوجهان شاذان ضعيفان، والصواب ما سبق عن الجمهور» اهـ.

العاشرة: قوله (ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعاً الذي يتبرر فيه) يعني أن الإفاضة بعد غروب شمس يوم التاسع من عرفة إلى مزدلفة وسميت جمعاً لاجتماع الناس فيها بعد منصرفهم من عرفة.

وقوله (يتبرر فيه) أي يطلب فيه البر وهو يشمل جميع ما يتقرب به إلى الله تلك الليلة وصحت به سنة النبي ﷺ من صلاة المغرب والعشاء جمعاً والمبيت وصلاة الصبح يوم النحر وذكر الله عند المشعر الحرام حتى الإسفار.

الحادية عشرة: قوله (ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون...).

فيه بيان وقت الدفع من مزدلفة إلى منى وأنه حين صبح يوم النحر، وهذا يفسره ما رواه البخاري في الحج، باب منى يدفع من جمع، عن عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر رضي الله عنه صلى بجمع الصبح ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق بُيبر، وأن

النبي ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس).

قلت: فهذه السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ فالزمها أيها المسلم ولا تنظر إلى ما عليه جماهير الناس من الغافلين عنها واعلم أنه لم يرخص في الدفع من جمع قبل ذلك الوقت إلا للضعفة لما رواه البخاري في الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل، ومسلم في الحج باب (استحباب تقديم دفع الضعفة) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنا من قدم رسول الله ﷺ في ضعفة أهله.

وقوله: (وقال الله: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾) هو تفسير من ابن عباس بأن المراد بالإفاضة في الآية هي الإفاضة من مزدلفة إلى منى لرمي جمرة العقبة وهذا التفسير هو أحد القولين وبه قال الضحاك بن مزاحم فيما حكاه ابن كثير (٢٥٠/١).

وذكر أن ابن جرير أخرجه عنه وقد مضى في أول الباب شرح الآية وبيان الراجح فيها.

الثانية عشرة: قوله (حتى ترموا الجمرة) يعني جمرة العقبة سميت بذلك لكونها عندها. والمعنى: الجمرة ذات العقبة. وموقعها بين مكة ومنى. قال ابن قدامة (٤٢٧/٣).

«وهي آخر الجمرات مما يلي منى وأولها مما يلي مكة وهي عند العقبة» اهـ.

قلت: وكيفية الرمي ومقداره قد جاءت به الأحاديث الصحيحة منها:

١ - ما رواه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ (حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصي الخذف رمي من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر) ومنها:

٢ - ما رواه البخاري في الحج باب (من رمى جمرة العقبة فجعل البيت عن يساره)، ومسلم في الحج، باب (رمي جمرة العقبة من بطن الوادي وتكون مكة عن يساره) عن عبدالرحمن بن يزيد أنه حج مع ابن مسعود رضي الله عنه، فرآه

يرمي الجمرة الكبرى بسبع حصيات فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

قال مقيده: اتفق الحديثان على كيفية الرمي ومقدار الحصى المرمي به وجهة الرمي وتحديد مكان جمرة العقبة وقد صح عن النبي ﷺ من غير وجه أنه لم يرم في يوم النحر بعد طلوع الشمس جمرة غيرها كما في الحديثين.

٣٨- [باب ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقناعذاب النار﴾].

ش / هذه الآية التي بوب عليها البخاري رحمه الله ضمن سلسلة من التنزيل الكريم تتألف من ثلاث آيات ولا بد من ذكرها أولاً ثم شرحها مجتمعة، إتماماً للفائدة وتوضيحاً للمعنى فنقول:

قال الله جل ذكره: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنأ عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾. فيها خمسة أمور:

أولها: أمر النبي ﷺ والأمة مثله في ذلك بعد الفراغ من المناسك بالاكثار من ذكر الله مثلما يذكر الناس آباءهم أو أشد من ذلك وكانوا قبل الإسلام يتفاخرون بالآباء فندبهم الله إلى ذكره شكراً له على ما أتمن به عليهم من أداء الحج الذي هو إما فريضة أو قرينة ونافلة بعدها.

ثانيها: التحذير والتنفير من مسلك من يقصر همته على الدنيا، فلا يسأل الله غيرها وأن هذا الصنف من الناس ليس له في الآخرة من خلاق أي حظ ونصيب.

ثالثها: التنويه بشأن الجامعين في الدعاء بين حسنتي الدنيا والآخرة مع سؤالهم الله الوقاية من النار.

واعلم أن حسنة الدنيا شاملة لكل ما يصلح به الحال فيها من الرزق الحلال وصلاح الزوجة والأولاد، وأعظم ذلك التوفيق للهداية والثبات عليها وأن حسنة الآخرة هي الجنة وما فيها من نعيم، وأعظمه النظر إلى وجه الرب جل جلاله.

ورابعها: في قوله ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ قال الشيخ ابن سعدي

رحمه الله:

«وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيبهم من كسبهم وعملهم وسيجازيهم
تعالى على حسب أعمالهم وهِمَاتِهِمْ ونياتهم جزاءً داتراً بين العدل والفضل يحمد
عليه أكمل حمد وأتمه». اهـ.

خامسها: قوله ﴿والله سريع الحساب﴾ هو نظير قوله تعالى من سورة
الأنعام الآية الثانية والستين ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو
أسرع الحاسبين﴾ قال الشيخ ابن سعدي:

«وهو أسرع الحاسبين لكمال علمه وحفظه لأعمالهم بما أثبتته في اللوح
المحفوظ ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم».

٤٧ - حدثنا أبو معمر^(١) حدثنا عبدالوارث^(٢) عن عبدالعزيز^(٣) عن أنس
قال: (كان النبي ﷺ يقول: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار).

ش / قلت: أخرجه المصنف في الدعوات باب قول النبي ﷺ: (ربنا آتنا في
الدنيا حسنة) بلفظ كان أكثر دعاء النبي ﷺ فذكره، ومسلم في الذكر والدعاء،
باب (فضل الدعاء بـ اللهم آتنا في الدنيا حسنة) عن عبدالعزيز بن صهيب قال:
سأل قتادة أنساً أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة
يدعوا بها يقول: اللهم.. فذكره، وفيه وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعى
بها فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعى بها فيه.
وأخرجه من رواية ثابت بلفظ: ربنا... الخ.

- (١) عبدالله بن عمرو بن أبي الحجاج التميمي المنقري واسم أبي الحجاج ميسرة، ثقة،
ثبت، رمي بالقدر من العاشرة مات سنة أربع وعشرين ومئتين (ع).
(٢) أبو عبيدة عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري مولا هم التنوري البصري ثقة ثبت،
رمي بالقدر ولم يثبت عنه، من الثامنة، مات سنة ثمانين ومائة (ع).
(٣) عبدالعزيز بن صهيب البناتي البصري ثقة من الرابعة، مات سنة ثلاثين ومائة (ع).

وأخرجه النسائي في التفسير باب ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة... بنحوه وفيه مسألتان:

الأولى: في قوله (اللهم) لفظ الجلالة منادى والأصل: يا الله فحذفت الياء و عوض عنها الميم ولا يجمع بينهما إلا شاذاً كقول الشاعر:

إني إذ ما حدث ألم أقول يا اللهم يا اللهم

قال ابن مالك:

والأكثر اللهم بالتعويض وشذ يا اللهم في قريض.

الثانية: قوله (كان أكثر دعوة يدعو بها...) فيه فضيلة هذا الدعاء والإرشاد إلى الاستكثار منه وذلك في فاضل الأزمنة والأمكنة كمواضع السجود، وبعد عصر يوم الجمعة، وفي الطواف والسعي، وهذا مستفاد من لفظ العموم وهو قوله: (كان أكثر دعوة يدعو بها) ومن فعل أنس رضي الله عنه كما رأيت من رواية عبدالعزيز بن صهيب عند مسلم.

٣٩- [باب ﴿وهو ألد الخصام﴾].

ش / قلت: الآيات ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

في هذه الآيات الثلاث من هذا التنزيل الكريم وصف صنف من الناس يخالف أقوالهم أفعالهم بصفات أربع:

الأولى: حسن المقال باللسان مع إشهاد الله على ما في قلبه من الصدق والبر وليس كذلك؛ بل هو كاذب كما قال تعالى ﴿إذا جاءك المنفقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾.

الثانية: اللدد في الخصومة وهذا من فساد مقالهم مع فساد حالهم.

الثالثة: أنه حين انصرافه من عند رسول الله ﷺ يعمد إلى الفساد في الأرض بالمعاصي حتى يهلك بذلك الفساد ما عليها من حرث ونسل، أي من زرع وحيوان كما قال بعض المفسرين والله يبغض الفساد أياً كان.

الرابعة: شدة الكبرياء والأنفة والاستنكاف عن الحق حتى بلغ به ذلك أنه إذا ذكر بالله وخوف به ازداد سوءاً وإمعاناً في الإثم خلافاً لأهل الإيمان ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ ثم توعدده سبحانه وتعالى بأنه ﴿حسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ أي هي كافيته ومأواه ولبئس المأوى ذلك.

والسؤال ههنا: مَنْ أولئك الذين عنى الله بهذه الآيات ووصفهم بتلك

الصفات!؟

والجواب: اختلف أهل التأويل في ذلك على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الأخنس بن شريق قاله السدي.

وثانيها: أن الله عنى بها. أناساً من المنافقين، تكلموا في سرية الرجيع وهذا هو قول ابن عباس.

وثالثها: أنها في المنافقين عامة وهو قول الجمهور ومنهم محمد بن كعب القرظي وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، أخرجها جميعاً ابن جرير.

وآخر الأقوال هو الراجح عندي لأدلة منها:

أولاً: إنه قول الجمهور وفيهم من عرفت.

ثانياً: إن القول الأول مرسل.

ثالثاً: إنه لا تعارض بين قول ابن عباس في تفسير الآيات مع قول الجمهور.

[قال عطاء: النسل: الحيوان].

ش / أخرجه ابن جرير قال: حدثنا القاسم: حدثنا الحسين: حدثني الحجاج

عن ابن جريج قال. قلت: لعطاء ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾. قال: الحرث الزرع والنسل: من الناس والأنعام.

وأخرج نحوه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع وسعيد بن عبدالعزيز.

٤٨ - حدثنا قبيصة^(١) حدثنا سفيان عن ابن جريج^(٢) عن أبي

مليكة^(٣) عن عائشة ترفعه قال: أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.

وقال عبدالله حدثنا سفيان حدثني ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن

(١) أبو عامر قبيصة بن عقبة السوائي الكوفي من التاسعة مات سنة. خمس عشرة ومقتين (ع).

(٢) عبدالملك بن عبدالعزيز الأموي مولاهم، المكي، فقيه من السادسة مات سنة خمسين ومائة أو بعدها (ع).

(٣) عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي المدني ثقة فقيه من الثالثة مات سنة سبع عشرة ومائة (ع).

عائشة عن النبي ﷺ.

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (ترفعه) يعني إلى النبي ﷺ وقائل ذلك هو ابن أبي مليكة.
الثانية: قوله (أبغض الرجال إلى الله) البغض ضد المحبة وهو الكراهة قال
تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان﴾.

وفي الحديث إثبات صفة البغض لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله بلا
تكييف.

الثالثة: قوله (الألد الخصم) أي شديد الخصومة، قال ابن جرير: «الألد
من الرجال الشديد الخصومة يقال في فعلت منه قد لدت يا هذا ولم تكن ألد
فأنت تلد لدًا ولدادة، فأما إذا غلب من خصمه فإنما يقال فيه: لدت يا فلان
فلان فأنت تلده لدًا ومنه قول الشاعر:

ثم أردى وبهم من تردى تلد أقران الخصوم لدًا» اهـ.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢١٩/١٦): «والألد شديد
الخصومة مأخوذ من لديد الوادي وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة
أخذ في جانب آخر وأما (الخصم) فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة
بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل». اهـ.

قال مقيده: والذم مستفاد من وصف الفاعل في الحديث ببغض الله له
وذلك صيغه نهى فرعية مقتضاها التحريم ومفهومه جواز الخصومة بالحجة
والبرهان في إظهار الحق ودحض الباطل ومن ذلك رد شبه أهل الأهواء من
الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة حماية للسنن وتصفية للعقيدة.

الرابعة: قوله (قال عبدالله) يحتمل أن يكون عبدالله بن الوليد العدني
ويحتمل أن يكون عبدالله بن محمد الجعفي المسندي شيخ البخاري فعلى الأول

فسفيان هو الثوري، وعلى الثاني فمففيان هو ابن عيينة وقد أخرجه المصنف
موصولاً مصرحاً برفعه في المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿وهو ألد الخصام﴾.
وفي الأحكام باب الألد الخصم ومسلم في العلم، باب في الألد الخصم
والترمذي في التفسير باب (من سورة البقرة)، والنسائي في التفسير قوله تعالى
﴿وهو ألد الخصام﴾، وكلهم عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال الحافظ وهو
موصول بالإسناد في جامع سفيان الثوري من رواية عبد الله بن الوليد هذا.

٤٠ - [باب ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾] .

ش / قال البغوي: قال قتادة والسدي نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ وقيل نزلت في حرب أحد وقال عطاء: لما دخل النبي ﷺ المدينة وأصحابه اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسر قوم النفاق فأنزل الله تعالى تطيباً لقلوبهم ﴿أم حسبتم﴾ معناه حسبتم والميم صلة. قاله الفراء.

وقال الزجاج: ﴿بل حسبتم ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿ولما يأتكم﴾ أي ولم يأتكم، و﴿ما﴾ صلة ﴿مثل الذين خلوا﴾ شبه الذين مضوا ﴿من قبلكم﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿مستهم البأساء﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وزلزلوا﴾ أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا، وخوفوا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ ما زال البلاء بهم حتى استبطاوا النصر قال تعالى: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ .

قرأ نافع: ﴿حتى يقول الرسول﴾ بالرفع معناه: حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل، فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام لأن حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع معناه الماضي وحتى لا تعمل في الماضي». اهـ.

قلت: فما حكاه الشيخ من الأقوال في نزول الآية داخل فيما تفيده من تسلية النبي ﷺ وأصحابه وأمر الله إياهم بالصبر على ما سيصيبهم في ذاته ونصرة دينه من ألوان المصائب أسوة بمن مضى من الأنبياء وأتباعهم وكان النبي

ﷺ يصبر أصحابه على ذلك فمن ذلك ما رواه البخاري في الإكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر عن خباب بن الأرت شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعونا لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

٤٩ - حدثنا إبراهيم بن موسى^(١) أخبرنا هشام^(٢) عن ابن جريج قال:

سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ خفيفة ذهب بها هناك وتلا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ فلقيت عروة ابن الزبير فذكرت له ذلك فقال: قالت عائشة: معاذ الله، والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم، فكانت تقرؤها ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ مثقلة.

ش / أخرجه الشيخ في تفسير سور يوسف وفي الأنبياء مقتصراً على سؤال عروة عائشة عن معنى قوله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ وأخرجه النسائي في التفسير باب قول الله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ وابن جرير في تفسير سورة يوسف أيضاً (٨٣/٨).

(١) إبراهيم بن موسى هو أبو غسحاق إبراهيم بن موسى بن يزيد التميمي الفراء الرازي، يلقب بالصغير، ثقة حافظ، من العاشرة، مات بعد العشرين ومئتين (ع).

(٢) أبو عبد الله بن حسان الأزدي الفردوسي البصري ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن، وعطاء مقال، لأنه قيل كان يرسل عنهما من السادسة، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة (ع).

قوله: ﴿وتلا﴾ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

(تلا): قرأ والتالي هو ابن عباس وهذه القطعة من الآية هي شاهد الترجمة، والمعنى أن ابن عباس رضي الله عنهما فسر آية يوسف ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ بآية البقرة هذه، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وسيأتي شرح الحديث إن شاء الله مستوفى في تفسير سورة يوسف، ضمن الباب الرابع والثمانين بعد المائة.

٤١ - [باب ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم.... الآية﴾].

ش / تمامها ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾
في الآية خمسة أمور:

الأول: يخبر جل ثناؤه أنه قد جعل للرجال في أزواجهم مزرعاً للذرية وسماهن حرثاً إمتناناً على عباده بذلك.

الثاني: أمر الرجل أن يأتي زوجته فيما أباحه له منها من أي وجه شاء وهو القبل وبيان ذلك في قوله ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ومما يفسره ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول:
«اسق نباتك من حيث نباته».

وروى أيضاً عن القزطي قال: «إيتيها مضطجعة وقائمة ومنحرفة ومقبلة ومدبرة كيف شئت إذا كان في قلبها».

الثالث: في قوله ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يتضمن أمره جل علاه العباد عامة والأزواج خاصة بتقديم كل ما يصلح حالهم ومآلهم وقد حذف المفعول ههنا وصرح به في مواضع من الكتاب الكريم، ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله...﴾ الآية. فالأمور بتقديمه على هذا التعميم شامل لجميع أصناف البر وأنواع الطاعات، من ذلك: طلب العفة في الزواج، والولد الصالح مع كل ما يقرب إلى الله عز وجل.

الرابع: في قوله ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أمر بتقواه وهي فعل أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده وإحلال ما أحل وتحريم ما حرم كما أن فيه التنبيه إلى إحاطة الله بأعمال العباد ومحازاتهم عليها ففيه الترغيب في طلب ثوابه والتخويف من عقابه.

الخامس: قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ فيه تأنيس أهل الإيمان بذكر البشارة

وهي الإخبار بكل أمر سار تنبسط له بشرة الوجه.

٥٠ - حدثنا إسحاق أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا بن عون^(١) عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يوماً أقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان. قال: تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى.

وعن عبد الصمد^(٢) قال حدثني أبي حدثني أيوب^(٣) عن نافع عن ابن عمر ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ قال: يأتيها في..
رواه محمد بن يحيى بن سعيد^(٤) عن أبيه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر.

٥١ - حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابراً رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.
ش / فيهما مسائل سبع:

الأولى: قوله (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه) أي احتراماً للقرآن وتعظيماً له وهذا من كمال تأدبه رضي الله عنه مع كتاب الله حين تلاوته تنزيهاً للكتاب الكريم عن خلطه ومقاطعته بأي نوع من كلام البشر وهذا مما يعين على التدبر الذي هو الغاية من تلاوة القرآن

(١) أبو عبد الله بن عون بن أرطبان البصري ثقة، فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسنن من السادسة مات سنة خمسين ومائة على الصحيح (ع).

(٢) أبو سهل عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري مولا هم التنوري البصري صدوق ثبت في شعبة من التاسعة، مات سنة سبع ومئتين (ع).

(٣) هو أبو بكر أيوب بن أبي تيممة السخيتاني البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العبارد من الخامسة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله خمس وستون سنة (ع).

(٤) أبو صالح محمد بن يحيى بن سعيد القطان البصري ولد العالم الشهير، وأما هو فثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وثلاثين ومئتين على الصحيح (خت، م، ل).

الكريم.

الثانية: قوله (فأخذت أقرأ عليه يوماً سورة البقرة) جاء ذلك صريحاً في رواية عبيدا لله بن عمر عن نافع قال: قال لي ابن عمر أمسك علي المصحف يا نافع فقرأ.

أخرجه الدارقطني في غرائب مالك ذكره الحافظ في الفتح (١٨٩/٨).

الثالثة: قوله (حتى انتهى إلى مكان قال تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى) كذا وقع ههنا مبهما في موضع التلاوة وتفسير الآية وقد جاء ذانك مفسرين فيما أخرجه ابن جرير من طريق هشيم قال أخبرنا ابن عون عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم. قال: فقرأت هذه الآية ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فقال: أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت: لا. قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

الرابعة: قوله (يأتيها في...) جاء مفسراً عند ابن جرير من رواية نافع قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف إذ تلا هذه الآية ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ فقال أن يأتيها في دبرها « انتهى وما صنعه البخاري - رحمه الله - من حذف الجرور والاكتفاء بالجار هو من البديع الذي ألفته العرب في كلامها.

قال الحافظ (١٩٨/٨): «وهذا الذي استعمله البخاري نوع من أنواع البديع يسمى الاكتفاء ولا بد له من نكتة يحسن بسببها استعماله». انتهى.

قلت:

وهذه النكتة فيما يبدو لي هي كراهية التصريح بالذي جاء مفسراً في بعض الروايات كما أسلفنا.

وفي حديث الباب بمجموع رواياته دليل على أن ابن عمر رضي الله عنهما يرى جواز إتيان المرأة في دبرها يوضحه ما رواه الطبراني بسنده إلى ابن عمر قال:

«إنما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ رخصة في إتيان الدبر». انتهى.

فإن قلت: إن الطبراني فيما حكى الحافظ عنه قال: إن هذه الرواية شاذة؟ قلنا: ولكنه تعقبه بقوله: «كذا قال ولم يتفرد به يحيى بن سعيد وقد رواه عبدالعزيز الداروردي عن عبيد الله بن عمر أيضاً.. إلى أن قال: وقد روى هذا الحديث عن نافع جماعة غير من ذكرنا وروايتهم بذلك ثابتة عند ابن مردويه في تفسيره وفي فوائد الأصبهانيين لأبي الشيخ وتاريخ نيسابور للحاكم وغرائب مالك للدارقطني»

تبييه: وإن قال قائل: لكن يعكر على حديث الباب وما في معناه ما حكاه ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/١) عن الدارمي بسنده إلى سعيد بن يسار أبي الحجاب قال: قلت لابن عمر: أيحمض هن؟ قال: وما التحميص؟ فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ قال الحافظ ابن كثير عقبه: وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا اسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك فكل ماورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم.

قلت: وهذا توجيه جيد وتخريج لطيف ولفتة بدیعة وفق الحافظ ابن كثير رحمه الله إليها لكن أخرج ابن جرير عن عبدالرحمن بن القاسم عن مالك ابن أنس أنه قيل له: ياأبا عبد الله إن الناس يروون عن سالم ابن عبد الله أنه قال: كذب العبد أو العالج على أبي عبد الله، قال مالك: أشهد على يزيد ابن رومان أنه أخيرني عن سالم ابن عبد الله عن ابن ابن عمر مثل ما قال نافع فقيل له: فإن الحارث ابن يعقوب يروي عن أبي الحجاب سعيد ابن يسار أنه سأل ابن عمر فقال له: ياأبا عبدالرحمن إنا نشترى الجوارى أفاخمض هن؟ فقال وما التحميص؟ فذكر له الدبر. فقال له ابن عمر: أف أف وهل يفعل ذلك مؤمن؟ أو قال مسلم فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخيرني عن أبي الحجاب عن ابن عمر مثل ما قال نافع.

قال مقیده: والتوجيه عندي والله أعلم أن ابن عمر رضي الله عنهما قال

أولاً ما قال في تفسير الآية وصحت به الرواية عنه، ثم تبين له بعدد، أن الصواب خلافه فرجع إليه. وبهذا تأتلف الروايات وتتفق ورجوع ابن عمر عن قوله إلى ما هو الحق وموافقته جماهير الأئمة من الصحابة ومن بعدهم منقبة عظيمة ضمن مناقبه الجمة والله أعلم.

قال مقيد: والحق الذي لا مرية فيه عندنا تحريم وطء المرأة في دبرها لما استفاظ من الخبر الصحيح في ذلك، من ذلك ما قدمناه في شرح الآية وحديث جابر الآتي في سبب نزولها.

وقال النووي في شرحه على مسلم (٦/١٠) :

«واتفق العلماء الذين يعتد بهم على تحريم وطء المرأة في دبرها حائضاً كانت أو طاهرة لأحاديث كثيرة مشهورة كحديث (ملعون من أتى امرأة في دبرها)» انتهى محل الغرض.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١٧٤/١):

«قال القاضي: وسألت الإمام القاضي الطوسي عن المسألة فقال: «لا يجوز وطء المرأة في دبرها بحال لأن الله تعالى حرم الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة فأولى أن يحرم الدبر للنجاسة اللازمة» اهـ.

قلت: فهذا قياس بديع جيد ولو لم يكن في المسألة مستفيض الخبر عن رسول الله ﷺ ثابتاً لكان كافياً. فأمسك به، واعلم أن تحريم إتيان المرأة في دبرها هو مذهب: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد ابن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد ابن جبير وعروة ابن الزبير ومجاهد ابن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء.

الخامسة: قوله: (كانت اليهود) هم الذين يزعمون من أهل الكتاب أنهم على التوراة نسبة إلى يهوذا ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ويهوذا هو جداهم الأكبر وقيل في نسبتهم غير ذلك والمراد بهم يهود المدينة إذ الآية مدنية فالألف واللام للعهد الحضور.

السادسة: قوله: (إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول) يعني إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من دبرها أصاب المولود الحول.

والأحول: هو من أصاب عينه عيب يجعل نظرها غير مستقيم.

قال ابن منظور في مادة حول: «والحول في العين أن يظهر البياض في مؤخرها ويكون السواد من قبل الماق وقيل الحول إقبال الحدقة على الأنف وقيل هو ذهاب حلقها قبل مؤخرها.

وقيل: الحول أن تكون العين كأنها تنظر إلى الحجاج.

وقيل: وهو أن تميل الحدقة إلى اللحاظ» انتهى.

السابعة: قوله (فنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾)

فيه أمران:

أحدهما: رد زعم اليهود وإبطال فريتهم في بحى الولد أحول على الوجه المذكور في الحديث.

ثانيهما: أن ما أحله الله للرجل من امرأته هو إتيانها في قبلها وهو محل الحرث

وفي الباب ما رواه أبو داود في النكاح، باب في جامع النكاح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ابن عمر والله يغفر له، أوهم إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل

الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، قلما قدم

المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك

فأنكرته عليه وقال: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى

سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عزوجل ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد.

٤٢ - [باب ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن

أزواجهن﴾]

ش / تمامها ﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فيها أربعة أمور:

الأول: كون المطلق طلاقاً رجعياً أحق بنكاح مطلقته بعد العدة وذلك إذا تراضى الطرفان بالمعروف.

الثاني: نهى أولياء النساء من عضلهن وهو منعهن أن ينكحن أزواجهن على هذا الوجه.

الثالث: في قوله: ﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ مرجع الإشارة ما تقدم من أحقية نكاح الرجل مطلقته الرجعية بعد العدة، والمعنى أن في قبول هذا الحكم علامة على صدق الإيمان بالله واليوم الآخر، أي إنه يتعظ به أهل الإيمان وينزجرون عن منع النساء المطلقات بعد بلوغ الأجل من نكاح أزواجهن.

الرابع: في قوله ﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ قال الشوكاني: «وقوله ﴿ذلكم﴾ محمول على لفظ الجمع خالف سبحانه ما بين الإشارتين افتناناً. وقوله: ﴿أزكى﴾ أي أنمى وأنفع وأطهر من الأدناس والله يعلم مالكم فيه من الصلاح ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك» اهـ.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ وأطيب مما يظن الولي أن عدم تزويجه هو الرأي واللائق وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم تزويجه كما هو عادة المترفعين المتكبرين، فإن كان يظن أن المصلحة في عدم تزويجه فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم مدبر لها قادر عليها ميسر لها على الوجه الذي تعرفون وغيره» اهـ.

٥٢ - حدثنا عبيدالله بن سعيد^(١) حدثنا أبو عامر^(٢) العقدي حدثنا عباد بن راشد^(٣) حدثنا الحسن^(٤) قال: حدثنا معقل بن يسار^(٥) قال: كانت لي أخت تخطب إلي.

وقال إبراهيم^(٦) عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار. حدثنا أبو معمر حدثنا عبدالوارث حدثنا يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل، فنزلت ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾.

ش / أخرجه المصنف في النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي وفيه أن معقل قال: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبداً.

وفي الطلاق باب ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ وفيه: فدعاه رسول الله ﷺ فقراً عليه فترك الحمية واستقاد لأمر الله، كما أخرجه أبو داود باب في العضل والترمذي في التفسير (٢٩٨١)، والنسائي في التفسير وقوله تعالى ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ وعندهما أن معقل قال: (يا لكع)، وقد

(١) أبو قدامة عبيدالله بن سعيد بن يحيى الشكري السرخسي ثقة مأمون سني من العاشرة مات سنة إحدى وأربعين ومئتين (خ، م، س).

(٢) عبدالملك بن عمرو العقدي ثقة من التاسعة مات سنة أربع أو خمس ومئتين (ع).

(٣) عباد بن راشد التميمي مولاهم البصري البزار قريب داود بن أبي هند صدوق له أوهام من السابعة (خ، د، س، ق).

(٤) الحسن بن أبي الحسن البصري اسم أبيه يسار الأنصاري، مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويطلب هو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين سنة (ع).

(٥) أبو علي معقل بن يسار المزني صحابي ممن بايع تحت الشجرة وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة، مات بعد الستين (ع).

(٦) أبو سعيد إبراهيم بن طهمان الخراساني سكن نيسابور ثم مكة، ثقة يغرب، وتكلم فيه بالإرجاء، ويقال رجع عنه من السابعة، مات سنة ثمان وستين ومائة (ع).

اتفقت جميع طرق الحديث في الحسن البصري - رحمه الله - عن معقل كما عند المصنف ههنا.

وقول الشيخ: (وقال إبراهيم بن طهمان) كذا معلقاً ههنا وقد اسنده في النكاح. باب من قال (لا نكاح إلا بولي) فقال حدثنا أحمد بن أبي عمرو، حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن ﴿فلا تعضلوهن﴾ قال حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه.

وفي الحديث ست مسائل:

الأولى: قوله (كانت لي أخت) قال ابن جريج كما رواه ابن جرير: أخته جُمَيْل بنت يسار كانت تحت أبي البداح.

قلت: هذا ابن عاصم بن عدي بن الجعد البلوي حليف الأنصار يقال اسمه: عدي ويقال كنيته أبو عمرو وأبو البداح لقب، وذكر الحافظ في الفتح (١٨٩/٩) في اسم أخت معقل هذه عدة أقوال ثم جمع بينها فقال: ويحتمل التعدد بأن يكون لها اسمان ولقب أو لقبان واسم.

الثانية: قوله (تخطب إلي) وقع عند أبي داود (تخطب علي) والمعنى واحد.

الثالثة: قوله: (إن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها) تقدم تسميتها في المسألة الأولى.

الرابعة: قوله (فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها) فيه دليل على أن الطلاق كان رجعيًا ويبدل له ما جاء عند المصنف في الطلاق قال: (فطلقها تطليقة).

الخامسة: قوله (فأتى معقل) فسره في النكاح بقوله (إن معقل قال: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها ثم جئت تخطبها إلي والله لا تعود إليك أبداً).

السادسة: قوله فنزلت ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ العضل:

هو المنع والمراد به هو منع عود المرأة إلى مطلقها طلاقاً رجعيّاً حال تراضيهما بالمعروف وهذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وفيه دليل على صحة ما ذهب إليه أحمد والجمهور من اشتراط الولي في النكاح وأنه لا يصح بدونه، ووجه الاستدلال في أمرين:

أحدهما: قوله ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ وذلك أنه نهى الأولياء عن العضل، ولو لم يكن الولي شرطاً ما كان للنهي فائدة، يوضحه ما وقع عند البخاري في الطلاق (فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه، فترك الحمية يعني معقلاً).

الثاني: ما جاء من النهي عن النكاح بغير ولي من الأحاديث ومنها عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (أبما امرأة نكحت بغير إذن موليتها فنكاحها باطل: ثلاث مرات، فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها... الحديث).

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: (لا نكاح إلا بولي) أخرجهما أبو داود وغيره.

٤٣- [باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعلمون خبير﴾].

ش / في هذه الآية ثلاثة أمور:

الأول: بيان عدة المتوفى عنها زوجها وأنها أربعة أشهر وعشراً، تترك المرأة خلالها التحمل والزينة مع الإحداد، كما جاء ذلك في السنة الثابتة عن النبي ﷺ على ما سيأتي بيانه، فالآية وإن كان خبيراً إلا أن معناها الأمر.

الثاني: يستفاد من قوله: ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ شيئان:

أحدهما: أنه لولي المرأة المتوفى عنها أثناء العدة منعها من التحمل والزينة وما يرغب فيها الخطاب.

ثانيهما: أنه لا حرج ولا إثم على المعتدة إذا انتهت عدتها من التحمل والتزين بما يرغب فيها الخطاب وفق ما جاءت به الشريعة.

الثالث: في قوله ﴿والله بما تعملون خبير﴾ بيان بإحاطة الله علماً بأعمال العباد صغيرها وكبيرها وسرها وخفيها، وأنه مجازيهم عليها ومن ذلك ما جاء في الآية من أحكام العدة وما يسوغ للمرأة بعدها.

[﴿يعفون﴾: يهين].

ش / قال ابو عبيدة: «هن يتركن: يهين، عفوت لك عن كذا وكذا

تركته» اهـ

والآية المشار إليها ﴿إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح﴾ ولا

أدرى ما مناسبه هنا.

٥٣ - حدثني أمية بن بسطام^(١) حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب^(٢) عن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير^(٣)، قلت لعثمان بن عفان ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها، قال يابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه.

٥٤ - حدثنا إسحاق حدثنا روح حدثنا شبل^(٤) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب فأنزل الله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ قال جعل الله لها السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة ﴿وصية﴾ إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، وهو قول الله تعالى ﴿غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ فالعدة كما هي واجب عليها.
زعم ذلك عن مجاهد.

وقال عطاء: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت وهو قول الله تعالى ﴿غير إخراج﴾ قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت لقول الله تعالى

(١) أبو بكر أمية بن بسطام العيشي، بصري صدوق من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين ومعتن (خ، م، س).

(٢) أبو محمد حبيب بن الشهيد الأزدي البصري ثقة ثبت من الخامسة مات سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست وستين (ع).

(٣) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (ع).

(٤) شبل بن عباد المكي القاري ثقة رمي بالقدر، من الخامسة، قتل سنة ثمان وأربعين ومائة، وقيل بعد ذلك (خ، د، س، فق).

﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن﴾ قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعدت حيث شاءت ولا سكنى لها.

وعن محمد بن يوسف حدثنا ورقاء^(١) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا وعن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال: نسخت هذه الآية عدتها في أهلها فتعدت حيث شاءت لقول الله ﴿غير إخراج﴾ نحوه.

٥٥ - حدثنا حبان^(٢) حدثنا عبد الله أخبرنا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين^(٣) قال جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار وفيهم عبدالرحمن بن أبي ليلى فذكرت حديث عبد الله بن عتبة في شأن سبيعة بنت الحارث فقال عبدالرحمن: ولكن عمه كان لا يقول ذلك، فقلت: إني لجرئ إن كذبت على رجل في جانب الكوفة ورفع صوته قال ثم خرجت فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف قلت: كيف كان قول ابن مسعود في المتوفى عنها زوجها وهي حامل فقال: قال ابن مسعود أتجعلون عليها التخليط ولا تجعلون لها الرخصة؟ أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى.

وقال أيوب عن محمد لقيت أبا عطية مالك بن عامر.

ش / فيها ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله (قلت لعثمان) ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قال: قد نسختها الآية الآخري).

(١) أبو بشر ورقاء بن عمر الشكري الكوفي، نزيل المدائن، صدوق في حديثه عن منصور لين، من السابعة (ع).

(٢) أبو محمد حبان بن مرسي بن سوار السلمى المروزي ثقة، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومئتين (خ، م، ت، س).

(٣) محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة (ع).

النسخ في اللغة: يطلق على النقل والازالة فمن الأول نسخت الكتاب، أي نقلته، ومن الثاني نسخت الشمس الظل أي أزالته، وحلت محله.
وفي الشرع: رفع الحكم الشرعي بحكم شرعي آخر مترسخ عنه.
والتفصيل في حكم النسخ وأدلته وشروطه وطرقه في كتب أصول الفقه وعلوم القرآن.

وقوله (نسختها الآية الأخرى) يأتي بيانه بعد.

الثانية: قوله (فلم تكتبها أو تدعها) كذا ههنا وفي رواية الإسماعيلي (لم تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى) وله من رواية أخرى (قلت لعثمان هذه الآية ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ قال: نسختها الآية الأخرى، قلت تكتبها أو تدعها.

ذكر ذلك الحافظ (١٩٤/٨).

قلت: فتحصل من هذا ثلاثة أمور:

أولاً: بيان الناسخ والمنسوخ من الآيتين.

ثانياً: أن الاستفهام في كلام ابن الزبير للإنكار، فلعله كان يظن أن ما نسخ

حكمه لا يثبت رسمه في المصحف.

ثالثاً: أن (أو) للتخيير كما هو ظاهر رواية الإسماعيلي الثانية.

الثالثة: قوله: (يا بن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه) فيه دليل على أن

ترتيب الآيات توقيفي وأنه لا مجال للاجتهاد فيه.

قال الزركشي (٢٥٦/١):

«وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها

فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تنكيصها.

قال مكي وغيره: «ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر

بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، وقال القاضي أبو بكر ترتيب الآيات أمر

واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وأسد البيهقي في كتاب المدخل والدلائل عن زيد بن ثابت، قال كنا حول رسول الله ﷺ نؤلف القرآن إذ قال: طوبى للشام فليل له: ولم؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه. زاد في الدلائل نؤلف القرآن في الرقاع». اهـ.

الرابعة: قوله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ إلى قوله ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾.

قال ابن بطال كما في الفتح (٦/٤٩٣):

«ذهب مجاهد إلى أن الآية وهي قوله تعالى ﴿يتربصن بأربعه أشهر وعشراً﴾ نزلت قبل الآية التي قبلها ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ كما هي قبلها في التلاوة وكأن الحامل له على ذلك استشكل أن يكون الناسخ قبل المنسوخ، فرأى أن استعمالها ممكن بحكم غير متدافع لجواز أن يوجب الله على المعتدة التربص أربعة أشهر وعشراً ويوجب على أهلها أن تبقى عندهم سبعة أشهر وعشرين ليلة تمام الحول، إن أقامت عندهم» انتهى ملخصاً.

قال: «وهو قول لم يقله أحد من المفسرين غيره ولا تابعه عليها من الفقهاء أحد، وأطبقوا على أن آية الحول منسوخة، وأن السكنى تبع للعدة، فلما نسخ الحول في العدة بالأربعة أشهر وعشر نسخت السكنى أيضاً.

الخامسة: قوله (جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية) إلى قوله (فالعدة كما هي واجب عليها) مفاده أن ما عدا أربعة أشهر وعشر من الحول فيه الخيار للمرأة إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، لكن قال ابن عبد البر لم يختلف العلماء أن العدة بالحول نسخت إلى أربعة أشهر وعشر وإنما اختلفوا في قوله ﴿غير إخراج﴾ فالجمهور على أنه نسخ أيضاً، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد... فذكر حديث الباب قال:

«و لم يتابع على ذلك، ولا قال أحد من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين به في مدة العدة؛ بل روى ابن جريج عن مجاهد في قدرها مثل ما عليه الناس فارتفع الخلاف واختص ما نقل عن مجاهد وغيره بمدّة السكنى على أنه أيضاً شاذ لا يعول عليه، واللّه أعلم» انتهى من الفتح (٩٣/٩).

قلت: وفي الموطأ (كتاب الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تمحل).

عن زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريضة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدره، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني خدره، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت فقال رسول الله ﷺ: نعم. قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله ﷺ أو أمر بي فنوديت له، فقال: كيف قلتي؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله. قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا. قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١). باب السين مالك عن سعيد ص (٣١):

«في هذا الحديث إيجاب العمل بخبر الواحد، ألا ترى إلى عمل عثمان بن عفان به وقضائه باعتداد المتوفى عنها زوجها في بيتها من أجله في جماعة الصحابة من غير تكبير وفي هذا الحديث، وهو حديث مشهور معروف عند علماء الحجاز والعراق أن المتوفى عنها زوجها عليها أن تعتد في بيتها ولا تخرج منه وهو قول جماعة فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق ومصر منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وهو قول عمر وعثمان وابن

عمر وابن مسعود وغيرهم، وكان داود وأصحابه يذهبون إلى أن المتوفى عنها زوجها ليس عليها أن تعتد في بيتها وتعتد حيث شاءت لأن السكنى إنما ورد به القرآن في المطلقات ومن حجته أن المسألة مسألة اختلاف قالوا: وهذا الحديث إنما ترويه امرأة غير معروفة بحمل العلم، وإيجاب السكنى، إيجاب حكم والاحكام لا تجب إلا بنص كتاب أو سنة ثابتة أو إجماع.

قال أبو عمر: أما السنة فثابتة بحمد الله، وأما الإجماع فمستغنى عنه مع

السنة.

لأن الاختلاف إذا نزل في مسألة كانت الحجة في قول من وافقته السنة.

وبالله التوفيق « انتهى.

ثم ذكر الخلاف في المسألة ثم خلص إلى أن اعتداد المرأة المتوفى عنها زوجها في بيتها هو قول الشافعي وأبي حنيفة وجمهور العلماء.

قلت: وفي الإنصاف (٣٠٦/٩): «وتجب عدة الوفاة في المنزل الذي وجبت فيه إلا أن تدعو ضرورة إلى خروجها منه بأن يحولها مالكة أو تخشى على نفسها فتنتقل بلا نزاع». انتهى.

قال الشارح: «وظاهر كلام المصنف هنا أنها تنتقل حيث شاءت هو أحد الوجهين والمذهب منهما على ما اصطلاحناه، واختاره القاضي والمصنف والشارح وجزم به في الكافي وقدمه ابن رزين في شرحه» انتهى.

وبهذا يظهر لك أن الإمام أحمد في أصح الروايات عنه مع الجمهور في هذه

المسألة.

السادسة: قوله (زعم ذلك عن مجاهد) القائل هو شبل وفاعل زعم هو ابن

أبي نجيح راوية مجاهد.

السابعة: قوله (جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار) في رواية أيوب

في تفسير سورة الطلاق - كما سيأتي إن شاء الله - (كنت في حلقة فيها

عبدالرحمن بن أبي ليلي وكان أصحابه يعظمونه).

الثامنة: قوله (عبدالله بن عتبة) هو عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي ابن أخي عبدالله بن مسعود ولد في عهد النبي ﷺ ووثقه العجلي وجماعة، من كبار الثانية، مات بعد السبعين (خ، م، د، س، ق).

التاسعة: قوله (في شأن سبيعة بنت الحارث) هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية، زوج سعد بن خولة لها صحبة وحديث في عدة المتوفى عنها زوجها ويقال إنها هي سبيعة التي روى عنها ابن عمر حديثاً في فضل المدينة وفرق بينهما العجلي (خ، م، د، س، ق).

قلت: وحديثها في عدة المتوفى عنها زوجها مخرج عند الستة ولفظ أبي داود من رواية عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن أباه كتب إلى عمر بن عبدالله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته فكتب عمر بن عبدالله إلى عبدالله بن عتبة يخبره أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وهو ممن شهد بدرًا فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما طهرت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبدالدار فقال لها: مالي أراك متحملة، لعلك ترتجين النكاح، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بد إلي « انتهى محل الغرض.

العاشرة: قوله (فقال عبدالرحمن).

قلت: هو عبدالرحمن بن أبي ليلسى الأنصاري المدني ثم الكوفي ثقة من الثانية، اختلف في سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين قيل إنه

غرق (ع).

الحادية عشرة: قوله: (ولكن عمه كان لا يقول ذلك) يعني عبدالله بن

مسعود.

وقوله (قلت إني لجرئ إن كذبت علي رجل في جانب الكوفة) القائل هو محمد بن سيرين ويريد بالذي في ناحية الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود الراوي لحديث سيعة كما صرح به في تفسير سورة الطلاق.

الثانية عشرة: قوله (ورفع صوته، قال ثم خرجت) الذي رفع صوته عبدالرحمن بن أبي ليلي، فكأنه يستنكر بذلك حكاية ابن سيرين في شأن سيعة ومراجعته إياه في ذلك، والذي تخرج من المجلس هو ابن سيرين وأظنه صنع ذلك توقيراً لعبدالرحمن بن أبي ليلي وكراهة للمشادة حتى يستوثق من الخبر.

الثالثة عشرة: قوله (فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف) كذا ههنا بالشك وسيأتي في تفسير سورة الطلاق من رواية أيوب عن محمد صريحاً بالجزم بالأول وسوف يأتي الكلام على بقية حديث ابن سيرين مستوفى هناك إن شاء الله تعالى.

٤٤ - [باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى﴾].

تمامها: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فيها ثلاث مسائل:

الأولى: أمر جل ثناؤه عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس، وهذه المحافظة تشمل جميع ما اعتبره الشارع للصلاة من شروط وأركان وواجبات مع أدائها في أوقاتها وبكامل هيئاتها.

الثانية: في قوله ﴿والصلاة الوسطى﴾ تخصيص بعد تعميم يفيد فضل هذه الصلاة التي أفردت بالذكر مع دخولها في عموم الصلوات وهذا تنويه بفضلها وعظم شأنها وسيأتي في حديث الباب تعيين هذه الصلاة.

الثالثة: قوله ﴿وقوموا لله قانتين﴾ يأتي تفسيره في الباب بعده.

٥٦ - حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا يزيد^(١)، أخبرنا هشام، عن محمد

عن عبيدة^(٢) عن علي رضي الله عنه قال النبي ﷺ...

حدثني عبدالرحمن^(٣): حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام قال حدثنا

محمد عن عبيدة عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الخندق:

(حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم،

أو أجوافهم - شك يحيى - ناراً»

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (يوم الخندق) قال ابن إسحاق كما في سيرة هشام

(١) هو أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان السلمى مولاهم، الواسطي، ثقة متقن، عابد،

من التاسعة، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين (ع).

(٢) عبيدة هو أبو عمرو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، تابعي كبير مخضرم،

فقيه ثبت، كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله، مات سنة اثنتين وسبعين أو

بعدها، والصحيح أنه مات قبل ست وسبعين (ع).

(٣) عبدالرحمن هو: أبو محمد عبدالرحمن بن الحكم العبدي النيسابوري، ثقة من صغار

العاشرة، مات سنة ستين ومئتين، وقيل بعدها (خ، م، د، ق).

(٢/٢١٤): «ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس وسباق بسنده إلى أن قال: إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه... إلى أن قال (ص ٢١٥): فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوههم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له»، ثم ذكر تحريض أولئك اليهود لغطفان وخروج الجميع متحزبين على حرب النبي ﷺ والمسلمين بالمدينة، ثم ما كان من عمل النبي ﷺ من حضر الخندق ومشاركة أصحابه معه وتسلسل المنافقين إلى آخر ما جرى في تلك الغزوة» وأخرج المصنف معلقاً عن موسى بن عقبة: أن غزوة الخندق كانت في شوال سنة أربع ويؤيده ما رواه عن ابن عمر أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، ووجه ذلك أن أحداً كانت سنة ثلاث فيكون بين الغزوتين سنة واحدة.

الثانية: قوله: (حبسونا عن صلاة الوسطى).

قلت: في الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (شغلونا عن الصلاة الوسطى)، فتكون هذه الرواية مفسرة للحبس في حديث الباب.

وقوله: (صلاة الوسطى) من إضافة الموصوف إلى صفته، ولم يعين تلك الصلاة وقد فسرها عند مسلم في المساجد باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر من رواية شتير بن شكل عن علي (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر) وكذا من رواية مرة عن عبدالله بن مسعود.

قلت: وهذا هو قول الجمهور من أهل التفسير منهم ابن عباس وابن عمر وأم سلمة وسعيد بن جبير. أخرجه عنهم الطبري (٥٥٤/٢)، ثم قال بعد ذكر الأقوال في ذلك: «والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ التي ذكرناها قبل في تأويله، وهو أنها العصر». اهـ.
قال مقيدة: فتحصل عندنا أمران:

أحدهما: تحديد الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر لقيام الدليل الصحيح الصريح عن النبي ﷺ على ذلك.

وثانيهما: فضيلة هذه الصلاة وقد استفاض به الخبر عن النبي ﷺ من ذلك ما أخرجه مسلم في المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (أما إنكم ستزون ربكم كما تزون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني العصر والفجر -).

الثالثة: قوله (حتى غابت الشمس) في حديث ابن مسعود عند مسلم في المساجد، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر - (حتى احمرت الشمس واصفرت) فالجمع بينهما عندي محمول على تعدد القصة فكل من علي وابن مسعود زوى ما اتفق له من الخبر عن النبي ﷺ في ذلك، أو يقال إن ذلك مبني على التسامح في العبارة ولم أجد في شيء من طرق حديث الباب عند المصنف متى أدى النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق ولكن وقع عند مسلم (ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء).

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه صلاها بين الوقتين. والآخر: أنه صلاها بين الصلاتين. ويؤيد الأول ما رواه البخاري في المواقيت، باب من صلى بالناس جماعة

بعد ذهاب الوقت، ومسلم في المساجد، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

عن جابر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش. وقال: يا رسول الله، ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال النبي ﷺ (والله ما صليتها) قال فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر، بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب).

الرابعة: قوله (ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم، - شك يحيى - ناراً).

فيه جواز سب المشركين والدعاء عليهم وإن كانوا معينين لأن الحادثة كانت مع كفار قريش ومن شايعهم من اليهود والعرب. وقوله: (شك يحيى) يعني به عسى بن سعيد القطان، قاله القسطلاني. قلت: وقد جاء الحديث من غير طريق يحيى عن علي بلفظ: (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً) من غير شك.

قال مقيده: وفي هذه الأحاديث مجتمعة فوائد كثيرة غير ما تقدم منها:

١ - تقديم الصلاة الفائتة في الترتيب على الصلاة الحاضرة.

٢ - جواز الحلف من المخير وإن لم يستحلف.

٣ - أن تأخير النبي ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس كان قبل مشروعية صلاة الخوف، وهل كان التأخير مختصاً بصلاة العصر أو وقع غير ذلك؟ قال النووي - رحمه الله - (٣/١٣٠): «واعلم أنه وقع في هذا الحديث هنا وفي البخاري أن الصلاة الفائتة كانت صلاة العصر وظاهره أنه لم يفت غيرها. وفي الموطأ أنها الظهر والعصر وفي غيره أنه أخرج أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى ذهب هوي من الليل وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام وهذا في بعضها» اهـ.

ونقل هذا الجمع عن ابن العربي الحافظ في الفتح (٦٩/٢).

٤٥ - [باب ﴿وقوموالله قانتين﴾]

ش / قوله: ﴿وقوموالله قانتين﴾ هذه إحدى المسائل الثلاث في الآية وقد مضى في الباب قبله المسألتان الأوليان، واعلم أن أهل التفسير قد اختلفت أقوالهم في معنى (القنوت) في هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها: مطيعين. وهو قول ابن عباس والشعبي والضحاك في الجمهور.

وثانيها: السكوت وبه قال زيد بن أرقم والسدي.

وثالثها: الخشوع وخفض الجناح، قاله مجاهد والربيع بن أنس.

ورابعها: الدعاء وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

ذكرها جميعاً ابن جرير - رحمه الله (٥٦٨/٢) ثم قال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿وقوموالله قانتين﴾ قول من قال تأويله: مطيعين. وذلك أن أصل القنوت الطاعة، وقد تكون الطاعة لله في الصلاة بالسكوت عما نهى الله عنه من الكلام فيها، ولذلك وجه من وجه تأويل القنوت في هذا الموضع إلى السكوت في الصلاة، أحد المعاني التي فرضها الله على عباده فيها إلا عن قراءة قرآن أو ذكر له بما هو أهله» انتهى.

[﴿قانتين﴾ مطيعين].

ش / قاله الفراء في المعاني (٧٤/١).

٥٧ - حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل بن أبي خالد^(١)، عن

الحارث بن شبيب^(٢) عن أبي عمرو الشيباني^(٣)، عن زيد بن

(١) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولا هم البجلي، ثقة، ثبت، من الرابعة، مات سنة ست وأربعين ومائة. (ع).

(٢) الحارث بن شبيب هو أبي الطقيل الحارث بن شبيب البجلي ثقة من الخامسة (خ، م، د، ت، س).

(٣) أبو عمرو الشيباني هو: سعد بن إياس الكوفي، ثقة مخضرم من الثانية، مات سنة خمس - أو ست - وتسعين، وهو ابن عشرين ومائة سنة (ع).

أرقم^(١) قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم أحدنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت.

ش / فيه مسألتان:

الأولى: قوله: (كنا نتكلم في الصلاة، يكلم أحدنا أخاه في حاجته) في رواية مسلم، كتاب المساجد باب (تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته). (وهو إلى جنبه في الصلاة).

قلت: أفاد أمرين.

أحدهما: أن كلام كلاً منهم مع المجاور له. وليس معناه أن كل المأمومين يتحدثون في الصلاة حديثاً عاماً، فإن ذلك يناقض الخشوع فيها ويشوش على النبي ﷺ صلاته.

وثانيهما: أنهم لا يتكلمون في الصلاة بكل شئ بل بقدر ما تدعوا إليه الحاجة كرد السلام.

الثانية: قوله: (حتى نزلت هذه الآية) ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت) في رواية مسلم (ونهيها عن الكلام) يتضمن ثلاثة أمور:

أولاً: نسخ إباحة الكلام على الوجه المتقدم في الصلاة بهذه الآية وأن ذلك كان بالمدينة إذ الآية مدنية بالاتفاق.

ثانياً: في قوله: (أمرنا بالسكوت) الأمر هو النبي ﷺ إذ الناقل لهذه السنة صحابي فلا ينصرف الأمر والحالة هذه إلى غير رسول الله ﷺ إلا بقريضة، ولا صارف ها هنا.

وقوله: (بالسكوت) يعني به الإمساك عما كان مباحاً لهم من الكلام.

ثالثاً: في زيادة مسلم وهي (ونهيها عن الكلام) تأكيد وتصريح بالنهي عما

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافين. مات سنة ست أو ثمان وستين (ع).

ليس من مصلحة الصلاة من الكلام، وهل تبطل الصلاة به؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٢/٦١٥): «الأصل في هذا الباب أن النبي ﷺ قال: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام آدميين» وقال: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء، ومما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة» قال زيد بن أرقم: «فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام، وهذا مما اتفق عليه المسلمون، قال ابن المنذر وأجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عامداً وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها أن صلاته فاسدة، والعامد من يعلم أنه في صلاة وأن الكلام محرم.

قلت: وقد تنازع العلماء في الناسي والجاهل والمكره والمتكلم لمصلحة الصلاة، وفي ذلك كله نزاع في مذهب أحمد وغيره من العلماء، إذا عرف ذلك فاللفظ على ثلاث درجات:

أحدها: أن يدل على معنى بالوضع إما بنفسه وإما مع لفظ غيره، كفي، وعن، فهذا الكلام مثل يد، ودم، وفم، وخذ.

الثاني: أن يدل على معنى بالطبع كالتأوه والأنين والبكاء ونحو ذلك.

الثالث: أن لا يدل على معنى، لا بالطبع ولا بالوضع، كالنحنحة فهذا القسم كان أحمد يفعله في صلاته، وذكر أصحابه عنه روايتين في بطلان الصلاة بالنحنحة.

فإن قلنا: تبطل ففعل ذلك لضرورة فوجهان فصارت الأقوال فيها ثلاثة:

أحدها أنها لا تبطل بحال وهو قول أبي يوسف وإحدى الروايتين عن مالك؛ بل ظاهر مذهبه.

والثاني: تبطل بكل حال، وهو قول الشافعي وأحد القولين في مذهب

أحمد ومالك.

والثالث: إن فعله لعذر لم تبطل وإلا بطلت وهو قول أبي حنيفة ومحمد

وغيرهما وقالوا إن فعله لتحسين الصوت وإصلاحه لم تبطل، انتهى ملخصاً.

[٤٦ - باب ﴿فَاخْفَتُمْ فِرَجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾، فَإِذَا أَمْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.]

ش / (يعني تعالى ذكره بذلك وقوموا لله في صلاتكم مطيعين له، لما قد بيناه من معناه، فإن خفتكم من عدو لكم أيها الناس، تخشونهم على أنفسكم في حال التقاتل معهم، أن تصلوا قياماً على أرجلكم بالأرض قانتين لله، فصلوا رجالاً مشاة على أرجلكم، وأنتم في حربكم وقتالكم وجهاد عدوكم، أو ركباناً على ظهور دوابكم، فإن ذلك يجزؤكم حينئذ من القيام منكم قانتين.

قوله: ﴿فَإِذَا أَمْتُمْ... الآية﴾ وتأويل ذلك: فإذا أمتتم أيها المؤمنون من عدوكم أن يقدر على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم، ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم، فاطمأنتم، فاذكروا الله في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له، والحمد والثناء عليه على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله كما ذكركم بتعليمه إياكم، من أحكامه وحلاله وحرامه، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة، والأنبياء الحادثة بعدكم في عاجل الدنيا وأجل الآخرة، التي جهلها غيركم، وبصركم من ذلك وغيره، إنعاماً منه عليكم بذلك، فعلمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون» انتهى ملخصاً من جامع البيان.

شرح جملة من الكلمات والآثار:-

١- [وقال ابن جبير : كرسيه : علمه].

ش /

في التعليق :

اخبرنا عبد القادر بن محمد بن علي أنا أحمد بن علي بن الحسن الجزري أنا محمد بن اسماعيل (خطيب مردا) أنا علي بن حمزة الكاتب أنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو طالب بن غيلان أنا أبو بكر الشافعي حدثنا إسحاق بن الحسن

حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله:

﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ قال : علمه . أهـ (٤ / ١٨٥)

وقال في الفتح :

وصله سفيان الثوري في تفسيره في رواية أبي حذيفة عنه بإسناد صحيح .

قلت :

وأخرجه ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب ومسلم بن جنادة قالا حدثنا

ابن إدريس عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فذكره . وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية .

وثانيها : أن الكرسي موضع القدمين وبه قال أبو موسى والسدي

والضحاك ومسلم البطين .

وثالثها : أن الكرسي ، هو العرش نفسه وبه قال الحسن البصري والذي

اختاره ابن جرير .

قال مقيده :

وثاني هذه الأقوال هو الراجح عندي لما رواه الحاكم في تفسير الآية من

مستدركه عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال : الكرسي : موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره ، وقال

عقبه : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

والآية المشار إليها (آية الكرسي المعروفة) ﴿ الله لا إله إلا هو الحي

القيوم .. ﴾ الآية .

٢- [يقال (بسطة) : زيادة وفضلاً]

ش :

قاله أبو عبيدة ، وزاد : وكثرة .

والآية المشار إليها ﴿ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم

والجسم .. ﴿ الآية .

٣- [أفرغ : أنزل]

ش :

قاله أبو عبيدة .

والآية المشار إليها ﴿ ولما برزوا جالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾

٤- [لا يؤوده ﴾ : لا يثقله]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ﴿ لا يؤوده حفظهما ﴾ يقول : لا يثقل عليه .

وأخرج عنه برواية الضحاك : (لا يكرثه) .

٥- [أدني : أثقلني ، والآد ، والأيد : القوة]

ش :

قال أبو عبيدة : ﴿ ولا يؤوده ﴾ : ولا يثقله ، تقول : لقد أدني هذا الأمر وما أدك فهو لي آئد ، قال الكميث :

علينا كالتهاء مضاعفات من الماضي لم تؤد المتونا

تقول : ما أثقلك فهو لي مثقل . أهـ

٦- [السنة : نعاس]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم عن معاوية ابن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

وأخرج عن السدي : ﴿ لاتأخذه سنة ولا نوم ﴾ فهو ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الإنسان .

٧- [لم يتسنّه : لم يتغير]

ش :

أخرجه ابن أبي حاتم من وجهين عن ابن عباس، وعن السدي مثله .
قال : لم يحمض التين والعنب ولم يخنثر العصير، بل هما حلوان كما هما
وعلى هذا، فالهاء فيه أصلية، وقيل : هي هاء السكته، وقيل : أصله (يتسنن)
مأخوذ من الحما المسنون، أي المسنن .

وفي قراءة يعقوب : (لم يتسنن) بتشديد النون بلا هاء، أي لم تمض عليه
السنون الماضية، كأنه ابن ليلة . أه من الفتح

٨- [قُبِهُتْ] : ذهبت حجته]

ش :

قال أبو عبيدة : [قُبِهُتْ] انقطع وذهبت حجته، وبُهِتْ أكثر
الكلام، وبُهِتْ إن شئت . أه

والآية المشار إليها [قُبِهُتْ] الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين

٩- [خَاوِيَةٌ] : لا أنيس فيها]

ش :

قال أبو عبيدة : [خَاوِيَةٌ] لا أنيس بها . أه
وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة قال : ليس فيها
أحد . أه

ولامنافاة بين العبارات الثلاث أو اختلاف في المعنى .

١٠- [عَرُوشَهَا] : أبنيتها]

ش :

ذكره ابن أبي حاتم عن الضحاك والسدي بمعناه .
وقال أبو عبيدة : [عَرُوشَهَا] : على بيوتها وأبنيتها . أه

١١- ﴿ نَشْرُهَا ﴾ : نَخْرَجُهَا [

ش :

أخرج ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد على هذه القراءة (نشرها) على القراءة بالراء المهملة وضم نون أوله : نخبها .

وأخرج على القراءة بالزاي المعجمة مع ضم نون أوله ، عن ابن عباس ﴿ كيف نشرها ﴾ : كيف نخرجها ، وعن السدي : نخر كها . أهـ
وكلتا القراءتان صحيحة . حكاها في النشر (٢/٢٣١)

والآية المشار إليها : ﴿ أو كالذي مرّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشرها ... ﴾

١٢- ﴿ إِعْصَار ﴾ : رِيحٌ عَاصِفٌ تَهْبُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ، كَعَمُودٍ

فيه نار [

ش :

هو تفسير أبي عبيدة .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴾ : رِيحٌ فِيهَا سُمُومٌ شَدِيدَةٌ ، وَأَخْرَجَ فِي الْمَعْنَى عَنْ قَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَالرَّبِيعِ .
وهو أحد قولين حكاهما في الآية .

وثانيها : رِيحٌ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ .

والآية المشار إليها ﴿ أَيُودٍ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ

لعلمكم تفكرون ﴿

١٣- [وقال ابن عباس ﴿ صلداً ﴾ : ليس عليه شيء]

ش :

أخرجه ابن جرير قال : حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي قال : ثني عمي قال : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ، وذكره بلفظ : ليس عليه شيء ، وكذلك المنافق يوم القيامة ، لا يقدر على شيء مما كسب .
وأخرج في المعنى عن قتادة والسدي .

والآية المشار إليها ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون مما كسبوا على شيء والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾

١٤- [وقال عكرمة : ﴿ وابل ﴾ : مطرٌ شديد ، الطل : الندى وهذا

مثل عمل المؤمن]

ش :

وصله عبد بن حميد عن روح بن عبادة عن عثمان بن غياث : سمعت عكرمة : بهذا . حكاه في الفتح

والآية المشار إليها ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾

١٥- [﴿ يتسنه ﴾ : يتغير]

ش :

أخرجه ابن جرير قال : حدثنا سفيان ثنا أبي عن النضر عن عكرمة فذكره، وأخرج عن ابن زيد مثله .

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس .
وهو أحد قولين حكاهما ابن جرير في الآية .
وثانيهما : لم ينتن وبه قال مجاهد وغيره .
وقد مضت الآية المشار إليها قريباً .

٥٨ - حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا مالك، عن نافع: أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام وطائفة من الناس، فيصلي بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا، ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة، ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوف هو أشد من ذلك، صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركبناً، مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها .

قال مالك: قال نافع: لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ .

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: (يتقدم الإمام وطائفة من الناس... إلى قوله: ولا يسلمون). فيه أمران:

أولهما: وجوب صلاة الجماعة ما أمكن ذلك وهو ظاهر صريح من فعل النبي ﷺ في هذا الحديث وما ورد في روايات صلاة الخوف الثابتة عن النبي ﷺ ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ... الآية﴾ فإذا كان الأمر بصلاة الجماعة

٥٩ - حدثني عبدالله بن أبي الأسود^(١): حدثنا حميد بن الأسود^(٢)،
 ويزيد بن زريع^(٣) قالوا: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة قال: قال
 ابن الزبير:

قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون
 أزواجاً إلى قوله... غير إخراج﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ قال
 تدعها يا ابن أخي، لا أغير شيئاً منه من مكانه...
 قال حميد: أو نحو هذا.

ش / قلت: وشاهد الترجمة في قوله: ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول
 غير إخراج﴾.

قوله: (قال حميد) هو حميد بن الأسود أحد رجال السند وهو شيخ شيخ
 البخاري.

وقوله: (أو نحو هذا): يعني نحو المذكور وهذا شك من حميد بخلاف يزيد
 بن زريع فقد جزم بالخبر كما سبق في الباب الثالث والأربعين وقد مضى شرحه
 مستوفى هناك.

(١) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الأسود البصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة
 حافظ له سماع من أبي عوانة وهو صغير، من العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين
 ومنتين (خ، د، ت).

(٢) هو أبو الأسود حميد بن الأسود الأشقر البصري الكرايسسي، صدوق يهم قليلاً، من
 الثامنة (خ ٤).

(٣) هو أبو معاوية يزيد بن زريع - مصغرا - البصري، ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة اثنتين
 وثمانين [ومائة] (ع).

وأما قولهم: لو كانت واجبة لكانت شرطاً في الصلاة كالجمعة فجوابه ما قاله ابن قدامة: «ولا يلزم من الوجوب الاشتراط كواجبات الحج والإحداذ في العدة».

ثانيهما: في قوله: (ولا يسلمون) مفاده أن الطائفة الأولى تنصرف عن النبي ﷺ دون تسليم ثم تقف تجاه العدو، ويشكل عليه ما أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، عن (صالح بن خوات عن شهد مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف، أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم). ووجه الإشكال فيما أفاده، بأن الطائفة الأولى انصرفت عن النبي ﷺ بعد السلام وقضاء ما عليها وهذا يعارض حديث الباب. والجمع بينهما عندي ما قاله الشوكاني: «والحق الذي لا محيص عنه أنها جائزة على كل نوع من الأنواع الثابتة وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم في هذا الباب حديثاً إلا صحيحاً فلا وجه للأخذ ببعض ما صح دون بعض إذ لا شك أن الأخذ بأحدها فقط تحكم محض» انتهى من نيل الأوطار.

المسألة الثانية: قوله: (ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة... إلى قوله: قد صلى ركعتين) مفاده أن كلتا الطائفتين صلت ركعتين مع النبي ﷺ وأن النبي ﷺ قد صلى بكل منهما ركعة فتم له ركعتان وهذه إحدى الصفات الواردة عن النبي ﷺ في صلاة الخوف ويعارضه في الظاهر ما أخرجه الشيخان وأحمد عن جابر رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين فكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان).

وأخرج أحمد والنسائي وأبو داود عن أبي بكره نحوه، قال الشوكاني في هذين الحديثين (٧/٤): «وحدّث جابر وأبي بكره يدلان على أن من صلات صلاة الخوف أن يصلي الإمام بكل طائفة ركعتين فيكون مفترضاً في ركعتين ومتنفلاً في ركعتين».

وقال الخطابي في المعالم هامش سنن أبي داود (٢٨/٢): «صلاة الخوف أنواع وقد صلاها رسول الله ﷺ في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة يتوخى في كل ما هو أحوط للصلاة وابلغ في الحراسة وهي على اختلاف صورها مؤتلفة في المعاني» انتهى محل الغرض.

قال مقيده: وبما قاله هذان الإمامان يزول الإشكال وتندفع المعارضة بين حديث الباب وحديث جابر وتتألف جميع الروايات في كيفية صلاة الخوف وقد عرفت قريباً أنها كلها صحيحة فيصبح الاختلاف تنوع لا تضاد، والله الحمد والمنة وقد تبين لك مما سقناه من الروايات في هذا الباب وكذا ما في معناه أن تلك الكيفيات كانت في السفر.

والسؤال: هل تشرع صلاة الخوف في الحضر وكيف؟

قال ابن قدامة (٤٠٦/٢): «وجملة ذلك أن صلاة الخوف جائزة في الحضر إذا احتيج إلى ذلك بنزول العدو قريباً من البلد، وبه قال الأوزاعي والشافعي، وحكى عن مالك أنها لا تجوز في الحضر لأن النبي ﷺ لم يفعلها في الحضر، وخالفه أصحابه، فقالوا كقولنا، ولنا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية. وهذا عام في كل حال وترك النبي ﷺ فعلها في الحضر إنما كان لغناه عن فعلها في الحضر، وقولهم: إنما دلت الآية على ركعتين؟ قلنا: وقد يكون في الحضر ركعتان الصبح والجمعة والمغرب ثلاث، ويجوز فعلها في الخوف في السفر، ولأنها حالة خوف فجازت فيها صلاة الخوف كالسفر» انتهى محل الغرض.

قلت: وأما كيف تصلي صلاة الخوف في الحضر فالجواب إن كانت ثنائية كالصبح فإنه يصلي بهم الإمام كما جاء عن النبي ﷺ في صلاة ذات الرقاع، أو غيرها حسب ما تقضيه الحال، وأما سائر الصلوات فالظاهر أنه يجعلهم فرقتين فيصلي بالأولى ركعتين ثم يظل جالساً فتم لنفسها ما بقي ثم يصلي بالثانية ما بقي له وينظرهم حتى يتموا لأنفسهم ثم يسلم بهم. والله أعلم.

المسألة الثالثة: قوله: «فإن كان خوف هو أشد من ذلك... إلى آخره» هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب ومفاده أنه في حال التحام جيش المسلمين وجيش العدو بحيث لا يمكن معه الصلاة على ما تقدم من الأوجه، فإن المسلم يصلي راكباً أو راجلاً ولو إلى غير القبلة وكيف ما اتفق له.

وفيه دليل على أنه لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها في الخوف كما تقدم في حديث غزوة الخندق، يوضحه قوله عند مسلم (فإذا كان خوف أكثر من ذلك فصل راكباً أو قائماً تومئ إيماءً).

المسألة الرابعة: قوله: (لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ) القائل هو نافع راوية الزهري عن سالم عن أبيه. قلت: فقد جاء التصريح بالرفع حيث قال ابن عمر: (غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا العدو فصاففناهم) الحديث.

٤٧- [باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾].

ش / تمامها ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾.
حاصل ما تضمنته الآية ثلاثة أمور:

الأول: استحقاق المتوفى عنها زوجها المتاع حولاً كاملاً وذلك المتاع شامل للنفقة والسكنى والكسوة كما هو ظاهر الآية، وهذا منسوخ وقد تقدم القول فيه عن مجاهد وأخرج أبو داود في الطلاق، باب (نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث)، عن ابن عباس: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾، فنسخ ذلك بآية الميراث، بما فرض لهن من الربع والثلث ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً.

قلت: فقد دل هذا الأثر على نسخ متاع الحول بالميراث ونسخ العدة بأربعة أشهر وعشر وقد مضى القول في ذلك، وحكى ابن كثير نسخ الآية عن جماعة من أهل التأويل منهم أبو موسى الأشعري والسدي والربيع بن أنس.
الثاني: أنه لا جناح فيما تفعله المرأة في نفسها من معروف كالتجمل للأزواج، بعد الخروج من العدة كما جاء في الأخبار.

الثالث: في قوله ﴿والله عزيز حكيم﴾ قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله (١/١٩٤): «وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين، الدالين على كمال العزة وكمال الحكمة، لأن هذه أحكام صدرت عن عزته، ودلت على كمال حكمته، حيث وضعها في مواضعها اللائقة بها».

٥٩ - حدثني عبدالله بن أبي الأسود^(١): حدثنا حميد بن الأسود^(٢)،
 ويزيد بن زريع^(٣) قالاً: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة قال: قال
 ابن الزبير:

قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون
 أزواجاً إلى قوله... غير إخراج﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ قال
 تدعها يا ابن أخي، لا أغير شيئاً منه من مكانه..
 قال حميد: أو نحو هذا.

ش / قلت: وشاهد الترجمة في قوله: ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول
 غير إخراج﴾.

قوله: (قال حميد) هو حميد بن الأسود أحد رجال السند وهو شيخ شيخ
 البخاري.

وقوله: (أو نحو هذا): يعني نحو المذكور وهذا شك من حميد بخلاف يزيد
 بن زريع فقد جزم بالخبر كما سبق في الباب الثالث والأربعين وقد مضى شرحه
 مستوفى هناك.

(١) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الأسود البصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة
 حافظ له سماع من أبي عوانة وهو صغير، من العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين
 ومئتين (خ، د، ت).

(٢) هو أبو الأسود حميد بن الأسود الأشقر البصري الكرايسبي، صدوق يهم قليلاً، من
 الثامنة (خ ٤).

(٣) هو أبو معاوية يزيد بن زريع - مصغراً - البصري، ثقة ثبت من الثامنة، مات سنة اثنتين
 ومئتين [ومائة] (ع).

٤٨- [باب ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾].

ش / تمامها: ﴿قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾

قال الحافظ بن كثير رحمه الله (٣٢٢/١): «ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسباباً منها أنه لما قال النمرود: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾. أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾».

قلت: هو الثاني فيما حكاه ابن جرير (٤٨/٣) وهو قول ابن إسحاق وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره (٢٠٨/١): «وأما البرهان الآخر، فإن إبراهيم قال طالباً من الله، أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال الله له ﴿أولم تؤمن﴾ ليزيل الشبهة عن خليله، قال إبراهيم: بلى يارب، قد آمنت أنك على كل شي قدير، وأنك تحيي الموتى، وتحازي العباد، ولكن أريد أن يطمئن قلبي، وأصل إلى درجة عين اليقين، فأجاب الله دعوته، كرامة له، ورحمة بالعباد.

قال: ﴿فخذ أربعة من الطير﴾ ولم يبين أي الطيور هي، فالآية حاصلة بأي نوع منها، وهو المقصود، ﴿فصرهن إليك﴾ ضمهن واذبحهن ومزقهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ ففعل ذلك، وفرق أجزاءهن على الجبال التي حوله، ودعاهن بأسمائهن، فأقبلن إليه - أي سرعات - لأن السعي السرعة، وليس المراد أنهن جئن على قوائمهن، إنما جئن طائرات على أكمل ما يكون من الحياة، وخص الطيور بذلك، لأن إحياءهن أكمل وأوضح من غيرهن.

وأيضاً أزال في هذا كل وهم، ربما يعرض للنفوس الباطلة، فجعلهن متعددات أربعة، ومزقهن جميعاً، وجعلهن على رؤوس الجبال ليكون ذلك ظاهراً

علناً، يشاهد من قرب ومن بعد، وأنه نحاهن عنه كثيراً، لئلا يظن أن يكون عاملاً حيلة من الخيل، وأيضاً أمره أن يدعوهم، فجئن مسرعات فصارت هذه الآية أكبر برهان على كمال عزة الله وحكمته، وفيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعظمته وسعة سلطانه وتمام عدله وفضله».

[فصرهن: قطعهن].

ش / أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبي مالك.
وقال أبو عبيدة: «فمن جعل من صرت تصور ضم، قال: صرهن إليك، ثم

قطعهن»

٦٠ - حدثنا أحمد بن صالح^(١): حدثنا بن وهب: أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة وسعيد^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قلني بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) الشك هو: الريب وما أحسن ما قاله أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - كما في تفسير البغوي (١/٢٤٨): «ليس في قوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم. اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنها يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن صالح المصري، ابن الطبري، ثقة حافظ من العاشرة، تكلم فيه النسائي بسبب أوهام قليلة، ونقل عن ابن معين تكذيبه وحزم ابن حبان بأنه إنما تكلم في أحمد بن صالح الشمومي، فظن النسائي أنه عنى ابن الطبري مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة (خ، د).

(٢) سعيد هو ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل مات بعد التسعين (ع).

إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس».

الثانية: قوله: ﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾ تقدم شرحه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ قال البغوي

(٢٤٨/١): «معناه: قد آمنت فلم تسأل؟ شهد له بالإيمان. كقول جرير: -

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح.

يعني أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين.

وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك،

ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة، والطمأنينة ما لا

يفيده الاستدلال». وسيورد المصنف الحديث في تفسير سورة يوسف بتمامه

وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

٤٩- [باب قوله: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾] إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦).
ش / تمامها.

﴿...تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

قال البغوي - رحمه الله - (٢٥٢/١): «يعني أوجب أحدكم أن تكون له جنة، أي بستان، ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ﴾ أولاد صغار ضعاف عجزه فأصابها إعصار، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود، وجمعه أعاصير، فيه نار فاحترقت، هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً متحيرين عجزه لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة» اهـ.

وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ قال ابن جرير (٧٩/٣): «يعني بذلك جل ثناؤه، كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة في سبيله وكيف وجهها، ومالككم وما ليس لكم فعله فيها، كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك، فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حججها إنعاماً منه بذلك عليكم لعلكم تتفكرون، يقول: لتفكروا بعقولكم فتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامها، فتطيعوا الله به».

وقال ابن كثير: «أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾».

قال مقيده:

وهذا عندي وجيه لأنه يفهم منه عود الإشارة على ما في أول الآية وهو أقرب مذكور.

٦١ - حدثنا إبراهيم، أخبرنا هشام^(١) عن ابن جريج: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال: وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة^(٢) يحدث عن عبيد بن عمير^(٣) قال: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت؟ ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر. فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عزوجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله

ش / فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله (فيما ترون) يعني في أي شيء ترون هذه الآية

(١) هشام هو أبو عبد الرحمن هشام بن يوسف الصنعاني القاضي، ثقة من التاسعة، مات سنة سبع وتسعين ومائة (خ ٤).

(٢) هو: أبو بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي، المكي، أخو عبد الله، مقبول، من الثالثة، (خ).

(٣) هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن

عمر (٤).

(وتُروُن) مبني للمفعول.

الثانية: قوله: (في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين) فيه توقيف بن عباس لعمر وإجلاله إياه حيث لم يبد له ما فهمه من الآية.

الثالثة: قوله: (يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك) قلت هذا تطف من عمر بن عباس وتشجيع له على إظهار ما عنده من العلم في الآية، وهذا من أرقى الأساليب في تنشيط العالم تلميذه.

الرابعة: قوله: (ضربت مثلاً لعمل) في رواية عطاء عند ابن جرير أن ابن عباس قال: (هذا مثل ضرب به الله عز وجل فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يجتمه بخير حين في عمره، واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فافسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه).

وعند البغوي (٢٥٣/١): «قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربت مثلاً لعمل. فقال عمر رضي الله عنه أي عمل؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل منافق ومراء، قال عمر رضي الله عنه، لأي رجل؟ قال لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله».

الخامسة: قوله: (حتى أغرق أعماله) أي أفسد أعماله الصالحة بما زين له الشيطان من المعاصي، واعلم أن من محبطات الأعمال من المعاصي: الرياء، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فيما يرويه عن ربه عز وجل قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

ولحديث الباب طرق غير ما ذكرنا ذكرها الحافظ في الفتح (٢٠٢/٨) ثم قال مستنبطاً ما في الحديث من فوائد:

«وفي الحديث قوة فهم ابن عباس وقرب منزلته من عمر، وتقديمه له مع صغره، وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيطه وبسط نفسه وترغيبه في العلم».

٥٠- [باب ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾].

ش / قلت الآية: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾.

قال البغوي (٢٥٩/١): «اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله ﴿فلا أنفسكم﴾ كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل معناها: الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خير لمخدوف تقديره (للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب للفقراء المهاجرين) كانوا نحواً من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بيعتها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على أهل الصفة الذين ذكرناهم.

وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله.

وقيل: معناه: حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله.

وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمناً أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد.

وقيل: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم.

﴿ويحسبهم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿يحسبهم﴾ وبابه

بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر.

﴿الجاهل﴾ مجاهم.

﴿أغنياء من التعفف﴾ أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم، يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء.

﴿التعفف﴾ التفعّل من العفة وهي الترك.

يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿تعرفهم بسيماهم﴾ السيماء والسيماء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها ها هنا.

فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع.

وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقير.

وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر.

وقيل: رثاءة ثيابهم.

﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾.

قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء

لا يسألون غداءً.

وقيل: معناه ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ أصلاً، لأنه قال ﴿من التعفف﴾.

والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ ولو كانت المسألة

من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية: ليس لهم سؤال

فيقع فيه إلحاف، والإلحاف الإلحاح واللجاج... إلى أن قال بعد أن ذكر ما ورد

في فضل التعفف وذم المسألة لغير حاجة:

وقوله ﴿وما تنفقوا من خير﴾ من مال ﴿فإن الله به عليم﴾ وعليه

مجازي، اهـ.

شرح جملة من الكلمات والآثار :

١- [ألحف علي وألح علي وأحفاني بالمسألة]

ش / قاله أبو عبيدة في تفسير الآية السابعة والثلاثين من سورة محمد، وزاد:

قال أبو الأسود: لن تمنع السائل الحفي بمثل المنع الخامس.

٢- [فيحفكم ﴿ : يجهدكم]

ش :

قاله الفراء وزاد : ويخرج ذلك البخل عداوتكم، ويكون يخرج الله أضغانكم ، أحفيت الرجل : أجهده . أهـ

٦٢ - حدثنا بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر^(١) قال حدثني شريك بن أبي نمر^(٢) أن عطاء بن يسار^(٣) وعبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري^(٤) قالوا سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف واقروا إن شئتم يعني قوله ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ .

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (ليس المسكين) في رواية الأعرج عند مسلم في الزكاة باب: (المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفتن له فيتصدق عليه) قال: ((ليس المسكين، بهذا الطواف الذي يطوف على الناس)) وليس فعل ماض ناقص يعمل عمل كان في رفع الاسم ونصب الخبر وهي تقييد النفي، قال ابن مالك في الخلاصة باب (كان وأخواتها):

(١) هو محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولا هم المدني أخو إسماعيل وهو الأكبر، ثقة، من السابعة (ع).

(٢) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني صدوق يخطئ من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة (خ، م، د، تم، س، ق).

(٣) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية، مات سنة أربع وتسعين وقيل بعد ذلك (ع).

(٤) هو عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري النجاري يقال: ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ابن أبي حاتم: ليست له صحبة (ع).

«ترفع كان المبتدأ اسماً والخبر تنصبه ككان سيدياً عمر

ككان ظل بات أضحى أصبح أمسى وصار ليس زال برح»

وفي معنى المسكين قال ابن الأثير مادة: سكن،: «قد تكرر في الحديث ذكر المسكين والمساكين والمسكنة والتمسكن وكلها يدور معناها على الخضوع والذلة وقلة المال، والحالة السيئة، واستكان إذا خضع، والمسكنة: فقر النفس، وتمسكن إذا تشبه بالمساكين، وهم جمع المسكين وهو الذي لا شيء له.

وقيل: هو الذي له بعض الشيء، وقد تقع المسكنة على الضعف».

الثانية: قوله (الذي ترده التمرة والتمران ولا اللقمة ولا اللقمتان)

الذي اسم موصول ومحلّه النصب خبر ليس في أول الحديث، و (ترده) صلة الموصول أي تدفعه، قال القسطلاني في شرح الحديث (٦٤/٣): «ليس المسكين بكسر الميم، وقد تفتح أي الكامل في المسكنة (الذي ترده الأكلة والأكلتان) عند طوافه على الناس للسؤال؛ لأنه قادر على تحصيل قوته، وربما يقع له زيادة عليه، وليس المراد نفي المسكنة عن الطواف؛ بل نفي كاملها لأنهم أجمعوا على أن السائل الطواف المحتاج مسكين».

الثالثة: قوله (إنما المسكين الذي يتعفف) في رواية محمد بن زياد عند

المصنف في الزكاة باب ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ (ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحيي أو لا يسأل الناس إلحافاً) وفي رواية الأعرج المتقدمة عند مسلم (قالوا فما المسكين يارسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً).

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٢٢٣/٤): «وفي الحديث دليل على أن

المسكين هو الجامع بين عدم الغنى وعدم تفتن الناس له لما يظن به لأجل تعففه وتظهره بصورة الغنى من عدم الحاجة ومع هذا فهو مستعفف عن السؤال وقد استدلل به من يقول: إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وأن المسكين الذي له شيء لكنه لا يكفيه، والفقير الذي لا شيء له ويؤيده قوله تعالى ﴿أما السفينة فكانت

لمساكين في البحر ﴿ فسامهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون فيها وإلى هذا ذهب الشافعي والجمهور كما قال في الفتح » اهـ.

الرابعة: قوله (واقروا إن شئتم يعني قوله ﴿ لا يسألون الناس إحفاً ﴾)

عند مسلم (إقرأ) بدون واو والقائل (يعني) هو سعيد بن أبي مریم شيخ البخاري، ذكر ذلك القسطلاني (٤٦/٧) والحافظ (٢٠٣/٨).

وقوله ﴿ لا يسألون الناس إحفاً ﴾ هو شاهد الترجمة وقد تقدم معناه في

شرح الآية.

٥١- [باب ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾]

ش / قلت الآية ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قال ابن كثير (٣٣٤/١): «لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوي الحاجات والقربات في جميع الأحوال والأوقات، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخطب الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً. قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً ينجنق. رواه ابن أبي حاتم. وروي عن عوف بن مالك وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا في قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ يعني: لا يقومون يوم القيامة وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد والضحاك وابن زيد وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حنيف عن ابن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ يوم القيامة إلى أن قال وقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ أي إنما حُوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه وليس هذا قياساً منهم للربا على البيع، لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، وإنما قالوا: إنما

البيع مثل الربا، أي هو نظيره، فلم حرم هذا وأبيح هذا، وهذا اعتراض منهم على الشرع، أي هذا مثل هذا، وقد أحل هذا وحرم هذا، يحتمل أن يكون تمام الكلام رداً عليهم أي على ما قالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكماً، وهو الحكيم العليم، الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو العالم بحقائق الأمور وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل، ولهذا قال: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله﴾ أي ومن بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله ﴿عفا الله عما سلف﴾ وكما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: (وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضع ربا العباس) ولم يأمرهم ببرد الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال تعالى ﴿فله ما سلف وأمره إلى الله﴾ إلى أن قال: ثم قال تعالى: ﴿ومن عاد﴾ أي إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه، فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ اهـ.

[قوله: ﴿المس﴾: الجنون].

ش / قال أبو عبيدة: «المس من الشيطان والجن، وهو اللمم، وهو ما ألم به، وهو الأولق والألس والزؤد هذا كله مثل الجنون» اهـ.

٦٣ - حدثنا عمر بن حفص بن غياث^(١): حدثنا أبي^(٢): حدثنا

(١) هو عمر بن حفص بن غياث بن طلق الكوفي، ثقة ربما وهم، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين (خ م د ت س).

(٢) هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي القاضي، ثقة، فقيه، تغير حفظه قليلاً في الآخر، من الثامنة، مات سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة (ع).

الأعمش: حدثنا مسلم^(١) عن مسروق^(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله ﷺ على الناس ثم حرم التجارة في الخمر).

ش / فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة).

قلت: مبدؤها ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ ونهايتها ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

الثانية: قوله (في الربا) هو لغة: الزيادة. لقوله تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وزبت﴾ أي علت.

وشرعاً: زيادة في شيء مخصوص وهو المكيل والموزون إما بتفاضل في المكيلات بجنسها و الموزونات بجنسها أو بنسب في المكيلات بالمكيلات ولو من غير جنسها، والموزونات بالموزونات كذلك، ما لم يكن أحدهما نقداً.

واعلم أنه قد تظافر على تحريمه في الجملة الكتاب والسنة والإجماع.

الثالثة: قوله (قرأها رسول الله ﷺ على الناس) وعند المصنف في البيوع، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه، (قرأهن النبي ﷺ عليهم في المسجد).

قلت: هذا تنويع في العبارة مع الاتساق في المعنى والمراد: أن رسول الله ﷺ قرأ آيات الربا على الناس علناً إعلماً لهم على سبيل العموم بتحريم الربا.

الرابعة: قوله: (ثم حرم التجارة في الخمر).

قلت: التجارة، والاتجار بمعنى البيع والشراء، والخمر: كل ما خامر العقل،

(١) هو أبو الضحى مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني الكوفي العطار مشهور بكنيته، ثقة، فاضل، من الرابعة مات سنة مائة. (ع).

(٢) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين ويقال: ثلاث وستين. (ع).

ولذا يسمى المسكر خمراً كما في الحديث الصحيح: (كل مسكر خمراً وكل خمراً حرام) وظاهره أن تحريم الخمر كان بعد نزول آيات الربا، ويشكل عليه أن تحريم الخمر كان في سورة المائدة وهي قبل آيات الربا، قال القاضي كما في شرح النووي (٥/١١): «تحريم الخمر هو في سورة المائدة وهي نزلت قبل آية الربا بمدة طويلة فإن آية الربا آخر ما نزل أو من آخر ما نزل، فيحتمل أن يكون هذا النهي عن التجارة متأخرة عن تحريمها ويحتمل أنه أخصر بتحريم التجارة حين حرمت الخمر ثم أخصر به مرة أخرى بعد نزول آية الربا تأكيداً ومبالغة في إشاعته ولعله حضر المجلس من لم يكن بلغه تحريم التجارة فيها قبل ذلك. والله أعلم» اهـ.

قال مقيد: وهذا توجيه جيد ومخرج لطيف يزيل اللبس ويرفع الإشكال وقد تواترت الأحاديث في تحريم بيع الخمر وشرائها من ذلك ما رواه أبو داود في الأشربة باب: العنب يعصر للخمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (لعن الله الخمر وشاربها وساقياها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه) ومنها ما رواه الترمذي في البيوع: باب النهي أن يتخذ الخمر خلاً: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمول إليه وساقياها وبائعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له) وفي الباب عن كيسان وعبدالرحمن بن غنم وجابر ويحيى بن عباد وغيرهم، ذكر ذلك ابن الأثير في جامع الأصول باب في الخمر وتحريمها والهيثمي في المجمع (٨٧/٤) باب في الخمر وثمنه.

٥٢ - [باب ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾]

ش / تمامها ﴿ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم﴾
فيها ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ قال ابن جرير (٣/١٠٤): «يعني عزوجل بقوله ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقص الله الربا فيذهب».

وقال ابن كثير (١/٣٣٦): «يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا أي يذهب إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه أو يجرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ وقال تعالى ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم﴾ وقال ﴿وما أوتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ الآية «اهـ».

الثانية: قوله: ﴿ويربي الصدقات﴾ يعني ينميها ويضاعفها لأصحابها كما قال تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾.
وقال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل حنة يربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين﴾ الآية.

وأخرج البخاري في الزكاة باب (لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل).

الثالثة: قوله ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ قال ابن سعدي (١/٢١٨): «وهو الذي كفر نعمت الله وجحد منة ربه، وأثم بإصراره على معاصيه،

ومفهوم الآية، إن الله يحب من كان شكوراً على النعماء، تائباً من المآثم والذنوب».

وقال ابن كثير (٣٣٨/١): «أي لا يجب كفور القلب أثيم القول والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسمه الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل».

[﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يذهب] .

ش / قاله أبو عبيدة وزاد. كما يمحق القمر، ويمحق الرجل إذا انتقص ماله.

٦٤ - حدثنا بشر بن خالد^(١) أخبرنا محمد بن جعفر^(٢) عن شعبة عن

سليمان: سمعت أبا الضحى يحدث عن مسروق عن عائشة أنها قالت: (لما أنزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة خرج رسول الله ﷺ فتلاهن في المسجد فحرم التجارة في الخمر).

ش / قوله: (لما نزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة) بينها في الباب قبله

بقوله: (في الربا) وقد تقدم الحديث.

(١) هو أبو محمد بشر بن خالد العسكري الفرائضي، نزيل البصرة، ثقة، يغرب من العاشرة، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومئتين (خ م د س).

(٢) هو محمد بن جعفر الهذلي، البصري المعروف بغندر، ثقة، صحيح الكتاب، إلا أن فيه غفلة، من التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة (ع).

٥٣ - باب [﴿فأذنوا بحرب﴾].

ش / قلت السياق ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾.

قال ابن كثير (٣٣٨/١) في أولهما: «يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه، ناهياً لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، أي خافوه وراقبوه في فيما تفعلوه ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ أي اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال، بعد هذا الإنذار ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك».

وقوله: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ قال البغوي (٢٦٤/١): «أي إذا لم تدرؤا ما بقي من الربا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر، فأذنوا بالمد على وزن آمنوا أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله وأصله من الأذن، أي وقعوا في الأذان، وقرأ الآخرون (فأذنوا) مقصورة، بفتح الذال، أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما يقال لا كل الربا يوم القيامة: خذ سلاحك للحرب».

قال أهل المعاني: حرب الله النار وحرب رسول الله السيف.

﴿وإن تبتم﴾ أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون بالنقصان عن رأس المال.

فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب إلى الله، فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله فرضوا برأس المال» اهـ.

قلت: وفي الآيتين وما قبلهما دليل على تحريم الربا وأنه من الكبائر وأن

التوبة منه واجبة.

[فأذنوا: اعلموا]

ش / هو تفسير للآية على قراءة عامة قراء المدينة وهي قراءة مشهورة
وقال أبو عبيدة: «فأذنوا أيقنوا، تقول آذنتك بحرب، فأذنت به»
٦٥ - حدثني محمد بن بشار: حدثنا غندر: حدثنا شعبة عن منصور عن
أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت لما أنزلت الآيات من آخر سورة
البقرة قرأهن النبي ﷺ في المسجد وحرم التجارة في الخمر.
ش / تقدم.

٥٤ - [باب ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾].

ش / قال ابن كثير (٣٣٩/١): «يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربى، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال ﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي وإن تركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين» اهـ.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٢١٩ / ١): «أي وإن كان الذي عليه الدين معسراً لا يقدر على الوفاء وجب على غريمه أن ينظره إلى ميسرة وهو يجب عليه إذا حصل له وفاء بأي طريق مباح أن يوف ما عليه، وإن تصدق عليه غريمه بإسقاط الدين كله أو بعضه فهو خير له» اهـ.

قلت: وقد جاءت الأخبار المستفيضة عن النبي ﷺ بالترغيب في إنظار المعسر والوضع عنه من ذلك ما رواه أحمد ومسلم عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: (من نفس عن غريمه أو محاً عنه كان في ظل العرش يوم القيامة) وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) الحديث.

٦٦ - وقال لنا محمد بن يوسف^(١) عن سفيان عن منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: لما أنزلت الآيات من آخر سورة

(١) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابي نزيل قيسارية من ساحل الشام، ثقة، فاضل، يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان، وهو مقدم فيه، مع ذلك عندهم على عبدالرزاق، من التاسعة، مات سنة اثني عشرة ومئتين (ع).

البقرة قام رسول الله ﷺ فقرأهن عليهم ثم حرم التجارة في الخمر).

ش / قوله: (وقال لنا محمد بن يوسف) قال القسطلاني (٤٧/٧): (وقال لنا) سقط (لنا) لأبي ذر ومحمد بن يوسف الفريابي مذاكرة مما هو موصول في تفسيره.

قلت: فمحمد بن يوسف هو شيخ البخاري يدل لذلك ما نقله المزي في التهذيب (٥٢/٢٧) في ترجمة محمد بن يوسف الفريابي عن البخاري قال: «رأيت قوماً دخلوا إلى محمد بن يوسف الفريابي فقبل لمحمد بن يوسف يا أبا عبد الله إن هؤلاء مرجئة فقال أخرجوهم فتابوا ورجعوا، وقال: استقبلنا أحمد بن حنبل وهو يريد حمص ونحن خارجون من حمص وفاته محمد بن يوسف».

وقد مضى الحديث مراراً.

ويناسب في ختام الأبواب المتعلقة بالربا أن نذكر الحكمة في تحريمه:
أولاً: الظلم الواضح فيه لا سيما في الربا، في الديون وربا القرض وذلك أنه أخذ مال بغير عوض وهذا هو عين الظلم.

ثانياً: التربية على الكسل والخمول والابتعاد عن الاشتغال بالمكاسب المباحة النافعة ومنها السعي في الأرض.

ثالثاً: انقطاع المعروف بين الناس والتعاون والتراحم والمواساة والإحسان فيما بينهم.

٥٥ - [باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾]

ش / تمامها ﴿ثُمَّ توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾

«يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوماً ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه أن تردوا عليه بسيئات تهلككم أو بمخزيات تخزيكم أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله مالا قبل لكم به وأنه يوم مجازاة الأعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضر فتوفى جزاؤها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون. كيف يظلم من جوزي بالإساءة مثلها والحسنة عشر أمثالها». انتهى محل الغرض من تفسير ابن جرير.

٦٧ - حدثنا قبيصة بن عقبة^(١): حدثنا سفيان عن عاصم عن الشعبي عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال: (آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا).

ش / فيه مسألتان:

الأولى: قوله (آخر آية نزلت على النبي ﷺ) وقع عند النسائي في التفسير

باب قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ برواية عكرمة قال: آخر

شيء نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ وكذا أخرجه ابن

جرير (١١٥/٨).

قال الحافظ في الجمع بين الروایتين (٢٠٥/٨) : «وطريق الجمع بين هذين

القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن» اهـ

قال مقيدہ: واعلم هداانا الله وإياك إلى مرشد أمورنا أنه قد اختلفت

الروايات اختلافاً كثيراً في هذا الباب، ومن ذكر الاختلاف فيه الزركشي في

(١) هو أبو عامر قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي، صدوق ربما خالف

من التاسعة مات سنة خمس عشرة ومئتين على الصحيح (ع).

البرهان (٢٠٩/١) وقد نقل كلاماً نفيساً بين اختلاف الروايات في ذلك عن القاضي أبي بكر الباقلاني حيث قال (ص ٢١٠): «قال القاضي أبو بكر في الانتصار وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي ﷺ ويجوز أن يكون قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ونزول الوحي عليه بقرآن بعده ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته فيظن السامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب.

الثانية: في المطابقة بين الحديث وآية الترجمة، قال القسطلاني - رحمه الله - (٤٧/٧): «واقضى صنيع المؤلف في هذه التراجم أن المراد بالآيات آيات الربا كلها إلى آية الدين»، وقال العيني رحمه الله - (٤٩/١٥): «قيل لا مطابقة بين الترجمة والحديث على ما لا يخفى، وأجيب بأنه روي عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر، أن آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ أخرج الطبري من طرق عنه ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس. قلت: يعني بالاشارة فافهم» اهـ.

٥٦- باب ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ .
ش / قلت صدر الآية ﴿الله ما في السموات وما في الأرض﴾ .

يخبر جل ثناؤه عن سعة ملكه وعظيم سلطانه وذلك أن كل ما في السموات والأرض ليس له شريك فيه، ثم أخبر بعد ذلك عن سعة علمه وعظيم قدرته فقال ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ والمعنى أنه قد توعد بالمحاسبة على كل عمل ظهر أو أخفي في النفس وبما أنه لا يسأل عما يفعل فإنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿والله على كل شيء قدير﴾ .

٦٨ - حدثنا محمد^(١) حدثنا النفيلى^(٢): حدثنا مسكين^(٣) عن شعبة عن خالد الحذاء^(٤) عن مروان الأصفر^(٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو ابن عمر أنها قد نسخت ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ الآية.
ش / قوله (أنها قد نسخت) ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ .

قلت: روى الإمام مسلم في كتاب الإيمان: باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿الله ما

(١) قال القسطلاني (٤٧/٧): ((محمد غير منسوب فقيل هو ابن يحيى الذهلي، قاله الكللاباذي، وقيل ابن إبراهيم البوشنجي قاله الحاكم، وقيل ابن إدريس الرازي)) اهـ.
قلت: فكل أولئك ثقات حفاظ الأول والثاني من شيوخ البخاري فمحمد هذا هو أحدهما.

(٢) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن نفيلى النفيلى الحراني، ثقة حافظ من كبار العاشرة، (خ، ٤).

(٣) هو أبو عبد الرحمن مسكين بن بكير الحراني الحذاء صدوق يخطئ، وكان صاحب حديث من التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة (خ م د س).

(٤) هو أبو المنازل خالد بن مهران الحذاء، ثقة، يرسل، من الخامسة، (ع).

(٥) هو أبو خليفة البصري، قيل اسم أبيه: خاقان، وقيل، سالم، ثقة من الرابعة (خ، م، د، ت).

السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴿ فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوه ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، قال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتراها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله عزوجل ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال نعم ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ قال نعم ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ قال نعم ﴿ واغفر لنا وارضحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ قال نعم .

وأخرج في الباب نفسه عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي ﷺ قولوا: (سمعنا وأطعنا وسلمنا) قال فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال قد فعلت ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ قال قد فعلت، ﴿ واغفر لنا وارضحنا أنت مولانا ﴾ قال قد فعلت.

وأخرج ابن جرير (١٤٦/٣) عن محمد بن كعب القرظي في جماعة من

أهل التفسير قالوا: نسخت هذه الآية ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿إِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ الآية.

فقد دلت هذه الأخبار مجتمعة كما ترى على ثلاثة أمور:

أولاً: النص صراحة على بيان النسخ والمنسوخ.

ثانياً: تخرج أصحاب النبي ﷺ من وعيد الله إياهم بالمحاسبة على ما

تضمنه أنفسهم من الحديث.

ثالثاً: استجابتهم لأمر النبي ﷺ إياهم بالسمع والطاعة، والحذر من التشبه

لأهل الكتابين في قولهم (سمعنا وعصينا) واعلم أن أهل العلم بالتفسير وغيرهم قد

اختلفت أقوالهم اختلافاً كثيراً في الآية من حيث النسخ وعدمه، إليك ما حكاه

البغوي في ذلك (٢٧١/١): «اختلف العلماء في هذه الآية، فقال قوم: هي خاصة

ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم هي متصلة بالآية الأولى نزلت في

كتمان الشهادة معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أي الشهود من كتمان الشهادة أو

تخفوا الكتمان بحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت

فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعني وإن تعلقوا ما في أنفسكم من ولاية

الكفار أو تسروه بحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل

عمران، ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى أن قال

﴿قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ وذهب الأكثرون إلى أن

الآية عامة، ثم اختلفوا فيها، فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها « ثم ذكر

حديث أبي هريرة وابن عباس المتقدمين إلى أن قال (ص ٢٧٢): «وهذا قول ابن

مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وإليه ذهب محمد بن سيرين

ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي... إلى أن قال: وقال بعضهم: الآية غير

منسوخة، لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله

﴿بِحَاسِبِكُمْ بِهَ اللّٰهِ﴾ خير، لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم:

قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فليس لله عبد أسر عملاً وأعلنه من حركة من جوارحه أو همة في قلبه إلا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله ﴿إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ وقال الآخرون: معنى الآية. إن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها ثم ذكر حديثين في ذلك ثم قال: وقال بعضهم: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه ﴿يحاسبكم به الله﴾ فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يؤاخذكم به دليله قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ إلى أن قال: وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم ﴿يحاسبكم به الله﴾ ويخبركم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله وهذا معنى قول الضحاك، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما يدل عليه أنه قال: ﴿يحاسبكم به الله﴾ ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المواخذة. ثم استدل رحمه الله بحديث: (إن الله تعالى يدني المؤمن حتى يضع عليه كتفه يستره من الناس) الحديث. انتهى ملخصاً.

وقال الحافظ (٢٠٧/٨): «قوله (نسختها الآية التي بعدها) المراد بقوله (نسختها) أي أزلت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المواخذة به، أشار إلى ذلك الطبري فراراً من إثبات النسخ في الأخبار، وأجيب بأنه وإن كان خبراً لكنه يتضمن حكماً، ومهما كان من

الأخبار يتضمن الأحكام، أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام، وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خيراً محضاً لا يتضمن حكماً كالأخبار عما مضى من أحاديث الأمم وغير ذلك ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص، فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيراً، والمراد بالمحاسبة بما يخفى الإنسان، ما يصمم عليه ويشرع فيه دونما يخطر له ولا يستمر عليه. والله أعلم» اهـ.

قال مقيده عفا الله عنه وأحسن عاقبته: ونحن نرى أن النسخ هو الراجح ويدل له أمران:

أحدهما: أنه قول من مرّ ذكرهم من أهل العلم وهم الجمهور.

وثانيهما: شدة وقع الآية على أصحاب النبي ﷺ كما مر في حديثي أبي هريرة وابن عباس، وتخوف القوم منها، وما ذلك إلا أنهم فهموا من الآية أنها وإن كانت خيراً فالمراد بها الأمر بمراقبة الله وأنه مواخذهم على ما تضمنه نفوسهم وما تعلنه على السواء، والله أعلم.

٥٧- [باب ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾]

ش / تمامها: ﴿... والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

قوله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ قال ابن جرير (١٥١/٣): «يعني بذلك جل ثناؤه، صدق الرسول، يعني رسول الله ﷺ فأقر بما أنزل إليه، يعني بما أوحى إليه من ربه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام ووعد وعيد وأمر ونهي، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها».

قوله ﴿والمؤمنون...﴾ قال ابن كثير (٣٥٠/١): «عطف على الرسول، ثم أخبر عن الجميع فقال ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين».

وقوله ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه ﴿غفرانك﴾ سؤال للمغفرة والرحمة واللفظ... إلى أن قال ﴿إليك المصير﴾ إليك المرجع والمآب يوم الحساب».

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١ - [وقال ابن عباس ﴿إصراً﴾ عهداً].

ش / أخرجه ابن جرير ثني المثني ثنا عبيدالله ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس: ... فذكره. وبه قال مجاهد والسدي وابن جريج والربيع وأخرج المعنى عن

قتادة والضحاك وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: لا تمسخنا قردة وخنازير. وهو قول عطاء وابن زيد.

وثالثها: أنه الثقل. وبه قال مالك والربيع بن أنس في الرواية الثانية عنه،

واختار ابن جرير في شرحه للآية الأول وهو قول الأكثرين كما ترى.

٢ - [ويقال ﴿غفرانك﴾ مغفرتك فاغفرلنا].

ش / قاله أبو عبيدة.

٦٩ - حدثني إسحاق بن منصور^(١) أخبرنا روح أخبرنا شعبة عن خالد

الخداء عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال أحسبه

ابن عمر ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ نسختها الآية التي بعدها.

ش / قوله (أحسبه ابن عمر) أي أظنه، والقائل هو مروان ابن الأصفر. وقد

قال في الرواية السابقة هو ابن عمر بالجزم.

قال القسطلاني (٤٨/٧): «قال: - أي الأصفر - أحسبه أي الرجل المبهم

ابن عمر، جزم في السابقة به، فلعل قوله هنا (أحسبه) كان قبل جزمه وكان قد

نسي ثم ذكر.

آخر تفسير سورة البقرة والحمد لله

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج التميمي المروزي، ثقة، ثبت،

من الحادية عشرة، مات سنة إحدى وخمسين ومئتين (خ م ت س ق).

سورة آل عمران

٥٨ - [باب تفسير سورة آل عمران].

ش : شاهد التسمية ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾.

قلت: وعمران هو ابن ماثان والد مريم أم عيسى عليهما الصلاة والسلام وأخرج مسلم والترمذي وأحمد والبخاري في تاريخه عن النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، قال: وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما ظلتان سوداوان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما) وهي مدنية قال القرطبي: بالاجماع، وآياتها ممتنا آية، وجل هذه السورة الكريمة في التوحيد والقصص.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [تقاة وتقية واحدة].

ش : قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله إلا أن تتقوا منهم ﴾ .

٢ - [صر] : [برد] .

ش : أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والريبع والسدي والضحاك وابن زيد، وقال أبو عبيدة: الصر: شدة البرد وعصوف من الريح، والآية المشار إليها ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ .

٣ - [شفا حفرة] مثل شفا الركبة وهو حرفها .

ش : قاله أبو عبيدة، والآية المشار إليها ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

٤ - [تبوء] تتخذ معسكراً .

ش : قال أبو عبيدة: «متخذاً لهم مصافاً معسكراً، والآية المشار إليها ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال ﴾ .» .

٥ - [المسوم] الذي له سيماء بعلامة أو بصوفة أو بما كان .

ش : قال أبو عبيدة: «المسومة المعلمة بالسيماء ويجوز أن تكون مسومة مرعاة من اسمتها تكون هي سائمة والسائمة الراحية، وربها بسيمها» .

والآية المشار إليها ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ﴾ .

٦ - [ربيون] الجموع، واحدها ربي .

ش : قال أبو عبيدة: «الربيون: الجماعة الكثيرة والواحد منها ربي»، انتهى .

وأخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والربيع والضحاك والسدي وابن إسحاق. وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية وثانيها أنه بمعنى علماء وفقهاء وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية والحسن، وثالثها: أنهم الأتباع وهو قول ابن زيد، واختار ابن جرير في شرحه أولها.

والآية المشار إليها ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾. ٧ - ﴿تَحْسُونَهُمْ﴾ تستأصلونهم قتلاً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد، يقال حسنتهم من عند آخرهم أي استأصلناهم، قال رؤبة:

إذا شكونا سنة حسوسا تأكل بعد الأخضر اليسا.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾.

٨ - ﴿غَزَاً﴾ واحدها غاز].

ش: قال أبو عبيدة: «لا يدخلها رفع ولا جر لأن واحدها غاز. فخرجت مخرج قائل وقول فعَلَّ قال رؤبة:

وقول إلامه فلاده
... ..»

والآية المشار إليها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا﴾ الآية.

٩ - ﴿سَنَكْتَبُ﴾ سنحفظ].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿سَنَكْتَبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾.

١٠ - ﴿نَزَلًا﴾ ثواباً ويجوز ومنزل من عند الله كقولك أنزلته].

ش: قاله أبو عبيدة، وفي (نزل) قولان: أحدهما مصدر والآخر أنه جمع

نازل.

كقول الأعشى:

أو تنزلون فإننا معشر نزل: أي نزل.

وفي نصب نزلاً في الآية أقوال منها: أنه منصوب على المصدر المؤكد لأن معنى لهم جنات ننزلهم جنات نزلاً، وعلى هذا يتخرج التأويل الأول لأن تقديره ينزلهم جنات رزق وعطاء من عند الله.

ومنها: أنه حال من الضمير في فيها. أي منزلة على أن نزلاً مصدر بمعنى المفعول وعلى هذا يتخرج التأويل الثاني، قاله الحافظ، والآية المشار إليها ﴿نزلاً من عندنا لله والله عنده حسن الثواب﴾.

١١ - [وقال مجاهد ﴿والخيل المسومة﴾ المطهمة الحسان].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا الحسن بن يحيى: أخبرنا عبدالرزاق: أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد فذكره.

١٢ - [وقال سعيد بن جبير وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى: الراعية

المسومة].

ش: أما اثر سعيد بن جبير فأخرجه ابن جرير، ثنا الحسن بن يحيى: أخبرنا عبدالرزاق: أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير فذكره وأما اثر عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى فأخرجه أيضاً ابن جرير: ثنا ابن وكيع: ثنا أبي: عن طلحة القناد: سمعت عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى.

وفي الآية قولان آخران حكاهما ابن جرير أحدهما أنها المعلمة. وبه قال ابن عباس وقتادة وثانيهما أنها المعدة للجهاد، وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير أنها المعلمة بالشياة الحسان الرائعة حسناً من رآها.

قلت: وهذا يجمع بين القولين الأول والثالث، والآية المشار إليها تقدمت في

الأثر الخامس.

١٣ - [وقال ابن جرير ﴿وحصوراً﴾ لا يأتي النساء].

ش : أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا عبدالرحمن: ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير... فذكره.

وأخرجه عن مجاهد وقتادة وابن زيد والرقاش، وأخرج نحوه عن ابن عباس والضحاك والسدي والحسن والآية المشار إليها ﴿إن الله يشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾.

١٤ - [وقال عكرمة ﴿من فورهم﴾ من غضبهم يوم بدر].

ش : أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المنثري: ثنا عبدالأعلى: ثنا داود عن عكرمة فذكره.

وأخرج في المعنى عن أبي صالح ومجاهد والضحاك وهو أحد قولين حكاهما في الآية وثانيهما: أنه بمعنى «من وجههم هذا» وبه قال ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد.

قلت: والقولان متقاربان والله أعلم والآية المشار إليها ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾.

١٥ - [وقال مجاهد ﴿يخرج الحي من الميت﴾ النطفة تخرج ميتة، ويخرج منها الحي].

ش : أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي مجروح عن مجاهد بلفظ: (الناس الأحياء من النطف، والنطف ميتة، ويخرجها من الناس الأحياء والأنعام).

وأخرج في المعنى عن الضحاك وابن مسعود والسدي وإسماعيل بن أبي عمير وعلاء وقتادة وابن زيد والآية المشار إليها: ﴿ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾.

١٦ - ﴿الإبكار﴾ أول الفجر].

ش : أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

١٧ - ﴿والعشي﴾ ميل الشمس، أراه إلى أن تغرب].

ش : أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾.

٥٩- [باب ﴿منه آيات محكمات﴾]

ش : نص الآية تامة ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذي في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ .
 قوله: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ قال ابن جرير (١٧٠/٣): «يعني بالكتاب القرآن».

وقوله ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ قال ابن كثير (٣٥٢/١): «يخبر تعالى أن في القرآن ﴿آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أهدى ما اشتبهه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبهه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وأخر متشابهات﴾ أي تحتل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد» اهـ.

وقوله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ قال الشيخ عبدالرحمن السعدي (٢٣٠/١): «فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة وتحريفاً للكتاب وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليضلوا ويضلوا» اهـ.

قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ قال القنوجي في تفسيره (١٨٤/٢): «التأويل يكون بمعنى التفسير كقولهم تأويل هذه الكلمة على كذا أي تفسيرها ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أي

صار وأولته تأويلاً أي صيرته وهذه الجملة حالية، أي: يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله. والحال أنه ما يعلم تأويله إلا الله «اهـ.

وقوله ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا...﴾ الخ. قال البغوي (٢٨٠/١): «اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله ﴿والراسخون﴾ واو العطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله ﴿يقولون﴾ حالاً معناه: والراسخون في العلم مع علمهم قائلين آمنا به... إلى أن قال وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله ﴿والراسخون﴾ واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ورواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به وفي المحكم بالإيمان به والعمل... إلى أن قال بعد تأييد ذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي بقولهم: ﴿آمنا به﴾، سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به أي بالمتشابه ﴿كل من عند ربنا﴾ المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿وما يذكر﴾ ما يتعظ بما في القرآن إلا أولو الأبواب ذوو العقول «اهـ.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [وقال مجاهد: ﴿محكمات﴾ الحلال والحرام ﴿وأخر متشابهات﴾ يصدق بعضه بعضاً كقوله تعالى ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ وكقوله جل

ذكره ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ وكقوله ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره. وهو أحد خمسة أقوال حكاهما في الآية.

ثانيها: أن المحكمات المعمول بهن وهن الناسخات والمتشابهات المتروكة العمل بهن وبه قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك.

وثالثها: أن المحكمات ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابهات ما احتمل من التأويل أوجهاً وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير.

ورابعها: أن المحكمات ما أحكم الله فيه من أي القرآن وغيرها والمتشابهات هو ما اشتبهت الألفاظ به من أي القرآن وغيرها وهو قول ابن زيد.

وخامسها: أن المحكم ما عرف العلماء تأويله والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب.

قلت: ونحن نختار قول مجاهد؛ لأنه لا يخالف في المعنى ما قدمناه في شرح الآية.

٢- ﴿زيغ﴾ شك.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومحمد بن جعفر وابن مسعود.

٣- ﴿ابتغاء الفتنة﴾ المشتبهات.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

٤- ﴿والراسخون في العلم﴾ يعلمون ﴿يقولون آمنا به﴾.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

٧٠- حدثنا عبد الله بن مسلمة^(١)، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري^(٢)، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد^(٣)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «تلا رسول الله ﷺ» قلت: وعند أبي داود «قرأ» وهما بمعنى، وعند الترمذي من رواية أبي عامر الخذاء «قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾» وأخرج من رواية عبد بن حميد عن أبي داود الطيالسي «قالت: سئل رسول الله ﷺ، ويمكن الجمع بأن تلاوة الآيات وتفسير النبي ﷺ لها بالحديث كان جواباً لسؤال، والمسائل يمكن أن يكون مرة عائشة، ومرة غيرها.

الثانية: قوله «فإذا رأيت» كذا بكسر التاء خطاب لعائشة ووقع لمسلم في العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، وأبى داود في السنة باب النهي عن

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، البصري أصله من المدينة وسكنها مدة، ثقة كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، من صغار التاسعة، مات في سنة إحدى وعشرين [ومائتين] بمكة. خ. م. د. ت. س.

(٢) هو أبو سعيد يزيد بن إبراهيم التستري تزيل البصرة، ثقة ثبت إلا في روايته عن قتادة ففيها لين، من كبار السابعة، مات سنة ثلاث وستين [ومائة] على الصحيح. (ع).

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، من كبار الثالثة، مات سنة ست ومائة على الصحيح. (ع).

الجدال «إذا رأيتم» مجموعاً وكذا هو عند الترمذي من طريق عبد بن حميد، والتوفيق أن رسول الله ﷺ خاطب مرة عائشة مفردة وخاطبها مرة في جماعة.

الثالثة: قوله «**يتبعون ما تشابه منه**» قلت: هذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وقد مضى تفسيره في شرحها.

الرابعة: قوله «**فاحذروهم**» قلت: أخرجه الترمذي من رواية أبي عامر بلفظ «**فاعرفيهم**» والمعنى واحد فإن الحذر من أهل الأهواء بعد معرفتهم والخبرة بهم.

قال النووي في شرحه على هذا الحديث (٢١٨/١٦): «وفي هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع ومن يتبع المشكلات للفتنة فأما من سأل عما أشكل عليه منها للإسترشاد، وتلطف في ذلك فلا بأس عليه وجوابه واجب، وأما الأول فلا يجاب بل يزجر ويعزر كما عزز عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيغ بن عسل حين كان يتبع المتشابه والله أعلم». اهـ

وقال الحافظ (٢١١/٨): «والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية - إلى أن قال - وقال الخطابي: المتشابه على ضربين:

أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتنون» اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر (٦/٤): «القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى: «**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**» والواجب على المسلم اتباع المحكم فإن عرف معنى المتشابه وجدده لا يخالف

المحكم بل يوافقه وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ اهـ.

قال مقيده غفر الله له وأحسن عاقبته: ونزيد ههنا شيئين.

أحدهما: ما أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: يا رسول الله ما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

وثانيهما: ما رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٥١/١) عن أبي الفضل الهمداني قال: «مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا لإفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا لإفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملايسين له» اهـ.

قلت: يا ليت قومي يعلمون فيحذروا النحل الضالة والإنتماءات الفكرية المنحرفة، والدعوات الحزبية الوافدة فيغلظوا لهم القبول ويشددوا عليهم النكير ذباً عن السنة والجماعة، ودفاعاً عن عقيدة التوحيد الخالص، ولزوماً لجماعة المسلمين التي تستمد أصولها في المعتقد ومنهج الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة وأئمة التابعين ومن سلك سبيلهم بإحسان.

٦٠- [باب ﴿واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾].

ش: قلت: السياق ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنني سميتها مريم واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

قال البغوي (٢٩٤/١): ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ وهي حنة بنت فاقودا أم مريم، وعمران هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام؛ لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأخبارهم وملوكهم، وقيل عمران بن أشهم.

قوله تعالى ﴿رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ أي جعلت لك الذي في بطني محرراً نذراً مني لك، ﴿فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ والنذر ما يوجهه الإنسان على نفسه محرراً أي عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله وللخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق. قال الكلبي، ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها يكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام فيها، وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرر لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، ولا تصلح له الجارية، لما يصيبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها، وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا أختين، وكانت إيشاع بنت فاقودا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت فاقودا أم مريم عند عمران، وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة

بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت بذلك نفسها للولد، فدعت أن يهب لها ولداً وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها ويحك ما صنعت؟ رأيت إن كان ما في بطنك أنثى تصلح لذلك؟ فوقعا جميعاً في هم من ذلك. فهلك عمران وحنة حامل بمريم ﴿فلما وضعتها﴾ أي ولدتها، إذا هي جارية و«اهساء» في قوله ﴿وضعتها﴾ راجعة إلى النذيرة لا إلى «ها» ولذلك أنث. قالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً ﴿رب إنني وضعتها أنثى﴾ إعتذاراً إلى الله عز وجل ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ بحزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل وهي قراءة العامة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب ﴿وضعت﴾ برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها للينها وضعفها وما يعزّيها من الحيض والنفاس ﴿وإني سميتها مريم﴾ وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿وإني أعيذها﴾ أمنعها وأجيرها ﴿بك وذريتها﴾ أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ والشيطان الطريد اللعين، والرجيم المرمى بالشهب» اهـ.

٧١- حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد» وفي بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده برواية الأعرج «كل بني آدم يطعن الشيطان في

جنبيه بأصبعه حين يولد».

وعند مسلم في الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام برواية عبد الأعلى عن معمر «إلا نخسه الشيطان». قلت: وهما تفسير للمس في حديث الباب.
الثانية: قوله «فيستهل صارخاً» الاستهلال الصياح وصارخاً حال مؤكدة مثل «تبسم ضاحكاً».

الثالثة: قوله «إلا مريم وابنها» في صفة إبليس وجنوده برواية الأعرج «غير عيسى».

قال الحافظ في الجمع بينهما (٤٧٠/٦): «تقدم في باب إبليس بذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس، وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب، ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد، وفيه بُعد؛ لأنه حديث واحد».

الرابعة: قوله «واقروا إن شئتم... الخ» كذا في جميع الطرق غير باب صفة إبليس من بدء الخلق، وهو استدلال من أبي هريرة على أن سلامة ابن مريم وأمه من مس الشيطان كان بدعوة زوج عمران أم مريم.

قال النووي (١٢٠/١٥) عند كلامه على الحديث: «هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث إختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها». انتهى

قلت: ونحن على ما أفاده ظاهر الحديث من العموم في مس الشيطان كل مولود حتى يأتي ما يخصصه من صحيح الدليل وصريحه زيادة على ما فضل الله به ابن مريم وأمه عليهما الصلاة والسلام.

واعلم أن فضائل المسيح وأمه صلى الله عليهما وسلم ليست مقصورة على هذا الحديث ففي شأن المسيح يقول جل ذكره ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة

ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، - إلى قوله - إني
أخلق لكم من الطين كهينة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء
الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم ﴿الآيات﴾.

فهذه الآيات نص في جملة من خصائص عيسى ﷺ منها أنه كلمة من الله،
وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وفي شأن مريم قال جل ذكره ﴿وإذ
قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين﴾.

وأخرج البخاري وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم
بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». ومن
أعظم خصائصها عليها السلام ولادة عيسى ﷺ تشريفاً لها من الله.

٦١- [باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾].

ش: تمامها: ﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه، والإقرار به، وما جاء به من عند الله، وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التي أوثمنوا عليها ثمناً يعني عوضاً وبدلاً خسيساً من عرض الدنيا وحطامها. قاله ابن جرير.

قوله ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾.

قال ابن كثير (٣٨٣/١): أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها.

قوله ﴿وَلَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٢٥٣/١): «أي قد حق عليهم سخط الله، ووجب عليهم عقابه، وحُرِّموا ثوابه، ومنعوا من التزكية، وهي التطهير، بل يردون القيامة وهم متلوثون بالجرائم، متدنسون بالذنوب العظام».

وقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم موجه.

من فقه الآية

أولاً: وجوب بذل العلم لمن احتاج إليه.

ثانياً: تحريم كتمان العلم وأن ذلك من خصال اليهود الذميمة.

ثالثاً: إثبات صفة النظر للرب جل علاه، وأن المتصفين بما تضمنته الآية

محرومون منها يوم القيامة.

رابعاً: إثبات صفة الكلام لله، وحرمان أهل تلك الصفات منه.

شروح جملة من الكلمات:

١- ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾ لا خير].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى من سورة البقرة ﴿فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: «من نصيب خير»، وهو قول مجاهد والسدي وسفيان وهو أحد أقوال أربعة حكاه ابن جرير في الآية.

وثانيها: بمعنى الحجة، وهو قول قتادة.

وثالثها: الدين وبه قال الحسن.

ورابعها: القوام وهو قول ابن عباس.

قلت: والمختار من هذه الأقوال أولها؛ لأنه هو معناه في كلام العرب.

٢- ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم موجع، من الألم، وهو في موضع مُفْعَلٍ].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال ذو الرمة:

ونرفع في صدور شردلات يصك وجوهها وهج أليم

والم إذا وجع، والإيلام الإيجاع، والألم الوجع، وقد ألم يألم إيلاماً، والتألم

التوجع». انتهى محل الغرض.

٧٢- حدثنا حجاج بن منهال^(١)، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن

أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من حلف يمين صبر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه

غضبان» فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا

قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ...إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فدخل الأشعث بن

قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا قال: في أنزلت،

كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ: ((بينتك أو يمينه))، فقلت:

(١) هو أبو محمد حجاج بن منهال الأنطاقي السلمى مولاهم، البصري، ثقة فاضل، من

التاسعة، مات سنة ست عشرة أو سبع عشرة [ومائتين]. (ع).

إذا يحلف يا رسول الله فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبر يفتتح بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان».

٧٣- حدثنا علي^(١) - هو ابن أبي هاشم - سمع هشيماً^(٢) أخبرنا العوام بن حوشب^(٣)، عن إبراهيم بن عبد الرحمن^(٤)، عن عبد الله بن أبي أوفى^(٥) رضي الله عنهما أن رجلاً أقام سلعة في السوق، فحلف فيها: لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوثق فيها رجلاً من المسلمين فنزلت: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية.

٧٤- حدثنا نصر بن علي بن نصر^(٦)، حدثنا عبد الله بن داود^(٧)، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت، أو في الحجر، فخرجت إحداهما وقد أنفذ ياشفى في كفها، فادعت على الأخرى، فرفع أمرها إلى ابن عباس، فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «لو يعطى الناس

(١) وهو علي بن أبي هاشم عبيد الله بن طبراخ، صدوق تكلم فيه للوقف في القرآن، من العاشرة. (خ).

(٢) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، ثقة ثبت كثير التذليل والإرسال الخفي، من السابعة، مات سنة ثلاث وثمانين [ومائة] وقد قارب الثمانين. (ع).

(٣) هو أبو عيسى العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني الواسطي، ثقة ثبت فاضل، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين [ومائة]. (ع).

(٤) هو أبو إسماعيل إبراهيم بن عبد الرحمن السكسي، الكوفي، مولى صُخَيْر، صدوق ضعيف الحفظ، من الخامسة. (خ. د. س).

(٥) هو عبد الله بن علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، صحابي شهد الخديبية، وعمّر بعد النبي ﷺ مات سنة سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. (ع).

(٦) هو نصر بن علي بن نصر الجهضمي، ثقة ثبت، طلب للقضاء فامتنع، من العاشرة، مات سنة خمسين [ومائتين] أو بعدها. (ع).

(٧) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الهمداني الحريبي، كوفي الأصل، ثقة عابد، من التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] وله سبع وثمانون سنة، أمسك عن الرواية قبل موته، فلذلك لم يسمع منه البخاري. (خ. ٤٠).

بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم» ذكروها بالله واقرؤوا عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ فذكروها فاعترفت فقال ابن عباس قال النبي ﷺ: «اليمين على المدعى عليه».

ش: فيها ثلاثون مسألة

الأولى: قوله (من حلف يمين) قال ابن الأثير مادة حلف: «الحلف: هو اليمين، حلف يحلف حلفاً، وأصلها العقد بالعزم والنية، فخالف بين اللفظين تأكيداً لعقده، وإعلاماً أن لغو اليمين لا ينعقد تحته»

الثانية: قوله «صبر» قال ابن الأثير (٨/٣) في مادة صبر: «أي ألزم بها وحُبس عليها، وكانت لازمة لصاحبها من جهة الحكم، وقيل لها مصبورة، وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور؛ لأنه إنما صُبر من أجلها أي حبس فوصفت بالصبر، وأضيفت إليه مجازاً».

الثالثة: قوله «ليقطع بها» أي يأخذه لنفسه متمكناً، وهو يفتعل من القطع. قاله ابن الأثير في مادة قطع (٨٢/٤).

الرابعة: قوله «مال امرئ مسلم» قال الشوكاني في النيل (٢١٧/٨): «التقييد بالمسلم ليس لإخراج غير المسلم، بل كأن تخصيص المسلمين بالذكر لكون الخطاب معهم، ويحتمل أن تكون العقوبة العظيمة مختصة بالمسلمين، وإن كان أصل العقوبة لازماً في حق الكفار».

قلت: ويؤيد عدم التخصيص قوله في بعض طرق الحديث «من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ» وقوله ﷺ «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه من سبع أرضين يوم القيامة» فثاني الحديثين نصٌ صريحٌ في عموم عقوبة الظالم وإن كان المظلوم غير مسلم.

الخامسة: قوله «لقي الله وهو عليه غضبان» يعني الخالف، وقوله «وهو غضبان» جملة حالية، وفيه إثبات صفة الغضب لله عز وجل، ويجب الإيمان به

على الحقيقة من غير تكيف.

السادسة: قوله (فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ إلى آخر الآية) فيه التصريح بموافقة الوحي لقول النبي ﷺ وقد مضى تفسير الآية.

السابعة: قوله (فدخل الأشعث بن قيس) القائل هو أبو وائل شقيق بن سلمة، والأشعث هو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، الصحابي، نزل الكوفة، مات سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، وهو ابن ثلاث وستين، أخرج له الجماعة.

الثامنة: قوله (قلنا كذا وكذا) قال ابن هشام في المغني (١/١٨٧): كذا ترد على ثلاثة أوجه.

الأول: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما، وهما «كاف التشبيه» و«ذا الإشارة» كقولك: رأيت زيدا فاضلاً ورأيت عمراً كذا - إلى أن قال -

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد كقول أئمة اللغة: قيل لبعضهم أما يمكن كذا وكذا وجد؟ فقال: بلى وجاذا.

ثم ذكر **الثالث** فقال: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن العدد فتوافق كأي.

قلت: وثاني هذه المعاني هو المراد في الحديث، وقد جاء في بعض طرقه في الرهن باب إذا اختلف الراهن والمرتهن «ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قال: فحدثناه».

قلت: يعني خير ابن مسعود عن النبي ﷺ السابق في يمين الصبر.

التاسعة: قوله (فإنزلت) القائل هو الأشعث رضي الله عنه، وهذا إثبات سبب نزول آية الباب.

العاشر: قوله «كانت لي بئر في أرض ابن عم لي» قلت: اسم ابن عمه

معدان بن الأسود بن معد بن كعب الكندي، ولقبه الحفشيش بوزن فعليل. ذكره الحافظ (٣٣/٥).

قلت: وقد جاء عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن شقيق في قصة الأشعث هذه قال: «كان ذلك بيني وبين رجل من اليهود» وقد تابع أبا معاوية عند ابن ماجه وغيره وكيع بن الجراح. وفي بعض الطرق «رجل» وفي بعضها «صاحب لي» ويمكن الجمع بأن ذلك الخصم هو ابن عمه وأنه كان من اليهود.

الحادية عشرة: قوله «بينتك أو يمينه» بالرفع والنصب، فالأول خير لمبتدأ محذوف، تقديره المطلوب أو الواجب، ويؤيده قوله في الرهن من رواية منصور «شاهدك أو يمينه»، وعلى الثاني مفعول لفعل محذوف تقديره أحضر، وفيه دليل على أن البينة على المدعي، واليمين عند عدمها على المدعى عليه.

واعلم أن البينة ليست مقصورة على الشهادة فحسب بل هي عامة في كل ما أوضح الحق وكشف عنه وأوصل إليه

قال ابن القيم في الطرق الحكمية (ص ١٢): «وبالجملة فالبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره، ومن خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد لم يوف مسماها حقه، ولم تأت البينة قط في القرآن مراداً بها الشاهدان، وإنما أتت مراداً بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة ومجموعة، وكذلك قوله ﷺ «البينة على المدعي» المراد به أن عليه ما يصح دعواه ليحكم له، والشاهدان من البينة، ولا ريب أن غيرها من أنواع البينة قد يكون أقوى منها، كدلالة الحال على صدق المدعي، فإنها أقوى من دلالة إخبار الشاهد، والبينة والدلالة والحجة والبرهان والآية والتبصرة والعلامة والأمانة متقاربة في المعنى».

الثانية عشرة: قوله «إذا يخلف يارسول الله» منصوب بإذن قال ابن مالك:

ونصبوا بإذن المستقبلا إن صدرت والفعل بعد موصلا

أو قبله اليمين وانصب وارفعها إذا إذن من بعد عطف وقعا

الثالثة عشرة: قوله «وهو فيها فاجر» يعني كاذباً في يمينه عمداً، والجملة حال من فاعل يحلف.

واعلم بأن هذه اليمين المحذر منها والمتوعد عليها في الخير بغضب الله هي اليمين الغموس.

الرابعة عشرة: قوله «أن رجلاً» لم أقف على تسميته في شيء من طرق الحديث.

الخامسة عشرة: قوله «أقام سلعة في السوق» أي عرضها للبيع أو روجها في السوق، ولم أقف على تعيينه.

السادسة عشرة: قوله «فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه» أي دفع له فيها من المتساومين ما لم يعط بفتح الطاء، والمعنى أنه حلف كذباً على ما ادعاه من الثمن.

السابعة عشرة: قوله «ليوقع فيها رجلاً من المسلمين» أي ليوقع بحلفه الكاذبة على ما ادعاه من الثمن أحد المتساومين لسلعته.

الثامنة عشرة: قوله «فنزلت» ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ لا منافاة بين هذا الحديث والحديث السابق من حيث أن ذلك في البئر، وهذا في السلعة؛ لأن الآية نزلت بالسببين جميعاً، ولفظ الآية عام يتناولهما، وغيرهما.

قال في البرهان (٢٩/١): «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة، وأخرى بالمدينة، وكما ثبت في الصحيحين أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ فقال الرجل: أليّ هذا فقال: بل لجميع أمّتي. فهذا كان في المدينة، والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر، وسورة

هود مكية باتفاق، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا، ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة - إلى أن قال (ص ٣١) - والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه». انتهى محل الغرض.

التاسعة عشرة: قوله «أن امرأتين» لم أعثر لهما على تسمية.

العشرون: قوله «كانتا تخرزان» من خرز الخف، ونحوه، يخْرِزُ بضم الراء وكسرهما، قال أهل اللغة: خرزت الجلد خرزاً من باب ضرب وقتل وهو كالخياطة في الثياب.

قلت: وآلة الخرز واسمها المخرز آلة حادة معروفة.

الحادية والعشرون: قوله «في بيت أو في الحجرة» كذا بالشك في رواية الأصيلي وحده، والحجرة بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء، قال ابن الأثير: «وهي الموضع المنفرد».

الثانية والعشرون: قوله «فخرجت إحداهما» من البيت أو الحجرة، وفي المصباح والأصيلي «فجرحت» بجيم مضمومة فراء مكسورة فحاء مهملة أي إحدى المرأتين.

الثالثة والعشرون: قوله «وقد أنفد» بضم الهمزة وسكون النون، وبعد الفاء المكسورة ذال معجمة، والواو للحال، وقد للتحقيق.

الرابعة والعشرون: قوله «ياشفي» بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالفاء المنونة، ولأبي ذر «بأشفي» بترك التنوين مقصوراً، آلة الخرز للإسكاف. ذكر ذلك القسطلاني (٥٥/٧).

الخامسة والعشرون: قوله «فرفع أمرهما إلى ابن عباس».

قلت: عند البيهقي في الدعوى والبيانات باب البينة على المدعي

(٢٥٢/١٠) برواية عبد الله بن إدريس، عن ابن جريج وعثمان بن الأسود، عن ابن أبي مليكة قال: «كنت قاضياً لابن الزبير على الطائف فذكر قصة المرأتين قال: فكتبت إلى ابن عباس» حسنه الحافظ فتحصل من هذا أن رافع أمر تينك المرأتين هو ابن أبي مليكة، وهذا إجلال وتوقير من ابن أبي مليكة لابن عباس رضي الله عنهما، وهكذا كانت منزلة أهل العلم والفضل عند السلف، فإنهم يرجعون إليهم في حل المشكلات والمعضلات.

السادسة والعشرون: قوله «لو يعطى الناس بدعواهم لذهبت دماء قوم وأموالهم».

قال النووي (٣/١٢): «وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، فقيه أنه لا يقبل قول إنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك. وقد بين النبي ﷺ الحكمة في كونه لا يعطى بمجرد دعواه؛ لأنه لو كان أعطى بمجرد ادعوى قوم دماء قوم وأموالهم، واستيحا، ولا يمكن المدعى عليه أن يصون ماله ودمه، وأما المدعى فيمكنه صيانتها بالينة.

وفي هذا الحديث دلالة لمذهب الشافعي والجمهور من سلف الأمة وخلفها أن اليمين تتوجه على كل من ادعى عليه حق، سواء كان بينه وبين المدعى اختلاط أم لا». اهـ

قلت: ويؤيده قوله ﷺ للأشعث بن قيس في أول أحاديث الباب «بينتك أو يمينه» وكانت بئر الأشعث في أرض ابن عمه، وهذه بعينها خلطة. السابعة والعشرون: قوله «ذكروها بالله» أي عظوها وخوفوها بوعيده المغلظ على الكذب.

الثامنة والعشرون: قوله «واقروا عليها» إن الذين يشتركون بعهد الله ﷻ فيه شاهد لما تقرر في الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

التاسعة والعشرون: قوله «فذكروها فاعترفتم» أي المرأة المدعى عليها بعد التخويف بالله، والتحذير من مغبة اليمين الكاذبة.

الثلاثون: قوله «اليمين على المدعى عليه» يعني في حال عدم إقامة المدعي البينة على دعواه، وقد قدمنا في المسألة السادسة والعشرين قول النووي في ذلك. وقد اتفقت هذه الأحاديث الثلاثة على قواعد هامة في الأحكام منها: أولاً: تحريم اليمين الكاذبة وهي اليمين الغموس وشدة الوعيد على مرتكبها.

ثانياً: موعظة المنكر من الخصوم وتخويفه بالله وتحذيره من مغبة اليمين الفاجرة.

ثالثاً: لا يجوز إعطاء المدعي ما ادعاه بمجرد دعواه.

رابعاً: حفظ الأموال والدماء والأعراض من عبث العابثين.

٦٢- [باب ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله﴾].

ش: تمامها: ﴿ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

«هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ها هنا، ثم وصفها بقوله ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله ﴿أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾ لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ثم قال تعالى ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ وقال ابن جريح: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله. وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض». قاله ابن كثير وقوله ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

قال ابن جرير (٣: ٣٠٢): «يقول فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك، اشهدوا بأنا مسلمون» اهـ.

قوله ﴿سواء﴾ قصد.

ش: قال أبو عبيدة: «أي النصف يقال: قد دعاك إلى السواء فأقبل منه» وفي المعنى بها قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما بمعنى العدل وهو قول قتادة والربيع بن أنس.

وثانيهما أنه لا إله إلا الله وهو قول الربيع بن أنس في الرواية الثانية عنه.

قلت: والثاني أظهر لدلالة قوله في الآية أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، كما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون.

٧٥- حدثني إبراهيم بن موسى، عن هشام، عن معمر. وحدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(١) قال: حدثني ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان^(٢) من فيه إلى في قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينما أنا بالشام إذ جاء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل قال: فقال هرقل: هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبتني فكذبوه، قال أبو سفيان: وإيّم الله، لولا أن يؤثروا على الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت لا بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت تكون

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، المدني، ثقة فقيه

ثبت، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة ثمان، وقيل غير ذلك (ع).

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي شهير أسلم

عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل بعدها. خ. م. د. ت. س.

الحرب بيننا وبينه سجالاتاً، يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا، ثم قال لزوجانه: قل له إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرفهم فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاتاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلني، ثم تكون هم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل اتّم بقول قيل قبله، قال: ثم قال: يم يأمركم؟ قال: قلت يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف، قال: إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي. وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لفلسنت عن قدميه، وليلقن ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأ فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم

يؤتكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِن عَلَيكَ إِثْمُ الْأُرَيْسِيِّنَ وَهِيَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ - إِلَى قَوْلِهِ - أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأَمَرَ بَنُو فَأَخْرَجْنَا قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ لِيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مَوْقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخُلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم، فجمعهم في دار له فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت فقال: عليّ بهم، فدعا بهم فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه.

أحدهما: دعوة هرقل ملأه إلى الإسلام وأنه سبب في بقاء ملكهم.
 وثانيهما: وهو مفهومه أن رفضهم للإسلام سبباً لزوال ملكهم.
 الحادية والأربعون: قوله «فحاصوا حصصه هم الوحش إلى الأبواب
 فوجدوها قد غلقت» حاصوا. مهملتين أي نفروا وشبههم بالوحش؛ لأن نفرتها
 أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبههم بالحر دون غيرها من الوحش لمناسبة
 الجهل، وعدم الفطنة بل هم أضل.

الثانية والأربعون: قوله «علي بهم فدعاهم» في بدء الوحي «فلما رأى
 هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم علي».
 الثالثة والأربعون: قوله «إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم فقد رأيت
 منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه» في بدء الوحي «أي قلت مقالتي
 آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك
 آخر شأن هرقل».

قلت: وهذا من هرقل غاية في الحرص على الملك وإيثاره على دين الله،
 وما جاءه من الحق والهدى، وكان قادراً حساً على الفرار بدينه خلسة ولكن نفذ
 فيه قدر الله.

من فقه الحديث

أولاً: وجوب العمل بخير الواحد وقيام الحجة به.

ثانياً: قبول ما تحمله الكافر من الحديث إذا أداه بعد إسلامه.

ثالثاً: وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم.

رابعاً: جواز السفر إلى أرض العدو بالآية والآيتين ما لم يخشى على ذلك

من أيدي الكفار.

قلت: أراد هرقل بهذا السؤال الاستيثاق من خبر النبي ﷺ واختار قومه؛ لأنهم أعرف الناس بحاله.

السادسة: قوله «فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه» في الجهاد «قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيليا فأدخلنا عليه».

السابعة: قوله «أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي» في الجهاد «فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي».

قلت: ولا معارضة بين الروایتين، فإن هذه مفسرة لرواية الباب.

الثامنة: قوله «فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي» في بدء الوحي «فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهري» وفي الجهاد «قال: ما قرابة ما بينك وبينه فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب أحد من بني مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي».

التاسعة: قوله «ثم دعا بترجمانه فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبتني فكذبوه» كذبتني بالتحفيف، أي كذب عليّ في الجواب فكذبوه بالتشديد أي ردوا عليه قوله.

العاشرة: قوله «وايم الله لو لا أن يؤثروا على الكذب لكذبت» وعند مسلم في الجهاد باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل «لو لا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت» وعند المصنف في الجهاد «والله لو لا الحياء يومئذ من أن يآثر أصحابي عني الكذب لكذبت حين سألتني عنه، ولكنني استحيت أن يآثروا الكذب عني فصدقت»، وحاصل هذه الروايات دليل على أن الكذب كان قبيحاً في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام.

أنصاريّ بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رابع، ذلك مال رابع وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبنى عمه، قال عبد الله بن يوسف، وروح بن عباد: ذلك مال رابع، حدثني يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك: مال رابع.

حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي، عن ثمامة، عن أنس رضي الله عنه قال: فجعلها لحسان وأبي، وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً.

ش : فيه ثلاث عشرة مسألة

الأولى: قوله «كان أبو طلحة» هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري، مشهور بكنيته، من كبار الصحابة شهد بدرًا وما بعدها، مات سنة أربع وثلاثين، وقال أبو زرعة الدمشقي: عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة. أخرج له الجماعة.

الثانية: قوله «أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً» وفي الوكالة باب إذا قال الرجل لوكيله ضعه حيث أراك الله من رواية يحيى بن يحيى «أكثر الأنصار بالمدينة مالاً» فتكون رواية الباب مفسرة لتلك.

الثالثة: قوله «بيرحاء» قال النووي (٨٤/٤): «اختلفوا في ضبط هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء، وفتح الباء والراء.

التاسعة عشرة: قوله «والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه» في بدء الوحي «ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة» وفي الجهاد «ولم يمكنني كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به لأخاف أن تؤثر عني غيرها».

العشرون: قوله «وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها» الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان عن العلم المقرر عنده في الكتب السالفة.

الحادية والعشرون: قوله «وهم أتباع الرسل» هذا لكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق. قاله النووي.

وقال الحافظ: «معناه أن اتباع الرسل في الغالب أهل الاستكانة لا أهل الإستكبار الذين أصروا على الشقاق بغياً وحسداً، كأبي جهل وأشياعه».

الثانية والعشرون: قوله «وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب» لأنه من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه، بخلاف من دخل في أباطيل. وبشاشة الإيمان هو شرحه للقلوب التي يدخل فيها.

الثالثة والعشرون: قوله «وكذلك الإيمان حتى يتم» في بدء الوحي «وكذلك أمر الإيمان حتى يتم» والمعنى أنه يظهر نوراً ثم لا يزال في زيادة حتى يتم بالأمر المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها.

الرابعة والعشرون: قوله «وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة» معناه يتبلىهم الله بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذلهم وسعيهم في طاعة الله تعالى. ثم إن العاقبة الحميدة للرسل وأتباعهم بالنصر على أعدائهم وتمكينهم في الأرض وإظهار الله دينه على أيديهم ودخول الناس فيه.

الخامسة والعشرون: قوله «وكذلك الرسل لا تغدر» «لأن من طلب حظ الدنيا لا يبالي بالغدر، وغيره مما يتوصل به إلى ذلك، ومن طلب الآخرة لم يرتكب غدراً ولا غيره من القبائح». قاله النووي

السادسة والعشرون: قوله «إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي» في الجهاد «وهذه صفة النبي» قال العلماء: هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القديمة، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات». حكاه النووي

السابعة والعشرون: قوله «ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه» في بدء الوحي «فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه» أي تكلفت الوصول إليه، وهذا يدل على أنه كان يتحقق أن لا يسلم من القتل إن هاجر إلى النبي ﷺ واستفاد ذلك بالتجربة كما في قصة ضغاطر الذي أظهر لهم إسلامه فقتلوه.

الثامنة والعشرون: قوله «ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه» فيه دليل على معرفته صدق النبي ﷺ وأنه حق، ولذى تمنى لقاءه وخدمته، لكن أثر على ذلك الملك والرياسة.

التاسعة والعشرون: قوله «وليلغن ملكه ما تحت قدمي» أي بيت المقدس؛ لأنها عاصمة ملكه، أو الشام؛ لأنها هي دولته، وفيه بشارة بإغلاء الله دينه ونصرة نبيه على مخالفيه واتساع رقعة الإسلام.

الثلاثون: قوله «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه» في بدء الوحي «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه» وفي الجهاد «فقريء» قلت: والجمع بين هذه الرواية وما قبلها أن القاريء هو الترجمان ونسبة القراءة إلى هرقل؛ لأنه الأمر بها.

الحادية والثلاثون: قوله «من محمد رسول الله إلى هرقل» في بدء الوحي «من محمد عبد الله ورسوله».

فيه أولاً: مشروعية بدء الكتاب بالبسملة ثم اتباع ذلك بقوله من فلان إلى فلان.

وفيه ثانياً: إقرار النبي ﷺ بأسوة بالأنبياء قبله أنه عبد الله وهذا غاية الخضوع والتواضع لله.

الثانية والثلاثون: قوله «سلام على من اتبع الهدى» قلت: ومعناه الدعاء بالسلامة لمن أسلم وتحيته وليس هذا بدءاً للكفار بالسلام.

الثالثة والثلاثون: قوله «أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام» قلت: «أما» حرف شرط وتفصيل، ومعناها مهما يكن من شيء، ويؤتى بها للإنتقال من أسلوب إلى أسلوب، ودعاية الإسلام من دعا يدعو دعاية، مثل شكا يشكو شكاية، والمعنى أنه يدعو إلى الله بالكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذه الكلمة هي أصل الأصول وأعظم أركان الدين.

الرابعة والثلاثون: قوله «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين» أي أدخل في الإسلام تسلم في الدنيا من القتل أو الجزية وفي الآخرة من النار.

قال العلماء: وفي هذا نوع من البديع وهو الجناس الإشتقائي. وفي قوله «يؤتك الله أجرك مرتين» موافقة لقوله تعالى ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ وحدث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ» الحديث.

الخامسة والثلاثون: قوله «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» هو جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، وقد قلب همزته ياء كما جاءت به رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما هنا.

قال ابن سيده: الأريس الأكار أي الفلاح.

قلت: والمعنى أنك إن توليت عن دين الله ولم تجب داعي الله فعليك إثم أتباعك، ومن المعلوم أن من كان سبباً في إضلال غيره فإنه يحمل مع وزره مثل أوزار من أضله.

السادسة والثلاثون: قوله «ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله - إلى قوله - اشهدوا بأنا مسلمون» هكذا وقع بإثبات الواو في أوله، وذكر القاضي عياض أن الواو ساقطة من رواية الأصيلي وأبي ذر، وعلى ثبوتها فهي داخله على مقدر معطوف على قوله «أدعوك» فالتقدير أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك امتثالاً لقول الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾.

السابعة والثلاثون: قوله «فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللفظ، وأمر بنا فأخرجنا» في بدء الوحي «كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا» وفي الجهاد «فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لفظهم فلا أدري ماذا قالوا». قلت: والباعث على هذه الحال من عظماء الروم استنكارهم ما سمعوه من كتاب النبي ﷺ.

الثامنة والثلاثون: قوله «فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر» في الجهاد «فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم» وأمر بفتح الهمزة وكسر الميم أي عظم، وابن أبي كبشة أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وبنو الأصفر هم الروم.

التاسعة والثلاثون: قوله «فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له» في بدء الوحي «فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بمحص ثم أمر بأبوابها فقفلت ثم اطلع».

الأربعون: قوله «يا معشر الروم هل لكم بالفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم» زاد في بدء الوحي «فتبايعوا هذا النبي» وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: دعوة هرقل ملأه إلى الإسلام وأنه سبب في بقاء ملكهم.
 وثانيهما: وهو مفهومه أن رفضهم للإسلام سبب لزوال ملكهم.
 الحادية والأربعون: قوله «فحاصوا حصية حمر الوحش إلى الأبواب
 فوجدوها قد غلقت» حاصوا. عمهلتين أي نفروا وشبههم بالوحش؛ لأن نفرتها
 أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبههم بالحر دون غيرها من الوحوش لمناسبة
 الجهل، وعدم الفطنة بل هم أضل.

الثانية والأربعون: قوله «علي بهم فدعاهم» في بدء الوحي «فلما رأى
 هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم علي».

الثالثة والأربعون: قوله «إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم فقد رأيت
 منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه» في بدء الوحي «أي قلت مقالتي
 آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك
 آخر شأن هرقل».

قلت: وهذا من هرقل غاية في الحرص على الملك وإيثاره على دين الله،
 وما جاءه من الحق والهدى، وكان قادراً حساً على الفرار بدينه خلسة ولكن نفذ
 فيه قدر الله.

من فقه الحديث

أولاً: وجوب العمل بخبر الواحد وقيام الحجة به.

ثانياً: قبول ما تحمله الكافر من الحديث إذا أداه بعد إسلامه.

ثالثاً: وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم.

رابعاً: جواز السفر إلى أرض العدو بالآية والآيتين ما لم يخش على ذلك من

أيدي الكفار.

٦٣- [باب ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - إلى - به عليم﴾].

ش: تمامها: ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾.

قوله ﴿لن تنالوا البر﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: «لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه، وعبادتهم له، ويرجونه منه، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم جنته وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل: البر الجنة؛ لأنه بر الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة». قاله ابن جرير

وقوله ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾.

قال القنوجي (٢٨٣/٢): «أي تصدقوا» «وحتى» بمعنى «إلى» ﴿مما تحبون﴾ أي حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها «ومن» تبعيضية، وقيل بيانية، و«مما» موصولة، أو موصوفة، والمراد النفقة في سبيل الخير من صدقة أو غيرها من الطاعات، وقيل المراد الزكاة المفروضة.

قال البيضاوي: أي من المال أو مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونته الناس، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيله». انتهى
قلت: وكتعليم العلم.

وقوله ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾. قلت: ونظيرها من سورة البقرة ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾.

قال الشيخ ابن سعدي في شرحه لآية البقرة هذه: «يخبر تعالى أنه مهما أنفق المنفقون أو تصدق المتصدقون، أو نذر الناذرون فإن الله يعلم ذلك، ومضمون الإخبار بعلمه يدل على الجزاء، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة، ويعلم ما صدرت عنه من نيات صالحة أو سيئة».

٧٦- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي

طلحة، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر

أنصاريّ بالمدينة نخلًا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رايح، ذاك مال رايح وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه، قال عبد الله بن يوسف، وروح بن عبادة: ذاك مال رايح، حدثني يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك: مال رايح.

حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي، عن ثمامة، عن أنس رضي الله عنه قال: فجعلها لحسان وأبي، وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً.

ش : فيه ثلاث عشرة مسألة

الأولى: قوله «كان أبو طلحة» هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري، مشهور بكنيته، من كبار الصحابة شهد بدرًا وما بعدها، مات سنة أربع وثلاثين، وقال أبو زرعة الدمشقي: عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة. أخرج له الجماعة.

الثانية: قوله «أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا» وفي الوكالة باب إذا قال الرجل لو كي له ضعه حيث أراك الله من رواية يحيى بن يحيى «أكثر الأنصار بالمدينة مالًا» فتكون رواية الباب مفسرة لتلك.

الثالثة: قوله «بيرحاء» قال النووي (٤/٨٤): «اختلفوا في ضبط هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء، ويفتح الباء والراء.

قال الباجي: «قرأت هذه اللفظة على أبي ذر الهروي بفتح الراء على كل حال. قال: وعليه أدركت أهل العلم والحفظ بالمشرق، وقال لي السوري هي بالفتح، واتفقا على أن من رفع الراء وألزمها حكم الإعراب فقد أخطأ. قال: وبالرفع قرأناه على شيوخنا بالأندلس، وهذا الموضع يعرف بقصر بني حُرَيْلة قبلي المسجد. وذكر مسلم رواية حماد بن سلمة هذا الحرف بريحاء بفتح الباء وكسر الراء، وكذا سمعناه من أبي بجر عن العذري والسمرقندي، وكان عند ابن سعيد عن البحري من رواية حماد بريحاء بكسر الباء وفتح الراء وضبطه الحميدي من رواية حماد بريحاء بفتح الباء والراء». انتهى محل الغرض

الرابعة: قوله «وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب» فيه دليل على إباحة دخول العلماء والفضلاء البساتين وما جانتها من الجنات والكروم وغيرها، طلباً للراحة والترفه والنظر إلى ما يسلي النفس، وما يوجب شكر الله عز وجل على نعمه.

وفيه إباحة استعذاب الماء وتفضيل بعضه على بعض بما فضله الله عز وجل. وفيه إباحة الشرب من ماء الصديق بغير إذنه إذا كان يسيراً وتطيب به نفسه، وليس فيه إجحاف عليه ولا أذية.

الخامسة: قوله «فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾» هذا هو وجه مناسبة الحديث للباب، وقد مضى تفسيره.

السادسة: قوله «قام أبو طلحة - إلى قوله - ضعها حيث أراك الله» فيه عدة فوائد:

الأولى: أن الرجل الفاضل العالم، قد يضاف إليه حب المال، وقد يضيفه هو إلى نفسه وليس في ذلك نقيصة عليه، ولا إلى من أضاف ذلك إليه إذا كان ذلك من وجه حله، وما أباح الله منه.

الثانية: إثبات صفة الكلام لله، وأن القرآن كلام الله حقيقة، وهذا هو

مذهب أهل السنة والجماعة.

الثالثة: إباحة كسب العقار إذا كان من وجه حلال.

الرابعة: استعمال ظاهر الخطاب وعمومه، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفهموا من فحوى الخطاب غير ذلك.

الخامسة: استشارة ذوي العلم والفضل والاستئناس برأيهم.

المسألة السابعة: قوله «بخ» هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وصلت جرت ونونت، وربما شددت.

الثامنة: قوله «ذلك مال رابح ذلك مال رابح»، وكذا في رواية روح وعبد الله بن يوسف «رابح» في آخر الحديث وفي رواية يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك «مال رابح».

قال ابن عبد البر: «وأما قوله بخ ذلك مال رابح فإنه أراد مال رابح صاحبه ومعطيه، فحذف، وذلك معروف من كلام العرب يقولون: مال رابح ومتجر رابح، كما قالوا ليل نائم أي ينام فيه، وهكذا رواه يحيى «مال رابح» من الربح وتابعه على ذلك جماعة، ورواه ابن وهب وغيره بالياء المنقوطة باثنتين من تحتها وقال في تفسيره أنه يروح على صاحبه بالأجر العظيم، وحقيقته عند أهل المعرفة باللسان على أنه على النصب أي مال ذو ربح كما يقولون: هم ناصب، وعيشة راضية أي هم ذو نصب، وعيشة ذات رضى. قال الأخفش: أصله من الروحة أي هو مال يروح عليك ثمره وخيره متى شئت، والأول أولى عندي».

قال مقيده: وعندي أن الروايتين بهذا التحليل والتوجيه متفقتان في المعنى.

التاسعة: قوله «قد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» القائل هو رسول الله ﷺ والمعنى أي ذا القرابة المحتاج أولى بالصدقة من غيره، وروى ابن حبان وغيره عن سلمان بن عامر عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين

صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة».

العاشرة: قوله «افعل يا رسول الله» فيه سرعة استجابة أبي طلحة رضي الله عنه لمشورة النبي ﷺ والأخذ بها.

الحادية عشرة: قوله «فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه» القائل هو أنس بن مالك.

الثانية عشرة: قوله «فجعلها لحسان وأبي» قلت: هذا هو تفسير القسمة وتحديد المقسوم عليهم من الأقارب، فحسان هو أبو عبد الرحمن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ مشهور، مات سنة أربع وخمسين وله مائة وعشرون سنة، أخرج له الجماعة إلا الترمذي.

وأبي هو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً قيل سنة تسع عشرة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين. أخرج له الجماعة.

ووجه تخصيص أبي طلحة إياهما أن الأول يلتقي معه عند أبيه الثالث، وأما أبي فيلقاه عند أبيه السابع. ذكر ذلك ابن عبد البر في التمهيد (٢١٧/١).

الثالثة عشرة: قوله «وأنا أقرب إليه ولم يجعل لي منها شيئاً» قلت: الظاهر أن أبا طلحة خصّ أبي وحسان دون أنس لما رأى أن حاجتهما إلى الصدقة أكثر منه وهذا هو عين ما تقتضيه المصلحة.

قال مقيد: ونحتم ما يسر الله لنا من شرح هذا الحديث ببعض ما استنبطه منه أبو عمر ابن عبد البر في باب إسحاق من التمهيد، وقد أسلفت طرفاً منها في المسألة السادسة مع اختصار وتصرف وإضافة. قال:

١- وفيه أن لفظ الصدقة، يخرج الشيء المتصدق به عن ملك الذي يملكه قبل أن يتصدق به، فإن أخرجها إلى مالك، وملكه إياها استغنى بهذه اللفظة عن

غيرها، ولم يكن له الرجوع في شيء منها؛ لأن لفظ الصدقة يدل على أنه أراد الله بها معطيها لما وعد الله ورسوله على الصدقة من جزيل الثواب، وما أريد به الله فلا رجوع فيه، وهذا مما أجمع المسلمون عليه.

فإذا قال المتصدق: مالي هذا صدقة لله عز وجل، ولم يملكه أحداً جاز للإمام أن يصرفه في أي سبيل من سبيل الله شاء، غير أن الأفضل من ذلك أولى، هذا إذا لم يبين مراد المتصدق، فإن بان مراده لم يتعد ذلك الوجه.

٢- وفيه أن الصدقة على الأقارب من أفضل أعمال البر؛ لأن رسول الله ﷺ لم يشر بذلك على أبي طلحة إلا وهو قد اختار ذلك له، ولا يختار له إلا الأفضل لا محالة.

٣- وفيه إجازة تولي المتصدق قسم صدقته، وذلك عند أصحاب مالك، إذ كان منه إخراجا لها عن ملكه، ويده، وتملكاً لغيره.

٤- وفيه دليل على صحة ما ذهب إليه فقهاء الحجازيين، حيث قالوا فيمن تصدق على رجل، أو على قوم بصدقة حبس، ذكر فيها أعقابها أو لم يذكر، ولم يجعل لها بعدهم مرجعاً، مثل أن يقول على المساكين، أو على ما لا يعدم وجوده من صفات البر، فماتوا وانقضوا أنها ترجع حبساً على أقرب الناس بالحبس يوم ترجع لا يوم حبس، ألا ترى أن أبا طلحة إذ جعل حائطه ذاك صدقة لله، ولم يذكر وجهها من الوجوه التي يتقرب بها إلى الله عز وجل أمره رسول الله ﷺ أن يجعلها في أقاربه، فكذلك كل صدقة لا يجعل لها وجه، ولا يذكر لها مرجع، تصرف على أقارب المتصدق.

٥- قال أبو عمر: وفي هذا أيضاً ما يقضي على القرابة، أنها ما كان في هذا العدد ونحوه، وما كان دونه فهو أحرى أن يلحقه اسم القرابة.

٦٤- [باب ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾].

ش: قلت: الآية ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.

قوله ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾.

قال الطبري رحمه الله (١/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حُرْم على بني إسرائيل وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالاً، إلا ما كان يعقوب حرّمه على نفسه، فإن ولده حرّمه استئناً بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل، ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التوراة». اهـ.

قلت: والسؤال ها هنا ما الذي حرّمه إسرائيل ﷺ من الأطعمة على نفسه؟

فالجواب: أن أهل التفسير مختلفون على قولين:

أحدهما: العروق من اللحم، وهذا قول ابن عباس، وأبي مجلز لاحق بن حميد، وقتادة، ومجاهد.

ثانيهما: أنه لحوم الإبل والبانها، وهذا قول عبد الله بن كثير، والحسن، وهو الرواية الثانية عن ابن عباس، ومجاهد، واختار ابن جرير الجمع بينهما فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الأعمش عن حبيب عن سعيد، عنه أن ذلك العروق ولحوم الإبل؛ لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها كما كان عليه من ذلك أوائلها.

قوله ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.

قال البغوي (٣٢٧/١): «﴿قل﴾ يا محمد ﴿فاتوا بالتوراة فاتلوها﴾ حتى يتبين لكم أنه كما قلت ﴿إن كنتم صادقين﴾ فلم يأتوا». وقال القنوجي: «ثم أمر الله سبحانه بأن يحاجهم بكتابهم ويجعل بينه وبينهم حكماً ما أنزله الله عليهم لا ما أنزل عليه فقال: ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها﴾ حتى تعلموا صدق ما قصه الله في القرآن، من أنه لم يحرم على بني إسرائيل شيء من قبل نزول التوراة إلا ما حرمه يعقوب على نفسه ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أنه تحريم قديم. يروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة، فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة وبهتوا، وفي هذا من الإنصاف للخصوم ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مرامه، وفيه من الحجة النيرة على صدق النبي، وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى».

٧٧- حدثني إبراهيم بن المنذر^(١)، حدثنا أبو ضمرة^(٢)، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنى منكم، قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟، فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يُدرّسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الجرم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجأ عليها يقبها الحجر.

ش: فيه ست مسائل

- (١) هو إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي، صدوق. تكلم فيه أحمد لأجل القرآن من العاشرة (خ، ت، س، ق).
 (٢) هو أنس بن عياض بن ضمرة الليثي المدني، ثقة، من الثامنة، مات سنة مائتين، وله ست وتسعون سنة (ع).

الأولى: قوله «برجل منهم وامرأة قد زنيا» لم أقف لهما على تسمية، وليس في ذكر ذلك فائدة، إذ العبرة بإقامة حد الله عليهما.

وأما معنى الزنا فهو وطء الرجل للمرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح، وقيل هو إيلاج فرج في فرج مشتهد طبعاً محرماً شرعاً. ذكر ذلك الشوكاني (٤/٤).

الثانية: قوله «كيف تفعلون بمن زنى منكم» السائل هو النبي ﷺ والمسؤول من حضر القصة من اليهود، ويفيد هذا السؤال أمرين.

الأول: صحة أصل التوراة التي بأيدي القوم.

الثاني: إقامة الحجة عليهم.

الثالثة: قوله «نحممهما ونضربهما» التحميم تسويد الوجه بالفحم من الحممه، وهي الفحمة، والمعنى نسود وجوههم تشهيراً على هذه الفعلية، وفي رواية عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن نافع في المناقب باب قول الله تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ «نفضحهم ويجلدون» ولا منافاة، فإن رواية الباب مفسرة لتلك.

الرابعة: قوله «لا تجدون في التوراة الرجم» لعل العبارة استفهام، حذفته منه الهمزة فيكون التقدير: ألا تجدون، ويرشد إلى ذلك حديث البراء عند مسلم وفيه «أهكذا تجدون». والرجم هو الرمي بالحجارة، ورجم الزاني المحسن هو ضربه بالحجارة حتى الموت، ويظهر من السؤال أن دينك اليهوديين محضنان.

الخامسة: قوله «فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» هذا وجه مطابقة الحديث للباب، والمراد منه إظهار كذب اليهود بما أخفوه من حدود الله.

السادسة: قوله «فرأيت صاحبها يجنأ عليها» أي يكب ويميل عليها ليقبها الحجر.

من فقه الحديث

في هذا الحديث فوائد عظيمة ومسائل من الفقه حجة جديرة بالعناية

استنبطها الحافظ أبو عمر ابن عبد البر، قال: وفي هذا الحديث من الفقه:

١ - سؤال أهل الكتاب عن كتابهم، وفي ذلك دليل على أن التوراة صحيحة بأيديهم، - قلت: يعني أصلها - ولولا ذلك ما سألم رسول الله ﷺ عنها، ولا دعا بها.

٢- وفيه دليل على أن الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله، هي كتب أحبارهم وفقهائهم ورهبانهم، كانوا يصنعون لهم كتباً من آرائهم وأهوائهم ويضيفونها إلى الله عز وجل.

٣- وفيه دليل على أن شرائع من قبلنا شرائع لنا، إلا بما ورد في القرآن، أو في سنة النبي محمد ﷺ نسخه وخلافه.

٤- وفيه إثبات الرجم والحكم به على الثيب الزاني، وهو أمر أجمع أهل الحق - وهم الجماعة أهل الفقه والأثر - عليه.

٥- وفيه أن أهل الكتاب وسائر أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا ورضوا بحكم حاكمنا، حكم بينهم بما في شريعتنا، كان ذلك موافقاً لما عندهم أو مخالفاً، وأنزلهم في الحكم منزلتنا».

تنبيه

روى مسلم وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مر على النبي يهودي محمماً مجلوداً فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجلدون حد الزنى في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجلدون حد الزنى في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والضعيف، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم... الحديث. فكيف التوفيق بينه وبين حديث الباب؟

فالجواب: أنه لا معارضة بين الحديثين إذ الجمع بينهما ممكن بجواز تعدد

القصة.

٦٥- [باب ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾].

ش: تمامها: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾.
قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

قال ابن كثير (٣٩٩/١): «بخيرتعالى عن هذه الأمة الحمديّة بأنهم خير الأمم فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وساق خير أبي هريرة الآتي ثم قال: وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والريبع بن أنس ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس».

قال مقيدده: فإن قال قائل: من المعنى بهذه الخيرية من الأمة؟

فالجواب عندنا: ما رجحه ابن جرير وهو أحد أقوال أربعة حكاها في الآية (٤٥/٤) بقوله: «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن إبراهيم حدثني قال: ثنا ابن عليه، عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنكم فتيمة سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله» اهـ.

قلت: ويشهد لهذا الاختيار أمران:

أحدهما: ظاهر عموم الآية، والأصل في هذا وأمثاله كلية الدلالة ما لم يخصه نص صحيح، أو إجماع، ولا شك أن من هاجر من مكة إلى المدينة بل وجميع أصحاب النبي ﷺ هم أسبق الناس إلى هذه الخيرية.

وثانيهما: ما استفاد به الخبر عن النبي ﷺ في الثناء على هذه الأمة من ذلك ما رواه أحمد وغيره عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم.

ومنها: ما رواه أحمد في المسند والترمذي وحسنه عن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ قال: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل). وقوله تعالى ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

قال الشوكاني (١/٣٧١): «وقوله ﴿تأمرون بالمعروف﴾ الخ. كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك، ولهذا قال مجاهد: أي كنتم خير أمة حال كونكم أميين ناهين مؤمنين بالله وبما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه لعباده، فإنه لا يتم الإيمان بالله سبحانه إلا بالإيمان بهذه الأمور».

وقال ابن سعدي (١/٢٦٢): «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحاء، ومحبة للخير، ودعوة وتعليماً، وإرشاداً وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان». انتهى

وقوله ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾.

قال القنوجي (٢/٣١٢): «﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى إيماناً كإيمان المسلمين بالله ورسوله وكتبه ﴿لكان خيراً لهم﴾ من الرياسة التي هم عليها، وقيل من الكفر الذي هم عليه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قالوا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وإنما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام، فالخيرية إنما هي باعتبار زعمهم، وفيه ضرب تهكم بهم». انتهى محل الغرض.

وقوله ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾.

قال ابن كثير (١/٤٠٥): «أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم

وما أنزل إليهم وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان».

٧٨- حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.

ش: يفسره ما أخرجه المصنف في باب الأسارى في السلاسل من كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل. وعند أبي داود من رواية حماد بن سلمة عن محمد بن زياد بلفظ «يقادون إلى الجنة بالسلاسل». قال ابن المنير كما في الفتح (١٤٥/٦): «وإن كان المراد حقيقة وضع السلاسل في الأعناق فالترجمة مطابقة، وإن كان المراد المجاز عن الإكراه فليست مطابقة». وتعبه الحافظ بقوله: قلت: المراد بكون السلاسل في أعناقهم مقيد بحالة الدنيا، فلا مانع من حمله على حقيقته، والتقدير يدخلون الجنة، وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل».

٦٦- [باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا﴾].

ش: تمامها: ﴿وَإِلَى اللَّهِ لِيَرْجِعَنَّ الْأَنْفُسَ الَّتِي أَهْلَتْ أَنْ تَفْشِلَا﴾.
قوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾.

قال البغوي (٣٤٧/١): أي تجبنا وتضعفا وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط أخذ عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالاً لأتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالإنصراف مع عبد الله بن أبي فعصمهم الله فلم ينصرفوا، فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ ناصرهما وحافظهما.

قوله ﴿وَإِلَى اللَّهِ لِيَرْجِعَنَّ الْأَنْفُسَ الَّتِي أَهْلَتْ أَنْ تَفْشِلَا﴾. أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على الله وليستعن بي أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقويه على نيته. قاله ابن جرير.

قلت: والتوكل في اللغة معناه التفويض وفي الشرع اعتماد القلب على الله في جلب النفع وكشف الضر، وهو جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضى، لا يتصور وجوده بدونها.

قاله ابن القيم في المدارج (١٥٢/١):

٧٩- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: قال عمرو: سمعت

جابر بن عبد الله^(١) رضي الله عنهما يقول: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين (ع).

منكم أن تفشلا والله وليهما ﴿﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله ﴿﴾ والله وليهما ﴿﴾ .
ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «بنو حارثة وبنو سلمة» بيان للطائفتين وكتاهما من الأنصار فالأولى بنو حارثة بن النبين من الأوس والثانية بنو سلمة بن جشم بن الخزرج، وهما الجناحان. يقول تعالى ﴿﴾ والله وليهما ﴿﴾ أي المدافع عنهما ما همتا به من فشلها وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما، غير شك في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده، حتى سلمتامن وهنهما وضعفهما ولحقنا بنبينا ﷺ. قاله ابن إسحاق (١٠٦/٢).

الثانية: قوله «وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرني أنها لم تنزل» قلت: سفيان هو ابن عيينة أحد رواة الحديث وقد صرح به في المغازي والكلمتان بمعنى واحد.

الثالثة: قوله «لقول الله ﴿﴾ والله وليهما ﴿﴾» تعليل لما قبله وذلك لما تضمنته الآية من وعد الله إياهم بالنصر والتسليم من الوهن والضعف الذي كاد يصيب القوم. وقد تقدم بسط ذلك في كلام ابن إسحاق في أول مسألة.

٦٧- [باب ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾].

ش: تمامها: ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.

قال البغوي (١/٣٥٠): «أي ليس إليك، فاللام بمعنى «إلى» كقوله تعالى

﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ وقوله تعالى ﴿أو يتوب عليهم﴾.

قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم، أو إلى ان يتوب عليهم، وقيل: هو

نسق على قوله ﴿ليقطع طرفاً﴾. وقوله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إعتراض بين

الكلامين ونظم الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا، أو يكتبهم أو يتوب عليهم

أو يعذبهم، فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء) بل الأمر أمرى في ذلك

كله».

وقال ابن كثير (١/٤١١): «أي بل الأمر كله إلى كما قال تعالى ﴿فإنما

عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ وقال ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي

من يشاء﴾ وقال ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾

وقال محمد بن إسحاق في قوله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾: أي ليس لك من

الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر بقية الأقسام فقال: ﴿أو

يتوب عليهم﴾ أي مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ﴿أو يعذبهم﴾ أي

في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال ﴿فإنهم ظالمون﴾ أي

يستحقون ذلك.

٨٠- حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري

قال: حدثني سالم، عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في

الركعة الآخرة من الفجر يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، بعدما يقول:

سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ -

إلى قوله - ﴿فإنهم ظالمون﴾. رواه إسحاق بن راشد^(١) عن الزهري.

٨١- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فرمما قال إذا قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعيَّاش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف» يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأحياء من العرب، حتى أنزل الله ﷻ ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

ش : فيهما سبع مسائل

الأولى: قوله «إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر» قلت: وعند أبي داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات عن ابن عباس قال: «قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة» فالجمع بينهما أن كلا من الصحابين حدّث عن النبي ﷺ بما رآه وحفظه.

الثانية: قوله «اللهم العن فلاناً وفلاناً...». قلت: اللعن من الله الطرد والإبعاد عن رحمته، ومن المخلوق هو طلب ذلك. وقوله «فلاناً» جاء مفسراً عند الترمذي في التفسير من رواية عمر بن حمزة بلفظ «قال رسول الله ﷺ يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية» ثم قال الترمذي بعد ذلك: هذا حديث حسن غريب يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه، وقد رواه الزهري عن سالم عن أبيه، لم يعرفه محمد

(١) هو أبو سليمان إسحاق بن راشد الجزري، ثقة. في حديثه عن الزهري بعض الوهم، من السابعة، مات في خلافة أبي جعفر. (خ٤).

بن إسماعيل من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري.
 قلت: ويشهد للتسمية ما أخرجه المصنف في المغازي باب ﴿ليس لك من
 الأمر شيء﴾ عن سالم مرسلاً ولفظه «كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن
 أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام» الحديث.
 الثالثة: قوله «بعد ما يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا ولك الحمد» فيه
 بيان موضع القنوت، ويأتي بسطه قريباً إن شاء الله.
 الرابعة: قوله «ليس لك من الأمر شيء» هذا وجه الشاهد من الحديث
 للترجمة وقد مضى تفسيره.

الخامسة: قوله «رواه إسحاق بن راشد» قلت: هو موصول عند الطبراني
 في الكبير (٢٨٠/١٢) من رواية محمد بن جعفر ثنا عمرو بن قسط ثنا عبيد الله
 بن عمرو، عن إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم عن أبيه.

تنبيه

وقع في رواية عبد الرزاق «دعا على أناس من المنافقين» ولم يذكر ذلك ابن
 المبارك وهو أوثق من عبد الرزاق، وأخشى أن تكون هذه اللفظة شاذة. والله
 أعلم.

السادسة: قوله «كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قلت
 بعد الركوع» مضى القول في القنوت في حديث عمر في المسألة الثانية قبله،
 وقوله «إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد» بيان لمضمون قنوته ﷺ في
 النوازل.

السابعة: قوله «اللهم أنج الوليد بن الوليد - إلى قوله - وعياش بن أبي
 ربيعة». قلت: «أنج» من الرباعي أنجى ويقال: نجى من نجاً وهما بمعنى واحد،
 والوليد بن الوليد هو ولد الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
 المخزومي، أسلم وتوفي في حياة النبي ﷺ، وسلمة بن هشام هو أبو هاشم سلمة

بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي أخو أبي جهل. كان من السابقين إلى الإسلام، إستشهد بمرج الصفر سنة أربعة عشر وقيل غير ذلك. وعياش بن أبي ربيعة هو عمرو ويلقب بذي الرحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ابن عم خالد بن الوليد، وكان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، مات في خلافة عمر.

وكان الثلاثة من المستضعفين من المسلمين في مكة، فدعا لهم رسول الله ﷺ بالنجاة من الكفار. وسيأتي الكلام على بقية الحديث عند قوله تعالى ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء﴾ في سورة النساء.

من فقه الحديثين

واعلم أن الحديثين قد اتفقا على ثلاثة أمور:

الأول: شرعية القنوت في النوازل وأن موضعه بعد الركوع وقد مضى في المسألة الأولى من حديث ابن عمر أنه الركعة الأخيرة من صلاة الفجر وجمعنا هناك بينه وبين حديث ابن عباس عند أبي داود.

ونضيف ههنا ما قاله ابن القيم في الزاد (٢٧٣/١): «وكان هديه ﷺ القنوت في النوازل خاصة، وتركه عند عدمها، ولم يكن يخصه بالفجر، بل كان أكثر قنوته فيها لأجل ما شرع فيها من التطويل، ولاتصالها بصلاة الليل، وقربها من السحر وساعة الإجابة ولتنزل الإلهي؛ ولأنها الصلاة المشهودة التي يشهدها الله وملائكته، وملائكة الليل والنهار كما روي هذا، وهذا في تفسير قوله تعالى ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ انتهى محل الغرض

قلت: فتحصل بهذا تفسيران:

أحدهما: أن قنوت النوازل ليس خاصاً بصلاة الصبح بل هو عام في جميع الصلوات كما تقدم.

وثانيهما: فيه الرد على من قال بنسخ القنوت، وهم بعض الكوفيين

محتجین بحديث ابن عمر وهو الأول في الباب، والجواب كما قال القرطبي رحمه الله: وليس هذا موضع نسخ وإنما نبه الله تعالى نبيه على أن الأمر ليس إليه، وأنه لا يعلم من الغيب شيئاً إلا ما أعلمه، وأن الأمر كله لله يتوب على من يشاء ويعجل العقوبة لمن يشاء.

الثاني: النهي عن لعن المعين أو الدعاء عليه، ويشكل عليه حديث ابن عباس عند أبي داود وفيه «إذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة يدعو على أحياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية» ففيه كما ترى الدعاء على معين وهم بعض قبائل العرب من الكفار، وعندني والعلم عند الله أنه لا يزول هذا الإشكال إلا بحمل حديث ابن عمر وما في معناه على أنه كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بحديث ابن عباس المتقدم وما في معناه.

الثالث: ظاهر الحديثين أن كلتي القصتين سبب لنزول الآية، ولا مانع من تكرير سبب النزول وقد قدمنا نظير هذه المسألة.

٦٨ - [باب ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾].

ش : قلت الآية: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم، والله بصير بما تعملون﴾.

قوله: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ هذه الآية وثيقة الصلة والإرتباط بالآية قبلها أعني ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ إذ الآيتان في قصة أحد قال ابن جرير (١٣٢/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه: ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم، ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ إلى أن قال (ص ١٣٣): «وأما قوله ﴿ولا تلوون على أحد﴾ فإنه يعني ولا تعطفون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضهم إلى بعض هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي». قوله: (والرسول يدعوكم في أخراكم) قال ابن كثير (٤٢٣/١): «أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والكرّة».

قوله ﴿فأثابكم غمّاً بغم﴾ يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غمّاً بغم، يقول غمّاً على غم، وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثواباً إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه، ولم يرضه منهم، فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كالمعوض من شيء من العمل خيراً كان أو شراً، أو العوض الذي بذله رجل لرجل، أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض مكرمة أو عقوبة» قاله ابن جرير.

قوله: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ الجملة تعليلية والمعنى أن الله قد جازاكم بالغم على الغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الفتح

والغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من ضد ذلك.

وقال الشيخ بن سعدي: «يعني أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات. قلت: هذه نكتة لطيفة تناسب المقام ولفتة جيدة يرشد إليها السياق».

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِ مَا تَعْلَمُونَ﴾ قال الشيخ القنوجي (٢/٣٥٦): «من الأعمال خيرها وشرها فيجازيكم عليها».

جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿أخراكم﴾ هو تأنيث آخركم].

ش: قال أبو عبيدة «﴿أخراكم﴾ آخركم».

٢ - [وقال ابن عباس: إحدى الحسينين ﴿فتحاً أو شهادة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثني: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها هي الثانية والخمسون من سورة التوبة.

ووجه إيراد هذا الأثر هنا مع أن الآية من سورة التوبة فلعل المصنف أورده هنا للإشارة إلى أن إحدى الحسينين، وقعت في أحد وهي الشهادة» قاله الحافظ.

٨٢ - حدثنا عمرو بن خالد^(١): حدثنا زهير: حدثنا أبو إسحاق قال

سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد عبد الله بن جبير، وأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً.

ش: فيه ثلاث مسائل:

(١) عمرو بن خالد هو: أبو الحسن عمرو بن خالد بن فروخ بن سعيد التميمي، ويقال الخزاعي الحمراني، نزيل مصر، ثقة من العاشرة، مات سنة تسع وعشرين (خ، ق).

الأولى: قوله: (الرجاللة) هم جمع راجل وهم: المشاة ويعني بهم الرماة الذين انتدبهم النبي ﷺ لحراسة ظهور المسلمين فجعلهم على جبل أحد وهم خمسون رامياً وكان عليهم عبداً لله بن جبير وهو عبداً لله بن جبير بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي وهو فيمن قتل من الرماة يوم أحد.

وكانت وقعة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة وذلك أن عبداً لله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب أبائهم وأبنائهم يوم بدر قاموا بالتحريض على غزو النبي ﷺ والمؤمنين بالمدينة انتقاماً لقتلهم فكلموا أبا سفيان وسادات قريش فخرج أبو سفيان فيمن اجتمع له من قريش وعددهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم بعض النسوة فنزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، وخرج النبي ﷺ بمن معه من المسلمين فنزل الشعب من أحد في غداة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال، وكان معه ﷺ بعد الخذل المنافقين عنه سبعمائة رجل، وكان من أمر تلك الوقعة بعد التحام المعركة بين الجيشين أن خالف الرماة أمر النبي ﷺ اجتهاداً منهم فتركوا أماكنهم حين لاحت بوادر النصر في صف المسلمين فانقض المشركون على المسلمين وقتلوا منهم سبعين رجلاً وجرح النبي ﷺ فشج رأسه وكسرت رباعيته وكان من القتلى حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير.

الثانية: قوله (فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم) هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وهو وما بعده تفسير للأخرى في الآية.

الثالثة: قوله «ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً» يعني من الجيش ومن هؤلاء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة والزبير، ومن الأنصار أسيد بن حضير والحباب بن المنذر.

٦٩- [باب ﴿أمنة نعاساً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

قوله ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ «يعني بذلك جل ثناؤه: ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أتاكم ربكم بعد غم تقدمه أمنة وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك، ثم بين جل ثناؤه عن الأمانة التي أنزلها عليهم ما هي؟ فقال: ﴿نعاساً﴾ بنصب النعاس على الإبدال من الأمانة». قاله ابن جرير

قوله ﴿يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس، لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس، وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم إلا إقامة دين الله ورضى الله ورسوله، ومصالحة إخوانهم المسلمين. وأما الطائفة الأخرى الذين قد أهمتهم أنفسهم فليس لهم هم في غيرها لنفاقهم، أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم». اهـ.

قوله ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾.

قال الشوكاني (٣٩١/١): «هذه الجملة في محل نصب على الحال أي يظنون بالله غير الحق الذي يجب أن يظن به، وظن الجاهلية بدل منه، وهو الظن

المختص بعملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية، وهو ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق» اهـ.

قوله ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾.

قال الشيخ صديق (٣٥٨/٢): «يقولون لرسول الله ﷺ ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ أي من أمر الله نصيب، وهذا الاستفهام معناه الجحد، أي ما لنا شيء من الأمر، وهو النصر والإستظهار على العدو، وقيل هو الخروج، أي إنما أخرجنا مكرهين» اهـ.

قوله ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ «الأمر يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبتها النصر والظفر لأوليائه، وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى». قاله ابن سعدي

قوله ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا﴾.

قال ابن كثير (٤٢٧/١): «أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقته في صدره قال فوالله إنني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعته إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا﴾ لقول معتب». رواه ابن أبي حاتم.

قوله ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾.

قال ابن جرير (١٤٣/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين: لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين

مشهدهم، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شرككم في دينكم، ﴿لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم، ويخرج من نيته إليه حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه». اهـ.

قوله ﴿وليتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم﴾.

قال القرطبي (٤/٢٤٣): «والواو في قوله ﴿وليتلي﴾ مقحمة كقوله ﴿وليكون من الموقنين﴾ أي ليكون، وحذف الفعل الذي مع لام كي. والتقدير: وليتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، فرض الله عليكم القتال والحرب، ولم ينصركم يوم أحد ليختبر صبركم، وليمحص عنكم سيئاتكم إن تبتم وأخلصتم». انتهى محل الغرض

وقوله ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾.

قال الراغب في مفرداته مادة محص: «أصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز شيء من أثناء ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به. يقال محصت الذهب ومحصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث قال ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ فالتمحيص هنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ»

قلت: ونظيره قوله تعالى ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ الآية.

قوله ﴿والله عليم بذات الصدور﴾.

قال ابن سعدي (١/٢٨٣): «أي بما فيها، وما أكتته، فاقضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب ما به يظهر مخبئات الصدور، وسرائر الأمور».

٨٣- حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو يعقوب^(١)، حدثنا حسين بن محمد^(٢)، حدثنا شيبان^(٣)، عن قتادة، حدثنا أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «غشينا النعاس» هذه الجملة هي مطابقة الحديث للترجمة، والنعاس الوسن وهو أول النوم، وغشيانه، مجيئه القوم وملابسته إياهم، يقال: غشيه يغشاه غشياناً إذا جاءه وغشاه تغشية إذا غطاه، وغشي الشيء إذا لابسه.
الثانية: قوله «ونحن في مصافنا» أي صفوف في أماكن التي أقامنا فيها النبي ﷺ وجاه العدو، والجملة حالية.

الثالثة: قوله «فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه» قلت: هذا من شدة النعاس الذي أرسله الله على المؤمنين حينذاك؛ فإنه إذا اشتد النعاس على المرء إسترخي جسمه ولم تعد يده تمسك ما فيها، والحكمة من النعاس في هذه الحال بينها ابن كثير (٤٢٧/١) فقال: «يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمانة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ الآية وساق إسناد ابن أبي حاتم إلى ابن مسعود أنه قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان. وقد قدمنا نحو هذا الكلام في تفسير آية الترجمة عن ابن سعدي رحمه الله.

- (١) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن منيع البغوي، لقبه لؤلؤ، وقيل يُؤبؤ بتحتانيتين، ثقة، من العاشرة، مات سنة تسع وخمسين [ومائتين]. (خ).
(٢) هو أبو أحمد أو أبو علي الحسين بن محمد بن بهرام التميمي المروزي، نزيل بغداد، ثقة، من التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين]، أو بعدها بسنة أو سنتين. (ع).
(٣) هو أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي البصري نزيل الكوفة، ثقة صاحب كتاب، من السابعة، مات سنة أربع وستين [ومائة]. (ع).

٧٠- [باب ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾].

ش: قوله ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾. قال ابن جرير (١٧٦/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكولم، وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو، أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد، وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله ﷺ في إثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم». اهـ.

قلت: وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه بأن أبا سفيان وصحبه يعدون العدة للكرة على المسلمين.

قوله ﴿الذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾.
﴿الذين أحسنوا منهم﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو
﴿واتقوا﴾ معصيته ﴿أجرٌ عظيم﴾. قاله البغوي

شرح جملة من الكلمات

١- [القرح: الجراح].

ش: قاله أبو عبيدة في مجازه (١٠٤/١) وزاد: والقتل. اهـ.
والمراد به ما أصاب المسلمين يوم أحد.

٢- [استجابوا] أجابوا، يستجيب يجب.

ش: قال أبو عبيدة (٦٧/١) عند قوله ﴿فليستجبوا لي﴾ وهي الآية السادسة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة. أي يجيبوني. قال كعب الغنوي:

وداع دعى يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب. اهـ.

فاستظهر المصنف قوله من ذلك، وهذا معلوم فإن ماضي يستجيب
استجاب.

تنبيه

لم يذكر أبو عبد الله حديثاً في هذا الباب، ولا أدري ما السر في ذلك،
ويناسبه ما أخرجه في المغازي باب ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ عن هشام
بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ﴿الذين استجابوا لله والرسول من
بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾ قالت لعروة: يا
ابن أخي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب
يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في إثرهم،
فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير.

٧١- باب ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾.

ش: قلت: الآية ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم

فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

قال ابن جرير (١٧٩/٤): «يعني تعالى ذكره: وأن الله لا يضيع أجر

المؤمنين الذين قال لهم الناس ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ «والذين» في موضع

خفض مردود على المؤمنين، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول،

والناس الأول هم قوم فيما ذكر لنا، كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله

ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد،

والناس الثاني هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد. يعني

بقوله ﴿قد جمعوا لكم﴾ قد جمعوا الرجال للقائكم، والكرة إليكم لحربكم

﴿فاخشوهم﴾ يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم

﴿فزادهم إيماناً﴾ يقول: فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان

وأصحابه من المشركين يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده، ووعد رسوله إلى

تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه،

ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثقة بالله وتوكلاً عليه إذ خوفهم

من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ يعني

بقوله ﴿حسبنا الله﴾ كفانا الله يعني يكفيننا الله ﴿ونعم الوكيل﴾ يقول ونعم

المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام

العرب هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين

وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله ووثقوا

به وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه

بالوكالة فقال: ﴿ونعم الوكيل﴾ الله تعالى لهم، اهـ.

٨٤- حدثنا أحمد بن يونس^(١) أراه قال: حدثنا أبو بكر^(٢) عن أبي حصين^(٣)، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

٨٥- حدثنا مالك بن إسماعيل^(٤)، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

ش : فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «حسبنا الله» أي كافينا فلا نتوكل إلا عليه، كما قال تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيته، وقال ﴿ليس الله بكاف عبده﴾.

الثانية: قوله «ونعم الوكيل» أي الموكل إليه، المتوكل عليه كما قال تبارك وتعالى ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ فقد تضمنت

(١) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي السيربوعي، الكوفي، ثقة حافظ، من كبار العاشرة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين]، وهو ابن أربع وتسعين سنة (ع).

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، المقريء الحنظلي، مشهور بكنيته، والأصح أنها اسمه، وقيل اسمه محمد أو عبد الله أو سالم أو شعبة أو روبة أو مسلم أو خدش أو مطرف أو حماد أو جبيب عشرة أقوال، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر سنه ساء حفظه وكتابه صحيح، من السابعة، مات سنة أربع وتسعين [ومائة]، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين وقد قارب المائة، وروايته في مقدمة مسلم (ع).

(٣) هو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الكوفي، أبو حصين، ثقة ثبت سني ربما دلس من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائة]، ويقال بعدها، وكان يقول إن عاصم بن بهدلة أكبر منه بسنة (ع).

(٤) هو أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي الكوفي، سبط حماد بن أبي سليمان، ثقة متقن صحيح الكتاب، من صفار التاسعة، مات سنة سبع عشرة [ومائتين] (ع).

هذه الكلمة العظيمة التوكل على الله، والإلتجاء إليه.

قال ابن القيم: «وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولى، ونعم النصير، فمن تولاه، واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه تولاه، وحفظه وحرسه، وصانه، ومن خافه، واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع».

الثالثة: قوله «قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار». قلت: وقصة إلقاءه في النار مذكورة في سورة الأنبياء حيث قال جل ذكره ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لکم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آهتکم إن کنتم فاعلین قلنا یا نار کونی برداً وسلاماً علی إبراهيم﴾.

الرابعة: قوله «وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم». قلت: يعني حين بلغه أن أبا سفيان وجنده قد أعدوا للكرة عليهم بعد وقعة أحد. وقد تقدم في تفسير الآية.

الخامسة: قوله «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» هذا وجه الشاهد من الحديث وقد سبق معناه في تفسير الآية.

السادسة: قوله «فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» فيه دليل على زيادة الإيمان ونقصه، وهذا هو المذهب الحق، وشواهد من القرآن كثيرة منها قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾.

السابعة: قوله «كان آخر قول إبراهيم... الخ» قال الحافظ (٢٢٩/٨): «ووقع عند النسائي من طريق يحيى بن أبي بكر عن أبي بكر كذلك، وعند أبي نعيم في المستخرج من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل بهذا الإسناد «أنها

أول ما قال» فيمكن أن يكون أول شيء قال وآخر شيء قال». والله أعلم.
قلت: وشاهد الترجمة منه قوله ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ وقد تقدم
معناه.

من فقه الحديثين :

أولاً: أن فيما يكره الإنسان قد يكون خيراً له.
ثانياً: وجوب التوكل على الله وأنه من أعظم الأسباب في حصول الخير
ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

٧٢- [باب ﴿ولا يحسبن الذين يخجلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾].

ش: قال الشيخ ابن سعدي (٢٩٦/١): «أي ولا يظن الذين يخجلون أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه، وضمنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وأجلهم ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ أي يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم يعذبون به». ثم قال (ص ٢٩٧): «بعد ذكر حديث الباب: فهؤلاء حسبوا أن بخلهم نافعهم ومجد عليهم، فانقلب عليهم الأمر وصار من أعظم مضارهم وسبب عقابهم ﴿والله ميراث السموات والأرض﴾ أي هو تعالى مالك الملك، وترد جميع الأملاك إلى مالكها، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال. قال تعالى ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ وتأمل كيف ذكر السبب الإبتدائي والسبب الغائي الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله، أخير أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعمه، ليس ملكاً للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه لم يصل إليه منه شيء، فمنعه ذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ فمن تحقق أن ما بيده هو فضل من الله، لم يمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد العباد كله يرجع إلى الله ويرثه تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي فقال: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فإذا كان

خبيراً بأعمالكم جميعاً ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات والعقوبات على الشر، لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزيء به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب». انتهى

[«سيطوقون» كقولك طوقته بطوق].

ش: قال أبو عبيدة (١/١١٠): «سيطوقون يلزمون، كقولك طوقته الطوق».

٨٦- حدثني عبد الله بن منير، سمع أبا النضر^(١)، حدثنا عبد الرحمن^(٢) - هو ابن عبد الله بن دينار - عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيتان، يُطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ إلى آخر الآية.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «من آتاه الله مالاً» أي أعطاه الله.

الثانية: قوله «فلم يؤد زكاته» أي لم يخرج زكاة ذلك المال، ولا بد من تقييد المال بأنه مما تجب فيه الزكاة وذلك مفصل في كتب الفقه.

الثالثة: قوله «مثل له ماله شجاعاً أقرع» أي جعل له ماله الذي لم يخرج منه الزكاة في صورة شجاع أي حية، ومعنى أقرع أي ليس في رأسه شعر قال أهل العلم: لكثرة سمه وطول عمره.

(١) هو هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم، البغدادي، مشهور بكنيته، ولقبه قيصر، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وسبعون (ع).

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، مولى ابن عمر، صدوق بخطيء، من السابعة. (خ. د. ت. س).

الرابعة: قوله «له زبيبتان» أي نقطتان سوداوان بين عينيه وهذا هو أبحث ما يكون من الحيات والثعابين.

الخامسة: قوله «يطوقه يوم القيامة» أي يجعل كالطوق في عنقه وهذا هو شاهد الترجمة.

السادسة: قوله «يأخذ بلهزمتيه» أي ذلك الشجاع، واللهزمتان واحدها هزيمة.

السابعة: قوله «بشديقه» تفسير للهزمتين، وهما جانبا الفم.

الثامنة: قوله «يقول أنا مالك أنا كنزك» القائل هو الشجاع الأقرع، وقوله هذا على سبيل التهكم والسخرية.

والكنز: كل مال مجموع بعضه على بعض وسواء كان في ظاهر الأرض أو باطنها.

التاسعة: قوله «ثم تلا» أي النبي ﷺ هذه الآية ﴿ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ وذلك استشهداً على أن منع الزكاة من البخل وتقدم تفسير الآية.

تنبيهان:

الأول: في الحديث دليل على وجوب الزكاة، وأن مانعها بخ لا يكفر يوضحه حديث أبي هريرة الآتي وفيه «حتى يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، وأما عقوبته في الدنيا فإنه يؤخذ منه الواجب قهراً، فقد روى أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال: «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون» الحديث وفيه «ومن منعها فإننا أخذوها وشطر ماله».

قلت: وإن قاتل دون ذلك أو منعها وله شوكة فإنه يقاتل، ومن منع الزكاة جاحداً لوجوبها كان كافراً بدليل الكتاب والسنة قال تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا

الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴿ وقال في موضع آخر ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴿ ووجه الدلالة منهما تعليق الأخوة في الدين في الأولى وتخليه السبيل في الثانية على ثلاثة أمور وهي:

١- التوبة من الشرك ٢- وإقام الصلاة ٣- وإيتاء الزكاة.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله» ووجه الدلالة منه تعليق النبي ﷺ عصمة الدم والمال على الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

الثاني: أخرج مسلم في الزكاة في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» الحديث. فالجمع بين هذا وحديث الباب بتعدد عقوبة مانع الزكاة.

٧٣- [باب ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾.

قوله ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم - إلى قوله - ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾.

قال الشيخ صديق بن حسن القنوجي (٢/٣٩٤): «اللام لام القسم أي والله لتبلون، هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمه تسليية لهم بما سيلقونه من الكفرة والفسقة ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره، والإبتلاء والامتحان والإختبار، والمعنى لمتحنن ولنختبرن في أموالكم بالمصائب والإنفاقات الواجبة وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بالأموال، والإبتلاء في الأنفس بالموت والأمراض وفقد الأحباب والقتل في سبيل الله. ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ قال الزهري: الذين أوتوا الكتاب هو كعب بن الأشرف، وكان يجرس المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وعن ابن جريج قال: يعني اليهود والنصارى، فكان المسلمون يسمعون من اليهود عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله. ﴿ومن الذين أشركوا﴾ سائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب ﴿أذى كثيراً﴾ من الطعن في دينكم وأعراضكم». انتهى محل الغرض وقوله ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾.

قال ابن جرير (٤/٢٠٠): «يقول: وإن تصبروا لأمر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته ﴿وتتقوا﴾ يقول: وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ يقول: فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به». انتهى محل الغرض

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٣٠١/١): «وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك عدة فوائد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور لما يريد بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيمانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك وقع كما أخبر ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾.

ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد أشعروا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته ويلجأون إلى الصبر والتقوى.

٨٧- حدثنا أبو اليمان^(١)، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد^(٢) رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، حمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا،

(١) هو الحكم بن نافع البهراني، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين [وماتين] (ع).

(٢) هو أبو محمد أو أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير، صحابي مشهور، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة (ع).

إرجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاؤون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادَةَ فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادَةَ: يا رسول الله أعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد إصطح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاية، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شوق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ الآية وقال الله: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي سلول ومن معه من المشركين وعبدَة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا.

ش: فيه ثمان عشرة مسألة

الأولى: قوله «أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدية» عند المصنف في الاستئذان باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، ومسلم في الجهاد والسير باب في دعاء النبي ﷺ وصره على أذى المنافقين برواية معمر «عليه إكاف تحته قطيفة فدية» الإكاف بكسر الهمزة ويقال (وكاف) أيضاً والقطيفة (دثار) محمل، جمعها قطائف وقطف، والفدية منسوبة إلى فذك

بلدة معروفة بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة.

الثانية: قوله «وأردف أسامة بن زيد وزاءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج» فيه جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك، وفيه مشروعية عيادة المريض.

الثالثة: قوله «حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي» في المرض باب عيادة المريض راكباً و ماشياً وردفياً على حمار برواية عقيل «فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول» وفي الأدب باب كنية المشرك برواية شعيب «فسارا».

قلت: فالضمير في الأولى عائد على رسول الله ﷺ وفي الثانية عائد إليه مع رفيقه أسامة بن زيد.

الرابعة: قوله «فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه» العجاجة بفتح المهملة وجيمين الأولى خفيفة أي غبارها، وقوله حمر أي غطى وقوله أنفه وفي رواية الكشميهني «وجهه».

الخامسة: قوله «فسلم عليهم النبي ﷺ» فيه جواز الإبتداء بالسلام على قوم فيهم مسلمون وكفار، وهذا مجمع عليه.

السادسة: قوله «ثم وقف فنزل» هذا تعبير عن نهاية مسيره ﷺ.

السابعة: قوله «أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا» في الاستئذان وعند مسلم «أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان منا تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا» على النصب في أحسن، وفتح أوله على أنه أفعل تفضيل، ويجوز في أحسن الرفع على أنه خبر «لا». والاسم المحذوف أي لا شيء أحسن من هذا.

ووقع في رواية الكشميهني بضم أوله وكسر السين وضم النون، ووقع في رواية أخرى (لأحسن) بحذف الألف لكن بفتح السين، وضم النون على أنها لام

القسم، كأنه قال: أحسن من هذا أن تقعد في بيتك. وحكى ابن الجوزي تشديد السين المهملة بغير نون من الحس أي لا أعلم منه شيئاً.

الثامنة: قوله «فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون» في الاستئذان وعند مسلم «حتى هموا أن يتثاوروا» والمعنى قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتلوا، يقال ثار إذا قام بسرعة وانزعاج.

التاسعة: قوله «فلم ينزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا» في المرض «حتى سكتوا» والمعنى أن النبي ﷺ عمل على تهدئة القوم وتسكينهم وتسهيل الأمر بينهم.

العاشرة: قوله «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب» في الاستئذان وعند مسلم «أي سعد» وهذه الكناية من النبي ﷺ لابن أبي لكونه مشهوراً بها أو لمصلحة التألف.

الحادية عشرة: قوله «فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك» في الاستئذان وعند مسلم «فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك».

الثانية عشرة: قوله «ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة» في المرض والأدب والاستئذان «ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة».

قلت: والمراد به مدينة النبي ﷺ وقد نقل ياقوت في معجمه أن البحيرة من أسمائها، وكان من عادة أهلها إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة.

الثالثة عشرة: قوله «فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك» في الاستئذان وعند مسلم «فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك» والمعنى أنه غص بذلك وحسد النبي ﷺ وكان ذلك سبب نفاقه، عافانا الله الكريم.

الرابعة عشرة: قوله «وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى» هذه الجملة انفرد ابن أبي حاتم بإخراجها في تفسير الآية عن النبي الذي قبله، وإن كان الإسناد متحداً، واقتصر مسلم والمصنف في المرض والاستئذان على ما قبلها.

الخامسة عشرة: قوله «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً»

هذا وجه الشاهد من الحديث للباب وقد مضى شرحه .

السادسة عشرة: قوله «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ»

تمامها: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾.

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح. قاله ابن كثير

السابعة عشرة: قوله «وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى

أذن الله فيهم» أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلاً، بل بالنسبة إلى ترك القتال أولاً ووقوعه آخراً، وإلا فعفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحته عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير ومن ذلك عفوه ﷺ عن قريش غداة الفتح حيث قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء.

الثامنة عشرة: قوله «فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد

كفار قريش - إلى قوله - فأسلموا» الصناديد جمع صنيديد وهو الكبير في قومه، والمعنى أن ابن أبي ومن عاش على شاكلته أدركوا من هذه الواقعة ظهور الإسلام

وأهله فدخلوا فيه خوفاً من دور الدائرة عليهم.

من فقه الحديث :

أولاً: تواضع النبي ﷺ حيث ركب الحمار.

ثانياً: أن ركوب الحمار ليس فيه نقص في حق الكبار.

ثالثاً: شجاعة عبد الله بن رواحة.

٧٤- [باب ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾].

ش: تمامها: ﴿ويجئون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾.

قال الشوكاني (١/٤٠٩): «قرأ الكوفيون بالياء الفوقية، والخطاب لرسول الله ﷺ ولكل من يصلح له، وقوله ﴿بما أتوا﴾ أي بما فعلوا - إلى أن قال - والظاهر شمولها لكل من حصل منه ما تضمنته عملاً بعموم اللفظ وهو المعتبر دون خصوص السبب، فمن فرح بما فعل وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل فلا تحسبنه بمفازة من العذاب. وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ﴿لا يحسبن﴾ بالياء التحتية، أي لا يحسبن الفارحون فرحهم منجياً لهم من العذاب، فالمفعول الأول محذوف، وهو فرحهم، والمفعول الثاني بمفازة من العذاب، وقوله ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد للمفعول الأول على القراءتين، والمفازة المنجاة مفعلة من فاز يفوز إذا نجح أي ليسوا بفائزين، سمي موضع الخوف على جهة التفاضل. قاله الأصمعي. وقيل لأنها موضع تفويض ومضنة هلاك، تقول العرب: فوز الرجل إذا مات قال ثعلب: حكيت لابن الأعرابي قول الأصمعي فقال: أخطأ قال لي أبو المكارم: إنما سميت مفازة؛ لأن من قطعها فاز، وقال ابن الأعرابي: بل لأنه مستسلم لما أصابه، وقيل المعنى: لا تحسبنهم بمكان بعيد من العذاب؛ لأن الفوز التباعد عن المكروه، وقرأ مروان بن الحكم والأعمش وإبراهيم النخعي أتوا بالمد: أي يفرحون بما أعطوا وقرأ جمهور القراء السبعة وغيرهم ﴿أتوا﴾ بالقصر» اهـ.

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (١/٣٠٢): «ويدخل في هذه الآية الكريمة، أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها ودعا إليها وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل

البدع» اهـ.

٨٨- حدثنا سعيد بن أبي مریم، أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ إعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ الآية.

٨٩- حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون فقال ابن عباس: وما لكم وهذه، إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سأهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾.

تابعه عبد الرزاق، عن ابن جريج.

حدثنا ابن مقاتل، أخبرنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن أبي مليكة، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره أن مروان: بهذا.
ش: فيهما اثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ» المنافقون جمع منافق وهو من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ولم أجد لأولئك تسمية.
الثانية: قوله «وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ» قلت: ذلك ما قصه الله عنهم بقوله ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ وكرهوا أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر ﴿١﴾.

الثالثة: قوله «فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا» أي إذا عاد النبي ﷺ راجعاً من الغزو واعتذروا إليه، والإعتذار هو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه، وقد أخبر الله عن إعتذار أولئك بقوله ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم﴾.

قال ابن جرير (١/١١): «يقول تعالى ذكره: يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله ﷺ التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالباطل والكذب إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم، قل لهم يا محمد ﴿لا تعتذروا لن تؤمن لكم﴾ يقول: لن نصدقكم على ما تقولون ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم» اهـ.

قلت: فتبين بهذا كشف حال المنافقين ووضح كذبهم.

الرابعة: قوله «وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا» يعني أحب أولئك المنافقون مع فرحهم بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ واعتذارهم إليه كذباً وزوراً أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوه من طاعة الله.

الخامسة: قوله «فنزلت ﴿لا تحسبن... الخ﴾ هذا هو وجه مطابقة الحديث للآية وقد مضى تفسيره.

السادسة: قوله «أن مروان» هو أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس في رمضان، وله ثلاث أو إحدى وستون سنة. لم تثبت له صحبة من الثانية. أخرج له البخاري وأصحاب السنن. وقد وقعت له هذه القصة يوم كان أميراً على المدينة.

السابعة: قوله «قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس» رافع هذا لم أر

له ذكر في كتاب الرواة إلا بما جاء في هذا الحديث والذي يظهر من سياق الحديث أنه توجه إلى ابن عباس قبله الرسالة ورجع إلى مروان بالجواب فلولا أنه معتمد عند مروان ما قنع برسالته. قاله الحافظ.

قلت: وفي إرسال مروان بوابه إلى ابن عباس وأمره بسؤاله يدل على توقيف التابعين الصحابة وأخذهم العلم عنهم والرجوع إليهم فيما يشكل وهذا من صريح العمل بقوله جل ذكره ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. الثامنة: قوله «لئن كان كل امريء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذباً، لنعذبن أجمعون» في رواية حجاج بن محمد عند مسلم في كتاب صفات المنافقين «لنعذبن أجمعين».

قلت: فيه دليل على خوفه من الوعيد في الآية وشدة وقعها على نفسه حيث ظن أن ذم من فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل على إطلاقه. التاسعة: قوله «إنما دعا النبي ﷺ يهوداً فسألهم عن شيء» في رواية حجاج بن محمد «إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب».

العاشرة: قوله «فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم» في رواية حجاج بن محمد «فخرجوا قد أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه» وهذا أوضح.

الحادية عشرة: قوله «بما أتوا من كتمانهم» كذا للأكثر بالقصر بمعنى جاؤوا أي بالذي فعلوه وللحموي «بما أتوا» بضم الهمزة بعدها واو أي أعطوا أي من العلم الذي كتموه كما قال تعالى ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾. والأول أولى لموافقته التلاوة المشهورة على أن الأخرى قراءة السلمي وسعيد بن جبير وموافقة المشهور أولى مع موافقته لتفسير ابن عباس. قاله الحافظ.

الثانية عشرة: قوله «ثم قرأ ابن عباس ﴿واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾» فيه إشارة إلى أن الذين أخبر الله عنهم في الآية المسؤول عنها هم

المذكورون في الآية التي قبلها وأن الله ذمهم بكتمان العلم الذي أمرهم أن لا يكتموه وتوعدهم بالعذاب على ذلك ووقع في رواية محمد ابن ثور المذكورة فقال ابن عباس: قال الله جل ثناؤه في التوراة إن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده وإن محمداً رسول الله» قاله الحافظ

قلت: والآية المشار إليها ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

قال ابن جرير: «يعني بذلك تعالى ذكره واذكر أيضاً من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذا أخذ الله ميثاقهم ليبين للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم وهو التوراة والإنجيل وأنت لله رسول مرسل بالحق ولا يكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمناً قليلاً. يقول: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتُمون من أمر نبوتك عوضاً منه حسيماً قليلاً من عرض الدنيا ثم دم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال ﴿فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾».

تنبيه:

ذكر ابن عباس في هذا الحديث أنها في اليهود وفي حديث أبي سعيد الخدري أنها في رجال من المنافقين. ويمكن الجمع بأن الآية نزلت في الحادتين.

٧٥ - [باب ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

لآيات لأولي الألباب﴾]

ش : قال ابن كثير (٤/٤٤٧): «ومعنى الآية أن الله تعالى يقول ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار، ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعدن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما، وتقاسمهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى: ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ أي للعقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليانها وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ اهـ.

٩٠ - حدثنا سعيد بن أبي مریم: أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني

شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء فقال: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله: (بت عند خالتي ميمونة): يقال: بات بيت بيتوتة ومبيتا

ومباتاً، وتأتي نادراً بمعنى نام ليلاً وفي الأعم الأغلب بمعنى فعل ذلك الفعل بالليل كما اختص الفعل في ظل بالنهار، فإذا قلت (بات يفعل كذا) فمعناه فعله بالليل ولا يكون إلا مع سهر الليل وعليه قوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ « انتهى محل الغرض قاله في المصباح مادة بات.

قلت: ومعنى الحديث أن ابن عباس نام عند خالته ليلاً وفيه دليل على جواز نوم الغلام مع محرمة بحضرة زوجها وميمونة هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ، قيل كان اسمها برة فسمها النبي ﷺ ميمونة، وتزوجها بسرف سنة سبع، وماتت بها ودفنت سنة إحدى وخمسين على الصحيح أخرج لها أصحاب الكتب الستة.

الثانية: قوله (فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد) فيه مشروعية مؤانسة الرجل أهله بالحديث بعد العشاء وهذا مستثنى من هديه ﷺ العام وهو كراهة الحديث بعدها والساعة هي المدة من الزمن.

الثالثة: قوله: فقال ﴿إن في خلق السموات والأرض... الخ﴾ قلت في بعض طرقه ثم قرأ وهما بمعنى، ففيه دليل على جواز القراءة للمحدث واستحباب قراءة هذه الآية حين القيام من الليل.

الرابعة: قوله: (ثم قام فتوضأ واستن) قلت: هذا الوضوء للصلاة كما هو ظاهر الحديث ولا يعارضه ما جاء في بعض طرقه أنه توضأ وضوءاً بين الوضوءين ثم نام. لإمكان أنه توضأ مرة للنوم ثم توضأ مرة أخرى عند الصلاة وقوله (استن) أي استاك، ففيه سنية السواك بعد الوضوء عند الصلاة، وفي الحديث الصحيح (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) وفي رواية (عند كل وضوء).

الخامسة: قوله: (فصلى إحدى عشرة ركعة) قلت: لم يبين كيف صلاها وسيأتي.

السادسة: قوله: ﴿ثم أذن بلال﴾.

قلت: الأذان لغة: الإعلام ومنه ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ أي أعلمهم بذلك ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي إعلام وإخبار.

وشرعاً: الإعلام بدخول وقت الصلاة على كيفية مخصوصة.

وبلال هو: أبو عبد الله بلال بن رباح المؤذن وهو ابن حمامة وهي أمه كان مولى لأبي بكر من السابقين الأولين وشهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة، وقيل سنة عشرين وله بضع وستون سنة (ع).

السابعة: قوله (فصلى ركعتين).

قلت هما ركعتا الفجر وكان هديه فيهما أن يصليهما في البيت وكان أحياناً يطيلهما وأحياناً يخففهما وكان مما يقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون في الأولى، وقل هو الله أحد في الثانية.

٧٦ - [باب ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم

ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾]

ش : تمامها: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار﴾ هذا شروع في صفات أولى الألباب الذين أدركوا العبرة في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وما في ذلك من الدليل على وحدانية الرب جل جلاله.

قال الشوكاني (٤١٠/١): «الموصول نعت لأولي الألباب، وقيل هو مفصول عنه، خير مبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح، والمراد بالذكر هنا ذكره سبحانه في هذه الأحوال من غير فرق بين حال الصلاة وغيرها، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الذكر هنا عبارة عن الصلاة. أي لا يضيعونها في حال من الأحوال فيصلونها قياماً مع عدم العذر، وقعوداً وعلى جنوبهم مع العذر، قوله ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ معطوف على قوله ﴿يذكرون﴾ وقيل إنه معطوف على الحال، أعني ﴿قياماً وقعوداً﴾ وقيل إنه منقطع عن الأول، والمعنى أنهم يتفكرون في بديع صنعهما واتفقتهما مع عظم أجرامها فإن هذا الفكر إذا كان صادقاً أوصلهم إلى الإيمان بالله سبحانه، قوله ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ هو على تقدير القول: أي يقولون ما خلقت هذا عبثاً وهواً، بل خلقتة دليلاً على حكمتك وقدرتك، والباطل الزائل، الذاهب، ومنه قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وهو منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف: أي خلقاً باطلاً، وقيل منصوب بنزع الخافض.

وقيل: هو مفعول ثاني، وخلق بمعنى جعل، أو منصوب على الحال، والإشارة بقوله ﴿هذا﴾ إلى السماوات والأرض أو إلى الخلق على أنه بمعنى المخلوق، قوله ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها أن يكون خلقك لهذه المخلوقات باطلاً، وقوله ﴿فقنا عذاب النار﴾ الفناء

لترتيب هذا الدعاء على ما قبله» انتهى.

وفيه يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (١/٤٠٣) «قوله: ﴿فَقْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات لننال بذلك النجاة من النار، ويتضمن ذلك، سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم» اهـ.

فائدتان :

الأولى: فيما جاءت به السنة من فضل الذكر والأمر به والحث عليه.

والفائدة الثانية: فيما ذكره أهل العلم من فوائد الذكر.

الفائدة الأولى: إعلم أن السنة في الأمر بالذكر وبيان فضله والحث عليه متواترة ومنها ١ - ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قيل ومن المفردون يا رسول الله قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات.

قلت: فرد برأيه وأفرد وفرّد واستفرد بمعنى انفرد به وقيل: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس وخلي بمراعاة الأمر والنهي. قاله ابن الأثير مادة: فرد.

٢ - وفي السنن عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة). صححه الحاكم في المستدرک ووافقه الذهبي.

٣ - وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده.

٤ - وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: مثل الذي

يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت.

٥ - وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه...) الحديث.

٦ - وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله عزوجل؟ قال: (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عزوجل). رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وابن حبان وهو حديث حسن.

الفائدة الثانية: قال أهل العلم: وفي الذكر نحو مائة فائدة ونحن نذكر بعض تلك الفوائد من الوايل الصيب مع شيء من الاختصار والتصرف:

- ١ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
- ٢ - أنه يرضي الرحمن عزوجل.
- ٣ - أنه يزيل الهم والغم عن القلب.
- ٤ - أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.
- ٥ - أنه يقوي القلب والبدن.
- ٦ - أنه ينور الوجه والقلب.
- ٧ - أنه يجلب الرزق.
- ٨ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.
- ٩ - أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر.
- ١٠ - أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول

إلى البيت.

١١ - أنه يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله عزوجل فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عزوجل مفزعه وملجأه وملأذه ومعاذه وقبله قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

١٢ - أنه يورثه القرب منه فعلى قدر ذكره لله عزوجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

١٣ - أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

١٤ - أنه يورثه الهيبة لربه عزوجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

١٥ - أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فأذكروني أذكركم﴾ ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

١٦ - أنه يورثه حياة القلب. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

١٧ - أنه قوت القلب والروح فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

١٨ - أنه يورث جلاء القلب من صدئه.

١٩ - أنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهب السيئات.

٢٠ - أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فإن الغافل بينه وبين الله عزوجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

٢١ - أنما يذكر العبد ربه عزوجل من جلاله وتسيحه وتحميده يذكر

بصاحبه عند الشدة.

٢٢ - أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

٢٣ - أنه منجاة من عذاب الله تعالى.

٢٤ - أنه سبب نزول السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.

٢٥ - أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش

والباطل، فإن العبد لا بد له أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذاكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها.

(انظر هذه الفوائد وغيرها في الوابل الصيب من ص ٨٤).

٩١- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك بن

أنس، عن مخزومة^(١)، عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت

عند خالتي ميمونة، فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ، فطرحت لرسول

الله ﷺ وسادة، فنام رسول الله ﷺ في طوها، فجعل يمسح النوم عن وجهه،

ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم، ثم أتى شناً معلقاً،

فأخذه فتوضأ، ثم قام يصلي، فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم جئت فقمت

إلى جنبه، فوضع يده على رأسي، ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها، ثم صلى

ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى

ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم أوتر).

فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله (فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ) اللام مؤطّعة

للقسم أي والله لأنظرن والمعنى أن ابن عباس رضي الله عنه أراد من ميته عند

(١) مخزومة بن سليمان هو مخزومة بن سليمان الأسدي الواسطي، المدني، من الخامسة، مات

سنة ثلاثين [ومائة]. (ع).

خالته في ليلتها أن يرقب صنيع النبي ﷺ في صلاة الليل ليأخذ هذه العبادة عنه وهذا دليل على حرصه رضي الله عنه على التأسى بالنبي ﷺ وأتباعه في سنته فريضة كانت أو نافلة، شأنه في ذلك شأن غيره من أصحاب النبي ﷺ وكيف لا يعنون بالافتداء به وقد قال الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

الثانية: قوله: (فطرح لرسول الله ﷺ وسادة) الوسادة: بالكسر المخدة والجمع وسادات ووسائد، والوساد، بغير هاء كل ما يتوسد به من قماش وتراب وغير ذلك والجمع وسد. مثل كتاب وكتب ويقال: الوساد لغة في الوسادة. قاله في المصباح.

الثالثة: قوله (فجعل يمسح النوم عن وجهه) كذا بحذف المعطوف عليه، وقد صرح به في الرواية الآتية حيث قال: (ثم استيقظ رسول الله ﷺ فمسح النوم عن وجهه يديه) وقوله: (فجعل يمسح النوم عن وجهه) أي أثره.

الرابعة: قوله: (ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران). قلت: مبدأها ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ومنتهاها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة.

الخامسة: قوله (ثم أتى شناً معلقاً)

الشن: من القرب والأسقية ما تقادم حتى صار خلقاً وهو أشد تبريداً من الجدد.

(ومعلقاً) وصف للشن على اعتبار معنى السقى وفي بعض الروايات: (معلقة) على اعتبار معنى القربة.

السادسة: قوله: (فأخذه فتوضاً) أي أخذ الشن فتوضاً منه وفي رواية

سلمة بن كهيل عند النسائي: (ثم توضع وضوءاً وضوءاً بين الوضوءين، ثم أتى فراشه فنام ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحل شناقها ثم توضع وضوءاً وضوءاً هو الوضوء) وإسناده صحيح رجاله رجال الصحيح. فإن لم تكن شاذة فالجمع بينها وبين رواية الباب أن سلمة بسط القصة وغيره اختصرها.

السابعة: قوله: (فقمتم فصنعت مثل ما صنع) يعني من الوضوء.

الثامنة: قوله (ثم جئت فقمتم إلى جنبه) بينه في الدعوات من رواية سلمة

بن كهيل فقال: (فقام يصلي فقمتم عن يساره).

التاسعة: قوله (فوضع يده على رأسي)

قلت في الحديث الآتي بعد: (فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي

وأخذ بيده اليمنى يفتلها) وعند المصنف في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من

الليل ومسلم في المسافرين من رواية سلمة بن كهيل (فأخذ بأذني فأدارني عن

يمينه) فالظاهر أن النبي ﷺ وضع يده اليمنى على رأس ابن عباس بعد أن أداره

عن يمينه.

العاشرة: قوله (ثم صلى ركعتين... الخ) بيان كيفية ما صلاه النبي ﷺ في

تلك الليلة وعدده وأنه صلى مثني ثلاث عشرة ركعة.

وإن قال قائل: كيف جزمتم أنه صلى تلك الليلة ثلاث عشرة ركعة وليس

عندكم في حديث الباب إلا لفظ (أوتر) وهي جملة؟

قلنا: دليلنا قوله في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل من رواية سلمة

(....) صلاته ثلاث عشرة ركعة) فإذا ضمنت هذه الرواية إلى تلك اتضح لك

أنه أوتر بواحدة وما عداها وهو اثنتا عشرة ركعة كان شفعاً من ورده ﷺ).

٧٧ - [باب ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار﴾].

ش : قلت: في هذه الآية بيان السبب الذي من أجله سأل أولوا الألباب ربهم جل جلاله الوقاية من عذاب النار وهو خزي من أدخل النار.
قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٣٠٥/١): «أي لحصوله على السخط من الله ومن ملائكته وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينقدونهم من عذابه».
وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

٩٢ - حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا معن بن عيسى^(١): حدثنا مالك، عن محزمة بن سليمان عن كريب مولى عبد الله بن عباس: أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها، فأحسن وضوءه ثم قام يصلي، فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقممت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بيده اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح).

(١) معن بن عيسى: هو أبو يحيى معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي مولاهم المدني القزاز، ثقة ثبت قال أبو حاتم هو أثبت أصحاب مالك، من كبار العاشرة، مات سنة ثمان وسبعين ومائة (ع).

ش : فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله (فاضطجعت في عرض الوسادة) ضجعت ضجعاً من باب نفع وضجوعاً وضجعت جنبى بالأرض واضجعت بالألف لغة فأنا ضاجع (واضحجت فلاناً بالألف لا غير ألقيته على جنبه وهو حسن)

قلت: فمعنى العبارة أن ابن عباس نام مع النبي ﷺ وأهله على وسادة واحدة. الثانية: قوله: (حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل).

قلت: وفي رواية شريك بن أبي نمر في الباب الخامس والسبعين، (فلما كان ثلث الليل الآخر) والجمع بينهما: أن قيامه ﷺ كان مرتين، ففي الأولى قام فنظر إلى السماء فقرأ ثم نام، وفي المرة الثانية توضأ وصلى.

قلت: وهذه الساعة إحدى الساعات التي كان يصلي فيها رسول الله ﷺ من الليل ولم يكن مقتصرأ عليها فقط، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت (من كل الليل أوتر النبي ﷺ في أوله وأوسطه وآخره ثم انتهى وتره إلى السحر). الثالثة: قوله: (وأخذ بيده اليمنى يفتلها).

قلت: أي يلويها ففتل الشيء ليّه كفتل الحبل، وفي رواية بن مهدي في الباب قبله، ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها فلعله جمع له بين الأمرين فتل الرأس مرة وفتل الأذن مرة وقد فسر سبب هذا الفتل ما في رواية الضحاك أنه قال: (فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني) قلت: وفيه دليل على جواز تنبيه المصلي من يصلي إلى جنبه إذا نعس في الصلاة وأن هذه الحركة لا تبطل الصلاة.

الرابعة: قوله (ثم اضطجع... إلى قوله: فصلى ركعتين خفيفتين) قلت في رواية عمرو بن دينار في الوضوء، باب التخفيف في الوضوء. (ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه بلال فأذنه بالصلاة).

وفيه دليل على جواز الاضطجاع بين صلاة الليل وركعتي الفجر، وأن النوم اليسير لا ينقض الوضوء كما دل على جواز إشعار الإمام بوقت الصلاة.

٧٨ - [باب ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾]

ش : تمامها ﴿أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ .

قال ابن جرير (٤/٢١٣) : «فتأويل الآية إذا ربنا سمعنا داعياً يدعوا إلى الإيمان يقول إلى التصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، واتباع رسولك وطاعته، فيما أمرنا به، ونهانا عنه، مما جاء به من عندك، فآمنا ربنا، يقول فصدقنا بذلك يا ربنا، فاغفر لنا ذنوبنا، يقول : فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك إيانا عليها، ولكن كفرها عنا، وسيئات أعمالنا فاحمها بفضلك ورحمتك إيانا، وتوفنا مع الأبرار يعني بذلك، واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرونا محشرهم ومعهم .
والأبرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له، حتى أرضوه فرضي عنهم» .

٩٣ - حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك، عن مخزومة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس : ان ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته قال فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يسمح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي .

قال ابن عباس : فقامت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقامت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم

خرج فصلي الصبح.

قوله: (فأحسن وضوءه). وكذا في رواية معن بن عيسى في الباب قبله أي أسبغه وأتمه، وقد مضى الحديث مع ما تيسر من شرحه في الأبواب الثلاثة قبله ولا بد لها هنا من إضافة أمرين:

الأول: جاء في رواية شريك بن أبي نمر في الحديث رقم (تسعين) إحدى عشرة ركعة. وسائر الروايات بعدها ما ظاهره أنه صلى ثلاث عشرة ركعة وقد استدللنا على ذلك فيما تقدم، والجمع بينها أن غالب ورده ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي غير الغالب إحدى عشرة ركعة ويدل للأول ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرها.

والأمر الثاني: دل سائر الروايات لدينا أن صلاته ﷺ من الليل مثنى، وهو موافق لما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سأل رجل النبي ﷺ وهو على المنبر ما ترى في صلاة الليل؟ قال: مثنى مثنى فإذا خشى أحدكم الصبح صلى واحدة.

ويشكل عليه في الظاهر ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ من الليل أربعاً فلا تسلم عن طولهن وحسنهن ثم صلى أربعاً فلا تسلم عن طولهن وحسنهن ثم صلى ثلاثاً، ويزيل هذا الإشكال أن رسول الله ﷺ كان يصلي هذا مرة وهذا مرة أو يقال يجوز في صلاة الليل التثنية والتزييع والأول أفضل لما فيه من زيادة العمل، والله أعلم.

تنبيهان:

الأول: في اقتداء ابن عباس بالنبي ﷺ في صلاة الليل وإقراره إياه على ذلك دليل على جواز الجماعة في صلاة التطوع وهذا مستفيض عن النبي ﷺ فقد صلى بأنس واليقيم والعجوز وراءهما ركعتين كما صلى مرة بأصحابه في دار عتيان بن

مالك وأم عليهما السلام أصحابه في مسجده في صلاة التراويح ليالي من رمضان.
الثاني: تقدم لك من حديث ابن عباس هذا وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتر
 بواحدة وبثلاث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى
 من الليل بثلاث عشرة ركعة أوتر منها بخمس.. الحديث. والتوفيق بين هذه
 الأحاديث الصحيحة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أوتر بكيفيات مختلفة فأيت كيفية فعل المسلم
 جاز له ذلك. ومن تلك الكيفيات غير ما تقدم:

١ - تسع ركعات يسرد منهن ثمانية لا يجلس إلا في الثامنة يجلس فيذكر الله
 ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ثم يقعد فيتشهد ويسلم
 ثم يصلي بعدها ركعتين بعد ما يسلم.

٢ - ومنها أن يصلي سبعاً كالتسع المذكورة ثم يصلي بعدها ركعتين
 جالساً.

٣ - ومنها ما رواه النسائي عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 صلاة رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائماً
 الحديث وفيه: فما صلى إلا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه إلى الغداة.

آخر تفسير سورة آل عمران والحمد لله.

سُورَةُ النِّسَاءِ

٧٩- [باب تفسير سورة النساء]

ش/ شاهد التسمية قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

وقد ورد في فضل هذه السورة ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود قال: إن سورة النساء الخمس آيات ما يسرنى أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية، و﴿إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية، و﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، ثم قال الحاكم: هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه، وقد اختلف في ذلك.

وأخرج أحمد وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع فهو حبر. وآياتها ست وسبعون ومائة آية، وهي مدنية.

قال القرطبي: «إلا آية واحدة وهي قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾».

قلت: وفيها كثير من الأحكام المتعلقة بالنساء كالنكاح والصدقات والموارث والعشرة.

شرح جملة من الكلمات:

١- [قال ابن عباس: ﴿يستنكف﴾ يستكبر].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٠٤ب) عن هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

وقال قتادة كما أخرجه عنه ابن جرير (٦/٣٧): لن يحتشم ولا تنافي بين القولين في المعنى.

والآية المشار إليها: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾.

٢- [﴿قواماً﴾ قوامكم من معايشكم].

ش/ وصله ابن أبي حاتم في تفسيره عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قال الحافظ (٨/٣٣٧): «وقوله ﴿قياماً﴾ القراءة المشهورة بالتحسانية بدل الروا». قلت: والقراءات المشهورة في الآية اثنان.

إحدهما: ﴿قياماً﴾ بدون الألف وهي قراءة نافع وابن عامر. والثانية: ﴿قياماً﴾ بالألف وبها قرأ الباقر.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾.

٣- [﴿هن سبيلاً﴾ يعني الرجم للثيب، والجلد للبكر].

ش/ ثبت هذا أيضاً في رواية المستملي والكشميهني وهو من تفسير ابن عباس أيضاً وصله عبد بن حميد عنه بإسناد صحيح. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت أو يجعل الله هنّ سبيلاً﴾.

٤- [وقال غيره : ﴿ مشى وثلاث ورباع ﴾ : يعني اثنتين ، وثلاثاً وأربعاً ، ولا تجاوز العرب رُباع]
ش :

قال أبو عبيدة : ﴿ من النساء مشى .. ﴾ أي اثنتين ولاتنوين فيها ، قال ابن غنمة الضبي :

يُباعون بالبعران مشى وموحداً

وقال الشاعر :

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسه ذئابٌ تبغى الناسَ مشى وموحداً

قال النحويون : لا ينون مشى، لأنه مصروف عن حده، والحد أن يقولوا :
اثنين، وكذلك ثلاث ورباع لاتنوين فيهما ، لأنه ثلاث ورباع في قول النحويين
قال صخر ابن عمرو ابن الشريد السلمي :

ولقد قتلتم ثناءً وموحداً وتركت مروة مثل أمس المدبر
فأخرج اثنين مخرج ثلاث ...

إلى أن قال ... : ولا تجاوز العرب رُباع غير أن الكميت ابن زيد

الأسدي قال :

فلم يستريثوك حتى رمى -- ست فوق الرجال خِصلاً عُشاراً
فجعل عُشار، على مخرج ثلاث ورباع . أهـ
والآية المشار إليها ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مشى وثلاث
ورُباع .. ﴾ الآية.

٨٠- [باب ﴿وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى﴾].

ش/ تمامها ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾. في معناها خمسة أقوال لأهل العلم حكاهما ابن جرير.

أحدها: أنها بمعنى: وإن خفتن يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة إلى أربع، وإن خفتن أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة، أو ما ملكت أيمانكم، وبه قالت عائشة، وعروة بن الزبير، وعلى هذا التأويل جواب قوله ﴿وإن خفتن ألا تقسطوا﴾ قوله ﴿فانكحوا﴾.

وثانيها: أنها بمعنى النهي عن نكاح فوق الأربع حذراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل، فإذا صار معدماً مالاً على مال اليتيم الذي في حجره فأنفقه أو تزوج به، فنهوا عن ذلك، وقيل لهم: إن أنتم خفتن على أموال أيتامكم أن تنفقوها، فلا تعدلوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع، وإن خفتن أيضاً من الأربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقترضوا على الواحدة، أو على ما ملكت أيمانكم، وهو قول ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنها بمعنى إن خفتن أن لا تعدلوا في اليتامى، فلكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن إلا من واحدة إلى الأربع ولا تزيدوا على ذلك، وإن خفتن ألا تعدلوا أيضاً في الزيادة على الواحدة، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم، وذلك أن القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها، ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن، وهذا هو قول سعيد بن جبير، والسدي، وقتادة، والضحاك، والربيع بن

انس، والرواية الثانية عن ابن عباس.

ورابعها: أنها بمعنى فكما خفتم في اليتامى، فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزُنُوا بهنّ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء وبه قال مجاهد.
وخامسها: أنها بمعنى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولاتهنّ، فلا تنكحوهنّ، وانكحوا أنتم ما أحل لكم منهنّ، وهو قول الحسن، والرواية الثانية عن عائشة.

والمختار عندنا هو أول هذه الأقوال، ويؤيده حديث الباب.

فائدة في الحكمة من تعدد الزوجات.

إن الله سبحانه وتعالى لم يشرع لعباده إلا ما فيه مصلحة في عاجل الأمر وآجله، فهو الحكيم العليم اللطيف الخبير، وهو أعلم بحال خلقه وأرحم بهم من أنفسهم، وشأن المسلم الإنقياد لشرع الله والتسليم، وسواء كان ذلك الشرع أمراً أو نهياً. قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾. وقال جل في علاه ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ فهذه الآيات وما في معناها من الكتاب الكريم ومتواتر السنة نص صريح في وجوب التسليم لحكم الله ورسوله ﷺ وسواء في ذلك علمت الحكمة أو لم تعلم، ومما شرعه الله لعامة الأمة نكاح أربع نسوة لحكم كثيرة ومصالح حجة ذكرها أهل العلم منها:

أولاً: التركيب الجسمي للرجل أصح من المرأة في الغالب فبحكم طبيعة عمله وخلوه من الحيض والنفاس والحمل والإرضاع فيكون جسمه أصح من المرأة التي قضى الله عليها بالحمل والحيض والنفاس والولادة والإرضاع، والرجل في الغالب يتحكم بعقله وبواسطته يستطيع القيام بشؤون امرأتين وثلاث وأربع وهذا بخلاف من تتحكم فيه العاطفة التي يحتاج إليها لتربية الأطفال والحنان عليهم

ولذلك نجد النساء لا يصمدن أمام المشاهد المؤثرة وينسين سريعاً ويكفين لأتفه الأشياء.

ثانياً: أن الرجل في الغالب يتمكن من الإنجاب إلى سنة متأخرة من حياته بخلاف النساء فإنهن يتوقفن عن الإنجاب في سن مبكرة المعروف بسن اليأس.

ثالثاً: إن بعض الرجال أعطاهم الله قدرة جنسية زائدة ومعلوم ما يطرأ على المرأة من حيض وحمل ونفاس فالتعدد يساعد على حل المشكلة، ويرى الإمام أحمد رحمه الله في زمانه أن يُتزوج أربع.

رابعاً: حسب الإحصاء أنه ثبت أن موت الرجال أكثر من النساء بسبب الحوادث والحروب التي يتعرض لها الرجال أكثر من النساء مما يترتب عليه بقاء نسبة الإناث أكثر من نسبة الرجال فلا حل لهذه المشكلة إلا بالتعدد، يضاف إلى ذلك أن نسبة مواليد الإناث أكثر من الذكور مما يضاعف المشكلة حتى يعلم أنه ليس من علاج إلا بالتعدد مع وجود نسبة قليلة من الرجال لا يتزوجون البتة بسبب ظروف النفقة وغيرها.

خامساً: أن الرجل بحكم اختلاطه بالناس قد يكون كريماً أو ييحث الناس عنه لعلمه أو كرمه أو صاحب جاه أو تكون طبيعة عمله يحتاج معها إلى من يساعده فالرجل في تلك الأحوال بحاجة إلى عدد من النساء يتكاتفن في العناية بشؤون الأولاد من جهة وتقديم الخدمة الكاملة للرجل من جهة أخرى فالتعدد يحل كثيراً من هذه المشكلات.

من فقه الآية:

أولاً: تحريم الزيادة في النكاح على أربع ومن الأدلة على ذلك من السنة ما رواه أحمد وغيره أن غيلان الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك أربعاً ويفارق سائرهن، وأجمع من يعتد بقوله من الأئمة على ذلك.

ثانياً: أن الأصل في النكاح هو التعدد ولذلك بدأ الله به.

ثالثاً: وجوب العدل بين الزوجات.

رابعاً: يجب على من خاف عدم العدل الاقتصار على واحدة أو ما ملكت

يمينه.

٩٤- حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، عن ابن جريج قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه ﴿وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

٩٥- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله^(١)، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله، ويعجبه ما لها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا هن ويبلغوا هن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿ويستفتونك في النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا - أن ينكحوا - عمّن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

(١) هو أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن عمرو بن أويس بن سعد بن أبي سرح الأويسي، المدني من كبار العاشرة. خ. د. ت. كن. ق.

ش/ فيهما ثنتي عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أن رجلاً» ظاهره التعيين وأن الآية نزلت في ذلك المعين ولم أفق له على تسمية.

قال الحافظ (٢٣٩/٨): «هكذا قال هشام عن ابن جريج».

قلت: يعني هشام بن يوسف الصنعاني فأوهم أنها نزلت في شخص معين، والمعروف عن هشام بن عروة التعميم.

وكذلك أخرجه الإسماعيلي من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج ولفظه: «أنزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة... الخ» وكذا هو عند المصنف في الرواية التي تلي هذه من طريق ابن شهاب عن عروة. اهـ.

الثانية: قوله «كانت له يتيمة» قلت: "كان" ها هنا هي كان التامة وهي التي تستغني بذكر مرفوعها ويعرب فاعلاً، واليتيم في اللغة المنفرد، وهو من بني الإنسان من فقد أباه قبل البلوغ.

الثالثة: قوله «فنكحها وكان لها عذق» قال في المصباح مادة عذق: «والعذق مثال فلس: النخلة نفسها، ويطلق العذق على أنواع من التمر ومنه عذق ابن الحبيق وعذق ابن طاب وعذق ابن زيد قاله أبو حاتم». اهـ. والمعنى أن ولي تلك اليتيمة تزوجها ولها نخل.

الرابعة: قوله «وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء» يعني كان يمسكها من أجل عذقها لا رغبة في نكاحها، ولهذا لم يوفها حقوقها الواجبة لها عليه، وهذا من أعظم أنواع الظلم والجور والحييف.

الخامسة: قوله «فنزلت فيه» هذا وجه الشاهد من الحديث للترجمة ومراده أن الآية نزلت في ذلك الرجل.

السادسة: قوله «أحسبه» القائل هو هشام بن يوسف الصنعاني أحسبه أي

عروة بن الزبير راوية عائشة.

السابعة: قوله «كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله». قلت: فهذا تبين أن سبب إمساك ذلك الرجل موليته وعضلها وحيفه عليها هو الخوف أن يشركه أحد في ماله.

الثامنة: قوله «تكون في حجر وليها» قال في المصباح مادة حجر: «حجر عليه حجراً من باب قتل منعه التصرف فهو محجور عليه. والفقهاء يحذفون الصلة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ويقولون محجور وهو سائغ وحجر الإنسان بالفتح وقد يكسر حضنه وهو دون إبطه إلى الكشح وهو في حجره أي كنفه وحمايته والجمع حجور». اهـ.

قلت: فكلى المعنيين يصدق على ذلك الولي وذلك أن موليته في كفالته وحضاته وهي ممنوعة التصرف من قبله حين عضلها من الزواج من غيره خوفاً على ماله الذي شركته فيه.

التاسعة: قوله «تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط صداقها» فيه التصريح بأسباب عضل ولي اليتيمة وقسرها على الزواج من نفسه وتلك الأسباب هي: الشركة في المال، والحسن والجمال، فأدى به ذلك إلى عدم العدل في صداقها، استغلالاً لسلطته عليها.

العاشرة: قوله «فيعطيها مثل ما يعطيها غيره» تفسير لقوله «بغير أن يقسط في صداقها» وفيه دليل على مساواة المرأة اليتيمة في المهر بمثلاتها تحقيقاً للعدل والإنصاف وأبرأ للذمة.

الحادية عشرة: قوله «فهن عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا هنن ويبلغوا هنن أعلى سنتهن في الصداق».

قلت: النهي في اللغة: المنع ومنه سمي العقل نهيه لمنعه صاحبه من القبيح قولاً وفعلاً، وعند الأصوليين طلب الكف عن الفعل بالقول الدال عليه على وجه الاستعلاء. والمنهي ها هنا هم أولياء اليتامي والناهي هو الله تعالى والمنهي عنه

عضلهم إياهن وإمساكنهن عن الزواج من غيرهم مع البخس في صدقاتهن، وقد أفاد النهي عن ذلك قوله تعالى ﴿وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى﴾ الآية. وفيه دليل على أنه لا مانع من نكاح الرجل موليته إذا أوفى لها وبلغ بها أعلى ما تستحقه من الصداق شريطة أن يكون برضاها.

الثانية عشرة: قوله «فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن»، قلت: الأمر في اللغة يطلق على شيئين أحدهما الحال والفعل والشأن، وثانيهما طلب الفعل، وعند الأصوليين طلب الفعل بالقول الدال عليه على وجه الاستعلاء، والآمر هنا هو الله سبحانه وتعالى والمأمور، هم أولياء اليتامى، والمأمور به نكاح غيرهن من الغرائب إذا خافوا عدم القسط مع مولياتهم من اليتامى، وأفاد الأمر على هذا الوجه قوله تعالى في الآية ﴿وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ الآية. وسيأتي الكلام على بقية في الباب الثالث بعد المائة.

٨١- [باب ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً﴾].

ش/ قلت: وأول الآية ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾. قوله ﴿وابتلوا اليتامى - إلى قوله - فإن أنستم منهم رشداً﴾.

قال البغوي (١/٣٩٤): «الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن أخي يتيم في حجري فما يجعل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي مبلغ الرجال والنساء ﴿فإن أنستم﴾ أبصرتم ﴿منهم رشداً﴾ قال المفسرون يعني عقلاً وصلاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه، وقال سعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده، والإبتلاء يختلف باختلاف أحوالهم، فإن كان ممن يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عييده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها فإذا رأى حسن تدبيره، وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده دفع المال إليه». اهـ

قوله ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ الإسراف: في اللغة الإفراط ومجاوزة الحد، وقال النظر بن شميل: السرف التبذير، والبدار المبادرة ﴿أن يكبروا﴾ في موضع نصب لقوله ﴿بداراً﴾ أي لا تأكلوا أموال اليتامى أكل إسراف وأكل مبادرة لكبرهم، ولا تأكلوا لأجل السرف ولأجل المبادرة، أو لا تأكلوها مسرفين ومبادرين لكبرهم وتقولوا ننفق أموال اليتامى فيما نشتهي قبل أن يبلغوا فينتزعوها من أيدينا. قاله الشوكاني (١/٤٢٧).

وقوله ﴿ومن كان غنياً فليستعفف - إلى قوله - بالمعروف﴾.

قال القرطبي (٤١/٥): «يبين الله تعالى ما يحل لهم من أموالهم، فأمر الغني بالإمساك وأباح للوصي الفقير أن يأكل من مال وليه بالمعروف. يقال: عف الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك، والاستغفاف عن الشيء تركه، ومنه قوله تعالى ﴿وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ والعفة الامتناع عما لا يحل ولا يجب فعله».

وقال ابن كثير (٤٦٤/١): «قال الفقهاء: له أن يأكل من أقل الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته، واختلفوا هل يرد إذا أيسر؟ على قولين: أحدهما: لا؛ لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي؛ لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . . . إلى أن قال. والثاني: نعم؛ لأن مال اليتيم على الحظر، وإنما أبيع للحاجة فيرد بدله كأكل مال الغير للمضطر لا عند الحاجة». اهـ.

قوله ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً﴾

قال ابن جرير (٢٦١/٤): «يعني بذلك جل ثناؤه: وإذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى إلى اليتامى أموالهم ﴿فأشهدوا عليهم﴾ يقول: فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم، ودفعكموه إليهم . . . إلى أن قال: يقول تعالى ذكره: وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم وإلى اليتيم على دفعه مال يتيمة إليه». اهـ.

قال مقيده: وحاصل ما في الآية أن الله شرط لدفع مال اليتيم إليه أربعة

شروط:

الأول: إختباره.

وثانيها: بلوغه النكاح.

وثالثها: إيناس الرشد.

ورابعها: الإشهاد عليه عند دفع ماله إليه وهذا هو بيان قوله تعالى ﴿ولا

تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ﴿١﴾.

شُرح جملة من الكلمات

١- [قوله ﴿وبداراً﴾ مبادرة].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: قبل أن يدرك فيؤنس منه الرشد فيأخذ منك.

٢- [﴿أعتدنا﴾ أعددنا أفعالنا من العتاد].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: ومعناها أعددنا لهم.

ولعل الآية المشار إليها ﴿وليسست التوبة للذين يعملون السيئات - إلى

قوله - أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾.

٩٦- حدثني إسحاق، أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه،

عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان

فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ أنها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه

مكان قيامه عليه بمعروف.

ش/ فيه بيان السبب الذي من أجله أباح لولي اليتيم الأكل من ماله

بالمعروف، والحديث دليل على صحة ما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم بأن

المخاطب بالآية هو ولي اليتيم ويزيده وضوحاً ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن

عندي يتيماً عنده مال وليس لي مال أكل من ماله؟ قال: كل بالمعروف غير

مسرف.

وذهب ربيعة ويحيى بن سعيد إلى أن المخاطب بالآية هو اليتيم إن كان غنياً

وسع عليه وأعف عن ماله، وإن كان فقيراً أنفق عليه بقدره. وهذا المذهب

مرجوح لوجهين كما قال ابن العربي:

أحدهما: أن الخطاب لا يصلح أن يكون له؛ لأنه غير مكلف ولا مأمور

بشيء من ذلك.

الثاني: أنه إن كان غنياً أو فقيراً إنما يأكل بالمعروف فسقط هذا.

٨٢- [باب ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾].
ش/ تمامها: ﴿فأرزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾.

قال الشيخ ابن سعدي:

«قوله ﴿وإذا حضر القسمة﴾ أي قسمة الموارث ﴿أولوا القربى﴾ أي الأقارب غير الوارثين بقريته قوله ﴿القسمة﴾؛ لأن الوارثين من المقسوم عليهم ﴿واليتامى والمساكين﴾ أي المستحقون من الفقراء ﴿فأرزقوهم منه﴾ أي أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوقة إليه. وقلوبهم متطلعة واجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم - إلى أن قال - وهذا كله مع إمكان الإعطاء فإن لم يكن ذلك لكونه حق سفهاء أو ثمّ أهم من ذلك فليقولوا لهم ﴿قولاً معروفاً﴾ يردونهم رداً جميلاً بقول حسن غير فاحش ولا قبيح». اهـ

قال مقيدہ: واعلم أن أهل العلم كما ذكره ابن جرير وغيره مختلفون في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أولها: إنها محكمة غير منسوخة وأن الخطاب فيها لورثة الميت، أمروا أن يرضخوا لمن سموا فيها قبل قسمة التركة وهذا هو قول الأكثرين.
وثانيها: أن الآية منسوخة وبه قال سعيد بن المسيب وأبو مالك وابن عباس في إحدى الروايتين وغيرهم.

والقول الثالث: أنها محكمة وليست بمنسوخة غير أنه مع ذلك ﴿وإذا حضر القسمة﴾ يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به. قالوا وأمروا بأن يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية.
والأول هو المختار عندنا ويأتي دليله في شرح حديث الباب.

٩٧- حدثنا أحمد بن حميد^(١)، أخبرنا عبيد الله الأشجعي^(٢)، عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾ قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة. تابعه سعيد عن ابن عباس .

ش/ وبه قال مجاهد ومحمد بن شهاب الزهري وسعيد بن جبير أخرجه عنهم ابن جرير في الأكثرين وعزى الحافظان ابن كثير وابن حجر العسقلاني النسخ إلى الأئمة الأربعة في جمهور أهل العلم.

قال مقيده: وعندني أن قول ابن عباس هذا ومن ثمينا راجح لأمرين:

أولهما: أن ما دلت عليه الآية من الرضخ لحضري القسمة من الأقارب غير الوارثين هو الظاهر المتبادر إلى الذهن منها ولا يصرف هذا الأصل إلا بدليل شرعي والقول بالإحكام إجراء للآية على ظاهرها.

ثانيهما: إن النسخ من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها فلا يتبين بمجرد الدعوى بل بدليل شرعي وذلك الدليل إما نص صريح الدلالة عليه، أو إجماع من أهل العلم المجتهدين، ولم نقف على أي منهما والله أعلم .

وقول المصنف: «تابعه سعيد عن ابن عباس» يعني أن سعيد بن جبير تابع عكرمة على رواية القول بالإحكام عن ابن عباس وذلك في باب قوله تعالى ﴿وإذا حضر القسمة﴾ من الوصايا.

(١) هو أبو الحسن أحمد بن حميد الطبريثي ويعرف بدار أم سلمة، ثقة حافظ من العاشرة،

مات سنة عشرين [ومائتين] وقيل بعدها. خ. س.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي، الكوفي، ثقة مأمون أثبت

الناس كتابا في الثوري، من كبار التاسعة، مات سنة تسع [ومائتين]. ع.

٨٣- [باب ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾].

ش / تمامها ﴿للدكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾.

قال بعض أهل العلم: بين الله تعالى في هذه الآية ما أجمله في قوله ﴿للرجال نصيب﴾ و﴿للنساء نصيب﴾ فدل هذا على جواز تأخير البيان عن وقت السؤال وهذه الآية ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الأحكام، وأم من أمهات الآيات، فإن الفرائض عظيمة القدر حتى أنها ثلث العلم وروي نصف العلم وهو أول علم ينزع من الناس وينسى.

وقالوا: وإذا ثبت هذا فاعلم أن الفرائض كان جل علم الصحابة، وعظيم مناظرتهم ولكن الخلق ضيعوه.

وروى أبو داود والدارقطني عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، وسنة قائمة، أو فريضة عادلة.

قلت: في إسناد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي وهو ضعيف. قال الخطابي أبو سليمان: «الآية المحكمة هي كتاب الله تعالى، واشترط فيها الإحكام؛ لأن من الآي ما هو منسوخ لا يعمل به، وإنما يعمل بناسخه، والسنة القائمة هي الثابتة مما جاء عنه ﷺ من السنن الثابتة. وقوله (أو فريضة عادلة) يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما أن يكون من العدل في القسمة فتكون معدلة على الأنصاء والسهام المذكورة في الكتاب والسنة، والوجه الآخر أن تكون مستنبطة من الكتاب والسنة ومن معناهما، فتكون هذه الفريضة تعدل ما أخذ من

الكتاب والسنة إذ كانت في معنى ما أخذ عنهما نصاً» اهـ.
 وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي مفسراً القول في شرحها: «هذه الآيات، والآية التي هي آخر آيات المواريث المتضمنة لها. فإنها - مع حديث عبد الله بن عباس الثابت في صحيح البخاري: «الحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فأولوى رجل ذكر» - مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها، كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات، فإنه غير مذكور في ذلك؛ لكنه قد ثبت في السنن، عن المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك» اهـ.

بيان ميراث الأولاد

قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ قلت: والوصية في الأصل عبارة عن الأمر بالشيء والعهد به في الحياة وبعد الموت.

وقوله ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: «في أولادكم أي: أولادكم يا معشر الوالدين عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية.

فتعلمونهم وتؤدبونهم، وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله، وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

فالأولاد - عند والديهم - موصى بهم. فإذا أن يقوموا بتلك الوصية، فلهم جزيل الثواب. وإما أن يضيعوها، فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب. وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتها عليهم.

ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: ﴿لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ أي: الأولاد للصلب والأولاد للابن للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب

فرض، أو ما أبقث الفروض، يقتسمونه كذلك.

وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه - مع وجود أولاد الصلب - فالميراث لهم، وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب، ذكوراً أو إناثاً. هذا مع اجتماع الذكور والإناث. وهنا حالتان: إنفراد الذكور، وسيأتي حكمها. وإنفراد الإناث وقد ذكره بقوله.

أحكام البنات في الميراث:

﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ أي بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثاً فأكثر ﴿فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة﴾ أي بنتاً أو بنت ابن ﴿فلها النصف﴾ وهذا إجماع. بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟

فالجواب: أنه يستفاد من قوله ﴿فإن كانت واحدة فلها النصف﴾. فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة انتقل الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا الثلثان.

وأيضاً فقوله ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ إذا خلف ابناً وبنتاً فإن الابن له الثلثان وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين. فدل ذلك على أن للبتين الثلثين.

وأيضاً فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها - وهو أزيد ضرراً عليها من أخيها - فأخذها له - مع أخيها - من باب أولى وأحرى. وأيضاً فإن قوله تعالى في الأختين: ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾ نص في أن للأختين الثلثين. فإذا كان الأختان الثلثان - مع بعدهما - تأخذان الثلثين، فالابنتان - مع قربهما - من باب أولى وأحرى.

وقد أعطى النبي ﷺ ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح. بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله: ﴿فوق اثنتين﴾؟ قيل: الفائدة في ذلك - والله أعلم - أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان لا يزيد بزيادتهن على الثلثين فصاعداً.

ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة وبنت ابن أو بنات ابن فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات، أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن أو بنات الابن ولهذا يسمى هذا السدس تكملة للثلثين. ومثل ذلك بنت الابن مع بنات الابن اللاتي أنزل منها. وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين أنه يسقط من دونهن من بنات الابن؛ لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء والله الحمد.

ودل قوله ﴿مما ترك﴾ أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمة.

أحكام الأبوين في الميراث:

ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: ﴿ولأبويه﴾ أي أبوه وأمه ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ أي ولد الصلب أو ولد ابن، ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً. فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد.

أحكام الأب في الميراث:

وأما الأب فمع الذكور منهم لا يستحق أزيد من السدس.

فإن كان الولد أنثى أو إنثاء ولم يبق بعد الفرض شيء، كأبوين وابنتين لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء، أخذ الأب السدس فرضاً والباقي تعصياً؛ لأننا ألحقنا الفروض بأهلها، فما بقي فلاولى رجل ذكراً، وهو أولى من الأخ والعم وغيرهما.

﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فألمه الثلث﴾ أي والباقي للأب؛ لأنه أضاف المال إلى الأب والأم إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم فدل ذلك على أن

الباقى للأب.

وعلم من ذلك أن الأب - مع عدم الأولاد - لا فرض له، بل يرث تعصيماً المال كله، أو ما أبقت الفروض؛ ولكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين - ويعبر عنهما بالعمريتين - فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي.

وقد دل على ذلك قوله ﴿وورثه أبواه فألمه الثلث﴾ ثلث ما ورثاه الأبوان، وهو في هاتين الصورتين إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. فلم تدل الآية على إرث الأم ثلث المال كاملاً مع عدم الأولاد حتى يقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذا ويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين.

ولأننا لو أعطينا الأم ثلث المال لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له. فإن المعهود مساواتها للأب أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم.

﴿فإن كان له إخوة فألمه السدس﴾ أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكوراً أو إناثاً، وارثين أو محجوبين بالأب، أو الجد.

لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: ﴿فإن كان له إخوة﴾ شاملاً لغير الوارثين، بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف. فعلى هذا لا يحجبها عن الثلث من الإخوة إلا الإخوة الوارثين. ويؤيده أن الحكمة في حجبتهم لها عن الثلث؛ لأجل أن يتوفر لهم شيء من المال وهو معدوم. ولكن يشترط كونهم اثنين فأكثر. ويشكل على ذلك إتيان لفظ "الإخوة" بلفظ الجمع بأن المقصود مجرد التعدد لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين، وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنين كما في قوله تعالى عن داود وسليمان ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾. وقال في الإخوة لأم

﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾

فأطلق لفظ الجمع والمراد به اثنين أو أكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أمًا وأبًا وإخوة كان للأم السدس والباقي للأب، فحججوها عن الثلث، مع حجب الأب إياهم، إلا على الاحتمال الآخر فإن للأم الثلث، والباقي للأب.

ثم قال تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾

أي هذه الفروض والأنصاء والمواريث إنما ترد وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله، أو للآدميين، وبعد الوصايا، التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقي عن ذلك هو التركة التي يستحقها الورثة. وقدم الوصية مع أنها مؤخره عن الدين للاهتمام بشأنها؛ لكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال. وأما الوصية فإنها تصح من الثلث فأقل للأجنبي الذي هو غير وارث، وأما غير ذلك فلا ينفذ، إلا بإجازة الورثة.

﴿آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾

فلو زد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما الله به عليم، لنقص العقول، وعدم معرفتها بما هو اللائق والأحسن في كل زمان ومكان، فلا يدرون أي الأولاد أو الوالدين أنفع لهم وأقرب لحصول مقاصدهم الدينية والدينية.

﴿فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾

أي فرضها الله الذي قد أحاط بكل شيء علماً، وأحكم ما شرعه، وقدر ما قدره على أحسن تقدير، لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان ومكان وحال، اهـ.

٩٨- حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال:

أخبرني ابن المنكدر^(١)، عن جابر رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

ش / فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «عادني النبي ﷺ» عدت المريض عيادة زرتة فالرجل عائد وجمعه عوَاد والمرأة عائدة وجمعها عوَد بغير ألف. قاله في المصباح مادة عاد.

قلت: وعيادة المريض زيارته من أجل مواساته بالسؤال عن حاله وتسليته بالدعاء له بالشفاء، وكان من هديه ﷺ عيادته المرضى من أصحابه، فقد عاد سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد وغيرهما كما صح عنه ﷺ أنه عاد عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام فأبى، وقد صح مستفيض الخبر من النبي ﷺ في الحث على عيادة المريض من ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا مرض فعهده...» الحديث.

الثانية: قوله «وأبو بكر» هو عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي المكي ثم المدني فضائله جمّة ومناقبه وافرة وحسناته على أهل الإسلام أكبر من أن تحصى، أزر النبي ﷺ في حياته أعظم مؤازرة وخلفه بعد وفاته في الأمة فأحسن الخلافة فهو أفضل الأمة وإمامها بعد نبيها وأول الخلفاء الراشدين وخير من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين، وكانت مدة خلافته سنتين وأشهر توفي في المدينة في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي

(١) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بالتصغير التيمي، المدني ثقة فاضل من الثالثة، مات سنة ثلاثين [ومائة] أو بعدها. ع.

الله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الثالثة: قوله «فوجدني النبي ﷺ لا أعقل» أي فاقد الإدراك من شدة ما به من المرض.

الرابعة: قوله «فدعنا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ» هذا الصنيع من هديه ﷺ في معالجة بعض المرضى، والظاهر أنه من خصوصياته إذ لا أحد من البشر مقطوع له بالبركة مثل النبي ﷺ حتى يتأسى به فيصنع هذا الصنيع، ولم نعلم من أهل الإمامة والفضل من صنع ذلك تبركاً وما ذلك والعلم عند الله إلا لأنه متقرر عندهم أن مثل هذا التطيب هو من خصائص النبي ﷺ.

الرابعة: قوله «فأفقت» في الوضوء، باب صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، من رواية شعبة «فعلقت» والمعنى أنه عاد إلى ما كان عليه من الوعي والإدراك قبل أن يصيبه ما أصابه. يقال: أفاق واستفاق رجع إلى ما كان عليه من العقل والإدراك، وتستعمل هذه المادة في الصحو من شدة المرض، ومما يفقد العقل كالجنون والإغماء.

الخامسة: قوله «فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله» وفي الوضوء من رواية شعبة «فقلت: يا رسول الله لمن الميراث؟ إنما يرثني كلاله». قلت: فهذا السؤال سؤال استرشاد وفيه دلالة على حرص جابر على موافقة السنة في تصرفه في ماله.

السادسة: قوله «فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾» في رواية شعبة المذكورة «فنزلت آية الفرائض» وفي رواية سفيان في المرضى باب زيارة المغمى عليه «فلم يجيني شيء حتى نزلت آية الميراث» فتحصل من هذا أمران:

أحدهما: سكوت النبي ﷺ عن الإجابة عما يشكل حتى يوحى إليه فيه.

وثانيهما: أن هذه الآية تسمى آية الفرائض لما تضمنته من الفروض المقررة

للورثة.

تنبيه:

قال القسطلاني بعد كلام طويل في الرد على الدمياطي حين قال وهو وهم والذي نزل في جابر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال: والحاصل أن المحفوظ عن ابن المنكدر أنه قال: آية الميراث أو آية الفرائض فالظاهر أنها يوصيكم الله كما صرح به في رواية ابن جريج ومن تابعه. وأما من قال أنها يستفتونك فعمدته أن جابر لم يكن له حينئذ ولد وإنما كان يورث كلاله فكان المناسب لقصته نزول يستفتونك؛ لكن ليس ذلك بلازم؛ لأن الكلاله اختلف في تفسيرها فقيل هي اسم المال الموروث وقيل اسم الميت وقيل اسم الإرث فلما لم يتعين تفسيرها بمن لا ولد له ولا والد لم يصح الاستدلال؛ لأن يستفتونك نزلت في آخر الأمر وآية الموارث نزلت قبل ذلك بمدة في ورثة سعد بن الربيع - إلى أن قال - فقد ظهر أن ابن جريج لم يهمل». اهـ.

تنبيه آخر

أخرج الترمذي في الفرائض باب ما جاء في ميراث البنات وصححه عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: اعط ابنتي سعد الثلثين، واعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك. فلا يشكل هذا على حديث الباب؛ لأنه لا مانع أن تكون الآية نزلت في كلتا القصتين والله أعلم.

٨٤- [باب ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾].

ش / تمامها ﴿إن لم يكن هن ولد فإن كان هن ولد فلکم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين وهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلیم﴾.

تتضمن هذه الآية الكريمة ميراث ثلاثة أصناف من الناس وهم: الأزواج، والزوجات، والإخوة لأم، وإليك تفصيل ذلك.

أولاً: إستحقاق الزوج النصف مشروط بعدم الولد ومثله ولد الولد وكلاهما فرع الوارث وهذا الشرط عدمي، واستحقاقه الربع بشرط الولد ومثله ولده وهذا شرط وجودي.

ثانياً: ترث الزوجات الربع مع عدم الولد أو ولد الولد، كميراث الزوج النصف، ويرثن الثمن مع وجود الولد ومثله ولده.

قال صاحب الرحبية في الأول:

من ولد الزوجة من قد منعه	والربع فرض الزوج إن كان معه
مع عدم الأولاد فيما قدرا	وهو لكل زوجة أو أكثر
حيث اعتمدنا القول في ذكر الولد	وذكر أولاد البنين يعتمد

وقال في الثاني:

مع البنين أو مع البنات	والثمن للزوجة والزوجات
ولا تظن الجمع شرطاً فافهم	أو مع أولاد البنين فاعلم

ثالثاً: الإخوة لأم وميراث أولئك السدس للواحد، والثلث للإثنين فأكثر وبيانه في قوله ﴿وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل

واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴿١٠﴾
فدل بذلك على أمور منها:

أولاً: قصر ميراث الإخوة لأم على الثلث إن كانوا اثنين فأكثر.
ثانياً: عدم تفضيل ذكورهم على إناثهم.

ثالثاً: حجبتهم بأصل الوارث أو فرعه وذلك؛ لأن الراجح في الكلاله أنه من مات وليس له ولد ولا والد. والدليل على أن المراد بهذه الآية الإخوة لأم قوله في آخر السورة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿١١﴾

رابعاً: أن الإخوة لأم أصحاب فروض ويسقطون الأشقاء في العمرية وهي زوج وأم وأشقاء وإخوة لأم فالمسألة من ستة للزوج النصف.

٣	الزوج	١/٢
١	الأم	١/٦
٢	الإخوة لأم	١/٣

وهذا أرجح القولين للحديث الصحيح ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فالأولى رجل ذكر.

قوله ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مَضَارٍ﴾ فيه مسألتان:

الأولى: تأخير الميراث بعد سداد الدين والوصية وهذا صريح ظاهر في الآية

ولكن ما السر في تقديم الوصية على الدين مع أنه أوجب منها؟

أجاب أهل العلم عن ذلك بأجوبة عدة منها:

١ - أن المقصود تقديم الأمرين على الميراث ومن غير قصد إلى الترتيب

بينهما.

- ٢ - لما كانت الوصية أقل لزوماً من الدين قدمت اهتماماً بها.
- ٣ - لكثرة وقوعها فصارت كالأمر اللازم لكل ميت.
- ٤ - لكونها حظ المساكين والفقراء، وأحر الدين لكونه حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان.

المسألة الثانية: في قوله ﴿غير مضار﴾ دليل على تحريم الضرر في الوصية وهو الإجحاف بها على الورثة وذلك بمجاوزة الثلث فيها، لما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: فالشطر يا رسول الله؟ فقال: لا. قلت: فالثلث يا رسول الله؟ قال: الثلث والثلث كثير أو كبير. الحديث.

وقوله ﴿وصية من الله﴾ نصب على المصدر أي يوصيكم بذلك وصية من الله كقوله ﴿فريضة من الله﴾ قال ابن عطية: ويصح أن يعمل فيها مضار والمعنى أن يقع الضرر بها أو بسببها فأوقع عليها تجوزاً فتكون وصية على هذا مفعولاً بها؛ لأن اسم الفاعل قد اعتمد على ذي الحال أو لكونه منفيماً معنى وقرأ الحسن ﴿وصية من الله﴾ بالجر على إضافة اسم فاعل إليها كقوله يا سارق الليلة أهل الدار. وفي كون هذه الوصية من الله سبحانه دليل على أنه قد وصى عباده بهذه التفاصيل المذكورة في الفرائض وأن كل وصية من عباده تخالفها فهي مسبقة بوصية الله وذلك كالوصايا المتضمنة لتفضيل بعض الورثة على بعض أو المشتملة على الضرر بوجه من الوجوه.

وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ يعني عليم بأهل الميراث حكيم على أهل الجهل منكم فلا يعاجلهم بالعقوبة. فتحصل مما تقدم أربعة أحكام.

الأول: وجوب إنفاذ ما أمر الله به في هذه الآية من الميراث والدين والوصية.

الثاني: تحريم الضرر في الوصية.

الثالث: إحاطة علم الله بأحوال العباد ومصالحهم.

الرابع: سعة رحمة الله فلو يؤخذ كل جاهل بالعقوبة ما بقى على ظهرها من دابة.

٩٩- حدثنا محمد بن يوسف، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثالث وجعل للمرأة الثمن والرابع وللزوج الشطر والرابع.
ش/ فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «كان المال للولد» أي مال المتوفى في أول الأمر، ويعني بالولد الذكور دون الإناث يدل له ما رواه ابن جرير عن ابن عباس من وجه آخر «أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله أنعطي الجارية الصغيرة نصف الميراث وهي لا تترك الفرس ولا تدافع العدو؟ قال: وكانوا في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم».

الثانية: قوله «وكانت الوصية للوالدين» يعني في قوله تعالى ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾.

قلت: والأمر في هذه الوصية راجع إلى ما يراه الموصى من المساواة أو التفضيل وذلك لأن الحق جل علاه لم يجعل لها قدراً.

الثالثة: قوله «فنسخ الله من ذلك ما أحب».

قلت: وروى ابن جرير عند تفسير قوله ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ الآية من طريق يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علي عن يونس عن ابن سيرين عن ابن عباس أنه قام فخطب الناس ها هنا فقرأ عليهم سورة البقرة ليسين لهم منها فأتى على هذه الآية ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾ قال نسخت هذه.

وروى عنه من طريق العوفيين قال: نسخت الفرائض التي للوالدين والأقربين الوصية.

وروى عن ابن عمر أنه قال: نسختها آية الميراث.

قلت: ويدل على نسخ الوصية للوالدين من السنة ما رواه الترمذي وصححه عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث. الحديث.

قلت: فتبين بهذا أمران:

أحدهما: نسخ الوصية للوالدين بما فرض الله لهما من ميراث.

وثانيهما: بقاء الوصية للأقربين غير الوارثين وهل هي واجبة أو مستحبة وأكثر أهل العلم على أنها ليست بواجبة إلا لرجل عليه دين أو مال لقوم.

الرابعة: قوله «وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس» الخ. تقدم شرحه في أول الباب قبله.

٨٥- [باب ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتیتموهن﴾].

ش / قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتیتموهن إلا أن یأتین بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.

تشتمل هذه الآية على أربعة أمور:

الأول: النهي عن ميراث النساء كرهاً وهذا أفاده ﴿لا يحل لكم﴾؛ لأن هذه اللفظة من صيغ النهي الفرعية كما هو معروف في علم الأصول، والنهي يقتضي التحريم، وسيأتي بيان ذلك في حديث الباب.

الثاني: النهي عن عضل الأزواج من أجل الذهاب ببعض ما أوتين إلا أن یأتین بفاحشة مبينة. وقد اختلف أهل العلم في المراد بالفاحشة ها هنا على قولين: أحدهما: أنه الزنا وهو قول أبي قلابة والحسن والسدي وابن سيرين.

وقال ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة: البغض والنشوز. وثمة قول ثالث: وهو البذاء باللسان وسوء العشرة قولاً وفعلاً. وهذا في معنى النشوز.

قال مقبده: ولعل جامع هذه الأقوال أن الفاحشة في المرأة ما تنهاه قبحة في الأقوال والأفعال والأخلاق فإنها منافية لحسن العشرة.

الأمر الثالث: الأمر بمعاشرة الزوجات بالمعروف وبيانه في قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾.

قلت: والمعروف هو ما تعارف الناس عليه وأقره الشرع ففي الآية إذاً أمر بحسن الصحبة وكل ما يدعو إلى الوفاق والوثام.

الرابع: تحمّل المرأة وإن بدا منها ما يكره فيها وهذا يتضمنه قوله تعالى

﴿فإن كرهتموهن فمسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فهذا أمر بالصبر عليهن ووعده علي ذلك بحسن العاقبة وهي الخيرية الكثيرة. وفي الحديث الصحيح «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي آخر».

شرح جملة من الكلمات:

١- [ويذكر عن ابن عباس ﴿لا تعضلوهن﴾ لا تقهروهن].

ش/ أخرجه ابن جرير ثني المثني، ثنا عبد الله بن صالح، ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. وأخرجه ابن أبي حاتم، عن أبيه بنفس الإسناد، وعبد الله بن صالح وشيخه ضعيفان. وبنحوه قال قتادة والسدي وآخرون من أهل التفسير.

٢- [حوباً] إثماً].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم ثني نصر بن علي الجهضمي، عن عبيد - يعني ابن عقيل - عن مسلم بن علقمة: سمعت داود - يعني ابن أبي هند - يحدث عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾.

٣- [تعولوا] تميلوا].

ش/ أخرجه ابن جرير ثني المثني، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. وبه قال مجاهد والسدي وقتادة والحسن وابن زيد. والآية المشار إليها: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾.

٤- [الحلة] النحلة المهر].

ش/ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله. وأخرج معناه عن ابن

جزيج وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾.

١٠٠ - حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا أسباط بن محمد^(١) حدثنا الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السوائي^(٢) ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها. فنزلت هذه الآية في ذلك.

ش / فيه بيان لما كان عليه أولياء المتوفى من عضل امرأته بعده وأنهم أولى بها من أهلها ولا حق لغيرهم في التصرف فيها بل ولا هي تملك شيئاً من أمر نفسها وأنهم قاهروها على واحد من الأمور الثلاثة التي في الحديث.

وأخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فأنزل الله ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾.

قال مقبده: ولا منافاة بينه وبين حديث الباب؛ فإن ابن عباس أخبر عن الأمر العام، وأبا أمامة أخبر عن قضية من تلك القضايا التي كان الناس عليها قبل نزول الآية والله أعلم.

(١) هو أبو محمد أسباط بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة القرشي، مولاهم،

ثقة ضعّف في الثوري، من التاسعة، مات سنة مائتين. (ع).

(٢) هو عطاء أبو الحسن السوائي بضم المهملة، مقبول من الرابعة. (خ. د. س).

٨٦- [باب ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾].

ش/ قوله ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون﴾ يعني جل وعلا لكل واحد منكم أيها الناس جعلنا له موالى أي ورثة من عصبته وأولئك مما ترك الوالدان والأقربون، والعرب تسمى ابن العم مولى. قال الفضل بن العباس: مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تظهرن لنا ما كان مدفونا وقال آخر:

ومولى رمينا حوله وهو مدغلٌ بأعراضنا والمندبات سرور
وقوله ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أي حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة، والإشتراك بالأموال وغير ذلك. وكل هذا من نعم الله على عباده؛ حيث كان الموالى يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفرداً» اهـ.

وقوله ﴿فآتوهم نصيبهم﴾. قال ابن جرير بعد حكايته اختلاف أهل العلم في ذلك: «فإن أولى التأويلين به ما عليه الجميع بمجموعون من حكمه الثابت، وذلك أبناء أهل الحلف الذي كان في الجاهلية دون الإسلام بعضهم بعضاً أنصباؤهم من النصرة والنصيحة والرأي دون الميراث وذلك لصحة الخير عن رسول الله ﷺ قال: لا حلف في الإسلام وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة».

قلت: الحديث صحيح أخرجه مسلم عن جبير بن مطعم قال القاضي: قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم فإن المذكور في الحديث والموارثة به والمؤاخاة كله منسوخ لقوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ وقال الحسن: كان التوارث بالحلف فنسخ بأية الموارث.

قلت: «أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: وأبما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة». اهـ من شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/١٦).

قال مقيده: وقد كان بين المسلمين من المهاجرين والأنصار بالمدينة مؤاخاة وكانوا يتوارثون بها حتى نزل قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فنسخها، وأما المخالفة على وفق ما قاله الشيخ فإن عمل السلف عليها من ذلك أنه وإلى كثير من أهل البلاد المفتوحة من الأعاجم إخوانهم من العرب من غير نكير، وذلك موجود في تراجم كثير من الأئمة مثل البخاري ومن قبله عكرمة التابعي المعروف مولى ابن عباس ومحمد بن سيرين مولى أنس.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ يعني حافظاً ورقياً لا يشذ عنه في الأرض ولا في السماء شاذ، وإن كان مثقال ذرة ومن ذلك ما أمر به في هذه الآية ومفاد هذه الشهادة العامة المحيطة بكل شيء مجازاة المحسن على إحسانه بالحسنى ومجازاة أهل السوء والبخس بسوء العقوبة.

[وقال معمر: أولياء موالي وأولياء ورثة] عاقدت أيمانكم] هو مولى اليمين وهو الخليف والمولى أيضاً ابن العم، والمولى المنعم المعتق، والمولى المعتق والمولى المليك والمولى مولى في الدين].

ش/ قلت: معمر هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة عشر بعد المائتين، وهذا القول عنده في مجاز القرآن (١/١٢٤) وزاد: وقال الشاعر:

ومولى كداء البطن لو كان قادراً على الموت أفنى الموت أهلي ومالياً

يعني ابن العم.

وقال الفضل بن العباس:

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تظهرون لنا ما كان مدفوناً
وقال ابن الطيفان من بني عبد الله بن دارم، والطيفان أمه:
ومولى كمولى الزبيرقان أدملته كما اندملت ساق يهاض بها كسر
أدملته: أصلحته واحتملت ما جاء منه. اهـ.

١٠١- حدثني الصلت بن محمد^(١)، حدثنا أبو أسامة، عن إدريس^(٢)، عن
طلحة بن مصرف^(٣)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما
﴿ولكل جعلنا موالياً﴾ قال: ورثة. ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ كان المهاجرون
لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للإخوة التي آخى
النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿لكل جعلنا موالياً﴾ نسخت ثم قال: ﴿والذين
عاقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي
له. سمع أبو أسامة إدريس، وسمع إدريس طلحة.
ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «﴿ولكل جعلنا موالياً﴾ - إلى قوله - نسخت» أفاد الحديث
أن هذه الآية ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار. بموجب المؤاخاة
بينهم. وقال الحسن وعكرمة: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث
أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك في الأنفال فقال ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله﴾. وبنحوه قال جماعة من أهل العلم، وهو الرواية الثانية عن
ابن عباس ولفظها: فإن الرجل قد كان يلحق به الرجل فيكون تابعه فإذا مات

- (١) هو والصلت بن محمد بن عبد الرحمن البصري أبو همام الخاركي بخاء معجمة،
صدوق من كبار العاشرة، مات سنة بضع عشرة [ومائتين]. خ. م.
(٢) هو إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، ثقة من السابعة. ع.
(٣) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي بالتحتمانية الكوفي، ثقة قاريء فاضل،
من الخامسة، مات سنة اثني عشرة [ومائة] أو بعدها. ع.

الرجل صار لأهله وأقاربه الميراث وبقي تابعه ليس له شيء فأنزل الله ﴿والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيهم﴾ فكان يعطي من ميراثه فأنزل بعد ذلك ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

ويمكن الجمع بين هذين القولين بأن النسخ وقع مرتين أحدهما فيما كان من الإرث بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين والناسخ آية الباب.

وثانيهما: نسخ ما بين المتعاقدين من الميراث والناسخ قوله في الأحزاب ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ والله أعلم.

الثانية: قوله ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة» تقدم ضمن تفسير آية الترجمة.

الثالثة: قوله «وقد ذهب الميراث ويوصى له» وقع تفسير ذلك عند ابن جرير عنه: إلا أن يوصى لأوليائهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت. ودليله قوله تعالى ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾.

الرابعة: قوله «سمع أبو أسامة إدريس وسمع إدريس طلحة» يعني أن كل واحد منهما أخذ عن شيخه مباشرة وبدل لذلك ما في الفرائض باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم من رواية إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة حدثكم إدريس حدثنا طلحة. وعند أبي داود من رواية هارون بن عبد الله حدثنا أبو أسامة حدثني إدريس بن يزيد حدثنا طلحة بن مصرف.

٨٧- [باب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾].

ش / تمامها: ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يِضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
 قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وأنفقوا مما رزقهم الله، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله مما رزقه الله من ثواب نفقته في الدنيا ولا من أجرها يوم القيامة مثقال ذرة أي ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يجازيه به، ويشبهه عليه». اهـ

قلت: وهذا التفسير مبني على ارتباط الآية بالتي قبلها وهي ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة. الحديث وهو شاهد لتفسير الطبري رحمه الله.

قوله ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يِضَاعِفْهَا﴾ يعني وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها وبيان هذه المضاعفة فيما أخرجه الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. الحديث

قوله ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أي زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال آخر، وإعطاء البر الكثير، والخير الغزير»

[قوله يعني زنة ذرة].

ش / قاله أبو عبيدة.

١٠٢ - حدثني محمد بن عبد العزيز^(١)، حدثنا أبو عمر حفص بن ميسرة^(٢)، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوءاً ليس فيها سحاب. قالوا: لا قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوءاً ليس فيها سحاب. قالوا: لا قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم: كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى

(١) هو محمد بن عبد العزيز العمري، الرملي الواسطي، صدوق بهم وكانت له معرفة، من العاشرة، خ. تم. س.

(٢) هو حفص بن ميسرة العقيلي بالضم أبو عمر الصغاني، نزيل عسقلان، ثقة ربما وهم، من الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين [ومائة]. خ. م. مد. س. ق.

صورة من التي رأوه فيها فيقال ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليه، ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً.

ش / فيه عشرون مسألة:

الأولى: قوله «هل نرى ربنا يوم القيامة» هذا سؤال استرشاد واستيضاح، وفي إقرار النبي ﷺ القوم عليه دليل على جوازه. وفيه دليل على سؤال أهل العلم والفضل عما يشكل، ولعل الباعث لأولئك على هذا السؤال أنهم علموا ذلك فأرادوا أن يستوثقوا من النبي ﷺ والله أعلم.

الثانية: قوله «نعم هل تضارون» في ضبطه روايات الأولى: تضارون بضم أوله وضم رائه من غير تشديد من الضير وهو المضرة كما في قوله تعالى ﴿قالوا لا ضير﴾ أي ضرر ومعناه: هل يلحقكم في رؤيته ضير أي ضرر.

الثانية: (هل تضارون) بفتح التاء وتشديد الضاد والراء من الضرر ومعناه: هل تضارون غيركم في حال الرؤية بزحمة وخافة في رؤية غيرها أو لخصائمه كما يفعلون أول ليلة من الشهر. وقال الخطابي: وأصله هل تضارون أي تتزاحمون عند رؤيته حتى يلحقكم الضرر ووزنه تتفاعلون فحذفت إحدى التاءين.

الثالثة: قوله «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة» هو اشتداد حر الشمس في نصف النهار ولا يقال ذلك في الشتاء.

الرابعة: قوله «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء» هو بدل مما قبله في الموضوعين.

قلت: وفي هذين السؤالين أسلوب بديع وسر بلاغي لطيف وهو رد المسألة المشككة إلى الواضحة حتى يسهل فهمها عند بيانها.

الخامسة: قوله «إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» هذا التشبيه للرؤية

بالرؤية وليس تشبيها للمرئي بالمرئي؛ لأن الله جل وعلا لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

واعلم أن هذا الحديث دليل على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة رؤية معاينة على الحقيقة وقد روى ذلك غير أبي سعيد عن النبي ﷺ جم غفير من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو هريرة، وجرير بن عبد الله، وعبد الله بن قيس، وأجمع على ذلك الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وأنكر ذلك الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ومن لف لفهم من المبتدعة.

ومن شبههم قوله تعالى لموسى ﷺ حين سأله أن ينظر إليه ﴿لن تراني﴾ وقوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾.

الجواب عن الأولى: أن ذلك النفي واقع على الرؤية في الدنيا بدليل قوله في الآية ﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ ولما اندك الجبل حين تجلى الله علم أن رؤيته في الدنيا غير ممكنة.

الجواب عن الثانية: أن المنفي في الآية الإدراك وهو الإحاطة وذلك شيء غير الرؤية إذ الرؤية مجرد الإبصار. يزيده وضوحاً قوله تعالى في قصة موسى ﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ فالذي نفاه موسى ﷺ إحاطة فرعون وجنده بقومه لا رؤيتهم إياهم. وإن قال أحد متى يرى المؤمنون ربهم فالجواب ما قاله شيخ الإسلام: يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله.

قلت: فمن شواهد الأولى حديث الباب ومن شواهد الثانية قوله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه

فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم. رواه أحمد ومسلم.

السادسة: قوله «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن» أي ناد مناد.

السابعة: قوله «تتبع كل أمة ما كانت تعبد» هذا تفسير لما أذن به وفي "تتبع" وجهان من الإعراب أحدهما الجزم على تقدير لام الأمر مثل قوله تعالى ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي ليقيموا، والآخر الرفع لتجرده من الناصب والجازم لفظاً وبكل منهما جاءت الرواية.

الثامنة: قوله «فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار». الأصنام جمع صنم قال ابن الأثير: الصنم ما اتخذ لها من دون الله وقيل ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن جسم أو صورة فهو وثن. والأنصاب جمع نصب بضم الصاد وسكونها وهو حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً يعبدونه وقيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذكون عليه فيحمر بالدم.

التاسعة: قوله «براً أو فاجراً» أي هو بر أو هو فاجر. والبر هو الذي يأتي بالخير ويطيع ربه يقال: فلان ببر خالقه ويتبرره أي يطيعه ويجمع على أبرار والبار يجمع على بررة، والفاجر المنهمك في المعاصي والمحارم من فجر يفجر من باب نصر ينصر فجوراً.

العاشر: قوله «غبارات أهل الكتاب» بضم الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة بعدها فراء جمع غير وهو جمع غابر والمعنى: بقايا أهل الكتاب من غير الشيء يغبر غبوراً إذا مكث وبقي، والغابر هو الماضي قال الأزهري: هو من الأضداد ثم قال: والمعروف الكثير أن الغابر هو الباقي.

الحادية عشرة: قوله «فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون» وفي بعض الروايات "من" وهذا سؤال الغرض منه التوبيخ والتفريع وكذا قوله

للنصارى «ما كنتم تعبدون».

الثانية عشرة: قوله «فيقال لهم كذبتهم» أي فيما زعمتم أن عزيزاً ابن الله وليس النفي واقع على عبادتهم إياه وكذا قوله للنصارى.
الثالثة عشرة: قوله «فماذا تبغون» هذا السؤال للتهكم والسخرية وليس لاستكشاف حالهم.

الرابعة عشرة: قوله «كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً» أي يكسر بعضها بعضاً ومنه سميت النار الحطمة؛ لأنها تحطم كل شيء أي تكسره وتأتي عليه، والسراب هو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء.

الخامسة عشرة: قوله «أتأهم رب العالمين» فيه إثبات صفة الإتيان لله عز وجل يوم القيامة للفصل بين عباده على الوجه اللائق بجلاله وهذه الصفة من الأفعال الاختيارية التي يفعلها جل ثناؤه بمقتضى مشيئته وهي ثابتة بإجماع أهل الحق من غير كيف.

السادسة عشرة: قوله «في أدنى صورة من التي رأوه فيها» أي أقرب صفة من التي رأوه أي عرفوه فيها بأنه لا يشبه شيئاً من المحدثات وفي التوحيد «فيأتهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة» والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة كذا وكذا أي صفته. قاله ابن الأثير.

السابعة عشرة: قوله «ماذا تنتظرون» أي: أي شيء حبسكم وقد رأيتم أن كل أمة ذهبت تتبع ما كانت تعبد في الدنيا.

الثامنة عشرة: قوله «فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم» أي تركنا الناس في الدنيا ونحن أحوج يعني لم تتبعهم في الدنيا مع الاحتياج إليهم ففي هذا اليوم بالطريق الأولى.

التاسعة عشرة: قوله «ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد» أي في الدنيا،

وهذا إخبار منهم بأنهم ليس لهم معبود سوى الله عز وجل.
العشرون: قوله «فيقول أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بربنا شيئاً مرتين أو ثلاثاً» وعند مسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من رواية سويد بن سعيد «نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب».

قلت: وهذا امتحان شديد ظهرت فيه ثمرة التوحيد على أهله وذلك أن الله ثبتهم عن الانقلاب عن الصواب وفائدة قولهم "لا نشرك بالله شيئاً" مع أن يوم القيامة ليس يوم التكليف استلذاً به وافتحاراً وتذكراً لسبب النعمة التي وجدوها.

وإن قال قائل: ما وجه مطابقة الحديث للترجمة؟

قلنا: المناسبة ها هنا معنوية وهي أن المفهوم من معناه أن الله تعالى يحكم يوم القيامة بين عباده المؤمنين والكافرين بعدله العظيم ولا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة.

٨٨- [باب ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾].

ش/ بعد أن بين في الآية السابقة مجازاته لعباده على جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها وأنه لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة أخبر عن مجيئه من كل أمة بشهيد أي شاهد لها بالتصديق وعليها بالكذب ومن ذلك أنه يسأتي بمحمد ﷺ مستشهداً إياه على أمته كما قال تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ فأفادت الآية عظم هول يوم القيامة كما أفادت شهادة كل نبي على أمته.

شرح جملة من الكلمات:

١- [المختال والمختال واحد].

ش/ قال أبو عبيدة: «المختال ذو الخيلاء والمختال وهما واحد ويجيء مصدراً قال العجاج:

والمختال ثوب من ثياب الجهال

وقال العبدى:

فإن كنت سيدنا سيدتنا وإن كنت للمختال فاذهب فخل

أي اختل». اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾.

٢- [﴿نطمس وجوها﴾ نسويها حتى تعود كأقفاهم طمس الكتاب

محاه].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: «ويقال الريح طمست آثارنا أي محتها... ويقال:

طمست عينه». اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما

معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فردها على أدبارها﴾ الآية.

٣- ﴿سَعِيرًا﴾ وقوداً].

ش/ قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾.

١٠٣- حدثنا صدقة^(١)، أخبرنا يحيى، عن سفيان، عن سليمان، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة قال: قال لي النبي ﷺ اقرأ عليّ. قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمع من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان.

ش/ فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة» القائل هو صدقة بن الفضل، ويحيى هو ابن سعيد القطان، وعمرو بن مرة هو أبو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي بفتح الجيم والميم المرادي الكوفي الأعمى ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة مات سنة ثمانى عشرة ومائة وقيل قبلها أخرج له الجماعة.

وفي فضائل القرآن من رواية مسدد قال الأعمش: وبعض الحديث حدثني عمرو بن مرة عن إبراهيم وعن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله.

قال الحافظ في شرحه على هذا الحديث في الفضائل (٩٨/٩): «ثم ذكر المصنف في الباب حديث ابن مسعود المذكور في تفسير سورة النساء وساق المتن

(١) هو صدقة بن الفضل أبو الفضل، الروزي، ثقة من العاشرة، مات سنة ثلاث أو ست وعشرين [ومائتين]. خ.

هناك على لفظ شيخه صدقة بن الفضل المروزي، وساقه هنا على لفظ شيخه مسدد كلاهما عن يحيى القطان وعرف من هنا المراد بقوله "بعض الحديث عن عمرو بن مرة" وحاصله أن الأعمش سمع الحديث المذكور من إبراهيم النخعي وسمع بعضه من عمرو بن مرة عن إبراهيم وقد وضحت ذلك في تفسير سورة النساء أيضاً ويظهر لي أن القدر الذي عند الأعمش عن عمرو بن مرة من هذا الحديث من قوله «فقرأت النساء... إلى آخر الحديث» وأما ما قبله إلى قوله «أن أسمع من غيري» فهو عند الأعمش عن إبراهيم كما هو في الطريق الثانية في هذا الباب» اهـ.

قلت: فهذا جمع سديد وترجيح جيد يتحد به المقال ويتضح به الحال.

الثانية: قوله «قال لي النبي ﷺ اقرأ عليّ». فيه دليل على استحباب سماع

الإنسان قراءة القرآن من غيره، وعليه بوب المصنف في فضائل القرآن.

الثالثة: قوله «قلت اقرأ عليك وعليك أنزل» القائل هو عبد الله بن

مسعود قال ذلك تحرجاً واستحياء من رسول الله ﷺ وفي قوله «وعليك أنزل»

بيان لسبب ذلك التحرج. وفيه دليل على إثبات صفة العلو لله وأن القرآن منزل

غير مخلوق.

الرابعة: قوله «فإني أحب أن أسمع من غيري» ووقع عند المصنف في

فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره من رواية مسدد عن

يحيى، وعند مسلم في صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن من رواية أبي

بكر بن أبي شيبه وأبي كريب من طريق حفص بن غياث بلفظ «إني أشتهي أن

أسمع من غيري» ولا منافاة بين اللفظين في المعنى.

الخامسة: قوله «فقرأت عليه سورة النساء» في رواية مسدد عند المصنف

وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبه وأبي كريب عن حفص «فقرأت النساء» والمعنى

واحد. وفي ذلك دليل على استعمال اللفظين معاً خلافاً لمن كره شيئاً منهما.

السادسة: قوله «حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾». "حتى" ها هنا حرف غاية بمعنى "إلى" وفي ذلك تصريح بأن عبد الله بن مسعود لم يقرأ على النبي ﷺ شيئاً بعد الآية المذكورة. السابعة: قوله «قال أمسك» وقع في رواية مسدد وفي رواية محمد بن يوسف «حسبك الآن» وكلاهما عند المصنف في فضائل القرآن.

قلت: فلا اختلاف بين هذه الكلمات فجميعها متضمنة أمر النبي ﷺ ابن مسعود بالوقوف عن القراءة والاكتفاء بما وصل إليه من الآية.

تنبيه:

وقع عند مسلم من رواية أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب من طريق حفص «فرفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي» وعند النسائي من رواية هناد بن السري عن علي بن مسهر وعند الترمذي في تفسير سورة النساء أيضاً من رواية هناد عن الأحوص «غمزني رسول الله» وعند أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب أرجح ويؤيد ذلك قوله في رواية هناد عند مسلم والنسائي في تفسير سورة النساء «قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر اقرأ علي» وعند النسائي «علينا» وعند الترمذي «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ عليه وهو على المنبر» وذلك أنه لما أمر النبي ﷺ ابن مسعود بالكف عن القراءة لم يتنبه فغمزه بعض من حوله.

الثامنة: قوله «فإذا عيناه تذر فان» أي تدمعان وهذا دليل على استحباب البكاء من خشية الله حين سماع القرآن وإن كان يراه الناس.

٨٩- [باب ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من

الغائط﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ ينهى جل وعلا عباده عن الصلاة في حال السكر وسواء كان ذلك السكر من شراب أو غيره من أنواع الخمر وهذا قبل تحريم الخمر يوضحه ما أخرجه ابن جرير عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فخلط فيها فنزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾.

قوله ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ هذه هي الغاية التي لا يحل للسكران قربان الصلاة دونها. والمعنى حتى تعوا ما أمرتم به في صلاتكم من الأقوال والأفعال سنة أو واجباً وخص الأقوال بالذكر لأنها الأغلب في الصلاة.

قوله ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾ يعني ولا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم جنب حتى تغتسلوا إلا من كان منكم عابر سبيل فإنه يحل له ذلك وهذا ما اختاره ابن جرير (٤/١٠٠) وأخرجه عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وأبي الزبير وغيرهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في المسجد، ويشهد له ما رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه عن عطاء قال: رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون في المسجد وهم مجنبون، إذا توضؤوا وضوء الصلاة. وعزاه ابن كثير إلى

الإمام أحمد وقال بعد سياقه بإسناد سعيد بن منصور: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

قلت: وهذا دليل على أن أولئك الرجال فهموا من نهي الجنب عن اللبث في المسجد حتى يتوضأ وضوء الصلاة. وعندني أن هذا محمول على الكراهة والتنزه، ويؤيده ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب فانحنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال كنت جنباً فكرهت أن أجالسك على غير طهارة فقال: سبحان الله إن المسلم لا ينجس.

ثم شرع جل ذكره في بيان من يسوغ لهم التيمم وإليك تفصيل ذلك:
قوله ﴿وإن كنتم مرضى﴾ يعني إن كان بكم مرض يحول بينكم وبين التطهر بالماء فقد أباح للمريض التيمم لعله المرض إذا كان في التطهر بالماء مشقة.
قوله ﴿أو على سفر﴾ أي في حال سفر.

قوله ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ «وهو ما اتسع من الأودية وتصوّب، قلت: أي انخفض وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان؛ لأن العرب كانت تعتاد قضاء حاجتها في الغيطان فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك فقيل لكل من قضى حاجته التي كانت تقضى في الغيطان حيث قضاها من الأرض: متغوط جاء فلان من الغائط يعني به قضى حاجته التي كانت تقضى في الغائط من الأرض». انتهى محل الغرض قاله ابن جرير.

قوله ﴿أو لامستم النساء﴾ الملامسة هي في الأصل اللمس باليد أو غيرها من الجسد والمراد بها هنا الجماع على التحقيق لما رواه أحمد وابن جرير وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ. وعن أم سلمة عند ابن جرير أن رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءاً.

قوله ﴿فلم تجدوا ماء فتيّموا صعيداً طيباً﴾ فيه أربعة أمور:

الأول: النص على اشتراط عدم الماء في التيمم، واعلم أن ذلك ليس خاص بالمسافر ومن جاء من الغائط ولامس النساء وإنما قلنا ذلك لحديث جابر وابن عباس في صاحب الشجة فإنه مع قوله تعالى ﴿فلا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ دليل على إباحة التيمم لمن خاف الضرر باستعمال الماء من أجل المرض وهذا هو مذهب أحمد ومالك والشافعي وأكثر العلماء.

الأمر الثاني: في معنى التيمم فإنه في اللغة القصد يقال: تيممت الشيء ويمته أي قصده قال ابن مالك:

وكلمة بها كلام قد يؤم.

يعني يقصد وفي الشرع "قصد الصعيد الطاهر على هيئة مخصوصة بدلا من

الماء".

الثالث: في معنى الصعيد وسيأتي بيان معناه.

الرابع: في معنى الطيب فإنه يعني به ما كان من التراب وما علا من الأرض

نقياً من الأقدار والأخبث.

قوله ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ يعني إذا قصدتم الصعيد للتطهر به

بدل الماء فيكفي في ذلك أن تمسحوا به وجوهكم وأيديكم وستأتي صفة التيمم

مع شروطه في الباب العاشر بعد المائة.

قوله ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾ أي كثير العفو والمغفرة ومن عفوه عن

هذه الأمة أن شرع لها التيمم بالتراب بدلاً من الماء حال عدم وجوده أو العجز

عن استعماله رحمة بهم وتيسيراً عليهم.

تفسير جملة من الكلمات:

١- [صعيداً وجه الأرض].

ش/ قاله أبو عبيدة، وفيه خمسة أقوال حكاه ابن جرير.

أحدها: أنها ليس فيها شجر ولا نبات وهو قول قتادة.

وثانيها: أنه الأرض المستوية وبه قال ابن زيد.

وثالثها: التراب وهو قول عمرو بن قيس الملائي.

ورابعها: مثل قول أبي عبيدة ولم يعزه إلى أحد.

وخامسها: أنه وجه الأرض ذات التراب والغبار ولم يعزه إلى أحد أيضاً.

واختار أن الصواب هو وجه الأرض الخالية من النبات والغروس والبناء

المستوية.

٢- [وقال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهنمة واحد،

وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهاناً ينزل عليهم الشيطان].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي الزبير أنه سمع جابراً فذكره.

٣- [وقال عمر: الجبت السحر والطاغوت الشيطان].

ش/ أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن المثني، ثنا محمد بن أبي عدي، عن

شعبة، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد قال: عمر فذكره.

وبه قال مجاهد والشعبي وهو أحد أقوال تسعة حكاهما في الآية.

ثانيها: أنها صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وهو قول

عكرمة.

وثالثها: أن الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أن الجبت الساحر والطاغوت الشيطان وهو قول زيد بن أسلم.

وخامسها: أن الجبت الساحر والطاغوت الكاهن وبه قال سعيد بن جبير

ورفيع أبو العالية.

وسادسها: أن الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن. وهو قول قتادة

والسدي.

وسابعها: أن الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان. وبه قال محمد ولعله ابن

سيرين وسعيد بن جبير في الرواية الثانية.
وثامنها: أن الجبب حبي بن أخطب والطاغوت كعب بن أشرف وهو قول الضحاك وابن عباس في الرواية الثانية عنه.
وتاسعها: أن الجبب كعب بن الأشرف والطاغوت الشيطان وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه واختار ابن جرير أن الجبب والطاغوت تصدق على ذلك كله.

٤- [وقال عكرمة: الجبب بلسان الحبشة شيطان، والطاغوت الكاهن].
ش/ قال عبد: ثنا أبو الوليد، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن عكرمة به.
حكاه في التعليق (١٩٦/٤).
قلت: وهذه إحدى الروايتين عنه وقد تقدمت الأخرى في حكاية ابن جرير.

والآية المشار إليها بهذه الآثار: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾.
١٠٤- حدثنا محمد^(١)، أخبرنا عبدة^(٢)، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء ولم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء فأنزل الله يعني آية التيمم.
ش/ فيه خمس مسائل:

- (١) هو أبو جعفر محمد بن سلام بن الفرغ السلمي مولا هم البيكندي، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله خمس وستون (خ).
(٢) هو أبو محمد عبدة بن سليمان الكلابي الكوفي، يقال اسمه عبد الرحمن، ثقة ثبت من صغار الثامنة، مات سنة سبع ومائتين [ومائة] وقيل بعدها (ع).

الأولى: قوله: «هلكت قلادة لأسماء» قلت: قلادة المرأة ما تحيط به عنقها من ذهب أو فضة أو خرز غير خيط مفتول أو سلسلة من ذهب أو فضة، ومعنى (هلكت) سقطت أو ضاعت كما في بعض طرق الحديث، وأسماء هي بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة عاشت مائة سنة، وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.

الثانية: قوله: «فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالاً» يعني أرسل في طلب تلك القلادة المفقودة.

وقوله: (رجالاً) قلت: روى أبو داود في التيمم من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبدة وعبد الله بن محمد النفيلي عن أبي معاوية كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكر الحديث مختصراً وفيه «بعث رسول الله ﷺ أسيد بن حضير وأناساً معه».

الثالثة: قوله «فحضرت الصلاة» قلت: بينها برواية ابن وهب عن عمرو بن الحارث المصري، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه فقال: «فحضرت الصبح» يعني صلاتها.

الرابعة: قوله ((لم يجدوا ماء فصلوا وهم على غير وضوء)) فيه دليل على أن التيمم لم يشرع حين ذلك ولو كان مشروعاً لتيمموا لعدم الماء.

الخامسة: قوله ((فأنزل الله يعني آية التيمم)) قلت: فيه النص على وقت شرعية التيمم وسيأتي تفصيل ذلك.

وقوله ((آية التيمم)) بينها في تفسير سورة المائدة وسوف يأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

٩٠- [باب قوله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يقول جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقتم بوحداية الرب تعالى وانقدتم لذلك أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بامتنال كل أمر واجتناب كل نهي، وهذه الطاعة واجبة وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة في العبادات والمعاملات، وفي هذا الأمر دليل على وجوب الإخلاص لله والمتابعة لرسوله إذ الطاعة شاملة للظاهر والباطن.

قوله ﴿وأولي الأمر منكم﴾ يعني وأطيعوا أولي الأمر منكم وهم الذين ولوا أموركم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٣٦٢/١): «وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده». انتهى محل الغرض.

قلت: واعلم أن هذه الطاعة التي أمر الله بها لولاة الأمور ليست مطلقة بل مقيدة، وذلك القيد هو عدم أمرهم بمعصية الله ومن الدليل على ذلك ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية»، وإن قلت: كيف أعاد الفعل (أطيعوا) مع الرسول ولم يعده مع أولي الأمر؟

فالجواب: لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر

بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله.

قوله ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ يعني إذا تشاجرتم وتخاصمتم في شيء يعني أي أمر وسواء كان ذلك في العبادة أو المعاملة فردوه أي ارجعوا فيه وفي حكمه إلى الله يعني إلى كتابه وإلى الرسول.

قال أهل العلم: الرد إلى الرسول يكون إلى شخصه في حياته وبعد مماته إلى

سنته.

فتبين أن الحق جل وعلا أمر العباد برد النزاع في أصول الدين وفروعه إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وأنه لا حجة في قول أحد من البشر كائناً من كان إذا أخطأ النص، وعلى ذلك اتفقت كلمة أهل الحق وأئمة الإسلام المعتبرين؛ لأن النص هو أحد الميزانين اللذين عليهما مدار الحكم في الأقوال والأعمال، والميزان الآخر الإجماع فإنه حجة بنفسه فمن وافق في أقواله وأفعاله أحد هذين الميزانين فقد أصاب الحجة وسلك المحجة.

قوله ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يقول جل علاه: إن كنتم مؤمنين حقاً بالله وبلقائه فردوا النزاع والخلاف إلى الله وإلى الرسول. ويفهم من الآية أن من لم يرد النزاع في الأحكام إلى الله والرسول فليس مؤمناً حقاً.

قوله ﴿ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾ الإشارة بذلك زاجعة إلى رد النزاع إلى الله ورسوله، والمعنى أن ذلك الرد المأمور به في الآية خير للعباد والبلاد في العاجل والآجل وهو أحسن عاقبة في الدنيا والآخرة؛ لأنه حكمٌ بشرع الله ولا يصلح للعباد والبلاد سواه؛ لأنه تنزيل من لدن حكيم خبير.

فائدة:

اعلم هديت إلى مرشد أمورك والصواب في الأقوال والأعمال أن هذه الآية متضمنة، أمر الله جل وعلا عباده بلزوم الجماعة ونهيه عن الفرقة ألا تراه دعاهم أولاً إلى طاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، ثم أمرهم ثانياً ببرد ما

تنازعوا فيه إلى الله وإلى رسوله ثم أخبرهم ثالثاً أن ذلك الرد شرط في الإيمان وفي الباب قول نفيس ننقله لك مع اختصار وتصرف من كتاب «الشريعة» لمحمد بن الحسين الآجري - رحمه الله - حيث قال في (ص ٣):

«إن الله بمنه وفضله أخبرنا في كتابه عن تقدم من أهل الكتابين اليهود والنصارى: أنهم إنما هلكوا بما افترقوا في دينهم، وأعلمنا مولانا الكريم: أن الذي حملهم على الفرقة عن الجماعة والميل إلى الباطل، الذي نهوا عنه: إنما هو البغي والحسد بعد أن علموا ما لم يعلمه غيرهم، فحملهم شدة البغي والحسد إلى أن صاروا فرقاً فهلكوا، فحذرنا مولانا الكريم في كتابه عن ذلك . قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه - إلى قوله - إلى صراط مستقيم﴾ وقال عزوجل: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ وقال عزوجل في سورة لم يكن ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم اليئنة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ . . . فأعلمنا مولانا الكريم أنهم أوتوا علماً، فبغى بعضهم على بعض وحسد بعضهم بعضاً، حتى أخرجهم ذلك إلى أن تفرقوا فهلكوا.

فإن قال قائل: فأين المواضع من القرآن التي نهانا الله عزوجل فيها أن نكون مثلهم، حتى نحذر ما حذرنا مولانا من الفرقة، بل نلزم الجماعة ؟ قيل له: قال الله عزوجل في سورة آل عمران: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله

لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿١٠٠﴾ . وقال عزوجل في سورة الأنعام ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ . وقال عزوجل في حم عسق ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ .
فهل يكون من البيان أشفى من هذا عند من عقل عن الله عزوجل ؟ وقد مر ما حذرناه مولانا الكريم من الفرقة.

ثم اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أن الله عزوجل قد أعلمنا في كتابه: أنه لا بد من أن يكون الاختلاف بين خلقه، ليضل من يشاء ويهدي من يشاء، جعل الله عزوجل ذلك موعظة يتذكر بها المؤمنون، فيحذرون الفرقة، ويلزمون الجماعة، ويدعون المرء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يتدعون.

فإن قال قائل: أين هذا من كتاب الله عزوجل ؟

قيل له: قال الله عزوجل في سورة هود ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ الآية .

ثم إن الله عزوجل أمر نبيه ﷺ أن يتبع ما أنزل إليه ولا يتبع أهواء من تقدم من الأمم فيما اختلفوا فيه، ففعل ﷺ وحذر أمته الاختلاف والاعجاب بالرأي، واتباع الهوى، قال الله عزوجل في سورة حم الجاثية: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين

وآتيانهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴿ثم قال عز وجل ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ .

فإن قال قائل: أذكر لنا من سنن رسول الله ﷺ أنه حذر أمته ذلك .

قيل له: نعم . وواجب عليك أن تسمعه، وتحذر الفرقة، وتلزم الجماعة وتستعين بالله العظيم جل جلاله على ذلك .

عن زر بن حبیش عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد بجبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد .

وعن الحارث الأشعري حدثه: أن النبي ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن - وذكر الحديث بطوله - وقال رسول الله ﷺ وأنا أمركم بخمس، أمرني الله عز وجل بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله عز وجل. فمن فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يراجع) . - قلت: ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات فميتته جاهلية).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقرأ ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ ثم خط حوله خطاً وخطاً خطوطاً، ثم قال: هذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه

شيطان يدعوا إليه .

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليه أصحابه، فإننا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء/ فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح . وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: أحدثت بهذا محمداً؟ قلت: لا . قالت: فحدثه إذن .

قال محمد بن الحسين: علامة من أراد الله عزوجل به خيراً: سلوك هذه الطريق كتاب الله عزوجل، وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومن كان مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء».

- وههنا سؤال هام جدير بالإجابة وهو: عرفونا هذه الجماعة التي قام الدليل صراحة على وجوب لزومها من الكتاب والسنة والمأثور عن الأئمة.

فالجواب :

«اختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة

أقوال:

أحدها: أنها السواد الأعظم، ومن خالفهم في شئ من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم مات ميتة جاهلية.

ومن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود.

قال ابن مسعود : عليكم بالسمع والطاعة؛ فإنها حبل الله الذي أمر به ثم

قبض يده وقال: إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبون في الفرقة.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلمائها وأهل الشريعة

العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم؛ لأنهم تابعون لهم، ومقتدون

بهم، فكل من خرج عن جماعتهم؛ فهم الذين شدوا، وهم نهيبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، لأن جماعة الله العلماء، جعلهم حجة على العالمين، فمعنى قوله: (لن تجتمع أمي): لن يجتمع علماء أمي على ضلالة.

وممن قال بهذا عبدا لله بن المبارك وإسحاق بن راهوية وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين.

فقيل لعبدا لله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر... فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد. فقيل: هؤلاء ماتوا، فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري.

الثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص. وممن قال بهذا القول: عمر بن عبدالعزيز.

فعلى هذا القول؛ فلفظ (الجماعة) مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه السلام (ما أنا عليه وأصحابي).

الرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام؛ إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه السلام ألا يجمعهم على ضلالة.

وكان هذا القول يرجع إلى الثاني، أو يرجع إلى القول الأول، وهو الأظهر. وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصداً؛ فهم إذا الفرقة الناجية.

الخامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه السلام بلزومه، ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليه؛ لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين: إما النكير عليهم في طاعة أميرهم، والظعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين؛ كالحروية التي أمرت الأمة بقتالها، وسماها (النبي) مارقة من الدين، وإما لطلب إمارة مع انعقاد البيعة لأمر الجماعة؛ فإنه نكث عهد ونقض

عقد بعد وجوبه، وقد قال ﷺ : (من جاء إلى أمي ليفرق جماعتهم؛ فاضربوا عنقه كائناً من كان).

قال: وقد بين ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فروي عن عمرو بن ميمون الأودي؛ قال: قال عمر حين طعن لصهيب: صل بالناس ثلاثاً، وليدخل علي عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن، وليدخل (ابن) عمر في جانب البيت، وليس من الأمر شيء، فقم يا صهيب علي رؤوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد؛ فاجلد رأسه بالسيف... الخبر.

قال الشاطبي: وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارجة عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة؛ كالخوارج ومن جرى مجراهم. انتهى من كتاب (الاعتصام) للشاطبي مع اختصار وتصرف، فراجع إن شئت في (٧٧٠/٢) وما بعدها.

قال مقيده :

وهذه الأقوال متفقة غير متفرقة ومؤتلفة غير مختلفة، وإن كان أجمعها عندنا ما اختاره ابن جرير ، ووصف هذه الجماعة والله الحمد والمنة منطبق تماماً علينا أهل الحرمين ومن جاورنا من أرض الجزيرة المعروفة بـ(المملكة العربية السعودية) - حرسها الله وسائر بلاد المسلمين - فإنه منذ نشأت دولتنا وولي الأمر مبايع على الكتاب والسنة، واجتمع له على ذلك العامة والخاصة.

١٠٥- حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن يعلى بن مسلم^(١)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

(١) هو يعلى بن مسلم بن هرمز المكي، أصله من البصرة، ثقة من السادسة. خ.م.د.ت.س.

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث والمطابق للترجمة وقد مضى تفسيره.

الثانية: قوله «﴿نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي﴾» قلت: هو أبو حذافة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سَعِيد بالتصغير ابن سعد بن سهم القرشي السهمي من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. أخرج له النسائي.

الثالثة: قوله «﴿إذ بعثه النبي ﷺ في سرية﴾» قال ابن سعد (١٦٣/٢): «ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة ترآهم أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمي فيهم فأمره على من تعجل، وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون فقال: عزمت عليكم إلا توابتم في هذه النار فقام بعض القوم فاحتجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال: اجلسوا إنما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه».

وروى ابن ماجه في الجهاد باب لا طاعة في معصية الله، وغيره عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث، وأنا فيهم، فلما انتهى إلى رأس غزاته أو كان ببعض الطريق استأذنته طائفة من الجيش فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه، فلما كنا ببعض الطريق أوقد القوم ناراً ليصطلوا أو ليصنعوا عليها صنيعاً فقال عبد الله وكانت فيه دعابة: أليس لي عليكم السمع والطاعة قالوا: نعم. قال: فإني أعزم

عليكم إلا توابتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا فلما ظن أنهم واثبون قال: أمسكوا على أنفسكم فإنما كنت أمزح معكم، فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه».

قلت: فتحصل بما سقناه من الأخبار أربعة أمور:

الأول: أن الأمير على تلك السرية هو علقمة المدلجي.

الثاني: أنها في ربيع الآخر من سنة تسع لنجدة أهل جدة.

الثالث: أن إمارة عبد الله بن حذافة رضي الله عنه كانت بتأمر علقمة له

على المتعجلين من جنده.

الرابع: بيان السبب الذي نزلت فيه الآية وهو صنيع عبد الله بن حذافة مع جنده حين أوقدوا النار وأمرهم باقتحامها على سبيل المداعبة. وإن قال أحد من الناس يشكل على ما ذكرتم من تحديد أمير السرية وصنيع ابن حذافة ما رواه البخاري وغيره عن علي رضي الله: (بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا إلي حطباً فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً. فأوقدوها. فقال: ادخلوها. فهموا وجعل بعضهم يمكس بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي من النار فما زالوا حتى حمدت النار. فسكن غضبه فبلغ النبي ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف).

فالجواب: أنه لا إشكال في الظاهر وذلك لجواز أن يكون كلاً من الأمرين

صنع مع قومه ذلك الصنيع والله أعلم.

ومن فوائد هذه الأخبار غير ما تقدم:

أولاً: سرعة امتثال أصحاب النبي ﷺ أمر أميرهم كما هو واضح من فعل

جند بن حذافة وذلك لما تقرر عندهم أنه من أصول دينهم ومعتقدهم.

ثانياً: وجوب طاعة الأمير في غير معصية الله وقد تواتر بذلك النقل عن

رسول الله ﷺ وأجمع عليه أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وأئمة الدين من أصحاب النبي ﷺ وأئمة التابعين ومن بعدهم ففي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن... الحديث. وفيه: قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله أفنابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، فإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة. رواه مسلم.

قال مقبده: وفي الحديثين فقه عظيم يجب على طالب السنة العمل به ومن ذلك الفقه تلخيص ما يلي.

أولاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم حين فشوا الفتن وكثرة الخبث وانتشار الضلالات.

ثانياً: الكف عن الخوض في الفتن واعتزال فرق الضلال.

ثالثاً: تسمية الجماعات الضالة فرقاً «فاعتزل تلك الفرق كلها».

رابعاً: كراهية معصية الأمير مع وجوب السمع والطاعة له في طاعة الله.

قال مقبده: وهاتين ثلاثاً أسئلة جديدة بالعبارة فتظن إليها واصغ سمعك إلى

جوابها.

السؤال الأول: ما حق الإمام على رعيته؟

السؤال الثاني: ما حق الرعية على إمامها وولي أمرها؟.

السؤال الثالث: كيف تصنع الرعية إذا بخسها الإمام حقها أو منعها إياه بالكلية؟.

فللجواب على السؤال الأول نقول:

اعلم أن حقوق الإمام على رعيته عشرة:

أولها: بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً في كل ما يأمر به أو ينهى عنه إلا أن يكون معصية، وقد أوجب الله ورسوله طاعة ولي الأمر ولم يستثن منه سوى المعصية فبقي ما عداه على الامتثال.

وثانيها: بذل النصيحة له سراً وعلانية، قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة

قالوا لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

قلت: ويوضح نصيحة الحاكم ما رواه ابن أبي عاصم وغيره عن عياض بن

غنم أن رسول الله ﷺ قال: (من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يدها علانية وليأخذ بيده وليخل به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى ما عليه) فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ وكل قول خالف قوله فهو مردود .

وثالثها: القيام بنصرته باطناً وظاهراً ببذل الجهود في ذلك لما فيه نصر

المسلمين وإقامة حرمة الدين وكف أيدي المعتدين .

ورابعها: أن يعرف له عظيم حقه وما يجب من تعظيم قدره فيعامل بما يجب

له من الاحترام والاكرام وما جعل الله تعالى له من الإعظام ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة .

قلت: فلا تغتر بما يرويه بعض أهل الأهواء من تصرفات العز بن عبدالسلام

مع الحكام المنافية لهذا .

وخامسها: إيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته، شفقة عليه، وحفظاً لدينه وعرضه وصيانة لما جعله الله إليه من الخطأ فيه.

وسادسها: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يخاف عليه منه، ومن كل شيء يخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من أكد حقوقه وأوجبها.

وسابعها: إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته .

قلت: وذلك متواتر من فعل أصحاب النبي ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه: لأي شيء يصنع ذلك . فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن عزوجل فأنا أحب أن أقرأ بها). فقال رسول الله ﷺ أخبروه أنه الله تعالى يحبه .

ومن ذلك قصة عمرو بن العاص حين صلى بأصحابه الصبح وهو جنب ولم يغتسل خشية البرد وهي في السنن.

وثامنها: إعانتة على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر المكنة، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾. وأحق من أعين على ذلك ولاية الأمور.

وتاسعها: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة .

وعاشرها: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلانية .

وإذا وفيت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة، وأحسنتم القيام بمجامعتها

والمراعاة لمواقعها، صفت القلوب، وأخلصت، واجتمعت الكلمة وانتصرت. انتهى ملخصاً من تحرير الأحكام، بتصريف .

أما الجواب على السؤال الثاني:

فذكرك بأن حقوق الرعية على إمامها عشرة حقوق وهي:

الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها، إما في كل إقليم إن كان خليفة، أو في القطر المختص به إن كان مفوضاً إليه، فيقوم بجهاد المشركين ودفع المحاربين والباغين، وتدبير الجيوش، وتجنيد الجنود، وتخصيص الثغور بالعدة المانعة والعدة الدافعة، وبالنظر في ترتيب الأجناد في الجهات على حسب الحاجات وتقدير إقطاعهم، وأرزاقهم، وصلاح أحوالهم.

الحق الثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة، ورد البدع والمبتدعين وإيضاح حجج الدين، ونشر العلوم الشرعية وتعظيم العلم وأهله، ورفع مناره ومحله، ومخالطة العلماء الأعلام، النصحاء لدين الإسلام ومشاورتهم في موارد الأحكام ومصادر النقص والإبرام .

الحق الثالث: إقامة شعائر الإسلام: كفروض الصلوات، والجمع والجماعات، والأذان والإقامة، والخطابة، والإمامة، ومنه النظر في أمر الصيام والفطر، وأهلته، وحج البيت الحرام وعمرة .

ومنه: الاعتناء بالأعياد، وتيسير الحجيج من نواحي البلاد، وإصلاح طرقها وأمنها في مسيرهم، وانتخاب من ينظر أمورهم.

الحق الرابع: فصل القضايا والأحكام، بتقليد الولاية والحكام لقطع المنازعات بين الخصوم، وكف الظالم عن المظلوم، ولا يولي ذلك إلا من يثق بديانته وأمانته وصيافته من العلماء والصلحاء، والكفاة النصحاء، ولا يدع السؤال عن أخبارهم والبحث عن أحوالهم، ليعلم حال الولاية مع الرعية، فإنه مسؤول عنهم، مطالب بالجناية منهم .

قال رسول الله ﷺ: (كل راع مسؤول عن رعيته) .

الحق الخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه، وبجيوشه أو سراياه وبعوثه.

الحق السادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية، صيانة لمحارم

الله عن التجريء عليها، ولحقوق العباد عن التخطي إليها .

ويسوي في الحدود بين القوي والضعيف، والوضيع والشريف.

الحق السابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفئ والحراج عند

محلها، وصرف ذلك في مصارفه الشرعية، وجهاته المرضية، وضبط جهات ذلك،

وتفويضه إلى الثقات من العلماء .

الحق الثامن: النظر في أوقاف البر والقربات، وصرفها فيما هي له من

الجهات، وعمارة القناطر وتسهيل سبل الخيرات.

الحق التاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى

مستحقيها .

الحق العاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ وقال تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ . انتهى

ملخصاً من تحرير الأحكام بتصرف .

وأما جوابنا على السؤال الثالث: وهو كيف تصنع الرعية إذا بخسها

الإمام حقها... الخ.

فنقول: لا عليك فقد كفيت البيان ممن جعله الله معدن البيان:

فقد أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: (إنها تكون

بعدي أثره وأمر تنكرونها قالوا يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك

قال: تأدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم) .

قال النووي في شرحه على هذا الحديث في صحيح مسلم (٢٣٢/١٢):

«هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً ووجد مخبره متكرراً وفيه

الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه» .

وأخرج الإمام مسلم في باب: يصير على أذاهم وتؤدى حقوقهم من كتاب الإمارة والبيعة، عن وائل بن حجر سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض ثم سأله في الثانية أو الثالثة فحدثه الأشعث بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم). قال القرطبي في المفهم (٤/٥٥): «يعني أن الله تعالى كلف الولاة العدل وحسن الرعاية وكلف المولى عليهم الطاعة وحسن النصيحة فأراد أنه إن عصى الأمراء الله فيكم ولم يقوموا بحقوقكم فلا تعصوا الله أنتم فيهم وقوموا بحقوقهم فإن الله مجاز كل واحد من الفريقين بما عمل».

تنبيه

قال الحافظ: «وقد روى الطبري أن هذه الآية - يعني آية الباب - نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما فنزلت» فالله أعلم.

قلت: والحديث أخرجه ابن جرير عن السدي الكبير وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة عن خالد بن الوليد وفي هذا الإسناد علتان:

الأولى: الانقطاع فإن المزي لم يذكر في تهذيبه خالد بن الوليد في مشايخ السدي ولم يذكر السدي في رواية خالد وعلى هذا فهو لم يسمع منه.

والثانية: أن راوية السدي أسباط بن نصر الهمداني صدوق كثير الخطأ ويغرب ويدل على أنه وهم فيه وأخطأ أن الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٩٠/٤) والحاكم في المستدرک (٣/٣٨٩) والطبراني (٤/رقم ٣٨٣٠) والطيالسي (رقم ١١٥٦) كلهم عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأشتر واسمه مالك بن الحارث عن خالد بن الوليد مقتصرين على ذكر القصة دون ذكر سبب نزول الآية.

٩١- [باب ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾].
ش/ تمامها: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

يقسم جل ثناؤه وتعالى ذكره بذاته العلية بأنه لا يتحقق الإيمان الكامل ظاهراً وباطناً إلا بثلاثة أمور وهي:

أولاً: تحكيم النبي ﷺ وذلك بتحكيم شخصه في حياته وتحكيم سنته بعد مماته وهذا التحكيم يجب أن يكون فيصلاً في كل ما شجر بين الناس.

ثانياً: طيب النفوس واتساع الصدور رضاً بحكمه ﷺ.

ثالثاً: الإذعان التام والإنقياد المطلق تسليماً لقضائه.

١٠٦- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنا معمر، عن

الزهري، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرة فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك. فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك. واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

ش/ فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «خاصم الزبير» المخاصمة والخصومة والمنازعة بمعنى وهي

مطالبة أحد الطرفين الآخر بما يراه حقاً له.

وقوله «الزبير» بالرفع كذا ها هنا، وفي رواية الليث في المساقاة باب شرب

الأعلى قبل الأسفل «أن رجلاً من الأنصار خصم «الزبير» بالنصب. وفيها

«فقال الأنصاري: سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ». وهي ظاهرة

أن المخاصم هو الأنصاري.

الثانية: قوله «رجاء من الأنصار» لم أجد فيما وقفت عليه من طرق الحديث تسميته لكن قال القسطلاني: هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل حميد وقيل حاطب بن أبي بلتعة.

قلت: والثالث بعيداً جداً؛ لأن حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش وليس من الأنصار، وله قصة مشهورة يأتي الكلام عليها في سورة الممتحنة إن شاء الله. الثالثة: قوله «شريح من الحرة» قلت: هو مسيل الماء من الحرة إلى السهل والحرة أرض مرتفعة تركبها حجارة سوداء ولم أجد في شيء من طرق الحديث تعيين تلك الحرة.

الرابعة: قوله «اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك» فيه التنصيص على أن مرور الماء أولاً على أرض الزبير قبل أرض الأنصاري، وهذا ظاهر في قوله «اسق ثم ارسل الماء إلى جارك» والمعنى أن رسول الله ﷺ أشار على الزبير أن يروي أرضه بشيء من الماء ثم يطلقه بعد إلى جاره حتى يسق منه.

الخامسة: قوله «أن كان ابن عمتك» بفتح الهمزة أي حكمت له بالتقديم والترجيح؛ لأن كان ابن عمتك وهي صفية بنت عبد المطلب. «ولأبي ذر عن الكشميهني "أن كان" بهمزة مفتوحة ممدودة استفهام إنكاري، وله عن الحموي والمستملي «وأن كان» بواو وفتح الهمزة، ووقع عند الطبري «فقال: اعدل يا رسول الله وأن كان ابن عمتك» أي من أجل هذا حكمت له علي». ذكره القسطلاني.

قلت: وهذه المقولة استنكار الأنصاري لمشورة النبي ﷺ على الزبير نحوه ظناً منه للنبي ﷺ. بحاباة الزبير لمكانته منه فقال ما قال؛ لأن أم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم وهي عمة النبي ﷺ.

السادسة: قوله «فعلون وجهه» أي تغير وجهه ﷺ غضباً من مقولة

الأنصاري لما فيها من التعدي على مقام النبوة وفي هذا دليل على شدة النكير عند إظهار مخالفة السنة غيراً لله ولرسوله ﷺ.

السابعة: قوله «حتى يرجع إلى الجدار» أي يصير إليه، والجذر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة هو المسناه وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل: المراد الخواجز التي تحبس الماء، وحزم به السهيلي، ويروى الجدر بضم الدال حكاه أبو موسى وهو جمع جدار. وقال ابن التين: ضبط في أكثر الروايات بفتح الدال وفي بعضها بالسكون وهو الذي في اللغة، وهو أصل الحائط. وقال القرطبي: لم يقع في الروايات إلا بالسكون، والمعنى أن يصل الماء إلى أصول النخل. حكاه الحافظ.

الثامنة: قوله «واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري» قلت: استوعى: استوفى و(صريح الحكم) أي خالص الحكم المجزوم به قطعاً وأحفظه أي أغضبه وأثاره. ويستفاد من ذلك ثلاثة أمور.

الأول: استحباب عرض الحاكم الصلح على المتخاصمين.

الثاني: التغليظ على المعاند حتى يستوفى منه الحق.

الثالث: أن من مر بأرضه ماء جار فهو أحق به من غيره حتى يروي أرضه.

التاسعة: قوله «فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك» وقع في سكر

الأنهار من المساقاة «والله إني لأحسب هذه الآية» وفي باب شرب الأعلى إلى

الكعبين من رواية ابن جريج «والله إن هذه الآية أنزلت في ذلك».

قلت: وفي هذه الأخيرة نص صريح في أن تلك الحادثة سبب نزول الآية.

تنبيه

في رواية الباب «فما أحسب هذه الآيات» وفي ما عداها عند المصنف

وغيره «الآية» ولم أجد توجيهاً لذلك والله أعلم.

٩٢- [باب ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾]

ش/ قلت الآية ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾.
يخبر جل ثناؤه عن عظيم مثوبته لمن اتصف بطاعته وطاعة رسوله، وتلك المثوبة المعية لأربعة أصناف من الخليقة وهم:

أولاً: النبيون: جمع نبي وهو في اللغة: من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض، أو النبأ وهو الخبر الهائل. وشرعاً: رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه أو جاء بتقرير شريعة سابقة فمن الأول أولوا العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، ومن الثاني: يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وأمثاله من أنبياء بني إسرائيل المبعوثين بتقرير شريعة موسى ﷺ.

ثانياً: الصديقون: جمع صديق وهو المبالغ في الصدق والتصديق، وأعظم صديقي هذه الأمة بعد النبيين والمرسلين هو أبو بكر رضي الله عنه وقد تواتر بفضلله وما يشعر بتقدمه في الخلافة والإمامة النقل عن النبي ﷺ.

ثالثاً: الشهداء: جمع شهيد وهو كل من قتل في سبيل الله إعلاء لكلمته، وإعزازاً لدينه سمي بذلك للشهادة له بالجنة أو لأن الملائكة تشهده.

رابعاً: الصالحون: جمع صالح وهو كل من جمع في أعماله وأقواله التبعية بين أمرين وهما: تجريد الإخلاص لله وحده وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ. ثم ختم جل وعلا الآية بقوله ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ تنبيهاً إلى أن صحبة أولئك المنعم عليهم وهم الأربعة الأصناف السابق ذكرهم بهم يطيب الأنس وتزول الوحشة حين يجد الإنسان غربة في الدين.

١٠٧- حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب^(١)، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه^(٢)، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة» وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» فعلمت أنه خير.

ش/ فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «وكان في شكواه الذي قبض فيه» ولأبي ذر عن الكشميهني «التي قبض فيها» قاله القسطلاني.

قلت: فلا منافاة فالتذكير بالنسبة للمعنى والتأنيث بالنسبة للفظ، والمراد مرض النبي ﷺ الذي مات فيه.

الثانية: قوله «أخذته بحة شديدة» بضم الموحدة وتشديد الحاء المهملة: غلظ صوت وخشونة حلق. وذلك لشدة ما نزل به من المرض ﷺ.

الثالثة: قوله «مع الذين أنعم الله عليهم... الخ» قلت: وأخرج المصنف في باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ من المغازي عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت: إذا لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا

(١) هو محمد بن عبد الله بن حوشب بوزن جعفر الطائفي، نزيل الكوفة، صدوق من العاشرة. خ.

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري البغدادي، ثقة ولي قضاء واسط وغيرها، مات سنة إحدى ومائتين وهو ابن ثلاث وستين. خ. س.

وهو صحيح. قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها «اللهم الرفيق الأعلى». قلت: فتحصل من هذا مع آية الترجمة أن هؤلاء الأصناف الأربعة هم أفضل الخليقة وهم الرفيق الأعلى.

الرابعة: قوله «فعلمت أنه خَيْرٌ» يعني بين الدنيا والآخرة وأنه اختار الآخرة. بل الرفيق الأعلى منها يوضحه ما في رواية الزهري المتقدمة «فقلت: إذا لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح» وعن أبي الأسود في المغازي عن عروة: «أن جبريل نزل إليه في تلك الحالة فخيره» حكاه الحافظ في شرحه لهذا الحديث في المغازي.

قلت: ولعل عروة أخذه عن خالته عائشة فإن كان ذلك وإلا فهو مرسل والله أعلم.

٩٣- [باب ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء﴾].

ش / تمامها: ﴿والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾.

يقول جل ذكره نادياً أهل الإيمان: ما شأنكم ولماذا لا تقاتلون أعداء الله من أهل الكفر في سبيل الله إغزازاً لدينه وإعلاءً لكلمته، ﴿والمستضعفين﴾ أي وما لكم لا تقاتلون ذباً عن إخوانكم الذين استضعفهم المشركون وفتنوهم في دينهم، كي يرتدوا على أعقابهم ويرتكسوا في الكفر وهؤلاء المستضعفين الذين يجب عليكم مناصرتهم واستنقاذهم ممن فتنهم هم من الرجال والنساء والصبيان وليس لهم حول ولا قوة إلا أنهم يدعون ربهم قائلين: ربنا أخرجنا من هذه القرية التي ظلمنا أهلها لما نالنا منهم من الإذلال والقهر، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً.

١٠٨- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عبيد الله^(١) قال:

سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

١٠٩- حدثنا سليمان بن حرب^(٢)، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن

ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله.

ش / فيهما مسألتان:

(١) هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبه، ثقة كثير الحديث، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين [ومائة] وله ست وثمانون. (ع).

(٢) هو سليمان بن حرب الأزدي الواشحي البصري، قاضي مكة، ثقة إمام حافظ، من التاسعة، مات سنة أربع وعشرين [ومائتين] وله ثمانون سنة. ع.

الأولى: قوله «من المستضعفين» زاد في رواية علي بن عبد الله في الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه «أنا من الولدان وأمي من النساء».

قلت: واسم أم ابن عباس: لبابة بنت الحارث الهلالية وهي أخت ميمونة زوج النبي ﷺ أسلمت قبل الهجرة، روت عن النبي ﷺ وروى عنها ابناها عبد الله وتمام، وعمير بن الحارث مولاها، وكريب وآخرون، توفيت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس رضي الله عن الجميع.

الثانية: قوله «من عذر الله» يعني سقوط وجوب الهجرة.

وفي الحديث والذي قبله دليل على أن الصبي يتبع المسلم من أبويه قاله الداودي.

قلت: وسيأتي الحديث ضمن الباب المائة.

شرح جملة من الكلمات:

١- [ويذكر عن ابن عباس: حصرت ضاقت].

ش/ قلت: أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ثم قال: وروي عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة مثل ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾.

٢- [تلووا] ألسنتكم بالشهادة].

ش/ أخرجه ابن جرير، ثني المثني، ثنا عبد الله بن صالح، ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. وأخرج في المعنى عن مجاهد وقيادة والسدي وابن زيد وعطية والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون

خيراً﴾.

٣- [وقال غيره: المراغم المهاجر. راغمت: هاجرت قومي].

ش/ يعني غير ابن عباس وهو أبو عبيدة في مجاز القرآن وزاد: وهي المذاهب

قال النابغة الجعدي:

كطود يلاذ بأركانها عزيز المراغم والمهرب

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي

الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.

٤- [﴿موقوتاً﴾ موقتاً وقته عليهم].

ش/ قاله أبو عبيدة.

قلت: والكلمة من قوله تعالى ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.

قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج. وقال زيد ابن أسلم: منجماً

كلما مضى نجم جاء نجم آخر. أخرجه عنهما ابن جرير.

٩٤- [باب ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا﴾].
ش/ تمامها: ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد
له سبيلاً﴾

قوله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ يعني تعالى ذكره ما شأنكم وما حملكم
يا أهل الإيمان على النزاع والاختلاف في أمر المنافقين فصرتم إلى فئتين مختلفتين
على ما سيأتي تفصيله في حديث الباب.
قوله ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾.

قال ابن جرير: «يعني بذلك والله ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة
دمائهم، وسبي ذراريهم، والإركاس: الرد ومنه قول أمية بن أبي الصلت:
فأركسوا في حميم النار أنهم كانوا عصاة وقالوا الإفك والزوراء
يقال منه أركسهم وركسهم» اهـ.

قلت: وهذا بناء على ما أخرجه عن مجاهد قال: قوم خرجوا من مكة حتى
أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، فاستأذنوا النبي ﷺ إلى
مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المؤمنون. ويقرب منه ما
أخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة أنها كانت في اختلافهم في قوم من أهل
الشرك كانوا أظهروا الإسلام بمكة، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين.

قوله ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله﴾ هذا سؤال استنكاري والمعنى
أتبغون يا أهل الإيمان أن تكسبوا من حقت عليه الضلالة بهدايته إلى الحق فإن
ذلك لا سبيل لكم إليه وقد قدر الله عليه الضلالة.

قوله ﴿ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ إخبار منه جل وعلا بأنه لا
سبيل إلى هداية من حقت عليه الضلالة وغلبت عليه الشقوة في علم الله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب الحب في الله والبغض في الله.

ثانياً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.
 ثالثاً: أن هداية التوفيق لا يملكها أحد من البشر.
 شرح جملة من الكلمات:

١- [قال ابن عباس: أركسهم بددهم].

ش/ أخرجه ابن جرير، ثنا الحسن، ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بلفظ: ردهم.

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى أوقعهم وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أضلهم وأهلكهم وهو قول قتادة.

قلت: وكلها صحيحة ولا تنافي بينها.

٢- [﴿فئة﴾ : جماعة]

ش/ قاله أبو عبيدة عند تفسير الآية التاسعة والأربعين بعد المائتين من سورة

البقرة

١١٠- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، وعبد الرحمن قالوا: حدثنا

شعبة، عن عدي، عن عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه:

﴿فما لكم في المنافقين﴾ رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد، وكان

الناس فيهم فرقتين فريق يقول: اقتلهم وفريق يقول: لا. فنزلت ﴿فما لكم في

المنافقين ففتين﴾ وقال: إنها طيبة تنفي الحث كما تنفي النار حث الفضة.

ش/ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: النص على أن سبب نزول آية الترجمة هو اختلاف المسلمين في

شأن من رجع من المنافقين عن القتال يوم أحد وهؤلاء المنافقون هم عبد الله بن

أبي بن سلول وأصحابه. وقد روى ابن جرير حديث زيد هذا ضمن خمسة أقوال

في الآية واختار قول من قال: نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله

ﷺ في قوم كانوا ارتدوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة. ثم قال: وإنما

قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن اختلاف أهل ذلك إنما هو على قولين: التأويل في أحدهما أنهم قوم كانوا من أهل مكة على ما قد ذكرنا الرواية عنهم، والآخر أنهم قوم كانوا من أهل المدينة، وفي قول الله تعالى ذكره ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا﴾ أوضح الدليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة؛ لأن الهجرة كانت على عهد رسول الله ﷺ إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر. فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيماً من المنافقين وأهل الشرك فلم يكن عليه فرض هجرة؛ لأنه في دار الهجرة كان وطنه ومقامه.

قلت: ولا مانع أن تكون جميع الحوادث المذكورة سبباً لنزول الآية والله أعلم.

الثانية: قوله «إنها طيبة» يعني المدينة وطيبة بسكون الياء اسم من أسماء المدينة ومن أسمائها طابة، والدار، والمدينة النبوية.

الثالثة: قوله «تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة» ورواه مسلم في الحج باب المدينة تنفي شرارها من طريق عبيد الله بن معاذ - وهو العنبري - حدثنا أبي حدثنا شعبة، عن عدي بن ثابت سمع عبد الله بن يزيد، عن زيد بن ثابت. ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن غندر، عن شعبة به، وأخرجه المصنف في غزوة أحد من طريق ابن الوليد عن شعبة بلفظ «تنفي الذنوب» وفي فضائل المدينة باب المدينة تنفي الخبث من رواية سليمان بن حرب عن شعبة بلفظ «تنفي الرجال» ويرجح حديث الباب أمران.

أحدهما: أن غندر وهو محمد بن جعفر أثبت في شعبة.

وثانيهما: ما أخرجه المصنف عن جابر رضي الله عنه: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محموماً فقال: أقلني. فأبى - ثلاث مرار - فقال: المدينة كالكبير تنفي خبثها وينعم طيبها. انتهى.

من فقه الحديث

أولاً: حماية الله للمدينة وتطهيره إياها من الأخباث كما تطهر النار الحديد من الخبث وهو الوسخ والقدر.

ثانياً: وجوب إحترام المدينة وتنزيهها من أي شكل من أشكال الفسق والفجور.

ثالثاً: أن النفاق كفر في الباطن.
رابعاً: ذم التراجع عن القتال حال المصافة.

٩٥- [باب ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾].

ش / تمامها: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.
قوله ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾ - إلى قوله - ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٣٧٧/١): «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا، غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضررها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم، وتحزناً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان أم لا؟ فيحجم عنه».

قوله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ - إلى قوله - ﴿قليل﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين وهو عام في كل من يصلح له الخطاب إذ العبرة بعموم اللفظ. والمعنى لولا ما من الله به عليكم ووفقكم إليه من سداد الرأي في الأقوال والأفعال ومن ذلك الثبوت في نقل الأخبار وعدم نشر ما يختص بالعامية ورده إلى

أهله من أولي الأمر لا تَبْعُثُ الشيطان. ومن ذلك الاتباع ما ينتج عن إشاعة الأمن والخوف بين العامة من غير روية ﴿إلا قليلاً﴾ يقول إلا قليلاً منكم وهم من أوتوا ثاقب الفقه ونير البصيرة في استنباط الأمور فيضعون كل شيء في موضعه.

ما تفيد به الآية

- ١- سعة رحمة الله بعباده وشعولهم بفضله وإنعامه.
- ٢- وجوب رد أخبار الولاية إلى أهلها وأن التسرع في نشر ذلك دون الرجوع إليهم من مداخل الشيطان.
- ٣- ليست العبرة في إصابة الحق وسداد الرأي بالكثرة. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائله على باب من حقق التوحيد: لا يجوز الزهد في القلة ولا الإغترار بالكثرة.

شرح جملة من الكلمات:

- ١- ﴿أذاعوا به﴾ : أفشوه [ش/قاله أبو عبيدة وزاد، معناها أذاعوه، وقال أبو الأسود : أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نارا أوقدت بثقوب انتهى محل الغرض .
- ٢- ﴿يستنبطونه﴾ : يستخرجونه. [ش/قاله أبو عبيدة وزاد: يقال للركبه إذا استخرجت هي نبط إذا أمهاها يعني استخرج ماءها.
- ٣- ﴿حسبياً﴾ : كالياً. [ش/قلت: تكررت هذه الكلمة في هذه السورة مرتين إحداهما في الآية السادسة والأخرى قوله تعالى ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾. وهذا التفسير هو قول أبي عبيدة وزاد: مقتدرأ يقال: أحسبني هذا أي

كفاني.

٤- ﴿إِلَّا إِنْثَاءً﴾ يعني الموات حجراً أو مدرأً وما أشبهه].

قلت: عنى الشيخ به هذه الآية ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ وقد قال بمثل تفسيره الحسن البصري فيما أخرجه ابن جرير. ووافقه أبو عبيدة فقال: إلا الموات حجراً أو مدرأً وما أشبه ذلك.

٥- ﴿مَرِيدًا﴾ متمرداً].

ش/ قلت: هذه الكلمة في تنمة الآية السابقة ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ وهذا التفسير هو قول أبي عبيدة.

٦- ﴿فَلْيَتَكَنَّ﴾ بتكه قطعه].

ش/ قاله أبو عبيدة وقد أشار أبو عبد الله رحمه الله إلى قوله ﴿وَلَا مَرْنِهِن﴾ فليتكن آذان الأنعام الآية.

٧- ﴿قِيلًا﴾ وقولاً واحداً].

ش/ قلت: يعني بذلك ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ وهذا هو تفسير أبي عبيدة.

٨- ﴿طَبَعٌ﴾ ختم].

ش/ قلت: أشار الشيخ إلى قوله تعالى فيما قصه عن اليهود ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وهذا هو تفسير أبي عبيدة.

تنبيه

ذكر في هذا الباب آثاراً ولم يذكر فيه حديثاً وقد وقع عند مسلم من حديث عمر في سبب نزولها: أن النبي ﷺ لما هجر نساءه وشاع أنه طلقهن وأن عمر جاءه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: لا. فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكنت أنا استنبطت ذلك

الأمر. وأصل هذه القصة عند البخاري لكن بدون هذه الزيادة فليست على شرطه، فكأنه أشار إليها بهذه الترجمة. قاله الحافظ في الإيلاء من كتاب الطلاق. **قال مقيده:** وذلك؛ لأن في إسنادها عند مسلم عكرمة بن عمار اليمامي الحنفي وشيخه سماك بن الوليد الحنفي أبا زميل احتج بهما منسلم والأربعة ولم يحتج بهما البخاري فبان بهذا أن الحديث ليس على شرطه ولذلك لم يخرج.

٩٦- [باب ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾].

ش/ تمامها: ﴿خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾.

يخبر جل ثناؤه عن عقوبة من قتل مؤمناً عمداً قاصداً إتلاف نفسه وتلك العقوبة التي تقشعر لها القلوب وترتعش منها الفرائص عقوبة عظيمة لم يرد في كبيرة من الكبائر. فيما نعلم أعظم مما ورد فيها وهي الخلود في جهنم مع غضب الله ولعنته وعظيم العذاب الذي لا يقدر قدره إلا الله.

واعلم أن قتل المؤمن عمداً كبيرة من أعظم الكبائر، ومذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآية من النصوص إجراؤها على الظاهر من غير تأويل لتكون أوقع في النفس، وأبلغ في الزجر وإليك فائدة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره عن ابن القيم حيث قال: «والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق شمس الدين ابن القيم رحمه الله في «المدارج» فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال:

وقالت فرقة: إن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر في المقتضى للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة، التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين. ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، إعتباراً لمقتضى العقاب وموانعه، وإعمالاً لأرجحها.

قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما، وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية، والأحكام القدرية، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها، خلقاً وأمرأ. وقد جعل الله سبحانه لكل ضد ضداً

يدافعه ويقاومه ويكون الحكم للأغلب منهما، فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد الأخلاق وبغيها مانع من عمل الطبيعة وفعل القوة، والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض والعبد يكون فيه مقتض للصحة ومقتض للعطب، وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجح عليه وقهره كان التأثير له، ومن هنا يعلم انقسام الخلق إلى من يدخل الجنة ولا يدخل النار وعكسه. ومن يدخل النار ثم يخرج منها، ويكون مكثه فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه، ومن له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به في كتابه من أمر المعاد وتفصيله حتى كأنه يشاهده رأي العين، ويعلم أن هذا مقتضى إلهيته سبحانه وربوبيته، وعزته وحكمته، وأنه مستحيل عليه خلاف ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره، وهذا يقين الإيمان وهو الذي يحرق السيئات كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى.

١١١- حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا مغيرة بن النعمان^(١) قال: سمعت سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. ش/ فيه النص صراحة على أن آية الباب محكمة والحديث سيأتي في تفسير سورة الفرقان ضمن الباب الرابع والخمسين بعد المائتين، وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله تعالى.

(١) هو المغير بن النعمان النخعي، الكوفي، ثقة من السادسة. (خ.م.د.س.ت).

٩٧- [باب ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمَنَ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

يأمر جل ثناؤه عباده المؤمنين ويوجههم إذا خرجوا مجاهدين في سبيله أعداءه من الكفار بأن يتثبتوا ولا يستعجلوا في الحكم بالكفر ومن ثم القتل على من أشكل أمره، لا سيما إذا أظهر ما يدل على الإسلام كالسلام، طلباً لعرض الدنيا واستعجالاً عليه فعند الله خير من ذلك، ومن هنا يتبين أن الأمور على ضربين:

أحدهما: واضح جلي وهذا لا يحتاج إلى تثبت وتبين بل يعامل صاحبه بما يستحقه.

وثانيهما: ملتبس مشتبه وهذا يجب فيه التثبت قبل إصدار الحكم فيه، ثم بعد أن أمرهم بالتثبت فيما يلتبس من الأمور ذكرهم بما تفضل به عليهم بالهداية إلى ما يعصم دماءهم وأموالهم وهو دين الإسلام الحق فقال: ﴿كذلك كنتم من قبل فمَنَ الله عليكم﴾ يعني أن حالكم قبل هداية الله إياكم كانت كحال هذا الذي استعجلتم عليه فقتلتموه ضناً منكم أنه ألقى السلام عليكم متعوذاً به. وقيل: كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلام فقتلتم له: لست مؤمناً فقتلتموه كذلك أنتم من قبل يعني من قبل إعزاز الله دينه باتباعه وأنصاره تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله بدينه من قومه. اهـ من تفسير ابن سعدي بتصرف واختصار.

ثم بعد هذا الإمتنان كرر الأمر بالتبين لأهميته وعظم شأنه.

وقوله ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ يعني ذا خبرة وعلم محيط بأعمال

عباده جميعها فيجازي كلاً على عمله ونيته.

- [السُّلْمُ والسُّلْمُ والسلام واحد].

ش/ السُّلْمُ بكسر السين وسكون اللام وهي قراءة رويس عن عاصم بن أبي النجود، و"السُّلْمُ" بفتحها من غير ألف وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وفي الفرع و"السُّلْمُ" بسكون اللام بعد فتح. وروي عن عاصم الجحدري و"السَّلامُ" بفتحهما ثم ألف وهي قراءة الباقرين قاله القسطلاني.

وقوله «واحد» يعني أن معنى هذه الكلمات الثلاث واحد وهو الاستسلام والانقياد وهو أحد معنيي السلام في الآية.

١١٢- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة قال: قرأ ابن عباس "السلام".

ش/ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ هذا هو شاهد الترجمة وقد مضى تفسيره ضمن شرح الآية.

الثانية: قوله «كان رجل في غنيمة له» قلت: عند ابن جرير والترمذي في التفسير وحسنه والواحد في أسباب النزول والحاكم وصححه عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم له».

الثالثة: قوله «فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم» في رواية عكرمة المذكورة «فسلم عليهم قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعود منكم».

الرابعة: قوله «فقتلوه وأخذوا غنيمته» زاد في رواية عكرمة المتقدمة

«فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله ﷺ».

وروى البزار من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلا الله غداً. قلت: ولا تعارض بين القصتين إذ يمكن أن تكون كلتا الحادثتين سبباً لنزول الآية والله أعلم.

الخامسة: قوله «فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾».

قلت: وعند الترمذي من رواية عكرمة «فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾» وعند الواحدي «فنزلت هذه الآية ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾».

السادسة: قوله «تلك الغنيمة» تفسير العرض المذكور في الآية والغنيمة تصغير غنم وهو اسم جمع للضأن والماعز من بهيمة الأنعام. وقوله «قرأ ابن عباس "السلام"» بسين مشددة مفتوحة ولام مفتوحة بعدها ألف والقائل هو عطاء.

٩٨- [باب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين... والمجاهدون في سبيل

الله﴾].

ش / كذا في الفرع وأصله وغيرهما بإسقاط ﴿غير أولي الضرر﴾ وثبت ذلك في بعضها، ولأبي ذر ﴿من المؤمنين﴾ الآية، وسقط ما بعد ذلك، قاله القسطلاني.

قلت: وإسقاط غير ﴿أولي الضرر﴾ مراعاة لأول نزول الآية دونها، وإثباتها مراعاة لنزولها آخراً كما سيأتي في سبب النزول، والآية تامة كما في المصحف ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾.

قوله ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ يخبر جل علاه وتعالى ذكره بأنه لا مساواة في الأجر بين من خرج مجاهداً في سبيل الله بماله ونفسه إعلاءً لكلمته وإعزازاً لدينه وبين من قعد عن الجهاد إلا من كان محبوساً عن الجهاد بعذر لا طاقة له معه في الخروج ولهذا استثنى قائلاً ﴿غير أولي الضرر﴾ وهذا تسلية للمحبوسين بالعذر المقعد عن الجهاد وإرشاد إلى أنهم شركاء مع إخوانهم المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ويدل لذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر. وروى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض». وفي رواية «إلا شركوكم في الأجر».

قوله ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾.

قال ابن جرير:

«فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من أولي الضرر درجة واحدة يعني فضيلة واحدة، وذلك بفضل الجهاد بنفسه فأما فيما سوى ذلك فهما مستويان»

قوله ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾.

قال الشوكاني: ﴿وك﴾ مفعول أول لقوله ﴿وعد الله﴾ قدّم عليه لإفادته القصر: أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعده الله الحسنى أي المثوبة وهي الجنة».

وقال ابن كثير: «وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية».

قوله ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾.

قال القنوجي: في قوله ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ «الذين لا عذر لهم ولا ضرر ﴿أجراً عظيماً﴾ أي ثواباً جزيلاً».

١١٣- حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان^(١)، عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم^(٢) في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن

(١) هو أبو محمد أو أبو الحارث صالح بن كيسان المدني، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة ثبت فقيه من الرابعة، مات بعد سنة ثلاثين [ومائة] أو بعد الأربعين. (ع).

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين، ومات سنة خمس في رمضان لا تثبت له صحبة من الثانية. (خ. ٤٠).

زيد بن ثابت^(١) أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملأها عدو قال: يا رسول الله والله لو استطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترّض فخذي ثم سرى عنه فأنزل الله ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

١١٤- حدثنا حفص بن عمر^(٢)، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

١١٥- حدثنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: ادعوا فلاناً. فجاءه ومعه الدواة واللوح، أو الكتف فقال: أكتب. ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ش/ دلت هذه الأحاديث على ثمانية أمور:

أولاً: نزول القرآن منجماً.

ثانياً: جواز وضع الرجل فخذه على فخذه الآخر ويجب أن يكون ذلك

(١) هو زيد بن ثابت الأنصاري صحابي مشهور كتب الوحي مات سنة خمس أو ثمان وأربعين. (ع).

(٢) هو أبو عمر حفص بن عمر بن الحارث بن سحيرة الأزدي النمري، الحوضي وهو بها أشهر، ثقة ثبت عيب بأخذ الأجرة على الحديث من كبار العاشرة، مات سنة خمس وعشرين [ومائتين]. (خ. د. س).

مقيداً بعدم الإفضاء لحديث: (لا يفض الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد وليس بينهما شيء).

ثالثاً: حرص السلف على بذل العلم والتواضع له ومذاكرتهم إياه لا سيما السنن الثابتة عن النبي ﷺ ويظهر أن مروان حدث سهلاً يوم كان أميراً على المدينة.

رابعاً: جواز كتابة القرآن، وإن قال قائل كيف تصنعون بنهيه عن ذلك فالجواب أن هذا كان أول الأمر خشية أن يلتبس القرآن بغيره فلما أمن اللبس أذن النبي ﷺ في كتابته.

خامساً: إن سبب نزول قوله ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ هو شكوى عبد الله ابن أم مكتوم حاله إلى النبي ﷺ وبيان العذر الذي حبسه عن الجهاد.

سادساً: في قول البراء «وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضير فنزلت مكانها ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دليل على فورية نزول الآية حال الحادثة إذ المعنى فنزلت الآية مكان الكتابة ولهذا قال بعض أهل العلم كان ذلك قبل أن يحف القلم.

سابعاً: فضيلة زيد بن ثابت إذ كان من كتاب الوحي.

ثامناً: فضيلة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وأنه وأمثاله من أهل الأعداء شركاء المجاهدين في الأجر.

١١٦ - حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريح أخبرهم (ح) وحدثني إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريح، أخبرني عبد الكريم^(١)، أن مقسماً^(٢) مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس رضي

(١) هو أبو سعيد عبد الكريم بن مالك الجزري مولى بني أمية وهو الخضرمي نسبة إلى قرية

الله عنهما أخبره: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر.

ش/ قلت: وأخرج الترمذي في كتاب التفسير من طريق الحجاج بن محمد ابن جريح أخبرني عبد الكريم أنه سمع مقسماً مولى عبد الله بن الحارث يحدث عن ابن عباس مثله وزاد: «لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ - و﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾. وكذا أخرجه النسائي إلا أنه قال عبد الرحمن بن جحش بدل عبد الله وإسنادهما واحد والله أعلم.

وقد تحصل بهذا البيان ثلاثة أمور:

أحدها: موافقة الحديث نزول الآية لما قبله وانتفاء مغايرته لها.

وثانيها: مشاركة ابن جحش لابن أم مكتوم في سبب نزول الآية وهذا ممكن جداً لجواز أن الشكوى كانت أولاً من ابن أم مكتوم وثانياً من ابن جحش ثم نزلت الآية بعد ذلك.

وثالثاً: تحديد وقت نزول الآية بغزوة بدر.

من اليمامة، ثقة متقن من السادسة، مات سنة سبع وعشرين [ومائة]. (ع).
 (٢) هو أبو القاسم مقسم بن بجرة ويقال بنجدة، مولى عبد الله بن الحارث ويقال له مولى ابن عباس للزومه له، صدوق وكان يرسل من الرابعة مات سنة إحدى ومائة وماله في البخاري سوى حديث واحد. (خ. ٤).

٩٩- [باب ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾].

ش/ تمامها: ﴿فأولئك ماواههم جهنم وساءت مصيراً﴾.

يتوعد جل ثناؤه وتعالى ذكره من توفتهم الملائكة وهم ظالموا أنفسهم ببقائهم بين ظهرائي المشركين مكثرين سوادهم على المسلمين وذلك أنه حين تقبض أرواحهم الملائكة يقولون لهم مؤننين ﴿فيم كنتم﴾ يعني أي حال كنتم من دينكم وإيمانكم بالله ورسوله ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ يعني قهرنا المشركون وغلبونا فمنعونا من نصره دين الله واتباع رسوله، وهذه حجة واهية ومعدرة ضعيفة بل علية؛ لأنهم كاذبون في دعواهم تلك، فلو كانوا صادقين مع الله ورسوله لانفلتوا إلى دار أخرى يقدرون فيها على إقامة دين الله ولهذا قيل لهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ والمعنى: أليست عندكم قدرة تمكنكم من مفاصلة تلك الدار التي زعمتم أن أهلها قهروكم، والانتقال إلى دار أخرى تأمنون فيها على دينكم وأعراضكم وهذا دليل على أن الهجرة من دار الكفر حين يفتن المرء فيها إلى دار أخرى يجد فيها الأمن والطمأنينة واجبة، وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مع أنها دار كفر حينذاك؛ لأنه لا يظلم فيها من جاور ملكها النجاشي وقد أسلم فيما بعد وحسن إسلامه رضي الله عنه.

وقوله ﴿فأولئك ماواههم جهنم وساءت مصيراً﴾ يعني أن الموصوفين بظلم أنفسهم حين توفى الملائكة لهم مسكنهم جهنم وهي بئس المأوى، وبئس المصير. وفي هذا دليل على أن ترك الهجرة مع القدرة عليها والرضى بالإقامة بين ظهرائي

المشركين مع الذل والهوان من كبائر الذنوب.

١١٧- حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ^(١)، حدثنا حيوة وغيره قالوا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود^(٢) قال: قُطِعَ على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة^(٣) مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

رواه الليث عن أبي الأسود.

ش / فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «قطع على أهل المدينة بعث» أي جيش من أهالي المدينة وكان ذلك البعث في خلافة عبد الله بن الزبير والغرض منه قتال أهل الشام.

الثانية: قوله «فاكتتبت فيه» بضم المثناة الأولى وكسر الثانية بعدها موحدة ساكنة على البناء للمجهول أي جعلت جندياً ضمن ذلك البعث.

الثالثة: قوله ﴿إِنَّ نَاسًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَكْتُرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سمي منهم في رواية أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قيس

(١) هو عبد الله بن يزيد المقرئ أبو عبد الرحمن المكي، أصله من البصرة أو الأهواز ثقة فاضل أقرأ القرآن نيافاً وسبعين سنة، من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] وقد قارب المائة. ع.

(٢) هو أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزي الأسدي المدني يقيم عروة، ثقة من السادسة، مات سنة بضع وثلاثين [ومائة]. (ع).

(٣) هو أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك. ع.

بن الوليد بن المغيرة وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتبة بن زبيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن خلف وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا بيدر. أخرج ابن مردويه، وابن أبي حاتم من طريق ابن جريح عن عكرمة نحوه، وذكر فيهم الحارث بن زمة بن الأسود والعاص بن منبه بن الحجاج وكذا ذكرهما ابن إسحاق. ذكر ذلك الحافظ.

الرابعة: قوله «يأتي السهم فيرمى به» قال القسطلاني: بضم التحتية وفتح الميم مبنياً للمفعول وفي نسخة «يرمى» بإسقاط الفاء، ولأبي ذر «يدمى» بالدال بدل الراء.

قوله «فيصيب أحدهم» نصب على المفعولية «فيقتله أو يضرب فيقتل» بضم حرف المضارعة من الفعلين وفتح ثالثهما قال في (الكواكب الدراري): وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم؛ لأنهم لا يقاتلون في سبيل الله.

قلت: وفي هذا دليل على أن السلف من أئمة الدين يحرصون على عدم الخوض في الفتن والبعد عنها.

الخامسة: قوله «فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية» هذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة، وفيه بيان سبب نزول الآية.

وروى ابن جرير من طريق محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ الآية قال: فكتب إلى من بقي بمكة من

المسلمين بهذه الآية وأنه لا عذر لهم قال: فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم فرجاً فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل.

وقوله «ورواه الليث عن أبي الأسود» قلت: الليث هو أبو الحارث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور من السابعة مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة، أخرج له الجماعة.

والخير وصله الإسماعيلي والطبراني في الأوسط من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن أبي الأسود عن عكرمة فذكره بدون قصة أبي الأسود. حكاه الحافظ.

من فقه الحديث

١- وجوب مفاصلة المشركين ومعاداتهم. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أصل الدين وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاتة فيه، وتكفير من تركه. الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداتة فيه، وتكفير من فعله.

قلت: وقد غفل الدعاة إلى وحدة الأديان والمساواة بين البشرية عن هذا الأصل الأصيل والقاعدة العظيمة في الولاء والبراء مع أن دلالة النص والإجماع متضافرة عليه.

٢- وجوب الهجرة من دار الكفر حال الفتنة في الدين مع القدرة عليها.

١٠٠- [باب ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾].

ش/ قال ابن جرير: ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان، وهم العجزة عن الهجرة بالعسرة وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم، أرض الشرك إلى أرض الإسلام من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم أن تكون جهنم مأواهم للعذر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره.

١١٨- حدثنا أبو النعمان^(١)، حدثنا حماد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إلا المستضعفين﴾ قال: كانت أمي ممن عذر الله.

ش/ يعني من الذين عذرهم الله فلم يوجب عليه الهجرة؛ لأنها من المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة في التخلص من المشركين والانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام.

وقد مضى الحديث ضمن الباب رقم ثلاثة وتسعين.

(١) هو محمد بن الفضل السدوسي البصري، لقبه عارم، ثقة ثبت تغير في آخر عمره من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين [ومائتين]. (ع).

١٠١- [باب قوله ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفوراً﴾].

ش / يقول جل ثناؤه مشيراً إلى من سبق ذكرهم وهم المستضعفون في الأرض مبيناً تجارزه عنهم لعذرهم وواعداً إياهم بالمغفرة ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ و"عسى" من الله واجبة؛ لأنها للإطماع ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفوراً﴾ أي يتجاوز عن خطاياهم ويستترها عليهم، وهذا دليل على أنه لولا ما بالقوم من العذر لكانت الهجرة واجبة عليهم وكانوا واقعين تحت الوعيد الذي توعد به من تركها قادراً عليها والله أعلم.

١١٩- حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى^(١)، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال: سمع الله لمن حمده. ثم قال قبل أن يسجد: اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف.

ش / فيه ثلاث مسائل:

الأولى: النص على أن المذكورين في الحديث هم من المستضعفين المعنيين بالآية.

الثانية: قوله «اللهم أشدد وطأتك» قال ابن الأثير: والوطء في الأصل الدوس بالقدم فسمى به الغزو والقتل؛ لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته.

قلت: والمعنى أنه ﷺ دعا على قومه وهم قريش أولاد مضر بن نزار بن

(١) هو أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم اليمامي، ثقة ثبت لكنه يرسل ويدلس، من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائة] وقيل قبل ذلك. (ع).

معد بن عدنان بشدة الأخذ في الدنيا.

الثالثة: قوله «اللهم اجعلها سنين كسني يوسف» يعني اجعل وطأتك على مضر سني جذب متتابعة كسني يوسف التي ذكرها الله بقوله ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداداً يأكلن ما قدمتم هن إلا قليلاً مما تحصنون﴾.

من فقه الحديث:

١- مشروعية الدعاء للمكروب من المسلمين بالخلاص.

٢- جواز الدعاء على المعين في القنوت.

تنبيه

وقع في رواية ابن شهاب عند مسلم والنسائي وابن ماجه «حين يفرغ من صلاة الفجر يقول». قلت: لا منافاة عندي بين هذه الرواية ورواية الباب فالظاهر أن رسول الله ﷺ كان يقنت في أوقات مختلفة.

١٠٢- [باب ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾].

ش/ قلت: الآية ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً﴾.

قوله ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾.

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه وإذا كنت في الضارين في الأرض من أصحابك يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنهم فأقمت لهم الصلاة. يقول ﴿وأقمت لهم الصلاة﴾ بحدودها وركوعها وسجودها ولم تقصرها القصر الذي أبحث لهم أن يقصروها حال تلاقهم وعدوهم، وتراحف بعضهم على بعض من ترك إقامة حدودها وركوعها وسجودها وسائر فروضها» اهـ.

قوله ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾.

قال الشوكاني: «يعني بعد أن تجعلهم طائفتين، طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم منهم معك في الصلاة ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ أي الطائفة التي تصلي معه، وقيل الضمير راجع إلى الطائفة التي بإزاء العدو، والأول أظهر؛ لأن الطائفة القائمة بإزاء العدو لا بد أن تكون قائمة بأسلحتها، وإنما يحتاج إلى الأمر بذلك من كان في الصلاة؛ لأنه يظن أن ذلك ممنوع منه حال الصلاة فأمره الله بأن يكون آخذاً لسلاحه أي غير واضح له، وليس المراد الأخذ باليد، بل المراد أن يكونوا حاملين لسلاحهم ليتناولوه من قرب إذا احتاجوا إليه، وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من إمكان فرصته فيهم، وقد قال يارجاع الضمير من قوله

﴿ولياخذوا أسلحتهم﴾ إلى الطائفة القائمة بإزاء العدو ابن عباس قال: لأن المصلية لا تحارب. وقال غيره: إن الضمير راجع إلى المصلية، وحيز الزجاج والنحاس أن يكون ذلك أمراً للطائفتين جميعاً؛ لأنه أُرهب للعدو، وقد أوجب أخذ السلاح في هذه الصلاة أهل الظاهر للأمر على الوجوب، وذهب أبو حنيفة إلى أن المصلين لا يحملون السلاح وأن ذلك يبطل الصلاة، وهو مدفوع بما في هذه الآية والأحاديث الصحيحة». انتهى

وقال ابن عبد البر فيما نقله عنه القرطبي: «أكثر أهل العلم يستحبون للمصلي أخذ سلاحه إذا صلى في الخوف ويحملون قوله ﴿ولياخذوا أسلحتهم﴾ على الندب؛ لأنه شيء لولا الخوف لم يجب أخذه فكان الأمر به ندباً». قوله ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾.

قال القرطبي: «الضمير في سجدوا للطائفة المصلية فلينصرفوا، هذا على بعض الهيئات المروية. وقيل: المعنى فإذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على هيئة سهل بن أبي حثمة، ودلت هذه الآية على أن السجود قد يعبر به عن جميع الصلاة وهو كقوله عليه السلام: إذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين. أي فليصل ركعتين، وهو في السنة، والضمير في قوله ﴿فليكونوا﴾ يَحتمل أن يكون للذين سجدوا، ويحتمل أن يكون للطائفة القائمة أولاً بإزاء العدو». اهـ. قوله ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾.

قال ابن عطية: «الآية إخبار عن معتقد القوم وتحذير من الغفلة، لئلا ينال العدو أمله. وأسلحة جمع سلاح وفي قوله تعالى ﴿ميلة واحدة﴾ بناء مبالغة أي مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية».

قوله ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر﴾ - إلى قوله -

﴿عذاباً مهيناً﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ثم إن الله عذر من له عذر من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم﴾ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً» ومن العذاب المهين ما أمر الله به حذبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم ويحصروهم ويقعدوا كل مرصد ويحذروهم في جميع الأحوال ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم، فله أعظم حمد وثناء على ما من به على المؤمنين وأيدهم بالمعونة وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات» اهـ.

من فقه الآية:

- ١- أمر الإمام بقسم جيشه حال مواجهة العدو إلى طائفتين إحداهما تصلي معه والأخرى تقف بإزاء العدو وهذا دليل على وجوب صلاة الجماعة.
- ٢- أمر الطائفة المصلية مع الإمام بحمل أسلحتها وأخذ الحذر.
- ٣- جواز وضع الأسلحة حال التأذي لمرض أو مطر.

١٢٠- حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا حجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني يعلى، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً.

ش/ في رواية أبي ذر «وكان» بواو، كذا وقع عنده مختصراً، ومقول ابن عباس ما ذكر عن عبد الرحمن، وقوله «كان جريحاً» أي فنزلت الآية فيه. وقال الكرمانى: يحتمل هذا، ويحتمل أن التقدير قال ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف يقول من كان جريحاً فحكمه كذلك. فكان عطف الجريح على

المريض إلحاقاً به على سبيل القياس، أو لأن الجرح نوع من المرض فيكون كله مقول عبد الرحمن وهو مروى عن ابن عباس.

قلت: وسياق ما أورده غير البخاري يدفع هذا الإحتمال، فقد وقع عند أبي نعيم في "المستخرج" من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري عن حجاج بن محمد قال: «كان عبد الرحمن بن عوف جريحاً». وهو ظاهر في أن فاعل "قال" هو ابن عباس، وأنه لا رواية لابن عباس في هذا عن عبد الرحمن. قاله الحافظ

وروى الحاكم في التفسير من المستدرک من طريق محمد بن الفرّج عن حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مطرٍ أَوْ كُنْتُمْ مرضى﴾ قال: نزلت في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً» فتبين بهذا أن سبب نزول الآية ما حصل لعبد الرحمن بن عوف من الجرح.

١٠٣- [باب ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء﴾].

ش/ تمامها: ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من ولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما فعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾.

قوله ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾.

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ويستفتونك في النساء﴾ ويسألك يا محمد أصحابك أن تفتيهم في أمر النساء، والواجب لهن وعليهن، فاكفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة ما ظهر من الكلام على المراد منه ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ قل لهم يا محمد الله يفتيكم فيهن يعني في النساء» اهـ.

قوله ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ - إلى قوله - ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾.

قال ابن سعدي: أي ويفتيكم أيضاً بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها، أو بعضه ومنعها من التزوج لينتفع بمالها خوفاً من استخراجها من يده إن زوجها أو يأخذ من صهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغباً عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال، ولا يقسط في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص، ولهذا قال ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي ترغبون عن نكاحهن، أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيلاً.

قوله ﴿والمستضعفين من ولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾.

قال الشوكاني: «قوله ﴿والمستضعفين من ولدان﴾ معطوف على يتامى

النساء أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الولدان وهو قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا من كان مستضعفاً من الولدان كما سلف، وإنما يورثون الرجال القائمين بالقتال وسائر الأمور».

قوله ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ معطوف على قوله ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ كالمستضعفين أي وما يتلى عليكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط أي العدل، ويجوز أن يكون في محل نصب أي يأمركم أن تقوموا.

قوله ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾.

قال ابن سعدي: «﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ لليتامى ولغيرهم سواء كان الخير متعدياً أو لازماً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ أي قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير قلة وكثرة حسناً وضده، فيجازي كلاً بحسب عمله».

من فقه الآية:

أولاً: وجوب العدل في اليتيمة والرفق بها، وذلك بإيفائها حقوقها.

ثانياً: يحرم على ولي اليتيمة منعها من الزواج من غيره.

ثالثاً: الحث على فعل الخير وبذل الإحسان فيمن يستحقه.

١٢١- حدثنا عبيد بن إسماعيل^(١)، حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام بن

عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ - إلى قوله - ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العذق فيرغب

(١) هو عبيد بن إسماعيل القرشي الهباري ويقال اسمه عبيد الله، ثقة، من العاشرة، مات سنة خمسين [ومائتين]. (خ).

أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها
فنزلت هذه الآية.

ش/ قوله «فنزلت هذه الآية» تقدم الحديث برقم خمس وتسعين برواية ابن شهاب عن عروة عن عائشة وفيه «قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿ويستفتونك في النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمة، حيث تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا عن رغبتهم في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

قلت: فاتضح بهذا التفسير من رواية عائشة رضي الله عنها المراد بقوله في حديث الباب: فنزلت هذه الآية.

١٠٤- [باب ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾].

ش / تمامها: ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾. قوله ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ - إلى قوله - ﴿والصلح خير﴾.

قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وان امرأة خافت من بعلها﴾ يقول علمت من زوجها ﴿نشوزاً﴾ يعني استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها، وارتفاعاً بها عنها، إما لبغضه وإما لكراهة منه بعض أشياء بها، إما دمايتها، وإما سننها وكبرها، أو غير ذلك من أمورها ﴿أو إعراضاً﴾ يعني انصرافاً عنها بوجهه، أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ يقول: فلا حرج عليهما يعني على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها، أن يصلحا بينهما صلحاً وهو أن تترك له يومها، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك، وتستديم المقام في حباله، والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح يقول ﴿والصلح خير﴾ يعني والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة، وتماسكاً بعقد النكاح، خير من طلب الفرقة والطلاق.

قوله ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾.

قال الشوكاني: «إخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منهما بل في كل الأنفس الإنسانية كائن، وأنه جعل كأنه حاضر لها لا يغيب عنها بحال من الأحوال، وأن ذلك بحكم الجبلة والطبيعة، فالرجل يشح بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها. والمرأة تشح على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها، وشح الأنفس بخلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه، ومنه ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾». انتهى

قوله ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

قال البغوي: «أي تصلحوا وتتقوا الجور، وقيل هذا خطاب مع الأزواج أي وإن تحسنوا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجزيكم بأعمالكم».

وقال ابن سعدي: «أي تحسنوا في عبادة الخالق، بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال أو علم، أو جاه، أو غير ذلك ﴿وتتقوا﴾ الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، أو تحسنوا بفعل المأمور، وتتقوا بترك المحظور ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ قد أحاط به علماً وخبراً، وبظاهره وباطنه، فيحفظه لكم ويجازيكم عليه أتم الجزاء» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: يجوز للمرأة التنازل عن حقوقها على زوجها في سبيل استدامة النكاح، وأنه لا حرج عليهما في ذلك.

ثانياً: الإرشاد إلى الصلح في المعاملات وأنه خير، ويجب أن يكون ذلك مقيداً بما لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً.

ثالثاً: الأمر بالتقوى والإحسان، وهذا الأمر شامل للعبادات والمعاملات.

شرح جملة من الكلمات:

١- [وقال ابن عباس: ﴿شقاق﴾ تفساد].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بلفظ: «هذا الرجل والمرأة إذا تفسدا الذي بينهما».

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ الآية.

٢- ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ هو اه في الشيء يحرص عليه].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بالإسناد السابق عن ابن عباس وقد مضى شرحه في آية الترجمة.

٣- ﴿كالمعلقة﴾ لا هي أيم، ولا ذات زوج].

ش/ رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

ورواه ابن أبي حاتم بسنده بلفظ: «لا معلقة ولا ذات بعل».

قلت: والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿فلا تملوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾.

٤- ﴿نشوزاً﴾ بغضاً].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم ثنا أبي، عن أبي صالح كاتب الليث، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

١٢٢- حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك.

ش/ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «الرجل» كذا في جميع الطرق عند المصنف إلا في النكاح باب ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ «هي المرأة تكون عند الرجل» وهو موافق لآية الباب في إفادة التعميم.

الثانية: قوله «تكون عنده المرأة» أي في حباله وعصمته و"كان" ها هنا

تامة بمعنى توجد.

الثالثة: قوله «ليس بمستكثر منها فيريد فراقها» وفي الصلح باب «ان

يصلحا بينهما صلحاً» من رواية سفيان «هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كثيراً أو غيره فيريد فراقها» والمعنى أنه ليس بمستكثر منها في المحبة والمعاشرة والملازمة.

الرابعة: قوله «فتقول أجعلك من شأني في حل» وفي النكاح من رواية أبي معاوية «تقول له أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حل من النفقة عليّ والقسمة لي».

الخامسة: قوله «فنزلت هذه الآية في ذلك» زاد أبو الوقت وأبو ذر عن الحموي «﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾ الآية».

«في ذلك» «فإذا تصالح الزوجان على أن تطيب له نفساً في القسمة أو عن بعضها ﴿فلا جناح عليهما﴾» قاله القسطلاني.

قلت: وروى الترمذي في تفسير الآية من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، ونزلت هذه الآية. وقال حسن غريب.

قال الحافظ: «وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية». انتهى

قلت: وأخرج قصة سودة بلفظ الترمذي ابن جرير فقال: حدثنا عمرو بن علي، وزيد بن أكرم قالوا: ثنا أبو داود قال: ثنا سلمان بن معاذ، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

قلت: والتنصيص على قصة سودة لا ينافي ما أفاده حديث الباب من العموم؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٥- [باب ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾].

ش/ تمامها: ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾.

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ إن المنافقين في الطبقة الأسفل من أطباق جهنم، وكل طبق من أطباق جهنم درك، وفيه لغتان: درك بفتح الراء، ودرك بتسكينها فمن فتح الراء جمعه في القلة أدرك، وإن شاء جمعه في الكثرة الدروك، ومن سكن الراء قال: ثلاثة أدرك، ولل كثير الدروك، وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ﴿في الدرك﴾ بفتح الراء، وقرأته عامة قراء الكوفة بتسكين الراء وهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب، لاتفاق معنى ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحد منهما في قراءة الإسلام، غير أنني رأيت أهل العلم بالعربية يذكرون أن فتح الراء منه في العرب أشهر من تسكينها، وحكوا سماعاً منهم "اعطني دركاً أصل به جبلي" وذلك إذا سأل ما يصل به حبله الذي قد عجز عن بلوغ الركبة - إلى أن قال - وأما قوله ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ فإنه يعني فلن تجد لهؤلاء المنافقين يا محمد من الله إذا جعلهم في الدرك الأسفل من النار ناصراً ينصرهم منه، فينقذهم من عذابه، ويدفع عنهم أليم عقابه» اهـ.

قال مقبده أصلح الله حاله ومآله: واعلم أن من توعدهم الله بهذا الوعيد في الآية هم أهل النفاق الإعتقادي الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وأولئك كفار بنص الكتاب الكريم قال تعالى ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ وقال جل ثناؤه ﴿ولا تصل علي أحد منهم مات أبداً ولا تقم علي قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾، ومن أنواع هذا النفاق بغض النبي ﷺ أو بغض ما جاء به ﷺ كراهية انتصار دين الإسلام والمسرة بانخفاضه.

من فقه الآية:

إذا وصلت الآية السابقة بما بعدها وهي قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ظهر لك جلياً أنه لا خلاص لأهل النفاق من الوعيد الذي تضمنته الآية إلا بالتوبة النصوح، واعلم أن التوبة النصوح لها شروط لا تصح إلا بتوفرها قد دل عليها الكتاب والسنة وهي:

الأول: الإسلام ظاهراً وباطناً.

ثانياً: الإخلاص.

ثالثاً: أن يكون قبل حلول الأجل، والأجل إعلان أحدهما غرغرة الروح في الحلقوم، والآخر طلوع الشمس من مغربها.

رابعاً: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

خامساً: الإقلاع عن الذنب بالكلية وتمام ذلك أن يهجر الأسباب الموصلة إليه.

سادساً: الندم على ما فرط في جنب الله.

وتزيد التوبة من حقوق العباد شرطاً سابعاً وهو التخلص من المظالم.

شرح جملة من الكلمات:

[١- وقال ابن عباس: أسفل النار]

ش/ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس بلفظ: «يعني في أسفل النار».

[٢- ﴿لَفَقًا﴾ سَرَبًا].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس بلفظ «سَرَبًا فِي الْأَرْضِ» والنفق الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ فيه قال

﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ ومنه نفاقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبه بقوله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرًّا من الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ قاله الراغب.

ويشير أبو عبد الله إلى قوله تعالى من سورة الأنعام ﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ﴾.

قال الحافظ: «ولعل مناسبة ذكرها هنا للإشارة إلى اشتقاق النفاق؛ لأن النفاق إظهار غير ما يبطن. كذا وجهه الكرمانى، وليس بعيد مما قالوه في اشتقاق النفاق أنه من النفاقاء وهو حجر اليربوع. وقيل: هو من النفق وهو السرب حكاه في النهاية».

١٢٣- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود^(١) قال: كنا في حلقة عبد الله فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم قال الأسود: سبحان الله إن الله يقول ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فتبسم عبد الله وجلس حذيفة في ناحية المسجد فقام عبد الله ففرق أصحابه فرماني بالحصا فأتيته فقال حذيفة: عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم تابوا فتاب الله عليهم.

ش / فيه خمس مسائل

(١) هو أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي مخضرم، ثقة مكث فقيه، من الثانية، مات سنة أربع أو خمس وسبعين (ع).

الأولى: قوله «لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم»، أي ابتلوا به؛ لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين؛ لكن الله ابتلاهم فارتدوا وناقفوا فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأن حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب. حذرهم من الخروج من الإيمان؛ لأن الأعمال بالخاتمة، وبين لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيراً منهم ومع ذلك وجد بينهم من ارتد وناقف، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك.

الثانية: قوله «فتبسم عبد الله» كأنه تبسم تعجباً من صدق مقالته. وعبد الله هو ابن مسعود.

الثالثة: قوله «فرماني» أي حذيفة رمى الأسود يستدعيه إليه.

الرابعة: قوله «عجبت من ضحكك» أي من اقتصاره على ذلك وقد عرف ما قلت أي فهم مرادي وعرف أنه الحق.

الخامسة: قوله «ثم تابوا فتاب الله عليهم» أي رجعوا عن النفاق ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله تعالى وتقديره وإرادته. انتهى محل الغرض منقولاً من الحافظ بشيء من التصرف.

١٠٦- [باب ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾]

ش/ تمامها: ﴿والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾.
قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه بقوله ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾ إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء الذين سميتهم لك من بعده، والذين لم أسمهم لك»
قلت: والوحي في اللغة: الإعلام الخفي، وشرعاً: كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه.

قوله ﴿وآتينا داود زبوراً﴾.

قال الشيخ ابن سعدي: ولما ذكر اشتراكهم بوحية ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه.

من فقه الآية

أولاً: إثبات نبوة من سمي الله فيها.

ثانياً: أن أول الرسل هو نوح كما أن آخرهم هو محمد على الجميع الصلاة والسلام.

١٢٤- حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني الأعمش، عن

أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١٢٥- حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن

يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

ش/ فيهما أربع مسائل

الأولى: قوله «ما ينبغي لأحد» أي لا يحق ولا يصلح.

الثانية: قوله «أنا خير من يونس» في رواية أبي نعيم في الأنبياء باب «وإن يونس لمن المرسلين» «لا يقولن أحدكم إنني خير من يونس» قلت: فاتفتت الروايتان على أن مراده ﷺ النهي عن تفضيله على يونس عليهما جميعاً الصلاة والسلام.

الثالثة: قوله «ابن متى» قلت: وقع عند المصنف في الأنبياء باب قوله تعالى «وإن يونس لمن المرسلين» عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما ينبغي لعبد أن يقول إنني خير من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه». قلت: وهذا رد على من قال إن متى اسم أم يونس.

الرابعة: قوله «فقد كذب» يعني إذا قال أن محمداً ﷺ خير من يونس عليه السلام من غير توقيف، والحديثان كما ترى نص صريح في أمرين: أحدهما: ثبوت نبوة يونس ﷺ وهذا قد تظاهر عليه صريح الكتاب ومتواتر السنة الصحيحة وإجماع المسلمين.

ثانيهما: النهي عن تفضيل نبينا ﷺ على يونس ﷺ، ومقتضى النهي التحريم، ويشكل عليه ما تواتر به الخبر القاطع بأن نبينا ﷺ هو أفضل الخليفة، فما الذي يزيل هذا الإشكال فالجواب:

قال العلماء: «إنما قال ﷺ ذلك تواضعاً إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة». حكاه الحافظ (٤٥٢/٦).

وسياأتي الحديثان في تفسير سورة الأنعام ضمن الباب السابع والعشرين بعد المئة والباب الحادي والتسعين بعد المائتين في سورة الصافات.

١٠٧- [باب ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾].
ش/ تمامها: ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾.

قوله ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ يخبر جل وعلا بأن الناس يسألون نبيهم ﷺ عن الكلالة، وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه.

قوله ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ أي يخبركم ويبين لكم الحق في أمر الكلالة، يعني ميراثها. والكلالة من يموت وليس له ولد ولا والد.

قوله ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت﴾ - إلى قوله - ﴿وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ هذا بيان لكيفية قسمة ميراث من مات ولم يترك ولداً ولا والد، وإنما ترك إخوة إما أشقاء وإما لأب، وأن ميراثهم كما يلي:

أولاً: للأخت النصف.

ثانياً: إذا كان الميت امرأة فيرثها أخوها.

ثالثاً: إذا كان الوارث نساءً إثنين فأكثر فميراثهما الثلثان.

رابعاً: إذا كان الورثة إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين،

سهمان للذكر وسهم للأنثى.

قوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾.

قال الشوكاني: «أي يبين لكم حكم الكلالة وسائر الأحكام كراهة أن تضلوا، هكذا حكاه القرطبي عن البصريين، وقال الكسائي: المعنى لئلا تضلوا، ووافق الفراء وغيره من الكوفيين ﴿والله بكل شيء﴾ من الأشياء التي هذه الأشياء المذكورة منها ﴿عليم﴾ أي كثير العلم» اهـ.

من فقه الآية

- ١- لا مجال في قسمة الموارث للاجتهد بل مردها إلى الله وإلى رسوله ﷺ.
- ٢- لطف الله بعباده بتشريع ما فيه هدايتهم من الأحكام.
- ٣- سعة علم الله عز وجل وشموله لما فيه صلاح العباد والبلاد في العاجل والآجل.

قوله «والكلالة: من لم يرثه أب أو ابن وهو مصدر من تكلمه النسب». ش / قلت: هو بمعنى ما قاله أبو عبيدة وإن كان مختصراً. وقال ابن عباس: الكلالة من لا ولد له ولا والد. أخرج ابن جرير عنه في قول جماعة من أهل العلم منهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما في تفسير الآية الثانية عشر من هذه السورة.

١٢٦- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمعت البراء رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ﴾.

ش / فيه مسألتان

الأولى: قوله «آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾» تقدم شرح هذه المسألة ضمن الباب الخامس والخمسين في تفسير سورة البقرة. الثانية: قوله «قل الله يفتيكم في الكلالة» مضى شرحه قريباً وفيه دليل على إسناد هذا الفعل إلى الله تعالى، ومعنى الإفتاء هو البيان والإخبار. يقال: أفتاه في الأمر يفتيه إذا أبانه له، ومعناه عند الأصوليين: الإخبار بالحكم من غير إلزام. وسيأتي الحديث في تفسير سورة براءة ضمن الباب التاسع والأربعين بعد المائة.

آخر تفسير سورة النساء والحمد لله، وتم بذلك الجزء الأول ويليه

الجزء الثاني وأوله تفسير سورة المائدة.

إرشاد القاري

بشرح كتاب التفسير من

مكيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان البخاري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

مجموعه الثانی

مكتبة الفرقان

سورة المائدة

١٠٨- [باب تفسير سورة المائدة]

ش: وشاهد التسمية قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: «آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح». ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى الحاكم في مستدركه عن جبير بن نفير قال: «حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه». ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وآياتها عشرون ومائة. وحكى القرطبي الإجماع على أنها مدنية. وحكى ابن العربي عن أبي ميسرة قال: في المائدة ثماني عشرة فريضة. وقال غيره: فيها يا أيها الذين آمنوا في ستة عشر موضعاً.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿حرم﴾ واحدها حرام].

ش: هو تفسير أبي عبيدة وأنشد:

«فقلت لها فيني إليك فإنني حرام واني بعد ذاك ليب»

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾.

٢- ﴿فبما نقضهم﴾ بنقضهم].

ش: قاله أبو عبيدة: «وزاد: والعرب تستعمل "ما" في كلامها تأكيداً وإن كان الذي قبلها بجر جررت الاسم الذي قبلها، وإن كان مرفوعاً رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم كقولهم: ليت من العشب حوصه» اهـ
قلت: والإشارة بهذه الكلمة إلى قوله: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حضماً مما ذكروا به﴾ الآية.

٣- ﴿التي كتب الله﴾ جعل الله].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لكم وقضاه.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾.

٤- ﴿تبوء﴾ تحمل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إثمي وتفوز به، وله موضع آخر أن تقر به، تقول: بؤت بذنبي، ويقال: قد أبأت الرجل بالرجل أي قتلته، وقد أبأ فلان بفلان إذا قتله بقتيل. قال عمرو بن حني التغلبي:

«ألا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يباء الدم بالدم

ولا يبيء الدم بالدم سواء في معناها، ويقال: أبأت بهذا المنزل أي نزلت» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿إني أريد أن تبوأ ياثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾.

٥- [دائرة ﴿دولة﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والدوائر قد تدور وهي الدولة، والدوائر تدول، ويدبل الله منه» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسمعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ الآية.

٦- [وقال غيره: الإغراء التسليط].

ش: قلت: لم يتبين لنا من المراد به ولعله أراد غير صاحب التفسير السابق وهو أبو عبيدة. ولم أجد به هذا اللفظ عن أحد.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: «هذه الأهواء المختلفة، والتباغض فهو الإغراء».

وتفسير الإغراء بالتسليط يلزم معنى الإغراء؛ لأن حقيقة الإغراء كما قال أبو عبيدة (١٥٩/١): «التهييج والإفساد».

والآية المشار إليها: ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾.

٧- [أجورهن ﴿مهورهن﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتوهن أجورهن﴾.

٨- [قال سفيان: ما في القرآن آية أشد عليّ من ﴿لستم على شيء حتى

تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾].

ش: يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع؛ ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها، ويحتمل أن يكون هذا مما كان على أهل الكتاب من الإصر. قاله الحافظ.

قلت: وسفيان هو سفيان بن سعيد الثوري.

٩- ﴿من أحيها﴾ : يعني من حرم قتلها إلا بحق، حيي الناس منه جميعاً.

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها فكأنما أحيى الناس جميعاً﴾.

١٠- ﴿شرعة ومنهاجاً﴾ سيلاً وسنة.

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة:

﴿شرعة﴾ أي سنة، ﴿ومنهاجاً﴾ سيلاً واضحاً. وقال:

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج» اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع

أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾.

١١- ﴿المهيمن﴾ الأمين، القرآن أمينٌ على كل كتابٍ قبله.

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير من طريق المثني، عن عبد

الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس

فذكره.

وأخرج عن سعيد بن جبير والحسن نحوه. وهو أحد أربعة أقوال حكاهما في

الآية.

وثانيها: بمعنى الشهيد وهو قول السدي وقتادة ومجاهد وهو الرواية الثانية

عن ابن عباس.

وثالثها: بمعنى المصدق وبه قال ابن زيد.

ورابعها: أنه محمد ﷺ موثمن على القرآن وبه قال مجاهد في الرواية الثانية.

قلت: ولا اختلاف عندي بين الثلاثة الأولى وأما القول الرابع فليس ظاهراً

من السياق والله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من

الكتاب ومهيماً عليه﴾.

١٠٩- [باب ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾].

ش: قلت: الآية ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتزدية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾.

قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾.

قال ابن سعدي: «واعلم أن الله تبارك وتعالى، لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد بين للعباد ذلك، وقد لا بين، فأخبر أنه حرم «الميتة»، والمراد بالميتة ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها، المضرب بأكلها، وكثيراً ما تموت بعلقة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالأكل ويستثنى من ذلك ميتة الجراد، والسماك فإنه حلال.

قلت: لحديث: «أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالسماك والجراد». «والدم» أي المسفوح كما قيد في الآية الأخرى. قلت: وهي قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾. ﴿ولحم الخنزير﴾ وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص عليه من بين سائر الخبائث من السباع؛ لأن طائفة من أهل الكتاب من النصراني يزعمون أن الله أحله لهم أي فلا تغتروا بهم، بل هو محرّم من جملة الخبائث» اهـ.

قوله: ﴿وما أهل لغير الله به﴾.

قال ابن جرير: «فإنه يعني وما ذكر عليه غير اسم الله وأصله من استهلال

الصبي وذلك إذا صاح حين يسقط من بطن أمه، ومنه إهلال المحرم بالحج إذا لبي به ومنه قول ابن أحرر:

يُهَلُّ بِالْفَرْقَدِ رُكْبَانَهَا كَمَا يُهَلُّ الرَّابِطُ الْمُعْتَمِرُ

وإنما عنى بقوله ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وما ذبح للآلهة وللأوثان يسمى عليه غير اسم الله. اهـ.

قوله ﴿وَالْمُنْحَنَةَ وَالْمَوْقُودَةَ - إِلَى قَوْلِهِ - إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾.

قال الشوكاني: ﴿وَالْمُنْحَنَةَ﴾: هي التي تموت بالحنق، وهو حبس النفس سواء كان ذلك بفعلها كأن تدخل رأسها في جبل أو بين عودين، أو بفعل آدمي أو غيره. وقد كان أهل الجاهلية يحنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها.

﴿وَالْمَوْقُودَةَ﴾: هي التي تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية، يقال: وقده يقذه وقداً فهو وقيد. والوقد شدة الضرب. وفلان وقيد أي مثخن ضرباً. - قلت: ومن الوقد ما يعرف اليوم بالذبح عن طريق الصعق الكهربائي في أوروبا، وأمريكا..

وقوله ﴿وَالْمُتْرَدِيَةَ﴾: هي التي تتردى من علو إلى أسفل فتموت من غير فرق بين أن تتردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها والتردي مأخوذ من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها.

قوله ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾: هي فعيلة بمعنى مفعولة وهي التي تنطحها أخرى فتموت من دون تذكية.

قوله ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: أي ما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر والذئب والضبع ونحوها، والمراد هنا ما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع كله قد فنى.

قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾: في محل نصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور، وهو راجع على ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقاً، وفيه حياة. وأصل الذكاة في اللغة التمام أي تمام استكمال القوة، والمراد هنا: ما أدركتم ذكاته على

التمام. والتذكية في الشرع عبارة عن انهيار الدم وفري الأوداج في المذبوح والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور، مقرونا بالقصد لله فذكر اسمه عليه». انتهى محل الغرض.

قوله ﴿وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾.

قال ابن كثير: «قال مجاهد وابن جريح: كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريح: وهي ثلاثمائة وستون نصباً. وكذا ذكره غير واحد، فهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي ذبحت عند النصب حتى لو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب^(١) من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.

وقوله: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أي حرم عليكم أيها المؤمنون

الاستقسام بالأزلام واحداً زلم وقد تفتح الزاي فيقال زلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قدام ثلاثة مكتوب على أحدها افعل وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء.

قوله ﴿ذلكم فسق﴾ أي تعاطيه فسق وغي، وضلالة، وجهالة، وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخير في الأمر الذي يريدونه». انتهى محل الغرض.

وقوله ﴿اليوم يتس الدين كفروا من دينكم﴾.

قال البغوي: «يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام أيسوا، ويتس وأيس بمعنى واحد» اهـ.

(١) قلت: كذا في الأصل ولعلها ((فإنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله)).

قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ أي لا تخافوهم وخافوني فإنني أنا القادر على نصركم. قاله القرطبي.

قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

قال ابن سعدي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بِتَمَامِ النَّصْرِ وَتَكْمِيلِ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَهَذَا كَانَ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ كَافِيَيْنِ كُلِّ الْكِفَايَةِ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ وَأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ، فَكُلُّ مِتْكَفٍ يَزْعَمُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ فِي مَعْرِفَةِ عَقَائِدِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ إِلَى عُلُومٍ غَيْرِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ مَبْطَلٌ فِي دَعْوَاهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ الدِّينَ لَا يَكْمَلُ إِلَّا بِمَا قَالَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَهَذَا أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَالتَّجْهِيلِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي اخترته واصطفيته لكم ديناً كما ارتضيتكم له فقوموا به شكراً لربكم، واحمدوا الذي منّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها. اهـ.

قوله ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال القنوجي: «أي من دعت الضرورة في مخمصة أي جماعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرمات، والخمص ضمور البطن، ورجل خميص وخمصان، وامرأة خميص، ومنه أخمص القدم لدقتها وهي صفة محمودة في النساء ويستعمل كثيراً في الجوع، ووقعت هذه الآية هنا وفي البقرة والأنعام والنحل ولم يذكر جواب الشرط إلا في البقرة فيقدر في غيرها وهو: فلا إثم عليه.

﴿غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ الجنف الميل والإثم الحرام. أي حال كون المضطر في مخمصة غير مائل لإثم وهو بمعنى غير باغ ولا عاد، وكل مائل فهو متجانف وجنف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به لا يؤاخذ به بما ألبأته إليه الضرورة في الجوع مع عدم ميله بأكل ما حرم عليه إلى الإثم، بأن يكون باغياً على غيره

متعدياً لما دعت إليه الضرورة حسبما تقدم). اهـ

من فقه الآية:

أولاً: عظيم لطف الله بعباده وسعة رحمته بهم ومن ذلك أنه أباح لهم ما ينفعهم وحرّم عليهم ما يضرهم.

ثانياً: في إخباره المؤمنين بيأس الكفار من دينهم إرشاد إلى الثبات على دين الإسلام والتمسك به والقوة فيه.

ثالثاً: في قوله ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ دليل على بطلان دعوى الحوار بين الأديان والتقريب بينها فإن تلك الدعوى منكر وضلال إذ هي تمّيع للإسلام. رابعاً: إمتنان الله على هذه الأمة بتكميل دينها على لسان رسوله ﷺ .

خامساً: في قوله ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ دليل على أن ما عدى الإسلام من الأديان باطل وفي هذا رد على دعاة وحدة الأديان، إذ أن تلك الدعوى كفر صريح ومصادمة لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأئمة بأنه لا دين سوى الإسلام.

سادساً: نفي الحرج والإثم عن من ألبأته الضرورة إلى أكل المحرمات المذكورة في الآية.

[وقال ابن عباس: ﴿مخمصة﴾ مجاعة].

ش/ أخرجه ابن جرير: ثني المثني، ثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه عن قتادة والسدي وابن زيد.

١٢٧- حدثني محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن قيس، عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة وأنا والله بعرفة. قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «قالت اليهود» في المغازي باب حجة الوداع من طريق الثوري، عن قيس بن مسلم «أن ناساً من اليهود» وفي الإيمان باب زيادة الإيمان من رواية أبي العميس، عن قيس بن مسلم «أن رجلاً من اليهود» «هذا الرجل هو كعب الأحبار. بين ذلك مسدد في مسنده والطبري في تفسيره والطبراني في الأوسط كلهم من طريق رجاء بن أبي سلمة، عن عبادة بن نسي بضم النون، عن إسحاق بن خرخشة، عن قبيصة بن ذؤيب، عن كعب الأحبار» الحديث. فيحمل على أنهم كانوا حين سؤال كعب الأحبار عن ذلك جماعة، وتكلم كعب على لسانهم». حكاه الحافظ.

الثانية: قوله «لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً» في زيادة الإيمان ونقصانه قال «لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً».

قلت: والعيد اسم لما يعود ويتكرر والمعنى لو كانت تلك الآية نزلت علينا لجعلنا يوم نزولها عيداً نظهر فيه الفرحة والبهجة والسرور كل عام احتفاءً بتلك الآية لعظم شأنها.

الثالثة: قوله «إني لأعلم حيث أنزلت، وأين نزلت، وأين رسول الله حين

نزلت» في كتاب الإيمان «قال عمر أي آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة». الرابعة: قوله «قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾».

قلت: سفيان هو ابن سعيد الثوري والقائل هو عبد الرحمن بن مهدي، ويزيل الشك ما سبق من البيان وقد جاء الجزم من رواية أبي العميس. الخامسة: قوله «﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير آية الباب.

من فقه الحديث:

أولاً: عظم شأن هذه الآية عند المسلمين.
ثانياً: فقه عمر رضي الله عنه وذلك أنه في مطابقة جواب عمر للسؤال؛ لأنه سأله عن اتخاذ عيداً فأجاب بنزولها بعرفة يوم الجمعة. وفي بعض طرق الحديث قال رضي الله عنه: «وكلاهما لنا عيد». ثالثاً: فيه دليل على أن عرفة عام حجة الوداع كان يوم الجمعة كما في بعض الروايات.

١١٠- [باب قوله ﴿فلم تجدوا ماءً فتيّموا صعيداً طيباً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيّموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا - إلى قوله - إلى الكعبين﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذه آية عظيمة، قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها، ما يسره الله وسهله.

أحدها: هذه المذكورات في امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان، الذي لا يتم إلا به؛ لأنه صدرها بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلى آخرها. أي يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم، بما شرعناه لكم.

والثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾.

والثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ أي بقصد

ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة، لصحة الصلاة؛ لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، في الفرض، والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنائز، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة، والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو ما تحصل به المواجهة، من منابت شعر

الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن، طولاً. ومن الأذن إلى الأذن، عرضاً. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة. ويدخل فيه، الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة. وإن كانت كثيفة اكتفى بظاهاها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حده إلى المرفقين. و"إلى" كما قال جمهور المفسرين. معنى "مع" كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه؛ لأن الباء ليست للتبويض، وإنما هي للملاصقة وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان بيديه أو إحداهما، أو خرقة، أو خشبة، أو نحوها؛ لأن الله أطلق المسح، ولم يقيد بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمر بيده عليه لم يكف؛ لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الرد على الرافضة على قراءة الجمهور بالنصب. وأنه لا يجوز مسحها ما دامت مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجحر في ﴿أَرْجُلِكُمْ﴾. وتكون كل من القراءتين محمول على معنى. فعلى قراءة النصب فيها غسلهما، وإن كانتا مكشوفتين. وعلى قراءة الجحر فيها مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء؛ لأن الله تعالى ذكرها مرتبة، ولأنه أدخل ممسوحاً - وهو الرأس - بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة على الاستنشاق على غسل الوجه. وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين. وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتحديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به. اهـ.

قال مقيدته: واعلم أن تجديد الوضوء مندوب وليس بواجب إلا إذا انتقض الوضوء بحدث أو بما هو في حكم الحدث كالنوم فإن الوضوء في هذه الحالة واجب ومن تركه عامداً ذاكراً لذلك الناقض لم تصح صلاته وهذا الحكم قد أفادته السنة المستفيضة عن النبي ﷺ منها ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) وثم أمران آخران جاءت بهما السنة في الوضوء غير ما تضمنته الآية الكريمة:

أحدهما: بيان لما أجمل في آية الوضوء هذه .

وثانيهما: زيادة على ما فيها وهاك أمثلة لدينك الأمرين:

فمن الأول:

١ - ما أخرجه الشيخان، عن حمran مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان

رضي الله عنه دعى بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه

إلى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا وقال: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

٢ - حديث عمرو بن يحيى المازني عن أبيه قال: شهدت عمرو بن أبي الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء رسول الله ﷺ فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء رسول الله ﷺ فأكفأ على يديه من التور فغسل يديه ثلاثاً ثم أدخل يديه في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات ثم أدخل يده في التور فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فغسلهما مرتين إلى المرفقين ثم أدخل يديه فمسح بهما رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ثم غسل رجليه . وفي رواية: بدء بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، وفي رواية أتانا رسول الله ﷺ فأخرجنا له ماء في تور من صفر .

٣ - ما رواه مسلم عن نعيم بن عبد الله المجرى قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: قال رسول الله ﷺ: أنتم الغر المحجلون يوم القيامة، من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله .

قلت: في هذه الأحاديث الثلاثة كما ترى ثلاثة من أنواع البيان:

أحدها: عدد الغسلات وأنها ثلاث، وهذه إحدى الكيفيات الثابتة عن

النبي ﷺ في الوضوء .

ثانيها: كيفية مسح الرأس ومقداره، وأنه مرة واحدة كما في حديث عبد الله بن زيد وإن قال أحد وهل مسح الرأس مقصور على ما أفاده حديث عبد الله بن زيد؟ قلنا: قد جاء عن عثمان وغيره من طرق يشد بعضها بعضاً

التثليث في مسح الرأس .

ثالثها: النص الصريح في حديث أبي هريرة على أن: (إلى) في قوله: (إلى المرافق) (إلى الكعبين) . بمعنى: مع . ووجه الاستدلال إدخال أبي هريرة رضي الله عنه، غسل المرافق في اليدين وغسل الكعبين في الرجلين .
ومن الثاني: حديثا عثمان وعبد الله بن زيد المتقدمان وفيهما: أن رسول الله ﷺ غسل كفيه وتمضمض واستنشق واستنثر .

٢ - ما رواه أبو داود عن لقيط بن صبرة قال قال النبي ﷺ: اسبغ الوضوء واخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً .

٣ - وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخل تحت حنكه فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي عزوجل .

٤ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعاء بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجله ثلاثاً ثلاثاً) . الحديث

٥ - وعن ربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: رأيت رسوا الله ﷺ يتوضأ، قالت: فمسح رأسه ومسح ما أقبل منه وما أدبر وصدغيه وأذنيه مرة واحدة . قال مقيله: فتأمل ما تضمنته هذه الأحاديث الصحيحة من الزيادات: فأولاً: غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ثلاثاً كما في حديث عثمان وعبد الله بن زيد .

ثانياً: الأمر بتخليل الأصابع، وهذا صريح في حديث لقيط .

ثالثاً: تخليل اللحية وهذا ظاهر من حديث أنس .

ورابعها: مسح الأذنين وكيفية ذلك . وهذا ما نص عليه حديث عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جده .

خامسها: مسح الصدغين مع الأذنين وهذا ما روته عنه ﷺ الربيع بنت معوذ.
قوله ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾.

قال ابن جرير: «يعني بقوله جل ثناؤه ﴿وإن كنتم جنباً﴾ وإن كنتم أصابتكم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فقمتم إليها فاطهروا، يقول: فتطهروا بالاعتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها، ووجد الجنب وهو خير عن الجميع؛ لأنه اسم خرج مخرج الفعل كما قيل: رجل عدل وقوم عدل، ورجل زور وقوم زور، وما أشبه ذلك لفظ الواحد والجميع والاثني والذكر والأنثى فيه واحد يقال منه أجنب الرجل وجنب واجتنب والفعل الجنابة والإجنب. وقد سمع في جمعه أجنب وليس ذلك بالمستفيض الفاشي في كلام العرب، بل الفصيح من كلامهم ما جاء به القرآن» .

قلت: ومن أكمل صفات غسل الجنابة ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يغتسل ثم يخلل بيديه شعره، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته، أفاض الماء عليه ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده».

قوله ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ هذه هي صفة التيمم فالآية كما ترى صريحة في أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين من الصعيد وقد جاء بيان ذلك فيما رواه الشيخان عن عمار رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة فاجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا». ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه.

وأما قوله (منه) فإن مرجع الاء هو الصعيد وهل (من) في الآية للتبعيض أو

ابتداء الغاية قولان لأهل العلم:

فالأول: قول أحمد والشافعي.

والثاني: قول مالك.

والفرق بينهما لزوم نقل التراب إلى الأعضاء على القول الأول، وعدم لزومه على القول الثاني. وجعل (من) لابتداء الغاية هو الراجح إن شاء الله؛
لأمرين:

الأول: أن كثيراً من الأرض ليس لترابها غبار.

والثاني: ما صح عن النبي ﷺ أنه تيمم على الحائط.

واعلم أن التيمم له شروط لا يصح إلا بتوفرها وهي:

أولاً: عدم الماء أو العجز عن استعماله.

ثانياً: النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

ثالثاً: دخول الوقت ودليله في الآية ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

رابعاً: طهارة الصعيد.

قوله ﴿مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.

قال البغوي: «عما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾

ضيق ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والخبائث والذنوب».

قوله ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الشوكاني: «أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء. وعما شرعه

لكم من الشرائع التي عرّضكم بها للثواب ﴿لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته عليكم

فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين .

قال مقيده: واعلم أن أركان الشكر ثلاثة:

أحدها: الإقرار بالنعمة باطناً.

وثانيها: التحدث بها ظاهراً.

وثالثها: صرفها في مرضاة مسديها وموليها وهو الله جل وعلا.

من فقه الآية:

أولاً: الأمر بالتوضوء عند كل صلاة وهذا شامل للفريضة والنافلة ولكنه لا يجب إلا بالحدث أو بما هو في حكم الحدث كما دلت السنة الصحيحة على ذلك، فمن الأول حديث: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ». ومن الثاني حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أنتوضأ من لحم الإبل قال: «نعم» الحديث.

ثانياً: الأمر بالتطهير من الجنابة وهو الغسل وقد تقدمت صفته.

ثالثاً: الأمر بشكر الله على ما من به ويسره من الأحكام في هذه الآية وقد

مضت أركان الشكر.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [تيمموا: تعمدوا].

ش: قاله أبو عبيدة وقد ذكره عند قوله تعالى من سورة النساء ﴿فتيمموا صعيدا طيباً﴾ حيث قال: أي فتعمدوا ذلك. وأخرجه ابن جرير بإسناده عن سفيان بلفظ: «تخروا وتعمدوا».

٢- ﴿آمين﴾ : عامدين، أمت وتيممت واحد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وتقديرها هممت خفيفة، وبعضهم يقول:

يمت. وقال:

إني كذاك إذا ما ساءني بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا»

والآية المشار إليها: ﴿ولا آمين البيت الحرام يتغنون فضلاً من ربهم

ورضوانا﴾.

٣- [وقال ابن عباس: ﴿لستم﴾ و﴿تمسوهن﴾ و﴿اللاتي دخلتم بهن﴾

والإفشاء النكاح].

ش: أما قوله ﴿لمستم﴾ فروى إسماعيل القاضي في أحكام القرآن من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿أو لامستم النساء﴾ قال: هو الجماع، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير بإسناد صحيح، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس قال: هو الجماع ولكن الله يعفو ويكفي.
وأما قوله ﴿تمسوهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ما لم تمسوهن﴾ أي تنكحوهن.

وأما قوله ﴿دخلتم بهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ قال: الدخول النكاح.
وأما قوله «(والإفضاء)» فروى ابن أبي حاتم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ قال: الإفضاء الجماع. وروى عبد بن حميد من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الملامسة والمباشرة. والإفضاء والرفث والغشيان والجماع كله النكاح، ولكن الله يكفي. حكاه الحافظ.

١٢٨- حدثنا إسماعيل، قال حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم^(١)، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي المدني ثقة جليل كان أفضل أهل زمانه، من السادسة مات سنة ست وعشرين [ومائة] وقيل بعدها. ع.

بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته.

١٢٩- حدثنا يحيى بن سليمان^(١) قال: حدثني ابن وهب قال: أخبرني عمرو^(٢) أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: «سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، أقبل أبو بكر فلكنني لكزة شديدة، وقال حبست الناس في قلادة، في الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ الآية. فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم.

ش: فيهما تسع عشرة مسألة.

الأولى: قوله «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره» قال ابن عبد البر في التمهيد: والسفر المذكور في هذا الحديث يقال أنه كان في غزاة بني المصطلق والله أعلم.

الثانية: قوله «حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش» قلت: البيداء المفازة

(١) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي، الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين [ومائتين]. خ.ت.

(٢) هو أبو أيوب عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، ثقة فقيه حافظ، مات قديماً قبل الخمسين ومائة. ع.

من الأرض والجمع بيد وهو بين المدينة وخيبر كما حزم به النووي، قلت: وما حزم به مخالف لما حزم به ابن التين فإنه قال: البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، قال: وذات الجيش وراء ذي الحليفة، وقال أبو عبيد البكري في معجمه: البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا ثم ساق حديث ابن عمر قال: «بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها، ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد» الحديث. قال: والبيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة في طريق مكة، وقال أيضاً: ذات الجيش من المدينة على بريد، قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال، والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قال ابن التين.

ويؤيده ما رواه هشام بن عروة عن أبيه في هذا الحديث فقال فيه: «إن القلادة سقطت يوم الأبواء» والأبواء بين مكة والمدينة. وفي رواية علي بن مسهر في هذا الحديث عن هشام قال: «وكان ذلك المكان يقال له الصلصل» ورواه جعفر الفريابي في كتاب الطهارة له وابن عبد البر من طريقه. والصلصل: بمهملتين مضمومتين ولا ميم الأولى ساكنة بين الصادين. قال البكري: هو جبل عند ذي الحليفة، كذا ذكره في حرف الصاد المهملة، وهم مغلطاي في فهم كلامه فزعم أنه ضبطه بالصاد المعجمة، وقلده في ذلك بعض الشراح وتصرف فيه فزاده وهما على وهم، وعرف من تضافر هذه الروايات تصويب ما قال ابن التين. اهـ قاله الحافظ (٤٣٢/١).

الثالثة: قوله «انقطع عقد لي» قلت: وفي رواية هشام عن أبيه «هلكت قلادة لأسماء» ولا تعارض بين الروایتين فإن إضافتها لها بإشعار استيلائها لمنفعته وإلا فهو لأسماء استعارته منها.

الرابعة: قوله «فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه» تعني أن رسول الله ﷺ إحتبس حيث فقد العقد للبحث عنه، واحتبس الناس معه في

ذلك المكان؛ لأنه ﷺ هو إمامهم فمعه يقيمون ومعه يرحلون. وفيه دليل على وجوب طاعة الأمير في العسر واليسر وفيه اعتناء الإمام بحفظ حقوق المسلمين وإن قلت.

الخامسة: قوله «وليسوا على ماء، وليس معهم ماء» فيه دليل على جواز الإقامة في المكان الذي لا ماء فيه. وكذا سلوك الطريق التي لا ماء فيها.

السادسة: قوله «فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق» فيه دليل على تسمية أبي بكر بذلك وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه وبها صحت الأخبار عن النبي ﷺ.

السابعة: قوله «فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء» الاستفهام للإتكاف وفي مقولتهم هذه دليل على شكوى المرأة على أبيها أو وليها وإن كانت ذات زوج، وفيه دليل على نسبة الفعل إلى من تسبب فيه وإن لم يصنعه لقولهم: أقامت وصنعت.

الثامنة: قوله «فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام» فيه دليل على جواز دخول الرجل على ابنته في بيت زوجها بغير إذنه إذا علم رضاه بذلك كما يفيد ذكر الإنسان بما اشتهر به من اسم أو كنية.

التاسعة: قوله «فعاثني أبو بكر. وقال ما شاء الله أن يقول - إلى قوله - في خاصرتي» فيه دليل على تأديب الرجل ابنته على خطئها بالقول والفعل وإن كان بحضرة زوجها.

العاشرة: قوله «ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي» تعني أنه لم يحل بينها وبين الحركة من شدة ما لقيته من طعن أبيها في خاصرتها إلا خوفاً من إزعاج النبي ﷺ وفي هذا دليل على جواز شدة التأديب بالفعل كما أنه يفيد حرص عائشة رضي الله عنها على راحة النبي ﷺ وطمأنينته ولذا صبرت على شدة الضرب على خاصرتها.

الحادية عشرة: قوله «فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء» كذا أورده هنا، وأورده في فضل أبي بكر عن قتيبة، عن مالك بلفظ: «فنام حتى أصبح» وهي رواية مسلم في الحيض باب التيمم ورواية الموطأ والمعنى فيهما متقارب؛ لأن كلاً منهما يدل على أن قيامه من نومه كان عند الصبح، وقال بعضهم: ليس المراد بقوله «حين أصبح» بيان غاية النوم إلى الصباح، بل بيان غاية فقد الماء إلى الصباح؛ لأنه قيد قوله «حتى أصبح» بقوله «على غير ماء» أي آل أمره إلى أن أصبح على غير ماء، وأما رواية عمرو بن الحارث فلفظها: «ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح» فإن أعربت الواو حالية كان دليله على أن الاستيقاظ وقع حال وجود الصباح وهو الظاهر، واستدل به على الرخصة في ترك التهجد في السفر إن ثبت أن التهجد كان واجباً عليه، وعلى أن طلب الماء لا يجب إلا بعد دخول الوقت لقوله في رواية عمرو بن الحارث بعد قوله: «وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد».

الثانية عشرة: قوله «فأنزل الله آية التيمم» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وسيأتي بيان المراد من آية التيمم في الرواية الآتية.

الثالثة عشرة: قوله «فقال أسيد بن حضير» قلت: هو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي صحابي جليل مات سنة عشرين أو إحدى وعشرين. أخرج له أصحاب الكتب الستة. وقد قال ما قال؛ لأنه ضمن من بعثهم النبي ﷺ في طلب القلادة.

الرابعة عشرة: قوله «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر» أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات.

الخامسة عشرة: قوله «فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته» ظاهر في أن الذين توجهوا في طلبه أولاً لم يجدوه، وفي رواية عروة: «فبعث ناساً من أصحابه في طلبها» ولأبي داود «فبعث أسيد بن حضير وناساً معه» وطريق

الجمع بين هذه الروايات أن أسيداً كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى في بعض الروايات دون غيره، وكذا أسند الفعل إلى واحد منهم وهو أسيد بن حضير. قاله الحافظ.

قلت: وهذا دليل صريح على أن رسول الله ﷺ لا يعلم من أمر الغيب إلا ما علمه الله إذ لو كان يعلم الغيب ما بعث البعث يفتش عن عقد ولما أقام بالمسلمين على ما فيهم من الجهد والمشقة وهذا وحده كافٍ في الرد على العرّافين والكهنة الذين يدعون الغيب.

السادسة عشرة: قوله «ونحن داخلون المدينة» الراو للحال والمعنى أنهم كانوا على مقربة من المدينة حين وقعت تلك الحادثة.

السابعة عشرة: قوله «فلكنني لكزة شديدة» اللكز هو الدفع في الصدر بالكف، والمعنى أن أبا بكر رضي الله عنه دفع عائشة رضي الله عنها دفعاً شديداً. وفي الرواية السابقة قالت: «وجعل يطعني بيده في خاصرتي» فالظاهر أنه جمع لها في تأديبه بين الأمرين.

الثامنة عشرة: قوله «في الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني» تعني والله أعلم أنها وجدت من شدة لكز أبيها وطعنه لها ما جعلها تستشعر الموت ولكنها صبرت؛ لأن رسول الله ﷺ كان نائماً على فخذه.

التاسعة عشرة: قوله «فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾» هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وفيه التصريح بأن آية المائدة هذه هي آية التيمم.

١١١- [باب ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾].

ش: قلت الآية: ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾.

قوله ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾.

قال ابن جرير: «هذا خبر من الله جل ذكره عن قول الملا من قوم موسى لموسى، إذ رغبوا في جهاد عدوهم ووعدوا نصر الله إياهم، إن هم ناهضوهم، ودخلوا عليهم باب مدينتهم أنهم قالوا له ﴿إنا لن ندخلها أبداً﴾ ويعنون إنا لن ندخل مدينتهم أبداً والهاء والألف في قوله ﴿إنا لن ندخلها﴾ من ذكر المدينة ويعنون بقولهم ﴿أبداً﴾ أيام حياتنا ما داموا فيها يعني ما كان الجبارون مقيمين في تلك المدينة التي كتبها، وأمروا بدخولها»

قوله ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾.

قال ابن كثير: «وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء، ويقال أنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملا من بني إسرائيل إعظاماً لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفثا ثيابهما ولاموا قومهما على ذلك فيقال إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم وخطر جليل». اهـ.

وإن قال أحد من الناس ما السر في مخاطبة الله اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ ببيان هذا وأمثاله من المواقف المخزية والمذاهب المشينة، كيف يوبخون هذا التوبيخ وتلك المواقف والمذاهب من صنيع أسلافهم مع أنبيائهم؟

قلنا: أجاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره حيث قال (٦١/١): «واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن وهذه الأفعال المذكورة حوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها أنهم كانوا يتمدحون ويذكرون أنفسهم ويزعمون فضلهم

على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقرر عندهم، ما يبين به لكل واحد منهم، أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق ومعالي الأعمال. فإذا كانت هذه حالة سلفهم مع المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين.

ومنها أن نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصله إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء فحوظبوا بها؛ لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

ومنها أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها؛ حتى كأن متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد وكان الحادث من بعضهم حادث من الجميع؛ لأن ما يعمل به بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمل من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها أن أفعالهم أكثرهم لم ينكرها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله. اهـ.

١٣٠- حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن مخارق^(١)، عن طارق بن شهاب: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد (ح) وحدثني حمدان بن عمر^(٢)، حدثنا أبو النظر، حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ ولكن امض ونحن معك، فكأنه سرى عن رسول الله ﷺ. ورواه وكيع، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، أن المقداد قال ذلك للنبي ﷺ.

(١) هو أبو سعيد مخارق بن خليفة وقيل ابن عبد الله الأحمسي، الكوفي، ثقة من السادسة. خ. قد. ت. س.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عمر الحميدي البغدادي، المخرمي، يعرف بحمدان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين [ومائتين]. خ.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «شهدت من المقداد» زاد في المغازي باب قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ «مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به».

قلت: والمقداد هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكوفي، ثم الزهري، حالف أبوه كندة وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور من السابقين، لم يثبت أنه كان بيد فارس غيره، مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين. ع.

الثانية: قوله «يا رسول الله إنا لا نقول - إلى قوله - ونحن معك» زاد النسائي في تفسير الآية بروايته «جاء المقداد على فرس يوم بدر فقال...» وذكر ابن إسحاق أن هذا الكلام قاله المقداد لما وصل النبي ﷺ إلى الصفراء، وبلغه أن قريشاً قصدت بدرًا وأن أبا سفيان نجحاً بمن معه، فاستشار الناس، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر كذلك، ثم المقداد فذكر نحو ما في حديث الباب وزاد «فقال: والذي بعثك بالحق لو سلكت بنا برك الغماد لجاهدنا معك من دونه قال: فقال أشيروا علي قال: فعرفوا أنه يريد الأنصار، وكان يتخوف أن لا يوافقوه؛ لأنهم لم يبايعوه إلا على نصرته ممن يقصده لا أن يسير بهم إلى العدو. فقال له سعد بن معاذ: امض يا رسول الله لما أمرت به فنحن معك، قال: فسره قوله ونشطه».

قال الحافظ: «وكذا ذكره موسى بن عقبة مبسوطاً، وأخرجه بن عائد من طريق أبي الأسود عن عروة. وعند ابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص نحو قصة المقداد» فقال سعد بن معاذ لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى - فذكره وفيه - ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حيال من شئت، واقطع حيال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت. قال: وإنما

خرج يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله له القتال».

وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي أيوب قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إنني أخبرت عن غير أبي سفيان فهل لكم أن تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا نعم... الحديث» حكى ذلك وغيره الحافظ. ثم قال: ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه: «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان».

والثانية: كانت بعد أن خرج.

الثالثة: قوله «فكأله سرى عن رسول الله ﷺ» أي انكشف عنه ما كان يخشاه ويتخوفه من عدم استعداد أصحابه فحل محل ذلك الفرح والبشر والسرور لما رآه من انشراح صدورهم بلقاء الكفار شداً لأزر نبيهم ﷺ .
وقوله «رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق... الخ» يريد بذلك أن صورة سياقه أنه مرسل بخلاف سياق الأشجعي لكن استظهر المصنف لرواية الأشجعي الموصولة برواية إسرائيل التي ذكرها قبل. وطريق وكيع هذا وصلها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه وكذا أخرجهما ابن أبي خيثمة من طريقه. قاله في الفتح.

من فقه الحديث:

أولاً: استشارة القائد عسكره حين نزول المعضلة.

ثانياً: شد الصحابة أزر نبيهم ﷺ مع قلة عدتهم وعتادهم.

ثالثاً: فضيلة المقداد رضي الله عنه.

رابعاً: الاستبشار بالكلمة الطيبة والسرور بها في المواقف الحرجة.

خامساً: في قول المقداد: «إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى

أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» دليل على أن تلك الآية نزلت قبل وقعة بدر.

١١٢- [باب ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا - إِلَى قَوْلِهِ - أَوْ يَنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾].

ش: **تمامها ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.**

قال ابن جرير في تفسيرها: «وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ﴾ أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب، وقطع اليد والرجل من خلف، أو النفي من الأرض خزيًا لهم، وأما في الآخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم».

من فقه الآية:

والآية الكريمة كما هو صريح وواضح تتضمن أربع عقوبات جزاء المحاربين وهل للإمام أن يعاقب كل محارب بما يستحقه أو هو مخير بفعل ما يشاء.

فالأول: قال به جمهور الأئمة، منهم ابن عباس، والنخعي، وسعيد بن جبير، وقتادة وبه قال أحمد والشافعي، وأبو حنيفة، فقال هؤلاء مع اختلاف في عباراتهم: من أخذ المال قطع، ومن أخذ المال وقتل، قتل وصلب، وإن قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن أخاف السبيل فقط وروع الناس نفي من الأرض.

والثاني: قاله ابن عباس والحسن، وإبراهيم النخعي في رواية، ومجاهد، وابن جريج، وسعيد بن المسيب، حكى القولين وأدلة كل منهما الطبري، والقرطبي وابن قدامة وغيرهم.

قلت: وتخير الإمام أرجح لأمر:

أولاً: أن التخيير هو ظاهر الآية، ولا يعدل عن الظاهر إلى غيره مما يحتاج إلى تقدير إلا بحجة يجب التسليم لها، ولم يرد نص يجب المصير إليه لترجيح ما قاله

الجمهور. وما أخرجه ابن جرير عن أنس من سؤال النبي ﷺ جبريل ماذا يصنع بالمخاربين... الخ الحديث، فضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وقد اختلط لاحتراق كتبه.

الأمر الثاني: أن حماية مصالح الناس واستتباب الأمن في البلاد والعباد كثيراً ما يستدعي أقصى العقوبات الرادعة، وهذا موكول إلى نظر إمام المسلمين، وما يراه كفيلاً بذلك، وما أحسن ما قاله الإمام مالك: «إذا قطع الطريق فرآه الإمام جلدًا ذا رأي قتله، وإن كان جلدًا لا رأي له قطعه، ولم يغير فعله». اهـ.

قلت: وما أكثر الجرائم التي تستهدف الدين والأعراض والعقول يخطط لترويجها ذوو رأي وتفكير ودهاء خبيث من أبناء المسلمين في عقر دارهم، يدفعهم عملاء لهم من خارج العالم الإسلامي، من شيوعيين وماسونيين وغيرهم، ومن أعظم تلك الجرائم المخدرات بشتى أنواعها، فلا يردع أولئك المروجين سوى أقصى العقوبات وبلا هوادة.

ثالثاً: ويرجح ما ذهبنا إليه، أنه قول جماعة من الأئمة غير من ذكرناه من أهل القول الثاني، منهم مالك، واختاره القرطبي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي. وقوله «المخاربة لله: الكفر به»

ش / هو قول سعيد بن جبير والحسن وصله ابن أبي حاتم عنهما حكاه الحافظ وقال: وفسره الجمهور هنا بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً وكافراً.

قلت: وعندني أن وصف الخرابة بالكفر في هذا الموطن مبني على أمرين: أولهما: ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير وعروة والسدي وجرير أن الآية نزلت في العرنيين.

وثانيهما: ما جاء عند مسلم من رواية عبد العزيز بن صهيب وحميد عن أنس في العرنيين قال: «ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام» وعند المصنف في الوضوء باب أبوال الإبل والدواب من قول أبي قلابة: «فهؤلاء سرقوا

وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله».

١٣١- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا ابن عون قال: حدثني سلمان أبو رجاء مولى أبي قلابة^(١)، عن أبي قلابة^(٢) أنه كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا: قد أقادت بها الخلفاء، فالتفت إلى أبي قلابة وهو خلف ظهره فقال: ما تقول يا عبد الله بن زيد - أو قال ما تقول يا أبا قلابة؟ قلت: ما علمت نفساً حلّ قتلها في الإسلام إلا رجلٌ زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير نفس، أو حارب الله ورسوله ﷺ فقال عنبسة: حدثنا أنس بكذا وكذا. قلت: إياي حدث أنس، قال: قدم قومٌ على النبي ﷺ فكلّموه فقالوا: قد استوحنا هذه الأرض، فقال ((هذه نعم لنا تخرج، فأخرجوا فيها، فاشربوا من ألبانها وأبوالها)) فخرجوا فيها، فشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطردوا النعم، فما يستبطن من هؤلاء؟ قتلوا النفس وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ فقال: سبحان الله فقلت: تتهمني؟ قال: حدثنا بهذا أنس قال: وقال يا أهل كذا إنكم لن تزالوا بخير ما أبقى هذا فيكم ومثل هذا».

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز» قلت: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان أحد خلفاء بني أمية، ولي الخلافة عام تسعة وتسعين، وكان

(١) هو أبو رجاء سلمان مولى أبي قلابة الجرمي، البصري، صدوق من السادسة له عندهم حديث واحد، خ. م. د. س.

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها. ع.

مشهوداً له بالصلاح والتقوى حتى قالوا: إنه يشبه جده من قبل أمه عمر بن الخطاب، مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة، وكانت وفاته في دير سمعان.

وفي الديات باب القسامة من رواية الحجاج بن أبي عثمان عن أبي رجاء عن أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يوماً للناس ثم أذن لهم فدخلوا.
الثانية: قوله «فذكروا وذكروا» أي القسامة وشأنها، يوضحه قوله في الديات: «فقال: ما تقولون في القسامة».

الثالثة: قوله «فقالوا وقالوا» يوضحه في الرواية المتقدمة «نقول القسامة القود بها حق، وقد أقادت بها الخلفاء».

الرابعة: قوله «ما تقول يا عبد الله بن زيد أو قال ما تقول يا أبا قلابة» الشك من الراوي، والمعنى ما جوابك في هذا الأمر الذي دار الحوار فيه، وزاد في الديات «فقلت يا أمير المؤمنين عندك رؤوس الأجناد وأشراف العرب أرايت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى، ولم يروه، أكنت ترجمه قال: لا. قلت: أرايت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بمحص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا. قلت: فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحداً قط إلا في إحدى ثلاث خصال: رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله، أو ارتد عن الإسلام».

قلت: وهذا دليل على أن أبا قلابة رحمه الله كان لا يرى القسامة وقد بنى رأيه ذلك على ما علمه من سنة النبي ﷺ وقد صح القضاء في القسامة عن النبي ﷺ ففي الصحيحين عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأتى محبيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطرح في عين، فأتى يهود فقال أتمم والله قتلتموه، قالوا والله ما قتلناه، فأقبل هو وأخوه حويصة وعبد الرحمن بن

سهل فذهب محيصة ليتكلم فقال رسول الله ﷺ: «كبر كبر» يريد السن فتكلم حويصة، ثم تكلم محيصة فقال رسول الله ﷺ: «إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يأذنوا بحرب» فكتب إليهم في ذلك، فكتبوا: إنا والله ما قتلناه، فقال لحويصة، ومحيصة، وعبد الرحمن بن سهل: «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم» قالوا: لا قال: «فيحلف لكم يهود؟» قالوا: ليسوا مسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده، فبعث إليهم مائة ناقة، قال سهل: فلقد ركضتني منها ناقة حمراء. قال مقيده: وإليك فائدتين في القسامة:

الأولى: في معناها: وهي لغة: اسم من القسم أقيم مقام المصدر من قولهم: أقسم إقساماً وقسامة. وشرعاً: أيمان مكررة في دعوى قتل معصوم عمداً. الثانية: في شروط الحكم في القسامة وهي ثمانية شروط: الأول: اللوث وهو العداوة الظاهرة كالقبائل التي يطلب بعضها بعضاً بالثأر وكما بين البغاة وأهل العدل.

الثاني: تكليف مدعى عليه القتل وذلك بأن يكون بالغاً عاقلاً.

الثالث: إمكان القتل منه.

الرابع: وصف القتل في الدعوى.

الخامس: طلب جميع الورثة القود.

السادس: اتفاقهم على دعوى القتل.

السابع: اتفاقهم على عين القاتل.

الثامن: أن يكون فيهم ذكور مكلفون.

الخامسة: قوله «فقال عنبسة» هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن

العاص بن أمية الأموي.

السادسة: قوله «كذا وكذا» ترد هذه الكلمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه، وذا

الإشارة.

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد.
الثالث: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن عدد. قاله ابن هشام

في المغني.

قلت: والمراد به ها هنا حديث العرنيين.

السابعة: قوله «قدم قوم على النبي ﷺ» وللمصنف في المحاريب من كتاب الحدود عن قتيبة عن حماد: «أن رهطاً من عكل أو قال من عرينة ولا أعلمه إلا قال من عكل» وله في الجهاد باب إذا حرق المشرك المسلم عن أيوب: «أن رهطاً من عكل» ولم يشك، وكذا في المحاريب عن يحيى بن أبي كثير، وفي الديات عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة، وله في الزكاة عن شعبة عن قتادة عن أنس: «أن ناساً من عرينة» ولم يشك أيضاً. وكذا لمسلم في القسامة باب حكم المحاريب والمرتدين من رواية معاوية بن قررة عن أنس، وفي المغازي باب قصة عكل وعرينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «أن ناساً من عكل وعرينة» بالواو العاطفة وهو الصواب، ويؤيده ما رواه أبو عوانة والطبري من طريق سعد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: «كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل» ولا يخالف هذا ما عند المصنف في الجهاد من طريق وهيب عن أيوب، وفي الديات من طريق حجاج الصواف عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة عن أنس: «أن رهطاً من عكل ثمانية» لاختتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين وكان من أتباعهم فلم ينسب. وغفل من نسب عدتهم ثمانية لرواية أبي يعلى وهي عند البخاري وكذا عند مسلم.

قال الحافظ: «وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عرينة هي عكل، وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان، وعرينة من قحطان. وعُكَل بضم المهملة، وإسكان الكاف قبيلة من تيمم الزباب، وعرينة بالعين والراء

المهملتين والنون مصغراً حي من قضاة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني». **الثامنة:** قوله «فكلموه» يعني بعدما بايعوه على الإسلام. ذكروا له أنهم استوحوا المدينة فشاوروه في الخروج منها كما في الديات «أنهم استوحوا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ» وجاء في المحاربين من طريق وهيب عن أيوب أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل.

التاسعة: قوله «فقالوا: قد استوحنا» قال في المصباح: وخم البلد بالضم وخامة فهو وخيم، وأرض وخمة، ووخيمة ووخام وزان سلام، ومرعى وخيم مستويل ورجل وخيم ووخيم أي ثقيل واستوحمت البلد وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضاً إذا كان غير موافق في السكن. ومنه اشتقاق التخمة وأصلها الواو؛ لأن الطعام يثقل على المعدة فتضعف عن هضمه فيحدث منه الداء.

العاشرة: قوله «فخرجوا فيها، فشربوا من أبواها وألبانها» في الكلام محذوف يفسره ما جاء عند المصنف في الطب من رواية قتادة: «فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وبراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه» وفي الوضوء «فأمرهم النبي ﷺ بلقاح» يعني أمر لهم أو أمرهم أن يلحقوا بلقاح.

الحادية عشرة: قوله «واستصحوا» في السياق حذف تقديره فشربوا من أبواها وألبانها فلما صحوا. وقد ثبت ذلك في رواية أبي رجاء، وزاد في رواية وهيب «وسمنوا». قال الحافظ: وللإسماعيلي من رواية ثابت «ورجعت إليهم ألوانهم».

الثانية عشرة: قوله «ومالوا على الراعي فقتلوه» يعني أنهم رجعوا بعد أن استصحوا إلى راعي النبي ﷺ فقتلوه.

قال الحافظ: «واسم راعي النبي ﷺ المقتول يسار يباء تحتانية ثم مهملة خفيفة، كذا ذكره ابن إسحاق في المغازي».

الثالثة عشرة: قوله «واطردوا النعم» في الوضوء «واستاقوا» وهما بمعنى السير العنيف.

الرابعة عشرة: قوله «فمما يستبطن هؤلاء» بضم أوله وسكون المهملة وبعد الفوقية موحدة ساكنة فطاء مهملة فهزمة مبنياً للمفعول. استفعال من البطء الذي هو نقيض السرعة أي شيء يستبطن بهم.

الخامسة عشرة: قوله «قتلوا النفس، وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ» هذا هو بيان الموجب للإسراع في إقامة الحد على هؤلاء وقد قاله أبو قلابة استنباطاً والمعنى أنهم قتلوا نفساً بغير نفس وسرقوا الإبل من حرز مثلها وكان صنيعهم ذلك مخوفاً ومروعاً إذ لم يتوقع منهم ذلك.

السادسة عشرة: قوله «فقال سبحانه الله» اسم مصدر على وزن فعلان كشكران وغفران. وفعله سبح وأصله تنزيه الله عز وجل. وقيل في هذا المقام على سبيل التعجب والاستنكار والقائل هو عنبسة.

السابعة عشرة: قوله «فقلت: تتهمني» أي أتظني أكذب فيما حدثتكم؛ لأنه خالف حديثك. والقائل هو أبو قلابة.

الثامنة عشرة: قوله «قال حدثنا بهذا أنس» برهان لصدقه وبعد التهمة عنه والإشارة بقوله "هذا" إلى ما سبق من سياق الحديث عن العريين.

التاسعة عشرة: قوله «يا أهل كذا إنكم لن تزالوا... الخ» في رواية أبي رجاء عن أبي قلابة عند مسلم في القسامة: «لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا».

قلت: فهذا اعتراف من عنبسة بفضل أبي قلابة وجلالة قدره.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع عمر بن عبد العزيز.

ثانياً: استشارة الإمام أهل العلم والفقهاء في النوازل وما يشكل عليه وجه

الصواب فيه.

ثالثاً: في قوله «فشربوا من أبوالها وألبانها» طهارة بول البعير وجواز
التداوي به.

١١٣- [باب ﴿والجروح قصاص﴾].

ش: قلت: الآية ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قوله ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ - إلى قوله - والجروح قصاص﴾ يخبر جل شأنه أنه كتب على اليهود في التوراة يعني فرض عليهم فيها. ثم فسر ذلك المكتوب بقوله ﴿أن النفس بالنفس﴾ وما بعده والمعنى أن من أحكام الله التي أعرض عنها أولئك وهي عندهم في التوراة أنه من قتل نفسا عمداً وعدواناً فجزاؤه القتل وكذا الحكم في العين والأنف والأذن والسن، وهذه هي عين المساواة بين عباد الله لا فرق فيها بينهم فالشريف والوضيع على حد سواء عدلٌ من الله بين عباده. فمن قفاً عيناً فقتت عينه، ومن جدد أنفاً جدد أنفه، ومن قطع أذناً قطع أذنه، ومن كسر سناً أو قلعه فجزاؤه مثل ما صنع، ومن جرح غيره جرحاً غير ما ذكر فهو مقتص منه مثل الجرح الذي جرحه، وقد حكى الله سبحانه وتعالى هذه الأحكام المنصوص عليها في التوراة توبيخاً لليهود وتقريعاً وبيان أنهم قد بدلوا وغيروا إعراضاً وعناداً واستنكافاً عن حكم الله.

قوله ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾، اختلف أهل التفسير في المراد

بهذا المتصدق على قولين:

الأول: أنه المجروح، وولي القتيل، وهو قول عبد الله بن عمرو والنخعي، وابن الصامت، والحسن، وقتادة، والشعبي.

والثاني: أنه الجارح نفسه وقالوا معنى الآية فمن تصدق بما وجب له من قود أو قصاص على من وجب ذلك له عليه فعفا عنه فعفوه ذلك عن الجاني كفارة لذنوب الجاني المجرم، كما القصاص منه كفارة له.

قالوا: فأما أجر العافي المتصدق فعلى الله. وهذا قول ابن عباس ومجاهد،

والشعبي في رواية، والنخعي في رواية، وزيد بن أسلم.
حكى القولين كليهما ابن جرير واختار أولهما قائلاً:
وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به فمن تصدق به
فهو كفارة له المجروح؛ فلأن تكون "الهاء" في قوله "له" عائدة على "من" أولى من
أن تكون "من" ذكر من لم يجد له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح وأحرى، إذ
الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها دون المتصدق عليه في سائر الصدقات غير هذه
فالواجب أن يكون سبيل هذه سبيل غيرها من الصدقات.

قال مقيده: وهذا هو الصواب إن شاء الله؛ لأدلة كثيرة منها:

أولاً: أنه هو الموافق لظاهر النص، وهذا هو الذي يتحتم المصير إليه ما لم
يصرفه عنه دليل شرعي، وذلك الدليل إما نص أو إجماع.

ثانياً: قوله تعالى ﴿فمن عفى وأصلح فأجره على الله﴾.

وقوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو

ظلم كبير، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

من فقه الآية:

أولاً: شرع من قبلنا شرع لنا إذا سيق مقررأ ولم ينسخ.

ثانياً: ترغيب المحني عليه أو وليه في العفو عن الجاني.

ثالثاً: وصف الحاكم بغير ما أنزل الله بالظلم وهل ذلك الظلم كفر ناقل

عن الملة موجب للردة بعد الإيمان أم في ذلك تفصيل عند أهل التحقيق من العلماء

والأئمة، وحتى تظهر الحجة وتستبين المحجة أمام طالب الحق وسلوك مسلك أهل

السنة والجماعة ننقل تفصيل القول في هذا الباب عن أهل العلم.

١- قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في شرحه هذه الآية وما

بعدها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ وما قبلها ﴿ومن لم

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿١﴾ واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى، ومن لم يحكم بما أنزل الله، معارضة للرسول وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعلاً قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، والعبارة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وتحقيق أحكام الكل هو ما رأيت، والعلم عند الله تعالى». انظر الجزء الثاني من أضواء البيان صفحة تسعين.

٢- وقال سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية

السعودية حفظه الله:

«ومن حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أمور:

١- من قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية فهذا كافر

كفر أكبر.

٢- ومن قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا

جائز وبالشريعة جائز فهو كافر كفوفاً أكبر.

٣- ومن قال أنا أحكم بهذا والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل؛ لكن الحكم

بغير ما أنزل الله جائز فهو كافر كفوفاً أكبر.

٤- ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز

ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها؛ ولكنه متساهل

أو يفعل هذا لأمر صادر من حكامه فهو كافر كفوفاً أصغر لا يخرج من الملة

ويعتبر من أكبر الكبائر»

٣- وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله في (ص ٨٧ من

القواعد المثلى):

«فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فيجب الثبوت فيه غاية الثبوت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه. والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبزه به أخاه إن كان سالماً منه ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت إليه». وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين: أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ وقوله ﴿وما كان

الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم
إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير ﴿٤٠﴾.

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام
حتى يبين له.

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:
منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر
حينئذ لقوله تعالى ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن
بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم﴾ ﴿٤١﴾.

ومنها: أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو
خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على
راحته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة
فاضطجع في ظلها قد أيس من راحته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده
فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من
شدة الفرح». اهـ.

٤- وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف
بابن القيم رحمه الله في كتاب الصلاة (ص ٥٣): «...فالكفر والإيمان متقابلان إذا
زال أحدهما خلف الآخر. ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة
منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال
الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب

إلى إمطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكامله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة - إلى أن قال (ص) (٥٥):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود

وعناد. فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان. وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله - سبحانه - الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً، ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان، فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «من أتني كاهناً فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد». وقوله: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما» - إلى أن قال (ص ٥٦):

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم، فانقسموا فريقين: فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملين الإيمان، فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فهذا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم. . . إلى أن قال (ص ٥٨):
كذلك الشرك شر كان: شرك ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل

عن الملة، وهو الشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء، وقال تعالى في الشرك الأكبر ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ وقال ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ وفي شرك الرياء ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه أبو داود وغيره، ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرج عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار.. إلى أن قال (ص ٦٠):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة. . . إلى أن قال (ص ٦١):

وها هنا أصل آخر، وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعباد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمتنع كذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً.

٥- وقال شيخه الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله (ص ١٨٠ ج ١٢

بمجموع الفتاوى لابن القاسم):

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في

طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على شيباته». اهـ

وقال في (ص ٢٢٩ ج ٣) من المجموع المذكور في كلام له: «هذا مع أنني دائماً ومن جالسي يعلم ذلك مني أنني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى».

وقال رحمه الله في (ص ١٦٥ ج ٣٥) من مجموع الفتاوى:

«وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن رسول الله ﷺ قالها.

وقال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال تعالى ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان». اهـ كلامه.

٦- وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «وفصل الخطاب أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له وهو يعلم أن الله أنزله كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله ميلاً إلى الهوى من غير جحود فهو ظالم وفاسق، وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق». اهـ (زاد المسير ٢/٣٦٦).

٧- وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله». (ص ٣١٦).

٨- وقال شارحه الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (ص ٣٢٣): «وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة، أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر».

قال مقيده: عليك بما قاله هؤلاء العلماء فالزمه فإن أهل السنة من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم مجمعون عليه، واعلم أنك إن خالفته وقعت في نهج الخوارج.

١٣٢- حدثني محمد بن سلام، أخبرنا الفزاري^(١)، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: كسرت الربيع وهي عمه أنس بن مالك ثنية جارية من الأنصار فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النظر، عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر سنّها يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص». فرضي القوم وقبلوا الأرش

(١) هو أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري الكوفي، نزيل مكة ودمشق، ثقة حافظ وكان يدلس أسماء الشيوخ، من الثامنة، مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة]. ع.

فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «كسرت الربيع وهي عممة أنس» في الديات باب السن بالسن: «لطمت جارية فكسرت ثنتها» والربيع هي الربيع بنت النظر الأنصارية الخزرجية عممة أنس بن مالك، صحابية روى عنها أنس في الجهاد من صحيح مسلم، ولم يذكرها المزني. أخرج لها مسلم.

الثانية: قوله «تنية جارية من الأنصار» التنية مفرد ثنانيا وهي ما يلي الرباعية من الأسنان في وسط الفم وفي رواية معتمر «امرأة» بدل جارية وهو يوضح أن المراد بالجارية المرأة الشابة لا الأمة الرقيقة. ولم أقف على اسم تلك الجارية.

الثالثة: قوله «فطلب القوم القصاص» في الديات «فأتوا النبي ﷺ» زاد في الصلح باب الصلح في الدين، ومثله لابن ماجه في الديات والنسائي في تفسير الآية من وجه آخر عن أنس: «فطلبوا إليهم العفو فأبوا، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا» أي طلب أهل الربيع إلى أهل التي كسرت ثنتها أن يعفوا عن الكسر المذكور مجاناً أو على مال فامتنعوا.

الرابعة: قوله «فأمر النبي ﷺ بالقصاص» أي بأن يقتص من الربيع بكسر سنها لقاء كسرها سن الجارية.

الخامسة: قوله «فقال أنس بن النظر» هو أنس بن النظر الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك صحابي استشهد يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة.

السادسة: قوله «لا والله لا تكسر سنها يا رسول الله» ليس هذا القسم من أنس رداً لحكم الله ولا اعتراضاً عليه؛ ولكنه قال ذلك طمعاً في عدم وقوعه لما كان له عند الله من القرب والثقة بفضل الله تعالى ولطفه أنه لا يخيبه بل

يلهمهم العفو.

السابعة: قوله «كتاب الله القصاص» أي فريضة الله في هذا القصاص ولا بد من تقييده بعدم العفو والمطالبة من المحني عليه أو وليه كما قال تعالى: ﴿فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ فالآية دليل على أنه بالعفو يسقط القصاص.

الثامنة: قوله «فرضي القوم وقلبوا الأرش» يعني عفى أهل الجارية عن القصاص ورضوا بديلة السن.

التاسعة: قوله «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» أي لأبر قسمه. ووقع في رواية خالد الطحان عن حميد عن أنس في هذا الحديث عند ابن أبي عاصم: «كم من رجل لو أقسم على الله لأبره» ووجه تعجبه أن أنس بن النظر أقسم على نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير على إيقاع ذلك الفعل فكان قضية ذلك في العادة أن يحنث في يمينه فألهم الله الغير العفو فبر قسم أنس. وأشار بقوله «إن من عباد الله» أي أن هذا الإتفاق إنما وقع إكراماً من الله لأنس لير يمينه وأنه من جملة عباد الله الذين يجيب دعاءهم ويعطيهم أربهم. حكاها الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: وجوب القصاص إذا لم يكن عفو من المحني عليه أو وليه.

ثانياً: فضيلة أنس بن النظر رضي الله عنه.

فائدة:

يذكر الفقهاء شروطاً لوجوب القصاص وأخرى لاستفائه وسنذكر كلاً

من الصنفين على حدة فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: شروط وجوب القصاص وهي أربعة:

أحدها: عصمة المقتول فلو قتل مسلم حرياً أو مرتداً لم يضمه بقصاص ولا

دية.

الثاني: التكليف فلا قصاص على صغير ولا مجنون.
 الثالث: المكافأة بأن يساويه في الدين والحرية والرق فلا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد وعكسه يقتل، ويقتل الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر.
 الرابع: عدم الولادة فلا يقتل أحد الأبوين وإن علا بالولد وإن سفل ويقتل الولد بكل منهما.

ثانياً: شروط استيفاء القصاص وهي ثلاثة:

(أ): كون مستحقه مكلفاً فإن كان صبيّاً أو مجنوناً لم يستوفى وحبس

الجاني إلى البلوغ والإفاقة.

(ب): إتفاق الأولياء المشتركين فيه، على استيفائه وليس لبعضهم أن ينفرد

به وإن كان بقي غائباً أو صبيّاً أو مجنوناً انتظر القدوم والبلوغ والعقل.

(ج): أن يؤمن في الاستيفاء أن يتعدى الجاني فإذا وجب على حامل أو

حائل فحملت لم تقتل حتى تضع الولد وتسقيه اللبن ثم إن وجد من يرضعه وإلا

تركت حتى تطفمه ولا يقتص منها في الطرف حتى تضع والحد في ذلك

كالقصاص.

١١٤- [باب ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾].

ش: تمامها ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

قوله ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمد ﷺ باسم الرسالة وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.»

قوله ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ يعني إذا لم تمتثل هذا الأمر الذي أمرك به ربك فإنك لم تكن مبلغاً الرسالة التي بعثك الله بها هداية للناس وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور» اهـ.

قوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

قال ابن جرير: «ويعني بقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾ يمنعك من أن ينالك بسوء، وأصله من عصام القربة، وهو ما توكلأ به من سير وخيط ومنه قول الشاعر:

وقلت عليكم مالكا إن مالكا

سيعصمكم إن كان في الناس عاصم

يعني بمنعكم».

قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني جل وعلا بذلك نفي هداية التوفيق والقبول عن سبق في علم الله عليه الكفر عليه، لا هداية البيان والإرشاد فإنها شاملة كل من بلغته الرسالة، وبها قامت عليهم الحجة وأمثال هذا النفي في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

١٣٣- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

ش: سيأتي بتمامه في سورة النجم ضمن الباب السابع والثلاثين بعد الثلاث مائة وهناك يأتي شرحه كاملاً إن شاء الله.

١١٥- [باب ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾].

ش: **﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾**.

قوله **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾**.

قال البغوي في سبب نزولها: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت **﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾** قالوا يا رسول الله كيف نضع بأيماننا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾**.

قلت: ونظيره من سورة البقرة **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾**.

قال الشوكاني في تفسيرها: **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾** واللغو مصدر لغا يلغو لغواً. ولغى يلغى لغياً. إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه، وهو الساقط الذي لا يعتد به، فاللغو من اليمين هو الساقط الذي لا يعتد به، ومنه اللغو في الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من أولاد الإبل. قال جرير:

ويذهب بينها المرى لغواً كما

ألغيت في الدية الحوارا

وقال آخر:

ورب أسراب حجيج كظيم

عن اللغا ورفث التكلم

أي لا يتكلمن بالساقط والرفث، ومعنى الآية لا يعاقبكم الله بالساقط من

أيمانكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته بالقصد إليه، وهي اليمين المعقودة. ومثله قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ ومثله قول الشاعر:

ولست بماخوذ يلغو بقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو، فذهب ابن عباس وعائشة وجمهور العلماء أيضاً أنه قول الرجل "لا والله" و"بلى والله" في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين، ولا مرید له.

قال المروزي: «هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء».

وقال أبو هريرة وجماعة من السلف: «هو أن يحلف الرجل على شيء لا يظن إلا أنه إياه فإذا ليس هو ما ظنه، وإلى هذا ذهب الحنفية والزيدية وبه قال مالك في الموطأ. ثم ذكر أقوالاً أخرى وقال: والراجح القول الأول لمطابقتها للمعنى اللغوي، ولدلالة الأدلة عليه». اهـ.

قوله ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين - إلى قوله - فصيام ثلاثة أيام﴾.

قلت: الكفارة من كفر الله عنه الذنب أي محاه، ومنه الكفارة؛ لأنها تكفر الذنب، وكفر عن يمينه إذا فعل الكفارة وأما معنى الآية فقال ابن كثير: «قوله ﴿عشرة مساكين﴾ يعني محاييج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه، وقوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم.

وقال عطاء الخرساني: «من أمثل ما تطعمون أهليكم... واختار ابن جرير

أن المراد بقوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ أي في القلة والكثرة...»

وقوله تعالى ﴿أو كسوتهم﴾ قال الشافعي رحمه الله: «لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزاء ذلك».

وقوله ﴿أو تحرير رقبة﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال: تجزي الكافرة كما تجزي المؤمنة، وقال الشافعي وآخرون: لا بد أن تكون مؤمنة وأخذ تقيدها بالإيمان من كفارة القتل لإتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم: أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول الله: أين الله. قالت: في السماء قال: من أنا. قالت: رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة. الحديث بطوله. فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع وقد بدأ بالأسهل فالأسهل، فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام كما قال تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾.

قوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ يعني المتقدم ذكره من الخصال على ما سبق شرحه مكفر للأيمان.

وقوله ﴿إذا حلفتم﴾ يعني إذا حلفتم فحنتم بترك ما حلفتم على فعله أو فعل ما حلفتم على تركه» اهـ.

قوله ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ الخ الآية قال ابن جرير: «واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحتثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعني أعلام دينه، فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ يقول لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: لا كفارة في لغو الأيمان.

ثانياً: وجوب الكفارة في اليمين المنعقد.

ثالثاً: الأمر بحفظ اليمين وصيانتها.

رابعاً: شكر الله على ما أولى من نعمه ومن ذلك شرعية الكفارة في اليمين.

١٣٤- حدثنا علي بن سلمة^(١)، حدثنا مالك بن سعيد^(٢)، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنزلت هذه الآية ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل "لا والله" و"بلى والله".

١٣٥- حدثنا أحمد بن أبي رجاء^(٣)، حدثنا النضر^(٤)، عن هشام قال: أخبرني أبي، عن عائشة رضي الله عنها: أن أباهما كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين قال أبو بكر: لا أرى يميناً أرى غيرها خيراً منها إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير.

ش: فيهما أربع مسائل:

(١) هو علي بن سلمة بن عقبة القرشي اللبقي، النيسابوري، صدوق من كبار الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وحمسين ومائتين. خ. ق.

(٢) مالك بن سعيد بالتصغير وآخره راء بن الخمس بكسر المعجمة، لا بأس به من التاسعة، مات على رأس المائتين. خ. م. ت. س. ق.

(٣) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أيوب الهروي، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. خ.

(٤) هو أبو الحسن النضر بن شمیل المازني النحوي البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة، مات سنة أربع ومائتين وله اثنتان وثمانون. ع.

الأولى: قوله «لا والله وبلى والله» فيه دليل على ما ذهب إليه الجمهور أن لغو اليمين قول الرجل لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مرید لها. والظاهر أن الخبر موقوف على عائشة رضي الله عنها، وهو الذي رجحه أبو داود بعد إخرجه من طريق إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «هو كلام الرجل في بيته لا والله وبلى والله» فقال: كان إبراهيم الصائغ رجلاً صالحاً قتله أبو مسلم بعردنس قال: وكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء سببها. قال أبو داود: «روى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصائغ موقوفاً على عائشة، وكذلك رواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول وكلهم عن عطاء عن عائشة موقوفاً». اهـ

قلت: وعندي أن هذا وأمثاله مما ليس فيه مجال للإجتهد فله حكم المرفوع.

الثانية: قوله «أن أباهما كان لا يحنث في يمين» أخرجه ابن حبان من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا حلف على يمين لم يحنث» الحديث. والمحفوظ ما وقع في الصحيحين أن ذلك فعل أبي بكر وقوله. والله أعلم.

وحكى ابن التين عن الداودي أن الحديث الثاني يفسر الأول، وتعقبه والحق أن الأول في تفسير لغو اليمين، والثاني في تفسير عقد اليمين. قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «قال أبو بكر: لا أرى يميناً غيرها خيراً منها» بفتح الهمزة في الموضوعين من الرؤية بمعنى الاعتقاد، وفي الثاني بالضم بمعنى الظن. وقد أخرجه في أول الأيمان والنذور قول الله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم» من رواية عبد الله بن المبارك عن هشام بلفظ: «لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها».

الرابعة: قوله «إلا قبلت رخصة الله» أي في كفارة اليمين. وفي رواية ابن

المبارك «إلا آتيت الذي هو خير منه».

من فقه الحديثين:

أولاً: في تمسك أبي بكر رضي الله عنه بإمضاء يمينه وحرصه عليه حتى نزول الكفارة معنة من فقهه رضي الله عنه إذ كان يدور مع الدليل.

ثانياً: جواز المضي في اليمين وإنفاذه ما لم يكن في ذلك معصية كقطيعة الرحم وعلى هذا قام الدليل.

ثالثاً: أن التكفير عن اليمين وفعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله مندوب إليه إذا كان أتقى لله فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى». رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير منها، وتحللتها. أخرجه.

١١٦- [باب قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾].

ش: **تمامها ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حق من عند الله ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ يعني بالطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إياها. كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم وساح في الأرض بعضهم يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك.

قوله ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾.

قال ابن كثير: «يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ الآية. وقال ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجاني عنه، لا إفراط ولا تفريط». اهـ

من فقه الآية:

أولاً: النهي عن تحريم ما أحل الله لما فيه من التضييق والخرج على النفوس، بل هو من تزيين الشياطين كما روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمان الجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا. كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي خفء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم، عن دينهم، وحرمت

عليهم ما أحللت لهم).

ثانياً: النهي عن الاعتداء وهو شامل لتحريم الحلال وتحليل الحرام.

ثالثاً: أن التحليل والتحريم محض حق الله لا يشركه فيه أحد.

١٣٦- حدثنا عمرو بن عون^(١)، حدثنا خالد^(٢)، عن إسماعيل، عن

قيس^(٣)، عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا

نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نعزج

المرأة بالشوب، ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله

لكم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء» فيه بيان أن الحامل

لهم على طلبهم الآتي شدة العزوبة عليهم.

الثانية: قوله «ألا نختصي؟» وفي باب ما يكره من التبتل من كتاب النكاح

من رواية ابن جريج «ألا نستختصي» ولا تنافي بينهما فالأولى استئذان لفعالهم

الاختصاص والثانية استئذان في طلب من يفعله بهم.

الثالثة: قوله «فهانا عن ذلك» قال أهل العلم: هو نهى تحريم بلا خلاف

في بني آدم، وفيه أيضاً من المفاسد تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر

الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عون بن أوسط الواسطي الجزاز البصري، ثقة من العاشرة

مات سنة خمس وعشرين [وماكين] ع.

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان الواسطي المزني مولاهم، ثقة ثبت، من

الثامنة مات سنة اثنين وثمانين ومائة وكان مولده سنة عشر ومائة ع.

(٣) هو أبو عبد الله قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي ثقة من الثانية مخضرم، مات بعد

الشمعين أو قبلها وقد جاز المائة وتغير ع.

النعمة؛ لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال، وفيه من المفاصد قطع النسل الذي هو من أعظم منافع النكاح.

الرابعة: قوله «فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب» يعني وغيره مما يتم عليه التراضي وفيه إرشاد إلى تخفيف المهر وتقليله.

الخامسة: قوله «ثم قرأ» وقع في رواية ابن بشر عند مسلم في النكاح باب نكاح المتعة «ثم قرأ عبد الله».

السادسة: قوله «يا أيها الذين آمنوا» الآية» وظاهر استشهاد ابن مسعود بهذه الآية هنا يشعر بأنه كان يرى جواز المتعة فقال القرطبي: لعله لم يكن حينئذ بلغه الناسخ، ثم بلغه فرجع بعد.

قلت: يؤيده ما ذكره الإسماعيلي أنه وقع في رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد «ففعله ثم ترك بعد» قال: وفي رواية لابن عيينة عن إسماعيل «ثم جاء تحريمها بعد» وفي رواية معمر عن إسماعيل «ثم نسخ» حكاه الحافظ.

١١٧- [باب قوله ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾].

ش: قلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.
الغريب:

١- الخمر: يجمع الخمر على خمور مثل فلس وفلوس، ويقال هي اسم لكل مسكر خامر العقل أي غطاه.

٢- الميسر: قال في الصحاح: «الميسر قمار العرب بالأزلام، والياسر اللاعب بالقداح» اهـ.

وقال محمد بن كعب القرظي: «كانوا يشترون الجزور فيجعلونها أجزاء، ثم يأخذون القداح فيلقونها وينادى يا ياسر الجزور، يا ياسر الجزور، فمن خرج قدحه أخذ جزءً بغير شيء، ومن لم يخرج قدحه غرم، ولم يأخذ شيئاً».

٣- الأنصاب: «النصب بضم نين حجر نصب وعبد من دون الله، وجمعه أنصاب. وقيل النصب جمعها، واحدها نصاب. قيل هي الأصنام وقيل غيرها فإن الأصنام مصورة منقوشة». قاله في المصباح.

٤- الأزلام: الـ لم يفتح اللام، وتضم الزاي وتفتح. القدح وجمعه أزلام. وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده وأخرج قدحاً فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كف. قاله في المصباح.

٥- الرجس: «هو الشيء القذر. يقال: رجل رجس، ورجال أرجاس. والرجس يكون على أربعة أوجه، إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من كل ذلك. كالميتة فإن الميتة تعاف طبعاً وعقداً وشرعاً، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر». قاله الراغب في المفردات.

ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا . صدقوا الله ورسوله، إن الخمر التي تشربونها، والميسر الذي تتياسرونه، والأنصاب التي تدبجون عندها، والأزلام التي تستقسمون بها ﴿رجس﴾ يقول: إثم وذن، سخطه الله وكرهه لكم ﴿من عمل الشيطان﴾ يقول: شربكم الخمر وقماركم على الجزر وذبحكم للأنصاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم لامن الأعمال التي نذبتكم إليها ربكم ولا مما يرضاه لكم بل هو مما يسخطه لكم، ﴿فاجتنبوه﴾ يقول: فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ يقول: «لكي تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بترككم ذلك». قاله ابن جرير.

قال مقيده: وإذا ضمنت هذه الآية إلى ما بعدها وهي ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون﴾ ظهر لك أعظم المفاسد التي من أجلها حرمت الخمر وهي:

أولاً: إيقاع العداوة والبغضاء.

ثانياً: الصد عن ذكر الله.

ثالثاً: الصد عن الصلاة، وذلك ما يريده الشيطان من أهل الإسلام بتزيين

الخمر وسائر المسكرات لهم.

من فقه الآيتين:

أولاً: تحريم الخمر وسائر المذكورات بعده.

ثانياً: أنها من تزيين الشيطان.

ثالثاً: الوعد بالفلاح لمن ترك المذكورات في الآية.

رابعاً: يجب على أهل الإسلام سد مداخل الشيطان ومكائده.

خامساً: في الخمر وسائر المسكرات فساد العقل والعرض والدين.

شرح جملة من الكلمات:

١- [وقال ابن عباس: الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور. والنصب

أنصاب يذبحون عليها].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق الحسن بن محمد الصباح، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس فذكره.

٢- [وقال غيره: الزلم القدح لا ريش له. وهو واحد الأزلام].

ش: قال أبو عبيدة: «واحد الأزلام زلم بفتحين، وزلم بضم أوله وفتح ثانيه لغتان وهو القدح بكسر القاف وسكون الدال».

٣- [والاستقسام: «أن يجيل القداح فإن نهته انتهى، وإن أمرته فعل ما

تأمره، وقد أعلموا القداح أعلاماً، بضروب يستقسمون بها، وفعلت منه قسمت، والقسوم المصدر. يجيل: يدير].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من استفعلت من قسمت أمرى بأن أجيل القداح لتقسم لي أمرى، أسافر أم أقيم، أم أغزو أو لا أغزو، ونحو ذلك فتكون هي التي تأمرني وتنهاني، ولكل ذلك قدح معروف. وقال: ولم أقسم فتربطني القسوم. ويقال ريته يريته ريثاً إذا حبسه».

١٣٧- حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بشر^(١)، حدثنا عبد

العزیز بن عمر بن عبد العزیز^(٢) قال: حدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزل تحريم الخمر، وإن في المدينة يومئذ خمسة أشربة، ما فيها

(١) هو أبو عبد الله محمد بن بشر العبدي، الكوفي، ثقة حافظ من التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، المدني نزيل الكوفة، صدوق يخطيء من السابعة، مات في حدود الخمسين [ومائة]. ع.

شراب العنب.

١٣٨- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة، وفلاناً، وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذلك؟ قال: حرمت الخمر. قالوا: اهرق هذه القلال يا أنس. قال: فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

١٣٩- حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال: صبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبل تحريمها.

١٤٠- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عيسى^(١) وابن إدريس^(٢)، عن أبي حيان^(٣)، عن الشعبي، عن ابن عمر قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي ﷺ يقول: أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل.

ش: فيها ثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «نزل تحريم الخمر» يعني به قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية فإنها هي النص القاطع بتحريمها إذ هي آخر ما نزل في ذلك.

(١) هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أخو إسرائيل، كوفي نزل الشام مرابطاً، ثقة مأمون، من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي، الكوفي، ثقة فقيه عابد، من الثامنة، مات سنة اثنتين وتسعين [ومائة] وله بضع وسبعون سنة. ع.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي، ثقة عابد، من السادسة، مات سنة خمس وأربعين [ومائة]. ع.

الثانية: قوله «وان في المدينة يومئذ خمسة أشربة» قلت: وهي الزبيب والتمر والخنطة والشعير والعسل، وقد جاء بيانها في الأشربة باب الخمر من العنب من رواية الشعبي، عن ابن عمر، عن أبيه.

الثالثة: قوله «الفضيخ» قال أهل العلم: بفتح الفاء وكسر الضاد وبالخاء المعجمتين هو شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار، والفضخ الكسر؛ لأن البسر يشرخ ويترك في وعاء حتى يغلي.

الرابعة: قوله «أسقي أبا طلحة، وفلاناً وفلاناً» وقع تسميتهم في الأشربة باب نزول تحريم الخمر من رواية إسحاق وهم أبو عبيدة، وأبي بن كعب، وأبو طلحة، وزاد مسلم في الأشربة باب تحريم الخمر من رواية قتادة معاذ بن جبل وأبا دجانة وسهيل بن بيضاء.

الخامسة: قوله «إذ جاء رجل» لم نقف له على تسمية.

السادسة: قوله «حرمت الخمر» يعني حرّمها الله بما أنزله على نبيه ﷺ في كتابه في سورة المائدة.

السابعة: قوله «اهرق هذه القلال» أمر بالإراقة وهي الصب والنثر، والقلال جمع قلة، وهي الجرة العظيمة، وهذا دليل على كثرتها في الدار حينئذ.

الثامنة: قوله «فما سألوها عنها، ولا راجعوها بعد خبر الرجل» قلت: فيه دليل على سرعة استجابة القوم لأمر الله ورسوله كما أن فيه النص على قبول خبر الواحد، وهذه إحدى الوقائع الكثيرة التي اشتهر فيها عن الصحابة قبول خبر الواحد من غير تردد.

التاسعة: قوله «صبح أناس غداة أحد الخمر» سمي جابر منهم فيما رواه وهب بن كيسان عنه: «أباه عبد الله بن عمرو» أخرجه الحاكم في «الإكليل» قاله الحافظ في شرحه لهذا الحديث في غزوة أحد.

العاشر: قوله «فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء» وعند الإسماعيلي من طريق

القواريري عن سفيان: «اصطبح قوم الخمر أول النهار، وقتلوا آخر النهار شهداء»
حكاه القسطلاني.

الحادية عشرة: قوله «وذلك قبل تحريمها» فيه دليل على أن الخمر لم تكن
محرمة حينئذ، وقد تقدم أن غزوة أحد كانت سنة ثلاث.

الثانية عشرة: قوله «والخمر ما خامر العقل» فيه التنبية إلى أن اسم الخمر
شامل، وليس مقصور على ما كان معهوداً حين تحريمها، وهذا دليل على فقه
عمر رضي الله عنه، ومصادقه في الحديث الصحيح «كل مسكر خمر، وكل خمر
حرام».

قلت: فقد دخل في هذا العموم جميع المسكرات سواء منها ما كان مشروباً
أو مأكولاً أو مشموماً ما دام يخامر العقل.

تنبيه على ما كان يتخذ منه الخمر حين تحريمها:

فإن قلت: روى أحمد من رواية المختار بن فلفل قال: سألت أنساً عن
الأوعية. الحديث. وفيه الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة،
وفي رواية أبي يعلى الموصلي: «وحرمت الخمر وهي من العنب والتمر والعسل
والحنطة والشعير والذرة» وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ «الخمر من هاتين
الشجرتين النخلة والعنب» رواه مسلم.

قلت: لا تعارض بين هذه الأحاديث؛ لأن كل واحد من الرواة روى ما
حفظ من الأصناف، وأيضاً فإن مفهوم العدد ليس بحجة على الصحيح وعليه
الجمهور.

فإن قلت: حديث أبي هريرة يدل على الحصر.

قلت: لا نسلم ذلك؛ لأن الحصر إنما يكون إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين
كقولك: الله ربنا. ونحوه. قاله العيني في شرحه لحديث ابن عمر في أول الباب.

فائدة في الأطوار التي مر بها ذكر الخمر في القرآن:

اعلم هديت إلى الصواب وسداد الأقوال والأعمال أن الخمر في القرآن مرت بأربعة أطوار:

الأول: الإباحة وذلك في قوله ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾ ووجه الاستدلال أنها ذكرت ضمن ما امتن الله به على عباده. قال ابن كثير: «ولما ذكر اللبث وأنه تعالى جعله شراباً للناس سائغاً ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، ولهذا امتن به عليهم فقال: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾ دلّ على إباحته شرعاً قبل تحريمه، ودلّ على التسوية بين السكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء» اهـ.

الثاني: التعريض وهو أن ضررها أكثر من نفعها كما أفاده قوله تعالى: ﴿يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

الثالث: نهى من كان سكران عن قربان الصلاة، حتى يكون على وعي، وإدراك مما يقوله في صلاته، ويفعله فيها كما أفاده قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾.

الرابع: التحريم البتة كما أفادته آيتنا المائدة أول الباب.

قال مقيده: وما هنا أمران يجب التنبه إليهما ووعيهما وعي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

الأمر الأول: فيما تواتر من السنة الصحيحة عن النبي ﷺ في ذم الخمر وسائر

المسكرات، والوعيد بالعقوبات الشديدة عليها وهو مفيد قطعاً تحريمها وإليك من تلك السنة أربعة أحاديث:

الحديث الأول: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى) رواه النسائي في الزكاة باب: المنان بما أعطى، وقال فيه الألباني حفظه الله: حديث حسن صحيح.

الحديث الثاني: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة) متفق عليه.

الحديث الثالث: وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكراً بخصت صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل وما طينة الخبال يارسول الله؟ قال: صديد أهل النار). قال أبو السعادات في جامعه: «أخرجه أبو داود. قال محققه: وفي سننه إبراهيم بن عمر اليماني، أبو إسحاق الصنعاني وهو مستور. أقول: وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها» اهـ.

الحديث الرابع: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقها وحاملها والحمولة إليه، وبتاعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها) أخرجه الترمذي، وقال الأرنؤوط ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٣٣٨١) في الأشربة باب لعنة الخمر على عشرة أوجه، وهو حديث حسن.

الأمر الثاني: ويتضمن فائدة في ذكر مفاسد المسكرات والمخدرات

ومضارها:

أكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكرا بفتح الشين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب، فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووي في بعضها وغيره في باقيها، ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل لا مع الشدة المطربة لأنها من خصوصيات المسكر المائع، وبما قررت به في معنى الإسكار في هذه المذكورات علم أنه لا ينافي أنها تسمى مخدرة، وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر، فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات لا شترأكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله والتميز به الإنسان عن الحيوان والوسيلة إلى إثارة الكمالات عن النقائص فكان في تعاطي ما يزيله وعيد الخمر .

ولا بد من ذكر خلاصة ذلك هنا فنقول: الأصل في تحريم كبل ذلك ما رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتز . قال العلماء: المفتز: كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف، وهذه المذكورات كلها تسكر وتخد وتفتز .

وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلها فقد كفر . قال: وإنما لم يتكلم فيها الإئمة الأربعة لأنها لم تكن في زمنهم، وإنما ظهرت في آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار .

وذكر الماوردي قولاً أن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد.

قال بعض العلماء: «وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية. منها أنها تورث الفكرة الرديئة، وتجفف الرطوبات الغريزية وتعرض البدن لحدوث الأمراض، وتورث النسيان، وتصدع الرأس وتقطع النسل، وتجفف المني، وتورث موت الفجأة واختلال العقل وفساده، والدق، والسلب والاستسقاء، وفساد الفكر، ونسيان الذكر، وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وذهاب الحياء، وكثرة المرء، وعدم المروءة، ونقض المودة، وكشف العورة، وعدم الغيرة، واتلاف الكيس، ومجالسة إبليس، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، والبرص، والجذام، وتوالي الأسقام، والرعدة على الدوام، وثقب الكبد، واحتراق الدم والبحر، وتسن القم، وفساد الأسنان، وسقوط شعر الأجنان، وصفرة الأسنان، وعشاء العين والفشل وكثرة النوم والكسل، وتجعل الأسد كالعجل، وتعيد العزيز ذليلاً والصحيح عليلاً والشجاع جباناً والكريم مهاناً، إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع، وإن كلم لا يسمع، تجعل الفيح أبكم والذكي أبلم، وتذهب الفطنة، وتحدث البطنة، وتورث العنة واللغنة والبعد عن الجنة.

ومن قبائحها أنها تنسى الشهادتين عند الموت، بل قيل إن هذا أدنى قبائحها.

وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون وغيره مما سبق، بل يزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخاً للخليفة كما يشاهد من أحوال آكله وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد من أحوال آكله تلك القبائح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أحسن حالة وأرث هيئة وأقدر وصف وأقطع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى حوارم المروءات وهو أذم الكمالات وفواحش الضلالات، ثم مع هذه العظائم التي نشاهدها منهم يجب الجاهل أن يندرج في زميرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الحائرة متعامياً عما على

وجوههم من الغيرة وما يعزبها من الفترة ذلك يخشى عليه أن يكون من الكفرة الفجرة، فمن اتضحت له فيهم هذه المثلث وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعايب ثم نحا منحورهم وحذا حذوهم فهو المفتون المغبون الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون، لأنه لعنه الله إذا أحل عبداً في هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذ شيئاً إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً ومن أهل النيران، فبئس ما رضيه لنفسه مبيتاً ومقيماً وأف لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة، وفقنا الله لطاعته وحمانا من مخالفته». آمين انتهى من (الزواج) مع شيء من الاختصار والتصرف وراجع إن شئت هذا الكتاب من (ص ٢١٢-٢١٥).

قال أبو عبدالعزيز: فلا تستغربين يا ذوي الحجا أن تكون عقوبة مروحي المخدرات، في بلادنا - المملكة العربية السعودية - القتل تعزيراً، فإن أولئك داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١١٨- [باب] ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما

طعموا ﴿﴾.

ش: تماماً: ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم

اتقوا وأحسنوا و الله يحب المحسنين﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل الله تحريم

الخمير بقوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان

فاجتنبوه﴾: كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها، وبنا وقد كنا نشربها؟

ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك في

الحال التي لم يكن الله تعالى حرمه عليهم، ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا

الصالحات﴾ يقول: إذا ما اتقوا الله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم

ما حرم عليهم منه، وصدقوا الله ورسوله فيما أمروهم ونهواهم، فأطاعوهما في

ذلك كله، و عملوا الصالحات. يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك

مما كلفهم بذلك ربهم. ﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾ يقول: ثم خافوا الله وراقبوه

باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً فثبتوا على اتقاء الله في ذلك، والإيمان

به ولم يغيروا ولم يبدلوا ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ يقول: ثم خافوا الله فدعاهم

خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من

الأعمال ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه، وهرباً من عقابه. ﴿و الله

يحب المحسنين﴾ يقول: و الله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي

يرضاها. فالإتقاء الأول هو الإتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به

والعمل، والإتقاء الثاني الإتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير،

والإتقاء الثالث هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال. اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: عفو الله عما سلف من شرب الخمر قبل تحريمها.

ثانياً: الأمر بتقوى الله عز وجل. قال بعض أهل العلم: وحقيقة التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تدع معصية الله على نور من الله تخشى عقابه.

ثالثاً: الحث على التزود من صالح الأعمال، ولا يكون العمل صالحاً حتى يتحقق فيه شرطان هما: تجريد الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ. رابعاً: إثبات صفة المحبة لله على الوجه اللائق به جل جلاله.

١٤١- حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد^(١)، حدثنا ثابت^(٢)، عن أنس رضي الله عنه: إن الخمر التي أهرقت الفضيخ. وزادني محمد، عن أبي النعمان قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فاهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ. فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال: فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «وزادني محمد البيكندي عن أبي النعمان» كذا ثبت لأبي ذر وسقط لغيره البيكندي. ومراده أن البيكندي سمعه من شيخه أبي النعمان بالإسناد المذكور، فزاده فيه زيادة، والحاصل أن البخاري سمع الحديث من أبي النعمان مختصراً ومن محمد بن سلام البيكندي عن أبي النعمان مطولاً.

(١) هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، البصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين [ومائة] وله إحدى وثمانون سنة. ع.

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، البصري، ثقة عابد من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين [ومائة] وله ست وثمانون. ع.

الثانية: قوله «فأمر منادياً فنادى...» الأمر بذلك هو النبي ﷺ والمنادي لم أر التصريح باسمه، والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة: إنما أنتم عبيد لأبي. وحديث جابر يرد عليه - يعني المتقدم في الباب قبله - والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان. حكاه وما قبله الحافظ في الفتح.

الثالثة: قوله «فقال بعض القوم...» وعند النسائي والبيهقي من طريق ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في ناس شربوا فلما تملأوا عبثوا فلما صحوا جعل بعضهم يرى الأثر في وجه الآخر فنزلت، فقال ناس من المتكلفين. وعند السبزي إن الذين قالوا ذلك كانوا من اليهود، وأفاد في الفتح أن في رواية الإسماعيلي عن أبي ناجية، عن أحمد بن عبدة ومحمد بن موسى، عن حماد في آخر هذا الحديث قال حماد: فلا أدري هذا يعني قوله فقال بعض القوم... الخ في حديث أبي عن أنس، أو قاله ثابت مرسلًا. قاله في إرشاد الساري.

الرابعة: قوله «قتل قوم وهي في بطونهم» قلت: قد ذكرنا من وقفنا على تسميته في المسألة التاسعة من الباب قبله. وجملة "وهي في بطونهم" حالية والمعنى: أن أولئك القوم كانوا حين قتلوا حديثي عهد بشرب الخمر.

الخامسة: قوله «فأنزل الله ﴿ليس على الذين آمنوا...﴾» هذه الجملة هي وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحها أول الباب.

١١٩- [باب ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾].

ش: قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾. قال ابن كثير: «هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءت لهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصد» اهـ.

قوله ﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن - إلى قوله - والله غفور حلیم﴾.

قال ابن جرير: «ولكنكم إن سألتكم عنها بعد نزول القرآن بها، وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم أبين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي، وتأويل تنزيلي وروحي... إلى أن قال: وأما قوله: ﴿عفا الله عنها﴾؛ فإنه يعني به عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتكم عنها رسول الله ﷺ الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يواخذكم بها، ويعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم ﴿والله غفور﴾ يقول: والله سائر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة ﴿حلیم﴾ أن يعاقبه بها لتعمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها» اهـ.

١٤٢- حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي^(١)، حدثنا

(١) المنذر بن الوليد بن عبد الرحمن العبدي الجارودي، البصري، ثقة من صفار

أبي^(١)، حدثنا شعبة، عن موسى بن أنس^(٢)، عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم هم خنين فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان. فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

رواه النضر وروح بن عباد^(٣)، عن شعبة.

١٤٣- حدثنا الفضل بن سهل^(٤)، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا أبو الجويرية^(٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها.
ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: قوله «خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط» وقع عند مسلم في الفضائل باب توقيره ﷺ وترك سؤاله من طريق النضر بن شميل، عن شعبة في

العاشرة. خ. د.

- (١) الوليد بن عبد الرحمن بن حبيب الجارودي، البصري، ثقة من كبار العاشرة، مات سنة اثنتين وثمانين [ومائتين]. خ.
- (٢) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة، ثقة، من الرابعة، مات بعد أخيه النضر. ع.
- (٣) هو أبو محمد روح بن عباد بن العلاء بن حسان القيسي البصري، ثقة فاضل له تصانيف، من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين. ع.
- (٤) الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج البغدادي، أصله من خراسان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين وقد جاوز السبعين. خ. م. د. ت. س.
- (٥) حطان بن خفاف مشهور بكنيته، ثقة، من الثالثة. خ. د. س.

أوله زيادة يظهر منها سبب الخطبة ولفظه: «بلغ النبي ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: عرضت عليّ الجنة، والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم».

الثانية: قوله «لو تعلمون ما أعلم» يعني من هول ما عرض عليه من أحوال الجنة والنار.

الثالثة: قوله «لضحكتكم قليلاً ولبكيتم كثيراً قال فغطى . . . الخ» في رواية النضر بن شميل قال: «فما أتى علي أصحاب رسول الله ﷺ يوم كان أشد من ذلك غطوا رؤوسهم».

الرابعة: قوله «هم حنين» بالحاء المهملة للأكثر، وللكشميهي بالحاء المعجمة، والأول الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، والثاني من الأنف، قال الخطابي: الحنين بكاء دون الانتحاب، وقد يجعلون الحنين والحنين واحداً إلا أن الحنين من الصدر أي بالمهملة والحنين من الأنف بالمعجمة. حكاه في الفتح.

الخامسة: قوله «فقال رجل: من أبي، قال: فلان» قلت: في باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث من كتاب العلم برواية الزهري، عن أنس «أن رسول الله ﷺ خرج، فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة». قال الحافظ: وفي رواية للعسكري: «نزلت في قيس بن حذافة». والأول أشهر وكلهم له صحبة.

السادسة: قوله «فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾». قلت: هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وقد مضى شرحها.

السابعة: قوله «كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء» يعني تهكماً وسخرية منه ﷺ وما أظن ذلك يصدر إلا من المنافقين إذ يستحيل من مثل عبد

الله بن حذافة أن يستهزئ برسول الله ﷺ وقد عرفوا أن الاستهزاء به من الكفر بعد الإيمان.

الثامنة: قوله «فيقول الرجل: من أبي ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي» يعني من أولئك المستهزئين الساخرين به ﷺ.

التاسعة: قوله «فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ الآية» يعني في المستهزئين بسواهم النبي ﷺ والجملة هي وجه الشاهد من الحديث.

تنبيه:

قد يقول قائل: بين الحديثين تعارض إذ في كل منهما خبر يغاير الآخر في سبب نزول الآية.

قلنا: لا تعارض؛ لأن الآية نزلت في النهي عن كثرة المسائل إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التعنت في الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة.

١٢٠- [باب ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾].

ش: تمامها: ﴿ولكن الذين كفروا يفتنون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾.

قوله ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ما بحر الله بحيرة، ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتموه افتراءً على ربكم» اهـ.

قوله ﴿ولكن الذين كفروا يفتنون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ أي ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قرينة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقرينة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم. قاله ابن كثير.

تفسير جملة من الآثار الكلمات:

١- [﴿وإذ قال الله﴾ يقول: قال الله، وإذ ها هنا صلة].

ش: قال أبو عبيدة: «بجازه وقال الله يا عيسى "وإذ" من حروف الزوائد وكذلك وإذ علمت الكتاب والحكمة. أي علمتك» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾.

٢- [المائدة: أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطبيقاً بئنة، والمعنى ميد

بها صاحبها من خير، يقال مادني يميدني].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال رؤية: إلى أمير المؤمنين الممتاد.

أي المستعطي المسؤول به امتدتك ومدتني أنت» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿إذ قال الخواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع

ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.

٣- [وقال ابن عباس: ﴿متوفيك﴾ ميمتك].

ش: قال الحافظ: «هكذا ثبت هذا هنا، وهذه اللفظة إنما هي في سورة آل عمران فكأن بعض الرواة ضمنها من سورة المائدة فكتبها فيها، أو ذكرها المصنف هنا لمناسبة قوله في هذه السورة ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب﴾ اهـ.
والآية المشار إليها: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾
الآية.

قلت: وما أخرجه المصنف عن ابن عباس رواه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

١٤٤- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يجلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لأهتهم لا يحمل عليها شيء.

قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب، والوصيلة الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي.

وقال لي أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري: سمعت سعيداً قال: يخبره بهذا قال: وقال أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ نحوه.

ورواه ابن الهاد^(١)، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ.

١٤٥- حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانى^(٢)، حدثنا حسان بن إبراهيم^(٣)، حدثنا يونس^(٤)، عن الزهري، عن عروة، أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب». ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «البحيرة التي يمنع درها للطواغيت...» هذا تفسير للأربع المذكورات في الآية، وما من واحدة منها إلا وفي معناها عدة أقوال للمفسرين ذكرها ابن كثير في تفسيره، والحافظ في الفتح فراجع تلك الأقوال إن شئت.

الثانية: قوله «قال: قال أبو هريرة...» قال الحافظ هكذا وقع في هذه الرواية إيراد القدر المرفوع من الحديث في أثناء الموقوف - إلى أن قال - هكذا أورده متصلاً بالحديث المرفوع، وهو يوهم أنه من جملة المرفوع، وليس كذلك بل هو بقية تفسير سعيد بن المسيب، والمرفوع من الحديث إنما هو ذكر عمرو بن عامر فقط. وتفسير البحيرة وسائر الأربعة المذكورة في الآية عن سعيد بن المسيب

(١) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي، أبو عبد الله المدني، ثقة مكثراً، من الخامسة، مات سنة تسع وثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منصور بن أبي يعقوب الكرمانى، نزيل البصرة، ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وأربعين [ومائتين]. خ.

(٣) هو أبو هشام حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرمانى العنزى، قاضى كرمان، صدوق يخطيء من الثامنة، مات سنة ست وثمانين [ومائة] وله مائة سنة خ. م. د.

(٤) هو أبو يزيد يونس بن يزيد بن أبي النجار الأيلي مولى آل أبي سفيان ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غير الزهري خطأ، من كبار السابعة، مات سنة تسع وخمسين [ومائة] على الصحيح وقيل سنة ستين. ع.

ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه بهذا الإسناد مثل رواية الباب، إلا أنه بعد إيراد المرفوع قال: وقال ابن المسيب: والوصيلة الناقية... فأوضح أن التفسير جميعه موقوف. وهذا هو المعتمد وهكذا أخرجه ابن مردويه من طريق يحيى بن سعيد وعبيد الله بن زياد عن ابن شهاب موصولاً» اهـ.

الثالثة: قوله «رأيت... الخ» وقع في أبواب العمل في الصلاة باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة من رواية عبد الله بن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة... الحديث. وفيه: «ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً» فذكره. فدل ذلك على أن هذه الرؤية حصلت له ﷺ حين كان يصلي صلاة الكسوف.

الرابعة: قوله «جهنم» وهي لفظة أعجمية وهو اسم لنار الآخرة وقيل هي عربية، وسميت بها لبعدها قعرها، ومنه ركية جهنم بكسر الجيم والهاء والتشديد أي بعيدة القعر، وقيل تعريب كهنام بالعبيراني. قاله ابن الأثير.

الخامسة: قوله «يحطم بعضها بعضاً» يعني يكسر بعضها بعضاً، والحطم الكسر ومنه سميت نار جهنم الحطمة؛ لأنها تحطم ما يلقي فيها.

السادسة: قوله «عمراً» قلت: هو عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث الخزاعي.

السابعة: قوله «قصبه» القصب بالضم المعني وجمعه أقصاب، وقيل القصب اسم للأمعاء كلها، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء. قاله ابن الأثير.

الثامنة: قوله «وهو أول من سيب السوائب» قلت: هذا من إحدائه في الناس وهو أول من غير الملة.

قال ابن هشام: «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة

إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عملاق، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به إلى مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه». اهـ.

قلت: وكان الرجل ذا ثراء وكرم فأكبره الناس حتى صار أمره فيهم

كالشرع.

١٢١- [باب ﴿وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم﴾، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قوله ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به - إلى قوله - ما دمت فيهم﴾.

قال ابن كثير: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني بإبلاغه ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله ﴿وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم﴾ أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم» اهـ.

قوله ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قال ابن جرير: «يقول فلما قبضتني إليك ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني؛ لأنني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم. وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقاتلتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - إلى قوله - وأنت على كل شيء شهيد﴾ يقول: وأنت تشهد على كل شيء؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا؛ فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: كفر النصارى باتخاذهم المسيح إلهاً من دون الله.

ثانياً: براءة المسيح ﷺ من هذا الصنيع وإثبات نبوته.

١٤٦- حدثنا أبو الوليد^(١)، حدثنا شعبة، أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ إلى آخر الآية. ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أممي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ش: فيه إثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «قام فينا النبي ﷺ يخطب» وقع لمسلم في صفة الجنة بدل قوله يخطب «بموعظة» أخرجه عن محمد بن بشار شيخ البخاري فيه ومحمد بن المثني قال واللفظ لابن المثني قال حدثنا محمد بن جعفر بسنده المذكور هنا، وكذا أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر.

الثانية: قوله «فقال إنكم» زاد ابن المثني «يا أيها الناس إنكم».

الثالثة: قوله «محشورون» في الرقاق باب الحشر برواية غندر عن شعبة «تحشرون» ولا تعارض بينهما في المعنى.

الرابعة: قوله «حفاة» جمع حافي وهو من ليس عليه نعل.

الخامسة: قوله «عراة» جمع عاري يقابل المكسي.

قال البيهقي: «وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود

(١) هو هشام بن عبد الملك الباهلي، مولا هم الطيالسي، البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله أربع وتسعون. ع.

وصححه ابن حبان» .

قلت: وصححه الشيخ ناصر برقم (١٦٧١) أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها) ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تنتثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزلوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم، ومن حمله على عمومه معاذ بن جبل فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثياب جدد وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها» قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسٍ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَيْبَاكَ فَطَهَّرْ﴾ على أحد الأقوال وهو قول قتادة. قال: معناه وعملك فأخلصه ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة» الحديث أخرجه أحمد، ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ . حكاها الحافظ .

قال مقبده: وظاهر الخبر هو الذي يتحتم المصير إليه إذ لا حجة على أحد إلا بنص الكتاب وصحيح الخبر عن المعصوم ﷺ وأعدل الوجوه التي ذكرها الحافظ عندي هو الثالث لموافقته ظاهر الخبر.

السادسة: قوله «غولاً» بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأكلف

وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخائن من الذكر. قال الحافظ: قال أبو هلال العسكري: لا تلتقي اللام مع الراء في كلمة إلا في أربع: أرل اسم جبل، وورل اسم حيوان معروف، وحرل ضرب من الحجارة، والغرلة. واستدرك عليه كلمتان هرل ولد الزوجة وهرل الديك الذي يستدير بعنقه والسته حوشية إلا الغرلة. قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأكلف.

السابعة: قوله «﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ الآية».

قال ابن كثير: «يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع؛ لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبذل وهو القادر على ذلك ولهذا قال: ﴿إنا كنا فاعلين﴾. ومنه ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ ووقع في حديث أم سلمة عند ابن أبي الدنيا «يحشر الناس حفاة عراة كما بدأوا» اهـ.

الثامنة: قوله «﴿ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم﴾».

قال القرطبي في شرح مسلم: «يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه، وتعقبه تلميذه القرطبي أيضاً في التذكرة فقال: هذا حسن لولا ما جاء من حديث علي يعني الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن علي قال: (أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطينين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حيرة عن يمين العرش)» اهـ.

قلت: «كذا أورده مختصراً موقوفاً، وأخرجه أبو يعلى مطولاً مرفوعاً، وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد (وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش وهو عن يمين العرش)». حكاه الحافظ.

قال مقبده عفى الله عنه: وما ناله إبراهيم من أولوية الكسى يوم القيامة لا يعارض خصائص نبينا ﷺ فكل نبي اختص بما لم يختص به غيره. وتفضيل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ثابت بالنص والإجماع، ومن ذلك إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، ونيله مقام الشفاعة العظمى التي يعتذر عنها أولوا العزم من الرسل يوم القيامة.

التاسعة: قوله «ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال» أي إلى جهة النار، ووقع ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة في آخر باب صفة النار من طريق عطاء بن يسار عنه ولفظه: (فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار) الحديث. وبين في حديث أنس الموضع ولفظه: (ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني) الحديث. وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم).

العاشرة: قوله «فأقول: يا رب أصححاي» وفي الرقاق «أصححاي». وفي رواية أحمد «فلاقولن» وفي أحاديث الأنبياء باب «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» «أصححاي» بالتصغير وكذا هو في حديث أنس وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء.

وقوله «فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي الرقاق «فيقول الله» وفي حديث أبي هريرة المذكور «إنهم ارتدوا على أديارهم القهقري» وزاد في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أيضاً «فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً» أي بعداً بعداً والتأكيد للمبالغة. وفي حديث أبي سعيد في باب صفة النار أيضاً «فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي» وزاد في رواية عطاء بن يسار «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

الحادية عشرة: قوله «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾» في رواية غندر في الرقاق بلفظ: ﴿وكنت عليهم شهيداً - إلى قوله - الحكيم﴾.

قلت: هذا هو شاهد الترجمة من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.
الثانية عشرة: قوله «فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» وقع في رواية الكشميهني «لن يزالوا».
قال الخطابي: «لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين. ويدل قوله «أصيحابي» بالتصغير على قلة عددهم». حكاه الحافظ.
وقيل: هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة.
وقال النووي: «قيل هم المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيمة التي عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه».
قال عياض وغيره: «وعلى هذا فيذهب عنهم الغرة والتحجيل وبطفاً نورهم».

من فقه الحديث:

- أولاً: وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء.
- ثانياً: فضل الخليل ﷺ.
- ثالثاً: إثبات صفة الكلام لله.
- رابعاً: الإيمان بحوض النبي ﷺ وأنه يكون في عرصات القيامة.
- خامساً: وجوب التمسك بالسنة.
- سادساً: التحذير من التبديل في الدين.
- سابعاً: لا يرد الحوض ويشرب منه إلا أهل الاعتقاد الصحيح والتمسك بالسنة.
- ثامناً: معرفة النبي ﷺ أمته يوم القيامة.

١٢٢- [باب قوله ﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ

العزیز الحکیم﴾].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها، فإنهم عبادك مستسلمون لك، لا يمتنعون مما أردت لهم، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرراً ولا أمراً تنالهم به، وإن تغفر لهم بهدایتك إياهم إلى التوبة منها، فتستر عليهم، فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحد يدفعه عنه، الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة، وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب».

من فقه الآية:

قال ابن كثير: «هذا الكلام يتضمن:

١- رد المشيئة إلى الله عز وجل؛ فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢- ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا علي الله وعلی رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبةً وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣- وهذه الآية لها شأن عظيم ونباً عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددّها» اهـ.

١٤٧- حدثنا محمد بن كثير^(١)، حدثنا سفيان، حدثنا المغيرة بن النعمان

قال: حدثني سعيد بن جبیر، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون، وإن ناساً يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دَمْتُ فِيهِمْ﴾ - إلى قوله - العزيز الحكيم﴾.

ش: سبق شرحه في الباب الذي قبله.

آخر تفسير سورة المائدة والحمد لله.

(١) هو محمد بن كثير العبدي، البصري، ثقة لم يصب من ضعفه، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين [ومائتين]، وله تسعون سنة، ع.

سورة الأنعام

١٢٣- [باب تفسير سورة الأنعام].

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحوث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا...﴾ الآية.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما يسد الأفق».

وآياتها خمس وستون ومائة، وهي مكية في قول الأكثرين. قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وقوله ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ «معذرتهم»].

ش: وصله ابن أبي حاتم فقال: أخبرني إبراهيم بن موسى عن هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وهو قول قتادة، وهو أحد قولين حكاهما ابن جرير في الآية.

وثانيهما: بمعنى قولهم، وهو قول قتادة وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

٢- [معروشات ما يعرش من الكرم وغير ذلك].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

قلت: وأخرجه أيضاً من هذا الطريق عن ابن عباس ابن جرير كما أخرجه موصولاً عن السدي.

والآية المشار إليها: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ الآية.

٣- [حمولة: ما يحمل عليها].

ش: قال أبو عبيدة: «(أي ما حملوا عليها)».

وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه.

والآية المشار إليها: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾.

٤- [﴿وللبسنا﴾ لشبهنا].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لشبهنا عليهم. كما أخرجه موصولاً عن شقيق.

والآية المشار إليها: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما

يلبسون ﴿﴾.

٥- ﴿ينأون﴾ يتباعدون].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

«فأبلغ عامراً عني رسولا
وزرعة إن دنوت وإن نأيت

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس: ينأون عنه يتباعدون عنه».

والآية المشار إليها: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا

أنفسهم وما يشعرون﴾.

٦- ﴿تبسل﴾ تفضح].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني تبسل أن تفضح.

ورواه من هذا الوجه ابن جرير وهو أحد أربعة أقوال:

ثانيها: بمعنى أن تسلم وبه قال عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: بمعنى أن تحبس وهو قول قتادة وابن زيد.

ورابعها: بمعنى أن تجزى وبه قال الكلبي.

وليس بين هذه الأقوال تعارض والله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من

دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين

أبسلوا بما كسبوا هم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

٧- ﴿أبسلوا﴾ أفضحوا].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي

بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني فضحوا.

وهذه الجملة من الآية السابقة.

٨- ﴿بَاسْطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ البسط الضرب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: والملائكة باسطوا أيديهم قال: هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم.

وأخرجه أيضاً من هذا الوجه ابن جرير وأخرجه عن السدي مختصراً وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى العذاب وبه قال الضحاك وأبو صالح.

والآية المشار إليها: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم﴾.

٩- ﴿استكثرتم من الإنس﴾ أضللتكم كثيراً].

ش: وصله ابن جرير من طريق المثني عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتكم منهم كثيراً.

ثم أخرجه عن قتادة ومجاهد والحسن.

والآية هي قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾.

١٠- ﴿مما ذرأ من الحرث﴾ جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً وللشيطان والأوثان نصيباً].

ش: وصله ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً فإن سقط من ثمرة ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله لقطوه وحفظوه ورددوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب

الشیطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشیطان في نصيب الله سدّوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾.

١١- ﴿أما اشتملت﴾ يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فلم تحرمون بعضاً وتحلون بعضاً.

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فهم يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً.

والآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾.

١٢- ﴿مسفوحاً﴾ مهراقاً.

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: إلا أن يكون ميتة أو دمماً مسفوحاً يعني مهراقاً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمماً مسفوحاً﴾.

١٣- ﴿صدف﴾ أعرض.

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وصدف عنها﴾ يقول: أعرض عنها وأخرجها ابن جرير أيضاً عن قتادة ومجاهد.

والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾

سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴿

١٤- ﴿أبلسوا﴾ أويسوا].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿أبلسوا﴾ يقول: أيسوا.

قلت: والآية المشار إليها هي قوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾.

١٥- ﴿وأبسلوا﴾ أسلموا].

ش: تقدم في الأثر رقم ستة.

١٦- ﴿سرمداً﴾ دائماً].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله سرمداً يقول: دائماً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾

وهذه هي الآية الحادية والسبعون من سورة القصص ومناسبة ذكرها هنا ما قاله الكرماني: كأنه ذكرها هنا لمناسبة قوله تعالى في هذه السورة ﴿وجاعل الليل سكناً﴾.

١٧- ﴿استهوته﴾ أضلته].

ش: رواه ابن جرير من طريق محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ﴿استهوته الشياطين في الأرض﴾ قال: أضلته في الأرض حيران.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا قل إن هدى الله هو الهدى

وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴿١٨﴾.

١٨- ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون].

ش: أخرجه ابن جرير موصولاً عن السدي وابن زيد ورواه ابن أبي حاتم من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم عن أحمد بن مفضل عن أسباط عن السدي قوله ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون. وكذا قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾.

١٩- ﴿يَقْرَأ﴾ صمماً وأما الوقر فإنه الحمل].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن محمد بن الفضل عن أسباط عن السدي: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ أما أكنة: فالغطاء، أكن قلوبهم لا يفقهون الحق، وفي آذانهم وقراً قال: صمم. وقال أبو عبيدة: «وفي آذانهم وقراً مفتوح. وبجازه: الثقل والصمم، وإن كانوا يسمعون، ولكنهم صم عن الحق والخير والهدى، والوقر هو الحمل إذا كسرتة» اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾ الآية.

٢٠- ﴿أساطير﴾ واحداً أسطورة، وإسطارة وهي الترهات].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: البسابس ليس له نظام، وليس بشيء. وأشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاؤك مجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾.

٢١- ﴿البأساء﴾ من البأس ويكون من البؤس].

ش: قال أبو عبيدة: «هي البأس من الخوف والشر والبؤس».

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك

فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون ﴿

٢٢- ﴿جَهْرَةً﴾ معانية.]

ش: أخرج ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿جَهْرَةً﴾ قال: وهم ينظرون.

وقال أبو عبيدة: أو جهرة: أي أو علانية وهم ينظرون.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ

جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

٢٣- ﴿الصُّور﴾ جماعة صورة كقوله سُورَةٌ وَسُورٌ.

ش: قال أبو عبيدة: «يقال أنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة

قولهم سور المدينة وأحدثها سورة، وكذلك كل ما علا وارتفع.

قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقال العمجاج:

فرب ذي سرادق محجور سرت إليه في أعالي السور.

ومنها سورة المجد أعاليه. وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع.

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: ﴿قوله الحق، وله الملك يوم ينفخ في

الصُّور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾.

٢٤- ﴿مَلَكُوتٍ﴾ ملك، مثل: رهوت خير من رحمت، ويقول: تُرَّهَبُ

خير من أن تُرَّحِمَ.]

ش: قال أبو عبيدة: ﴿مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾ أي ملك السموات خرجت

مخرج قولهم في المثل: رهوت خير من رحمت: أي رهبة خير من رحمة.

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت

السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٢٥﴾.

٢٥- ﴿وإن تعدل﴾ تقسط، لا يقبل منها في ذلك اليوم.].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لأنما التوبة في الحياة.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر السابغ.

٢٦- ﴿جن﴾ أظلم.].

ش: قال أبو عبيدة: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي غطى عليه وأظلم عليه،

ومصدره جن عليه الليل جنوناً.

قال دريد بن الصمّة:

ولولا جنون الليل أدرت ركضنا

بذي الرمث والأرض عياض بن ناشب.

وبعضهم ينشد:

ولولا جنان الليل - أي غطاؤه وسواده -

وما جنك من شيء فهو جنان لك.

وقال سلامة بن جندل:

ولولا جنان الليل ما أب عامر

إلى جعفر سرباله لم يـمـزق، انتهى.

والآية المشار إليها: ﴿فلما جن عليه الليل رءا كوكباً قال هذا ربي، فلما

أفل قال لا أحب الأفلين﴾.

٢٧- ﴿تعالى﴾ علا.].

ش: وقع في مستخرج أبي نعيم: تعالى الله: علا الله، وكذا في رواية

النسفي. حكاه العيني.

قلت: وأشار أبو عبد الله إلى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن

وخلقهم، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾.

٢٨- [يقال: على الله حسابانه أي حسابه، ويقال حساباناً مرامي ورجوماً

للشياطين].

ش: قال أبو عبيدة: ﴿والشمس والقمر حساباناً﴾ وهو جميع حساب فخرج مخرج شهاب والجمع شهبان» اهـ.

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: ﴿وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباناً﴾.

٢٩- [مستقر ﴿في الصلب﴾]

٣٠- [ومستودع ﴿في الرحم﴾].

ش: قال أبو عبيدة: «مستقر في صلب الأب ومستودع في رحم الأم»

وفي الآية خمسة أقوال لأهل العلم بالتأويل حكاه ابن جرير

أحدها: أنها بمعنى مستقر في الرحم ومستودع في القبر وهو قول ابن

مسعود، وإبراهيم النخعي، ومقسم.

وثانيها: أن المستودع ما كان في أصلاب الأباء والمستقر ما كان في بطون

النساء وبتون الأرض وعلى ظهورها وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس.

وثالثها: أن المستقر في الأرض على ظهرها ومستودع عند الله وهو قول

ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير في الرواية الثانية عنهم.

ورابعها: أن المستقر في الرحم والمستودع في الصلب وبه قال عكرمة

ومجاهد وعطاء والضحاك وابن عباس وسعيد بن جبير في الرواية الثالثة عنهم.

وخامسها: أن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وهو قول الحسن.

قلت: فهذه الأقوال كلها داخلة تحت عموم الآية ولا تنافي بينها.

والآية المشار إليها: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر

ومستودع﴾

٣١- [(القنو) : العذق، والإثنان قنوان ، والجماعة أيضاً قنوان ، مثل

صنو، وصنوان]

ش/قال أبو عبيدة : القنو هو العذق والإثنان قنوان ، النون مكسورة والجميع قنوان ، على تقدير لفظ الاثنين ، غير أن نون الاثنين مجرورة في موضع الرفع والنصب والجر ، ونون الجميع يدخله الرفع والجر والنصب ، ولم نجد مثله غير قولهم صنو وصنوان . أهـ

والآية المشار إليها : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات .. ﴾ الآية

٣٢- [﴿ أكنة ﴾ : واحدها كنان]

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد ، ومجازها : غطاء ، قال عمر ابن أبي ربيعة :

أينا بات ليلة بين غصنين يُوبل

تحت عين كنانها ظل برد مرخل . أهـ

والآية المشار إليها : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة

وفي آذانهم وقرأ ﴾

١٢٤- [باب ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾].

ش: تمامها: ﴿ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.
قوله ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾.

قال الشوكاني: «المفاتيح جمع مفتاح بالفتح وهو المخزن. أي عنده مخازن الغيب، جعل للأمور الغيبية مفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً ويؤيده أنها جمع مفتاح بالكسر قراءة ابن السميع (وعنده مفاتيح الغيب) فإن المفاتيح جمع مفتاح، والمعنى أن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتيح التي يتوصل بها إلى المخازن.

وقوله ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها.
ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أولياً.

وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرملين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخدولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق عليه السلام: (من أتى كاهناً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد) اهـ.

قوله ﴿ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾.

قال ابن كثير: «أي يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما أحسن ما قال الصرصري:

ترأى للنواظر أو تواري.

فلا يخفى عليه النر إما

وقوله ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ اهـ
قوله ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

قال الشيخ ابن سعدي: «﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ من حبوب الثمار والزرورع وحبوب البنور التي يبذرها الخلق، وبذور النباتات البرية التي منها أصناف النباتات ﴿ولا رطب ولا يابس﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إلا في كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ، قد حواها واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها، وأن الخلق من أولهم وآخرهم، لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة، ولا وسع في ذلك فتبارك الرب العظيم الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط، وجل من إله لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أتى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده فهذه الآية دلت على علمه بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث» انتهى

من فقه الآية:

أولاً: سعة علم الله وإحاطته بجميع الكائنات.

ثانياً: اختصاص الرب جلّ وعلا بعلم الغيب.

ثالثاً: في قوله ﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾ دليل على إحصاء الرب جلّ وعلا أعمال العباد صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها وظاهرها وخفيها ومجازاتهم عليها.

رابعاً: في قوله ﴿كل في كتاب مبين﴾ دليل على وجوب الإيمان باللوح المحفوظ وأن الله كتب فيه مقادير الأشياء وهذا يستلزم علمه بها قبل حدوثها.

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها التي يطلع منها ما شاء من خلقه وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم من العالمين» اهـ

١٤٨- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مفتاح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير».

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «مفتاح الغيب» هذا هو شاهد الترجمة وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

الثانية: قوله «إن الله عنده علم الساعة... الخ» بيان لما أجمل في الآية من مفاتيح الغيب وسيأتي الحديث في تفسير سورة إبراهيم ضمن الباب السادس والثمانين بعد المائة، وفي تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين.

١٢٥- [باب ﴿قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾].

ش: تمامها: ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرَف الآيات لعلهم يفقهون﴾.

قوله ﴿قل هو القادر على أن يعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للإشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشرككم به، وادعائكم معه إليها آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغه عليكم آلاءه ومنه». اهـ

قوله ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾.

قال البغوي: «وقال الضحاك: ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ أي يخلطكم فرقاً ويبيث فيكم الأهواء المختلفة ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضاً» اهـ

وقال ابن عطية في محرره: «وشيعاً منصوب على الحال وقد قال الشاعر:

لبست أناساً فأفنيتهم

فهذه عبارة عن الخلطة والمقاساة، والبأس: القتل وما أشبهه من المكاره و﴿يذيق﴾ استعارة إذ هي من أجل حواس الاختيار، وهي استعارة مستعملة في كثير من كلام العرب وفي القرآن، وقرأ الأعمش ﴿ونذيق﴾ بنون الجماعة، وهي نون العظمة في جهة الله عز وجل.

وتقول: أذقت فلاناً العلقم تريد كراهية شيء صنعته به ونحو هذا» اهـ

قوله ﴿انظر كيف نصرَف الآيات لعلهم يفقهون﴾.

قال ابن كثير: «أي نيينها ونوضحها وتفسرها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه».

من فقه الآية:

أولاً: إثبات اسم من أسماء الرب تعالى وهو القادر.
ثانياً: التحذير من شدة بطش الله وأليم عقابه.
ثالثاً: إن الهدى والنور فيما أنزله جل علاه على رسوله ﷺ من أي الكتاب الكريم.

شرح جملة من الآثار الكلمات:

١- ﴿يَلْبِسْكُمْ﴾ يخلطكم من الإلتباس.

ش: قال أبو عبيدة: «يخلطكم وهو من الإلتباس».

قلت: وأخرج البغوي عن الضحاك: «أي يخلطكم فرقاً».

٢- ﴿يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا.

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير

قوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ يقول لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قلت: وأشار الشيخ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مَهْتَدُونَ﴾.

٣- ﴿شِيعَاءَ﴾ فرقاً.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحداً شيعاً.

١٤٩- حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن

جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ مِنْ

تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك». ﴿أَوْ يَلْبِسْكُمْ شِيعًا وَيَذِيقْ بَعْضَكُمْ

بِأَسْ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يعث عليكم...﴾ الآية» هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه.

الثانية: قوله «أعوذ» أي ألوذ والتجئ وأعتصم فلاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به من كل مكروه.

الثالثة: قوله «بوجهك» زاد الإسماعيلي من طريق حماد بن زيد عن عمرو «الكريم» في الموضعين. قاله الحافظ.

قلت: وفيه دليل على إثبات صفة الوجه لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله الرابعة: قوله «هذا أهون أو هذا أيسر» هو شك من الراوي، والضمير يعود على الكلام الأخير.

قال القسطلاني: «لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهون من عذاب الله فابتليت هذه الأمة بالفتن ليكفر بها عنهم» اهـ

ووقع في الإعتصام باب كل شيء هالك إلا وجهه: «هاتان أهون أو أيسر» أي خصلة الإلتباس وخصلة إداقة بعضهم بأس بعض.

قال الحافظ: «وقد روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به الثنتين: دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض، وألا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الخسف والرجم وأبى أن يرفع عنهم الآخرين، فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله ﴿من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ - إلى أن قال - وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن شيوخه أيضاً أن المراد بالعذاب من فوق الرجم ومن تحت الخسف، وأخرج من طريق ابن عباس أن المراد بالفوق أئمة السوء، وبالتحت ختم السوء.

وقيل المراد بالفوق حبس المطر، وبالتحت منع الثمرات والأول هو

المعتمد» اهـ

من فقه الحديث:

أولاً: جواز التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.

ثانياً: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

١٢٦- [باب ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾].

ش: قلت الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأمن وهم مهتدون﴾.

قوله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ فيه قولان لأهل التأويل.

الأول: وهو قول احمد وابن إسحاق وابن زيد أن هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاحه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأبي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. فقال الله تعالى فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني بشرك.

والثاني: هذا جواب من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم حين قال لهم أي الفريقين أحق بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحده أحق بالأمن إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم. وبه قال ابن جريج. حكى القولين جميعاً ابن جرير واختار القول الأول، وهو اختيار سديد.

قوله ﴿أولئك هم الأمن وهم مهتدون﴾.

قال ابن كثير: «أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة». اهـ

قلت: واعلم أن الأمن أمانان:

أحدهما: أمن تام وهذا في حق من مات موحداً غير مرتكب كبيرة.

وثانيهما: أمن ناقص وهذا في حق من مات على التوحيد مرتكب كبيرة

دون توبة فالأول آمن من دخول النار، والثاني آمن من الخلود فيها.

١٥٠- حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي^(١)، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بَظْلَمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ش: الشاهد منه ﴿وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بَظْلَمٍ﴾ وسيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة لقمان ضمن الباب الثامن والستين بعد المائتين وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

(١) هو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي وقد ينسب لجدّه، وقيل هو إبراهيم البصري، ثقة، من التاسعة مات سنة أربع وتسعين [ومائة] على الصحيح.

١٢٧- [باب ﴿ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾].

ش: قلت الآية: ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وهديت أيضاً من ذرية نوح إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم، واليسع وهو اليسع بن أخطوب بن العجوز، واختلف القراء في قراءة اسمه، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿واليسع﴾ بلام واحدة مخففة، وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع، ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعني على يفعل لا يقولون: رأيت اليزيد، ولا أتاني النجيب، ولا مررت باليشكر، إلا في ضرورة الشعر، وذلك أيضاً إذا تحرى به المدح كما قال بعضهم:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً
شديداً بأعباء الخلافة كاهله

فأدخل في اليزيد الألف واللام وذلك لإدخاله إياهما في الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه.

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين ﴿واليسع﴾ بلامين وبالتشديد وقالوا: إذا قرئ، كذلك كان أنسيه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسماً على يفعل فيه ألف ولام.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بلام واحدة مخففة لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون تشديد مع أنه اسم أعجمي فتنتطق به على ما هو به، وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل، وأما الاسم الذي يكون أعجمياً فإنما ينطق به على ما سمو به، فإن غير منه شيء إذا تكلمت العرب به فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان - إلى أن قال - ﴿ويونس﴾ هو يونس بن متى، ولوطاً وكلاً فضلنا من ذرية نوح، ونوح لهم بينا الحق ووقفناهم له، وفضلنا

جميعهم على العالمين يعني على عالم أزمانهم» اهـ

١٥١- حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن مهدي، حدثنا شعبة، عن قتادة،

عن أبي العالية قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١٥٢- حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، أخبرنا سعد بن إبراهيم

قال سمعت حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد

المائة.

١٢٨- [باب قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾].

ش: تمامها: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾

قال البغوي: ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله ﴿فبهداهم﴾ فيسنتهم وسيرتهم ﴿اقتده﴾ الهاء فيها هاء وقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل والباقون بإثباتها وصلأ ووقفأ، وقرأ ابن عامر ﴿اقتده﴾ بإشباع الهاء كسراً ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو﴾ ما هو ﴿إلا ذكرى﴾ أي تذكرة وموعظة ﴿للعالمين﴾.

وقال الشوكاني: «وتقديم بهداهم على الفعل يفيد تخصيص هداهم بالإقتداء، والاقْتداء طلب موافقة الغير في فعله، وقيل المعنى: اصبر كما صبروا، وقيل اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت جزئيات الشرائع مختلفة، وفيها دلالة على أنه ﷺ مأمور بالاقْتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص. قوله ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً﴾ أمره الله بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجراً على القرآن، وأن يقول لهم ما هو إلا ذكرى يعني القرآن ﴿للعالمين﴾ أي موعظة وتذكير للخلق كافة الموجودين عند نزوله ومن سيوجد من بعد.

من فقه الآية:

أولاً: في أمر النبي ﷺ بالاقْتداء بالمذكورين في الآية قبلها دليل على أن دين الأنبياء هو الإسلام.

ثانياً: عموم رسالته ﷺ للناس كافة.

١٥٣- حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول^(١)، أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس: أي ص سجدة؟ فقال: نعم. ثم تلا: ووهبنا له إسحاق ويعقوب - إلى قوله - فبهداهم

(١) هو سليمان بن أبي مسلم المكي الأحول خال ابن أبي نجيح، قيل اسم أبيه عبد الله، ثقة ثقة قاله أحمد، من الخامسة. ع.

اقتده. ثم قال: هو منهم.

زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد^(١) وسهل بن يوسف^(٢) عن العوام، عن مجاهد: قلت لابن عباس فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم.
ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «ثم تلا» يعني ابن عباس رضي الله عنهما.

الثانية: قوله «ووهبنا له إسحاق - إلى قوله - فبهذا هم اقتده» قلت: ما بينهما: ﴿كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وذكرياً ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين* ومن آباؤهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم* ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون* أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين* أولئك الذين هدى الله﴾

الثالثة: قوله «زاد يزيد بن هارون» وصلها الإسماعيلي. ذكره الحافظ.

الرابعة: قوله «ومحمد بن عبيد» وصلها المصنف في تفسير سورة "ص".

الخامسة: قوله «وسهل بن يوسف» وصلها المصنف أيضاً في باب ﴿واذكر

عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ من كتاب الأنبياء.

وسياتي الخبر في أول تفسير سورة (ص) وهناك يستوفى شرحه إن شاء

الله.

(١) هو محمد بن عبيد بغير إضافة ابن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحذب، ثقة يحفظ. من

الحادية عشرة، مات سنة أربع ومائتين. ع.

(٢) هو سهل بن يوسف الأغمطي، البصري، ثقة رمي بالقدر، من كبار التاسعة، مات سنة

تسعين ومائة. بخ. ٤.

١٢٩- [باب ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾].

ش: تمامها: ﴿إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببيغيم وإنا لصادقون﴾.

قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو من البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط». اهـ

قوله ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾.

قال السدي: «يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول أنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد. وقال قتادة: الثرب كل شحم كان كذلك ليس في عظم». حكاه ابن كثير.

قوله ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:

﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ يعني ما علق بالظهر من الشحوم. وقال السدي وأبو صالح الإلية مما حملت ظهورهما». حكاه ابن كثير.

قوله ﴿أو الحوايا﴾.

قال ابن جرير: «والحوايا جمع واحدها حاويا وحاوية وحوية وهي ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المياعر وتسمى المرابط وفيها الأمعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا، فالحوايا رفع عطفاً على الظهر و"ما" التي بعد "إلا" نصب على الاستثناء من الشحوم». اهـ

قوله ﴿أو ما اختلط بعظم﴾.

أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ قال

الإلية اختلط شحم الإلية بالعصعص فهو حلال وكل شحم القوائم والجنب

والرأس والعين والأذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم. انتهى محل الغرض قاله الشوكاني.

قوله ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

قال ابن كثير: «أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازة على بغْيِهِمْ ومخالفتهم أوامرنا. كما قال تعالى: ﴿فَبَطَلْهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِغْيِهِمْ﴾. عن سبيل الله كثيراً» وقوله ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي وإننا لعادلون فيما جزيناهم به».

وقال ابن جرير: «وإننا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه».

تفسير جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال ابن عباس: كل ذي ظفر: البعير والنعامة].

ش: رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظْفَرٍ﴾ وهو البعير والنعامة. وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

٢- [الحوايا] المباعر.

ش: قلت: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً ابن جرير عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك والسدي.

٣- [وقال غيره: هادوا: صاروا يهوداً].

ش: قوله وقال غيره: أي غير ابن عباس.

٤- [وأما قوله ﴿هَدَانَا﴾ (الأعراف) تبنا هائد تائب].

ش: قال أبو عبيدة: أي الذين تابوا ممن تهود أي هدنا إلى ربنا.

وأخرجه ابن جرير موصولاً عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وإبراهيم التيمي

وغيرهم.

والآية المشار إليها هي السادسة والخمسون بعد المائة من سورة الأعراف وهي قوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ﴾ الآية.

١٥٤- حدثنا عمرو بن خالد ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب^(١) قال عطاء سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت النبي ﷺ قال: قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها.

قال أبو عاصم^(٢): حدثنا عبد بن حميد^(٣) حدثنا يزيد كتب إلي عطاء سمعت جابراً عن النبي ﷺ.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «قاتل الله اليهود» أي قتلهم الله وقيل لعنهم وقيل عاداهم، وقد تكررت في الحديث ولا تخرج عن أحد هذه المعاني. قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «لما حرم الله عليهم شحومها» يعني به قوله «ومن البقر والغنم حرمتا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم».

الثالثة: قوله «جملوها» جمعت الشحم وأجملته أي إذا أذنته واستخرجت دهنه وجملت أفصح من أجملت. قاله ابن الأثير.

الرابعة: قوله «ثم باعوها فأكلوها» قلت: وفي باب بيع الميتة والأصنام من

(١) هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب المصري واسم أبيه سويد واختلف في ولائه، ثقة فقيه وكان يرسل من الخامسة، مات سنة [مائة وثمان وعشرين] وقد قارب الثمانين. ع.

(٢) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني النبيل البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة [مائتين واثنين وعشرين]. ع.

(٣) هو عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، صدوق، رمي بالقدر وربما وهم من السادسة، مات سنة [مائة وثلاث وخمسين]. ح. م. ع. ٤.

١٣٢- [باب ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾].

ش: قلت: الآية ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾.

قوله ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى متوعداً للكافرين والمخالفين لرسله والمكذابين بآياته والصادقين عن سبيله ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾ وذلك كائن يوم القيامة». اهـ.

قوله ﴿أو يأتي بعض آيات ربك - إلى قوله - خيراً﴾.

قال ابن جرير: «يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها... ثم أخرج هذا القول عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة وابن جريج. ثم قال في بقية الآية.

يقول تعالى ذكره يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية - إلى أن قال - وأما قوله ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ فإنه يعني أو عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قبله، وتحققه قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافرأ لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمان بالله إن آمن وصدق بالله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم للهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانها كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتذار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقاً ولفرائض الله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك» اهـ.

١٣٠- [باب قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾].

ش: قلت: الآية ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾.

قوله ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرّمه من حرّوهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً لا الباطل تحرصاً كحرصكم على الله الكذب والفرية ظناً ولكن وحيّاً من الله أوحاه إليّ وتنزيلاً أنزله عليّ. قاله ابن جرير.

قوله ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾.

قال ابن سعدي: «أن لا تشركوا بالله شيئاً أي لا قليلاً ولا كثيراً وحقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصاً لله في جميع أحواله. فهذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» اهـ.

قوله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾.

قال ابن كثير: «أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحساناً أي أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وقرأ بعضهم ﴿ووصي ربك ألا تعبدوا إلا إياه والوالدين إحساناً﴾ أي احسنوا إليهم. والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا

كتاب البيوع برواية قتبية «ثم باعوه فأكلوا ثمنه» قال ابن دقيق العيد: وقوله عليه السلام: قاتل الله اليهود... الخ. تنبيه على تعليل تحريم بيع هذه الأشياء فإن العلة تحريمها فإنه وجه اللوم على اليهود في تحريم أكل الثمن بتحريم أكل الشحوم، واستدل المالكية بهذا على تحريم الذرائع من حيث أن اليهود توجه عليهم اللوم بتحريم أكل الثمن من جهة تحريم أكل الأصل. وأكل الثمن ليس هو أكل الأصل بعينه؛ لكنه لما كان سبباً إلى أكل الأصل بطريق المعنى استحقوا اللوم.

قلت: وهذا دليل على أن ما حرم أكله حرم بيعه وثمرته. ويؤيد ذلك سياق الحديث في البيوع عند المصنف من رواية قتبية المذكورة قريباً ولفظه: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام. فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: لا هو حرام. فذكره» اهـ

وقوله «وقال أبو عاصم حدثنا عبد الحميد» هو ابن جعفر، وهذه الطريق وصلها أحمد عن أبي عاصم وأخرجها مسلم عن أبي موسى عن أبي عاصم ولم يسق لفظه بل قال مثل حديث الليث، والظاهر أنه أراد أصل الحديث، وإلا ففي سياقه بعض مخالفة، قال أحمد: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر أخبرني يزيد بن أبي حبيب ولفظه: «يقول عام الفتح: إن الله حرم بيع الخنازير وبيع الميتة وبيع الخمر وبيع الأصنام. قال رجل: يا رسول الله فما ترى في بيع شحوم الميتة؟ فإنها تدهن بها السفن والجلود ويستصبح بها فقال: قاتل الله اليهود» الحديث. انتهى من الفتح.

في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام. وقد قيل إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن؛ لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضاً وليس ما قالوا من ذلك بمرفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خير يقطع العذر بأنه عنى به بعضاً دون الجميع وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها» اهـ.

قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

قال الشوكاني: «اللام في النفس للجنس و ﴿التي حرم الله﴾ صفة للنفس أي لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التي حرمها الله ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا بما يوجبه الحق، والاستثناء مفرغ. أي لا تقتلوه في حال من الأحوال إلا في حال الحق، أو لا تقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، ومن الحق قتلها قصاصاً، وقتلها بسبب زنا المحصن، وقتلها بسبب الردة، ونحو ذلك من الأسباب التي ورد الشرع بها» اهـ.

قوله ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال ابن جرير: «يعني هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا تأتيها، وأن ندعها هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به ﴿لعلكم تعقلون﴾ يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب إخلاص العبادة لله وحده.

ثانياً: تحريم الشرك بالله وأنه أعظم الذنوب ولذلك بدأ الله به في الآية.

ثالثاً: وجوب الإحسان إلى الوالدين وأنه يأتي في المرتبة الثانية بعد حق

الله.

رابعاً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

خامساً: في الآية دليل على أن فهم الأوامر والنواهي عون على الإمتثال.

تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٠٤﴾ فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة.

قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾.

قال ابن عطية: «الآية نهي عن عادة العرب في وأد البنات، والولد يعم الذكر والأنثى من البنين، والإملاق الفقر وعدم المال. قاله ابن عباس وغيره. يقال أملق الرجل إذا افتقر. ويشبه أن يكون معناه أملق أي لم يبق له إلا الملق كما قالوا أترب إذا لم يبق له إلا التراب، وأرمل إذا لم يبق له إلا الرمل، والملق الحجارة السود واحده ملقة، وذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق ويقال أملق ماله بمعنى أنفق، وذكر أن علياً قال لامرأة: أملقي من مالك ما شئت.

وذكر النقاش عن مؤرخ أنه قال: الإملاق الجوع بلغة لحم» اهـ.

وقال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿من إملاق﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره هو الفقر أي تقتلوهم من فقركم الحاصل.

وقال في سورة الإسراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فبدأ برزقهم للإهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾؛ لأنه الأهم ها هنا» والله أعلم.

قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم، لا تناكرونها ركوبها والباطن منها الذي تأتونه سرّاً

٣- ﴿زخرف القول﴾ كل شيء حسسته ووشيته وهو باطل فهو زخرف].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال زخرف فلان كلامه وشهادته. اهـ
والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾.
٤- ﴿وحرث حجر﴾ حرام، وكل ممنوع فهو حجر محجور، والحجر كل بناء بنيته، ويقال للأشئ من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر وحجي، وأما الحجر فموضع ثمود، وما حجرت عليه الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً، كأنه مشتق من محطوم مثل قتيل من مقتول، وأما حجر اليمامة فهو منزل].

ش: قال أبو عبيدة: حجر أي حرام وأنشد قول المتلمس:
حنت إلى النخلة القصوى فقلت ها حجر حرام الا ثم الدهاريس اهـ.
وقوله «وكل ممنوع فهو حجر، ومنه حجر محجور» قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ويقولون حجر محجوراً﴾ أي حراماً محرماً.
قوله «والحجر كل بناء بنيته وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً» قال أبو عبيدة: ومن الحرام سمي حجر الكعبة وقال غيره: سمي حطيماً؛ لأنه أخرج من البيت وترك هو محطوماً.
وقيل: الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطيماً لازدحام الناس فيه.
قوله «كأنه مشتق من محطوم» أي الحطيم. مثل قتيل من مقتول وهذا على رأي الأكثر، وقيل سمي حطيماً لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف

١٥٥- حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو^(١)، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، قلت: سمعته من عبد الله؟ قال: نعم. قلت: ورفعته؟ قال: نعم.

ش: يأتي في سورة الأعراف ضمن الباب الرابع والثلاثين بعد المائة.

شرح جملة من الآثار و الكلمات:

١- [وكيل حفيظ ومحيط به].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾.

٢- [قبلاً جمع قبيل، والمعنى أنه ضروب للعذاب، كل ضرب منها قبيل].

ش: هو من كلام أبي عبيدة لكنه بمعناه حيث قال: «قبلاً جميع قبيل قبيل

أي صنف صنف ومن قرأها قبلاً فإنه يجعل مجازها عياناً كقولهم: من ذي قبيل بالكسر وقال آخرون: قبلاً بالضم أي مقابلة كقولهم: قبيل قبله وسقاها قبلاً لم

يكن أعلها الماء فاستأنفت سقيها وبعضهم يقول: من ذي قبل.» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا

عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم

يجهلون﴾.

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي الكوفي، الأعمى

ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة، مات سنة ثمانى عشرة ومائة

وقيل قبلها. ع.

١٣١- [باب ﴿هلم شهداءكم﴾].

ش: قلت: الآية ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾.

قوله ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المفتريين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من حروثهم وأنعامهم ﴿هلم شهداءكم﴾ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم، وأهل العالوية من تهامة توحيد هلم في الواحد والإثنين والجمع، وتذكر في المؤنث والمذكر، فتقول للواحد: هلم يا فلان، وللإثنين والجمع كذلك، وللأثنى مثله، ومنه قول الأعشى:

وكان دعا قومه دعوة هلم إلى أمركم قد صرم

ينشد هلم وهلموا. وأما أهل السافلة من نجد فإنهم يوحدون للواحد ويشنون للإثنين، ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال: هلم، وللواحدة: هلمي، وللإثنين: هلماء، وللجماعة من الرجال: هلموا، وللنساء: هلممن.

قوله ﴿فإن شهدوا - إلى قوله - بربهم يعدلون﴾.

قال ابن كثير: «﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ أي لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً.

﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ أي يشركون به ويجعلون له عديلاً» اهـ.

[لغة أهل الحجاز هلم للواحد والإثنين والجميع].

ش: حكاه أبو عبيدة عن أهل العالوية من تهامة وزاد: وأهل نجد يقولون للواحد هلم وللمرأة هلمي، وللإثنين هلماء، وللقوم هلموا، وللنساء هلممن يجعلونها من هلممت. وأهل الحجاز لا يجعلون لها فعلاً انتهى وتقديم حكاية اللغتين في الكلمة.

فيها وتتركها حتى تنحطم وتفسد بطول الزمان... فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقيل سمي حطيماً؛ لأنه كان من جملة الكعبة فأخرج عنها وكأنه كسر منها فيصح لهم فعيل بمعنى مفعول

وقوله «مشتق» ليس هو محمولاً على الاشتقاق الذي جرى إصطلاحه.

قوله «ويقال للأثني من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر حجي» هو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿لذي حجر﴾ أي عقل قال: ويقال للأثني من الخيل حجر.

قوله «وأما حجر اليمامة فهو المنزل» ذكره استطراداً وإلا فهذا بفتح أوله هي قسبة اليمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن. انتهى من الفتح (٣٧٩/١٢).

قوله ﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾.

قال الشوكاني: «ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم انتظروا ما تريدون إتيانه إنا منتظرون له، وهذا تهديد شديد، ووعد عظيم، وهو يقوي ما قيل في تفسير ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ أنها الآيات التي اقترحوها من إتيان الملائكة وإتيان العذاب لهم من قبل الله» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات مجيء الله بذاته يوم القيامة للفصل بين عباده. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والإتيان والنجيء المضاف إليه سبحانه نوعان مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث: «حتى جاء الله بالرحمة والخير» وقوله: ﴿ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم﴾.

النوع الثاني: الإتيان والنجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام﴾ وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ اهـ.

ثانياً: لا ينتفع أحد بالإيمان والعمل الصالح بعد ظهور الآيات المذكورة في الآية إلا من كان على ذلك من قبل.

١٥٦- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد^(١)، حدثنا عمارة^(٢)، حدثنا أبو زرعة^(٣)، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها

(١) هو عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم، البصري، ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال، من الثامنة، مات سنة ست وسبعين [ومائة] وقيل بعدها. ع.

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، الكوفي، ثقة أرسل عن ابن مسعود وهو من السادسة. ع.

(٣) هو عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، قيل اسمه هرم، وقيل عمرو، وقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل جرير، ثقة من الثالثة. ع.

الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.
 ١٥٧- حدثني إسحاق^(١)، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام،
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى
 تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين
 لا ينفع نفساً إيمانها. ثم قرأ الآية.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» هذا بعض
 حديث ساقه المؤلف في أواخر كتاب الفتن الباب الخامس والعشرين بهذا الإسناد
 بتمامه وفي أوله: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان» الحديث، وذكر فيه
 نحو عشرة أشياء من هذا الجنس.

الثانية: قوله «فإذا رآها الناس آمن من عليها» في الرقاق باب حديث أبي
 اليمان «فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون»، وقوله «فإذا طلعت...» الخ يعني
 الشمس من مغربها.

الثالثة: قوله «فذلك» في الرقاق من رواية الأعرج «فذاك».

الرابعة: قوله «حين لا ينفع نفساً إيمانها الآية» كذا هنا وفي الرقاق «إيمانها
 لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

قال ابن عطية: في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله تعالى
 ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ طلوع الشمس من المغرب، وإلى ذلك ذهب
 الجمهور. وأسند الطبري عن ابن مسعود أن المراد بالبعض إحدى ثلاث، هذه أو
 خروج الدابة، أو الدجال. قال: وفيه نظير؛ لأن نزول عيسى بن مريم يعقب
 خروج الدجال، وعيسى لا يقبل إلا الإيمان فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن نصر البخاري، أبو إبراهيم السعدي، صدوق من الحادية
 عشرة، مات سنة اثنتين وأربعين [ومائتين]. خ.

يقبل الإيمان ولا التوبة.

قلت: ثبت في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رفعه: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» قيل فلعل حصول ذلك يكون متتابعاً بحيث تبقى النسبة إلى الأول منها مجازية، وهذا بعيد؛ لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب، فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

قلت: وقد أخرج مسلم أيضاً كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب».

قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله بن سلام ففیه «وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب».

قال ابن عطية وغيره ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه قربته، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها.

والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعينة وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله. آخر تفسير سورة الأنعام والحمد لله.

سورة الأعراف

١٣٣- [باب تفسير سورة الأعراف].

ش: شاهد التسمية: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾
وأخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل
من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف مكية.
وآياتها ست ومائتان، وهي مكية إلا ثمان آيات من قوله ﴿واستلهم عن
القرية - إلى قوله - وإذ نتقنا الجبل﴾.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [قال ابن عباس: ﴿وريشاً﴾ المال].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿وريشاً﴾ قال: المال. وأخرجه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعروة والضحاك، وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى الجمال وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ الآية.

٢- [إنه لا يجب المعتدين] في الدعاء وفي غيره].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

ورواه ابن أبي حاتم عن العباس بن الوليد عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، إنه لا يجب المعتدين﴾.

٣- [﴿عفوا﴾ كثروا وكثرت أمواهم].

ش: أخرجه ابن جرير بأسانيد متصلة عن ابن عباس ومجاهد.

قال أبو عبيدة: «بجازه حتى كثروا وكذلك كل نبات وقوم وغيره إذا

كثروا فقد عفوا.

قال لييد:

إلى البكر المقارب والكروم
بأسوق عافيات اللحم كوم

فلا تتجاوز العضلات منها
ولكننا نعض السيف منها

أي كثيرات اللحم» اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾.

٤- ﴿الفتاح﴾ القاضي].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وهو الفتح العليم﴾ يقول القاضي.

قلت: والآية المشار إليها من سورة سبأ ولعل المصنف ذكره ها هنا تمهيداً لقوله تعالى ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾.

٥- ﴿افتح بيننا﴾ اقض بيننا].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ يقول: اقض بيننا وبين قومنا بالحق.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وعن الحسن والسدي بمعناه.

والآية المشار إليها: ﴿على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.

٦- ﴿نتقنا﴾ رفعنا].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم واللفظ له كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ يقول: رفعنا، وهو قوله ﴿رفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ والآية المشار إليها: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ضلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾.

٧- ﴿انبجست﴾ انفجرت].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾.

٨- [متبر ﴿خسران﴾].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.
وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن زيد والسدي نحوه.
والآية المشار إليها: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾.

٩- [آسى ﴿أحزن﴾].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.
وأخرجه ابن جرير أيضاً عن السدي وبه قال أبو عبيدة وزاد: أتندم وأتوجع ومصدره الآسى.

والآية المشار إليها: ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾.

١٠- [تأس ﴿تحزن﴾].

ش: قلت: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة المائدة ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ فلعل المصنف ذكره ها هنا على سبيل الاستطراد والاستشهاد لما قبله.

١١- [وقال غيره: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ يقول: ما منعك أن تسجد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والعرب تضع "لا" في موضع الإيجاب وهي من حروف الزوائد قال أبو النجم:

فما ألوم البيض إلا تسخرأ مما رأيت الشمط القفندرا

أي ما ألوم البيض أن يسخرن، القفندر القبيح السمج.
وقال الأحوص:

ويلحيني في اللهو ألا أحبه ولللهوى داع دائب غير غافل

أراد في اللهو أن أحبه، قال العجاج في بئر لا حور سرى وما شعر.
الحور المهلكة وقوله أي في بئر حور و"لا" في هذا الموضع فضل.
والآية المشار إليها: ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

١٢- [يخصفان] أخذوا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق يخصفان
الورق بعضه إلى بعض].

ش: قاله أبو عبيدة لكنه مقتصراً على الجملة الأخيرة منه. وأخرج ابن جرير
من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وظفقا يخصفان عليهما
من روق الجنة﴾ قال: جعلاً يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما.
والآية المشار إليها: ﴿فدلاهما بفرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوءاتهما وظفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ الآية.

١٣- [سوءاتهما] كناية عن فرجهما].

ش: قاله أبو عبيدة في مجازه.

١٤- [متاعٌ إلى حين] : هوهنا إلى يوم القيامة، والحين عند العرب

من ساعةٍ إلى ما لا يحصى عدده]

ش/ قال أبو عبيدة إلى يوم القيامة ، وقال :

وما مزاحك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين

أي وقت لا وقت . أم

والآية المشار إليها: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض

مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين﴾

١٥- [الرياش والريش واحد، وهو ما ظهر من اللباس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والشارة وبعضهم يقول: أعطاني رجلاً بريشه أي بكسوته وجهازه وكذلك السرج بريشه والرياش أيضاً الخصب المعاش. وقد مضت الآية في الأثر الأول.

١٦- ﴿قَبِيلَهُ﴾ جيله الذي هو منهم].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٧- ﴿إِدَارِكُوا﴾ اجتمعوا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فيها، ويقال: تدارك لي عليه شيء أي اجتمع لي عنده شيء، وهو مدغم التاء في الدال فتقلت الدال. انتهى
والآية المشار إليها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾.

١٨- [ومشاق الإنسان والدابة كلها يسمى سموماً، واحدها سم وهي عيناه ومنخراه وفمه وأذناه ودبره وإحليله].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿فِي سَمِ الْخِيَاطِ﴾ أي في ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجمع سموم.
والآية المشار إليها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ﴾.

١٩- ﴿غَوَاشٍ﴾ ما غُشوا به].

ش: قال أبو عبيدة: واحدها غاشية وهي ما غشاهم فغطاهم من فوقهم. وأخرج ابن جرير موصولاً إلى السدي أنه قال: الغواش تغشاهم من

فوقهم.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾.

٢٠- ﴿نشراً﴾ متفرقة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: من كل مهب وجانب وناحية.

قلت: «هذا على قراءة الحريميين وأبي عمرو وابن عامر غير أنه سكن الشين، ومثله حمزة والكسائي غير أنهما فتحا النون، والقراءة الثانية وهي قراءة عاصم بياء مضمومة وإسكان الشين ﴿بشراً﴾ ومعناه جمع بشير». اهـ من الكشف (٤٦٦/١) باختصار وتصرف.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾.

٢١- ﴿نكدأ﴾ قليلاً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عسراً في شدة. قال:

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافها نكدأ تافه قليل». انتهى.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدي ﴿لا يخرج إلا نكدأ﴾ والنكد الشيء القليل الذي لا ينفع.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدأ﴾.

﴿إلا نكدأ﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها أي عسراً قليلاً بعناء ومشقة، فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وافتح به والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يثبت أثر المطر فيه. قاله البغوي.

٢٢- ﴿يَغْنُوا﴾ يعيشوا].

ش: أخرجه ابن جرير موصولاً من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: «قال مهلهل:

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو سعد حلولا

وقولهم مغاني الديار منها واحداً مغنى قال: اتعرف مغنى دمنة ورسوم».

والآية المشار إليها: ﴿الذين كذبوا شعبياً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا

شعبياً كانوا هم الخاسرين﴾.

٢٣- ﴿حَقِيقٌ﴾ حق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليّ أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها ﴿حَقِيقٌ

على أن لا أقول﴾ ولم يضيف "علي" إليه فإنه يجعل مجازه مجاز حريص على أن لا

أقول، أو فحق أن لا أقول. انتهى

قلت: وكلا المعنيين صحيح ولا منافاة بينهما.

والآية المشار إليها: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتَكُمْ

ببينة من ربكم فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

٢٤- ﴿اسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ من الرهبة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: مجازه خوفوهم.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿قَالَ الْقَوَا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

٢٥- ﴿تَلَقَّفٌ﴾ تلقم].

ش: قال أبو عبيدة في قوله ﴿تَلَقَّفٌ مَا يَأْكُونُ﴾: «أي تلهم ما يسحرون

ويكذبون أي تلقمه» انتهى

وأخرج ابن جرير من طريق سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس
﴿فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون﴾ لا تمر بشيء من حبالهم
وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته. انتهى محل الغرض.
والآية المشار إليها: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما
يأفكون﴾.

٢٦- ﴿طائرهم﴾ حظهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونصيبهم.

وأخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ يقول: مصائبهم عند الله.
والآية المشار إليها هي قوله: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن
تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا
يعلمون﴾.

٢٧- [لوفان: من السيل ويقال للموت الكثير الطوفان].

ش: قال أبو عبيدة: «بحازه من السيل: البعاق والذباش وهو دباش شديد
سيله، ومن الموت الذريع المبالغ السريع» اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾.

٢٨- ﴿القمل﴾ الحمنان يشبه صفار الحلم].

ش: قال أبو عبيدة: «عند العرب هو الحمنان، والحمنان: ضرب من القردان
واحدتها حمنانة».

٢٩- ﴿عروش﴾ وعريش بناء].

ش: أخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس قوله ﴿وما كانوا يعرشون﴾ يقول بينون.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي زرعة عن منجاب عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿يَعْرُشُونَ﴾ قال: يبتنون. وقال أبو عبيدة في قوله ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ﴾ مجازه بينون، ويعرش ويعرُش لغتان، وعريش مكة خيامها.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ﴾.

٣٠- ﴿سُقِطَ﴾ كلُّ من ندم فقد سُقِطَ في يده.

ش: قال أبو عبيدة: يقال لكل من ندم وعجز عن شيء ونحو ذلك: سقط في يد فلان.

وقال الفراء في قوله ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: من الندامة، ويقال أسقط لغة.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ظَلَمُوا قَالُوا لَنْ نَمُوتَ أَبَدًا وَنَبْنِي وَنَبْنِي وَيَغْفِرَ لَنَا لَنْكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

٣١- [الأسباط: قبائل بني إسرائيل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحدهم سبط يقال: من أي سبط أنت أي من أي قبيلة وجنس.

والآية المشار إليها: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آسَافًا وَأَسْبَاطًا أَلَمْ يَكْفُرُوا بِالآيَةِ﴾

٣٢- ﴿يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يتعدون: له يجاوزون.

ش: قال أبو عبيدة: إذ يتعدون فيه عما أمروا به ويتجاوزونه.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾.

٣٣- ﴿تَعْدُ﴾ تجاوز.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عينك. ويقال: ما عدوت ذلك أي ما جاوزته».

والآية المشار إليها من سورة الكهف هي قوله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾.

٣٤- [شرعاً] شوارع].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيهم﴾.

٣٥- [بئيس] شديد].

ش: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله

﴿بعذاب بئيس﴾ قال: شديد.

وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

وأخرجنا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريح قال: أخبرني رجل عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿بعذاب بئيس﴾ أليم موجه.

وما قاله المصنف قاله أبو عبيدة وأنشد عن ذي الإصبع العدواني:

إن رأيت بني أبيك مجمحين إليك شوسا
حنقاً عليّ وما ترى لي فيهم أثراً بئيساً

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾.

٣٦- [أخلد] قعد وتقاعس].

ش: قال أبو عبيدة في قوله ﴿أخلد إلى الأرض﴾: «لزم وتقاعس وأبطأ،

يقال: فلان مخلد أي بطيء الشيب، والمخلد الذي تبقى ثنيتاه حتى تخرج رباعيتهاه وهو من ذاك أيضاً» اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى

الأرض واتبع هواه ﴿٣٧﴾.

٣٧- ﴿سنستدرجهم﴾ نأتيهم من مآمنهم كقوله تعالى ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾.

ش: قال أبو عبيدة: والاستدراج أن تأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث تطف له حتى تفتزه.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾.

٣٨- ﴿من جنة﴾ من جنون].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾.

٣٩- ﴿فمرت به﴾ استمر بها الحمل فأتمته].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به﴾ الآية.

٤٠- ﴿ينزغتك﴾ يستخفك].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «منه خفة وغضب وعجلة، ومنه قولهم: نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وحمل بعضهم على بعض] اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وإما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم﴾.

٤١- [طيف ملّم به لم، ويقال طائف وهو واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه لم قال الأعشى:

وتصبح عن عب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق.

وهو من طفت به أطف طيفاً قال:

إنّي ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشغوف» اهـ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية

بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿طائف من الشيطان تذكروا﴾ الطائف اللمسة من الشيطان.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من

الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾

قلت: وقول المصنف طيف على قراءة أبي عمرو وابن كثير والكسائي مثل

ضيف وقرأ الباقر طائف مثل فاعل. حكاه مكّي (٤٨٦/١).

٤٢- ﴿يمدونهم﴾ يزينون].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «لم الغي والكفر ويقال: مدّ له في غيه زينه له

وحسنه وتابعه عليه». انتهى

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وأخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا

يقصرون﴾.

٤٣- ﴿وخيفة﴾ خوفاً وخفية من الإخفاء].

ش: قال أبو عبيدة: أي خوفاً وذهبت الواو بكسر الخاء.

٤٤- ﴿والآصال﴾ واحدها أصيل، وهو ما بين العصر إلى

المغرب. كقوله ﴿بكرة وأصيلاً﴾.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في فيائه بالآصال

يقال آخر النهار» اهـ.

والآية المشار إليها بالكلمتين هي قوله: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً
وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾.

١٣٤- [باب ﴿إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾].

ش: قلت الآية: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

قوله ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه أيها القوم إن الله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين، وطيبه لهم، وإنما حرم ربي القبائح من الأشياء وهي الفواحش ما ظهر منها فكان علانية، وما بطن منها فكان سراً في خفاء» اهـ.

قوله ﴿والإثم والبغي بغير الحق...﴾ الآية.

قال ابن كثير: «قال السدي: أما الإثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق. وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيره على نفسه، وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي على الناس فحرم الله هذا وهذا».

وقوله تعالى ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي تجعلوا له شركاء في عبادته. ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الآية اهـ.

فائدة:

قال ابن القيم: «فذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدّها وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه قالوا: ولأن الكذب عليه بأنه قال كذا ولم يقله نسبه

للقول المكذوب إليه بأنه قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبته إلى رسول الله فقد نسب إليه الكذب، وهذا المذهب كما ترى قوة وظهوراً. انتهى من بدائع التفسير.

١٥٨- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبد الله؟ قال: نعم ورفعته قال: لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه. ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «لا أحد» بالنصب اسم "لا" النافية للجنس وهو بهذا اللفظ في جميع الطرق التي وقفنا عليها عند المصنف ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من رواية أبي وائل شقيق بن سلمة. وأخرج أحمد ومسلم عن أسماء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أغير من الله عز وجل» ووقع عند أحمد (٣٥٢/٦) ومسلم عنها: «لا شيء أغير من الله عز وجل» وقد جاء القرآن مؤيداً لذلك فمن الأول قوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ ومن الثاني قوله ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾ وفي سورة القصص ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

الثانية: قوله «أغير من الله» أغير على وزن أفعل اسم تفضيل. والحديث دليل على إتصاف الرب جل ثناؤه بالغيرة، وأن غيرته أعظم من غيرة المخلوق والغيرة على وزنة فعله بفتح العين المعجمة وهي الحمية والأنفة يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء؛ لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى. يقال: غرت على أهلي أغار غيره فأنا غائر وغيور للمبالغة. انتهى بتصرف من كلام ابن الأثير.

وقال النووي في شرحه: «قال العلماء: الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره،

والغيرة صفة كمال» اهـ.

قال مقيده: هذا معناها في اللغة واعلم سدك الله بأن غيره الله كسائر صفاته تمر كما جاءت بلا تكييف وموجب غيره الرب على عباده إنتهاك محارمه ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف أن رسول الله ﷺ قال: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله من أن يزني عبده أو تزني أمته». الحديث.

الثالثة: قوله «فلذلك حرم» التحريم معناه المنع وكل محرم ممنوع وهو على ضربين شرعي ومنه ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم... الآية﴾. وقوله ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾. وقدرى ومنه ﴿وحرام على قرية أهلكناها إنهم لا يرجعون﴾.

الرابعة: قوله «الفواحش» جمع فاحشة وهي كل ما تنهى قبحه شرعاً أو عقلاً أو عرفاً والمرادها هنا عظام الذنوب والآثام.

الخامسة: قوله «المدحمة» المدح ذكر محاسن الممدوح والإخبار عنها على سبيل الثناء والتعظيم بذلك، فإن اقترن بالحب والإرادة فهو حمد؛ لأن الحمد هو ذكر محاسن الممدود، والإخبار عنها مع حبه، وإجلاله وتعظيمه فهو خير يتضمن الإنشاء». انتهى من بدائع الفوائد (٩٣/٢).

وقال النووي: «حقيقة مدح العباد لله تعالى هو مصلحة للعباد؛ لأنهم يشنون عليه سبحانه فيثيهم فينتفعون وهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتسيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار» اهـ.

قلت: ومما جاءت به السنة من مدح العباد ربهم قوله ﷺ: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وفي دعاء الكرب المتفق عليه: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات

ورب الأرض ورب العرش الكريم».

وروى أبو داود وغيره عن أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم» الحديث.

السادسة: قوله «فلذلك» تعليل لقوله «ولا أحد أحب إليه المدحة من

الله».

السابعة: قوله «مدح نفسه» قلت: وفي التنزيل الكريم والسنة من مدائح

الرب نفسه ما يفوق الحصر، من ذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. وقوله ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وقوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ وقوله ﴿إِن بَطِشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٍ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِيءُ وَيَعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمت فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

تنبيه:

أخرج الشيخان والنسائي في قصة التيمم أن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. وأخرج مسلم عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب. فالأول دليل على جواز مدح الإنسان في وجهه والثاني دليل على النهي عن ذلك والجمع بينهما كما قال العلماء:

أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه الفتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا تخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة.

من فقه الحديث:

- أولاً: التحذير من انتهاك محارم الله وأن ذلك سبب غيرته.
 ثانياً: إثبات صفة المحبة والغيرة لله عز وجل.
 ثالثاً: الحث على مدح الله والثناء عليه بما هو أهله.

١٣٥- باب ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾.]

ش: قوله ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا - إلى قوله - فسوف تراني﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه، وكلمه ربه وناجاه، قال موسى لربه: ﴿أرني أنظر إليك﴾ قال الله مجيباً: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل﴾». اهـ.

قوله ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾.

قال القنوجي: «تجلى معناه ظهر من قولك جلوت العروس أي أبرزتها وجلوت السيف خلصته من الصدأ، وتجلى الشيء انكشف، والمعنى فلما ظهر ربه.

قوله ﴿للجبل جعله دكاً﴾ الدك مصدر بمعنى المفعول أي جعله مذكوكاً مدقوقاً فصار تراباً، هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة، والدك والدق أخوان وهو تفتيت الشيء وسحقه، وقيل تسويته الأرض، وقرأ أهل الكوفة دكاء على التأنيث، والجمع دكاوات كحمراء وحمروا وهي اسم للراية الناشزة من الأرض أو للأرض المستوية، فالمعنى أن الجبل صار صغيراً كالراية أو أرضاً مستوية» اهـ.

قوله ﴿وخر موسى صعقاً﴾ - إلى قوله - وأنا أول المؤمنين﴾.

قال البغوي: «قوله عز وجل: ﴿وخر موسى صعقاً﴾ قال ابن عباس والحسن: وغشي عليه. وقال قتادة: ميتاً إلى أن قال: فلما أفاق موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً عظيماً لا ينبغي له، قال: ﴿سبحانك تبت إليك﴾ عن سؤال الرؤية ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنك لا ترى في الدنيا.

وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل» اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ وأن الله كلمه بلا واسطة.

ثالثاً: شدة خشية موسى ﷺ لله.

رابعاً: الحث على التوبة.

خامساً: عدم إمكان رؤية العباد ربهم في الدنيا.

سادساً: في الآية دليل على رؤية العباد ربهم يوم القيامة.

قال ابن القيم: «ويبان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة من يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه.

الوجه الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾.

الوجه الثالث: أنه أجاب بقوله: لن تراني ولم يقل لا تراني، ولا أني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله وهذا يدل على أنه

سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تختمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الوجه الخامس: أن الله تعالى قادر أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بمتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظيراً أن يقول: إن استقر الجبل فسوف أكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى؛ فإنه إذا جاز أن يتجلّى للجبل الذي هو حماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يتمنع أن يتجلّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريههم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿لن تراني﴾ فإنما يدل على النفسي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفسي، ولو قيدت بالتأييد فكيف إذا أطلقت، قال تعالى: ﴿ولن يتمنوه

أبدأ ﴿ مع قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾. اهـ من بدائع التفسير.

[قال ابن عباس: أرني: أعطني].

ش: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

١٥٩- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن يحيى المازني^(١)، عن أبيه^(٢)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه، وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي، قال: ادعوه فدعوه قال: لم لطمت وجهه. قال: يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعتهم يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد؟، وأخذتني غصبة فلطمته، قال: «لا تخبروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جزى بصعقة الطور».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «جاء رجل من اليهود» وفي باب «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة» من أحاديث الأنبياء «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود». ووقع في رواية عبد الله بن الفضل سبب ذلك، وأول حديثه: «بينما يهودي يعرض سلعة أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر» ولم أقف

(١) هو عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني المدني، ثقة من السادسة، مات بعد الثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هو يحيى بن عمارة بن أبي الحسن الأنصاري المدني ثقة من الثالثة. ع.

على اسم هذا اليهودي في هذه القصة. قال الحافظ: وزعم ابن بشكوال أنه فنحاص بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن إسحاق، وأجيب بأن الذي ذكره ابن إسحاق لفنحاص مع أبي بكر الصديق في لطمه إياه قصة أخرى في نزول قوله تعالى ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ الآية. وأما كون اللاطم في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن أبي الدنيا في كتاب البعث من طريقه عن عمرو بن دينار عن عطاء، وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: «كان بين رجل من أصحاب النبي ﷺ وبين رجل من اليهود كلام في شيء» فقال عمرو بن دينار: هو أبو بكر الصديق «فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه المسلم» الحديث. اهـ من الفتح.

قلت: فمن تأمل هذا وحديث الباب يظهر له أن القصتين مختلفتان. ووقع في أحاديث الأنبياء «فرغ المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي» أي عند سماعه قول اليهودي «والذي اصطفى موسى على العالمين».

قال الحافظ: «وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمداً أفضل، وقد جاء ذلك مبيناً في حديث أبي سعيد أن الضارب قال لليهودي حين قال ذلك: «أي خبيث على محمد» فدل على أن لطمه اليهودي عقوبة له على كذبه عنده» اهـ.

الثانية: قوله «لطم». قلت: اللطم هو الضرب بباطن الكف على الوجه ولم أقف على اسم اللاطم ومن قال أنه أبو بكر الصديق فلم يصب لأمرين: أولهما: أن لفظ الأنصار عند إطلاقه لا يسبق إلى الفهم منه غير الأوس والخزرج، فصرفه عن ذلك بغير دليل يجب التسليم له تحكماً.

وثانيهما: أنه لو كان اللاطم أبو بكر الصديق أو غيره من المهاجرين وأريد إخفاء اسمه لقال الراوي رجل من المهاجرين، وفي حديث الأنبياء «فرغ المسلم

يده». ووقع في رواية إبراهيم بن سعد «فلطم وجه اليهودي» ووقع عند أحمد من هذا الوجه «فلطم على اليهودي» وفي رواية عبد الله بن الفضل «فسمعه رجل من الأنصار فطم وجهه وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا» وكذا وقع في حديث أبي سعيد أن الذي ضربه رجل من الأنصار». اهـ من الفتح

الثالثة: قوله «إن رجلاً من أصحابك... الخ» وفي رواية ابن الفضل «فقال - أي اليهودي - يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ - فذكره - فغضب النبي ﷺ حتى رأى في وجهه.

الرابعة: قوله «لم لطمته» أي: أي شيء حملك على لطمه. زاد في رواية إبراهيم بن سعد «فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره».

الخامسة: قوله «لا تخيروني من بين الأنبياء» أي لا تفضلوني على أحد منهم وفي حديث الأنبياء من رواية ابن الفضل «فقال لا تفضلوا بين أنبياء الله». السادسة: قوله «فإن الناس يصعقون» في حديث الأنبياء «فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق».

قال الحافظ: «ولم يبين في رواية الزهري من الطريقتين محل الإفاقة من أي الصعقتين. ووقع في رواية عبد الله بن الفضل «فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث» وفي رواية الكشميهني «أول من يبعث» والمراد بالصعق غشى يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه. وهذه الرواية ظاهرة في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير الزمر بلفظ: «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة» وأما ما وقع في حديث أبي سعيد «فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض» كذا وقع بهذا اللفظ في كتاب الأشخاص، ووقع في غيرها «فأكون أول من يفيق» وقد استشكل». اهـ

ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع كما وقع في سورة النمل ﴿فَفَزَعَنَا مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتاً، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين، فمن كان مقبوراً انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك. وقد ثبت أن موسى ممن قبر في الحياة الدنيا، ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره».

السابعة: قوله «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيْقُ»، لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أحمد والنسائي «فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يَفِيْقُ» أخرجه أحمد عن أبي كامل، والنسائي من طريق يونس بن محمد كلاهما عن إبراهيم، فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها، وسببه التردد في موسى عليه السلام.

الثامنة: قوله «فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ» وفي أحاديث الأنبياء «فَإِذَا مُوسَى بِطَاطِشٍ بِجَانِبِ الْعَرْشِ» أي أخذ بشيء من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة، وفي رواية ابن الفضل «فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ».

التاسعة: قوله «فَلَا أُدْرِي أَفَاقَ قِبَلِي أَمْ جِزْيَ بَصْعَةِ الطُّورِ» في حديث الأنبياء «فَلَا أُدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صَعِقَ أَفَاقَ قِبَلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَسْنَى اللَّهَ» أي فلم يكن ممن صعق، أي فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استسنى الله فلم يصعق وكلا الأمرين فضيلة ظاهرة لموسى ﷺ.

قال: وبين ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ: «أَحْوَسِبُ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ» والجمع بينه وبين قوله «أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَسْنَى اللَّهَ» أن في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيد بيان السبب في استثنائه، وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور فلم يكلف بصعقة أخرى. والمراد بقوله «مِمَّنْ اسْتَسْنَى اللَّهَ» قوله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

قاله الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع النبي ﷺ إذ نهى عن تخييره بين الأنبياء.

ثانياً: في صنيع النبي ﷺ مع اليهودي وخصمه دليل على وجوب سماع الحاكم الشكوى، وإن كانت من كافر واستدعاه المشكو وإن كان من المسلمين.

ثالثاً: فضيلة موسى ﷺ.

رابعاً: في قوله «أم جزى بصعقة الطور» تفسير للجبل المذكور في الآية.

١٣٦- [باب ﴿المن والسلوى﴾].

ش: قلت: يشير إلى قوله تعالى ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

قال ابن جرير: «﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ يكنّهم من حر الشمس وأذاها - إلى أن قال - ﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ طعاماً لهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ يقول: وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيناه لكم ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأجمعوا ذلك وقالوا: لن نصير على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿وما ظلمونا﴾ يقول: وما أدخلوا علينا نقصاً في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا، وفعلهم ما فعلوا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي ينقصونها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل» اهـ.

١٦٠- حدثنا مسلم^(١)، حدثنا شعبة، عن عبد الملك^(٢)، عن عمرو بن حريث، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: الكمأة من المن، وماؤها شفاء العين».

مضى في تفسير سورة البقرة برقم خمسة ضمن الباب السادس.

(١) هو أبو عمرو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، البصري، ثقة مأمون مكثّر، عمى بأخرة من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين وعشرين [ومائتين] وهو أكبر شيخ لأبي داود. ع.

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي، ثقة فصيح عالم، تغير حفظه وربما دلس، من الرابعة، مات سنة ست وثلاثين [ومائة] وله مائة وثلاث سنين. ع.

١٣٧- [باب ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾].

ش: قوله ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا أيها الناس﴾ وهذا خطاب للأحرر والأسود والعربي والعجمي، ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقال تعالى ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقال تعالى ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم». اهـ

قوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾.

قال الشوكاني: «﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ إما في محل جر على الصفة للاسم الشريف أو منصوب على المدح، أو مرفوع على أنه خير مبتدأ محذوف، وجملة ﴿لا إله إلا هو﴾ بدل من الصلة مقرر لمضمونها مبين لها؛ لأن من ملك السموات والأرض وما فيهما هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان يحيي ويميت هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه». اهـ

قوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ «يقول جل ثناؤه: قل لهم فصدقوا بآيات الله

الذي هذه صفته وأقروا بوجدانيته وأنه الذي له الألوهية والعبادة وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيد وطاعته». قاله ابن جرير.

قوله ﴿النبي الأمي الذي يؤمن بالله﴾ الآية.

قال ابن سعدي في قوله ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾: «أي آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله واتبعوه لعلكم تهتدون، في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتكم ضلالاً بعيداً»

من فقه الآية:

أولاً: وجوب التمسك بسنة النبي ﷺ.

ثانياً: أنه لا رشد ولا سعادة ولا فلاح في مخالفة هديه.

١٦١- حدثنا عبد الله^(١)، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن^(٢) وموسى بن هارون^(٣) قالوا: حدثنا الوليد بن مسلم^(٤)، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبير^(٥) قال: حدثني بسر بن عبيد الله^(٦) قال: حدثني أبو إدريس الخولاني^(٧) قال: سمعت أبا الدرداء^(٨) يقول: كانت بين أبي

- (١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حماد بن أيوب الأملي وهو تلميذ البخاري ووراقه، وهو من الثانية عشرة، مات سنة تسع وتسعين [ومائتين] وقيل بعد ذلك. خ.
- (٢) هو أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن التميمي الدمشقي ابن بنت شرحبيل صدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين]. خ. ٤٠.
- (٣) هو موسى بن هارون القيسي، البردي، الكوفي، صدوق ربما أخطأ، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين [ومائتين] بالفيوم من أرض مصر. خ. ٥٠. س.
- (٤) هو أبو العباس الوليد بن مسلم القرشي مولاهم الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، من الثامنة، مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين [ومائة]. خ. ٤٠.
- (٥) عبد الله بن العلاء بن زبير بفتح الزاي وسكون الموحدة، الدمشقي الربيعي، ثقة من السابعة، مات سنة أربع وستين [ومائة] وله تسع وثمانون. خ. ٤٠.
- (٦) بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي، ثقة حافظ من الرابعة. ع.
- (٧) هو عائذ الله بن عبد الله ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين وسمع من كبار الصحابة، ومات سنة ثمانين. قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء. ع.
- (٨) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أول مشاهده أحد وكان عابداً، مات في أواخر خلافة عثمان وقيل عاش بعد ذلك. ع.

بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامر، قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر. قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت.

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «محاورة» وقع في فضائل أبي بكر من رواية زيد بن واقد «كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

قال الحافظ: «وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى «معاتبية» وفي لفظ «مقابلة».

الثانية: قوله «فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه مغضباً» يعني من شدة ما جرى بينهما فاتبعه أبو بكر.

الثالثة: قوله «ثم ندمت» زاد محمد ابن المبارك «على ما كان» وفي الفضائل «فأسرعت إليه» يعني لملاطفته واسترضائه.

الرابعة: قوله «يسأله أن يستغفر له» وفي الفضائل «فسألته أن يغفر لي فأبى علي» زاد محمد بن المبارك «فتبعته إلى البقيع حتى خرج من داره».

قال الحافظ: «ولإسماعيلي عن الهسنجاني عن هشام بن عمار «وتحزرز مني بداره» وفي حديث أبي أمامة «فاعتذر أبو بكر إلى عمر فلم يقبل منه».

قلت: والجمع بينهما أن أبا بكر سأل عمر كلا الأمرين يعني المسامحة

واستغفار الله له.

الخامسة: قوله «فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ» وفي الفضائل «إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته» قلت: وهذا الصنيع من أبي بكر دليل على شدة وقع تلك الحال على نفسه.

السادسة: قوله «أما صاحبكم هذا» قلت: وما أراه إلا يعني به أبا بكر لما رأى من صنيعه.

السابعة: قوله «فقد غامر» بالغين المعجمة أي خاصم، والمعنى دخل في غمرة الخصومة والمغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحربي وغيره، وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد أي صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه.

الثامنة: قوله «وندم عمر» يقال ندم إذا حزن أو فعل شيئاً ثم كرهه وهذا دليل على سرعة رجوع عمر رضي الله عنه إلى الحق مع ما هو معروف عنه من الشدة.

التاسعة: قوله «فأقبل حتى سلم» يعني أبا بكر رضي الله عنه فسلم على النبي ﷺ ومن في المجلس، وسلم بتشديد اللام. ووقع في رواية محمد بن المبارك عن صدقة بن خالد عند أبي نعيم في الحلية «حتى سلم على النبي ﷺ» ولم يقع في الحديث ذكر الرد وهو مما يحذف للعلم به.

العاشرة: قوله «وجلس إلى النبي ﷺ» فسره في الفضائل بقوله «إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

الحادية عشرة: قوله «وغضب رسول الله ﷺ» في الفضائل «وجعل وجه النبي ﷺ يتمر» ويتمر بالعين المهملة المشددة أي تذهب نضارته من الغضب وأصله من المعر وهو الجرب يقال أمعر المكان إذا أجرب. وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى في نحو هذه القصة «فجلس عمر فأعرض عنه» أي النبي ﷺ «ثم

تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه فقال يا رسول الله: ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني فما خير حياتي وأنت معرض عني فقال: أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه» ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل فقال: والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له وما خلق الله من أحد أحب إلي منه بعدك فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك».

قلت: ولعل غضب رسول الله ﷺ الشديد لما عرفه من خطأ الفاروق على الصديق رضي الله عنهما.

الثانية عشرة: قوله «والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم» في الفضائل «والله أنا كنت أظلم» يعني أن ما حدث مني أشد مما كان من عمر. وهذا دليل على سلامة صدر الصديق ومحبه الصفح والمساحة.

الثالثة عشرة: قوله «هل أنتم تاركوا لي صاحبي» زاد في الفضائل «فما أؤذي بعدها» قلت: وهذا دليل على أن الاستفهام هنا بمعنى الأمر أي اتركوا لي صاحبي ولا تعرضوا له بسوء. يدل له قوله في آخر الحديث في الفضائل «فما أؤذي بعدها».

الرابعة عشرة: قوله «إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾... الخ» الحديث. قلت: هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة وقد مضى شرحه في الآية.

الخامسة عشرة: قوله «فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت» زاد في الفضائل «وواساني بنفسه وماله».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة أبي بكر رضي الله عنه ومكانته من النبي ﷺ.

ثانياً: أنه أول السابقين إلى الإسلام.

ثالثاً: أحقيته في الخلافة.

١٣٨- [باب ﴿وقولوا حطة﴾].

ش: يشير إلى قوله تعالى ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيدهم المحسنين﴾.

قال ابن جرير: «يقول: وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا ﴿نغفر لكم﴾ يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم، فيغفر لكم عنها فلا يؤاخذكم بها ﴿سنزيدهم المحسنين﴾ منكم، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا».

١٦٢- حدثنا إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعره.

مضى شرحه في تفسير سورة البقرة ضمن الباب السابع.

١٣٩- [باب ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾].

ش: قوله ﴿خذ العفو﴾.

قال الشوكاني: «أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ العفو من أخلاقهم، يقال أخذت حقي عفواً، أي سهلاً، وهذا نوع من التيسير الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» والمراد بالعفو هنا ضد الجهد، وقيل: المراد خذ العفو من صلقاتهم ولا تشدد عليهم فيها وتأخذ ما يشق عليهم وكان هذا قبل نزول فريضة الزكاة» اهـ.

قوله ﴿وأمر بالعرف﴾.

قال ابن سعدي: «أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حثاً على خير من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية. أو دنيوية» اهـ.

قوله ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾.

قال ابن جرير: «فإنه أمر من الله تعالى نبيه ﷺ أن يعرض عمن جهل، وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله، وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب» اهـ.

[العرف: المعروف].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرجه ابن جرير مسنداً عن عروة والسدي وقناة. وقال الحافظ: «وصله عبدالرزاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه بهذا»

فائدة:

قال ابن القيم في المدارج (٢/٣٠٤-٣٠٦):

«ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان، موافق له موال، ومعاد له معارض، وله في

كل واحدة من هذه واجب؛ فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف وهو

المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده وواجبه فيما

يبذلونه من الطاعة أن يأخذ منهم ما سهل عليهم وطوعت له به أنفسهم سماحة

واختياراً ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم وواجبه عند جهل الجاهلين

عليه، الإعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه فقد قال الله

تعالى لنبيه ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

١٦٣- حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبيد

الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن

حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين

يديهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو

شباناً فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي

عليه قال: سأستأذن لك عليه قال: ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له

عمر فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم

بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله

تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن هذا

من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان واقفاً عند كتاب

الله.

١٦٤- حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن

الزبير ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال: ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس.

وقال عبد الله بن براد^(١): حدثنا أبو أسامة^(٢)، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس أو كما قال.

ش: فيهما ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «عينه بن حصن بن حذيفة» هو أبو مالك عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري. قال ابن السكن: له صحبة وكان من المؤلفين ولم يصح له رواية. أسلم قبل الفتح وشهدا وشهد حنيناً والطائف. اهـ الإصابة (٥٥/٥).

الثانية: قوله «الحمر بن قيس» هو الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ذكره ابن السكن في الصحابة. اهـ الإصابة (٥/٢).

الثالثة: قوله «وكان من نفر الذين يدينهم عمر» يعني يقربهم من مجلسه وشوراه.

الرابعة: قوله «وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً» فيه إرشاد الحاكم إلى اتخاذ الشورى من أهل الفضل والعلم والصلاح فإنهم أنصح الناس وأصوبهم رأياً.

فائدة:

قال مقبده: واعلم هديت إلى مرشد أمورك وصواب الأقوال والأعمال، أن الدخول على ذوي السلطان له أقسام عدة، ومن ذكرها الإمام المجتهد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني في كتابه النفيس (العواصم والقواصم في الذب

(١) هو أبو عامر عبد الله بن براد بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، صدوق من العاشرة. خت. م.

(٢) هو حماد بن أسامة القرشي مولا هم الكوفي، مشهور بكنيته ثقة ثبت ربما دلس وكان بأخرة يحدث من كتب غيره، من كبار التاسعة. ع.

عن سنة أبي القاسم) ونحن ننقل لك تلك الأقسام من هذا الكتاب مع اختصار وتصرف، ولك أن تراجع بعد إن شئت المصدر (٨/١٩٠-٢١٣):

«القسم الأول: المخالطة لمجرد تناول مما في أيديهم من بيوت الأموال، وحقوق المسلمين، فهذا نقص من مرتبة الزهادة وشين في أهل العلم والعبادة، ولكنه لا ينحط إلى مرتبة التحريم، فإن حب الدنيا، وإن كان مذموماً على الإطلاق، لكنه يختلف، فمنه حرام، ومنه حلال، فالحرام منه هو حب الحرام من الدنيا، والإضراب عن الدين، وأهل هذا، هم الذين ذمهم الله تعالى في القرآن، وحيث يرد الذم على حب الدنيا مطلقاً أو عاماً، فالمراد به هذا الجنس بدليل قوله تعالى ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾.

وقد يرتقي حب الدنيا إلى مرتبة الندب والاستحباب مع حسن النية في قصد العفاف بالعفاف عن الحرام، وكفاية الأهل وصلة الأرحام والإخوان، وإعانة الضعيف وإطعام الطعام.

والذي يدل على أن المباح قد يصير مندوباً بالنية، وإعانتته على ترك الحرام أحاديث (إنما الأعمال بالنيات)...

وثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ولو كان الغنى نقصاً في الدين وحبه رذيلة لا يليق بالمؤمنين، لم يسأله رسول الله ﷺ ولا امتن الله عليه به في قوله ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾...

القسم الثاني: المخالطة للمصالح المتعلقة بالعامّة من الشفاعة للفقراء، والتبليغ بالمظلومين أو نحو ذلك، أو المصالح الخاصة بالملوك من وعظهم أو تذكيرهم وتعريفهم بما يجب للمسلمين وتعليمهم معالم الدين، وسواء كان ذلك

على جهة التصريح أو التلويح مع حسن النية، وهذا القسم يكون مستحباً غير مكروه، وسواء كان الغرض الحاصل من ذلك تركهم للباطل كله، أو تركهم لبعضه، وتخفيفهم منه، إلا أن يكون في الزمان إمام حق يدعو إلى حرب الظلمة، فإن المصير إليه هو الواجب، وإنما قلت: إن هذا يكون مستحباً لما ورد في ذلك من الآثار الصحيحة مثل قوله عليه السلام: (الدين النصيحة) قالوا: لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ورسوله، ولعامة المسلمين وأئمتهم. فالسلاطين من جملة عامة المسلمين - أعني أهل الملة - ولأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يخالطون الكفار لمثل ذلك، ولأن الحسن عليه السلام كان يخالط معاوية، ويدخل عليه ويكاتبه لمثل ذلك.

قال عبيد: واعلم أن النصيحة للإمام يجب أن تكون سراً كما يوب ابن أبي عاصم (٥٢١/٢)، باب كيف نصيحة الرعية للولادة، وروى عن عياض بن غنم أنه قال لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبيده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه) وصححه الشيخ ناصر حفظه الله بمجموع طرقه.

قال الشيخ: القسم الثالث: المخالطة للتقية، وهي جائزة، لنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وسواء أظهر المخالط أنه خالط لاجل التقية، أو لم يظهر ذلك، فإن الأكثرين لا يتمكنون من إظهاره، بل التقية تقتضي كتم ذلك.

قال عبيد: وإذا استعرضت الآية تامة ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴿ظهر لك أن الآية في الكفار - فلعل الشيخ رحمه الله عنى بهذا القسم الحكام الكفرة - الذين لا يندفع شرهم إلا بمخالطة ذوي الفضل والقدر والإمامة من أهل الإسلام لهم.

القسم الرابع: المخالطة لأجل الجهاد والغزو معهم للكفار، ممن يستجيز ذلك. وقد فعل ذلك غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من خيار المسلمين، بل قد قام الجللة والفضلاء مع المختار الكذاب الذي ادعى النبوة، وكذب على الله ورسوله لما قام بثأر الحسين عليه السلام.

القسم الخامس: المخالطة لأجل القرابة والرحامة، وهذا أيضاً جائز وقد رخص الله تعالى للمسلمين في صلة المشركين على العموم إذا لم يجاهروهم بالحرب والإخراج من الديار وفي (الكشاف) أن قوله تعالى: ﴿لَا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية، نزلت في قتيلة بنت عبد العزى أم أسماء بنت أبي بكر، قدمت وهي مشركة إلى بنتها، فلم تقبل هداياها، فنزلت الآية، وفي صحيح البخاري معنى هذا ولفظه.

وأصرح من هذا قوله تعالى ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾.

وقد كان رسول الله ﷺ معروفاً بين أرحامه من الكفار والمسلمين.

قال عبيد: واعلم أن المخالطة مجردة ليست موالة والدليل على ذلك أن الموالة هي الموادة والمحبة لا المخالطة.

الخامسة: قوله «لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه» يعني جاهاً ومكانة، والقائل هو عيينة بن حصن، وفيه إرشاد للإستعانة في الوصول إلى الحاكم بنوي المكانة عنده وأقربهم إليه وأن ذلك هو أفضل الطرق.

السادسة: قوله «هي يا ابن الخطاب» بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد، وقيل: هي ضمير وهناك مخدوف، أي هي داهية. قاله القسطلاني.

السابعة: قوله «فما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل» الجزل: بفتح الجيم وسكون الزاي المعجمة بعدها لام، العطاء الكثير، والمعنى أن عيينة ساعه الله وصف الخليفة بالبخل في العطاء والظلم في الحكم.

الثامنة: قوله «فغضب عمر حتى هم به» يعني هم أن يوقع به عقوبة ويبطش به، جزاء مقلته النابية.

التاسعة: قوله «يا أمير المؤمنين - إلى قوله - وأن هذا من الجاهلين» فيه التلطف بالحاكم، ووعظه وتذكيره عند ثوران غضبه.

العاشرة: قوله «والله ما جاوزها عمر حين تلاها» فيه دليل على سرعة قبول الفاروق رضي الله عنه الموعظة.

وهذا ثناء من ابن عباس على أمير المؤمنين رضي الله عنه واعتراف له بالفضل وجلالة القدر والوقوف عند حدود الله وفي هذا رد على الرافضة الذين ينتقصون عمر ويبالغون في جفاته حتى يصلوا إلى سبه وشتمه وتكفيره.

الحادية عشرة: قوله «ما أنزل الله» يعني هذه الآية.

الثانية عشرة: قوله «إلا في أخلاق الناس» قلت: وأخرجه ابن جرير من طريق حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد في قوله ﴿خذ العفو﴾ قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

الثالثة عشرة: قوله «أمر الله نبيه أن يأخذ العفو...» قد اختلف عن هشام في هذا الحديث فوصله من ذكرنا عنه وتابعهم عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه من قوله موقوفاً. وقال أبو معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير أخرجه سعيد بن منصور عنه وقال عبيد الله بن عمر عن هشام عن أبيه عن ابن عمر. أخرجه البزار والطبراني وهي شاذة. وكذا رواية حماد بن سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة عند ابن مردويه، وأما رواية أبي معاوية فشاذة أيضاً مع احتمال أن يكون هشام فيه شيخان. وأما رواية معمر ومن تابعه فمرجوحة بأن زيادة من خالفهما مقبولة لكونهم حفاظاً. قاله الحافظ.

آخر تفسير سورة الأعراف والله الحمد والمنة.

سورة الأنفال

[تفسير سورة الأنفال].

ش: وشاهد التسمية: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾
الآية.

وأخرج النحاس في ناسخه وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي
الله عنهما: سورة الأنفال نزلت بالمدينة، وهي مدنية وآياتها سبعون وست آيات
وكلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة واحدى وثلاثون كلمة. وحروفها خمسة
آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً. حكاه ابن كثير في أول تفسير السورة.

١٤٠- [باب قوله ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾].

ش: تمامها: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾.

قال الشوكاني: «الأنفال جمع نفل محرراً، وهو الغنيمة، ومنه قول عنزة:

إنا إذا أحرر الوغى نروي القنا ونعف عند مقاسم الأنفال

أي الغنائم، وأصل النفل الزيادة، وسميت الغنيمة به؛ لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرهم؛ ولأنها زيادة على ما يحصل للمجاهد من أجر الجهاد - إلى أن قال - وكان سبب نزول الآية: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر فنزع الله ما غنموه من أيديهم وجعله لله والرسول فقال ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ أي حكمها مختص بهما يقسمها بينكم رسول الله عن أمر الله سبحانه وليس لكم حكم في ذلك» اهـ.

قوله ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم».

قوله ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ يأمر جل ثناؤه بطاعته

وطاعة رسوله ﷺ وهذا عام في فعل جميع الأوامر، وأعظمها التوحيد وترك جميع

النواهي وأعظمها الشرك، ثم جعل طاعته وطاعة رسوله مع ما تقدم من امتثال

الأمر بتقواه وإصلاح ذات البين شرطاً في حصول الإيمان. إن كنتم مؤمنين» اهـ.

شرح جملة من الآثار:

١- [قال ابن عباس: الأنفال المغنم].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغنائم. قلت: وهذا بمعنى ما ذكره المصنف، وبه قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وعطاء.

وهو أحد أقوال أربعة حكاهما في الآية.

وثانيها: السرايا وبه قال علي بن صالح بن حي.

وثالثها: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك وهو قول ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية عنهما. ورابعها: أنها الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه.

٢- [قال قتادة: ﴿ريحكم﴾ الحرب].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بلفظ ﴿وتذهب ريحكم﴾ قال: ربح الحرب. وكذا أخرجه عنه ابن جرير من وجه آخر.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

٣- [يقال نافلة عطية].

ش: قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ أي نفلًا وغبية لك. انتهى.

وقال العيني: وإنما ذكر هذا استطراداً؛ لأن في معنى الأنفال التي هي المغنم معنى العطية.

قال الجوهري: «النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة

الصلاة». انتهى من عمدة القاري (٧١/٥).

١٦٥- حدثني محمد بن عبد الرحيم^(١)، حدثنا سعيد بن سليمان^(٢)، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر^(٣)، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال: نزلت في بدر. ش: فيه مسألان:

الأولى: قوله «قلت لابن عباس سورة الأنفال» يعني فيمن نزلت، والحامل لابن جبير على هذا السؤال ما تضمنته السورة من اختصاص الله ورسوله لقسمة الغنائم.

الثانية: قوله «نزلت في بدر» يعني في أهل بدر، وهذا هو قول عبادة بن الصامت وعكرمة. فقد روى ابن جرير (١٧٣/٩) وأحمد (٣٢٢/٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ وقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن سواء. يقول على سواء. فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين. وسيأتي بلفظ أتم في تفسير سورة الحشر ضمن الباب الحادي والستين بعد الثلاثمائة.

(١) هو أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير البغدادي البزار المعروف بصاعقة، ثقة حافظ، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين [ومائتين] وله سبعون سنة. خ. د. ت. س.

(٢) هو أبو عثمان الضبي الواسطي، نزيل بغداد، البزار لقبه سعدويه، ثقة حافظ من كبار العاشرة، مات سنة خمس وعشرين [ومائتين]. ع.

(٣) هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في ابن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم ومجاهد، من الخامسة، مات سنة خمس [ومائة] وقيل سنة عشرين ومائة. ع.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿الشوكة﴾ الحد.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال: ما أشد شوكة بني فلان أي حدهم.
والآية المشار إليها: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد
الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.

٢- ﴿مردفين﴾ فوجاً بعد فوج، ردفي وأردفي جاء بعدي].

ش: «قرأ نافع بفتح الراء، وقرأ الباقون بالكسر، وحجة من فتح أنه بناه
على ما لم يسم فاعله؛ لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة،
أي أنزلوا إليهم لمعونتهم على الكفار، فمردفين بفتح الدال نعت لـ "ألف" من
الملائكة. وحجة من كسر الدال أنه بناه على ما سمي فاعله فجعله صفة لـ "ألف"
أي بألف من الملائكة جاتين بعد استغاثتكم ربكم، وقيل: إن معناه بألف من
الملائكة مردفين غيرهم خلفهم لنصركم، فالفعل محذوف، وحكى أبو عبيدة إن
ردفي وأردفي واحد، وكسر الدال أحب إلي؛ لأنه قد يكون بمعنى الفتح؛ ولأن
عليه أكثر القراء». انتهى من الكشف عن أوجه القراءات السبع (٤٨٩/١).

والآية المشار إليها: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف

من الملائكة مردفين﴾.

٣- ﴿ذوقوا﴾ باشروا وجربوا، وليس هذا من ذوق الفم].

ش: هو تفسير أبي عبيدة باستثناء "باشروا".

قلت: وقد ذكره في تفسير الآية الخامسة والثلاثين من هذه السورة ﴿وما
كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية، فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون﴾ ولا أدري هل المصنف يشير إلى هذه الآية أم إلى قوله تعالى ﴿ولو
ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا

عذاب الحريق ﴿﴾

٤- ﴿فِيركمه﴾ : يجمعه.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: بعضه فوق بعض أجمع.

والآية المشار إليها قوله: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾ الآية.

٥- ﴿وان جنحوا﴾ طلبوا.

ش: قال أبو عبيدة: أي رجعوا إلى المسألة وطلبوا الصلح.

٦- [السلم والسلم والسلام واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «السلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحزوف بالفتحة

واحد. قال رجل من أهل اليمن جاهلي:

أنا فل إنني سلم لأهلك فأقبلي سلمى.

فيها ثلاث لغات، وكذلك السلام أيضاً.

قلت: والآية المشار إليها بالكلمتين: ﴿وان جنحوا للسلم فاجحها

وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾.

٧- ﴿يشخن﴾ يغلب.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويغالب ويبالغ».

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن

في الأرض﴾.

٨- [وقال مجاهد ﴿مكاء﴾ إدخال أصابعهم في أفواههم، وتصديفة

الصفير].

ش: وصله عبد بن حميد والفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. قاله

الحافظ.

قلت: وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد ﴿إلا مكاء وتصدية﴾ قال: المكاء: إدخال أصابعهم في أفواههم والتصدية: التصفيق يخلطون بذلك على محمد ﷺ عليه صلواته.
وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وابن عمر وعطية العوفي وأبي سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم من أهل التفسير.

وقال أبو عبيدة: «المكاء: الصغير، قال رجل يعني امرأته:

ومكا بها فكأنما يمكو بأعصم عاقل

وتصدية: أي تصفيق بالأكف قال: تصدية بالكف أي تصفيق، التصفيق والتصفيح والتصدية شيء واحد» اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾.

٩- [ليشبتوك ﴿ : ليجسوك]

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عنه ، وروى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس قال : (تشاورت قريش ، فقال بعضهم : إذا أصبح محمد فأنبتوه بالوثاق) . حكاه الحافظ

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : سألت عطاء ، عن قوله ﴿ ليشبتوك ﴾

قال : يسجنوك وقالها عبد الله ابن كثير ، وبه قال ابن زيد .

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاه في الآية :

وثانيها : ليقيدوك ، وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي .

وثالثها : ليسحروك ، وأخرج فيه حديثاً مرفوعاً من طريق عبيد ابن عمير

ابن المطلب بن أبي وداعة ، أن أبا طالب ، قال لرسول الله ﷺ : ما يأتمر به

قومك؟ قال : (يريدون أن يسحروني ويقتلونني ويخرجوني ...) الحديث.

قلت : ولكنه مرسلٌ وفيه نكارة ، وخرابة والصواب عندي ما قاله ابن

عباس ومن وافقه .

والآية المشار إليها: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو
يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾

١٤١- [باب ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن شر الدواب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به، ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بها أبدانهم.

١٦٦- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار.

ش: رواه ابن جرير من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عباس فذكره وزاد: لا يتبعون الحق.

ورواه أيضاً من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: لا يتبعون الحق.

قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.

قلت: وسواءً كانت الآية نزلت في أولئك النفر أو كانت في المنافقين فإنه لا عبرة بخصوص نزولها بل العبرة بعموم لفظها وما أحسن ما قاله ابن كثير بعد حكايته القولين جميعاً: «قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح» اهـ.

١٤٢- [باب ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾].
ش: قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

قال ابن سعدي: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول أي الانقياد لما أمرا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه والانكفاف عنه والنهي عنه وقوله ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام» اهـ.

قوله ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قيل معناه بادروا إلى الاستجابة قبل أن لا تتمكنوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها بالموت الذي كتبه الله عليكم، وقيل معناه: أنه خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو، فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً ويبدل عدوهم من الأيمن خوفاً وقيل هو من باب التمثيل لقربه سبحانه من العبد كقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ومعناه أنه مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه منها خافية. قاله الشوكاني.

وقال ابن جرير بعد حكايته الأقوال المختلفة في معناها: «وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خير من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيتته». انتهى محل الغرض.

قلت: والأدلة على صحة هذا الاختيار من السنة كثير منها: ما رواه مسلم

في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك». ومنها ما رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يدعو بها «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿استجيبوا﴾ أجبوا].

ش: تقدم في تفسير آل عمران ضمن الباب السبعين.

٢ - ﴿لما يحييكم﴾ يصلحكم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: للذي يهديكم وينجيكم من الكفر والعذاب.

١٦٧- حدثنا إسحاق، أخبرنا نوح، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آتته حتى صليت، ثم أتته فقال: ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج. فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له، وقال معاذ^(١) حدثنا شعبة عن خبيب سمع حفصاً سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال: هي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ السبع المثاني.

ش: الشاهد منه قوله ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وقول البخاري: وقال معاذ قد وصله الحسن بن سفيان في مسنده عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه وفائدة إيراده ما وقع فيه من تصريح حفص بسماعه من أبي سعيد بن المعلى. انتهى من الفتح (٣٠٨/٨).

وقد مضى الحديث مع شرحه في الباب الأول.

(١) هو أبو المثني معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، القاضي، ثقة متقن، من كبار التاسعة، مات سنة ست وتسعين [ومائة]. ع.

٤٣-١ [باب ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضاً ما حل بمن قال ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ إذ مكرت لهم، فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر» اهـ.

[قال ابن عيينة: ما سمى الله تعالى مطراً في القرآن إلا عذاباً وتسميه العرب الغيث وهو قوله تعالى ﴿ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ الشورى].

ش: قال الحافظ في التعليق: «أخبرنا علي بن محمد مشافهة عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عبد الواحد أنا زاهر بن أبي طاهر أنا الحسين بن عبد الملك، أنا عبد الرحمن بن الحسن، أنا أحمد بن إبراهيم، أنا أبو جعفر الديلمي، ثنا سعيد بن عبد الرحمن، ثنا سفيان هو ابن عيينة قال: ويقول ناس: ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذاباً، ولكن سمته العرب الغيث. يريد قول الله تعالى ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾.

ثم تعقب ابن عيينة فقال: وقد تعقب ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى ﴿إن كان بكم أذى من مطر﴾ فالمراد به هنا الغيث قطعاً. ومعنى التأذي به اليلل الحاصل منه للشوب وغير ذلك» اهـ.

وقال أبو عبيدة عند قوله ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ «بجازه أن كل شيء من العذاب فهو أمطرت بالألف وإن كان من الرحمة فهو مطرت» اهـ.

١٦٨- حدثني أحمد^(١)، حدثنا عبيد الله بن معاذ^(٢)، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد - هو ابن كرديد صاحب الزيادي^(٣) - سمع أنس بن مالك رضي الله عنه: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: يأتي في الباب الذي يليه.

(١) هو أبو الفضل أحمد بن النظر بن عبد الوهاب النيسابوري، ثقة حافظ من الحادية عشرة. خ.

(٢) هو أبو عمرو عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، ثقة حافظ، رجع ابن معين أخاه المثني عليه، من العاشرة، مات سنة سبع وثلاثين [ومائتين]. خ. م. د. س.

(٣) هو عبد الحميد بن دينار صاحب الزيادي، ثقة من الرابعة. خ. م. د. س.

١٤٤- [باب ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾].

ش: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على سبعة أقوال:

أحدها: أنها أنزلت على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم خرج ﷺ من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين. وهذا قول ابن عباس وابن أبي الزبير والضحاك وابن زيد.

وثانيها: وهو قول أبي موسى وابن إسحاق وأبي العلاء وابن عباس في الرواية الثانية قالوا: وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد، حتى أخرجك من بينهم ﴿وما كان الله معذبهم﴾ وهؤلاء المشركين يقولون: يا رب غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول.

وثالثها: معنى ذلك: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون، أن لو استغفروا قالوا: ولم يكونوا يستغفرون. وهو قول قتادة والسدي وابن زيد في الرواية الثانية.

ورابعها: قالوا: استغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم وبه قال عكرمة ومجاهد.

وخامسها: قالوا: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام وبه قال ابن عباس في الرواية الثالثة.

وسادسها: وما كان الله معذبهم وهم يصلون. وبه قال الضحاك ومجاهد في الرواية الثانية وابن عباس في الرواية الرابعة.

وسابعها: قالوا: وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾. وقال به الحسن وعكرمة في الرواية الثانية.

أخرجها جميعها ابن جرير ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك

بالصواب هو قول من قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لأنني لا أهلك قرية وفيها نبيها، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ يراد بذلك لا أحسن إليك إذا أسأت إليّ، ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إليّ، وكذلك ذلك» اهـ.

١٦٩- حدثنا محمد بن النضر^(١)، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزياتي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «قال أبو جهل - إلى قوله - عذاب أليم» فيه التصريح بأن هذه المقولة الخبيثة كانت من أبي جهل.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والسدي أن قائل ذلك هو النظر بن الحارث. وقال قتادة: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها.

قلت: ولا منافاة بين هذين القولين وما في الصحيح إذ لا مانع أن تكون هذه المقولة جاءت عن أكثر من واحد من المشركين ومن بينهم أبو جهل وهو عمرو بن هشام المخزومي رأس في كفار قريش والنظر بن الحارث.

(١) هو محمد بن النضر بن عبد الوهاب أخو أحمد، مقبول من الثانية عشرة. خ.

الثانية: قوله ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ تمامها: ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

قال ابن كثير: «أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة فيه والطواف به، ولهذا قال ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾ أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه كما قال تعالى ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾. وقال تعالى ﴿وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله﴾ الآية. انتهى محل الغرض.

١٤٥- [باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله لله، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره - إلى أن قال - وأما قوله ﴿فإن انتهوا﴾ فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة وهي الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام؛ لأنه يبصرهم ويصير أعمالهم، والأشياء كلها متجلية له، لا يغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» اهـ.

١٧٠- حدثنا الحسن بن عبد العزيز^(١)، حدثنا عبد الله بن يحيى^(٢)، حدثنا حيوة، عن بكر بن عمرو، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ إلى آخر الآية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أغتر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أغتر بهذه الآية التي يقول الله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ إلى آخرها. قال: فإن الله يقول ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال ابن عمر: قد

(١) هو أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن الوزير الجروي المصري، نزيل بغداد، ثقة ثبت

عابد فاضل، من الحادية عشرة، مات سنة سبع وخمسين [ومائتين]. خ.

(٢) هو عبد الله بن يحيى البرلسي، لا بأس به من كبار العاشرة. خ. د.

فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقها فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي: فابن عم رسول الله ﷺ وختنه - وأشار بيده - وهذه ابنته أو بنته حيث ترون.

١٧١- حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا بيان^(١)، أن وبرة حدثه قال: حدثني سعيد بن جبير قال: خرج علينا - أو إلينا - ابن عمر فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة، فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «أعير» مهملة وتحتانية ثقيلة للكشميهني في الموضعين، ولغيره بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وتخفيف المثناة الفوقانية وتشديد الراء فيهما، والحاصل أن السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك. قاله الحافظ.

الثانية: قوله «فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه» كذا للأكثر فزعم بعض الشراح بأنه غلط وأن الصواب بإثبات النون فيهما؛ لأن «إما» التي تجزم هي الشرطية وليست هنا شرطية. قلت: وهي رواية أبي ذر، ووجهت رواية الأكثر بأن النون قد تحذف بغير ناصب ولا جازم في لغة شهيرة، وتقدم في تفسير البقرة ضمن الباب الثاني والثلاثين بلفظ: «إما تعذبه وإما تقتلوه».

الثالثة: قوله «فما قولك في علي وعثمان» هذا يؤيد أن السائل كان من

(١) هو بيان بن بشر الأحمسي أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت من الخامسة. ع.

الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويحطون عثمان وعليًا، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد فإنه تعالى صرح في القرآن بأنه عفا عنهم. وقد جاء في مناقب عثمان سؤال السائل لابن عمر «هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال: نعم فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدا. قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا. قال: نعم. قال: الله أكبر. فقال ابن عمر: تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعته مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

الرابعة: قوله «فكرهتم أن تعفو عنه» بالثناة فوقانية وبصيغة الجمع، ومضى في تفسير البقرة بلفظ: «أن يعفو» بالتحانية أوله والإفراد أي الله. **الخامسة:** قوله «وهذه ابنته أو بنته» كذا للأكثر بالشك ووافقهم الكشميهني لكن قال: «أو أبيتته» بصيغة جمع القلة في البيت وهو شاذ، وقد جاء في مناقب عليّ من رواية سعد بن عبيدة: «فقال هو ذاك بيته أو وسط بيوت النبي ﷺ» وفي رواية النسائي «ولكن انظر إلى منزلته من نبي الله ﷺ ليس في المسجد غير بيته» وهذا يدل أنه تصحف على بعض الرواة بيته ببنته فقرأها بنته بموحدة ثم نون ثم طرأ له الشك فقال «بنته أو بيته» والمعتمد أنه البيت فقط.

السادسة: قوله «فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة» وقع في رواية البيهقي من وجه آخر عن زهير بن معاوية، والحديث المذكور مختصر من الذي قبله، أو هما واقعتان. قاله الحافظ.

قال مقيده: ويناسبها هنا ذكر ثلاث فوائد في ذكر الخوارج.

الفائدة الأولى:

في حد الخوارج:

قال الشهرستاني: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان»
قلت: وهذا هو أجود التعريفات وظاهر النصوص يؤيده كما سيتضح لك.

الفائدة الثانية:

ما جاء في ذم هذه الفرقة والتحذير منها بل وفي قتالها تقرباً إلى الله أكثر من أن يحصى وإليك بعض ذلك.

أولاً: فعن أبي سعيد قال: «بعث عليّ رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها، فقسمها بين أربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نيهان، فتغضبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صنابير أهل نجد ويدعنا؟ قال رسول الله ﷺ: إنما أتألفهم، فأقبل رجل غائر العينين، ناتئ الجبين كثر اللحية، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس، فقال: يا محمد اتق الله فقال: فمن يطع الله إذا عصيته؟ أفيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني؟ فسأل رجل من القوم قتله - أراه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولّى قال: إن من ضعفيء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. أخرجه البخاري ومسلم.

ثانياً: ما رواه مسلم وأبو داود عن زيد بن وهب الجهني رضي الله عنه أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليّ: أيها

الناس إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أمتي، يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لنكلوا عن العمل.

الثالث: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن بعدي من أمي - أو سيكون بعدي من أمي - قوم، يقرءون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة.

قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري [أخا الحكم الغفاري قلت: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا؟] فذكرت له هذا الحديث فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم.

رابعاً: وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ينشأ نشءٌ يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم. كلما خرج قرن قطع. قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرن قطع. أكثر من عشرين مرة. حتى يخرج في عرضهم الدجال. في الزوائد إسناده صحيح. وقد احتج البخاري بجميع رواته.

قال مقبده: ومن نظر في هذه الأحاديث وما في معناها مما جاء في ذكر هذه الفرقة الضالة المتولية غير سبيل المؤمنين ظهر له جلياً أمورٌ كثيرة تدل على خبث القوم وانحراف منهجهم وفساد مقصدهم، ومن تلك الأمور:

أولاً: قراءتهم للقرآن من غير فقه وسبب ذلك فصلهم إياه عن السنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم من أئمة السنة والجماعة، كالأئمة الأربعة، والأوزاعي، والسفيانين، والحمادين.

ثانياً: خفرهم ذمة الله وذمة نبيه وذلك بقتالهم أهل الإسلام وودعهم أهل

الأوثان.

ثالثاً: أنهم شر الخليقة وشر قتلى وأنهم بليّة على أهل الإسلام على مر العصور حتى يخرج في عراضهم الدجال.

الفائدة الثالثة:

موقف الأئمة من هذه الفرقة الضالة:

قال الآجري رحمه الله في الشريعة: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهونون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله عز وجل منهم، وحذر رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم...».

وقال في (ص ٢٨): «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان أو جائراً فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه وبحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج».

قال مقيله: وقد نص أهل العلم على أن من أصناف الخوارج القعدية وهم من يحسنون الخروج على الإمام ويحرضون عليه من غير سل سيف في وجهه. قلت: وما أكثرهم اليوم؛ فإن صنيعهم غير خافٍ يعرفه من خبر الكتب الفكرية المعاصرة مثل: معالم في الطريق، والخطب المهيجة والمحاضرات المثيرة مثل شريط هموم فتاة ملتزمة، وأشرطة ما يسمى بشرح الطحاوية.

١٤٦- [باب ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾].

ش: قوله ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين - إلى قوله - يغلبوا مائتين﴾.
قال ابن كثير: أي حثهم ومرهم عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. فقال عمرو بن الحمام عرضها السموات والأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال: بخ بخ. فقال: ما يحملك على قولك بخ بخ. قال: رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. وقد روى سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعة، وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقيل الهجرة إلى المدينة والله أعلم. ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وأمراً: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة. اهـ
قال مقيد: وناسخه الآية بعدها.

قوله ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ «يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتساباً وطلب موعوداً لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله». قاله الطبري.

١٧٢- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن

عباس رضي الله عنهما لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ﴾ فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الآية. فكتب أن لا يفر مائة من مائتين، زاد سفيان مرة نزلت ﴿حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون﴾.

قال سفيان: وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

ش: قوله «فقال سفيان غير مرة» أي أن سفيان كان يرويه بالمعنى فتارة يقول باللفظ الذي وقع في القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر، وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفر واحد من العشرة ويحتمل أن يكون سمعه باللفظين ويكون التأويل من غيره، ويؤيده الطريق التي بعد هذه فإن ذلك ظاهر في أنه من تصرف ابن عباس». انتهى من الفتح (٣١٢/٨).

وسياتي شرحه في الباب بعده.

١٤٧- [باب ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ إلى قوله ﴿والله مع الصابرين﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

قال ابن جرير: «يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾ عند لقاءهم للثبات لهم ﴿يغلبوا مائتين﴾ منهم ﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ منهم ﴿بإذن الله﴾ يعني بتخليفة الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم ﴿والله مع الصابرين﴾ لعدوهم، وعدو الله احتساباً في صبرهم، وطلباً لجزيل الثواب من ربهم، بالقوة منه لهم، والنصر عليه» اهـ.

١٧٣- حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي^(١)، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير ابن حازم^(٢) قال: أخبرني الزبير بن الخريت^(٣)، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «شق ذلك على المسلمين» زاد الإسماعيلي من طريق سفيان

(١) هو يحيى بن عبد الله بن زياد البلخي، نزيل مرو، لقبه خاقان، ثقة من العاشرة. خ.

(٢) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي، البصري، والد وهب، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه، وهو من السادسة، مات سنة سبعين [ومائة] بعدما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه. ع.

(٣) هو الزبير بن الخريت البصري، ثقة من الخامسة. خ. م. د. ت. ق.

بن أبي شيبه عن جرير «جهد الناس ذلك وشق عليهم» قاله في الفتح.
 الثانية: قوله «نقص من الصبر» قال الحافظ: كذا في رواية ابن المبارك وفي
 رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي «نقص من النصر» وهذا قاله ابن
 عباس توقيفاً على ما يظهر، ويحتمل أنه قاله بطريق الاستقراء.

قلت: وما أفاده الخبر هو صريح الآيتين؛ فإن الأولى متضمنة وجوب
 مصابرة الواحد من المسلمين لعشرة من الكفار كما تضمنت الثانية نسخ ذلك
 بوجوب مصابرة الواحد من المسلمين الإثنين من الكفار. وفي الحديث دليل على
 تحريم الفرار من أمام الكفار إذا كان عددهم ضعف عدد المسلمين.

فائدة:

«هذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين بأنهم إذا بلغوا هذا
 المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم
 بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية ولكن معناها وحقيقتها الأمر، وأن الله أمر
 المؤمنين في أول الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة،
 والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم
 من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار ولكن يرد على هذا أمران:
 أحدهما: أنها بصورة الخير والأصل في الخير أن يكون على باب، وأن
 المقصود بذلك الإمتان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد، أن يكونوا صابرين، بأن يكونوا متدربين
 على الصبر، ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين؛ فإنه يجوز لهم الفرار، ولو
 أقل من مثليهم، إذا غلب على ظنهم الضرر كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول: بأن قوله ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ إلى آخرها دليل
 على أن هذا الأمر لازم، وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد فهذا ظاهر
 في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر، وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة

بديعة لا توجد فيه، إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبيشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين أنه حث على الصبر وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخصر الله به من النصر لهذا العدد القليل». انتهى من تيسير الكريم الرحمن (٢/٢١٦).

آخر تفسير سورة الأنفال والله الحمد والمنة.

سورة براءة

١٤٨ سورة براءة

ش: شاهد التسمية: ظاهر في أول السورة. ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾.

وتسمى أيضا سورة التوبة، ومن شواهد ذلك ﴿لقد تاب الله على النّاب والمهجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾.

ومن أسمائها الفاضحة؛ لأنه ما زال ينزل فيها: ومنهم، ومنهم. وتسمى البحوث تبحث عن أسرار المنافقين، وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث، وتسمى المشقشة لكونها تقشّش أي تبرء من النفاق، والمخزية لكونها أخزت المنافقين، والمثيرة لكونها تثير أسرارهم، والحافرة لكونها تحفر عنهم.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة وسيأتي قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون عنى ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن براءة قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى براءة».

وآياتها ثلاثون ومائة وقيل سبع وعشرون ومائة.

قال القرطبي: وهي مدنية باتفاق.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿وليجة﴾ كل شيء أدخلته في شيء.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا ولياً ليس من المسلمين دون الله ورسوله، ومنه قول طرفة بن العبد:

فإن القوافي يتلجن مواجها تضايق عنها أن تولّجه الإبر» اهـ

والآية المشار إليها في قوله: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون﴾.

٢- ﴿الشقة﴾ السفر.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «البعيد يقال: إنك لبعيد الشقة قال الأخوص الرياحي وحمل أبوه حمالة فظلع فقدا البصرة فبادر أباه فقال: إنا من تعرفون وأبناء السبيل وجفنا من شقة ونسأل في حق وتنطوننا ويجزيكم الله» اهـ
والآية المشار إليها: ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾.

٣- ﴿الخبال﴾ الفساد والخبال الموت.

ش: قوله الخبال الفساد: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿إلا

خبالاً...﴾

وقوله الخبال الموت: كذا هم و الصواب الموتة بضم الميم وزيادة هاء في آخره وهو ضرب من الجنون قاله الحافظ.

والآية المشار إليها: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنة وفيكم ستمعون لهم﴾.

٤- ﴿وَلَا تَفْتَنِي﴾ لا توبخني].

ش: كذا للأكثر بالموحدة والخاء المعجمة من التوييح، وللمستملي والجرجاني «توهني» بالهاء وتشديد النون من الوهن وهو الضعف، ولابن السكن «تؤثني» بمثلثة ثقيلة وميم ساكنة من الإثم قال عياض وهو الصواب. قاله الحافظ قلت: وهو قول أبي عبيدة.

وأخرج ابن جرير بسنده عن قتادة في الآية ﴿وَلَا تُوْثِنِي أَلَا فِي الْإِثْمِ سَقَطُوا﴾ وأخرج عن ابن عباس «ولا تفتني» يقول ائذن لي ولا تخرجني. والآية المشار إليها: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾

٥- ﴿كُرْهًا﴾ و﴿كُرْهًا﴾ واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح ومضموم سواء» اهـ وقرأ حمزة والكسائي بالضم وفتح الباقون ومثله في التوبة والأحقاف قاله مكي ٣٨٢/١.

والآية التي أشار إليها المصنف: ﴿قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾

٦- ﴿مَدْخَلًا﴾ يدخلون فيه].

ش: قاله أبو عبيدة في قوله «ملجأ أو مغارات» وزاد ويتغيبون فيه.

٧- ﴿يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون].

ش: قال أبو عبيدة: «يجمح أي يطمح، يريد أن يسرع» اهـ.

وفي المصباح جمع الفرس براكبه «يجمح» بفتحين جماعاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جموح، بالفتح، وجماح يستوي فيه الذكر والأنثى، وجمح إذا عار وهو أن ينفلت فيركب رأسه فلا يثنيه شيء وربما قيل «جمح» إذا كان فيه نشاط وسرعة والجماح من الأوليين مذموم ومن الثالث محمود لكن

الثالث مهجور الاستعمال وإن كان منقولاً، «وجمحت» المرأة خرجت من بيتها غضبى بغير إذن بعلها «فالجموح هو الرّكب هواه» اهـ.
والآية المشار إليها بالكلمتين: ﴿لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولو إليه وهم يجمعون﴾ .

٨ - ﴿والمؤتفكات﴾ اتفكت، انقلبت بها الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: «قوم لوط اتفكت بهم الأرض أي انقلبت بهم» اهـ.
والآية المشار إليها ﴿ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

٩ - ﴿أهوى﴾ ألقاه في هوة].

ش: ليست هذه اللفظة من سورة «براءة»، وإنما هي من قوله تعالى في سورة النجم ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ وأظن أن المصنف رحمه الله ذكرها لمناسبة ما قبلها.
١٠ - ﴿عَدْنُ﴾ خُد، عَدْنْتُ بأرضٍ أي أقمتُ، ومنه معدن، ويقال في معدن صدق، في منبت صدق].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وزاد: «وقال الأعشى

وإن يستضيفوا إلى حلمه يضافوا إلى راجح قد عدن.

أي رزين لا يستخف» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن﴾ .

١١ - ﴿الخوالف﴾ الخالف الذي خلفني فقعد بعدي، ومنه يخلفه في

الغابرين ويجوز أن يكون النساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور، فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفان فارس وفوارس، وهالك وهوالك].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وأنشد عن ابن جزل الطعان يرثي ربيعة:

فأيقنت أني ثائر ابن مكدّم غداة إذ أو هالك في الهوالك
والآية المشار إليها: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا
بَأَن يُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
١٢- [الخيرات] واحدها خيرة وهي القواضل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ومعناها الفاضلة في كل شيء، قال رجل من بني
عدي جاهلي عدي تميم:

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات» اهـ
والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿لِكِ الرُّسُولِ وَالَّذِي دَانَ أَنفُسَهُمْ
تَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأَوْلِيكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
١٣- [مُرجون] مؤخرون].

ش: هو قول أبي عبيدة وزاد: «يقال أرجأتك أي أحرثتك» اهـ.
والآية المشار إليها: ﴿بِأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

١٤- [الشفاء] الشفير، وهو حده، والجرف ما تجرف من السيول
والأودية].

ش: قال أبو عبيدة: «مجاز شفا جرف شفير والجرف ما لم يبين من الركايا
لها جول قال: جرف هيام جولة يتهدم» اهـ.

١٥- [هار] هائر، يقال: تهورت البئر إذا انهدمت، وانهار مثله].
ش: قال أبو عبيدة: «وهان» مجازه هائر والعرب تنزع هذه الياء من فاعل،
قال العجاج: لاث به الأشيا و العبرى. أي لاث» اهـ.

والآية المشار إليها في الكلمتين هي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَى
تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن أُسِّسَ بَيْنَهُ عَلَىٰ شَفَا جَرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ
فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

١٦- ﴿لَأُوَاہِ﴾ شفقاَ وفرقاَ، وقال الشاعر:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مجاز فعّال من التأوّه، ومعناه متضرع شفقاَ وفرقاَ ولزوماً لطاعة ربه، قال المثقب العبدی (ثم أنشد البيت الذي ذكره المصنف)

والآية المشار إليها: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾.

قلت: وقد اختلف أهل التفسير في معنى الأواه على ستة أقوال:

١ - الأواه، الدعاء قاله ابن مسعود.

٢ - ومنها المؤمن التواب قاله ابن عباس.

٣ - ومنها الرحيم بعباد الله قاله الحسن وقتادة.

٤ - ومنها الموقن قاله مجاهد.

٥ - ومنها الذي إذا ذكر النار قال أوه من النار قاله كعب الأحبار.

٦ - ومنها المتضرع قاله عبد الله بن شداد بن الهاد

حكى هذه الأقوال وغيرها غير واحد من أهل التفسير منهم البغوي وابن

كثير

وعندي أنها كلها صحيحة ولا تنافي ما اختاره البخاري والله أعلم.

١٤٩- [باب ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾].
 ش: أي هذا باب في قوله عزوجل ﴿براءة من الله﴾ الآية
 قال الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله: أي تبرؤ من الله ورسوله إلى
 من كان له عهد من المشركين من ذلك العهد.

ويقال هذه الآية براءة ويقال هذه السورة براءة.

وقال ابن عباس: البراءة نقض العهد إلى الذين عاهدتم من المشركين، لأنهم
 نقضوا عهودهم قبل الأجل فأمر الله نبيه ﷺ بأن من كان عهده إلى أربعة أشهر
 أن يقره إلى أن تنقضي أربعة أشهر.

وقال الثعلبي: ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من
 ربيع الآخر.

وقال الزهري: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية
 نزلت في شوال.

وقال مقاتل: نزلت في ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبني مدلج، وبني
 خزيمه، كان سيدنا رسول الله ﷺ عاهدهم بالحديبية لستين، فجعل الله أجلهم
 أربعة أشهر ولم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية أحداً من الناس.

وقال النحاس: قول من قال لم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية غير صحيح،
 والصحيح أنه قد عاهد بعد هذه الآية جماعة منهم أهل نجران.

قال الواقدي: عاهدهم وكتب لهم سنة عشر قبل وفاته بيسير. ذكره العيني.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿أذان﴾ إعلام]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «من الله وهو مصدر واسم من قوطهم: آذنتهم أي
 أعلمتهم، يقال أيضاً «أذنين، وإذن» اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم

الحج الأكبر ﴿﴾.

٢ - [وقال ابن عباس ﴿أذن﴾ يُصدق].

ش: قلت أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ ويقولون هو أذن ﴿يسمع من كل أحد.

وأخرج من هذا الوجه عن ابن عباس في معنى قوله ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ يعني يؤمن بالله ويصدق المؤمنين، فظهر بهذا أن "يصدق" تفسير ليؤمن وليس لأذن كما يفهم من صنيع المصنف رحمه الله حيث اختصره.

والآية المشار إليها: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴿.

٣ - [﴿تطهرهم وتركيهم بها﴾ ونحوها كثير، والزكاة الطاعة والإخلاص].

ش: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتركيهم بها﴾ يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

والآية المشار إليها: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتركيهم بها﴾.

٤ - [﴿لا يؤتون الزكاة﴾ لا يشهدون أن لا إله إلا الله].

ش: قلت: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة فصلت ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾. وقد ذكر تفسيرها هنا استشهاداً لما قبله.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله.

٥ - [﴿يضاهنون﴾ يشبهون].

ش: أخرج ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله.

وقال أبو عبيدة: «ومجاز المضاهات مجاز التشبيه» اهـ.
 والآية المشار إليها: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح
 ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾.
 ١٧٤- حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء
 ؓ يقول آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله﴾ وآخر
 سورة نزلت براءة.

ش: وفي المغازي من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق بلفظ «آخر سورة
 نزلت كاملة براءة وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك قل الله
 يفتيكم في الكلاله» وقد مضى شرح الحديث في الباب السابع بعد المائة.

١٥٠- [باب قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين﴾].

ش: قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ هذا أمر منه سبحانه بالسياحة بعد الإخبار بتلك البراءة، والسياحة: السير يقال ساح فلان في الأرض يسبح سياحة وسيوحاً وسيحاناً، ومنه سباح الماء في الأرض وسبح الخيل، ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسبح

ومعنى الآية أن الله سبحانه بعد أن أذن بالنبد إلى المشركين بعهدهم أباح للمشركين الضرب في الأرض والذهاب إلى حيث يريدون والاستعداد للحرب هذه الأربعة الأشهر، وليس المراد من الأمر بالسياحة تكليفهم بها.

قال محمد بن إسحاق وغيره: إن المشركين صنفان:

- صنف كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر فأمهل تمام أربعة أشهر.

- والآخر كانت أكثر من ذلك فقصر على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، وهو

حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث يوجد، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوماً، عشرون من ذي الحجة وشهر محرم.

وقال الكلبي: «إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ

عهد دون أربعة أشهر ومن كان عهده أكثر من ذلك فهو الذي أمر الله أن يتم له عهده بقوله ﴿فأتقوا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ ورجح هذا ابن جرير وغيره إلى أن قال في قوله ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾: أي اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز، ولكن لمصلحة ليتوب من تاب، وفي ذلك ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من إعداد الآلات والأدوات، فإنكم

لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم ومهينكم في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب، وفي وضع الظاهر موضع المضمرة إشارة إلى أن سبب هذا الإخزاء هو الكفر، ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولاً أولياً» ذكره الشوكاني.

قوله: [سيحوا: سيروا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأقبلوا وأدبروا، والعرب تفعل هذا قال عنزة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة محرم» اهـ

١٧٥- حدثنا سعيد بن عفير^(١) قال: حدثني الليث قال حدثني

عقيل^(٢) عن ابن شهاب وأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: يأتي في الباب الذي بعده.

(١) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري مولاهم المصري وقد ينسب إلى جده صدوق عالم بالأنساب وغيرها من العاشرة مات سنة ست وعشرين [ومتين]، خ م قد س.

(٢) عقيل - بالضم - ابن خالد بن عقيل بالفتح الإيلسي أبو خالد الأموي، مولاهم، ثقة ثبت، سكن المدينة ثم الشام ثم مصر من السادسة مات سنة أربع وأربعين [ومائة] على الصحيح ع.

١٥١- [باب ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾].

ش: قال ابن كثير: «يقول تعالى وإعلام من الله ورسوله وتقدم وإنذار إلى الناس ﴿يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأطهرها وأكبرها جميعاً ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ أي بريء منهم أيضاً، ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال ﴿فإن تبتم﴾ أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿فهو خير لكم وإن توليتم﴾ أي استمررتم على ما أنتم عليه ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيتته ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ أي في الدنيا بالخزي والنكال وفي الآخرة بالمقامع والأغلال.

من فقه الآية

أولاً: عظيم قدرة الله وعظيم سلطانه.

ثانياً: سعة رحمة الله بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة قبل إنذارهم.

ثالثاً: قبول توبة المشرك.

[آذنتهم: أعلمهم].

ش: قال أبو عبيدة: «بجازه، وعلم من الله وهو مصدر واسم من قولهم،

آذنتهم أي أعلمتهم يقال أيضاً: «اذين وإذن» اهـ.

١٧٦- حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا عقيل قال ابن

شهاب فأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال بعثني أبو بكر ﷺ في

تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام

مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي

طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم

النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة» وفي رواية يونس عن ابن شهاب عن حميد «أن أبا بكر - رضي الله عنه - بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع»

قلت: وكانت تلك الحجة سنة تسع.

الثانية: قوله «في المؤذنين، بعثهم يوم النحر» في رواية ابن أخي الزهري عن عمه في باب ما يستز من العورة في كتاب الصلاة «في مؤذنين يوم النحر» أي في جماعة مؤذنين.

الثالثة: قوله «يؤذنون بمنى» أي ينادون في الناس ويعلمونهم بما أمر الله به من إعلامهم بالآيات من سورة براءة ومن ذلك «أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»

وروى ابن اسحاق من طريق حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: «لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، على ناقة رسول الله ﷺ العضاء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا».

قلت: فالجمع بين هذين الخبرين أن المبلغ بسورة براءة هو علي رضي الله

عنه وأن أبا هريرة ومن معه بعثهم أبو بكر بوصفه أميراً على الحج معاونين لعليّ في التبليغ.

الرابعة: قوله «قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة» قلت: هذا مرسل لأن حميد رحمه الله تابعي ولم يصرح بسماعه لكن ثبت بعث الرسول ﷺ علياً في تلك الحجة للناس بسورة براءة، من عدة طرق.

قال الطبري: «حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد قال: ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال: ثنا محرز بن أبي هريرة عن أبي هريرة ؓ قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ ينادي فكان إذا صحل صوته ناديت» وقال ابن جرير أيضاً: «حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا عفان قال: ثنا قيس بن الربيع قال: ثنا الشيباني عن الشعبي قال: أخبرنا المحرز بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه» فذكر نحوه.

قال مقبده: وينضاف إلى هذين الطريقتين رواية ابن إسحاق المتقدمة في المسألة الثالثة.

الخامسة: قوله «فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر براءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» فيه دليل على أن المراد بيوم الحج الأكبر في الآية هو يوم النحر خلافاً لمن فسره بيوم عرفة.

١٥٢- [باب ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾].

ش: تمامها ﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾. هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق، ليس بموقت، فأجله أربعة أشهر، يسيح في الأرض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها... ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهدته إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر على المسلمين أحداً أي يماليء عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده إلى مدته، ولهذا حرص تعالى على الوفاء بذلك فقال ﴿إن الله يحب المتقين﴾ أي الموفين بعهدهم. اهـ من ابن كثير بتصرف.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب الوفاء لذي العهد من المشركين بعهده، وإن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر.

ثانياً: لا وفاء لمن نقض عهده من المشركين أو ظاهر على المسلمين.

ثالثاً: إنَّ الوفاء بالعهد من أعمال المتقين التي يجيها الله.

١٧٧- حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي^(١) عن

صالح، عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أبا هريرة أخبره أن أبا بكر ﷺ بعثه في الحجة التي أمره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس، أن لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فكان حميد يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة.

(١) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني، نزيل بغداد، ثقة فاضل، من صغار التاسعة مات سنة ثمان ومائتين ع.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «(في رهط)»

قلت: فيه دليل على أن المؤذنين كانوا ذوي عدد وقد سبق من رواية ابن أخي الزهري عن عمه «(في مؤذنين يوم النحر)» ولم أقف على تسمية أولئك، والرهط: هم عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وأرهاط جمع الجمع. قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «(فكان حميد يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث

أبي هريرة)»

قلت: وبه قال عليّ وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله بن شدّاد ونافع بن حبيب وإبراهيم النخعي والشعبي ومحمد بن عليّ والمغيرة بن شعبة وابن عمر وهو قول ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما، ويرجحهما أمران:

أحدهما: أنه قول الأكثرين من أهل العلم كما يظهر ذلك من حكاية ابن

جرير.

وثانيهما: مناداة عليّ وأبي هريرة في الناس بسورة براءة يوم النحر وقد

مضى الحديث في البابين قبل هذا، وغرض المصنف من إيراده لبيان أنّ هذه الآية مما أمر عليّ بإعلام الناس به في الموسم.

١٥٣- [باب ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم﴾]

ش: قلت الآية ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون﴾.

«يقول تعالى «وإن نكث» هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهدهم وموآثيقهم، ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي عابوه وانتقصوه، ومن هنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص ولهذا قال ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون﴾ أي يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال». قاله ابن كثير.

من فقه الآية

أولاً: الحذر من تنقص دين الإسلام أو الطعن فيه أو السخرية به وأن ذلك كفر وردة.

ثانياً: وجوب الموالاة في الله والمعادة فيه.

١٧٨- حدثنا محمد بن المنثري حدثنا يحيى حدثنا اسماعيل حدثنا زيد ابن وهب^(١) قال: ((كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا ويسرقون أعلافنا؟ قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده)).

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

(١) زيد بن وهب هو أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي مخضرم ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل، مات بعد الثمانين وقيل سنة ست وتسعين ع.

الأولى: قوله «ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة».

هكذا وقع مبهماً ووقع عند الإسماعيلي من رواية ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد بلفظ «ما بقي من المنافقين من أهل هذه الآية ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية إلا أربعة نفر، إنّ أحدهم لشيخ كبير». قال الإسماعيلي: «إن كانت الآية ما ذكر في خبر ابن عيينة فحق هذا الحديث أن يخرج في سورة الممتحنة» انتهى.

وقد وافق البخاري على إخراجها عند آية براءة النسائي وابن مردويه. فأخرجاه من طرق عن إسماعيل وليس عند أحد منهم تعيين الآية، وانفرد ابن عيينة بتعيينها، إلا أنّ عند الإسماعيلي من رواية خالد الطحان عن إسماعيل في آخر الحديث «قال إسماعيل: يعني الذين كاتبوا المشركين» وهذا يقوي رواية ابن عيينة» قاله الحافظ.

الثانية: قوله «إلا ثلاثة».

سمى ابن جرير عند تفسير الآية، منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد، أبا سفيان بن حرب. وفي رواية معمر عن قتادة، أبا جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وأبا سفيان، وسهيل بن عمرو.

قلت: وهذا غريب، لأنّ أبا جهل، وعتبة قتلا بيدر، وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي، فيصح في أبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وقد أسلما جميعاً، فنجاهما الله من الكفر، وبقي عموم الآية فيمن غلبت عليه الشقوة واستحب العمى على الهدى.

الثالثة: قوله: «ولا من المنافقين إلا أربعة» لم نقف لهم على تسمية.

الرابعة: قوله «فقال أعرابي» لم أجد له تسمية.

الخامسة: قوله «إنكم أصحاب محمد ﷺ» ينصب أصحاب على النداء مع

حذف الأداة وهو بدل من الضمير في أنكم، أو بفعل محذوف تقديره أعني والأصحاب جمع صاحب وهو في اللغة المعاصر وفي الإصطلاح: كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

السادسة: «تخبروننا فلا ندرى» كذا وقع والمعنى تخبروننا بأشياء لا نعرف معناها.

السابعة: قوله «فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا» بموحدة ثم قاف أي يثقبون

قال الخطابي: «وأكثر ما يكون النقر في الخشب والصخور يعني بالنون».

الثامنة: قوله «أغلقنا» بالعين المهملة والقاف أي نفائس أموالنا.

قال الحافظ: «وقال ابن التين: «وجدته في بعض الروايات مضبوطاً بالعين المعجمة ولا وجه له» انتهى ووجد في نسخة الديماطي بخطه بالعين المعجمة أيضاً ذكره شيخنا ابن الملقن. ويمكن توجيهه بأن الأغلاق جمع غلق بفتححتين وهو الباب الذي يغلق على البيت ويفتح بالفتاح، ويطلق الغلق على الحديدية التي تجعل في الباب ويعمل فيها القفل فيكون قوله «ويسرقوا أغلقنا» إما على الحقيقة، فإنه إذا تمكن من سرقة الغلق توصل إلى فتح الباب، أوفيه مجاز الحذف، أي يسرقون ما في أغلقنا». حكاه في الفتح.

التاسعة: قوله «أولئك الفساق أجل» أي الذين يقرون ويسرقون لا الكفار ولا المنافقون وفي هذا تصريح بأنهم مسلمون وذلك لما تقرر عند أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من عدم تكفير صاحب الكبيرة ما لم يستحلها خلافاً للخوارج.

العاشر: قوله «أحداهم شيخ كبير» لم أقف على اسمه.

الحادية عشرة: قوله «لو شرب الماء البارد لما وجد برده» أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطعوم وهذا هو منتهى الحرف

وسوء الحال.

تنبيه:

أخرج ابن جرير من طريق حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال: كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وأخرج عن الأعمش عن زيد بن وهب نحوه.

قال مقيده: ومراد حذيفة رضي الله عنه بقوله «ما قوتل أهل هذه الآية بعد» أن قتلهم لم يقع لعدم وقوع الشرط وهو المعنى بقوله ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر﴾ فلما لم يقع منهم نكث للأيمان ولا طعن في الدين لم يقاتلوا وهذا دليل على أن الإسلام يجب ما قبله من الذنوب وإن كان أصحابها أئمة في الكفر.

١٥٤- [باب قوله ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾].

ش: قلت الآية ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صلغوا الله ورسوله، وأقروا بوحدانية ربهم، إن كثيراً من العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يقول: يأخذون الرشاً في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً، ثم يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ يقول: ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه إلى أن قال: يقول تعالى ذكره ﴿إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ ويأكلها أيضاً معهم ﴿الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ يقول: بشر الكثير من الأحرار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذاب أليم لهم يوم القيامة، موجه من الله.

من فقه الآية:

أولاً: التحذير من مسلك الأحرار والرهبان في أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله.

ثانياً: تحريم إكتناز الذهب والفضة منعاً من الإنفاق في سبيل الله

١٧٩- حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب^(١) حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن الأعرج حدثه أنه قال: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع.

١٨٠- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالبزدة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال كتب بالشام فقرأت «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» قال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قال قلت: إنها لفينا وفيهم.

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع» مضي مطولاً في تفسير سورة آل عمران برقم ستة وثمانين واستوفينا الكلام عليه هناك شرحاً. ونرى من المناسب هاهنا إتماماً للمقصود من الترجمة ذكر مذاهب أهل العلم في هذا الكنز الذي توعد الله عليه وهي ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وهو قول ابن عمر وعكرمة والسدي والشعبي.

الثاني: أنه كل مال زاد على أربعة آلاف درهم أدبت زكاته أم لم تؤد وهذا هو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الثالث: أنه كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وهو قول أبي ذر حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير واختار الأول، ويدل على صوابه

(١) شعيب هو أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم، واسم أبيه دينار الحمصي ثقة عابد من أثبت الناس في الزهري، من السابعة مات سنة إثنين وستين [ومائة] أو بعدها ع.

ورجحانه قوله ﷺ في الطرف المتقدم من حديث أبي هريرة هذا «من آتاه الله مالاً فلم يود زكاته مثل له ماله شجاع أقرع ... إلى أن قال ثم تلا هذه الآية» الحديث.

الثانية : قوله : «مررت على أبي ذر بالربذة» أخرجه المصنف في باب ما أدي زكاته فليس بكنز من كتاب الزكاة مطولاً ولفظه عن زيد بن وهب قال: «مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ﷺ فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ ...» الحديث . وفيه قال «فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروا قبلي ذلك فذكرت ذلك لعثمان ، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل». فبان بهذا النقل سبب اختيار أبي ذر - رضي الله عنه - الربذة.

الثالثة : قوله «بالربذة» بفتح الراء والموحدة والمعجمة مكان معروف بين مكة والمدينة وقال في المعجم «والربذة من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق علي طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة».

الرابعة: قوله «ما أنزلك بهذه الأرض» يعني أي شيء حملك على ترك المدن وأجأك إلى النزول في هذه القرية النائية بعيداً عن الناس.

الخامسة : قوله «كننا بالشام» يعني بدمشق وكان معاوية ﷺ إذ ذاك عامل أمير المؤمنين عثمان ﷺ عليها، وقد بين السبب في سكناه الشام ما أخرجه أبو يعلى من طريق أخرى عن زيد بن وهب حدثني أبو ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: إذا بلغ البناء - أي بالمدينة - سلعاً فارتحل إلى الشام فلما بلغ البناء سلعاً قدمت الشام فسكنت بها.

السادسة: قوله «فقرات والذين يكتزون الذهب والفضة إلى قوله إن شئت تنحيت» هذا بيان سبب إختياره ﷺ الإنعزال عن الناس بالربذة وفيه رد على من كان يشنع على عثمان وأنه نفى أبا ذر من المدينة.

السابعة: قوله «قال معاوية ما هذه فينا» يعني آية براءة ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾ ومستنده ﷺ قوله تعالى في أول الآية ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأتجار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾.

الثامنة: قوله «قلت إنها لفينا وفيهم» قلت وهذا فهم صحيح واستدلال سديد لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولفظ الآية عام في التحذير من اكتناز الذهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله.

من فقه هذا الخبر:

أولاً: أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لإتفاق أبي ذر ومعاوية أن الآية نزلت في أهل الكتاب.

ثانياً: أن ما ذم الله عليه أهل الكتاب ذم لهذه الأمة إذا سلكوا مسلكهم.

ثالثاً: ملاطفة الأئمة للعلماء فإن معاوية لم يجسر على الإنكار على أبي ذر حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره. وعثمان لم يحنق على أبي ذر مع كونه كان مخالفاً له في تأويله.

رابعاً: التحذير من الشقاق والخروج على الأئمة.

خامساً: الترغيب في الطاعة لأولي الأمر.

سادساً: جواز الخلاف في المسائل الإجتهدية.

سابعاً: تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لأن في بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة ولم يأمره بعد ذلك بالرجوع عنه لأن كلاً منهما كان مجتهداً. انتهى من الفتح باختصار وتصرف

١٥٥- باب قوله ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
 وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتنون﴾
 ش: «أي يقال لهم هذا الكلام تبيكيتاً وتقريباً وتهكماً كما في قوله ﴿ثم
 صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ أي هذا
 بذاك وهذا الذي كنتم تكتنون لأنفسكم، ولهذا يقال من أحب شيئاً وقدمه على
 طاعة الله عذب به وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله
 عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهراً في عداوة رسول الله ﷺ
 وامراته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضاً في جديها أي
 عنقها حبل من مسد أي تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ
 في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأموال
 على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيحمر عليها في نار
 جهنم وناهيك بجرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» انتهى محل الغرض
 من تفسير ابن كثير رحمه الله.

١٨١- وقال أحمد بن شبيب بن سعيد^(١) حدثنا أبي^(٢) عن يونس عن ابن
 شهاب عن خالد بن أسلم^(٣) قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل
 أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.

(١) أحمد هو أبو عبد الله أحمد بن شبيب بن سعيد الحَبْطِي البصري صدوق من العاشرة
 مات سنة تسع وعشرين [ومائتين] خ خد س.

(٢) هو أبو سعيد شبيب بن سعيد التميمي الحَبْطِي البصري لا بأس بحديثه من رواية ابنه
 أحمد عنه لا من رواية ابن وهب، من صغار الثامنة مات سنة ست وثمانين [ومائة] خ
 خد س.

(٣) خالد بن أسلم القرشي العروبي أخو زيد بن أسلم مولى عمر، صدوق من الخامسة. خ
 خد ق.

ش: قوله «وقال أحمد بن شبيب» كذا للأكثر وفي رواية أبي ذر حدثنا أحمد وقد وصله أبو داود في كتاب النسخ والمنسوخ عن محمد بن يحيى وهو الذهلي عن أحمد بن شبيب بإسناده، ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه اتم مما في البخاري وزاد فيه سؤال الأعرابي أترث العممة؟ قال ابن عمر: لا أدري فلما أدبر قبل ابن عمر يده ثم قال: نعم ما قال أبو عبد الرحمن - يعني نفسه - سئل عما لا يدري فقال: لا أدري، وزاد في آخره بعد قوله طهرة للأموال ثم التفت إليّ فقال: ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أزيه وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وهو عند ابن ماجه من طريق عقيل عن الزهري. قاله الحافظ.

قلت وفي الحديث ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «هذا قبل أن تنزل الزكاة» يعني أنّ الوعيد على الإكتناز في الآية وهو حبس ما فضل على الحاجة عن المواساة به، كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بفرض الزكاة.

الثانية: قوله «فلما أنزلت» يعني فرضية الزكاة.

الثالثة: قوله «جعلها الله طهراً للأموال» يعني فيكتفى بها فلا يجب سواها

من الصدقات.

١٥٦- [باب قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ

اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾].

ش: تمامها: ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا

يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ

شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى

﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ يقول هذه الشُّهُورُ الإثنا

عشر، منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهنّ وتحرمهنّ، وتحرم القتال

فيهنّ، حتى لو لقي الرجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يهيجه وهنّ: رجب مضر

وثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والحرم وبذلك تضاهرت الأخبار عن

رسول الله ﷺ... إلى أن قال: وأما قوله ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ فإنّ معناه: هذا

الذي أخبرتكم به من أنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ،

وأنّ منها أربعة حرماً، هو الدِّينُ المستقيم، إلى أن قال وأما قوله ﴿فَلَا تَظْلَمُوا

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ فإنّ معناه: فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهنّ ما حرم الله

عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه.

وقوله ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ فإنّه يقول جل

ثناؤه: وقاتلوا المشركين بآلة الله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين مؤتلفين غير

متفرقين، كما يقاتلكم المشركون جميعاً، مجتمعين غير متفرقين.

وقوله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فإنّ معناه: واعلموا أيها المؤمنون بالله

أنكم إن قاتلتم المشركين كافة، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم، ولم

تحالفوا أمره فتعصوه، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين، ومن

كان الله معه لم يغلبه شيء، لأنّ الله مع من اتقاه فخافه واطاعه فيما كلفه من

أمره ونهيه».

من فقه الآية:

أولاً: النص الصريح على أنّ عدة أشهر العام مقررة في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ.

ثانياً: تعظيم الأربعة الأشهر الحرم.

ثالثاً: الأمر باجتماع الكلمة في مواجهة المشركين وقتالهم.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله جل وعلا.

[القيم هو القائم]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي المستقيم خرج مخرج سيد وهو من ساد يسود بمنزلة قام يقوم.

١٨٢- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب^(١) حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن ابن أبي بكرة^(٢) عن أبي بكرة^(٣) عن النبي ﷺ قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «إن الزمان» الزمان والزمن اسم للوقت قليلاً كالساعة أو

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب الحنفي البصري، ثقة من العاشرة مات سنة ثمان وعشرين [ومائتين] وقيل سنة سبع. خ. س.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة: نفع بن الحارث الثقفي البصري ثقة من الثانية، مات سنة ست وتسعين ع.

(٣) هو نفع بن الحارث بن كلدة ابن عمرو الثقفي صحابي مشهور بكنيته وقيل اسمه مسروح، أسلم بالطائف ثم نزل البصرة، ومات بها سنة إحدى أو إثنين وخمسين (ع).

كثيراً كالسنة ويطلق على ما هو أعم من ذلك كقول الصحابي «كنا في زمن رسول الله ﷺ نفعل كذا كذا».

الثانية: قوله «استدار» أي عاد ورجع.

الثالثة: قوله «كهيئته» الهيئة الحالة والكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف تقديره استدارة والمعنى إن الزمان قد استدار استدارة إلى حالته التي كان عليها يوم خلق الله السموات والأرض.

الرابعة: قوله «السنة اثنا عشر شهراً» أي السنة العربية الهلالية وقد اتفق المسلمون في عهد عمر على أن يكون أول السنة شهر محرم وآخرها ذو الحجة وهذه الجملة أعني قوله «السنة اثنا عشر شهراً» بيان لقوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾.

وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قال: حدثنا ابن وكيع ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون المحرم صفرًا، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قلت فالحديث والآية إبطال لما كان يزعمه القوم في الجاهلية.

الخامسة: قوله «أربعة حرم» يعني محترمة ويحرم فيها القتال.

السادسة: قوله «ثلاث متواليات» يعني متتابعات وهو شروع في تفسير للأربعة الحرم، وفيه إشارة إلى إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم فقبل كانوا يجعلون المحرم صفرًا ويجعلون صفرًا المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال فلذلك قال «متواليات» وكانوا في الجاهلية على أنحاء منهم من يسمي المحرم صفرًا فيحل فيه القتال، ويحرم القتال في صفر ويسميه الحرم ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وستين هكذا، ومنهم من يؤخر صفرًا إلى ربيع الأول

وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة، ثم يعود فيعيد العدد على الأصل.

السابعة: قوله «ذو القعدة وذو الحجة والمحرم» بيان للثلاثة المتواليات.

الثامنة: قوله «ورجب مضر» أضافه إليهم لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل رجب وشعبان ما ذكر في المحرم وصفه فيحلون رجباً ويحرمون شعبان، ووصفه بقوله بين جمادى وشعبان تأكيداً، وكان أهل الجاهلية قد نسئوا بعض الأشهر الحرم أي أخروها، فيحلون شهراً حراماً ويحرمون مكانه آخر بدله حتى رفض تخصيص الأربعة بالتحريم أحياناً ووقع تحريم الأربعة مطلقاً من السنة وهذا التلاعب بالأشهر الحرم وتحريفها قد ذم الله عليه بقوله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

١٥٧- [باب قوله: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾].

ش: قلت الآية ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل سكينة عليه وأيده بمجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾.

هذا إعلام من الله أصحاب رسول الله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد في قلة والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد بكثرة والعدو في قلة.

وقوله ﴿إذ هما في الغار﴾ يقول إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار، والغار الثقب العظيم يكون في الجبل ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ يقول إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر لا تحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأن الله معنا، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده.

وقوله ﴿فأنزل الله سكينة عليه﴾ أي تأيده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تنزل معه سكينة وهذا لا ينافي في تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال ﴿وأيده بمجنود لم تروها﴾ أي الملائكة ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله.

وقوله ﴿والله عزيز﴾ أي في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب لا يضام من لاذ بيباه واحتمى بالتمسك بخطابه ﴿حكيم﴾ في أقواله وأفعاله.

من فقه الآية:

أولاً: إمتنان الله على أهل الإسلام بتنجية رسوله من المشركين.

ثانياً: في تنجية الله رسوله من أهل الشرك مع كثرتهم دليل على أنه لا يجوز الإغترار بالكثرة ولا الزهد في القلة.

ثالثاً: فضيلة أبي بكر رضي الله عنه إذ نوه الله عنه ها هنا باسم الصحبة وفي هذا إشارة إلى إمامته للأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله وهي ها هنا معية خاصة.

خامساً: في تنجية الله نبيه وصاحبه وهما في قلة حفظ لدين الله وإعزاز له.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [«إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» أَي نَاصِرُنَا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحافظنا.

٢ - [«السَّكِينَةَ» فَعِيلَةٌ مِنَ السَّكُونِ].

ش: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ

وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الآية. وزاد قال غريف الكليني:

لقد أجن سكينه ووقارا لله قبر غالها ماذا يجن

١٨٣- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حيان^(١) حدثنا همام^(٢) حدثنا

(١) هو أبو حبيب حيان بن هلال البصري ثقة ثبت من التاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين ع.

(٢) هو أبو عبد الله همام بن يحيى بن دينار العوزي البصري ثقة ربما وهم من السابعة مات سنة أربع - أو خمس - وستين ومائة. ع.

ثابت حدثنا أنس قال حدثني أبو بكر^(١) رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله في الغار فرأيت آثار المشركين قلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

١٨٤- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير. قلت: أبوه الزبير وأمه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية فقلت لسفيان: إسناده؟ فقال: حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج.

١٨٥- حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني يحيى بن معين حدثنا حجاج قال ابن جريج قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلت أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين وإني والله لا أحله أبداً قال: قال الناس بايع لابن الزبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه أما أبوه فحواري النبي صلى الله عليه وآله يريد الزبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النطاق يريد أسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وآله يريد خديجة وأما عمه النبي صلى الله عليه وآله فجده يريد صفية ثم عفيف في الإسلام قارىء للقرآن والله إن وصلوني وصلوني من قريب وإن ربوني ربني أكفاء كرام فآثر التويتات والأسامات والحميدات يريد أبطناً من بني أسد بني تويت وبني أسامة وبني أسد إن ابن أبي العاص برز يمشي القدمية يعني عبد الملك بن مروان وإنه لوى ذنبه يعني ابن الزبير.

(١) هو الصديق الأكبر عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي بن أبي قحافة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة ع.

١٨٦- حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون^(١) حدثنا عيسى بن يونس عن عمر^(٢) بن سعيد قال أخبرني ابن أبي مليكة دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقلت: لأحاسن نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر ولهما كانا أولى بكل خير منه وقلت: ابن عمه النبي ﷺ وابن الزبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أخت عائشة فإذا هو يتعلني عني ولا يريد ذلك فقلت: ما كنت أظن أنني أعرض هذا من نفسي فيدعه وما أراه يريد خيراً وإن كان لا بد لأنه يرثني بنو عمي أحب إلي من أن يرثني غيرهم.

ش: فيها ست وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله «كنت مع النبي ﷺ في الغار» قلت المراد بالغار هو غار ثور كما ذكره ابن إسحاق وغيره من المؤرخين.

الثانية: قوله «فرأيت آثار المشركين» قلت الآثار جمع أثر وهو موطيء أقدام القوم في الأرض وفي رواية موسى بن إسماعيل في الهجرة باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم».

الثالثة: قوله «قلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا» وقع في المناقب برواية محمد بن سنان «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نضر تحت قدميه لأبصرنا» وفيه مجيء "لو" الشرطية للإستقبال خلافاً للأكثر واستدل من حوزة عمجيء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى ﴿لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم على الغار وعلى القول الآخر

(١) محمد بن عبيد بن ميمون المدني الثبان التيمي مولا هم صدوق يخطيء من العاشرة خ.ق.

(٢) عمر بن سعيد بن أبي حسين النوفلي المكي ثقة من السادسة. خ.م.مدت.س.ق.

يكون قاله بعد مضيهم شكراً لله تعالى على صيانتهم منهم.

الرابعة: قوله «قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما» في المناقب «فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» وفي رواية موسى «فقال أسكت يا أبا بكر إثنان الله ثالثهما» والمعنى أن رسول الله ﷺ يعزي رفيقه وصاحبه أبا بكر ويهون عليه أمر القوم ويطمأنه بأن الله حافظهما من مكر الماكرين وكيد الكائدين وفيه البشارة بأن الله متمّ لنبيه ﷺ ما أراد من الهجرة.

الخامسة: قوله «أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير» أي بسبب البيعة وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام وقام ابن الزبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنة أربع وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار ابن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزبير، وكان محمد بن عليّ ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على خليفة، وتبعهما جماعة على ذلك، فشدد عليهم ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهرز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنهما في قتال ابن الزبير فامتنعا، وخرجوا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده

إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح. وعند الواقدي أنه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين.
 السادسة: قوله «أبوه الزبير» هو الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة تقدمت ترجمته.

السابعة: قوله «وأمه أسماء» هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين التيمية ماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.
 الثامنة: «وجدته صفية» يعني بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله ﷺ وهي أم الزبير بن العوام.

التاسعة: وقوله في الرواية الثانية «وأما عمته فزوج النبي ﷺ» يعني خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ الأولى وهي عمه الزبير أبي عبد الله فأطلق عليها عمته لأنها عمه أبيه وهذا جائز شرعاً وعرفاً.

العاشرة: قوله «ابن أبي بكر» أطلق عليه ذلك لأنه ابن بنته وقد قال ﷺ مثل ذلك في الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو ابن فاطمة بنت محمد «إنّ ابني هذا سيد...». الحديث.

الحادية عشرة: قوله «فقلت لسفيان إسناده» بالنصب أي أذكر إسناده، أو بالرفع أي ما إسناده.

الثانية عشرة: قوله «فقال حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج» ظاهر هذا أنه صرح له بالتحديث لكن لما لم يقل ابن جريج احتتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة، واحتتمل عدم الواسطة، ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن ابن جريج، ثم من وجه آخر عن شيخه. قاله الحافظ.

الثالثة عشرة: قوله «قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء» كذا أعاد الضمير بالثنية على غير مذكور اختصاراً ومراده ابن عباس وابن الزبير، وهو

صريح الرواية الأولى كما ترى حيث قال: قال ابن عباس حين وقع بينه وبين ابن الزبير.

الرابعة عشرة: قوله «فتحل ما حرم الله» أي من القتال في الحرم.
الخامسة عشرة: قوله «كتب» أي قدر.

السادسة عشرة: قوله «محلين» أي أنهم كانوا يبيحون القتال في الحرم وإنما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدؤوه بالقتال وحصروه وإنما بدأه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد أن ردهم الله عنه حصر بني هاشم لبياعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض الناس يسمي ابن الزبير "المحل" لذلك.

السابعة عشرة: وقوله «لا أحله أبداً» أي لا أبيع القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

الثامنة عشرة: قوله «قال قال الناس بايع» القائل هو ابن عباس وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالناس من كان من جهة ابن الزبير.

التاسعة عشرة: وقوله «وأين بهذا الأمر» أي الخلافة أي ليست بعيدة عنه لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكروهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله عفيف في الإسلام قارىء للقرآن، وفي رواية ابن قتيبة من طريق محمد بن الحكم عن عوانة ومن طريق يحيى بن سعد عن الأعمش قال «قال ابن عباس لما قيل له بايع لابن الزبير: أين المذهب عن ابن الزبير» قلت وفي هذا دليل على أن ابن عباس يرى استحقات ابن الزبير للخلافة.

العشرون: قوله «والله إن وصلوني وصلوني من قريب» أي بسبب القرابة.

الحادية والعشرون: قوله «وان ربوني» بفتح الراء وضم الموحدة الثقيلة من الترية وفي رواية الكشميهني ربي بالإفراد.

الثانية والعشرون: وقوله «أكفاء» أي أمثال واحدا كفاء.

الثالثة والعشرون: وقوله «كرام» أي في أحسابهم، وظاهر هذا أن مراد ابن عباس لما حضرته الوفاة بالطائف جمع بنيه فقال. يا بني إن ابن الزبير لما خرج بمكة شددت أزره ودعوت الناس إلى بيعته وتركت بني عمنا من بني أمية الذين إن قبلونا قبلونا أكفاء، وإن ربونا ربونا كراماً فلما أصاب ما أصاب جفاني. ويؤيد هذا ما في آخر الرواية الثالثة حيث قال «وإن كان لا بد لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم» فإن بني عمه هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لأنهم من بني عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فعبد المطلب جد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم أمية جد مروان بن الحكم بن أبي العاص، وكان هاشم وعبد شمس شقيقين قال الشاعر:

عبد شمس كان يتلو هاشماً وهما بعد لأم ولأب

الرابعة والعشرون: قوله «فأثر علي» بصيغة الفعل الماضي من الأثرة أي التفضيل قال الحافظ: ووقع في رواية الكشميهني «فأين» بتحتانية ساكنة ثم نون وهو تصحيف، وفي رواية ابن قتيبة المذكورة «فشددت على عضده فأثر علي فلم أرض بالهوان».

الخامسة والعشرون: قوله «التويتات والأسامات والحميدات يُريد أبطناً من بني أسد» أما التويتات فنسبة إلى بني تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث بن عبد العزي بن قصي، وأما الأسامات فنسبة إلى بني أسامة بن أسد بن عبد العزي، وأما الحميدات فنسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي، قال الحافظ قال الأزرق: كان ابن الزبير إذا دعا الناس في الإذن بدأ ببني أسد على بني هاشم وبني عبد شمس وغيرهم، فهذا قول ابن عباس «فأثر علي التويتات الخ» إلى أن قال وجمع ابن عباس البطون المذكورة جمع القلة تحقيراً لها.

السادسة والعشرون: قوله «يُريد أبطناً من بني أسد بن تويت» كذا وقع

وصوابه يريد أبطناً من بني تويت بن أسد الخ نبه على ذلك عياض. قلت: وكذا وقع في مستخرج أبي نعيم على الصواب، وفي رواية أبي مخنف المذكورة أفحاداً صغاراً من بني أسد بن عبد العزي، وهذا صوابه. اهـ من الفتح.

السابعة والعشرون: قوله «أن ابن أبي العاص» يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

الثامنة والعشرون: قوله «برز» أي ظهر أمره وعلا شأنه يعني بالغبلة على أكثر الأقطار.

التاسعة والعشرون: قوله «يمشي القدمية» بضم القاف وفتح الدال وقد تضم أيضاً وقد تسكن وكسر الميم وتشديد التحتانية، قال الخطابي وغيره: معناه التبحر وهو مثلٌ يريد أنه برز يطلب معالي الأمور. قال ابن الأثير: الذي في البخاري «القدمية» وهي التقديمية في الشرف، وقيل التقدم بالهمة والفعل.

الثلاثون: قوله «وأنه لوى ذنبه» يعني ابن الزبير لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالي الأمور. قال الحافظ: وكان الأمر كما قال ابن عباس، فإن عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالى.

الحادية والثلاثون: وقوله «لأحاسن نفسي» أي لأناقشناها في معونته ونصحها، قاله الخطابي. وقال الداودي: معناه لأذكرن من مناقبه ما لم أذكر من مناقبهما، وإنما صنع ابن عباس ذلك لأشتراك الناس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر، بخلاف ابن الزبير فما كانت مناقبه في الشهرة كمناقبهما فأظهر ذلك ابن عباس وبينه للناس إنصافاً منه له.

الثانية والثلاثون: قوله «فإذا هو يتعلّى عني» أي يرتفع علي متنجياً عني.

الثالثة والثلاثون: قوله «ولا يريد ذلك» أي لا يريد أن أكون من خاصته.

الرابعة والثلاثون: قوله «ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي» أي

أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك.

الخامسة والثلاثون: وقوله «وما أراه يريد خيراً» أي لا يريد أن يصنع بي

خيراً، قال الحافظ وفي رواية الكشميهني «وإنما أراه يريد خيراً» وهو تصحيف.

السادسة والثلاثون: وقوله «لأن يربني» أي يكون عليّ رباً أي أميراً، أو

ربه بمعنى رباه وقام بأمره وملك تدبيره، قال التيمي: معناه لأن أكون في طاعة

بني أمية أحب إلي من أن أكون في طاعة بني أسد، لأن بني أمية أقرب إلى بني

هاشم من بني أسد.

١٥٨- [باب ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾].

ش: قلت الآية ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾.

لما ذكر الله تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولزمهم إياه في قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل ذلك إلى أحدٍ غيره فجزأه لهؤلاء المذكورين. وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها؟ على قولين: أحدهما: أنه يجب ذلك وهو قول الشافعي وجماعة.

والثاني: أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقيين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران. قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم: وعلى هذا فإنما ذكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها.

قلت: وحديث الباب وسيأتي شاهد لهذا القول وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم، وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير وهو كما قال أحمد، وقال عمر رضي الله عنه: الفقير ليس بالذي لا مال له، ولكن الفقير الأخلق الكسب، قال ابن علية: الأخلق المحارف عندنا، والجمهور على خلافه، وروي عن ابن عباس وبجاهد والحسن البصري وابن زيد. واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف ويتبع الناس، وقال قتادة: الفقير من به زمانة، والمسكين الصحيح الجسم.

وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطاً على ذلك ولا

يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة فقال: «إن الصدقة لا تحمل محمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ الناس».

وأما المؤلفات قلوبهم فأقسام:

الأول: من يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركاً، قال فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس إليّ بعد أن كان أبغض الناس إليّ.

الثاني: من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرفهم مائة من الإبل وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم».

الثالث: من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه.

الرابع: من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد.

وهل تعطى المؤلفات على الإسلام بعد النبي ﷺ؟ فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد. وقال آخرون: بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فصرف إليهم.

قلت: وهذا هو الصحيح لعموم الآية.

وأما الرقاب فروي عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعي والزّهري وابن زيد أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول الشافعي والليث رضي الله عنهما. وقال ابن

عباس: والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحاق أي أن الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً.

وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم، والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فقال: أقم حتى تأتيني الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. الحديث.

وأما في سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق الحج في سبيل الله للحديث، وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المحتار في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه.

وقوله ﴿فريضة من الله﴾ أي حكماً مقدراً بتقدير الله وفرضه وقسمه. ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عياده. ﴿حكيم﴾ فيما يقوله ويفعله ويشعره ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه» اهـ من تفسير ابن كثير بتصرف.

[قال مجاهد: يتألفهم بالعطية]

أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ناس كان يتألفهم بالعطية، عيينة بن بدر ومن كان معه.

١٨٧- حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبيه^(١) عن ابن أبي نُعم^(٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بُعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم فقال رجل: ما عدلت فقال: يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء» وقع في بعث عليّ في المغازي من رواية عمارة بن القعقاع بن شرملة بعث عليّ رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في أديم مقروط لم تحصل من ترابها. وعند مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج «بعث عليّ رضي الله عنه وهو باليمن بذهبية في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم».

الثانية: قوله «فقسمه بين أربعة» وقع تسميتهم في رواية عمارة المتقدمة بلفظ «بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل» وعند مسلم بلفظ بين أربعة نفر «الأقرع بن حابس الخنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نيهان».

الثالثة: قوله «أتألفهم» وقع عند مسلم «قال فغضبت قريش فقالوا أيعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم» قلت فإن بهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه المقالة لما بلغه من اعتراض القوم ومعنى التألف: المداراة والإيناس بتزغيب هؤلاء القوم بما نالهم من العطية ليثبتوا على الإسلام.

الرابعة: قوله «فقال رجل» قلت في علامات النبوة من المناقب عن أبي

(١) هو سعيد بن مسروق الثوري واللد سفيان ثقة من السادسة مات سنة ست وعشرين ومائة وقيل بعدها. ع.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة البجلي أبو الحكم الكوفي العابد صدوق من الثالثة مات قبل المائة. ع.

سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم. وقد وصفه في المغازي، وعند مسلم في الزكاة «فقال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار».

الخامسة: قوله «ما عدلت» عند المصنف في المغازي وعند مسلم في الزكاة بلفظ «اتق الله» وفي علامات النبوة من المناقب «يا رسول الله اعدل» قلت وهذا اختلاف في اللفظ وحاصله إتهام ذو الخويصرة التميمي نبي الله ﷺ بالحيف والجور في القسمة وهذا دليل على فرط جهله وقلة فقهه وسوء أدبه مع رسول الله ﷺ.

السادسة: قوله «يخرج من ضئضيء» كذا للأكثر بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة أيضاً، وفي رواية الكشميهني بصادين مهملتين، فأما بالضاد المعجمة فالمراد به النسل والعقب وفي رواية سعيد بن مسروق في حديث الأنبياء، «إنه من ضئضيء هذا أو من عقب هذا» انتهى من الفتح.

السابعة: قوله «قوم يمرقون من الدين» في المغازي «قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وعند مسلم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وفيه رد على من أول الدين هنا بالطاعة وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرتة الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال. قاله الحافظ.

من فقه الحديث

أولاً: تخصيص الإمام بعض جنده دون بعض في قسمة ما يأتيه من الأموال تألفاً لهم ولمصلحة راجحة.

ثانياً: حلم النبي ﷺ وسعة صدره.
ثالثاً: في قوله ﷺ يخرج من ضئضئ هذا . . الخ الحديث علم من أعلام
النبوة وذلك بإخباره بظهور الخوارج فوقع كما قال وأول ظهورهم كان في عهد
عليّ ﷺ.

١٥٩- [باب قوله ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين﴾]

ش: تمامها ﴿في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجب الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدقوا رياءً وسمعة، ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فيتنقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً سخرياً منهم بهم ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾. يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجه مؤلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿يلمزون﴾ : يعيون.

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ومنها من يلمزك بالصدقات﴾ وزاد قال الزيادة الأعجم:

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن أغيب فأنت العائب اللّمزه

٢- ﴿تهدهم﴾ و «تهدهم» طاقتهم.

ش: قال أبو عبيدة: مضموم ومفتوح سواء ومجازه طاقتهم، ويقال جهد.

١٨٨- حدثني بشر بن خالد أبو محمد أخبرني محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود^(١) قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت ﴿الذين

(١) عقبه بن عامر بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البصري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها. ع.

يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴿١٨٩﴾
 ١٨٩- حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة أحدثكم زائدة (١)
 عن سليمان عن شقيق عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ
 يأمر بالصدقة فيحتال أحدنا حتى يجيء بالمد، وإن لأحدكم اليوم مائة ألف،
 كأنه يعرض بنفسه.

ش: فيهما عشر مسائل:

الأولى: قوله «لما أمرنا بالصدقة» في رواية أبي النعمان بلفظ «لما نزلت آية
 الصدقة» قلت ولعله يعني قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
 بها﴾.

الثانية: قوله «كنا نتحامل» وقع في الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة
 «كنا نحامل» أي نحمل على ظهورنا بالأجرة وقال صاحب المحكم: تحامل في الأمر
 أي تكلفه على مشقة ومنه تحامل على فلان أي كلفه ما لا يطيق.

الثالثة: قوله «فجاء أبو عقيل بنصف صاع» اسم أبي عقيل هذا هو بفتح
 أوله الحجاب. مهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخرها مثلها أخرجه ابن جرير من
 طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال في قوله «الذين يلمزون المطوعين من
 المؤمنين في الصدقات» قال جاء رجل من الأنصار يقال له الحجاب أبو عقيل
 فقال يا نبي الله بت أجز الجريد على صاعين من تمر فأما صاع فأمسكته لأهلي
 وأما صاع فهو هذا فقال المنافقون: إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي
 عقيل فنزلت الخ. وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد وابن مندة وقال وهذا مرسل.

قلت: وأخرج ابن جرير من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار عن

(١) هو أبو الصلت زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي ثقة ثبت صاحب سنة من السابعة مات
 سنة ستين ومائة وقيل بعدها. ع.

ابن أبي عقيل عن أبيه بهذا ولم يسمه.

وقال الحافظ: «وذكر السهيلي أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بيمينين».

الرابعة: قوله «وجاء إنسان بأكثر منه» في الزكاة «فجاء رجل فتصدق

بشيء كثير».

الخامسة: قوله «فقال المنافقون» سمى الواقدي في مغازيه معتب بن قشير

وعبد الرحمن بن نبتل.

السادسة: قوله «فنزلت الذين يلمزون المطوعين...» فيه دليل على أن تلك

المقولة سبب نزول هذه الآية وفي ذلك ذم للآمزين وثناء على أولئك المتصدقين

الذين جادوا بما في وسعهم وطاقتهم.

السابعة: قوله «فيحتال» وقع في الزكاة «إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى

السوق فتحامل».

الثامنة: قوله «حتى يجيء بالمد» المد هو ملء اليدين المتوسطتين وهو ربع

صاع النبي ﷺ والمعنى أن أحدهم من قلة ما في يده يأتي بهذا المقدار قريبة إلى الله

وامتثال لأمر النبي ﷺ.

التاسعة: قوله «وإن لأحدهم اليوم مائة ألف» مائة بالنصب على أنها إسم

(إن) والخبر لأحدهم أو لبعضهم واليوم ظرف ولم يذكر مميز المائة ألف فيحتمل

أن يريد الدراهم أو الدينانير أو الأمداد.

العاشرة: قوله «كأنه يعرض بنفسه» القائل هو شقيق الراوي عن أبي

مسعود قال الحافظ في معنى هذه العبارة: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على

الصدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها

مع تكلفهم، أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول وذلك لقلّة ما وقع

من الفتوح والغنائم في زمانه وإلى سعة عيشهم بعده بكثرة الفتوح والغنائم. قلت:

وهذا توجيه جيد ومأخذ لطيف يناسب لفظ الخبر.

١٦٠- باب ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.

ش: تمامها ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾

قوله ﴿استغفر لهم﴾ إلى قوله ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للإستغفار وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل أنّ السبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الإستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها. ويؤيد عدم مفهوم العدد ههنا قوله تعالى في موضع آخر ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

وقوله ﴿ذلك بأنهم كفروا﴾ إلى قوله ﴿الفاسقين﴾ أي ذلك الإمتناع بسبب كفرهم بالله ورسوله، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي المتمردين الخارجين عن الطاعة المتجاوزين لحدودها، والمراد هنا الهداية الموصلة إلى المطلوب لا الهداية التي بمعنى الدلالة وإراءة الطريق.

من فقه الآية

أولاً: قطع رجاء من مات من أهل النفاق الإعتقادي من المغفرة.
ثانياً: الجزاء من جنس العمل، فمن كان أهلاً للهداية يسر الله له سبيلها.
ثالثاً: إنّ النفاق الإعتقادي مانع من هداية التوفيق والقبول.
١٩٠- حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله^(١) عن نافع

(١) عبيد الله هو أبو بكر عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني شقيق سالم ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة. ع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيده على السبعين قال: إنه منافق قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

١٩١- حدثنا يحيى بن بكير^(١) حدثنا الليث عن عقيل وقال غيره حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي؟ وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، قال: أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيات من براءة ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ إلى قوله ﴿وهم فاسقون﴾. قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم.

(١) هو يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولا هم المصري ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك، من كبار العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين [ومائتين]. وله سبع وسبعون. خ. م. ق.

ش: فيهما أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «لما توفي عبد الله بن أبي» ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع وكانت مدة مرضه عشرين يوماً ابتداءً من ليال بقيت من شوال قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك وفيهم نزلت ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾. حكاها في الفتح.

الثانية: قوله «جاء ابنه عبد الله بن عبد الله» وقع في رواية الطبري في تفسير قوله ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر﴾. من طريق الشَّعْبِي لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما إسمك؟ قال الحباب يعني بضم المهملة وموحدين مخففاً قال: قال بل أنت عبد الله، الحباب اسم للشيطان ، — قلت: وهذه القصة مرجوحة لأمرين:

أحدهما: أنها مرسله ضعيفة الإسناد.

وثانيهما: أنها معارضة بما وجد في عهد النبي ﷺ عن اسمه الحباب من الصحابة وهم تسعة ومنهم ، الحباب بن المنذر بن الجموح ، وعلى فرض ثبوت صحتها فإن النهي فيها عن التسمية بالحباب للكراهة . والله أعلم .-

وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي هذا من فضلاء الصحابة وشهد بدرًا وما بعدها واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق قال الحافظ: ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في قتله، قال: بل أحسن صحبتته. أخرجه ابن مندة من حديث أبي هريرة بإسناد حسن.

الثالثة: قوله «فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه» السائل هو عبد الله بن عبد الله بن أبي والمسؤول هو رسول الله ﷺ وأراد عبد الله بن عبد الله بن أبي بذلك التبرك بثوب رسول الله ﷺ.

الرابعة: قوله «ثم سأله أن يصلي عليه» ثم حرف عطف تفيد الترتيب مع التراخي وعلى هذا فإن ولد عبد الله بن أبي سأل النبي ﷺ أن يصلي على أبيه بعد سؤاله قميصه وقد أطمعه في هذه المسائل كريم خلق النبي ﷺ وشفقته بأمته ومحبتة الخير لهم.

الخامسة: قوله «فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه» في حديث ابن عباس عن عمر ثاني حديثي الباب «فلما قام رسول الله ﷺ» وعند الترمذي في تفسير الآية من هذا الوجه «فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كنا: كذا وكذا أعدد عليه قوله» يشير بذلك إلى مثل قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا» وإلى مثل قوله «ليخرجن الأعز منها الأذل» وهاتان الآيتان من سورة إذا جاءك المنافقون.

السادسة: قوله «فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه» كذا في هذه الرواية إطلاق النهي عن الصلاة، وقد استشكل جداً حتى أقدم بعضهم فقال: هذا وهم من بعض رواته، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع إلى نهى خاص في ذلك. قال الحافظ: وقال القرطبي لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإهام ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» قلت: الثاني يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث «قال فأنزل الله ولا تصلي على أحد منهم، والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزاً بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر قلت: ولفظها عن عبيد الله بن عمر «فقال تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم» وأخرج ابن جرير من طريق الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت بثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا لقد قال إن

تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. قلت وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد. قلت: ما أحسن هذا الإستنباط فإن النهي عن الإستغفار للمنافقين يستلزم عدم الصلاة عليهم لتضمن الصلاة الدعاء والإستغفار له.

السابعة: قوله «إنما خيرني الله فقال» وفي حديث ابن عباس عن عمر من الزيادة «فتبسم رسول الله ﷺ وقال أخر عني يا عمر فلما أكثر عليه قال إنني خيرت فاخترت» أي خيرت بين الإستغفار وعدمه وقد بين ذلك حديث ابن عمر حيث ذكر الآية المذكورة.

الثامنة: قوله «إنه منافق» يعني مظهراً للإسلام مبطناً للكفر وقد قال ذلك عمر تعليلاً لمشورته على النبي ﷺ بعدم الصلاة على ابن أبي.

التاسعة: قوله: «فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿ولا تصلي على أحد منهم﴾ الآية في حديث ابن عباس «فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيات من براءة ﴿ولا تصلي على أحد منهم مات أبداً﴾ إلى قوله ﴿وهم فاسقون﴾ وسيأتي شرحها في الباب الذي يليه.

العاشرة: قوله «أخر عني يا عمر» أي أخر عني مقولتك ومشورتك. وقوله إنني خيرت فاخترت تعليلاً لأمره ﷺ عمر بالسكوت عن مشورته.

الحادية عشرة: قوله «فصلى عليه ثم انصرف» زاد ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري بسنده في ثاني حديثي الباب قال فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله، ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن إسحاق فزاد فيه «ولا قام على قبره».

الثانية عشرة: قوله «فعجبت بعد» بضم داله لإنقطاعه عن الإضافة والمضاف إليه محذوف تقديره بعد ذلك.

الثالثة عشرة: قوله «من جرأتي على رسول الله ﷺ» يعني من شدة الإقدام على رسول الله ﷺ.

الرابعة عشرة: قوله «والله ورسوله أعلم» ظاهره أنه قول عمر ويحتمل أن يكون قول ابن عباس والأول أظهر لمناسبته ظاهر الخبر.

من فقه الحديثين:

أولاً: جواز تكفين الميت في القميص. وفي المغني (٣/٣٨٣) قال: «الأفضل عند إمامنا - رحمه الله - أن يكفن الرجل في ثلاث لفائف بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، قال الترمذي: والعمل عليها عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو مذهب الشافعي ويستحب كون الكفن أبيض لأن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض ولقول رسول الله ﷺ إلبسو من ثيابكم البيض فإنه أطهر وأطيب وكفنوا فيه موتاكم. رواه النسائي وحكي عن أبي حنيفة أن المستحب أن يكفن في إزار ورداء وقميص لما روي عن ابن المغفل أن النبي ﷺ كفن في قميصه ولأن النبي ﷺ ألبس عبدالله بن أبي قميصه وكفنه به رواه النسائي» انتهى محل الغرض

ثانياً: كريم خلق النبي ﷺ وسعة صدره.

ثالثاً: عظيم شفقتة على أمته.

رابعاً: فقه عمر ﷺ.

خامساً: نهى الإمام عن الصلاة على المنافقين نفاقاً اعتقادياً.

١٦١- [باب ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾].
 ش: تمامها، ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾. يأمر الله
 تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن
 لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه
 وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله
 بن أبي بن سلول رأس المنافقين.

قلت: فالآية نص صريح على كفر من مات على النفاق الإعتقادي.

١٩٢- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن
 نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه
 عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم
 قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق،
 وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال: إنما خيرني الله - أو أخبرني - فقال:
 ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾.
 فقال: سأزيده على سبعين قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم
 أنزل الله عليه ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم
 كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾.

مضى شرحه في الباب قبله.

١٦٢- [باب قوله ﴿سِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرَضُوا عَنْهُمْ

فَاعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾].

ش: يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﴿إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تأنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين، فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقول: إنهم نجس وما واهم جهنم، يقول ومصيرهم إلى جهنم وهي مسكنهم الذي يأورونه في الآخرة ﴿جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. يقول: ثواباً بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله.

١٩٣- حدثنا يحيى حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد

الرحمن^(١) بن عبد الله أن عبد الله^(٢) بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب^(٣) ابن مالك حين تخلف عن تبوك: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي ﴿سِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ - إلى - ﴿الْفَاسِقِينَ﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني» يعني هداني

(١) هو أبو الخطاب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المري ثقة عالم من الثالثة مات في خلافة هشام. خ. م. د. س.

(٢) هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المدني ثقة يقال له رؤية مات سنة سبع أو ثمان وتسعين. خ. م. د. س. ق.

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي بالفتح المدني صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، مات في خلافة عليّ. ع.

للإسلام وفيه التحدث بالنعمة ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

الثانية: قوله «أعظم من صدقي رسول الله ﷺ» يعني حين يسألني عن سبب تخلفي عن غزوة تبوك فلا أكتمه شيئاً من خبري، يوضحه قوله كما أخرجه عنه المصنف في المغازي باب حديث كعب. «فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت: بلى إني والله - يا رسول الله - لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك.

الثالثة: قوله «أن لا أكون كذبتة» بدل من قوله «من صدقي» أي ما أنعم الله عليّ من نعمة أعظم من عدم كذبي ثم عدم هلاكي قال النووي رحمه الله: قالوا: لفظة «لا» زائدة ومعناه أن أكون كذبتة نحو ما منعك أن لا تسجد.

الرابعة: قوله «فأهلك كما هلك الذين كذبوا» ما أراه إلا يشير إلى ما نزل في المتخلفين من المنافقين من الوعيد والفضيحة ومن ذلك آية الباب.

١٦٣- [باب قوله ﴿يخلفون لكم لترضوا عنهم﴾ إلى قوله ﴿الفاسقين﴾].

ش: قلت الآية ﴿يخلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا

يرضى عن القوم الفاسقين﴾.

يقول تعالى ذكره يخلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون إعتذاراً بالباطل والكذب ﴿لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يقول فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم إذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ومن خفي إعتقادهم ما تجهلون وأنهم على الكفر بالله يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ومن الطاعة إلى المعصية.

تنبيه

لم يذكر المصنف ههنا حديثاً وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره لهذه الآية قال: أخبرنا حجاج بن حمزة عن شابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يخلفون لكم لترضوا إلى قوله الفاسقين قال في المنافقين.

قلت: وهذا خبر مرسل كما هو ظاهر الإسناد فلا تقوم به الحجة وأظن أن

البخاري رحمه الله لم يخرجها في الباب لهذه العلة.

١٦٤- [باب قوله ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾].

لما بين الله تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكديباً وشكاً شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسباً وميلاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين وهم أبو لبابة وجماعة من أصحابه كما قال ابن عباس إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المتلوثين.

وقوله ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ دليل على أنه قد وقع منهم مع الإعتراف ما يفيد التوبة أو أن مقدمة التوبة وهي الإعتراف قامت مقام التوبة، وحرف الترجي وهو عسى هو في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع لأن الإطماع من الله سبحانه إيجاب لكونه أكرم الأكرمين.

وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ أي يغفر الذنوب ويفضل على عباده.

من فقه الآية

أولاً: سعة فضل الله وسعة رحمته بقبول التوبة.

ثانياً: الحث على التوبة والإستغفار.

ثالثاً: إثبات صفتي الرحمة والمغفرة لله.

١٩٤- حدثنا مؤمل هو ابن هشام^(١) حدثنا إسماعيل بن إبراهيم^(٢) حدثنا عوف^(٣) حدثنا أبو رجاء^(٤) حدثنا سمرة بن جندب^(٥) قال: قال رسول الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيان، فابتعثاني، فانتهايتني إلى مدينة مبنية ببلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالوا لهم إذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك قالوا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أتاني الليلة» في تفسير الرؤية بعد صلاة الصبح من هذا الوجه «أنه أتاني» والليلة منصوب على الظرفية.

الثانية: قوله «آتيان» في رواية هودة عن عوف عند ابن أبي شيبة «أثنان أو آتيان» بالشك وفي رواية جرير «رأيت رجلين أتاني» وفي حديث عليّ «رأيت

-
- (١) هو أبو هشام مؤمل بن هشام اليشكري البصري ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين خ. د. س.
- (٢) هو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولا هم البصري المعروف بابن عليّة ثقة حافظ من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة] وهو ابن ثلاث وثمانين ع.
- (٣) هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع من السادسة مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة وله ست وثمانون. ع.
- (٤) هو عمران بن ملحان ويقال ابن تيم العطاردي مشهور بكنيته مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة. ع.
- (٥) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار صحابي مشهور له أحاديث مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين. ع.

ملكين».

الثالثة: قوله «ابتعثاني» في التعبير «وأنهما ابتعثاني بموحدة ثم مشاة وبعد العين المهملة مثلثة كذا للأكثر، ومعنى ابتعثاني أرسلاني، كذا قال في الصحاح بعثته وابتعثته أرسلته، يقال ابتعثه إذا أثاره وأذهبه، وقال ابن هبيرة معنى ابتعثاني أيقظاني، ويحتمل أن يكون رأى في المنام أنهما أيقظاه فرأى ما رأى في المنام ووصفه بعد أن أفاق على أن منامه كاليقظة.

الرابعة: قوله «فانتهيا بي» في التعبير «واني انطلقت معهما» زاد جرير ابن حازم في روايته إلى الأرض المقدسة وعند أحمد إلى أرض فضاء أو أرض مستوية، وفي حديث عليّ «فانطلقا بي إلى السماء» قال مقيدو الجمع بينهما والله أعلم أن ذينك الآتين انطلقا برسول الله ﷺ أولاً إلى الأرض المقدسة وهي الأرض المستوية وفي فضاء ثم انطلقا به بعد إلى السماء حيث رأى ما رأى.

الخامسة: قوله «فانتهيا بي إلى مدينة مينة بلبن ذهب ولبن فضة» وفي التعبير «فانتهيا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال: قالوا لي إرق فيها» وفي رواية أحمد والنسائي في التفسير وأبي عوانة «إلى دوحة» بدل «روضة» والدوحة الشجرة الكبيرة، وفيه «وصعدا في الشجرة» وهي التي تناسب الرقي والصعود واللبن بفتح اللام وكسر الموحدة جمع لبنه وأصلها ما يبنى به من طين وفي رواية جرير بن حازم «فأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيهارجال شيوخ وشباب ونساء وفتيان، ثم أخرجاني منها فأدخلاني داراً هي أحسن منها.

السادسة: قوله «فقلقانا رجالاً، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء،

وشطر كأقبح ما أنت راء» بفتح الخاء وسكون اللام بعدها قاف أي هيئتهم، وقوله شطر مبتدأ وكأحسن الخير والكاف صلة والجملة صفة رجال وهذا الإطلاق يحتمل أن يكون المراد أن نصفهم حسن كله ونصفهم قبيح كله ويحتمل أن يكون كل واحد منهم نصفه حسن ونصفه قبيح، والثاني هو الأظهر

ويؤيده قولهم في صفتهم «هؤلاء قوم خلطوا» أي عمل كل منهم عمداً وخلطه بعمل سيء.

السابعة: قوله «فقعوا في ذلك النهر» بصيغة فعل الأمر بالوقوع والمراد أنهم ينغمسون فيه ليغسل تلك الصفة بهذا الماء الخاص.

الثامنة: قوله «ذهب ذلك السوء عنهم» أي صار القبيح كالشطر الحسن فلذلك قال «فصاروا في أحسن صورة».

التاسعة: قوله «قالا لي هذه جنة عدن» يعني المدينة التي رآها مبنية من ذهب وفضة.

العاشرة: قوله «وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح» كذا في الموضوعين بالرفع على أن كان تامة وفي التعبير بالنصب فيهما على أن كان ناقصة.

الحادية عشرة: قوله «فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً» هذا وجه الشاهد من الحديث وفيه دليل على ما قدمناه في تفسير الآية بأنها عامة وإن كانت في معنيين كما أن فيه دليل على عفو الله عن من تساوت حسناته وسيئاته.

تنبيه:

أورد المصنف هذا الحديث بتمامه من هذا الوجه في كتاب التعبير وفيه من الفقه والفوائد.

أولاً: أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ.

ثانياً: فيه نوع من تلخيص العلم وهو أن يجمع القضايا جملة ثم يفسرها على الولاء ليجتمع تصورهما في الذهن.

ثالثاً: التحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة ورفض القرآن لمن يحفظه وعن الزنا وأكل الربا وتعمد الكذب.

رابعاً: أن الذي له قصر في الجنة لا يقيم فيه وهو في الدنيا بل إذا مات حتى
النبي والشهيد.
ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح. ٤٤٥/١٢.

١٦٥- [باب ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾].
ش: تمامها ﴿ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجبم﴾.

يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين ءامنوا به أن
يستغفروا يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين
يستغفرون لهم أولي قربى، ذوي قرابة لهم ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجبم﴾ يقول من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان وتبين لهم
أنهم من أهل النار لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا
ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب المعادة والبغض في الله.

ثانياً: النهي عن الدعاء للمشرك والإستغفار له.

١٩٥- حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه^(١) قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة
دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي ﷺ أي
عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي
أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك
ما لم أنه عنك» فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجبم﴾.

ش: سيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة القصص ضمن الباب رقم ثلاث
وستين ومائتين وهناك يأتي الكلام عليه إن شاء الله.

(١) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي أبو سعيد له ولأبيه صحبة عاش إلى
خلافة عثمان. خ. م. د. س.

١٦٦- [باب ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمد ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزراد والماء ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ يقول من بعد ما كاد يعميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه ﴿ثم تاب عليهم﴾ يقول ثم رزقهم حل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ يقول إن ربكم بالذي خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء.

فائدة:

قال الشوكاني في تفسيره ٤١٣/٢ «قوله لقد تاب الله على النبي» فيما وقع منه ﷺ من الإذن في التحلف أو فيما وقع منه من الاستغفار للمشركين وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أو له لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والاستغفار وقد تكون التوبة منه تعالى على النبي من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما في قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ويجوز أن يكون ذكر النبي ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يتجنبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لابسوه منها».

فائدة أخرى:

قال ابن القيم: «وتأمل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين في أول الآية وآخرها فإنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا تاب عليهم، ثانياً بقبولها

منهم، وهو الذي وفقهم لفعالها وتفضل عليهم بقبولها فالخير كله منه وبه، وله وفي يده يعطيه من يشاء إحساناً وفضلاً ويحرمه من يشاء حكمة وعدلاً، انتهى من بدائع التفسير ٣٨١/٢

١٩٦- حدثنا أحمد بن صالح قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس قال أحمد وحدثنا عنبسة^(١) حدثنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن كعب قال أخبرني عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك في حديثه ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال في آخر حديثه إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله فقال النبي ﷺ «أمسك بعض مالك فهو خير لك».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «إن من توبتي أن أنخلع من مالي» يعني من كامل توبة الله عليّ أن أخرج من مالي كله فرحاً بالتوبة التي جاءت فضلاً من الله بعد ضيق الأرض عليّ بما رحبت وإظهاراً لشكر الله إذ منّ بالتوبة

الثانية: قوله «صدقة» مصدر جاء في موضع الحال.

الثالثة: قوله «أمسك بعض مالك فهو خير لك» في رواية أبي داود عن كعب أنه قال «من توبتي أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة قال لا قلت نصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم».

قلت: وفي هذا جواز الصدقة عند تجدد النعم أو اندفاع النقم وفيه مشورة أهل الفضل في ذلك وفيه أن إمساك بعض المال خير من إنفاقه كله وذلك حتى لا يكون الرجل وأهله عالة على الناس.

(١) هو عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم الأيلي صدوق من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة. خ. د.

فائدة إسنادية:

في قوله حدثنا أحمد بن صالح حدثني ابن وهب أخبرني يونس قال أحمد ثنا عنيسة حدثنا يونس مراده أن أحمد بن صالح روى هذا الحديث عن شيخين عن يونس لكن فرقهما لاختلاف الصيغة ثم إن ظاهره أن السند عنهما متحد وليس كذلك بل هو في رواية ابن وهب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب كذلك أخرجه النسائي عن سليمان بن داود المهري عن ابن وهب ولعل البخاري بناه على أن عبد الرحمن نسب لجدّه فتتحد الروايتان به على ذلك الحافظ أبو عليّ الصديقي فيما قرأته بخطه بهامش نسخته

قلت: قد أفرد البخاري رواية ابن وهب بهذا الإسناد في النذر فوقع في رواية أبي ذر «عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب» وإنما أخرج النسائي بعض الحديث وقد وجدت بعض الحديث أيضاً في سنن أبي داود عن سليمان بن داود شيخ البخاري فيه كما في النسائي وعن ابن طاهر بن السرح عن ابن وهب كذلك» انتهى من الفتح ٣٤٢/٨

١٦٧- [باب ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم... إلى أن قال: فتأويل الكلام إذاً ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فأرجأهم عن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله ﷺ. اهـ من جامع البيان.

وقوله ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ إلى ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ معناه أخروا عن قبول التوبة إلى هذه الغاية وهي وقت أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و﴿ما﴾ مصدرية أي برحبها لإعراض الناس عنهم وعدم مكالتهم من كل أحد لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكالموهم والرحب الواسع يقال منزل رحب ورحيب ورحاب وفي هذه الآية دليل على جواز هجران أهل المعاصي تأديباً لهم لينزجروا عن المعاصي ومعنى ضيق أنفسهم عليهم أنها ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة وبما حصل لهم من الفجوة وعبر بالظن في قوله ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ عن العلم أي علموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا الله سبحانه بالتوبة والإستغفار، قاله الشوكاني ٤١١/٢.

قوله ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم والحكم ينتفي لانتهاء مواعنه قاله في بدائع التفسير نقلاً عن ابن القيم.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾. أي الكثير القبول لتوبة التائبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده.

١٩٧- حدثني محمد^(١) حدثنا أحمد بن أبي شعيب^(٢) حدثنا موسى ابن أعين^(٣) حدثنا إسحاق بن راشد ان الزهري حدثه قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت أبي كعب بن مالك وهو أحد ثلاثة الذين تيب عليهم انه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة وغزوة بدر قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى وكان يبدأ بالمسجد. فيركع ركعتين ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي عليّ، فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري فقال رسول الله ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب» قالت أفلا أرسل إليه فأبشره قال: إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى رسول الله ﷺ

- (١) اختلف في محمد فقال الحاكم: ((هو محمد بن النظر النيسابوري)) يعني الذي تقدم ذكره في تفسير الأنفال وقال مرة: ((هو محمد بن إبراهيم البوشنجي)) لأن هذا الحديث وقع له من طريقه وقال أبو علي الغساني هو الذهلي)) قاله الحافظ.
- (٢) هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أبي شعيب مسلم الخرائني مولى قريش ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك. خ.د.ت.س.
- (٣) هو أبو سعيد موسى بن أعين الجزري مولى قريش، ثقة عابد من الثامنة مات سنة خمس أو سبع وسبعين [ومائة]. خ.م.د.س.ق.

صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر إستنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين إعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشرّ ما ذكر به أحد، قال الله سبحانه ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ الآية.

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «إنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ» في باب حديث كعب من المغازي من رواية عقيل «لم أتخلف» ولا منافاة فأحدهما بالتكلم من لفظ كعب والآخر بضمير الغائب من لفظ الراوي.

الثانية: قوله «غير غزوتين» في رواية عقيل بين سبب تخلفه عن بدر فقال: «غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. الثالثة: قوله «فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى» أي لما بلغه أنه عليه الصلاة والسلام توجه قافلاً من الغزو واهتم لتخلفه من غير عذر وتفكر فيما يخرج به من سخط الرسول فطفق يتذكر الكذب لذلك فأزاح الله عنه الباطل فأجمع على الصدق أي جزم به وعقد عليه قصده وأصبح رسول الله ﷺ قادماً في رمضان ضحى. قاله القسطلاني.

الرابعة: قوله «قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى» يعني أن قدوم رسول الله ﷺ من سفره في غير الضحى قليل ومفهومه أن غالب قدومه ضحى وهذا والله أعلم حتى لا يطرق أهله ليلاً خشية أن يرى منهم ما يكره.

الخامسة: قوله «وكان يبدأ بالمسجد» فيه دليل على أن الأفضل في حق القادم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه.

السادسة: قوله «ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي» يعني منع الناس من كلامي وكلام صاحبي وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي وذلك بعد إعترافهم أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر وهذا من قبيل الزجر.

السابعة: قوله «ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا» أي لم يمنع عن كلام أحد من المتخلفين سوانا فامتثل الناس نهى رسول الله ﷺ فتركوا كلامنا وهذا دليل على مكانة كعب وصاحبيه من أصحاب رسول الله ﷺ وفيه دليل على أن القوي في دينه يعامل في الغلظة بما لا يعامل به غيره.

الثامنة: قوله «فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر» في رواية يونس عند مسلم «فلبثنا على ذلك خمسين ليلة».

التاسعة: قوله «وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عدوّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة».

قلت: الباعث على هذا الخوف وهذه الخشية شدة ما لقيه من عقوبة الهجر والزجر وفيه دليل على قوة إيمان كعب ﷺ.

العاشرة: قوله «فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل» يعني بعد أن كملت المدة وهي خمسون ليلة ولم أقف على تاريخ نزول توبته.

الحادية عشرة: قوله «ورسول الله ﷺ عند أم سلمة» يعني وقت نزول توبتهم من الله والجملة حالية.

الثانية عشرة: قوله «وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري» يعني مهتمة بأمري. قلت ولعل من اهتمامها قولها «أفلا أرسل إليه فأبشره» حين قال الرسول ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب».

الثالثة عشرة: قوله «إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة» من الحطم وأصله التكسير ومراده أن الناس يدوسونكم ويتزاحمون عليكم وقوله

«فيمنعونكم النوم سائر الليلة» أي بقيتها وذلك لفرحهم بما من الله من توبة كعب وصاحبيه.

الرابعة عشرة: قوله «حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا» هذا بيان الوقت الذي أعلم النبي ﷺ الناس بتوبة الله على أولئك الرهط.

الخامسة عشرة: قوله «وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر» يعني أن وجهه يتلألأ من شدة السرور والفرح حتى كأنه يعلوه نور وفيه دليل على فرح النبي ﷺ بتوبة الله على أصحابه وهذا من كمال شفقتة وكريم خلقه.

السادسة عشرة: قوله «وكنا أيها الثلاثة» بلفظ النداء ومعناه الإختصاص.
السابعة عشرة: قوله «الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل» بضم أوله مبنياً للمفعول أي إعتذارهم وقوله «من هؤلاء الذين اعتذروا» ووكل رسول الله ﷺ سرائرهم إلى الله عز وجل وليس المراد التخلف عن الغزو بل التخلف عن حكم أمثالهم من المتخلفين وهو قبول عذرهم.

الثامنة عشرة: قوله «فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به أحد» فسر به بعد بقوله «يعتذرون إليكم» الآية.

التاسعة عشرة: قوله «يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله». تمام السياق «ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين».

فتأمل ما تضمنته هذه الآيات الثلاث من فضح حال المنافقين والكشف عن باطلهم وبيان كذبهم على رسول الله ﷺ.

تنبيه:

في هذا الحديث فقه عظيم وفوائد جمّة منها:

أولاً: جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب.

ثانياً: جواز الغزو في الشهر الحرام.

ثالثاً: التصريح بجهة الغزو إذا لم تقتضي المصلحة ستره.

رابعاً: أن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد تخلف.

خامساً: أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه.

سادساً: ترك قتل المنافقين ومنه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة.

سابعاً: أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين.

ثامناً: جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة.

تاسعاً: الحلف للتأكيد من غير استحلاف.

عاشراً: أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا

يسوف بها لتلا يجرمها.

حادي عشر: جواز تمني ما فات من الخير.

ثاني عشر: جواز هجر العصي أكثر من ثلاث وأما النهي عن الهجر فوق

الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً.

ثالث عشر: سقوط رد السلام على المهجور عمن سلم عليه إذ لو كان

واجباً لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السلام.

ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح جزء ثمانية صفحة مائة وثلاث

وعشرين فراجعها إن شئت.

قال مقيده: واعلم هداانا الله وإياك إلى مرأشد أمورنا وصواب الأقوال والأعمال أن هذه القصة نص صريح في بطلان بدعة العصر التي يسمونها (الموازنة) ويعنون به غمر السيئات بالحسنات ، ووجه الاستدلال على ما قلنا في صنيع النبي ﷺ من هجر كعب وصاحبيه رضي الله عنهم نحواً من خمسين يوماً عقوبة على تخلفهم عن غزوة تبوك غير ناظر إلى فضلهم وسابقتهم في الإسلام ويزيد هذا المعنى وضوحاً وجلأً هذه القاعدة الشريفة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في مجموع الفتاوى (٣٧٣/١٠) حيث قال:

«وهنا قاعدة شريفة ينبغي التفطن لها: وهو أن ما عاد من الذنوب بإضرار الغير في دينه وديناه فعقوبتنا له في الدنيا أكبر ، وأما ما عاد من الذنوب بمضرة الإنسان في نفسه فقد تكون عقوبته في الآخرة أشد ، وإن كنا نحن لا نعاقبه في الدنيا.

وإضرار العبد في دينه وديناه هو ظلم الناس؛ فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض ، ثم هو نوعان: أحدهما: منع ما يجب لهم من الحقوق ، وهو التفريط . والثاني: فعل ما يضر بهم وهو العدوان .

ولهذا يعاقب الداعية إلى البدع بما لا يعاقب به الساكت، ويعاقب من أظهر المنكر بما لا يعاقب به من استخفى به، ونمسك عن عقوبة المنافق في الدين وإن كان في الدرك الأسفل من النار .

وهذا لأن الأصل أن تكون العقوبة من فعل الله تعالى ، فإنه الذي يجزي الناس على أعمالهم في الآخرة ، وقد يجزيهم أيضاً في الدنيا، وأما نحن فعقوبتنا للعباد بقدر ما يحصل به أداء الواجبات وترك المحرمات بحسب إمكاننا، كما قال ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

وقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ وقال: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ .

ولهذا من تاب من الكفار والمحاربين وسائر الفساق قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة التي لحق الله .

فإذا أسلم الحربي قبل القدرة عليه عصم دمه وأهله وماله، وكذلك قاطع الطريق والزاني والسارق والشارب إذا تابوا قبل القدرة عليهم لحصول المقصود بالتوبة ، وأما إذا تابوا بعد القدرة لم تسقط العقوبة كلها ؛ لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الحدود وحصول الفساد؛ ولأن هذه التوبة غير موثوق بها؛ ولهذا إذا أسلم الحربي عند القتال صح إسلامه لأنه أسلم قبل القدرة عليه ؛ بخلاف من أسلم بعد الأسر فإنه لا يمنع استرقاقه وإن عصم دمه .

ويبنى على هذه القاعدة: أنه قد يقر من الكفار والمنافقين بلا عقوبة من يكون عذابه في الآخرة أشد إذا لم يتعد ضرره إلى غيره: كالذين يؤتون الجزية عن يد وهم صاغرون، والذين أظهروا الإسلام والتزموا شرائعه ظاهراً مع نفاقهم؛ لأن هذين الصنفين كفوا ضررهم في الدين والدنيا عن المسلمين ، ويعاقبون في الآخرة على ما اكتسبوه من الكفر والنفاق، وأما من أظهر ما فيه مضرة فإنه تدفع مضرته ولو بعقابه وإن كان مسلماً فاسقاً أو عاصياً أو عدلاً مجتهداً مخطئاً ؛ بل صالحاً أو عالماً ، سواء في ذلك المقدور عليه والممتنع ...

وكذلك يجوز قتال البغاة وهم الخارجون على الإمام أو غير الإمام بتأويل سائغ مع كونهم عدولاً، ومع كوننا ننفذ أحكام قضائهم ونسوغ ما قبضوه من جزية أو خراج أو غير ذلك ... فتدبر كيف عوقب أقوام في الدنيا على ترك واجب أو فعل محرم بين في الدين أو الدنيا، وإن كانوا معذورين فيه للدفع ضرر فعلهم في الدنيا ، كما يقام الحد على من تاب بعد رفعه إلى الإمام وإن كان قد تاب توبة نصوحاً، فهذا أصل عظيم أن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران

إلى القتل لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحاً كما بينت من الفرق بين عقوبة الدنيا المشروعة والمقدورة؛ وبين عقوبة الآخرة، والله سبحانه أعلم . انتهى ملخصاً .

تنبيه:

وإن قال قائل: ألا يشكل على حديث الباب ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) وذلك في تحديد النبي ﷺ هجر المسلم أخاه بثلاث ليال وتخريمه مازاد على ذلك .

فالجواب كما قاله البغوي رحمه الله في (شرح السنة) (٢٢٤/١) تعليقا على حديث أبي هريرة: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم) . «والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا» .

قلت: فالزم هذا فإنه جمع حسن يندفع به التعارض ويزول به الإشكال.

١٦٨- [باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾].

أي أصدقوا وألزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً.

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

١٩٨- حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ - إلى قوله - ﴿وكونوا مع الصادقين﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله» أي أنعم عليه وفي قوله «في صدق الحديث أحسن مما أبلاني» وفي المغازي «في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وكذلك قوله بعد ذلك في المغازي فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني إلى الإسلام أعظم من صدقي لرسول الله ﷺ ففي قوله «أحسن وأعظم» شاهد على أن هذا السياق يورد ويراد به نفي الأفضلية لا المساواة لأن كعباً شاركه في ذلك رفيقان وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له وهو كذلك لم ينف المساواة.

الثانية: قوله «ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً» وقع لأبي ذر بدل قوله «منذ» «مذ ذكرت ذلك» أي القول الصدق قلت: وفيه جواز إظهار المرء ما من الله عليه من حسن الحال بعدما أصابه من مصيبة تحدثاً بنعمة الله عليه واعتزافاً بفضله ولا يجوز أن يفهم منه عن كعب عكس ذلك قبل المصيبة بدليل قوله والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة».

الثالثة: قوله «وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي... الخ﴾».

قلت: الشاهد من الحديث الأخيرة وما بينها وبين سابقها قوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾.

١٦٩- [باب قوله ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾].

ش: يقول تعالى ممتناً على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ وقال تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه ومدخله ومخرجه وصدقته وكذبه.

وقوله تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: بعثت بالحنفية السمحة. وفي الصحيح «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم وقوله ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ كقوله ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم﴾.

[قوله من الرأفة]

ش: قال أبو عبيدة: فعول من الرأفة وهي أرق الرحمة قال كعب بن مالك

الأنصاري:

نطيع نبينا ونطبيع ربنا هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وقال:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤوف الرحيم.

١٩٩- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني ابن

السَّبَاق^(١) أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: أن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر: كيف أفعال شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لي ذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبّع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعّلت شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجع حتى شرح الله لي ذلك صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتبعته القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعصب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

تابعه عثمان بن عمر والليث عن يونس عن ابن شهاب وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد^(٢) عن ابن شهاب وقال مع أبي خزيمة الأنصاري

(١) هو أبو سعيد بن السباق. معاملة وموحدة شديدة المدني الثقفي ثقة من الثالثة. ع.

(٢) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أمير مصر صدوق من السابعة مات سنة سبع وعشرين [مائة]. خ. م. مد. ت. س.

وقال موسى عن إبراهيم: حدثنا ابن شهاب مع أبي خزيمة وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه وقال أبو ثابت حدثنا إبراهيم وقال مع خزيمة أو أبي خزيمة.
ش: فيه عشرون مسألة:

الأولى: قوله «أرسل إليّ أبو بكر الصديق» لم يعرف اسم ذلك الرسول ولم يترتب على ذكره فائدة كما لم يترتب على إغفاله ضرر.

الثانية: قوله «مقتل أهل اليمامة» أي عقب قتل أهل اليمامة والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الواقعة مع مسيلمة الكذاب، وكانت تلك الواقعة سنة إحدى عشرة وكان من شأنها أن مسيلمة ادعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد المحاربة، إلى أن خذله الله وقتله، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر.

الثالثة: قوله «قد استحر» بسين مهملة ساكنة ومثناة مفتوحة بعدها حاء مهملة مفتوحة ثم راء ثقيلة، أي اشتد وكثر، وهو استفعل من الحر لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحر، كما أن المحبوب يضاف إلى البرد يقولون: أسخن الله عينه وأقر عينه.

الرابعة: قوله «بالقراء في المواطن» أي الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار، وفي رواية سفيان «وأنا أخشى أن لا يلقي المسلمون زحفاً آخر إلا استحر القتل بأهل القرآن» وهذه الجملة الأخيرة من عزو الحافظ ولم أقف عليها.
الخامسة: قوله «فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه» هذا وما قبله من

الأسباب التي دعت عمر إلى أن يشير على أبي بكر بجمع القرآن.

السادسة: قوله «قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ» هو خطاب أبي بكر لعمر، حكاه ثانياً لزيد بن ثابت لما أرسل إليه، وهو كلام يؤثر الاتباع وينفر من الابتداع وفي رواية سفيان بن عيينة تصريح زيد بن ثابت

بذلك، وفي رواية عمارة بن غزية «فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ»؟ كذا حكاه الحافظ. قال الخطابي وغيره: يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاة ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق ﷺ بمشورة عمر» اهـ.

قلت: وأما ما أخرجه مسلم في الزهد باب التثبيت في الحديث من حديث أبي سعيد قال «قال رسول الله ﷺ: لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن الحديث. فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كله في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور، وقد تسول لبعض الروافض أنه يوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال: كيف جاز أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشيء عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي ﷺ أذن في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه. وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيم منقبته، لثبوت قوله ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة. قاله الحافظ

قلت ويرد على اعتراض الرافضة جمع أبي بكر القرآن إجماع الأمة على ذلك وتلقيها إياه بالقبول فكانت حجتهم داحضة.

السابعة: قوله «فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله بذلك صدري»

فيه دليل على أن أبا بكر لم يقبل مشورة عمر بكتب القرآن وجمعه حتى استبان له أن ذلك من النصيحة لله ولكتابه وأنه ليس من الإحداث في دين الله.

الثامنة: قوله «قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم وقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي» ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له وفي قول زيد: «وعمر عنده جالس لا يتكلم» دليل على توفير أهل الفضل إذ لم يتفوه عمر بكلمة مع الخليفة وتركه يقول لزيد ما قال.

فائدة: قال الحافظ: «وقال ابن بطلال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد بن ثابت ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطاً للدين على احتياط الرسول فلما نههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه» اهـ.

ودل ذلك على أن فعل الرسول إذا تجرد عن القرائن - وكذا تركه - لا يدل على وجوب ولا تحريم انتهى نقله الحافظ.

التاسعة: قوله «فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به» وقع في الفضائل «كلفوني» فأفرد أولاً باعتبار أن أبا بكر هو الأمر وحده وجمع ثانياً باعتبار من وافقه. وإنما قال زيد بن ثابت ذلك لما خشيه من التقصير في إحصاء ما أمر بجمعه، لكن الله تعالى يسر له ذلك كما قال تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾.

العاشرة: قوله «فقمتم فتبعت القرآن أجمع» أي من الأشياء التي عندي وعند غيري.

الحادية عشرة: قوله «من العسب» بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم يثبت عليه الخوص، والذي يثبت عليه الخوص هو العسف.

الثانية عشرة: قوله «من الرقاع» جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

الثالثة عشرة: قوله «الأكتاف» جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه.

الرابعة عشرة: قوله «وصدور الرجال» أي حيث لا أجد ذلك مكتوبا. أو الواو بمعنى مع أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدر.

الخامسة عشرة: قوله «حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري». في الفضائل «وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة» فتكون مفسرة لرواية الباب.

السادسة عشرة: قوله «لم أجدها مع أحد غيره» أي مكتوبة، لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عن تلقاه بغير واسطة، ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكرها كما تذكرها زيد. وفائدة التبع المبالغة في الإستظهار، والوقوف عندما كتب بين يدي النبي ﷺ

قال الخطابي: هذا مما يخفى معناه ويوهم أنه كان يكتفي في إثبات الآية بخبر الشخص الواحد وليس كذلك، فقد اجتمع في هذه الآية زيد بن ثابت وأبو خزيمة وعمر.

السابعة عشرة: قوله «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما

عنتم حريص عليكم ﴿ إلى آخرها.

قلت: هذه إحدى الآيتين والأخرى ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا

هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

الثامنة عشرة: قوله «عند أبي بكر حتى توفاه الله» في موطأ ابن وهب عن

مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: «جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل»، وعند موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب قال: «لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يهلك من القراء طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف وهذا كله أصح مما وقع في رواية عمارة بن غزية «أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده» وإنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة انتهى من الفتح.

التاسعة عشرة: قوله «ثم عند حفصة بنت عمر» أي بعد عمر في خلافة

عثمان، إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف. وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

العشرون: قوله «تابعه عثمان بن عمر» يعني تابع شعيب بن أبي حمزة عن

ابن شهاب عثمان بن عمر بن فارس العبيدي بصري أصله من بخارى ثقة من التاسعة مات سنة تسع ومائتين. ع.

وهذه المتابعة وصلها أحمد في مسنده قال: حدثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا

يونس عن الزهري.

وقوله «والليث» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في فضائل القرآن باب

كاتب النبي ﷺ وفي التوحيد باب وكان عرشه على الماء.
 وقوله «وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه» إبراهيم بن سعد المذكور على
 قوله ابي خزيمه بالكنية وهذه وصلها أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف
 وغيره. قاله القسطلاني.
 وقوله «وقال أبو ثابت» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في الأحكام باب
 يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً.
 وقوله «مع خزيمه أو أبي خزيمه» بالشك والأرجح كما قال الحافظ ١٥/٩:
 أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمه بالكنية والذي وجد معه الآية من
 الأحزاب خزيمه.

من فقه الحديث.

أولاً: فقه عمر ؓ وشدة نصحه لله ولكتابه.

ثانياً: حرص أبي بكر وزيد رضي الله عنهما على إثارة الإتياع والنفرة من
 الإبتداع.

ثالثاً: يسوغ للإمام قبول الشورى من واحد إذا علم منه سداد الرأي
 وخالص النصيحة وأنه لا عبرة بجمع الأصوات.

رابعاً: في قول أبي بكر ؓ لزيد إنك شاب ... الخ جواز الثناء على المرء
 ومدحه بما هو فيه للمصلحة العامة.

خامساً: شدة تحري زيد ؓ إذ جمع القرآن من المكتوب والصدور.

آخر تفسير سورة براءة والحمد لله.

سورة يونس

١٧٠- بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

ش: قد تقدم معنى البسمة، وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾.

وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس في قوله ﴿ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني﴾ قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس. وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي من قوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ إلى قوله ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عباس: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فببت بالماء من كل

لون].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره. ورواه ابن أبي حاتم من طريق العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي قراءة أخرجني محمد بن شعيب أخرجني عثمان بن عطاء عن أبيه قال: أما ما اختلط به نبات الأرض فاختلط فببت بالماء من كل لون.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام...﴾ الآية.

٢- [قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني].

ش: تمام الآية ﴿له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

ولم يذكر المصنف ههنا حديثاً ولا أثراً ولعله يشير إلى ما أخرجه عن ابن عباس في التفسير وقد مضى ولفظه «قال الله كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشمني ولم يكن له ذلك فأما تكذبيه إياي فزعم أبي لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقول له لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً».

٣- [وقال زيد بن أسلم: ﴿أن لهم قدم صدق﴾ محمد ﷺ].

ش: رواه ابن جرير قال حدثني المثني قال ثنا إسحاق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم فذكره.

كما أخرجه عن الحسن وقتادة بزيادة «شفيع لهم» وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

ثانيها: بمعنى أن لهم أجراً حسناً بما قدموا من صالح الأعمال وبه قال الضحاك وابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وابن زيد

وثالثها: بمعنى سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية. اهـ

قلت: وثاني هذه الأقوال وثالثها أرجح عندي لموافقتها ظاهر الآية ولا حجة في صرفه.

٤- [وقال مجاهد خير].

ش: رواه ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو غاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٥- [يقال ﴿تلك آيات﴾ يعني هذه أعلام القرآن].

ش: قال أبو عبيدة: مجازها هذه آيات الكتاب الحكيم أي القرآن قال الشاعر:

- مافهم من الكتاب أم آي القرآن -

وقال الحافظ: «وفي تفسير السدي: آيات الكتاب الأعلام».

والآية المشار إليها هي ﴿الرتلك آيات الكتب الحكيم﴾.

قال قتادة: الكتب التي كانت قبل القرآن.

وقال مجاهد: التوراة والإنجيل.

وقال آخرون: آيات القرآن.

أخرج القولين ابن جرير ورجح ثانيهما.

٦- [ومثله ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ المعنى بكم].

ش: قال الحافظ: «و الجامع بينهما أن في كل منهما صرف الخطاب عن

الغيبة إلى الحضور وعكسه»

والآية المشار إليها ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في

الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج
من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين... ﴿ الآية
٧- ﴿دعواهم﴾ دعاؤهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي قولهم وكلامهم.
والآية المشار إليها هي قوله: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العلمين﴾.

٨- ﴿أحيط بهم﴾ دنوا من اهلكة ﴿أحاطت به خطيئته﴾.
ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال إنه محاط بك والإدراك أي إنك مدرك
فمهلك.

والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس.
٩- ﴿فأتبعهم﴾ وأتبعهم واحد].
ش: قال أبو عبيدة: مجازه تبعهم وهما سواء.
والآية المشار إليها: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون
وجنوده بغيا وعدوا﴾.

١٠- ﴿عدوا﴾ من العدوان].
ش: قال أبو عبيدة: مجازه عدواناً.
١١- [وقال مجاهد: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجابهم بالخير﴾
قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه ﴿لقضى إليهم
أجلهم﴾ لأهلك من دعي عليه ولأماته].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن
مجاهد فذكره.

وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.

والآية المشار إليها ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾.

١٢- ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ مثلها حسنى ﴿وزيادة﴾ مغفرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد حدثني المثني قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد «ورضوان».

وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى:

أحدها: الحسنى الجنة و الزيادة عليها النظر إلى الله تعالى قاله أبو بكر الصديق وعامر بن سعد وحذيفة وأبو إسحاق وأبو موسى وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن وعبد الرحمن بن مهدي وقتادة وعبد الرحمن بن سابط وعلي.

وثانيها: أن الحسنى واحدة من الحسنات. بوحدة و الزيادة التضعيف إلى تمام العشر قاله ابن عباس وعلقمة بن قيس والحسن في رواية.

ثالثها: أن الزيادة ما أعطوا في الدنيا وهو قول ابن زيد وابن عباس في رواية.

حكاهما جميعا ابن جرير ورجح أولها.

قال مقيده: ونحن نرجح ما قاله الصديق ومن وافقه لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن صهيب رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ تلى هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟، ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة؟ ويمرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم). والآية المشار إليها هي ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾. الآية.

١٣- ﴿الكبرياء﴾ الملك].

ش: رواه ابن جرير حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ قال: الملك. وأخرج عن
الضحاك قال الطاعة ثم قال بعد ذلك وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني وذلك
أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب
ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك.
والآية المشار إليها: ﴿قالوا أجتنا تلفتنا عمّا وجدنا عليه ءآباءنا وتكون
لكما الكبرياء في الأرض﴾.

١٧١- [باب ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنتم أنه لا إله إلا الذي ءامنتم به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه ﴿فأتبعهم فرعون﴾ يقول فتبعهم فرعون ﴿وجنوده﴾ يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد ﴿بغيا﴾ على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسرائيل ﴿وعدوا﴾ يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدواً، مثل غزا يغزو غزواً ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ يقول حتى إذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى إذا أدركه الغرق.

وقوله ﴿ءامنتم أنه لا إله إلا الذي ءامنتم به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة ﴿ءامنتم﴾ يقول أقررت ﴿أنه لا إله إلا الذي ءامنتم به بنوا إسرائيل﴾. اهـ

[﴿ننجيك﴾ نلقيك على نجوة من الأرض وهو النشز المكان المرتفع].

ش: قال أبو عبيدة مجازه نلقيك على نجوة أي ارتفاع ليصير علماً أنه قد غرق. وقال ابن جرير: «والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض ومنه قول أوس بن حجر:

فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح» اهـ

والآية المشار إليها: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن

كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾.

٢٠٠- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشورا فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا.

سيأتي في تفسير سورة طه ضمن الباب رقم تسع وعشرين ومائتين.

آخر سورة يونس والله الحمد والمنة.

سورة هود

١٧٢- بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود.

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

قال بعض أهل العلم هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن أرم بن سام بن نوح

قلت: فهو نبي من نسل نبي ﷺ.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن عقبه بن عامر أن رجلاً قال يا رسول الله شئت قال: شيتني هود وأخواتها قال في الجمع رجاله رجال الصحيح وقال السيوطي رواه الطبراني وابن مردويه بسند صحيح.

وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - سألت النبي ﷺ ما شريك قال سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت. أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب والدارقطني في العلل.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهي قوله ﴿أقم الصلاة طري النهار...﴾ وآياتها ثلاث وعشرون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [قال ابن عباس ﴿عصيب﴾ شديد].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني عليّ قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن عليّ عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن قتادة ومجاهد والآية المشار إليها: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾.

٢- [﴿لا جرم﴾ بلى].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره. والآية المشار إليها: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾. ٣- [وقال غيره ﴿وحاق﴾ نزل].

ش: قلت: يعني غير ابن عباس والقائل هو أبو عبيدة وزاد «بهم وأصابتهم» والآية المشار إليها: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يجسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾. ٤- [﴿يحيق﴾ : ينزل].

ش: قلت: والآية المشار إليها: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾. وقد ذكرها المصنف رحمه الله استشهداً لما قبلها. ٥- [﴿يؤوس﴾ فعول من يئست].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها: ﴿ولئن أذقنا الإنس من رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور﴾.

٦- [وقال مجاهد: ﴿تبتس﴾ تحزن].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فلا تبتس قال لا تحزن. كما أخرجه عن ابن

عباس وقتادة

والآية المشار إليها ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتس بما كانوا يفعلون﴾.

٧- [يشنون صدورهم] شك وامتزاء في الحق ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله إن استطاعوا].

ش: رواه ابن جرير: حدثني المثني قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿ألا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾.

٨- [وقال أبو ميسرة الأواه الرحيم بالحشية].

ش: أخرجه ابن جرير عند تفسير الآية الرابعة عشرة بعد المائة من سورة براءة: حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: الأواه الرحيم.

والآية المشار إليها: ﴿إن إبراهيم حليم أواه منيب﴾.

٩- [وقال ابن عباس: ﴿بادئ الرأي﴾ ما ظهر لنا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم قال ثنا الحسين ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وقال أبو عبيدة ﴿بادئ الرأي﴾ مهموز لأنه من بدأت عن أبي عمرو. ومعناه أول الرأي، ومن لم يهمز جعله ظاهر الرأي من بدا يبدو وقال الراجز وقد علتني ذرأة بادي بدي فلم يهمز جعلها من بدا الذارة الشَّمط القليل في السواد، ملح ذراني الكثير البياض وكبش اذراً، ونعجة ذرءاء في أذنها بياض شبه النمش.

والآية المشار إليها ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً

مَثَلْنَا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴿١٠﴾.

١٠- [وقال مجاهد ﴿الجودي﴾ جبل بالجزيرة].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وبه قال سفيان وقال قتادة هو جبل بالموصل وقال ابن عباس: على الجبل واسمه الجودي.

قلت: وهذه الأقوال قد اتفقت كما ترى على أن الجودي اسم جبل وإنما اختلفت في موضعه ولعل البخاري اختار قول مجاهد لأنه قول الأكثر.

والآية المشار إليها: ﴿وقيل يارض ابلعي ماءك ويسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾.

١١- [وقال الحسن ﴿إنك لأنت الحليم﴾ يستهزؤون به].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي المليح عن الحسن البصري بهذا وأراد الحسن أنهم قالوا له ذلك على سبيل الاستعارة التهكمية قاله في الفتح ٤٥٠/٦.

والذي وجدته عند ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا المنذر بن شاذان عن زكريا بن عدي عن أبي المليح عن ميمون بن مهران في قول الله ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ قال هزواً.

وأخرجه ابن جرير عن ابن جريج وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا يشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد﴾.

١٢- [وقال ابن عباس ﴿اقلعي﴾ امسكي].

ش: وصله ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ويا سماء اقلعي﴾ يقول أمسكي.

وروي عن قتادة نحو ذلك.

والآية المشار إليها قد مضت ضمن الأثر رقم عشرة.

١٣- ﴿وفار التنور﴾ نبع الماء.

ش: أخرجه ابن أبي حاتم ثني أبي عن أبي صالح حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وفار التنور﴾ يقول نبع. وأخرجه ابن جرير عنه من وجه آخر قال: التنور وجه الأرض قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

١٤- وقال عكرمة: وجه الأرض.

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن إدريس قال أخبرنا الشيباني عن عكرمة في قوله ﴿وفار التنور﴾ قال وجه الأرض. وقال الحسن ومجاهد وهو رواية عن ابن عباس هو التنور الذي يختبئ فيه أخرجه عنهم ابن جرير واختاره.

والآية المشار إليها: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾.

١٧٣- [باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين

يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليهم بذات الصدور﴾.

ش: في معنى قوله تعالى ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين

يستغشون ثيابهم﴾ خمسة أقوال لأهل التفسير:

أولها: أنه من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ غطى وجهه

وثنى ظهره وبه قال عبد الله بن شداد.

وثانيها: أنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله وضناً أن الله يخفى عليه ما

تضمه صدورهم إذا فعلوا ذلك وبه قال مجاهد والحسن وأبو رزين.

وثالثها: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله وهو قول قتادة.

ورابعها: إنما هذا إخبار من الله نبيه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون

له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة.

وخامسها: وهو قول ابن زيد وابن عباس أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا

ناجى بعضهم بعضاً.

حكاهما ابن جرير واختار تأويل من قال أنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم

بالله.

قوله ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء

الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا خنوها على ما

فيها وثنوها وما تساجوه بينهم فأخفوا وما يعلنون سواء عنده سرائر عبادته

وعلايتهم.

قوله ﴿إنه عليهم بذات الصدور﴾ وجملة إنه عليهم بذات الصدور تعليل لما

قبلها وتقرير له وذات الصدور هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور وقيل هي

القلوب والمعنى أنه عليهم بجميع الضمائر أو عليهم بالقلوب وأحوالها في الأسرار

والإظهار فلا يخفى عليه شيء من ذلك.

٢٠١- حدثنا الحسن بن محمد بن محمد بن صباح^(١) حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر^(٢) أنه سمع ابن عباس يقرأ (ألا إنهم تنوني صدورهم) قال: سألتها عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.

٢٠٢- حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج وأخبرني محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ (ألا إنهم تنوني صدورهم) قلت يا أبا العباس ما تنوني صدورهم؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت (ألا إنهم تنوني صدورهم).

٢٠٣- حدثنا الحميدي^(٣) حدثنا سفيان حدثنا عمرو^(٤) قال قرأ ابن عباس ﴿ألا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ وقال غيره عن ابن عباس يستغشون يغطون رؤوسهم.

ش: قلت اتفق الخبير الأول والثاني علي أن نزول الآية فيمن كانوا يستحيون أن يفضوا بعوراتهم إلى السماء حين التخلى أو حين الجماع وعليه فإن الآية دليل علي أنه لا حرج من الإفضاء بالعورة إلى السماء في هذين الحالين وقوله تنوني علي وزن تفعلول وإعراب الصدور فاعلا هو قراءة عكرمة أيضاً أخرج ذلك ابن جرير واختار قراءة العامة وهي يشنون.

(١) الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي صاحب الشافعي وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه ثقة من العاشرة مات سنة ستين ومائتين أو قبلها بسنة. خ. ٤.

(٢) محمد بن عباد بن جعفر بن مخزوم المخزومي المكي ثقة من الثالثة. ع.

(٣) الحميدي هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي ثقة حافظ فقيه من العاشرة مات بمكة سنة تسع عشرة [ومائتين] وقيل بعدها. خ. م. د. ت. س. فق.

(٤) أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست وعشرين ومائة. ع.

وقوله في الخبر الثالث «وقال غيره» أي غير عمرو بن دينار. وقد أخرجه ابن أبي حاتم ثنا أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يقول يغطون رؤوسهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ ساء ظنه بقومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ بأضيافه.

ش: أخرجه ابن جرير ثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لَوْطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾. يقول ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه.

والآية المشار إليها سبق ذكرها في الباب قبله ضمن الأثر رقم واحد.

٢- ﴿بَقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ بسواد.

ش: رواه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله بقطع من الليل سواد من الليل. وأخرجه عن قتادة قال: بطائفة من الليل أي سواده.

والآية المشار إليها: ﴿قَالُوا يَا لَوِطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَاهُكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مَصِيحُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعَدُهُمُ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣- [وقال مجاهد: ﴿أَنْيَبٌ﴾ أرجع].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَالِيهِ أَنْيَبٌ﴾ قال: أرجع.

والآية المشار إليها: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْيَبٌ﴾.

١٧٤- باب قوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

ش: قلت الآية ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾.

قوله ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾. يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك وأخرج الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخاري عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا بشري يا بني تميم قالوا: قد بشرتنا فأعطينا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا بشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي رواية أنهم قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض.

قوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ اللام متعلقة بخلق أي خلق هذه المخلوقات ليبلي عبادهم بالإعتبار والتفكير والإستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء أيهم أحسن عملا فيما أمر به ونهى عنه فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ويوفر الجزاء لمن كان أحسن عملا من غيره ويدخل في العمل الإعتقاد لأنه من أعمال القلب.

قوله ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولئن

قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيني ليقولن إن هذا إلا سحر مبين أي ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر.

من فقه الآية:

أولاً: عظيم قدرة الله عزوجل.

ثانياً: سبق العرش في الخلق للسموات والأرض كما دلت عليه السنة التي ذكرناها في معنى الآية.

ثالثاً: ليست العبرة بكثرة العمل وحدها بل بإحسانه وهو أن يكون خالصاً لله صواباً على سنة رسوله ﷺ.

رابعاً: وجوب الإيمان بالبعث والجزاء وأن منكر ذلك كافر.

٢٠٤- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يغيض ما في يده وكان عرشه على الماء ويده الميزان يخفض ويرفع.

ش / فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «قال الله عزوجل» في رواية سفيان قال «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم» وفي رواية همام بن منبه «إن الله قال لي» وكلتاها عند مسلم في الزكاة باب الحث على النفقة، والجامع بينهما أن توجيه الخطاب للنبي ﷺ لكونه الواسطة في التشريع وتوجيه الخطاب لغيره من بني آدم لكونهم المأمورين.

الثانية: قوله «أنفق أنفق عليك» فيه التحريض على النفقة، واجبة كانت أو مندوبة ووعده الله على ذلك بالإنفاق على المنفق يتضمن الخلف له وهو في الدنيا بالزيادة والبركة في ماله وفي الآخرة بالأجر، وفي الحديث الصحيح «ما من يوم

يصبح فيه العباد إلا وملكاً ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً...»
الحديث.

الثالثة: قوله «يد الله ملأى» بفتح الميم وسكون اللام وهمزة مع القصر
تأنيث ملآن ووقع بلفظ «ملآن» في رواية لمسلم في الزكاة ووجهها بعضهم بإرادة
اليمن فإنها تذكر وتؤنث وكذلك الكف

الرابعة: قوله «لا يغيضها» بالمعجمتين بفتح أوله أي لا ينقصها، يقال غاض
الماء يغيض إذا نقص

الخامسة: قوله «سحاً» بفتح المهملتين مثقل ممدود أي دائمة الصب يقال
سح بفتح أوله مثقل يسح بكسر السين في المضارع ويجوز ضمها وضبط عند
مسلم «سحاً» بلفظ المصدر.

السادسة: قوله «الليل والنهار» بالنصب على الظرف أي فيهما ويجوز
الرفع ووقع في رواية لمسلم «سح الليل والنهار» بالإضافة وفتح الحاء ويجوز
ضمها.

السابعة: قوله «أرأيتم ما أنفق» أي أحرروني والمراد به التبيه على وضوح
ذلك لمن له بصيرة.

الثامنة: قوله «منذ خلق السموات والأرض» في التوحيد من هذا الوجه
«منذ خلق الله» وكذا في رواية همام.

التاسعة: قوله «فإنه لم يغيض» أي ينقص ووقع في رواية همام عند مسلم
«لم ينقص ما في يمينه قال الحافظ: قال الطيبي: يجوز أن تكون ملأى ولا يغيضها
«وسحاء وأرأيت» أخباراً مترادفة ليد الله ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافاً للملأى
ويجوز أن يكون «أرأيتم» استئنافاً فيه معنى الترقى كأنه لما قيل ملأى أوهم جواز
النقصان فأزيل بقوله لا يغيضها شيء وقد يمتلىء الشيء ولا يغيض فليل سحاء

إشارة إلى الغيظ وقرنه بما يدل على الإستمرار من ذكر الليل والنهار ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذي بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله أرأيتم على تطاول المدة لأنه خطاب عام والهمزة فيه للتقرير قال وهذا الكلام إذا أخذته بجملته من غير نظر إلى مفرداته أبان زيادة الغنى وكمال السعة والنهائية في الجود والبسط في العطاء.

العاشرة: قوله «**كان عرشه على الماء**» مناسبة ذكر العرش هنا أن السامع يتطلع من قوله «**خلق السموات والأرض**» ما كان قبل ذلك فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين المتقدم في شرح الآية بلفظ «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض**».

الحادية عشرة: قوله «**وييده الميزان**» في التوحيد ويده الأخرى وفيه دليل على أن الرب له يدان وقوله الميزان قال الخطابي: الميزان مثل والمراد القسمة بين الخلق وإليه الإشارة بقوله يخفض ويرفع وقال الداودي معنى الميزان أنه قدر الأشياء ووقتها وحددها فلا يملك أحد نفعا ولا ضرا إلا منه وبه وعند المصنف في رواية همام «**ويده الأخرى الفيض أو القبض**» بالشك وعند مسلم «**القبض**» بالجزم.

قال مقيده: فتحصل عندنا من هذه الروايات أن الله جل علاه ينفق كيف يشاء وأنه يخفض ويرفع ويعطي ويمنع وكل ذلك منه بحكمة وعدل، ويحتمل أن يكون المراد بالقبض المنع لأن الإعطاء قد ذكر في قوله قبل ذلك سحاء الليل والنهار، فيكون مثل قوله تعالى ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾ ووقع في حديث النواس بن سميان عند مسلم «**الميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويضع آخرين**» وفي حديث أبي موسى عند مسلم في الإيمان باب إن الله لا ينام «**إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه**» وظاهره أن المراد بالقسط الميزان، وهو مما يؤيد أن

الضمير المستتر في قوله يخفض ويرفع للميزان قال المازري: ذكر القبض والبسط وإن كانت القدرة واحدة لتفهيم العباد أنه يفعل بها المختلفات.

من فقه الحديث:

أولاً: سعة فضل الله وكثرة جوده.

ثانياً: كمال قدرته.

ثالثاً: إثبات اليمين لله ﷻ وهما صفتا ذات حقيقتان.

رابعاً: أن خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿اعتراك﴾ افتعلك من عروته أي أصبته ومنه يعرفه واعتزاني].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد

«تذكر دخلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعرفه اجترأ ومائم» اهـ

والآية المشار إليها: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض اهتتا بسوء قال إني

أشهد الله واشهدوا أني برىء مما تشركون﴾.

٢- ﴿ءأخذ بناصيتها﴾ أي في ملكه وسلطانه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إلا هو في قبضته.

والآية المشار إليها: ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو

ءأخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾.

٣- ﴿عنيد﴾ وعنود وعاند واحد هو تأكيد التجبر].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو العنود أيضاً والعاند سواء وهو الجائر العادل عن

الحق قال الراجز: إني كبير لا أطيق العندا.

يعني الإبل ويقال عرق عاند أي ضار لا يرقأ قال العجاج مما ضرى العرق

به الضري» اهـ

والآية المشار إليها: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾.

٤- [استعمركم] جعلكم عماراً أعمرته الدار فهي عمرى جعلتها له.

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه جعلكم عمار الأرض يقال أعمرته الدار أي جعلتها له أبداً وهي العمرى وأرقبته أسكنته إياها إلى موته» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿والى ثمود أخاهم صالحاً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾.

٥- [نكروهم] وانكروهم واستكروهم واحداً.

ش: قال أبو عبيدة: «نكروهم وانكروهم سواء قال الأعشى:

فأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم

خيفة﴾.

٦- [حميد مجيد] كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد.

ش: قال أبو عبيدة في الآية: «أي محمود ماجد».

وقال ابن جرير: «يقول إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه [مجيد] يقول ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال في فعل منه مجد الرجل يمجد بمجادة إذا صار كذلك وإذا أردت أنك مدحته قلت مجدته [مجيداً]».

والآية المشار إليها: ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم

أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.

٧- [سجيل] الشديد الكبير سجيل وسجين، اللام والنون أختان

وقال تميم ابن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحيةً ضرباً توأصى به الأبطال سجينا. أهـ
 ش: قال أبو عبيدة في الآية: «وهو الشديد من الحجارة الصلب ومن
 الضرب قال ضرباً توأصى به الأبطال سجيلاً.
 وبعضهم يحول اللام نونا كقول النابغة:

بكل مدجج كالليث يسمو على أوصال ذيال رفن
 يريد رفل» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها
 حجارة من سجيل منضود﴾.

٨- ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ إلى أهل مدين لأن مدين بلد ومثله
 ﴿واسأل القرية﴾ واسأل العير يعني أهل القرية وأصحاب العير].

ش: قال أبو عبيدة: «مدين لا ينصرف لأنه إسم مؤنث ومجازه مجاز
 المختصر الذي فيه ضمير وإلى أهل مدين وفي القرآن مثله قال ﴿وسئل القرية﴾
 أي أهل القرية ﴿وسئل العير﴾ أي من في العير» اهـ.

وأخرج ابن جرير عند تفسير الآية الخامسة والثمانين من سورة الأعراف
 عن ابن إسحاق: «أن مدين قبيلة كميم وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبا الذي
 ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا وأنه شعيب بن ميكيل بن يشجر قال
 واسمه بالسريانية بثرون» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يقوم اعبدوا الله ما
 لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾.

٩- ﴿ورآءكم ظهرياً﴾ يقول لم تلتفتوا إليه ويقال إذا لم يقض الرجل
 حاجته ظهرت بحاجتي وجعلتني ظهرياً والظهري ههنا أن تأخذ معك دابة أو
 وعاء تستظهر به].

ش: قال أبو عبيدة: «بجازه ألقيموه خلف ظهركم فلم تلتفتوا إليه ويقال للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهريّة أي خلف ظهرك وقال:

وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر.

أي من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قال يقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط﴾.

١٠- ﴿أرادلنا﴾ سقاطنا].

ش: قال ابن جرير في الآية يقول: «وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف».

والآية المشار إليها مضت ضمن الأثر العاشر من الباب الثاني والسبعين بعد

المائة.

١١- ﴿إجرامي﴾ هو مصدر من أجرمت وبعضهم يقول جرمت

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «تجرم وقال الهيردان السعدي أحد لصوص بني

سعد:

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني».

والآية المشار إليها: ﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا

بريء مما تجرمون﴾.

١٢- ﴿الفلك﴾ والفلك واحد وهي السفينة والسفن].

ش: «قال أبو عبيدة: «الفلك واحد وجميع وهي السفينة والسفن مثل

السلام واحدها السلامة مثل نعام ونعامه وقتاد وقتادة» إنتهى.

وقال ابن جرير: «والفلك هو السفن واحده وجمعه بلفظ واحد ويذكر

ويؤنث».

والآية المشار إليها: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾.

١٣- ﴿مجرها﴾ مَذْفَعُهَا وهو مصدر أجريت وأرست حبست ويُقرأ مَرَسَاهَا من رست هي ومَجْرَاهَا من جرت هي، ومَجْرِيهَا ومرسيتها من فعل بها].
ش: قوله ومجرها قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الميم والإمالة بنون على جريت فهو مصدر جرت دليله قوله تجري بهم ولو حمل على الضم لقال تجريهم وقرأ الباقون بضم الميم وأمال أبو عمرو وقرأ ورش بين اللفظين بنون مصدرا من أجرى وهما لغتان يقال جريت به وأجريته مثل ذهبت به وأذهبته وقد أجمعوا على الضم في مرساها من رست وهم يقولون رست وقد أجمعوا على ﴿الجبال أرساها﴾ النازعات وعلى الضم في ﴿أيان مرساها﴾ الأعراف والضم في الميم في ﴿مجرها﴾ الإختيار لأن الأكثر عليه». قاله مكى في الكشف.

والآية المشار إليها: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾.

١٤- ﴿راسيات﴾ : ثابتات].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى من سورة سبأ «﴿وقدور راسيات﴾ عظام ويقال ثابتات دائمات قال زهير:

وأين الذين يحضرون جفانه إذا قدمت ألقوا عليها المراسيا.
أي أثبتوا عليها» انتهى.

قلت: وليست الكلمة من سورة هود بل هي الآية الثالثة عشرة من سورة سبأ وقد ذكر ذلك استطرادا واستشهادا لما قبله.

١٧٥- باب ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾.

ش: قلت: الآية ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾.

يقول تعالى ذكره: وأي الناس أشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون.

وقوله ﴿ويقول الأشهاد﴾ يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ يقول شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم.

يقول الله ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ وهذا بيان بسوء مصيرهم يوم القيامة وذلك أنّ عليهم من الله اللعنة واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ولازم هذا شدة غضبه وسخطه عليهم.

[واحد الأشهاد شاهد مثل صاحب وأصحاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويقول بعضهم شهيد في معنى شاهد بمنزلة شريف والجميع أشراف» اهـ.

٢٠٥- حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة عن صفوان بن محرز^(١) قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال:

(١) صفوان بن محرز بن زياد المازني أو الباهلي ثقة عابد من الرابعة مات سنة أربع وسبعين. [ومائة] خ. م. ت. س. ق.

يا أبا عبد الرحمن أو قال: يا ابن عمر سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول: ((يُذني المؤمنُ من ربه وقال هشام يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: ربُّ أعرف مرتين فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)).

وقال شيبان عن قتادة حدثنا صفوان.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل» في المظالم باب قوله تعالى ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ من رواية همام عن قتادة عن صفوان قال «بينما أنا أمشي مع ابن عمر أخذ بيده» وفي الأدب باب ستر المؤمن على المؤمن «أن رجلا سأل ابن عمر» ولم يعرف السائل قال الحافظ: لكن يمكن أن يكون هو سعيد بن جبير فقد أخرج الطبراني من طريقه قال «قلت لابن عمر حدثني» فذكر الحديث.

الثانية: قوله «سمعت النبي ﷺ في النجوى؟» وفي الأدب «كيف سمعت؟» والنجوى هي ما تكلم به المرء يُسمع نفسه ولا يُسمع غيره أو يُسمع غيره سرا دون من يليه قال الراغب: «ناجيته إذا ساررته وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجاة وهي أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه والنجوى أصله المصدر وقد يوصف بها فيقال هو نجوى وهم نجوى» والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين.

الثالثة: قوله «يدني المؤمن من ربه» وفي الأدب «يدنو أحدكم من ربه» وفي رواية سعيد بن أبي عروبة «يدنو المؤمن من ربه» والمعنى يقرب منه وهذا

القرب على حقيقته والمقرب هو الله سبحانه وتعالى كما هو مصرح به في المظالم من رواية همام «إن الله يدني المؤمن».

الرابعة: قوله «حتى يضع عليه كنفه» وفي الأدب «حتى يضع كنفه» والكنف بفتحين الجانب، والجمع أكناف مثل سبب وأسباب واكتنفه القوم كانوا منه بمنة ويسرة والكنيف الساتر وسمي الترس كنيفاً لأنه يستر صاحبه قاله في المصباح.

قلت: ويبدو لي أن الكنف في الحديث شيء يستر الله به عبده المؤمن حين مناجاته له حتى لا يراه الناس يوضحه ما وقع في رواية سعيد بن جبير بلفظ «يجعله في حجاب» زاد في رواية همام «وستره».

الخامسة: قوله «فيقرره بذنوبه» وفي الأدب «فيقول عملت كذا وكذا» وفي رواية همام فيقول «أتعرف ذنب كذا وكذا» وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبراني «فيقول له إقرأ صحيفتك فيقرأ ويقرره بذنب ذنب ويقول أتعرف أتعرف».

السادسة: قوله «يقول رب أعرف» وفي الأدب «فيقول نعم» وفي رواية همام «أي رب».

السابعة: قوله «فيقول سترتها في الدنيا» وفي الأدب «ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وفي رواية سعيد بن جبير «فيلتفت بمنة ويسرة فيقول: لا بأس عليك إنك في سرتي لا يطلع على ذنوبك غيري».

الثامنة: قوله «ثم تطوى صحيفة حسناته» وفي المظالم «فيعطى كتاب حسناته» وفي رواية سعيد بن جبير «أذهب فقد غفرتها لك».

التاسعة: قوله «وأما الآخرون أو الكفار» ووقع عند الثلاثة «وأما الكافر والمنافق» ول بعضهم «الكفار والمنافقون» قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من

أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحداً إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة حكاه الحافظ.

قلت: واعلم أن هذا فيما بين العبد وربّه أما ما كان بين العباد فإنه لا بد فيه من المقاصة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم.

العاشرة: قوله «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» قلت: هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه في تفسير الآية وقول البخاري: «وقال شيبان عن قتادة... الخ» ليثبت سماع قتادة من صفوان.

من فقه الحديث:

أولاً: فضل الله على أهل الإيمان بستر ذنوبهم عن الناس يوم القيامة ومغفرتها.

ثانياً: إثبات الكنف لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: فضح الكفار والمنافقين يوم القيامة بذنوبهم.

١٧٦- باب [قوله ﴿وَكذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتها به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله وإشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله ﴿إِن أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾ يقول إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم يقول موجع شديد الإيذاء وهذا أمر من الله وتحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حل بهم من المثالات. اهـ. من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ العون المعين، رفته أعتته.

ش: قال أبو عبيدة: «بجازه مجاز العون المعان يقال رفته عند الأمير أي أعتته وهو من كل خير وعون وهو مكسور الأول وإذا فتحت أوله فهو القدح الضخم قال الأعشى:

رب رقد» اهـ.

وقال ابن جرير: وأصل الرقد العون يقال منه رقد فلان فلاناً عند الأمير يرفده رقداً بكسر الراء، ويقال رقد فلان حائطه وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط والرقد بفتح المصدر يقال منه رفته يرفده رقداً، والرقد اسم الشيء الذي يعطاه الإنسان وهو المرفد.

والآية المشار إليها: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْسُ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾.

٢- ﴿تَرَكْنُوا﴾ تَمِيلُوا [

ش: قال أبو عبيدة: «أي لا تعدلوا ولا تنزعوا إليهم ولا تميلوا، ويقال

ركنت إلى قولك أي أردته وأحببته وقبلته» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾.
 ٣- ﴿فلولا كان﴾ فهلا كان].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾.
 ٤- ﴿أترفوا﴾ اهلكوا].

ش: قلت هذا تفسير باللازم لأن لازم إتراف القوم وإسرافهم على أنفسهم إهلاكهم وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ما أترفوا فيه﴾ أي ما تجحروا وتكبروا عن أمر الله وصدوا عنه وكفروا قال:
 تُهدي رؤوس المترفين الصلّاد إلى أمير المؤمنين الممتاد الممتاد من ماد يميد. اهـ.

قلت: وهو قول مجاهد وقال ابن عباس وقتادة «ما أنظروا فيه»

أخرج القولين كليهما ابن جرير ١٣٩/٧

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿زفير وشهيق﴾ شديد وصوت ضعيف].

ش: قلت أخرج ابن جرير: حدثنا المثني قال ثنا أبو صالح ثني معاوية عن

علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا ابن أبي حاتم عن أبي صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به

وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقال قتادة: صوت الكافر في

النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق. أخرجه عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾.

٢٠٦- حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا أبو معاوية حدثنا بريد ابن أبي بردة^(١) عن أبي بردة^(٢) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. قال ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «إن الله ليملي» في رواية ابن نمير عند مسلم في السير والصلة باب تحريم الظلم «إن الله عز وجل يملي» وعند الترمذي في تفسير الآية من رواية أبي كريب «إن الله تبارك وتعالى يملي وربما قال يمهل» قلت: ولا يضر الشك ههنا لأن الإملاء والإمهال بمعنى واحد.

الثانية: قوله «للظالم» يحتمل أن المراد به عموم الظلمة كفاراً كانوا أو فساقاً لكن ظاهر الإستهناد بالآية يؤيد الأول.

الثالثة: قوله «حتى إذا أخذه لم يفلته» وعند مسلم من رواية ابن نمير «فإذا أخذه» وقوله «لم يفلته» لم يخلصه وفي الحديث دليل على أنه لا خلاص للظالم ولا نجاة له من عقوبة الله إذا وقعت عليه.

الرابعة: قوله «ثم قرأ» هو النبي ﷺ كما هو الظاهر من لفظ الحديث وفيه جواز الإستهناد للسنة من القرآن تأكيداً للمعنى.

الخامسة: قوله «وكذلك أخذ ربك» هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

(١) هو بريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الكوفي ثقة يخطيء قليلاً من السادسة. ع.

(٢) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحارث ثقة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك جاز الثمانين. ع.

١٧٧- [باب قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾].

ش: قوله «﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل﴾» يقول تعالى ذكره لبيبه محمد ﷺ وأقم الصلاة يا محمد يعني صل طرفي النهار يعني الغداة والعشي وأما قوله ﴿وزلفا من الليل﴾ فإنه يعني ساعات من الليل وهي جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة». اهـ من ابن جرير.

قوله ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ أي إن الحسنات على العموم ومن جملتها بل عمادها الصلاة يذهبن السيئات على العموم وقيل المراد بالسيئات الصغائر ومعنى يذهبن السيئات أي يكفرنها حتى كأنها لم تكن.

قال مقيده: وهذا الأخير هو الذي ينبغي المصير إليه لقوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ فالآية نص في أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

قوله ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ يعني به ما ذكر قبله وهو يتضمن شيئين أولهما: الأمر بإقام الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وثانيهما: الإخبار أن الحسنات يذهبن السيئات فيه موعظة لمن تذكر واتعظ.

[﴿وزلفا﴾ ساعات بعد ساعات ومنه سميت المزدلفة، الزلف منزلة بعد منزلة، وأما ﴿زلقى﴾ فمصدر من القربى، إزدلفوا اجتمعوا، أزلفنا جمعنا].

ش: قال نحوه أبو عبيدة وزاد قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طي الليالي زلفاً فرلفا.

وقول البخاري «زلقى» هي من سورة ص و «أزلفنا» من سورة الشعراء

وقد ذكر الكلمتين على سبيل الإستطراد.

٢٠٧- حدثنا مسدد حدثنا يزيد - هو ابن زريع - حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان^(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طويلاً﴾ وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴿﴾ قال الرجل: ألي هذه؟ قال لمن عمل بها من أمتي.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله ﴿إن رجلاً﴾ ليس له تسمية في هذا الحديث وعند ابن جرير في تفسير الآية من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: جاء فلان ابن معتب الأنصاري فقال: يا رسول الله دخلت على امرأة فملت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أنني لم أجامعها.

الثانية: قوله ﴿أصاب من امرأة قبله﴾ في رواية معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عند مسلم في التوبة باب قوله تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ ﴿فذكر أنه أصاب من امرأة قبله أو مسأ يبد أو شيئاً كأنه يسأل عن كفارة ذلك﴾. وعند عبد الرزاق في التفسير عن معمر عن سليمان التيمي بإسناده ﴿ضرب رجل على كفل امرأة﴾ الحديث. وفي رواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن علقمة والأسود عن ابن مسعود ﴿جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أنني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، فافعل بي ما شئت﴾ الحديث. قال الحافظ: ﴿وذكر بعض الشراح في اسم هذا الرجل نهبان التمار، وقيل

(١) هو عبد الرحمن بن مل بلام مثقلة والميم مثلثة أبو عثمان النهدي مشهور بكنيته مخضرم من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر. ع.

عمرو بن غزية وقيل أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية وقيل عامر بن قيس وقيل عباد».

الثالثة: قوله «فأتى رسول الله ﷺ» في رواية عبد الرزاق في تفسيره أنه أتى أبا بكر وعمر أيضاً، وقال فيها «فكل من سأله عن كفارة ذلك قال: أمعزبة هي؟ قال نعم. قال لا أدري. حتى أنزل» فذكر بقية الحديث. وهذه الزيادة وقعت في حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس عند أحمد في المسند. معناه دون قوله لا أدري.

الرابعة: قوله «فأنزلت عليه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ...﴾» قلت هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم في تفسير الآية أول الباب.

الخامسة: قوله «قال الرجل ألي هذه؟» أي الآية يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي. وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك. ولأحمد والطبراني من حديث ابن عباس «قال يا رسول الله ألي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب عمر صدره وقال: لا ولا نعمة عين، بل للناس عامة، فقال النبي ﷺ صدق عمر» وفي حديث أبي اليسر عند الترمذي والنسائي في تفسير الآية «فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة» وفي رواية إبراهيم النخعي عند مسلم «فقال معاذ يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة» والجمع بينهما بتعدد السائلين عن ذلك وقوله «ألي» بفتح الهمزة استفهاماً، وقوله «هذا» مبتدأ تقدم خبره عليه، وفائدته التخصيص.

السادسة: قوله «قال لمن عمل بها من أممي» في الصلاة من هذا الوجه بلفظ «قال لجميع أممي كلهم» قلت وفيه دليل على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتمسك بظاهر قوله «إن الحسنات يذهبن السيئات» المرجحة وقالوا: إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح «أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما احتببت

الكبائر».

قال الحافظ: وقال ابن عبد البر: ذهب بعض أهل العصر إلى أن الحسنات تكفر الذنوب، واستدل بهذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث الظاهرة في ذلك قال: ويرده الحث على التوبة في أي كبيرة، فلو كانت الحسنات تكفر جميع السيئات لما احتاج إلى التوبة. واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحث في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزير عما أتى شيئاً منها وجاء تائباً نادماً. انتهى من الفتح.

آخر سورة هود والحمد لله.

سورة يوسف

١٧٨- بسم الله الرحمن الرحيم
سورة يوسف.

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿إِذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِي إِنَّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وهي مكية كلها،
وقال ابن عباس في رواية عنه وعن قتادة إلا أربع آيات، وعدد آياتها أحد عشرة
ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال فضيل عن حصين عن مجاهد «متكأ» الأترج قال فضيل الأترج بالحيشية متكأ].

ش: رواه ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أحمد بن عبد الله بن يوسف عن فضيل بن عياض عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿وَأَعْتَدتْ لَهُنَّ مُتَكَأً﴾ قال: الأترج.

وأخرج ابن جرير: «ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: من قرأ ﴿مَتَكَأً﴾ فهو الطعام ومن قرأ ﴿مَتَكَأً﴾ فحفضها فهو الأترج».

وأخرج عن عطية والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة وعكرمة وابن زيد قالوا المتكأ الطعام.

٢- [وقال ابن عيينة عن رجل عن مجاهد: متكأ كل شيء قطع بالسكين]

قال الحافظ: هكذا رويناه في تفسير ابن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي بهذا.

والآية المشار إليها: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدتْ لَهُنَّ مُتَكَأً..﴾ الآية.

٣- [وقال قتادة: ﴿لذو علم لما علمناه﴾ عاملٌ بما علم].

ش: رواه ابن جرير: ثنا المثني ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة به.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤- [وقال سعيد بن جبير ﴿صواع﴾ مَكَّوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب به الأعاجم].

ش: رواه ابن جرير: ثني المثني ثنا الحجاج بن منهال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير به

والآية المشار إليها: ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿تفندون﴾ تجهلون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثني وعلي بن داود قالوا: ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وهذا أحد أقوال ثلاثة.

ثانيها: معناه لولا أن تكذبون وبه قال سالم والسدي وهو الرواية الثانية عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن عباس.

وثالثها: معناه تهرمون وبه قال مجاهد في الرواية الثالثة. والحسن. واختار ابن جرير أنه الإفساد فقال: وقد بينا أن أصل التفنيد الإفساد، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهزم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد، لأن أصل ذلك كله الفساد، والفساد في الجسم الهزم وذهاب العقل والضعف وفي الفعل الكذب واللوم بالباطل.

والآية المشار إليها: ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إنني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾.

٦- [وقال غيره ﴿غيابة﴾ كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيابة، والجب الركية التي لم تطو].

ش: قاله أبو عبيدة «وزاد في الأول قال المتخل بن سبيع العنبري:

فإن أنا يوم غيبتني غيابتي فسيروا مسيري في العشرة والأهل.
وزاد في الثاني: قال الأعشى:

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم» اهـ
والآية المشار إليها: ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت
الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾.

٧- ﴿بمؤمن لنا﴾ بمصدق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ولا مقر لنا أنه صدق.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند
متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾.

٨- ﴿أشده﴾ قبل أن يأخذ في النقصان يقال بلغ أشده وبلغوا أشدهم،
وقال بعضهم: واحدها شد].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه إذا بلغ منتهى شبابه وحده وقوته من قبل أن
يأخذ في النقصان وليس له واحد من لفظه. وقوله «وقال بعضهم واحدها شد»
قلت هو الكسائي.

والآية المشار إليها: ﴿ولما بلغ أشدهء اتيناه حكما وعلما﴾.

٩- ﴿والمتكأ﴾ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام، وأبطل الذي
قال الأترج، وليس في كلام العرب الأترج، فلما احتج عليهم بأن المتكأ من
غمارق، فروا إلى شر منه فقالوا: إنما هو المتك ساكنة التاء، وإنما المتك طرف
البظر، ومن ذلك قيل لها متكاء وابن المتكاء، فإن كان ثم أترج فإنه بعد
المتكأ].

ش: قلت: مضت الكلمة برقم واحد وكان حق هذا التفسير أن يقع
هناك. وأما المتكأ فقال أبو عبيدة في الآية ﴿وأعتدت هن متكأ﴾ أفعلت من العتاد

ومعناه: اعدت له متكأ أي نمرقا تتكىء عليه وزعم قوم أنه الأترج وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه ويقال: ألق له متكأ.

وقوله «ليس في كلام العرب الأترج» يريد أنه ليس في كلام العرب تفسير المتكأ بالأترج قال صاحب المطالع: وفي الأترج ثلاث لغات، ثانيها بالنون وثالثها مثلها بحذف الهمزة وفي المفرد كذلك، وعند بعض المفسرين اعتدت لهن البطيخ والموز، وقيل كان مع الأترج عسل، وقيل كان للطعام المذكور بزمورد لكن ما نفاه المؤلف رحمه الله تبعاً لأبي عبيدة، قد أثبتته غيره، وقد روى عبد بن حميد من طريق عوف الأعرابي حديث ابن عباس أنه كان يقرأها متكأ مخففة ويقال هو الأترج، وقد حكاه الفراء وتبعه الأخفش وأبو حنيفة الدينوري والقالبي وابن فارس وغيرهم كصاحب «المحكم» و «الجامع» و «الصحاح» وفي الجامع المتكأ ما تبقىته الخاتنة بعد الختان من المرأة، والمتكأ التي لم تخن، وعن الأخفش المتكأ الأترج.

تنبيه:

«متكأ بضم أوله وسكون ثانيه وبالتنوين على المفعولية هو الذي فسره مجاهد وغيره بالأترج أو غيره وهي قراءة، وأما القراءة المشهورة فهو ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها كما جرت به عادة الأكابر عند الضيافة، وبهذا التقرير لا يكون بين النقلين تعارض». انتهى من الفتح ٣٥٩/٨.

١٠- [شغفها] : يقال بلغ شغفها ، وهو غلاف قلبها ، وأما شغفها

فمن المشعوف [

ش/قال أبو عبيدة : ﴿ قد شغفها حباً ﴾ أي قد وصل الحب إلى شغاف

قلبها وهو غلافه ، قال النابغة الذبياني :

ولكنّهما دون ذلك والحبّ مكان الشغاف بتغيه الأصابع

ويقرؤه قوم (قد شغفها) : وهو من المشعوف . أهـ

وفي الفتح : أي وصل الحب إلى شغاف قلبها وهو غلافه ، قال ويقراه قوم (شعفها) أي بالعين المهملة وهو من الشعوف . أهـ
والذي قرأها بالمهملة : أبو رجاء والأعرج وعوف . رواه الطبري
ورويت عن علي والجمهور بالمعجمة ، يقال : فلان مشغوف بفلان إذا بلغ
الحب أقصى المذاهب ، وشعاف الجبال أعلاها ، والشغاف بالمعجمة : حبة
القلب ، وقيل علقه سوداء في صميمه ، وروى عبد بن حميد من طريق قرّة عن
الحسن قال : الشغف - يعني بالمعجمة - : أن يكون قُذِفَ في بطنها حبه ،
والشعف بالعين المهملة البغض وبالمعجمة الحب ، وغلّطه الطبري ، وقال : إن
الشعف بالعين المهملة بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجله ذو علم بكلامهم . أهـ
١١- ﴿أَصْبُ﴾ : أَمِلَ صَبَا مَالٍ .

ش: قال أبو عبيدة: «أي أهواهن وأميل إليهن قال يزيد بن ضبه:
إلى هند صبا قلبي وهند مثلها تصبي.

وقال:

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالأنعمين حدوج» انتهى.
والآية المشار إليها: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا
تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.

١٢- ﴿أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ﴾ ما لا تأويل له، والضغث مل اليد من حشيش
وما أشبهه، ومنه ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ لا من قوله أضغاث أحلام واحدها
ضغث].

ش: قاله أبو عبيدة مع اختلاف يسير وزاد: قال عوف بن الجزع التيمي:
وأسفل مني نهدة قد ربطتها وألقيت ضغثا من خلى متطيب.
أي تطيب لها أطايب الحشيش.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام

بعلين ﴿﴾.

١٣- ﴿غَيْر﴾ من الميرة].

ش: قال أبو عبيدة: من مرت غير ميرأوهي الميرة أي نأتيهم ونشتري لهم
طعومهم قال أبو ذؤيب:

أتى قرية كانت كثيراً طعامها كرفع الثراب كل شيء يميها.

والآية المشار إليها: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم
قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا وغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير﴾

١٤- ﴿ونزداد كيل بعير﴾ ما يحمل بعير].

ش: قال أبو عبيدة: أي حمل بعير يكال له ما حمل بعير.

١٥- ﴿آوى إليه﴾ ضم إليه].

ش: قال أبو عبيدة وهو يزوي إليه إيواء أي ضمه إليه. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا
أخوك فلا تبتس بما كانوا يعملون﴾.

١٦- ﴿السقاية﴾ مكيال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يكال به ويشرب فيه. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم
أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾.

١٧- ﴿تفتأ﴾ لا تزال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: تذكره قال أوس بن حجر:

فما فتئت خيلٌ تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع.

أي فما زالت قال خدش بن زهير:

وأبرح ما أدام الله قومي بحمد الله منتطقاً مُحيداً. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا تالله تفتوا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾.

١٨- ﴿حرضاً﴾ محرضاً يذريك اهم].

ش: قال أبو عبيدة: والحرض الذي أذابه الحزن أو العشق وهو في موضع محرض قال: كأنك ضم بالأطباء محرض.
وقال العرجي:

إني امرؤ لج بي حبّ فأحرضني حتى بكيت وحتى شفني السقم.
أي أذابني فتبقى محرضاً. اهـ.

١٩- ﴿تحسسوا﴾ تخبروا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والتمسوا في المضان. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.
٢٠- ﴿مزجاة﴾ قليلة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحاجة غير مزجاة من الحاج. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾.

٢١- ﴿غاشية من عذاب الله﴾ عامة مجللة].

ش: قال أبو عبيدة الكلمة الأخيرة منه وفي المصباح يقال جللت الشيء إذا غطيته والجلي فعلى الأمر الشديد والخطب القطيع. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾.

٢٢- ﴿استياسوا﴾ يسوا].

ش: قال أبو عبيدة: استفعلوا من يئست.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

٢٣- ﴿لا تياسوا من روح الله﴾ معناه الرجاء].

ش: روى ابن أبي حاتم عن قتادة «ولا تياسوا من روح الله أي من رحمة

الله».

وأخرج ابن جرير عن السدي وابن زيد «من روح الله» من فرج الله

قلت: وليس بين هذه العبارات وبين عبارة المصنف إختلاف في المعنى.

٢٤- ﴿خلصوا نجيا﴾ اعتزلوا نجيا، والجميع أنجية].

ش: قال أبو عبيدة: أي اعتزلوا نجياً يتناجون، والنجى يقع لفظه على

الواحد والجميع أيضاً وقد يجمع، فيقال نجى وأنجية قال لبيد:

وشهدت أنجية الأفافة عالياً كعبي وأرداف الملوك شهود.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

١٧٩- [باب قوله ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾].

ش: قلت الآية ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم﴾.

قوله ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قص عليه رؤياه ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ وهكذا يجتبيك ربك، يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجوداً فكذلك يصطفيك ربك.

وقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك كما تدل عليه هذه الرؤيا التي أراك الله، أو يجمع لك بين خيري الدنيا والآخرة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ وهم قرابته من إخوته وأولاده ومن بعدهم، وذلك أن الله سبحانه أعطاهم النبوة كما قاله جماعة من المفسرين، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخول مصر من النعم التي من جملتها كون الملك فيهم مع كونهم أنبياء. ﴿كما أتمها على أبويك﴾ أي إتماماً مثل إتمامها على أبويك، وهي نعمة النبوة عليهما مع كون إبراهيم اتخذ الله خليلاً، ومع كون إسحاق نجاة الله سبحانه من الذبح - قلت والتحقيق أن الذبيح هو إسماعيل ﷺ - وصار لهما الذرية الطيبة وهم يعقوب ويوسف وسائر الأسباط ومعنى «من قبل» من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه أو من قبلك، وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك، وغير عنهما بالأبوين مع كون أحدهما جداً، وهو إبراهيم، لأن الجد أب. ﴿إن ربك عليم﴾ بكل شيء. ﴿حكيم﴾ في كل أفعاله، والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وتعليلاً له، أي فعل ذلك لأنه عليم حكيم وكان هذا كلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبيراً لرؤياه على طريق الإجمال، أو علم ذلك من الرحي أو عرفه

بطريق الفراسة.

من فقه الآية

أولاً: إثبات نبوة إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام.
ثانياً: جواز عرض الرؤية الطيبة على أهل الصلاح والفضل لتعبيرها.
ثالثاً: التحدث بنعمة الله ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

٢٠٨- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ش: فيه الثناء على هؤلاء الأنبياء الأربعة ووصفهم بالكرم وكل نبي، الكرم من أبرز صفاته، فمن كرم يوسف ﷺ عفوه عن إخوته وقوله لهم ﴿لا تشرىب عليكم﴾ وقد أمكنه الله منهم، ومن كرم أيه يعقوب ﷺ عفوه عن بنيه مع كيدهم ومكرهم ووعدهم بإيهم بالإستغفار لهم، ومن كرم الخليل ﷺ ما قصه الله عنه مع أضيافه إذ راغ إلى أهله وجاء بعجل سمين.

١٨٠- [باب ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾].

ش: يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستحبرين عنه فإنه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه.
٢٠٩- حدثني محمد أخبرنا عبدة عن عبيد الله^(١) عن سعيد بن أبي سعيد^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.
تابعه أبو أسامة عن عبيد الله.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «سئل رسول الله ﷺ» في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ من رواية المعتمر «قيل للنبي ﷺ» ولم نقف على تسمية السائل.
الثانية: قوله «أي الناس أكرم» وفي رواية المعتمر المذكورة «من أكرم الناس» يعني في الأصل والنسب.

الثالثة: قوله «قال: أكرمهم عند الله أتقاهم» قلت وهذا موافق لقوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولقوله ﷺ «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» فالحديث مع الآية دليل على أن الناس يتفاضلون عند الله على قدر إيمانهم بالله وتقواهم له.

(١) هو أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ثقة ثبت من الخامسة مات سنة بضع وأربعين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقرئ المدني ثقة من الثالثة تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسله مات في حدود العشرين [ومائة] وقيل قبلها وقيل بعدها. ع.

الرابعة: قوله «قالوا ليس عن هذا نسألك» في الأنبياء «قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك».

الخامسة: قوله «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قلت لا منافاة بين الجوابين فإن أولهما من جهة الشرف بالأعمال الصالحة والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح فأنعم بهذين الشرفين وأكرم بهما

السادسة: قوله «فعن معادن العرب تسألونني» قلت المعادن المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك واحدها معدن فأراد ﷺ أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادان المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر.

السابعة: قوله «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» في رواية أبي أسامة في الأنبياء «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعال التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرتة خصوصا بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية واستمر مشروفاً في الإسلام فهذا أدنى المراتب، والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه ولم يكن شريفاً في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفاً في الجاهلية ثم صار مشروفاً في الإسلام فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل. اهـ من الفتح (٤١٥/٦).

وقال النووي ١٣٥/١٥: «ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الخلائق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس قال القاضي: وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبينه إنما هو الدين ومن التقوى والنبوة والأعراف فيها والإسلام مع الفقه». اهـ

وقوله تابعه يعني تابع عبدة بن سليمان أبو أسامة في عبادة الله وهذه المتابعة وصلها المصنف في الأنبياء: حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله.

١٨١- [باب قوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾].

ش: قلت الآية ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾
يقول تعالى ذكره ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ وسماه الله كذباً لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه، وإنما كان دم سخلة وقوله ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذباً لهم في خبرهم ذلك ما الأمر كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمراً يقول بل زينت لكم أنفسكم أمراً في يوسف وحسنه ففعلتموه

وقوله ﴿فصبر جميل﴾ يقول فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل وقوله ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ يقول والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب وقيل إن الصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه. اهـ من ابن جرير.

[سولت زينت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحسنت وتابعتكم على ذلك.

٢١٠- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال وحدثنا الحجاج قال: حدثنا عبد الله بن عمر النميري حدثنا يونس بن يزيد الأيلي قال: سمعت الزهري سمعت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله، كلُّ حدثني طائفة من الحديث قال النبي ﷺ إن كنت بريئة فسيروك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبني إليه. قلت: إني والله لا أجد مثلاً إلا أبنا يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾

العشر الآيات.

٢١١- حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة عن حصين عن أبي وائل قال حدثني مسروق بن الأجدع قال حدثني أم رومان^(١) وهي أم عائشة قالت: بينا أنا وعائشة أخذتها الحمى فقال النبي ﷺ: لعل في حديث تحدثت؟ قالت: نعم وقعدت عائشة قالت: مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون.

ش: قوله «كل حدثني طائفة من الحديث» القائل هذه العبارة هو محمد بن شهاب الزهري وقد عنى بقوله كل من سمى وهم عروة وابن المسيب وعلقمة وعبيد الله ومراده أن كل واحد منهم حدثه بعضاً من قصة الإفك وكلا الحديثين متضمن لقطعة من تلك القصة وسيأتي شرحها إن شاء الله في تفسير سورة النور ضمن الباب الرابع والأربعين بعد المائتين.

(١) أم رومان الفراسية زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد والصحيح أنها عاشت بعد النبي ﷺ. خ.

١٨٢- [باب ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾].

ش: تمامها ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾. «يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها. بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تحملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها ﴿وقالت هيت لك﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ أي منزلي وأحسن إليّ فلا أقابله بالفاحشة في أهله». اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها، والفلاح الظفر، والمعنى أنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، ومن جملة الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال عكرمة: هيت لك بالخورانية هلم].

ش: أما قول عكرمة فوصله عبد بن حميد من طريقه، وأخرج من وجه آخر عن عكرمة قال: هيت لك، يعني بضم الهاء وتشديد التحتانية بعدها أخرى مهموزة. قاله في الفتح. وفي تفسير عبد الرزاق قال معمر قال قتادة قال عكرمة: تهيأت لك.

٢- [وقال ابن جبير: تعاله].

ش: وصله الطبري وأبو الشيخ من طريقه قاله في الفتح.

٢١٢- حدثني أحمد بن سعيد^(١) حدثنا بشر بن عمر^(٢) حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: «هيت لك» قال: وإنما نقرأها كما علمناها.

ش: أورده المصنف ههنا مختصراً وفي تفسير عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: قد سمعت القراءة فسمعتهم مقاربين فقرأوا كما علمتم وإياكم والتنطع والإختلاف وإنما هو كقول أحدهم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله «هيت لك» قال: فقلت يا أبا عبد الرحمن إن ناساً يقرؤونها «هيت لك» فقال عبد الله: إني إن أقرأها كما علمت أحب إلي.

وقال مكِّي حاكياً القراءات في الآية: قوله «هيت لك» قرأه نافع وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء، غير أن هشاماً همز موضع الياء ساكنة. وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء، من غير همز، غير أن ابن كثير ضم التاء. وفتح الهاء وكسرها لغتان. وفتح التاء على المخاطبة من المرأة ليوسف على معنى الدعاء له والاستجلاب له إلى نفسها، على معنى: هلم لك، أي تعال يا يوسف إلي، فأما من ضم التاء فعلى الإخبار عن نفسها بالإتيان إلى يوسف، ودل على ذلك قراءة من همز، لأنه يجعله من «تهيات لك» تخبر عن نفسها أنها متصنعة له متهياًة. وقد تحتمل قراءة من لم يهمز أن تكون على إرادة الهمز، لكن خفف الهمزة، فيكون من «تهيات» فيكون فعلاً، ولا يحسن ذلك ويتمكن إلا على قراءة من ضم التاء، لأنها تخبر عن نفسها بذلك. والتاء مضمومة، ويبعد الهمز في قراءة من فتح التاء لأنه إذا فتح التاء فإنه يخاطب، وتاء المخاطب مفتوحة، فيصير المعنى أنها تخبره أنه تهيأ لها، والمعنى على

(١) هو أبو جعفر أحمد بن صخر الدارمي السرخسي ثقة حافظ من الحادية عشر، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين. خ. م. د. ت. ق.

(٢) هو أبو محمد بشر بن عمر بن الحكم الزهراني الأزدي البصري ثقة من التاسعة مات سنة سبع وقيل تسع ومائتين. ع.

خلاف ذلك، لأنها هي التي دعته وتهيات له، ولم يدعها هو ولا تهيأ لها يعيده الله من ذلك.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- «مثنوا» مقامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «الذي ثواه ومنه قولهم هي أم مثنوى وهو أبو مثنوى إذا كنت ضيفا عليهم».

والآية المشار إليها: «وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثنوا عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا».

٢- «وألفيا» وجدا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال:

«فألفيته غير مستعتب
أبي وجدته»

والآية المشار إليها: «واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم».

٣- «ألفوا ءاباءهم» ألفينا].

ش: ذكره استشهاداً لما قبله والآية المشار إليها هي التاسعة والستون من سورة الصافات.

٤- [وعن ابن مسعود: «بل عجبت ويستخرون»]

ش: قال الكرمانى: «أورد البخارى هذه الكلمة وإن كانت فى الصافات هنا إشارة إلى أن ابن مسعود كان يقرؤها بالضم كما يقرأ هيت بالضم. وقد أخرج ابن مردويه من طريق شيبان وزائدة عن الأعمش عن أبى وائل عن ابن

مسعود» . حكاه في الفتح.

وقراءة الكسائي بضم التاء وقرأ الباقون بفتح التاء حكاه مكي.

٢١٣- حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله رضي الله عنه: أن قريشاً لما أبطؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام قال: اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله عز وجل: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، قال الله عز وجل: ﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضى الدخان ومضت البطشة.

سيأتي شرحه في تفسير سورة الدخان ضمن الباب العاشر بعد الثلاثمائة.

١٨٣- [باب قوله ﴿فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشى لله﴾].

ش: قلت الآيتان ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله﴾.. إلى قوله. ﴿قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾

قوله ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقنه عرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن إطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من يبلده من رعاياه فقال ﴿ائتوني به﴾ أي أخرجوه من السجن وأحضره فلما جاءه الرسول بذلك إمتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته ببراءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال ﴿إرجع إلى ربك﴾ الآية اهـ من ابن كثير.

قوله ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ وقد إكتفى هنا بالإشارة الإجمالية بقوله: إن ربي بكيدهن عليم فجعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح. اهـ من الشوكاني.

قوله ﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ وفي هذا الكلام مذكور قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ ويعني بقوله ما خطبكن ما كان أمركن وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فأجبنه قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء.

قوله ﴿قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي قالت امرأة العزيز منزهة لجانبه مقرة على نفسها بالمرادة له ﴿الآن ححص الحق﴾ أي تبين وظهر وأصله حص فصيل ححص كما قيل في كَبُؤا كَبِكْبُوا قاله الزجاج وأصل الحص إستصال الشيء يقال حص شعره إذا استأصله ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير تهجاع

والمعنى أنه إنقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومنه:

فمن مبلغ عني خدائنا فإنه كذوب إذا ما ححص الحق ظالم.

وقيل هو مشتق من الحصاة والمعنى: بانث حصاة الباطل قال الخليل: معناه

ظهر الحق بعد خفائه. اهـ من الشوكاني.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وحاش وحاشي: تنزيه واستثناء].

ش: قال أبو عبيدة: «الشين مفتوحة ولا ياء فيه وبعضهم يدخل الياء في

آخره كقوله:

حاشي أبي ثوبان إنَّ به ظناً عن الملحاة والشتم.

ومعناه معنى التنزيه والإستثناء من الشر ويقال حاشيته أي استثنيت» اهـ.

٢- [ححص: وضع].

ش: قال أبو عبيدة: أي الساعة وضع الحق وتبين.

٢١٤- حدثنا سعيد بن تليد^(١) حدثنا عبد الرحمن بن القاسم عن بكر بن

مضر عن عمرو بن الحارث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن

المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) هو سعيد بن عيسى بن تليد الرعيبي القتباني ثقة فقيه من قدماء العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين. خ.س.

رسول الله ﷺ: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ش: مضى الحديث في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثامن والأربعين وفيه ههنا ثلاث مسائل.

الأولى: قوله «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» في باب ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ من أحاديث الأنبياء برواية الأعرج «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد» أي إلى الله سبحانه وتعالى يشير ﷺ إلى قوله تعالى ﴿لو أن لي بكم قوة أو ءاوي إلى ركن شديد﴾ قال النووي: «يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً وسمى العشرة ركناً لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم».

الثانية: قوله «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي» في رواية ابن وهب في الأنبياء «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» أي لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب النزاهة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعاً والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وإجلالاً.

الثالثة: قوله «ونحن أحق من إبراهيم» في تفسير سورة البقرة من رواية ابن وهب المذكورة «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد مضى شرحه.

١٨٤- [باب قوله ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾].

ش: تمامها ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾

قوله ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ «يخبر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك كما في قوله تعالى ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾». اهـ من ابن كثير.

وفي قوله ﴿كذبوا﴾ قراءتان حكاهما مكي فقال: قرأه الكوفيون بالتخفيف وشدد الباقون وحجة من شدد أنه حملة على معنى أن الرسل تلقاهم قومهم بالكذب، فالظن بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير الرسل فالهاء والميم في «أنهم» للرسل فعطفوه على استيأس الرسل والتقدير وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به من عند الله جل ذكره ودليله قوله تعالى ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ وحجة من خفف أنه حملة على معنى أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرسل، فالظن بمعنى الشك أو بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير المرسل إليهم، والهاء والميم في أنهم للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أنهم لم يصدقوا فيما قيل لهم وما توعدوا به من إتيان العذاب على كفرهم أي ظنوا أنهم لم يصدقهم الرسل فيما أتوهم به من عند الله جل ذكره من إتيان العذاب إليهم أو من الأمر بالإيمان والتوحيد.

قوله ﴿جاءهم نصرنا فنجي من نشاء﴾ أي فجاء الرسل نصر الله سبحانه فجأة، أو جاء قوم الرسل الذين كذبوهم نصر الله لرسله بإيقاع العذاب على المكذبين ﴿فنجي من نشاء﴾ قرأ عاصم ﴿فنجي﴾ بنون واحدة وقرأ الباقون ﴿فنجي﴾ بنونين واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لأنها في مصحف عثمان

كذلك وقرأ ابن محيص ﴿فنجأ﴾ على البناء للفاعل فتكون "من" على القراءة الأولى في محل رفع على أنها نائب فاعل وتكون على القراءة الثانية في محل نصب على أنها مفعول وعلى القراءة الثالثة في محل رفع على أنها فاعل، والذين نجأهم الله هم الرسل ومن آمن معهم وهلك المكذبون ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ عند نزوله بهم وفيه بيان من يشاء الله نجاته من العذاب وهم أعداء هؤلاء المجرمين. اهـ من الشوكاني.

٢١٥- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ قال قلت: أكذبوا أم كذّبوا؟ قالت عائشة: كذّبوا قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم، فما هو بالظنّ قالت: أجل لعمرى، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك.

٢١٦- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة فقلت: لعلها كذبوا مخففة قالت: معاذ الله نحوه.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «قالت له وهو يسألها» في باب قول الله تعالى ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ من أحاديث الأنبياء «أنه سأل عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ».

الثانية: قوله «أكذبوا أم كذّبوا» في أحاديث الأنبياء «أرأيت قوله «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذّبوا».

الثالثة: قوله «قالت عائشة كذبوا» يعني بالثقل وهو تشديد الذال المعجمة قال الحافظ وفي رواية الإسماعيلي مثقلة.

قلت: وقد تقدم في أول الباب حكاية القراءتين في الآية وتوجيه كل منهما. الرابعة: قوله «فما هو بالظن؟ قالت أجل» زاد الإسماعيلي قلت فهي مخففة قالت معاذ الله. اهـ من الفتح

قلت: وهذا ظاهر في إنكارها قراءة التخفيف ولعلها لم يبلغها سوى قراءة التشديد وقد عرفت في أول الباب أن كلتا القراءتين صحيحة وعرفت من قرأ بكل منهما.

الخامسة: قوله «لعمري لقد استيقنوا بذلك» فيه إشعار بحمل عروة الظن على حقيقته وهو رجحان أحد الطرفين ووافقه عائشة لكن روى ابن جرير في تفسيره عن قتادة أن المراد بالظن هنا اليقين.

قلت: وعلى هذا فهي نظير قوله تعالى ﴿ووظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾.

السادسة: قوله «أخبرني عروة فقلت لعلها كذبوا مخففة قالت معاذ الله» وقد ساقه أبو نعيم في المستخرج بتمامه ولفظه «عن عروة أنه سأل عائشة» فذكر نحو حديث صالح بن كيسان. انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة يوسف والحمد لله.

سورة الرعد

١٨٥- [بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾.

قد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية فروى النحاس في ناسخه عن ابن عباس أنها نزلت بمكة، وروى أبو الشيخ وابن مردويه عنه أنها نزلت بالمدينة ومن ذهب أنها مكية سعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد ومن ذهب إلى أنها نزلت بالمدينة ابن الزبير والكلبي ومقاتل، وقول ثالث أنها مدنية إلا آيتين منها وهما قوله ﴿ولو أن قرءا أنا سيرت به الجبال﴾ إلى قوله ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ وآياتها ثلاث وأربعون آية.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال ابن عباس ﴿كباسط كفيه﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إله غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر].

ش: رواه ابن جرير: حدثني المثني ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره. وروى هذا المعنى عن علي بن أبي طلحة وبجاهد وابن زيد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

٢- [وقال غيره: ﴿سخر﴾ ذلل].

ش: قوله «قال غيره» يعني غير ابن عباس وفي تفسير أبي عبيدة «ذللها فانطاعا».

والآية المشار إليها: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾.

٣- [﴿متجاورات﴾ متدانيات].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: متقاربات غير جنات ومنهن جنات. والآية المشار إليها: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

٤- [﴿المثلات﴾ واحدها مثلة وهي الأشباه والأمثال وقال «إلا مثل أيام

الذين خلوا»].

ش: قال أبو عبيدة: واحدها مثلة ومجازها مجاز الأمثال.
والآية المشار إليها: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم
المثلاث وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾.
قلت: وأشار بقوله (مثل أيام الذين خلوا) إلى الآية الثانية بعد المائة من سورة
يونس وقد ذكره استطرادا واستشهادا لما قبله.
٥- ﴿بمقدار﴾ بقدر.

ش: قال أبو عبيدة: أي مقدر وهو مفعال من القدر.
والآية المشار إليها: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما
تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.
٦- ﴿معهبات﴾ ملائكة حفظة تعقب الأولى منها الأخرى ومنه قيل
العقيب يقال عقبته في إثره.

ش: قال أبو عبيدة: مجازه ملائكة تعقب بعد ملائكة، وحفظة تعقب بالليل
حفظة النهار وحفظة النهار تعقب حفظة الليل ومنه قولهم: فلان عقبني وقولهم
عقبته في إثره.
وأخرج ابن جرير: ثنا ابن وكيع ثنا أبي عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة
عن ابن عباس ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن
خلفه فإذا جاء قدره خلوا عنه.
والآية المشار إليها: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر
الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.
٧- ﴿المحال﴾ العقوبة.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والمكر والنكال قال الأعشى:
فرع نبع يهتر في غصن المجد غزير الندى شديد المحال.
والآية المشار إليها: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل

الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴿﴾.

٨- ﴿كَبَّاسُطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ لِيَقْبِضَ عَلَى الْمَاءِ.

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه إن الذي يبسط كفه ليقبض على الماء حتى يوديه إلى فيه لا يتم له اذلك ولا تسقه أنامله أي تجمعه قال صابئ بن الحارث:

فإني وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله»

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الأثر الأول.

٩- ﴿رَابِيَا﴾ من ربا يربو.

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه فاعل من ربا يربو أي ينتفخ.

والآية المشار إليها: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ

السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾.

١٠- ﴿أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ المتاع ما تمتعت به.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال المشعث:

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به الممات هو المتاع

والآية: ﴿وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾.

١١- ﴿جَفَاءً﴾ أجفأت القدر إذا غلت فعلاها الزبد ثم تسكن فيذهب

الزبد بلا منفعة فكذلك يميز الحق من الباطل.

ش: قال أبو عبيدة: [قال أبو عمرو بن العلاء: يقال قد أجفأت القدر

وذلك إذا غلت فانصب زبدها أو سكنت فلا يبقى منه شيء].

والآية المشار إليها: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.

١٢- ﴿الْمُهَادِ﴾ القراش.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والبساط»

والآية المشار إليها: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخَيْرُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لَهُ لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ

وماواهم جهنم وبئس المهاد ﴿١٣﴾.

١٣- ﴿يَدْرُؤُونَ﴾ يدفعون درأته عني دفعته].

ش: قال أبو عبيدة: «أي يدفعون السيئة بالحسنة، درأته عني أي دفعته. والآية المشار إليها: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾»
١٤- ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي يقولون سلام عليكم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقولك يقولون سلام عليكم».

والآية المشار إليها: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

١٥- ﴿وإليه متاب﴾ توبتي].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر تبت إليه وتوبتي إليه سواء».

والآية المشار إليها: ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾.

١٦- ﴿أفلم يبين﴾ أفلم يتبين].

ش: قال أبو عبيدة: «ألم يعلم ويتبين قال سحيم بن وثيل الزبوعي:

أقول لهم بالشعب إذ بأسروني ألم تياسوا إني ابن فارس زهدم».

والآية المشار إليها: ﴿أفلم يأس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس

جميعا﴾.

١٧- ﴿قارعة﴾ داهية].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد مهلكة ويقال: قرعت عظمه أي صدعته.

والآية المشار إليها: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو

تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

١٨- ﴿فأمليت﴾ أطلت من الملى والملاوة ومنه «مليا» ويقال للواسع

الطويل من الأرض ملى من الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: «أي أطلت لهم ومنه الملى والملاوة من الدهر ومنه تمليت حيناً ويقال لليل والنهار الملوان لطولهما وقال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحمي بالسبعان ألع عليها بالبلى الملوان

ويقال للخرق الواسع من الأرض ملاً مقصور». اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد استهزىء برسلك من قبلك فأمليت للذين

كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾.

١٩- [﴿أشق﴾ أشد من المشقة].

ش: قلت: أشار الشيخ إلى قوله تعالى ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب

الآخرة أشق وما لهم من الله من واق﴾ الشاهد منها ولعذاب الآخرة أشق. قال

ابن جرير: «يقول ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا، وأشق إنما هو أفعل من المشقة».

٢٠- [﴿معقب﴾ مغير].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا راد له ولا مغير له عن الحق.

والآية المشار إليها: ﴿اولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله

يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾.

٢١- [وقال مجاهد ﴿متجاوزات﴾ طيبها عذبها وخبيثها السباخ].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن

أبي نجيح عن مجاهد فذكره».

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثالث.

٢٢- [﴿صنوان﴾ النخلتان أو أكثر في أصل واحد. ﴿وغير صنوان﴾

وحدها].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد فذكره».

وقال أبو عبيدة: «وواحد صنو والإثنان صنوان النون بحرورة في موضع الرفع والنصب والجر كتون الإثني فإذا جمعته قلت صنوان كثير والإعراب في نونه يدخله النصب والرفع والجر ولم نجد جمع يجري مجراه غير قنو وقنوان والجميع قنوان».

٢٣- [جاء واحد] كصالح بني آدم وخيئهم أبوهم واحد].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٤- [السحاب الثقال] الذي فيه الماء].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال﴾.

٢٥- [كباسط كفيه] يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٦- [سالت أودية بقدرها] قلاً بطن كل وادٍ بحسبه].

ش: قال ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ قال ما أطاقت ملاءها».

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٧- ﴿زبدا رابيا﴾ الزبد زيد السيل].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني المثني ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد قال: الزبد السيل.

٢٨- ﴿زيد مثله﴾ نخب الحديد والحلية].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

١٨٦- [باب قوله ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام﴾].

ش: تمامها: ﴿وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.

«قوله ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إنثى الحيوانات كما قال تعالى: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كما قال تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تتركوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى﴾ وقال تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ أي خلقكم طوراً بعد طور كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. اهـ من ابن كثير.

قوله «﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ والتحقيق في معنى الآية أنه يعلم مدة الحمل، وما يعرض فيها من الزيادة والنقصان فهو العالم بذلك دونكم كما هو العالم بما تحمل كل أنثى هل هو ذكر أو أنثى وهذا أحد أنواع الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى». اهـ من ابن القيم.

قوله ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره ولا يقصر أمر أراده، فدبره عن تدييره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حد له من القدر، والمقدار مفعال من القدر. اهـ من ابن جرير.

[غيض: نُقص].

ش: قال أبو عبيدة: غاضت الأرض والماء، وغاض الماء يفيض أي ذهب

وقل.

والآية المشار إليها هي الرابعة والأربعون من سورة هود وإنما ذكره هنا لمناسبة تفسير قوله تعالى ﴿تغيض الأرحام﴾ لأن مادة الكلمتين واحدة.

٢١٧- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثني مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله.

ش: سيأتي الحديث في تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين ويأتي هناك شرحه إن شاء الله.

آخر تفسير سورة الرعد والحمد لله.

سورة إبراهيم

١٨٧- بسم الله الرحمن الرحيم سورة إبراهيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.
وهي مكية كما أخرجها ابن مردويه عن ابن عباس وعن الزبير وحكاه القرطبي عن الحسن البصري وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة إلا آيتين منها وقيل إلا ثلاث آيات وهي من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ إلى قوله ﴿قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. وعدد آياتها ثنتان وخمسون آية

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس ﴿هاد﴾ داع].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثني ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

قلت: وهذه الكلمة من الآية السابعة من سورة الرعد ويبدو لي أن ذكرها ههنا من بعض النساخ والله أعلم.

٢- [وقال مجاهد: ﴿صيد﴾ قيح ودم].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا الحسن بن محمد ثنا شابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره
قلت: وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾.

٣- [وقال ابن عينة ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أيادي الله عندكم

وأيامه].

ش: رواه ابن جرير: ثنا المثني ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عينة فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾.

٤- [وقال مجاهد: ﴿من كل ما سألتموه﴾ رغبتم إليه فيه].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿وءاتكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾.

٥- ﴿يَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يَلْتَمِسُونَ هَا عِوَجًا].

ش: قال أبو عبيدة: يَلْتَمِسُونَ وَيَحْتَالُونَ هَا، وَعِوَجًا مَكْسُورُ الْأَوَّلِ مَفْتُوحُ الثَّانِي وَذَلِكَ فِي الدِّينِ وَغَيْرِهِ فِي الْأَرْضِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ قَائِمًا فِي الْحَائِطِ وَفِي الرَّمْحِ وَفِي السِّنِّ عَوَجٌ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْحُرُوفِ.

وَالآيَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

٦- ﴿وَإِذْ تَأْذِنُ رِبْكَمُ﴾ أَعْلَمَكُمْ آذِنَكُمْ].

ش: قال أبو عبيدة: «بِحَازِهِ وَأَذِنَكُمْ رِبْكُمْ وَ"إِذْ" مِنْ حُرُوفِ الزَّوَائِدِ، وَتَأْذِنُ تَفْعَلُ مِنْ قَوْلِهِمْ آذَنْتَهُ».

وَالآيَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا: ﴿وَإِذْ تَأْذِنُ رِبْكَمُ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٧- ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ هَذَا مِثْلُ كَفُّوا عَمَّا أَمَرُوا بِهِ].

ش: قال أبو عبيدة: «بِحَازِهِ مِجَازُ الْمَثَلِ وَمَوْضِعُهُ مَوْضِعُ كَفُّوا عَمَّا أَمَرُوا بِقَوْلِهِ مِنَ الْحَقِّ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ يَسْلَمُوا، وَيُقَالُ رَدَّ يَدُهُ فِي فَمِهِ أَيَّ أَمْسَكَ إِذَا لَمْ يَجِبْ» اهـ.

وَفِي الْآيَةِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ أُخْرَى.

أَحَدُهَا: عَضُوا عَلَى أَصَابِعِهِمْ تَغِيضًا عَلَيْهِمْ فِي دَعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ زَيْدٍ.

وِثَانِيهَا: وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ تَعْجَبًا مِنْ سَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَثَالِثُهَا: كَذَبُوا بِأَفْوَاهِهِمْ، وَبِهِ قَالَ مِجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُمْ يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِ الرُّسُلِ رَدًّا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ.

حَكَاهَا ابْنُ جَرِيرٍ وَاخْتَارَ قَوْلَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَاسْتَدْلَلَ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ

المنافقين ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَمَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

وقال ابن كثير: «ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ﴾» اهـ.
قلت والآية المشار إليها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ﴾.

٨- ﴿مَقَامِي﴾ حيث يقيمه الله بين يديه].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه حيث أقيمه بين يديّ للحساب.

والآية المشار إليها: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾.

٩- ﴿مَنْ وَرَائِهِ﴾ قدامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأمامه يقال إن الموت من ورائك أي قدامك وقال:

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

أي قدام بني رياح وأمامهم وهم دوني أي بيني وبينك» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾.

١٠- ﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ واحدها تابع، مثل غَيْبٍ وَغَائِبٍ].

ش: قال أبو عبيدة: جمع تابع، خرج مخرج غائب والجمع غيب اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وَيُزَوِّا اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

١١- ﴿بِمَصْرُخِكُمْ﴾ استصرخني استغاثني].

ش: قال أبو عبيدة: «أي بمغِيثِكُمْ ويقال: استصرخني فأصْرخته أي استعاني

فأعنته واستغاثني فأغثته» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إنني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾.

١٢- [يستصرخه من الصراخ].

ش: قال أبو عبيدة: وهو من الصارخ يقال: يا آل بني فلان يا صاحبه قلت: وليست هذه الكلمة من سورة إبراهيم بل هي من الآية الثامنة عشرة من سورة القصص ولعل المصنف رحمه الله ذكرها استطراداً.

١٣- [﴿ولا جلال﴾ مصدر خالته جلالاً، ويجوز أيضاً جمع خلة وخالل].

ش: قال أبو عبيدة: «أي مخالة خليل وله موضع آخر يجعلها جمع خلة بمنزلة جلة والجميع جلال وقلة والجميع قلال وقال: فيخبره مكان النون مني وما أعطته عرق الخلال أي المخالة» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾.

١٤- [﴿اجتت﴾ استؤصلت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقال اجتت الله دابره أي أصلهم».

والآية المشار إليها: ﴿ومثل كلمة خيثة كشجرة خيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾.

١٨٨- [باب قوله ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾

«قوله ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل الله مثلاً وشبه شيئاً كلمة طيبة ويعني بالطيبة الإيمان به جل ثناؤه كشجرة طيبة الثمرة، وترك ذكر الثمرة استغناء عن معرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة

وقوله ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ يقول عز ذكره: أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض وفرعها وهو أعلاها في السماء يقول: مرتفع علو نحو السماء.

وقوله ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ يقول تطعم ما يأكل منها من ثمرها ﴿كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس﴾ يقول: ويمثل الله الأمثال للناس ويشبه لهم الأشياء ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يقول: ليتذكروا حجة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان. اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «رفشه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة ثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة ثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله. فإنها ثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة: وهو المؤمن ﴿وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿وَوَفَّرَعَهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء. وقال الربيع بن أنس: كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان، فالإيمان: الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه. وفرعه في السماء: خشية الله.

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، انتهى محل الغرض من بدائع التفسير.

٢١٨- حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم» في طرح الإمام المسألة على أصحابه من كتاب العلم برواية عبد الله بن دينار «إن من الشجر شجرة» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فقال: كنا عند النبي ﷺ، فأتى بجمار وقال: إن من الشجر» وله عنه في البيوع باب بيع الجمار وأكله قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جُمَاراً»

الثانية: قوله «لا يتحات ورقها» في رواية ابن دينار المذكورة «لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم» قال الحافظ: ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث بن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أئمة أتدرون ما هي؟ قالوا لا قال: هي النخلة لا تسقط لها أئمة ولا تسقط لمؤمن دعوة».

ورقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال: حدثني مجاهد عن ابن عمر قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتني بجمار فقال: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» وهذا أعم من الذي قبله وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تبيس تأكل أنواعاً ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له وغيره حتى بعد الممات.

الثالثة: قوله «ولا، ولا، ولا» كذا ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء فقيل في تفسير ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها. وروقع في رواية مسلم ذكر النفي مرة واحدة فظن إبراهيم بن سفيان الراوي عنه أنه متعلق بما بعده وهو قوله «توتى أكلها» فاستشكله وقال: لعل "لا" زائدة ولعله «وتوتى

أكلها» وليس كما ظن بل معمول النفي محذوف على سبيل الاكتفاء. قاله الحافظ.

الرابعة: قوله «تؤتي أكلها كل حين» أي تعطي ثمرها كل وقت وهذه صفة خامسة للنخلة.

الخامسة: قوله «فوقع في نفسي أنها النخلة» وفي رواية ابن دينار «فوقع الناس في أشجار البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت». قال الحافظ: بين أبو عوانة في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال: «فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتى به» وفيه إشارة إلى أن الملمغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال وأن الملمغز ينبغي له أن لا يباليغ في التعمية بحيث لا يجعل للملمغز باباً يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه.»

السادسة: قوله «ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم» في طرح المسألة «فاستحييت» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم» وله في الأطعمة «فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم.»

السابعة: قوله «فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة» في رواية ابن دينار «قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: هي النخلة»

الثامنة: قوله «فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة» في رواية ابن دينار «قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا» زاد ابن حبان في الإيمان باب ذكر الأخبار عن وصف ما يشبه المسلم من الشجر «أحسبه قال حمر النعم.»

من فقه الحديث:

- أولاً: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموا.
- ثانياً: التحريض على الفهم في العلم كما بوب عليه المؤلف باب الفهم في العلم.
- ثالثاً: استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.
- رابعاً: فيه دليل على بركة النخلة وما تثمره وفضلها.
- خامساً: توقير الأصاغر للأكابر.

١٨٩- [باب ﴿يُثِبَتِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾].

ش: تمامها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿يُثِبَتِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحقق الله أعمالهم وإيمانهم ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ يقول بالقول الحق وهو فيما قيل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وأما قوله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيه والصواب منه القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وذلك تشييته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حيث يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ.

وأما قوله ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه يعني أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ.

وقوله ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك: ويبد الله الهداية والإضلال، فلا تنكروا أيها الناس قدرته، ولا اهتداء من كان منكم ضالاً ولا ضلال من كان منكم مهتدياً فإن بيده تصريف خلقه، وتقليب قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء. اهـ من ابن جرير بتصريف.

فائدة:

قال ابن القيم: «تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه، فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرِمَ.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين. فإن لم يثبته، وإلا

زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما... إلى أن قال: فالخلق كلهم قسمان: موفق بالثبوت، ومخذول بترك الثبوت.

ومادة الثبوت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده. فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم ثبوتاً. قال تعالى ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد ثبوتاً﴾. فأثبت الناس قلباً: أثبتهم قولاً.

والقول الثابت: هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب. فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأحبثهم وأكثرهم تلوناً، وأقلهم ثباتاً. انتهى مختصراً من بدائع التفسير.

٢١٩- حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال أخبرني علقمة بن مرثد^(١) قال سمعت سعد بن عبيدة^(٢) عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «المسلم إذا سئل في القبر» في الجنائز برواية حفص بن عمر «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد»

الثانية: قوله «يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» في الجنائز «ثم

(١) هو أبو الحارث علقمة بن مرثد الحضرمي الكوفي، ثقة من السادسة. ع.

(٢) هو أبو حمزة سعد بن عبيدة السلمى، الكوفي، ثقة من الثالثة، مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق. ع.

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وقد أخرجه الإسماعيلي عن أبي خليفة عن حفص بن عمر شيخ البخاري فيه بلفظ أبين من لفظه قال: «إن المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف محمداً في قبره فذلك قوله الخ.» وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه وغيره بلفظ «إن النبي ﷺ ذكر عذاب القبر فقال: إن المسلم إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف أن محمداً رسول الله» الحديث. حكاه الحافظ (٢٣٤/٣).

الثالثة: قوله «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة» في رواية غندر في الجنازات بهذا وزاد «يثبت الله الذين آمنوا» نزلت في عذاب القبر» وعند مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد المؤمن «فيقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد ﷺ فذلك قوله ﷻ «يثبت الله...» الآية» وعند أحمد ٢٨٧/٤ وأبي داود في السنة باب المسألة في القبر عن البراء بن عازب من حديث طويل وفيه قال «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» الحديث.

فائدة:

قال مقيده: فاعلم هديت إلى صواب الأقوال والأعمال والسداد في صحة العقيدة والمنهج، أن نعيم القبر وعذابه، قد جاءت به السنة المتواترة عن النبي ﷺ وأجمع عليه أهل الحق، فلا تغتر بمن خالف في ذلك، كالمعتزلة وأتباع المدرسة الفلسفية العقلية الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ولا يقرون من النصوص إلا بما يوافق عقولهم ونحن سنذكر لك ثلاثة أحاديث إضافة على ما تقدم:

الأول: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الصدقة عن شماله، وكان فعل الخير من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجله، فيأتيه الملكان من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه، ويقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة، والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل!! فيقول له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أصغت للغروب، فيقول: دعوتي حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي. أخبرنا عما نسألك عنه، أرايتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقولون فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: محمد نشهد أنه رسول الله، جاء بالحق من عند الله فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا مقعدك، وما أعد الله لك فيها؛ فيزداد غبطة وسروراً؛ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدئ منه، وتجعل روحه نسيم طير يعلق في شجر الجنة. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

وإن كان كافراً أتى من قبل رأسه فلا يوجد شيء، ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شيء، ثم يؤتى من قبل رجله فلا يوجد شيء، فيقال له: اقعد فيقعد خائفاً مرعوباً فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقولون: الرجل الذي كان فيكم. قال: فلا يهتدى له. قال. فيقولون: محمد. فيقول: سمعت الناس قالوا فقلت كما قالوا. فيقولون على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من قبل الجنة. فيقال له انظر إلى منزلك وإلى ما أعد

الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً، قال: ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، قال وذلك قوله تبارك وتعالى ﴿فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

أخرجه عبدالرزاق وابن أبي شيبه في مصنفيهما وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وجميعهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

الثاني: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا: أتاه الملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره - ثم رجع إلى حديث أنس - وأما الكافر - أو المنافق - وفي رواية: وأما الكافر والمنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»

أخرجه الشيخان وغيرهما، وقال ابن الأثير في جامعته: «ولفظ الحديث للبخاري».

الثالث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: لم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: ثم كنومة

العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التتمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

رواه الترمذي وحسنه.

١٩٠- باب ﴿الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾.

ش: تمام السياق ﴿وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾.

«يقول تعالى ذكره ألم تنظر يا محمد ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ يقول غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة، فجعلوها كفراً به، وكان تبديلهم نعمة الله كفراً في نبي الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم وابتعثه فيهم رسولاً رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفراً.

وقوله ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ يقول وأنزلوا قومهم من مشركي قريش دار البوار وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بوراً إذا هلك وبطل، ومنه قول ابن الزبير، وقد قيل أنه لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

يا رسول الملوك إن لساني رائق ما فتقت إذ أنا بور

ثم ترجم عن دار البوار وما هي؟ فقيل ﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يقول وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاها». اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار:

١- [﴿الم تر﴾ ألم تعلم؟ كقوله ﴿الم تر كيف﴾ ﴿الم تر إلى الذين

خرجوا﴾].

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿الم تر أن الله خلق...﴾ وزاد: ليس

رؤية عين.

٢- ﴿البوار﴾ اهلاك، بار يبور بوراً.

ش: قاله ابو عبيدة وزاد: «والفناء، ويقال باريبور ومنه قول عبد الله بن الزبيري:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

البور والبوار واحد». اهـ.

٣- ﴿قوما بوراً﴾ هالكين.

ش: قلت هذه الكلمة في سورة الفرقان ضمن الآية الثامنة عشرة وفي سورة الفتح ضمن الآية الثانية عشرة وقد ذكرها الشيخ ههنا للإستشهاد.

٢٢٠- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع

ابن عباس: ﴿الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ قال هم كفار أهل مكة.

ش: في غزوة بدر من رواية الحميدي «الذين بدلوا نعمة الله كفراً»

قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد ﷺ نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار﴾ قال النار يوم بدن».

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره من طريق معمر عن وهب بن عبد الله عن

أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً قال: من الذين ﴿بدلوا نعمة الله كفراً

وأحلوا قومهم دار البوار﴾؟ قال: الأفجران، وقال: قريش أو قال أهل مكة بنو

مخزوم، وبنو أمية وكفيتهم يوم بدر.

وروى ابن جرير من طريق ابن بشار وأحمد بن إسحاق قالوا: ثنا أبو أحمد

قال ثنا سفيان عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله

﴿الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾ قال: هما

الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر، وأما

بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قلت: ولا منافاة عندي بين هذه التفاسير لأن كفار بني مخزوم وبني أمية من كفار قريش ومن المعلوم أن هذين الحيين من قريش كانوا من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وإن كان تفسير ابن عباس أولى لموافقته ظاهر الآية وهو العموم.

وفي تفسير ابن كثير: «وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب، فلحقوا بالروم».

قلت: وهذا خبر ضعيف لا تقوم به حجة وثمت سبب آخر وهو أن جبلة

إرتد في خلافة عمر.

آخر تفسير سورة إبراهيم والحمد لله.

سورة الحجر

١٩١- [تفسير سورة الحجر بسم الله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

قلت: والحجر وادي القرى وهي منازل ثمود وتقع شمال مدينة العلا

وتعرف اليوم بمداين صالح وأصحاب الحجر هم ثمود.

وهي مكة باتفاق حكاة القرطبي، وعدد آياتها تسع وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال مجاهد ﴿صراطٌ عليّ مستقيم﴾ الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره وزاد لا يعرج على شيء.

والآية المشار إليها: ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾.

٢- ﴿وانهما ليامام مبين﴾ الإمام كل ما اتممت واهتديت به إلى الطريق].

ش: قاله أبو عبيدة دون الجملة الأخيرة وقال ابن جرير في قوله ليامام: يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به ﴿مبين﴾ يقول بين لمن اتم به استقامته، وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يوم ويتبع.

ثم أخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿فانقمنا منهم وانهما ليامام مبين﴾.

٣- [وقال ابن عباس: ﴿لعمرك﴾ لعيشك].

ش: رواه ابن جرير من طريق المثني ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾.

٤- ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم لوط].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾.

٥- [وقال غيره ﴿كتاب معلوم﴾ أجل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ومدّه معلوم مؤقت معروف.

والآية المشار إليها: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾.

٦- ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ هَلَا تَأْتِينَا].

ش: قال أبو عبيدة: «لو ما فعلت كذا، وهَلَا وَلَوْلَا وَأَلَا، معناهن واحد، هَلَا تَأْتِينَا وقال الأشهب بن عبله وقال في غير هذا الموضع ابن ربيعة:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضو طرى لولا الكنى المقنعا

أي هَلَا تعدون قتل الكماة «لو ما» مجازها وبجاز «لو لا» واحد». اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

٧- ﴿شَيْعٍ﴾ أمم، وللأولياء أيضاً شيعاً.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأُولِينَ﴾.

٨- [وقال ابن عباس: ﴿يَهْرَعُونَ﴾ مسرعين].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني

معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها هي الثامنة والسبعون من سورة هود وأظن وقوعها هنا

من قبيل بعض النساخ.

٩- ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق المثني ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن

ابن عباس فذكره، كما رواه بهذا اللفظ عن الضحاک وأخرج عن مجاهد

«المتفرسين» وعن قتادة «المعتبرين» وعن ابن زيد «المتفكرين» وهذه العبارات

متفقة في المعنى وإن كانت مختلفة في اللفظ.

والآية المشار إليها: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

١٠- ﴿سُكَّرَتْ﴾ عُشِّيت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «سمادير فلهبت وخبأ نظرها قال:

جاء الشتاء واجتال القنبر واستنخلت الأفعى وكانت تظهر

وطلعت شمس عليها مغفر

أي يذهب حرها ويخبو) اهـ

قال مقيده: واعلم أن أهل التفسير إختلفوا في معنى هذه الكلمة على أربعة

أقوال:

أحدها: بمعنى سدت وهو قول مجاهد وابن كثير وهو المقرئ والضحاك.

وثانيها: بمعنى أخذت وهو قول ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى غشي على أبصارنا كما يفعل السكر بصاحبه وهو قول ابن

زيد.

ورابعها: بمعنى عميت وهو قول الكلبي.

أخرجها ابن جرير واختار ثالثها وهو موافق لقول البخاري.

والآية المشار إليها: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرْت أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ

مَسْحُورُونَ﴾.

١١- ﴿بُرُوجًا﴾ منازل للشمس والقمر].

ش: قاله أبو عبيدة.

«والآية المشار إليها: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينًا لِلنَّاطِرِينَ﴾»

١٢- ﴿لَوَاقِحَ﴾ ملاقيح ملقحة].

ش: قال أبو عبيدة مجازها ملاقيح لأن الريح ملقحة للسحاب والعرب

قد تفعل هذا فتلقى الميم لأنها تعيده إلى أصل الكلام كقول نهشل بن حري يرثي

أخاه:

ليبيكي يزيد بانساً لضراعة

فحذف الميم لأنها المطاوح) اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَسْقَيْنَا كَمُورَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾.

١٣- ﴿حَمًا﴾ جماعة حمأة وهو الطين المتغير والمسنون المصوب].

ش: قاله أبو عبيدة مع اختلاف يسير.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾.

١٤- ﴿تَوَجَّلْ﴾ تَخَفْ].

ش: قال ابن جرير: قال الضيف لإبراهيم لا توجل لا تخف إنا نبشرك

بغلام عليم.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾.

١٥- ﴿دَابِرٌ﴾ آخر].

ش: زاد أبو عبيدة: مجتذ مقطوع مستأصل.

والآية المشار إليها: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع

مصبحين﴾.

١٦- ﴿الصبيحة﴾ اهلكتة].

ش: زاد أبو عبيدة: ويقال صبح بهم أي أهلكوا. اهـ

قلت: والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في قوم لوط

﴿فأخذتهم الصبيحة مشرقين﴾ وثانيهما في أصحاب الحجر وهم عمود ﴿فأخذتهم

الصبيحة مصبحين﴾ ولا أدري أيتهما عنى الشيخ بهذه الإشارة.

١٩٢- [باب قوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾].

ش: قلت السياق: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾.

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه ﴿إلا من استرق السمع﴾ يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه إما بإخباله وإفساده أو بإحراقه. اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن كثير بعد ذكره خلق السماء وما جعل الله فيها من بروج وزينة: «وجعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين، لئلا يسمعوا إلى الملائكة الأعلى فمن تورد منهم لاستراق السمع جاءه ﴿شهاب مبين﴾ فأتلفه فرمما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه». اهـ

٢٢١- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فرمما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه. وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض - وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى

الأرض - فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء.

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة: إذا قضى الله الأمر، وزاد: ... (والكاهن).

وحدثنا سفيان فقال قال عمرو سمعت عكرمة حدثنا أبو هريرة قال: إذا قضى الله الأمر وقال علي فم الساحر قلت لسفيان: أنت سمعت عمراً قال سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة؟ قال: نعم قلت لسفيان: إن إنساناً روى عنك عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة ويرفعه أنه قرأ ﴿فَرَّغَ﴾ قال سفيان: هكذا قرأ عمرو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا قال سفيان: وهي قراءتنا.

ش: قوله «حدثنا عمرو» ليثبت سماع سفيان من عمرو.

وقوله «قال عمرو سمعت عكرمة» القائل هو سفيان وأراد به إثبات سماع عمرو من عكرمة.

قوله «حدثنا أبو هريرة» فيه النص على سماع عكرمة من أبي هريرة.

قوله «قال أبو هريرة إذا قضى الله الأمر... الخ» مفساده أن الحديث

موقوف على أبي هريرة ولكن صرح في سورة سبأ كما سيأتي برفعه إلى النبي ﷺ قال عكرمة سمعت أبا هريرة قال إن نبي الله ﷺ قال.

قوله «قلت لسفيان أنت سمعت عمرو... الخ» القائل هو علي بن عبد الله

المديني شيخ البخاري ومراده الاستنباط.

قوله «نعم» القائل هو سفيان جواباً لتلميذه علي بن المديني.

«قوله» «إن إنساناً روى عنك» لم نقف على تسميته.

قوله «أنه قرأ فرغ» بضم الفاء وتشديد الراء المكسورة فغين معجمة

مفتوحة.

قوله «وهي قراءتنا»

قلت: وهي قراءة الحسن أيضاً حكاه ابن جرير والمعنى على هذه القراءة

أي حتى إذا أفنى الله الوجل عن قلوبهم.

وسياتي الحديث في تفسير سورة سبأ ضمن الباب الخامس والثمانين بعد

المائتين وهناك يستوفى الكلام عليه.

١٩٣- [باب قوله ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾].

ش: يخبر جل ثناؤه أن أصحاب الحجر وهم ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

قلت: والدليل على أن تكذيب واحد من الرسل هو تكذيب بالجميع وكفر بهم قوله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾.

٢٢٢- حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن قال حدثني مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «لأصحاب الحجر» يعني لأصحابه الذين قدموا معه الحجر وهو وادي القرى حين مروا به قاصدين تبوك.

الثانية: قوله «لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين» في باب قوله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ من أحاديث الأنبياء برواية سالم «أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا» وفيه من رواية ابن دينار «لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بشرها».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات أن هذا النهي كان حين توجه رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك.

الثالثة: قوله «فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم» ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائماً عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار

فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولية.

قال مقيده: وفي باب نزول النبي ﷺ الحجر من المغازي برواية سالم أيضاً «ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي» فهذه الرواية نص صريح على أنه ﷺ لم ينزل في وادي الحجر. وهذا دليل على أنه لا تصح فيه الصلاة.

الرابعة: قوله «أن يصيبكم مثل ما أصابهم» وكذا في الأنبياء وفي الصلاة «لا يصيبكم ما أصابهم» والمعنى خشية أن يصيبكم، وهو نهى بمعنى الخير ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكير والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة. انتهى من الفتح ١/٥٣١.

١٩٤- [باب ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾].

ش: اختلف أهل التفسير في هذه السبع المثاني التي أخبر تعالى ذكره أنه أتاه نبيه ﷺ على أقوال أربعة:

أولها: أنها السبع السور من أول القرآن اللواتي يعرفن بالطول وبه قال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

وثانيها: أنها آيات فاتحة الكتاب لأنهن سبع آيات وبه قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد في الرواية الثانية عنهم وعمر وعلي وأبو فاختة وأبي بن كعب وأبو العالية وعبد الله بن عبيد بن عمير وأبو مليكة وشهر بن حوشب والحسن وقتادة وخالد الحنفي.

وثالثها: أنها معاني القرآن وبه قال زياد بن أبي مريم.

ورابعها: أنه القرآن العظيم وبه قال أبو مالك وطاووس وابن عباس في الرواية الثالثة والضحاك في الرواية الثانية.

حكاه ابن جرير واختار القول الثاني منها وحديث الباب دليل على رجحان هذا القول

٢٢٣- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال: «مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت فقال: ما منعك أن تأتي فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته، فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته.»

٢٢٤- حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

ش: مضى حديث أبي سعيد بن المعلى في الباب الأول وأما قوله في حديث أبي هريرة «أم القرآن» فعند الترمذي من رواية أبي علي الحنفي «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» وعند ابن جرير من طريق سعيد المقبري «هي أم الكتاب وهي أم القرآن وهي السبع المثاني».

قال الخطابي: «في الحديث رد على ابن سيرين حيث قال: إن الفاتحة لا يقال لها أم القرآن وإنما يقال لها فاتحة الكتاب».

١٩٥- [باب قوله ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾].

ش: وقبلها ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾.

يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين. اهـ من ابن جرير.

واعلم أن أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى بقوله ﴿المقتسمين﴾ على ستة

أقوال:

أولها: أنهم اليهود والنصارى فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن.

وثانيها: أنهم اليهود والنصارى أيضاً لكن سمو المقتسمين لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لي وقال بعضهم هذه لي وبه قال عكرمة.

وثالثها: أنهم أيضاً اليهود والنصارى لكن سمو المقتسمين لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم بينها بالإيمان ببعضها والكفر ببعضها وبه قال مجاهد.

ورابعها: أنهم رهط من كفار قريش بأعيانهم وهو قول قتادة.

وخامسها: أنهم رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على نبيته وأهله وبه

قال ابن زيد.

وسادسها: أنهم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم ليشيعوا لمن

سألهم عن النبي ﷺ أنه مجنون وشاعر وساحر.

قال ابن جرير بعد حكايته لهذه الأقوال: وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين

أهل الكتابين التوراة والإنجيل لأنهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض

الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان.

وجائز أن يكون عنى بذلك المشركين من قريش لأنهم اقتسموا القرآن

فسماه بعضهم شعراً وبعضهم كهانة وبعض أساطير الأولين.

وجائز أن يكون عنى به الفريقين، وممكن أن يكون عنى به المقتسمين على صالح من قومه، فإذا لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت، وجب أن يكون مقضياً بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة. اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ جمع عضة، وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أجزاء فيكون المعنى على هذا: الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه شعر وبعضه سحر وبعضه كهانة ونحو ذلك. اهـ من الشوكاني.

قلت: وهذا أحد قولين لأهل العلم بالتأويل في الآية وبه قال ابن عباس وعطاء والضحاك وقتادة وابن زيد.

وثانيهما: أنه عنى بالعضة في هذا الموضع نسبتهم إياه أنه سحر خاصة دون غيره من معاني الذم وبه قال عكرمة وقتادة في الرواية الثانية ومجاهد. حكاهما ابن جرير واختار أولهما وهو عندي متعين لأمرين: أولهما: ظاهر الآية فإنه نص في القرآن كما ترى.

وثانيهما: أنه قول أكثر المفسرين.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿المقتسمين﴾ الذين حلفوا ومنه ﴿لا أقسم﴾ أي أقسم وتقرأ ﴿لأقسم﴾، ﴿قاسمهما﴾ حلف لهما ولم يحلفا له].

ش: قوله «الذين حلفوا» جعله من الحلف وهو الذي إختاره ابن جرير وقد قدمناه في شرح الآية أنه من القسمة بمعنى التفرق.

قوله «ومنه لا أقسم أي أقسم وتقرأ لأقسم» قلت الثانية قراءة قبل

والأولى قراءة بقية السبعة كما حكاها في الكشف ٣٤٩/٢.
قوله «وقاسمهما» أشار إلى قوله «وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين» من
سورة الأعراف وقد أخرج ابن جرير في الآية عن قتادة «فحلف لهما يا الله حتى
خدعهما»

٢- [وقال مجاهد: تقاسموا تحالفوا].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى
وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا
بالله قال تحالفوا على إهلاكه.

والآية المشار إليها هي التاسعة والأربعون من سورة النمل.

٢٢٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «الذين جعلوا القرآن أعضاء»
قال: (هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه).

٢٢٦- حدثني عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ضبيان^(١) عن
ابن عباس رضي الله عنهما «كما أنزلنا على المقتسمين» قال: آمنوا ببعض
وكفروا ببعض، اليهود والنصارى.
ش: فيهما مسألتان:

الأولى: قوله «هم أهل الكتاب» فسره في الرواية الثانية فقال اليهود
والنصارى.

الثانية: قوله «جزؤوه أجزاء» فسره في الرواية الثانية فقال آمنوا ببعض
وكفروا ببعض.

قلت: ويقول ابن عباس هذا قال سعيد بن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد
أخرجه عنهم ابن جرير.

(١) هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي الكوفي ثقة من الثانية مات سنة تسعين وقيل
غير ذلك ع.

١٩٦- [باب ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل حمر عتيق وهي معتقة.

فائدة:

قال ابن القيم: «واليقين هنا الموت باتفاق أهل الإسلام فجاءه ﷺ إذ جاءه وإرادته وقصده، ونيته في الذروة العليا، ونهاية كمالها وتمامها». اهـ.
قوله: [قال سالم اليقين الموت].

ش: قلت هو سالم بن رافع الغطفاني المشهور بابن أبي جعد وهذا الخبر وصله الفريابي وعبد بن حميد وغيرهما من طريق طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد بهذا قاله الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ويشهد له من السنة ما رواه مسلم في الإمارة باب فضل الجهاد والرباط، والنسائي في التفسير قوله ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ عن بعجة بن عبد الله بن بدر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير ما عاش الناس له رجل يمسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة، طار على متن فرسه فالتمس الموت في مضانه، أو رجل في شعبة من هذه الشعاب، أو في بطن واد من هذه الأودية في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد الله، حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير».

آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٧- [باب تفسير سورة النحل]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وَأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من

الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ورواه ابن مردويه

عن ابن عباس وابن الزبير.

وتسمى هذه السورة، سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها وعدد آياتها ثمان

وعشرون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- ﴿روح القدس﴾ جبريل ﴿نزل به الروح الأمين﴾.

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الأعلى بن واصل ثنا جعفر بن عون العمري عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال: روح القدس جبريل.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى من سورة المائدة ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس . . . الآية﴾ عن عبد الله وأظنه ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وعطية العوفي والسدي والربيع بن أنس وإسماعيل بن أبي خالد مثل ذلك .

قلت: ويشهد له قوله تعالى من سورة البقرة ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك يا ذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾. والآية المشار إليها: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾.

وقوله ﴿نزل به الروح الأمين﴾ هي الآية الثالثة والتسعون بعد المائة من سورة الشعراء وقد ذكرها المصنف ههنا استشهداً.

٢- ﴿في ضيق﴾ : يقال أمر ضيق وضيق مثل هين وهين ولين ولين وميت وميت .

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح الأول وهو تخفيف ضيق بمنزلة ميت وهين ولين وإذا خففتها قلت ميت وهين ولين وإذا كسرت أول ضيق فهو مصدر الضيق». اهـ

والآية المشار إليها: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾.

٣- [قال ابن عباس: ﴿تفياً ظلاله﴾ تنهياً].

ش: قلت: كذا في الصحيح والذي أخرجه ابن جرير من طريق المثني أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿تفياً ظلاله﴾ يقول تميل.

والآية المشار إليها: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داحرون﴾.

تنبيه:

وقع في رواية المصنف ههنا تنهياً بالمشاة الفوقية وقراءة الجمهور يتفياً بالمشاة التحتية وكتلتا القراءتين صحيحة مشهورة.

٤- ﴿سبل ربك ذلاً﴾ لا يتوعر عليها مكان سلكته].

ش: رواه ابن جرير من طريق القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ﴿فاسلكي سبل ربك ذلاً﴾ قال طرقتاً ذلاً قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته.

والآية المشار إليها: ﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾.

٥- [وقال ابن عباس ﴿في قلبهم﴾ اختلافاً].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني المثني وعلي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾.

٦- [وقال مجاهد: ﴿تميد﴾ تكفاً].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثني قال ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿أن تميد بكم﴾ أن تكفاً بكم.

والآية المشار إليها: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يَقْبَسَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسِبْلاً لَكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٧- [﴿مفرتون﴾ منسيون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وأنهم مفرتون﴾ قال منسيون.

والآية المشار إليها: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرتون﴾.

٨- [وقال غيره ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ هذا مقدم ومؤخر وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ومعناها الاعتصام بالله].

ش: يعني غير مجاهد وهو أبو عبيدة فإن هذا التفسير منقول عنه، وقوله «ومعناها الاعتصام بالله» قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآية المشار إليها: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

٩- [وقال ابن عباس: ﴿تسيمون﴾ ترعون].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا ابن وكيع ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن عكرمة والضحاك وغيرهما.

والآية المشار إليها: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾.

١٠- [﴿قصد السبيل﴾ البيان].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثني أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

١١- [«الذّفء» ما استفادت].

ش: قال أبو عبيدة: أي ما استفدىء به من أوبارها.

والآية المشار إليها: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾.

١٢- [«تريحون» بالعشي].

١٣- [«تسرحون» بالغداة].

ش: قاله أبو عبيدة. والآية المشار إليها: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾.

١٤- [«بشق» يعني المشقة].

ش: قال أبو عبيدة: يكسر أوله ويفتح ومعناه بمشقة الأنفس وقال النمر بن ثولب:

وذى إبل يسعى ويحسبها له أخى نصب من شقها ودؤوب
أي مشقتها. اهـ

والآية المشار إليها: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾.

١٥- [«على تخوف» تنقص].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

قال ألام على الهجاء وكل يوم يلاقيني من الجيران غول
تخوف غدرهم مالي وأهدى سلاسل في الخلق لها صليل
أي تنقص غدرهم مالي. اهـ

والآية المشار إليها: ﴿أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾.

١٦- [«الأنعام لعبرة» وهي تؤنث وتذكر وكذلك الأنعام جماعة النعم].

ش: قال أبو عبيدة: يذكر ويؤنث وقال آخرون: المعنى على النعم لأن النعم

يذكر ويؤنث قال:

أكل عام نعمّ تحوونه يلقحه قوم وتشجونه

أربابه نوكى ولا يجمونه. اهـ

والآية المشار إليها: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾.

١٧- [أكناناً] واحدها كن مثل حمل وأجمال].

ش: قاله أبو عبيدة بدون قوله مثل حمل وأجمال.

والآية المشار إليها: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾.

١٨- [سراويل] قمص [تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم] فإنها

الدروع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وقال كعب بن زهير:

شَمُّ العرانيين أبطالٌ لبوسُهُم من نسجِ داودَ في الهيجاءِ سراويل

وتقدم الإشارة إلى الآية في الأثر قبله

١٩- [دخلاً بينكم] كل شيء لم يصح فهو دخل].

ش: قاله أبو عبيدة

والآية المشار إليها مذكورة برقم اثنين وتسعين وأربعة وتسعين ولا أدري

أيتهما عنى المصنف.

٢٠- [قال ابن عباس: ﴿حفدة﴾ من ولد الرجل].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن المثني ثنا عبد الصمد ثنا شعبة عن أبي

بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وحفدة﴾ قال: هم الولد وولد الولد.

وهو أحد أقوال أربعة:

ثانيها: أنهم الأختان وهو قول ابن مسعود وأبي الضحى والنخعي وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أنهم أعوان الرجل وخدمه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة.

ورابعها: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره وبه قال ابن عباس في الرواية الرابعة عنه.

ذكر هذه الأقوال ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

٢١- [«السكر» ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما أحل الله]

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثني أخبرنا العباس بن أبي طالب ثنا أبو عوانة عن الأسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس فذكره.

وهو قول سعيد بن جبير وأبي رزين والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أن السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد وصار يسكر شرابه وبه قال ابن مسعود وأبو عبد الرحمن بن أبي ليلى وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وإبراهيم والضحاك.

وثالثها: أن السكر هو كل ما كان حلالاً شربه، فالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن: التمر والزبيب وهو قول الشعبي ومجاهد في الرواية الثانية عنهما. واختار ابن جرير هذا القول قال: وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب، والثاني ما طعم من الطعام والثالث السكون والرابع المصدر.

قال مقبده: وعندني أن معنى الآية امتنان الله على عباده بإباحة المسكر من

ثمرات النخل وذلك أول الأمر كما تقدم التفصيل في ذلك.
والآية المشار إليها: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً
ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾.
٢٢- [وقال ابن عيينة عن صدقة ﴿أنكاثاً﴾ هي خرقاء كانت إذا أبرمت
غزها نقضته].

ش: قوله عن صدقة هو أبو الهذيل والأثر وصله ابن أبي حاتم حكاه الحافظ
وغيره.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قسوة أنكاثاً
تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾.
٢٣- [وقال ابن مسعود: الأمة معلم الخير والقانت المطيع].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن بشار ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن سلمة
بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن
الأمة القانت قال: الأمة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله.
والآية المشار إليها: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من
المشركين﴾.

١٩٨- [باب ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾].

ش: قلت: الآية ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير﴾.

يقول تعالى ذكره: والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم، ولم تكونوا شيئاً لا الآلهة التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ﴿ثم يتوفاكم﴾ يقول ثم يقبضكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ يقول: ومنكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر، وهو أردؤه يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذله رذالة ورذولة، ورذلته أنا وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة.

وقوله ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ يقول إنما نرده إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه، ﴿بعد علم شيئاً﴾ يقول لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي، فلا يعلم منه شيئاً، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له، لا يعقل شيئاً ﴿إن الله عليم قدير﴾ يقول: إن الله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئاً، ولا يعجزه شيء أراد. اهـ من ابن جرير.

٢٢٦- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعمور^(١) عن شعيب^(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والممات».

(١) هو هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم النحوي البصري ثقة مقرأء إلا أنه رمي بالقدر من السابعة. خ. م. د. ت. س.

(٢) هو أبو صالح شعيب بن الحبحاب الأزدي مولاهم البصري ثقة من الرابعة مات سن إحدى وثلاثين ومائة أو قبلها. خ. م. د. ت. س.

ش : فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله « أعوذ بك » في باب ما يتعوذ من الجبن من كتاب الجهاد برواية معتمر عن أبيه عن أنس « اللهم إني أعوذ بك » والاستعاذة بالله هي الالتجاء إليه والاعتصام به من كل مكروه.

الثانية: قوله « من البخل » في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده. اهـ من المصباح.

الثالثة: قوله « والكسل » وهو التثاقل عن الأمر وبابه طرب فهو كسلان. اهـ من الصحاح.

قلت: ومنه قوله تعالى في المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالِي﴾ يعني متثاقلين متبرمين.

الرابعة: قوله « وأرذل العمى » رذل الشيء بالضم رذالة ورذولة بمعنى رذو فهو رذل والجمع أرذل ثم يجمع على أرادل مثل كلب وأكلب وأكالب والأنثى رذلة والرذال بالضم والرذالة بمعناه وهو الذي إنتقى جيده وبقي أرذله. اهـ من المصباح.

الخامسة: قوله « وعذاب القبر » قلت: هذا نص صريح في ثبوت عذاب القبر ولولا ذلك ما استعاذ منه النبي ﷺ.

قال الطحاوي: وبعباد القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

قال الشارح: فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كفيته إذ ليس للعقل وقوف على كفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

السادسة: قوله « وفتنة الدجال » قلت: فيه دليل على خروج الدجال

والخير في ذلك متواتر عن النبي ﷺ ومن أحاديثه ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال: أقتله ولا يسلط عليه»

وعن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد» متفق عليهما. كما في جامع الأصول [ج ١٠].
السابعة: قوله «وفتنة الحيا والممات».

قال ابن بطال: «هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الإفتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليسنّ لهم صفة المهم من الأدعية».

آخر تفسير سورة النحل والحمد لله.

سورة بني إسرائيل

١٩٩- بسم الله الرحمن الرحيم

سورة بني إسرائيل

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ وتسمى الإسراء وشاهد التسمية واضح.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر».

وأخرج المصنف عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي»

قال ابن عباس: «نزلت سورة بني إسرائيل بمكة» أخرجه النحاس وابن مردويه.

وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية.

٢٢٧- حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهنّ من تلادي».

يأتي شرحه في تفسير سورة الأنبياء ضمن الباب الحادي والثلاثين بعد المائتين.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [قال ابن عباس: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يهزون].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً﴾.
٢- [وقال غيره: نَغَضَتْ سِنِكَ أَي تَحَرَّكَتْ].

ش: قال أبو عبيدة: ويقال: قد نغضت سن فلان إذا تحركت وارتفعت من أصلها قال:

ونغضت من هرم أسنانها. اهـ

٣- [﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون].

ش: أخرج هذا المعنى ابن جرير موصولا عن ابن عباس ومجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا﴾.

٤- [والقضاء على وجوه: ﴿وقضى ربك﴾ أمر ربك].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس يقول أمر. كما أخرجه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبسالوالدين

إحساناً ﴿﴾.

٥- [ومنه الحكم ﴿﴾ إن ربك يقضي بينهم ﴿﴾].

ش: قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآية هي الثالثة والتسعون من سورة يونس والثامنة والسبعون من سورة

النحل والسابعة عشرة من سورة الجاثية.

٦- [ومنه الخلق ﴿﴾ فقضاهن سبع سموات ﴿﴾ خلقهن ﴿﴾].

ش: كذا قال الداغاني في قاموس القرآن [مادة ق ض ي].

والآية المشار إليها هي الثانية عشرة من سورة فصلت وقد ذكرها المصنف

ضمن الشواهد على أن القضاء وجوه متعددة.

٧- [نفيراً ﴿﴾ من ينفر معه ﴿﴾].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه من الذين نفروا معه.

والآية المشار إليها: ﴿﴾ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال

وبين وجعلناكم أكثر نفيراً ﴿﴾.

٨- [وليتبروا ﴿﴾ يدمروا ﴿﴾ ما علوا ﴿﴾].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿﴾ فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا

المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيراً ﴿﴾.

٩- [حصيراً ﴿﴾ محبساً محصراً ﴿﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها: ﴿﴾ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا

جهنم للكافرين حصيراً ﴿﴾.

١٠- [حق ﴿﴾ وجب ﴿﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليها العذاب.

والآية المشار إليها: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

١١- ﴿مَيْسُورًا﴾ لِينًا.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: هيناً وهو من اليسر.

والآية المشار إليها: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾.

١٢- ﴿خَطِئًا﴾ إِثْمًا وَهُوَ اسْمٌ مِنْ خَطِئْتُ وَالْخَطَأُ مَفْتُوحٌ مَصْدَرُهُ مِنَ الْإِثْمِ خَطِئْتُ بِمَعْنَى أَخْطَأْتُ.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: كقول أوس بن غلقاء الهجيمي:

دعيني إنما خطي وصوبي عليّ وإنما أهلكت مالي

يريد إصابتي، اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾.

١٣- ﴿لَنْ تَخْرُقَ﴾ لَنْ تَقْطَعُ.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «الأرض وقال رؤية:

وقائم الأعماق حاوي المخزق

أي المقطع، اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا﴾.

١٤- ﴿وَإِذْ هُمْ لِحُجُوبٍ﴾ مصدر من ناجيت، فوصفهم بها والمعنى

يتناجون].

ش: قال أبو عبيدة: «وهي مصدر من ناجيت أو اسم منها فوصف القوم

بها والعرب تفعل ذلك كقولهم: إنما هم عذاب وأنتم غم فجاءت في موضع

متناجين».. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿لَمَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَبْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.
١٥- [﴿رَفَاتًا﴾ حطاماً].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي التاسعة والأربعون والثامنة والتسعون.

١٦- [﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استعجف].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «واستجهل».. اهـ.

١٧- [﴿بِكَيْلِكَ﴾ الفرسان].

ش: قال ابن جرير: يقول واجمع عليهم من ركبان جنك.

١٨- [«والرجل» الرنجاله واحدها راجل مثل صاحب وصاحب وتاجر

وتجّر].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها بالثلاث الكلمات: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مِنْ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِكَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

١٩- [﴿حَاصِبًا﴾ الريح العاصف، والحاصب أيضاً ما ترمي به الريح

ومنه حصب جهنم يُرمي به في جهنم وهو حصبها ويقال حصب في الأرض ذهب، والحصب مشق من الحصباء والحجارة].

ش: قال الأزهرى في تهذيبه: «قال الليث الحصب: الحطب الذي يلقي في

تنور أو في وقوه... والحصب رميك بالحصباء والحصباء صغارها وكبارها... وقال الفراء: ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب».

قلت: ويقال: «حصبته أحصبه حصباً إذا رميته بالحصباء والحجر المرمي به

حصب كما يقال نفضت الشيء نفصاً... ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى حاصب وللحباب يرمي بالبرد والتلج حاصب لأنه يرمي بها رمياً. اهـ.
والآية المشار إليها: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً﴾.

٢٠- ﴿تارة﴾ مرّة وجماعته تيرة وتارات].

ش: قال أبو عبيدة: «مرة أخرى والجميع تارات وتير».

والآية المشار إليها: ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾.
٢١- ﴿لأحتكن﴾ لأستأصلنهم يقال: إحتك فلان ما عند فلان من علم إستقصاه].

ش: قال أبو عبيدة: «بجازه لأستميلنهم ولأستأصلنهم، يقال: أحتك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره أخذه كله واستقصاه، قال: نشكو إليك سنة قد أجهفت جهداً إلى جهد بنا فأضعفت واحتكت أموالنا وجلفت. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قال أرءيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً﴾.

٢٢- ﴿طائره﴾ حظه].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال ابن جرير: مثل لما كانت العرب تتفاهل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها. ثم أخرج هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

٢٣- [وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو حجة].

ش: وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن

عباس. حكاة في الفتح.

والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في الآية الثالثة والثلاثين

وثانيتها في الآية الثمانين.

٢٤- [﴿ولي من الذل﴾ لم يحالف أحداً].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى

وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره

وزاد «ولا يتبغي نصر أحد».

والآية المشار إليها: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له

شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾.

٢٠٠- [باب قوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾].

ش: تمامها: ﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ تنزيهاً للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكاً وأن له صاحبة وولداً وعلواً له وتعظيماً عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

ويعني بقوله ﴿ليلاً﴾ من الليل.

وأما قوله ﴿من المسجد الحرام﴾ فإنه يختلف فيه وفي معناه فقال بعضهم يعني من الحرم وقال: الحرم كله مسجد.

وقوله ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعني مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام.

وقوله ﴿الذي باركنا حوله﴾ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معاشهم وأقواتهم وحروثهم وغروثهم.

وقوله ﴿لنريه من آياتنا﴾ يقول تعالى ذكره: كي نري عبدنا محمداً من آياتنا يقول: من عبرنا وأدلتنا وحججنا.

وقوله ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة

إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط

بجميعه علماً، ومحضيه عدداً وهو لهم بالمرصاد، ليحزي جميعهم بما هم أهلها. من ابن جرير.

٢٢٨- حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا يونس. ح. وحدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال ابن المسيب قال أبو هريرة: أتى رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من حمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن. قال جبريل: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لو أخذنا الخمر غوت أمتك.

٢٢٩- حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قممت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

زاد يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب^(١) عن عمه: لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس. نحوه.
ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «أتى رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء» قلت: إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله. قلت: وبيت المقدس اليوم بدولة فلسطين من أرض الشام وتقع تحت اليهود نسأل الله لها الخلاص. وظاهر الحديث أن ما أتى به النبي ﷺ المفسر فيما بعد كان بيت المقدس وفي حديث مالك بن صعصعة عند المصنف في الإسراء بعد مروره بالسموات السبع ووضوله سدرة المنتهى «ثم أتيت بإناء من حمر وإناء من لبن وإناء من غسل» نص بأن إتيانه بهذه الأشربة كان في السماء ويجمع بين الروايتين بأن العرض كان مرتين إحداهما في بيت المقدس والأخرى في السماء وسبب ذلك ما ناله من العطش في هذه السفرة، ويؤيد هذا الجمع ما وقع عند

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني، صدوق له أوهام، من السابعة، مات سنة اثنتين وخمسين [ومائة] وقيل بعدها. (ع)

مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس عن ثابت عن أنس قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من حمر وإناء من لبن».

الثانية: قوله «بقدحين من حمر ولبن» في حديث مالك المشار إليه زيادة العسل وعند ابن إسحاق من حديث أبي سعيد الخدري زيادة «وإناء فيه ماء» ويجمع بين هذا الاختلاف بأن الأشربة كانت أربعة وأن كل راوي ذكر ما لم يذكره غيره.

الثالثة: قوله «الحمد لله الذي هدانا لهذا للفطرة» في حديث مالك «هي الفطرة التي أنت عليها» وهذا دليل على فرح الروح الأمين بما وفق إليه سيد المرسلين من إصابة الفطرة السليمة والملة القويمة.

قال القرطبي: «يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعائه، والسر في ميل النبي ﷺ إليه دون غيره لكونه كان مألوفاً له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة».

الرابعة: قوله «لو أخذت الخمر غوت أمتك» وعند البيهقي عن أنس قال: «ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك».

الخامسة: قوله «لما كذبتني» في بعض الألفاظ «كذبتني» بزيادة مثناة وكلاهما جائز وقد وقع بيان ذلك في طرق أخرى فروى البيهقي في «الدلائل» من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن أبي سلمة قال «افتتن ناس كثير - يعني عقب الإسراء - فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له فقال: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه ببحر السماء قال فسمى بذلك الصديق» قال سمعت جابراً يقول فذكر الحديث، وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبخاري

بإسناد حسن قال: «قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة مر بي عدو الله أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال فإن دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم قال: يا معشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت إليه المجالس حتى جاعوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم، قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، قالوا: وتستطيع أن تتعت لنا المسجد» الحديث.

السادسة: قوله «فجلى الله لي بيت المقدس» قيل معناه كشف الحجب بيبي وبينه حتى رأته، وعن أم سلمة عند مسلم «قال فسألوني عن أشياء لم أثبتها، فكربت كرباً لم أكرب مثله قط، فرفع الله لي بيت المقدس أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به».

السابعة: قوله «فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه» يعني شرعت في ذكر أوصاف بيت المقدس.

قلت: وهذا من تأييد الله نبيه وإظهار صدقه.

فائدة:

قال سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية بارك الله في عمره وعلمه وأمتع به وأعظم له الأجر والثوبة: «فلا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه، قال الله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عرج به إلى السماوات وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة فكلمه

ربه سبحانه بما أراد وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعها ويسأله التخفيف حتى جعلها خمساً فهي خمس في الفرض وخمسون في الأجر، لأن الحسنه بعشر أمثالها، فله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث والله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات فلم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبيته الرسول ﷺ للأمة إما بالقول أو الفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة ولم يفرطوا في شيء من الدين؛ بل هم السابقون إلى كل خير فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الإسلام لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليس من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وقال عز وجل في سورة الشورى ﴿أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع والتصريح بأنها ضلالة تسيئاً للأمة على عظم خطرها وتنفيراً لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في

الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفي السنن عن العرياض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. انتهى محل الغرض من (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء) (٤٥/٣).

قال مقيدته: عرفت فالزم وسمعت فافهم ولا يستهوينك ما عليه أكثر الناس فإنه من زخرف القول واعلم بأن الأصل في العبادات الحظر إلا بنص.

- ﴿قاصفا﴾ ربح تقصف كل شيء.]-

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي تحطم يقال: بعث الله عليهم رجماً عاصفاً قاصفاً لم تبق لهم ناغية ولا راغية

وتقدم الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الحادي والعشرين في الباب قبله.

٢٠١- [باب ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾].

ش: تمامها ﴿وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾.

«يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات، وأكملها، كما قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله ويتفهم به، ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وحملناهم في البر﴾ أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال «وفي البحر» أيضاً على السفن الكبار والصغار.

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات». اهـ من ابن كثير.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [﴿كرّمنا﴾]: وأكرمنا واحداً].

ش: قال أبو عبيدة: أي أكرمنا إلا أنها أشد مبالغة في الكرامة

٢- [﴿ضعف الحياة﴾ عذاب الحياة ﴿وضعف الممات﴾ عذاب الممات].

ش: قال أبو عبيدة: مختصر كقولك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات

فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة.

والآية المشار إليها: ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد

لك علينا نصيراً ﴿٣﴾.

٣- [﴿خلافك﴾ وخلفك سواء].

ش: قال أبو عبيدة: أي بعدك قال:

عفت الديار خلافها فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيراً

أي بعدهن ويقرؤه آخرون خلفك والمعنى واحد. اهـ.

قلت: وكلتا القراءتين سبعية صحيحة حكاها مكي.

٤- [﴿ونأى﴾ تباعد].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾.

٥- [﴿شاكلته﴾ ناحيته وهي من شكلته].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وخليقته ومنها قولهم هذا من شكل هذا وبه قال

ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو أحد قولين حكاها ابن جرير في الآية

وثانيهما بمعنى الدين وهو قول ابن زيد، والأول هو ما اختاره ابن جرير في

تفسير الآية.

والآية المشار إليها: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو

أهدى سبيلاً﴾.

٦- [﴿صرفنا﴾ وجهنا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وبيناً.

وهذه الكلمة وقعت في الآية الحادية والأربعين والتاسعة والثمانين من

السورة.

٧- [﴿قبلاً﴾ معانية ومقابلة، وقيل القابلة لأنها مقابلتها وتقبل ولدها].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مقابلة أي معانية قال:

نصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها كصرخة جبلى بشرتها قبيلها
أي قابلتها. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي
بالله والملائكة قبلاً﴾.

٨- ﴿خشية الإنفاق﴾ أنفق الرجل أملك، ونفق الشيء ذهب.

ش: قال أبو عبيدة: من ذهب ما في أيديكم يقال أملك فلان أي ذهب ماله
واحتاج وأفقر مثلها.

والآية المشار إليها: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم
خشية الإنفاق﴾.

٩- ﴿قتوراً﴾ مُقْتَرًا.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾.

١٠- ﴿للأذقان﴾ مجتمع اللحين والواحد ذقن.

ش: قاله أبو عبيدة.

وقد ذكرت الكلمة في السورة مرتين في الآية السابعة والتاسعة بعد المائة.

١١- [وقال مجاهد ﴿موفوراً﴾ وافر].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثنا حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿قال اذهب فمّن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم
جزاء موفوراً﴾.

١٢- [﴿تبعياً﴾ ثائراً].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿أم أمتهم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم

قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴿١٣﴾
 [وقال ابن عباس نصيراً].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

١٤- [﴿خبت﴾ طَفِئَتْ].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك ﴿خبت﴾ سكنت وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾.

١٥- [وقال ابن عباس ﴿لا تبذر﴾ لا تنفق في الباطل].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره وزاد المبذر هو المسرف في غير حق. وأخرج نحوه عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿وآيات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾.

١٦- [﴿ابتغاء رحمة﴾ رزق].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس. وأخرج نحوه عن إبراهيم النخعي وعكرمة ومجاهد وعبيدة السلماني وسعيد بن المسيب وغيرهم.

والآية المشار إليها: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾.

١٧- [﴿مثوراً﴾ ملعوناً].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وهو أحد أقوال خمسة في الآية.

وثانيها: أي مغلوباً وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية والضحاك.
 وثالثها: أي هالكاً وبه قال مجاهد وقتادة.
 ورابعها: بمعنى مبدلاً مغيراً وبه قال عطية.
 وخامسها: مخبولاً لا عقل له وبه قال ابن زيد.
 حكاهما ابن جرير ويظهر من صنيعه في شرح الآية أنه اختار قول ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشبوراً﴾.
 ١٨- [﴿لا تقف﴾ لا تقل].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وهو أحد أقوال ثلاثة في الآية.
 وثانيها: بمعنى لا ترم وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية ومجاهد.
 وثالثها: بمعنى لا تتبع ما لا تعلم. وبه قال بعض أهل العربية من أهل الكوفة.

أخرجها ابن جرير واختار أولها.
 والآية المشار إليها: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.
 ١٩- [﴿فجاسوا﴾ تيمموا].

ش: قال ابن جرير في الآية وقوله ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ يقول فترددوا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤوا ثم أخرج عن ابن عباس ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ قال مشوا.

وقال ابن كثير: «أي تملكوا بلادكم وسلخوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها». اهـ وظاهر الآية يرشد إلى هذين المعنيين والله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ أَوْلَاهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

٢٠- ﴿يَزْجِي الْفَلَكَ﴾ مجري الفلك].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي بن داود ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وأخرجه أيضاً عن ابن زيد وأخرج عن قتادة قال يسيرها في البحر.

والآية المشار إليها: ﴿وَبِكُمْ الَّذِي يَزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

٢١- ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ للوجوه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وبه قال قتادة وهو أحد قولين للمفسرين في الآية وثانيهما: أنه عنى بذلك اللحي وبه قال الحسن.

أخرجهما ابن جرير واختار ثانيهما.

والآية المشار إليها: ﴿قُلْ ءَامَنُوا بِهِ أَوْ لَا تَوَظَّنُوا إِن الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

٢٠٢- [باب قوله ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا﴾].

ش: تمامها ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿أمرنا مترفيها﴾ فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ﴿أمرنا﴾ بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها... وقرأ ذلك أبو عثمان النهدي ﴿أمرنا﴾ بتشديد الميم من الإمارة... وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ﴿أمرنا﴾ بمد الألف من أمرنا بمعنى أكثرنا فسقتها... وأولى القراءات في ذلك قراءة من قرأ ﴿أمرنا مترفيها﴾ بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها. وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليها القول لأن الأغلب من معنى أمرنا الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره.

قلت: والذي رجحه ابن القيم وهو عندي سديد، أن الأمر في الآية أمر تقديري كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء. والمعنى قضينا ذلك وقدرناه.

وقالت طائفة: بل هو أمر ديني، والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بكونه.

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين:

أحدهما: أمرنا بطاعتنا.

الثاني: فخالفونا أو عصونا، ونحو ذلك.

الثالث: أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك

أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا.

الرابع: أنه سبحانه جعل سبب هلاك هذه القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك. قيل: هذا يبطل بالوجه:

الخامس: وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمتزين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المتزين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمتزين يوضحه. الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا رسلنا إلى متزيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المتزين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا.

الوجه السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾. فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤساءها ومتزيها أمراً كونياً قدرياً لا شرعياً دينياً بالفسق في القرية، فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالإهلاك. اهـ من بدائع التفسير.

ومعنى قوله ﴿ففسقوا فيها﴾ فخالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته ﴿فحق عليها القول﴾ يقول فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله من الهلاك بعد الإعدار والإنذار بالرسول والحجج.

﴿فدمرناها تدميراً﴾ يقول فخرنا عند ذلك تخريباً وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً كما قال الفرزدق:

وكان لهم كبر ثمود لما رغا ظهراً فدمرهم دماراً»

انتهى من كلام ابن جرير بتصريف.

٢٣٠- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان أخبرنا منصور عن أبي

وائل عن عبد الله قال: «كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمرُ أمرُ بنو فلان».

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان وقال: أمر.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «أمر بنو فلان» بكسر الهمزة وكسر الميم.

قال في المصباح: «وأمر الشيء يأمر من باب تعب كثير».

قلت: ومنه قول أبي سفيان في قصة هرقل المشهورة «لقد أمر أمر ابن أبي

كبشة» يعني به النبي ﷺ أي شاع أمره وانتشر وعظم.

الثانية: قوله «أمر» بفتح الهمزة والميم هي قراءة ابن عباس وابن جبير وعامة

قراء الحجاز والعراق. حكاه ابن جرير.

قلت: وقرأ يعقوب بمد الهمزة. حكاه ابن الجزري في النشر.

٢٠٣- [باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾].

ش: في الكلام محذوف تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح، فيه تهيسج وتنبيه على المنّة أي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾. فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمد ﷺ. اهـ من ابن كثير.

٢٣١- حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة ؓ قال: «أتى رسول الله ﷺ بلحم، فرُفِع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس - الأولين والآخرين - في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، ويُنفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليته من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد

غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطق، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الشاء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي. ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمي يا رب، أمي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمْير، أو كما بين مكة ويُصْرَى...»

ش: فيه ست عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أتى رسول الله ﷺ بلحم» في رواية محمد بن عبيد في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ «كنا مع النبي ﷺ في

دعوة».

الثانية: قوله «فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه» فيه دليل على التخيير في الأطعمة وتفضيل بعضها على بعض واستحسان ذلك من قبل الشخص نفسه.

الثالثة: قوله «فنهس منها نهسة» بنون ومهملة أي أخذ منها بأطراف أسنانه.

الرابعة: قوله «أنا سيد الناس يوم القيامة» في رواية محمد بن عبيد المشار إليها «أنا سيد القوم يوم القيامة».

الخامسة: قوله «وهل تدرون ممّ ذلك» في الأنبياء «هل تدرون بم» والمعنى هل تعلمون ما سبب ذلك.

السادسة: قوله «يجمع الناس الأولين والآخرين» في حديث أنس في الرقائق ، باب صفة الجنة والنار (يجمع الله الناس يوم القيامة) . قال الحافظ: ووقع في رواية معبد بن هلال «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض».

السابعة: قوله «في صعيد واحد» قلت يعنى في مكان واحد وذلك المكان أرض المحشر.

الثامنة: قوله «يسمعهم الداعي وينفذهم البصر» في الأنبياء «فيصبرهم الناظر ويسمعهم الداعي».

قلت: وهذا دليل على إتفاف بعضهم حول بعض من شدة الهول والكرب والمعنى أنه يحيط بهم لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب.

التاسعة: قوله «وتدنو منهم الشمس - إلى قوله - ولا يحتملون» زاد في رواية إسحاق بن راهويه عن جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة «وتدنو الشمس من رؤوسهم فيشتد عليهم حرها ويشق عليهم دنوها فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه».

وقد أخرج مسلم من حديث المقداد «أن الشمس تدنو حتى تصير من

الناس قدر ميل»، وفي حديث سلمان «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتى يقول عق عق»، وفي رواية النظر بن أنس «لغم ما هم فيه والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت» انتهى من الفتح بتصرف (٤٣٢/١١).

العاشرة: قوله «ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم» في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم في تفسير سورة البقرة «لو استشفعنا إلى ربنا».

الحادية عشرة: قوله «فيا تون آدم» في رواية شيبان «فينطلقون حتى يأتوا آدم» وعند مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة «يا آدم أنت أبو البشر» وفي رواية همام وشيبان «أنت أبو البشر» وفي حديث حذيفة «فيقولون يا أبانا».

الثانية عشرة: قوله «فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله» قلت هذا بعض عذر أبي البشر ﷺ وفيه إثبات صفة الغضب لله سبحانه وتعالى ومعناه معروف ولا تعلم كيفيته ومن آثار ذلك الغضب ما يصيب الناس من الكرب يوم القيامة.

الثالثة عشرة: قوله «وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي» قلت: وتلك الدعوة هي قوله «رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» وهذا من بيان السنة بالقرآن.

الرابعة عشرة: قوله «وكلمت الناس في المهدي» بيانه في قوله تعالى «فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً».

الخامسة عشرة: قوله «أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب

الأيمن - إلى قوله - فيما سوى ذلك من الأبواب» فيه دليل على فضل أمة محمد ﷺ وكثرة من يدخل منهم الجنة.

السادسة عشرة: قوله «أو كما بين مكة وبصرى» كذا بالشك فيما وقفت عليه من طرق الحديث فلعل أو بمعنى "بل".

تنبيه:

ما لم نتكلم عليه من هذا الحديث فقد مضى في شرح الحديث الثالث في تفسير سورة البقرة.

٢٠٤- [باب ﴿وآتيناهم داود زبوراً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿وورك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناهم داود زبوراً﴾.

قوله ﴿وورك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ كما قال ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾... ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ وفي الشورى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ ولا خلاف أن محمد ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور.

وقوله ﴿وآتيناهم داود زبوراً﴾ تنبيه على فضله وشرفه. اهـ من ابن كثير.

٢٣٢- حدثني إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام

عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: ﴿خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته لتسرح فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعني القرآن -﴾

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿خفف على داود القراءة﴾ بالبناء للمفعول والمُخَفَّف هو الله

سبحانه وتعالى.

الثانية: قوله ﴿فكان يقرأ قبل أن يفرغ﴾ يعني المسرح الذي يضع السرح على الدابة كما صرح به في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود زبوراً﴾ وهذه الخفة في القراءة خصيصة لداود عليه الصلاة والسلام تفضل الله بها عليه في هذا الزمن اليسير.

الثالثة: قوله ﴿القرآن﴾ المراد به القراءة كما في بعض روايات الصحيح

والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة.

٢٠٥- [باب ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، أدعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. اهـ من ابن جرير.

٢٣٣- حدثني عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان حدثني سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم». زاد الأشجعي عن سفيان عن الأعمش ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾. ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن» قلت: وعند النسائي في تفسير الآية «كان نفر من الإنس يعبدون الجن».

الثانية: قوله «فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم» عند النسائي «فأسلم الجن وثبت الإنس على عبادتهم، فأنزل الله ﷻ ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾» وعند ابن جرير من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود نحو حديث الباب وفيه «والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم» وأخرج أيضاً: ثني الحسين بن علي الصدائسي، ثنا يحيى بن السكن: أخبرنا أبو العوام، أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني عن عبد الله بن مسعود قال: «كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله فأنزل الله ﷻ ﴿أولئك الذين يدعون﴾ معشر العرب يبتغون إلى ربهم الوسيلة». لكن قال الحافظ فيه: إن ثبت فهو محمول على

أنها نزلت في الفريقين.

من فقه الحديث.

أولاً: تسمية الجن بأناس كالبشر.

ثانياً: فيه دليل على أن الجن عقلاء مكلفون وأن رسالة محمد ﷺ قد شملتهم

كما شملت الإنس.

ثالثاً: لا تثريب على من عبّد من دون الله وهو غير راض بذلك.

رابعاً: فيه دليل على أن مطيع الجن موعود بالثواب.

٢٠٦- [باب ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾].
 ش: تمامها ﴿أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك
 كان محذوراً﴾.

يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي يتقربون إلى بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعونهم من دوني؟ فأنتي عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء، فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثم يقول ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ فذكر الحب والخوف والرجاء. والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له. انتهى من بدائع التفسير.

وقوله ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ تعليل لقوله يخافون عذابه أي إن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم. اهـ من الشوكاني.

٢٣٤- حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ﴿الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: كان ناس من الجن يعبدون، فأسلموا. مضى في الباب قبله.

٢٠٧- [باب ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾].

ش: قلت الآية: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أرينك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾.

قوله ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ يقول جل ثناؤه: واذكريا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تتهيب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

وقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: هو رؤيا عين وهي ما رأى النبي ﷺ لما أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو مالك ومسروق وإبراهيم وقتادة وابن جريح وابن زيد والضحاك ومجاهد. وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وقال آخرون: إنما كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قوماً يعلنون منبره وبه قال سهل بن سعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس.

وأما قوله ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها. فقال بعضهم: هي شجرة الزقوم وبه قال ابن عباس ومسروق والحسن وأبو مالك وابن المبارك وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

وقال آخرون: هي الكشوث^(١) وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم. اهـ
من ابن جرير بتصريف.

وقوله ﴿وَنُحُوفِهِمْ﴾ أي الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا طَغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان
الله لهم. اهـ من ابن كثير.

٢٣٥- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن
ابن عباس ؓ ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا
عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. ﴿والشجرة الملعونة في
القرآن﴾ : شجرة الزقوم.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «هي رؤيا عين» لم يصرح بالمرثي ههنا ومن بيانه فيما أخرجه
المصنف من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة في الإسراء كتاب
مناقب الأنصار باب المعراج «أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما
أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعتة
يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه. فقلت للحارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال:
من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعتة يقول: من قصه إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم
أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة
دون البغل وفوق الحمار أبيض». الخ الحديث. وفيه ذكر عروجه إلى السموات
ومروره بمن فيها من الأنبياء ومجاوزته سدرة المنتهى وفرض الصلاة عليه.

(١) الكشوث والأكشوث والكشوثي كل ذلك نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل: لا
أصل له، وهو اصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره ويجعل في النبيذ سوادية يقولون
كشوثاء. (اللسان . مادة: كشث) .

الثانية: قوله «أرئيت رسول الله ﷺ ليلة أسري بهم» زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث «وليس روية منام». وأخرج ابن جرير ثنا محمد بن سعد ثنا أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» قال: «يقال أن رسول الله ﷺ أرى أنه دخل مكة هو وأصحابه... الخ».

قلت: هذا قول آخر في الرؤية التي أريها النبي ﷺ ولكن لا تقوم به حجة لأنه مسلسل عن العوفيين.

الثالثة: قوله «شجرة الزقوم» هذا هو قول أكثر المفسرين كما قدمنا حكايته أول الباب واختيار ابن جرير له.

٢٠٨- [باب ﴿إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾.

يقول تعالى لرسوله ﷺ أمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ قيل لغروبها. قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس: «دلوكها» زوالها... وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله، بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه عمل أهل الإسلام اليوم، مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن.

قوله ﴿إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾ قال الأعمش: عن إبراهيم عن ابن مسعود في هذه الآية قال: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار. [قال مجاهد: صلاة الفجر].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ في قوله ﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾ قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قلت: وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبي هريرة وقتادة وأبي عبيدة وإبراهيم النخعي والضحاك وابن زيد.

٢٣٦- حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**خمسة وعشرون درجة**» في باب فضل صلاة الفجر في الجماعة من كتاب الجماعة والإمامة برواية شعيب «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً» وفيه من رواية أبي صالح «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه، خمسة وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجها إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة» الحديث.

فقوله «**وذلك... الخ**» بيان سبب التفضيل كما ترى؛ ومن فضل صلاة الجماعة ما جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة».

ويجمع بينهما بأن الدرجة أقل من الجزء فتكون الخمس وعشرون جزءاً سبعة وعشرين درجة.

وقيل: بل هي تختلف باختلاف الجماعات وأوصاف الصلاة، فما كثرت فضيلته عظم أجره، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الصلوات فما عظم فضله منها عظم أجره، وما نقص عن غيره نقص أجره، ثم قيل بعد ذلك: الزيادة للصبح والعصر. وقيل: للصبح والعشاء، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الأماكن كالمسجد مع غيره « انتهى من إحكام الأحكام.

الثانية: قوله «**وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**» فيه تفضيل صلاة الصبح وهذا يقتضي الأمر بها وزيادة الحث عليها ومما جاء في ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر» الحديث.

الثالثة: قوله «**اقرأوا إن شئتم... الخ**» هذا من مقول أبي هريرة ؓ استفاده مما قبله وهو تفسير منه بأن المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح وقد قدمنا من قال به غيره في الكلام على قول مجاهد.

٢٠٩- [باب ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك، والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل، وأما المجهود نفسه، فالنوم. كما قال الشاعر:

ألا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود

وقوله ﴿عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وعسى من الله واجبة. وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعرض على طاعتهم إياه وليس من صفته الغرور.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود على قولين.

أولهما: أنه ذلك المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه. وبه قال حذيفة وابن عباس، والحسن ومجاهد وسلمان الفارسي وقتادة.

وثانيهما: هو أن يقاعده معه على عرشه وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه. أخرج هذين القولين ابن جرير واختار أولهما ويشهد له حديث ابن عمر الآتي.

٢٣٧- حدثني إسماعيل بن أبان^(١) حدثنا أبو الأحوص^(٢)، عن آدم بن

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي، كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع مات سنة ست عشرة [ومائتين] من التاسعة. خ. صد. ت.

(٢) هو سلام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي، ثقة متقن صاحب حديث، من السابعة مات سنة تسع وسبعين [ومائة]. ع.

علي^(١) قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.»

٢٣٨- حدثنا علي بن عياش^(٢) حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة.»

رواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ.

ش: فيهما ثنتي عشرة مسألة:

الأولى: قوله «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً» قلت: جثاً يضم أوله والتنوين جمع جثوة كخطوة وخطأ، بمعنى جماعات وحكى ابن الأثير أنه روي «جثي» بكسر المثلثة وتشديد التحتانية جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبته قلت: وفي التنزيل العزيز ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ الآية.

الثانية: قوله «كل أمة تتبع نبيها» قلت: يفسره ما في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه... الخ الحديث.»

(١) آدم بن علي العجلي الشيباني، صدوق من الثالثة. خ. س.

(٢) علي بن عياش الألهاني الحمصي، ثقة ثبت من التاسعة مات سنة تسع عشرة [ومائتين]. خ. ٤.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائله على هذا الحديث:

«الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها».

الثالثة: قوله «يقولون يا فلان اشفع، يا فلان اشفع» قد جاء بيانه في غير

ما حديث ومنها حديث أبي هريرة المتقدم ضمن الباب الثالث بعد المائتين.

الرابعة: قوله «حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ» في حديث أبي هريرة

المشار إليه «فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك».

وفي حديث أنس وهو عند المصنف في الرقاق باب صفة الجنة والنار

«فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً» الحديث.

الخامسة: قوله «فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» قلت: هذا هو وجه

الشاهد من الحديث وفيه تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى وهي الشفاعة

في الفصل بين أهل الموقف يوم القيامة وهو مرجح لما قاله حذيفة وابن عباس ومن

سمينا من أهل التفسير أول الباب.

السادسة: قوله «من قال حين يسمع النداء» قلت: النداء هو الأذان

و"ال" فيه للعهد وظاهره أن الدعاء المذكور بعدُ يقال حين سماع الأذان لكن

روى مسلم في باب استحباب القول مثل قول المؤذن من الصلاة عن عبد الله بن

عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن

فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلى الله عليه بها

عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة» الحديث. فهو نص في الأمر بهذا الدعاء بعد الأذان

والمصير إليه متعين لأن حديث الباب مطلق وحديث عبد الله بن عمرو مقيد.

السابعة: قوله «اللهم رب هذه الدعوة التامة» قلت: المراد بالدعوة التامة

دعوة التوحيد كقوله ﴿له دعوة الحق﴾.

قال ابن التين: «وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو لا إله إلا الله».

الثامنة: قوله «والصلاة القائمة» المراد بالصلاة المعهودة المدعو إليها حينئذ ويؤيده أن الله سبحانه وتعالى أتى على خاصة أوليائه بإقام الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى ﴿هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

التاسعة: قوله «آت محمداً الوسيلة» أي اعطه المنزلة العالية الرفيعة وفي حديث عبد الله بن عمرو المشار إليه قبل قليل «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».

العاشر: قوله «والفضيلة» أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيراً للوسيلة.

الحادية عشرة: قوله «وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» قلت: هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح المقام المحمود أول الباب.

الثانية عشرة: قوله «حلت له شفاعتي يوم القيامة» أي استحقت ووجبت وفيه الحث على هذا الدعاء وأنه من أفضل القرب.

فائدة:

شرع النبي ﷺ عند الأذان خمسة أنواع:

أحدها: أن يقولوا كما يقول المؤذن إلا في الخيلة فأبدلها ب (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قلت: دليله ما رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر).

أكبر . ثم قال: لا إله إلا الله . قال: لا إله إلا الله ، من قلبه - دخل الجنة) .
وهذا مخصص لما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن .
وثانيها: أن يقول: (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً) .
ويشهد له ما في صحيح مسلم: عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ
قال: من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمداً عبده ورسوله: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه ..
وثالثها: أن يصلي على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن ، وأكملها ما
علمه أمته ، وإن تحذلق المتحذلقون .

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن عبداً لله بن عمر بن العاص أنه سمع النبي
ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي
صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا
تنبغي إلا لعباد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت
له الشفاعة .

رابعها: أن يقول بعد الصلاة عليه: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً) .

قلت: وحديث جابر في الباب شاهد له .

خامسها: أن يدعو لنفسه بعد ذلك .

وفي السنن عنه ﷺ: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ، قالوا: فما نقول
يارسول الله؟ قال: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة) حديث صحيح . انتهى
مختصراً من زاد المعاد.

٢١٠- [باب ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾].

ش: هذا تهديد ووعيد لكفار قريش، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع. وزهق باطلهم، أي اضمحل وهلك، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾. اهـ من ابن كثير. - [يزهق: يهلك].

ش: قال أبو عبيدة في الآية الخامسة والخمسين من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿وتزهق أنفسهم﴾: «أي تخرج وتموت وتهلك ويقال: زهق ما عندك أي ذهب كله».

وقال ابن جرير في آية الباب: «يقال منه زهق الباطل يزهق زهوقاً وأزهقه الله أي أذهب» وأخرج بسنده عن ابن عباس: «زهوقاً يقول ذاهباً».

٢٣٩- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾، ﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾».

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة» في المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وآله رأيته يوم الفتح من هذا الوجه «دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة يوم الفتح».

قلت: وهذه الغزوة في رمضان سنة ثمان من الهجرة كما ذكره ابن إسحاق

وغيره.

الثانية: قوله «وحول البيت» وفي المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها

خمر «وحول الكعبة» الجملة حالية.

الثالثة: قوله «ستون وثلاثمائة» في المظالم «ثلاثمائة وستون» وفيه دليل على جواز كلتا العبارتين.

الرابعة: قوله «نُصِبَ» بضم النون والمهملة وقد تسكن، بعدها موحدة هي واحدة الأنصاب وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى، كما وقع في رواية ابن أبي شيبة عن ابن عيينة «صنماً». بدل «نصباً».

واعلم أن النصب يطلق على معنيين آخرين وليس مرادين ههنا.

أحدهما: الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام.

وثانيهما: أعلام الطريق.

الخامسة: قوله «فجعل يطعنها» بضم العين وبفتحها، والأول أشهر والمعنى

يدقها ويضربها حتى يكسرها.

السادسة: قوله «بعود في يده» وأخرج مسلم في الجهاد والسير باب فتح

مكة عن أبي هريرة رضي الله عنه «ثم طاف بالبيت قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت

كانوا يعبدونه قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما

أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه».

وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي وصححه ابن حبان «فيسقط الصنم ولا

يمسه» وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس «فلم يبق وثن استقبله إلا

سقط على قفاه، مع أنها كانت ثابتة بالأرض، وقد شد لهم إبليس أقدامها

بالرصاص».

قلت: ولا منافاة بين هذه الأخبار فكل من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم

وصف ما شاهده من أحوال تلك الأصنام حين طعن رسول الله ﷺ إياها.

السابعة: قوله «ويقول» **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان**

زهوقاً﴾ هذا محل الشاهد من الحديث وقد مر شرحه

الثامنة: قوله **﴿جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد﴾** أي جاء الحق من

الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى: ﴿بِئْسَ نَقِذٌ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْمِغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. قاله ابن كثير.

قلت: وقد صنع رسول الله ﷺ هذا الصنيع إظهاراً لما من الله به عليه من النصر بفتح مكة وجعلها دار إسلام، وإذلاً للشرك وأهله، وتطهيراً لبيت الله بإزالة أنكر المنكرات حين أظهره الله على ذلك وأمكنه الله منه وأمن الفتنة.

قال ابن القيم في الصفحة الرابعة من الجزء الثالث من إعلام الموقعين وهو يذكر أمثلة على أن مبنى الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد: «فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة

محرمة. اهـ.

٢١١- [باب ﴿ويسألونك عن الروح﴾].

ش: تمامها ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً.

وأما قوله ﴿من أمر ربي﴾ فإنه يعني أنه من الأمر الذي يعلمه الله ﷻ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.

وقوله ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾

اعلم أن أهل العلم بال تفسير قد اختلفوا في المعنى به على قولين.

أحدهما: أنه عنى بذلك الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطاباً للجمع. وبه قال عطاء بن يسار وابن جريج.

وثانيهما: أنه عنى بذلك الذين سألوا الرسول ﷺ عن الروح خاصة دون غيرهم وبه قال قتادة.

حكى القولين ابن جرير واختار الأول.

٢٤٠- حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال:

حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ﷺ قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث - وهو متكىء على عسيب - إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه - وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمتم مقامي. فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾».

ش: فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «في حرث» بفتح المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة، ووقع في كتاب العلم من وجه آخر بخاء معجمة وموحدة، وضبطوه بفتح أوله وكسر ثانيه وبالعكس، والأول أصوب. ويدل له ما أخرجه مسلم من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ «كان في نخل» وزاد في رواية العلم «بالمدينة». قال الحافظ: «ولابن مردويه من وجه آخر عن الأعمش «في حرث للأنصار» وهذا يدل على أن نزول الآية وقع بالمدينة، لكن روى الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود: أعظونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى ربي﴾ ورجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه، ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك».

الثانية: قوله «وهو متكىء على عسيب» أي معتمد عليه والعسيب بمهملتين وآخره موحدة بوزن عظيم وهي الجريدة التي لا خوص فيها، ووقع في رواية ابن حبان «ومعه جريدة» قال ابن فارس: «العسيبان من النخل كالقضبان من غيرها».

الثالثة: قوله «إذ مر اليهود» كذا فيه اليهود بالرفع على الفاعلية، وفي بقية الروايات في العلم والاعتصام والتوحيد، وعند مسلم «إذ مر بنفر من اليهود» وعند ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش «إذ مررنا على يهود» ويحمل هذا الاختلاف على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلاً منهم مر بالآخر، ولم أقف في شيء من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود.

الرابعة: قوله «ها را بكم إليه» كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب، ويقال فيه رابه كذا وأرابه كذا بمعنى وقال أبو زيد: رابه إذا علم منه الريب،

وأرابه إذا ظن ذلك به.

الخامسة: قوله «وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه» في العلم «لا يجيء فيه بشيء تكرهونه» وفي الاعتصام «لا يسمعكم ما تكرهون» وهي بمعنى، وكلها على الرفع نهي بلفظ الخبر.

السادسة: قوله «فقالوا: سلوه» في التوحيد «فقال بعضهم لسألته» واللام في جواب قسم محذوف تقديره والله ونحوه.

السابعة: قوله «فسألوه عن الروح» في التوحيد «فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟» وفي رواية العوفي عن ابن عباس عند ابن جرير «فقالوا أخبرنا عن الروح».

قال ابن القيم:

«والروح في القرآن على عدة أوجه:

أحدها: الوحي كقوله تعالى ﴿وَكذَلِكَ أوحينا إليك روحاً من

أمرنا﴾. [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ [غافر: ١٥].
وسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين

كما قال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [المجادلة: ٢٢].

الثالث: جبريل كقوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾.

وقال تعالى: ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾.

وهو روح القدس قال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس﴾ [النحل: ١٠٢].

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله. وقد قيل إنها

الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون﴾

وأنها الروح المذكورة في قوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم﴾.

الخامس: المسيح بن مريم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.

وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ . وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة». اهـ من بدائع التفسير.

الثامنة: قوله «فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم».

قلت: لأنه ﷺ لا يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية من تلقاء نفسه بل ينتظر الوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

التاسعة: قوله «فعلمت أنه يوحى إليه» في التوحيد «فظننت أنه يوحى إليه» وفي الاعتصام «فقلت إنه يوحى إليه» وهي متقاربة، وإطلاق العلم على الظن مشهور، وكذا إطلاق القول على ما يقع في النفس إذا كان بقرينة.

العاشرة: قوله «فقممت مقامي» في الاعتصام «فتأخرت عنه» أي أدباً معه لئلا يتشوش بقربي منه.

الحادية عشرة: قوله «فلما نزل الوحي قال» في الاعتصام «حتى صعد الوحي فقال» وفي العلم «فقممت فلما انجلي».

الثانية عشرة: قوله «من أمر ربي» تقدم شرحه في تفسير الآية.

وقال ابن القيم: «ليس المراد هنا بالأمر الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق، ومنه ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾». اهـ.

الثالثة عشرة: قوله «فلما نزل الوحي قال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾».

قلت: هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

٢١٢- [باب ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾].

ش: قلت: الآية ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.
قوله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾.

قال ابن القيم كما في بدائع التفسير: «فهذا الدعاء المشهور وأنه دعاء المسألة وهو سبب النزول قالوا كان النبي ﷺ يدعو ربه فيقول مرة: «يا الله» ومرة «يا رحمن» فظن الجاهلون من المشركين أنه يدعو إلهين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال ابن عباس: سمع المشركون النبي ﷺ يدعو في سجوده يا رحمن يا رحيم فقالوا هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثني مثني فأنزل الله هذه الآية. ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾.

وقيل إن الدعاء هاهنا بمعنى التسمية كقولهم دعوت ولدي سعيداً وأدعه بعد الله ونحوه.

والمعنى سمو الله أو سمو الرحمن فالدعاء ههنا بمعنى التسمية وهذا قول الزمخشري والذي حمله على هذا قوله: ﴿أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فإن المراد بتعددته معنى أي: وعمومها هاهنا تعدد الأسماء ليس إلا.

والمعنى أي الأسماء سميتوه به من أسماء الله تعالى إما الله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى، أي فللمسمى سبحانه الأسماء الحسنى والضمير في "له" يعود إلى المسمى فهذا الذي أوجب له أن يحمل الدعاء في هذه الآية على التسمية. وهذا الذي قاله هو من لوازم المعنى المراد بالدعاء في الآية وليس هو عين المراد. بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء ولكنه متضمن معنى التسمية فليس المراد بمجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل

التسمية الواقعة في دعاء الثناء والطلب فعلى هذا المعنى يصح أن يكون في «تدعوا» معنى تسموا فتأمله.

والمعنى أي ما تسموا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم والله أعلم». اهـ.

قوله ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾.

اختلف أهل العلم بالتفسير في معناه على قولين:

أولهما: أنّ المعنى به الدعاء وبه قال ابن عباس وعائشة وأبو عبيد بن جراح ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعروة ومكحول.

وثانيهما: أنه عني بذلك الصلاة. ثم اختلف أهل هذا القول على أربعة

أقوال:

أحدها: أنّ المنهي عنه الجهر بالقراءة وبه قال ابن عباس والضحاك وسعيد

بن جبيرة وعطاء في الرواية الثانية عنهم وكذا قال قتادة.

وثانيها: أنّ المنهي عنه الجهر بالتشهد وهو قول عائشة في الرواية الثانية

وكذا قال ابن سيرين.

وثالثها: قالوا بل كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة جهاراً فأمر بإخفائها وبه

قال الحسن البصري.

ورابعها: أن معنى ذلك ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية

ولا تخافت بها تسيئها في السريرة وبه قال الحسن في الرواية الثانية وابن عباس في

الرواية الثالثة. حكى هذا الاختلاف ابن جرير واختار أول القولين.

قوله ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الجهر والمخافتة المدلول عليها

بالفعلين. ﴿سَبِيلاً﴾ أي طريقاً متوسطاً بين الأمرين فلا تكون مجهورة ولا مخافتاً بها.

٢٤١- حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر، عن سعيد

بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخف بمكة، كان إذا صلى

بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءة تك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن. ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تُسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سيلاً﴾.

٢٤٢- حدثني طلق بن غنّام^(١) حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «نزلت ورسول الله ﷺ مخنف بمكة» قلت: والجملة حالية ومراده أنّ ذلك كان في أول الإسلام.

الثانية: قوله «رفع صوته بالقرآن» وأخرج ابن جرير من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس «كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين إذ سمعوه فيؤذون رسول الله ﷺ بالشتم والعيب به».

قلت: وهذا مخرج على أنّ المراد بالصلاة في الآية القراءة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وبه قال سعيد ابن جبير والضحاك وآخرون وقد أسلفناه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الرابعة: قوله «أنزل ذلك في الدعاء» قلت: هو الرواية الأولى عنها أخرجها ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «نزلت في الدعاء» وبه قال ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية ومجاهد وبه قال آخرون وقد مضى أول الباب حكاية القولين.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل والله الحمد والمنة .

(١) هو أبو محمد طلق بن غنّام بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي ثقة من كبار العاشرة مات في رجب سنة إحدى عشرة ومائتين. خ. ٤.

سورة الكهف

٢١٣- سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم
 ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
 كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم
 أدرك الدجال لم يسلط عليه، ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة كان له نوراً يوم
 القيامة، من حيث قرأها ما بينه وبين مكة». رواه النسائي. والدارمي وغيرهما
 وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وأخرج مسلم
 وأحمد والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر
 آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن حفظ خواتم سورة
 الكهف كانت له نوراً يوم القيامة».

قلت: والأحاديث في فضلها كثيرة. قال القرطبي: وهي مكية في قول جميع
 المفسرين وعدد آياتها عشر ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال مجاهد: ﴿تقرضهم﴾ تتركهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾. ٢- [﴿وكان له ثمر﴾ ذهب وفضة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وهو أحد أقوال ثلاثة في الآية.

وثالثها: أنه عني به المال الكثير من صنوف الأموال وبه قال ابن عباس وقتادة.

وثالثها: أنه عني به جماعة الثمر وبه قال ابن زيد.

أخرجها جميعاً ابن جرير واختار ثالثها، وإياه نختار لأن الثمر لا يتسادر من ذكره عند الإطلاق سوى ما قال ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وولداً﴾.

٣- [وقال غيره: جماعة الثمر].

ش: قاله أبو عبيدة

وأخرج ابن جرير ثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿وكان له ثمر﴾ الثمر الأصل.

٤- [﴿بأخع﴾ مهلك].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء فتحته عن يديه المقادر
أي تحته مشددة ويقال بجعت له نفسي ونصحي أي جهدت له. اهـ.
وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: قاتل نفسك.
والآية المشار إليها: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفاً﴾.

٥- ﴿أسفاً﴾ ندماً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وتلهفاً وأسى.
وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: جزعاً وفي رواية غضباً وفي رواية حزناً.
٦- ﴿الكهف﴾: الفتح في الجبل].
ش: هو قول الضحاك، أخرجه ابن أبي حاتم كما حكاه في
الفتح. ٥٠٣/٦.

٧- ﴿الرقيم﴾ الكتاب].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس فذكره. وأخرج نحوه عن سعيد بن جبير وابن زيد وهو أحد أقوال ثلاثة.
ثانيها: أنه اسم جبل أصحاب الكهف، وهو قول ابن عباس في الرواية
الثانية وبه قال شعيب الجعفي.

وثالثها: أنه اسم قرية أو وادٍ وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة وقتادة
ومجاهد والضحاك، واختار ابن جرير القول الأول.

والآية المشار إليها: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجباً﴾.

٨- ﴿مرفوم﴾ مكتوب من الرقم].

ش: قال أبو عبيدة الجملة الأولى منه، وهذه الجملة وقعت في الآية التاسعة،
والآية العشرين من سورة المطففين، وذكرها هنا استشهاداً.

٩- ﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أَلْهَمْنَاهُمْ صَبْرًا.

ش: قال أبو عبيدة: مجازه صبرناهم، وألهمناهم الصبر، وقال ابن جرير يقول عزّ ذكره: وألهمناهم الصبر وشددنا قلوبهم بنور الإيمان.

١٠- ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهَا﴾.

ش: قلت: هذه الجملة ضمن الآية العاشرة من سورة القصص، ومناسبتها ما هنا الاستشهاد لما قبلها.

١١- ﴿شَطَطًا﴾ إِفْرَاطًا.

ش: قال أبو عبيدة: أي جوراً وغلواً، قال:

أَلَا يَا قَوْمِ قَدْ أَشْطَيْتَ عَوَازِلِي وَيَزْعَمُنَ أَنَّ أُوْدِي بَحَقِّ بَاطِلِ

وقال ابن جرير: «يعني عالياً من الكذب مجاوزاً مقداره في البطول والغلو».

ثم أخرج المعنى عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قَلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾.

١٢- ﴿الْوَصِيدُ﴾ الفِئَاءُ، جَمَعُهُ وَصَائِدٌ، وَوُصِدٌ وَيُقَالُ الْوَصِيدُ:

[الباب].

ش: قال أبو عبيدة: «على الباب، ويفناء الباب جميعاً لأن الباب يوصد أي

يغلق والجميع وصائد ووصد» أهـ.

واعلم أنّ أهل التفسير مختلفون فيه على ثلاثة أقوال:

أولها: أنّه الفئاء وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبیر ومجاهد وقتادة.

وثانيها: أنّه الصعيد، وهو قول ابن عباس وابن جبیر في الرواية الثانية وبه

قال عمرو بن مرة.

وثالثها: أنّه الباب وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة.

أخرجها ابن جرير واختار أنّه الباب، أو فناء الباب حيث يغلق.

والآية المشار إليها: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاضاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

١٣- [﴿مَوْصِدَةٌ﴾ : مطبقة. آصد الباب وأوصد].

ش: قال أبو عبيدة: « مطبقة آصدت وأوصدت وهو أطبقت. » اهـ.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى الآية الأخيرة من سورة البلد، والآية الثامنة من سورة الهمزة، ولعله أراد بالتفسير المذكور ما هنا ترجيح أن الوصيد الباب.

١٤- [﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أحياناهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهو من يوم البعث.

قال مقبده: وهذا قول غريب فإن أصحاب الكهف لم يكونوا أمواتاً بل نُومٌ بدليل قوله تعالى ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاضاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

١٥- [﴿أَزْكَى﴾ أكثر ويقال أحل، ويقال أكثر ريعاً].

ش: قلت: وبكل من القولين الأولين قال طائفة من أهل العلم بالتفسير.

فأولها: قول عكرمة.

وثانيها: قول سعيد بن جبير.

وقال قتادة: خير طعاماً أخرجها ابن جرير واختار ثانيها.

والآية المشار إليها: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

١٦- [قال ابن عباس: ﴿أَكْلَهَا﴾ وقال غيره: ﴿وَلَمْ تَظْلِمِ﴾ لم تنقص].

ش: كذا لأبي ذر ولغيره، وقال ابن عباس فذكره. وقد وصله ابن أبي حاتم

من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير حدثنا بشر: حدثنا يزيد: حدثنا سعيد عن قتادة

قوله ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي لم تنقص.

والآية المشار إليها: ﴿كلتا الجنةين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً﴾.

١٧- [وقال سعيد عن ابن عباس: ﴿الرقيم﴾ اللوح من رصاص. كتب

عاملهم أسماءهم ثم طرحه في خزائنه فضرب الله على آذانهم فناموا].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير

مطولاً وإسناده صحيح على شرط البخاري. قاله في الفتح.

وقد تقدم الكلام على الآية في الأثر السابع.

١٨- [وقال غيره: وألت تلت تنجوا].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه منجى وهو من قولهم:

فلا وألت نفس عليها تحذر

أي لا نجت. اهـ.

١٩- [وقال مجاهد: ﴿موثلاً﴾ محرزاً].

ش: رواه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى. ح وثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يأخذهم بما كسبوا لعجل

لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً﴾.

٢٠- [﴿لا يستطيعون سماعاً﴾ لا يعقلون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق. وأخرج عنه من طريق

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: لا يعلمون. وأخرج نحوه عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا

يستطيعون سماعاً﴾.

٢١٤- [باب ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾].

ش: قلت الآية ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾.

يقول عزّ ذكره ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينبؤوا ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مرأء، وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة.

٢٤٤- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب قال: أخبرنا علي بن حسين، أن حسين بن علي أخبره عن علي عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله طرقه وفاطمة قال: ألا تصليان».

ش: هكذا أورده الشيخ رحمه الله هنا مختصراً وليس فيه محل الشاهد، ولم أعرف مقصوده من ذلك، وقد رواه في كتاب التهجد، باب تحريض النبي صلى الله عليه وآله على صلاة الليل، والنوافل من غير إيجاب، بتمامه عن علي، ولفظه «أن رسول الله صلى الله عليه وآله طرقه وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله ليلة فقال: ألا تصليان فقال يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍ، يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً».

وفيه بهذا السياق ست مسائل:

الأولى: قوله «أن رسول الله صلى الله عليه وآله طرقه وفاطمة» قلت فاطمة بالنصب معطوف على المفعول في طرقه، والطروق: الإتيان بالليل، وعلى هذا فقوله ليلة للتأكيد. وحكى ابن فارس أن معنى طرق أتى، فعلى هذا يكون قوله «ليلة» لبيان

وقت المحيي فنصبها على الظرفية.

الثانية: قوله «ألا تصليان» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية حكيم بن حكيم قال: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل فأيقضنا للصلاة، ثم رجع إلى بيته فصلى هويّاً من الليل فلم يسمع لنا حساً، فرجع إلينا فأيقضنا فقال: قوما فصليا».

الثالثة: قوله «فقلت يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا» ووقع في رواية حكيم المذكورة آنفاً «قال فجلست وأنا أعرك عيني وأقول: إنا والله ما نصلي إلا ما كتب الله لنا إنما أنفسنا بيد الله فإن شاء بعثنا، بعثنا» واقتبس عليّ ﷺ ذلك من قوله تعالى ﴿اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

الرابعة: قوله «فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً» في رواية كريمة «حين قلنا» وفيه أن السكوت يكون جواباً والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد وإن كان حقاً في نفسه.

الخامسة: قوله «ثم سمعته وهو مؤل يضرب فخذيه» فيه جواز ضرب الفخذ عند التأسف.

السادسة: قوله «وهو يقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾» فيه جواز الانتزاع من القرآن وترجيح قول من قال إن اللام في قوله ﴿وكان الإنسان﴾ للعموم لا لخصوص الكفار.

تنبيه:

(إن قيل فقد احتج عليّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليّ أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة ليلاً فقال لهم: «ألا تصلون؟ قال: فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها. فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مدبر

يضرب فخذه وهو يقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾، قيل: عليّ لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم، وإنما قال: إن نفسه، ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثهما. وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة ناموا في الوادي: إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء، وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح. انتهى من شفاء العليل (ص ٣٢).

من فقه الحديث:

أولاً: فيه منقبة لعليّ ﷺ حيث لم يكتب ما فيه عليه أدنى غضاضة، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه.

ثانياً: فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل.

شرح جملة من الكلمات:

١- ﴿رَجماً بالغيب﴾ : لم يستبين.

ش: قال أبو عبيدة: والرجم ما لم تستيقنه وقال: ظن مرجم لا يدرى أحق

هو أم باطل. قال زهير:

وما الحرب إلا ما رأيتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أي قذفاً بالغيب وفي رواية بالظن، وهذه

المعاني الثلاثة متقاربة.

والآية المشار إليها: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة

سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾.

٢- ﴿فرطاً﴾ نداماً.

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثني: حدثنا بدل ابن الحخير: ثنا عباد

بن راشد عن داود ﴿فرطاً﴾ قال: ندامة.

قلت: يعني داود بن أبي هند وهو أحد أقوال أربعة حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى ضياعاً وبه قال مجاهد.
 وثالثها: بمعنى هلاكاً وبه قال خباب.
 ورابعها: بمعنى خلافاً للحق وبه قال ابن زيد.
 واختار ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال قول من قال معناه ضياعاً
 وهلاكاً.

وقال أبو عبيدة: سرفاً وتضييعاً.
 والآية المشار إليها: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
 أمره فرطاً﴾.

٣- [﴿سرادقها﴾ : مثل السرادق والحجرة التي تطيف بالفساطيط].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد بن الجواد المحمود
 سرادق المجد إليك ممدود

وقال ابن عباس: هي حائط من نار، أخرجته عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾.

٤- [﴿بجاوره﴾ من المحاورة].

ش: قال أبو عبيدة أي يكلمه، ومعناه من المحاورة.

والآية المشار إليها هي الرابعة والثلاثون والسابعة والثلاثون من السورة.

٥- [﴿لكن هو الله ربي﴾ : أي لكن أنا هو الله ربي. ثم حذف الألف

وأدغم إحدى النونين في الأخرى].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فشددت، والعرب تفعل ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾.

٦- [﴿وفجرنا خلاهما نهراً﴾ يقول بينهما].

ش: قال أبو عبيدة: أي وسطهما وبينهما وبعضهم يسكن "هاء" النهر.
والآية المشار إليها: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا
خلاهما نهراً﴾.

٧- ﴿زلزلاً﴾ لا يثبت فيه قدم].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار: ﴿فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها
حساباً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً﴾.

٨- ﴿هنالك الولاية﴾ مصدر الولي].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فإذا كسرت الواو فهي مصدر وليت العمل،
والأمر تليه.

٩- ﴿عقباً﴾ عاقبة وعقبى عقبه، واحد. وهي الآخرة].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً﴾.

١٠- ﴿قبلاً﴾ وقبلاً، استئنافاً].

ش: قال أبو عبيدة: يقال من ذي قبل فإن فتحوا أولها فالمعنى استئنافاً قال:

لن يغلب اليوم جياكم قبلي

أي استئنافي. وإن ضموا أولها فالمعنى مقابله، يقال: اقبل قبيل فلان إنكسر،
وله موضع آخر أن يكون جميع قبيل فمعناه أو يأتيهم العذاب قبلاً، أي قبلاً قبلاً
أي ضرباً ضرباً، ولوناً لوناً. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾.

١١- ﴿لِيَدْخُضُوا﴾ : ليزيلوا، الدحض الزلق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال مكان دحض أي مزل مزلق، لا يثبت فيه خف، ولا قدم ولا حافر. قال طرفة:

وردت ونحى الإشكري حذاره وحاد كما حاد البعير عن الدحض.

والآية المشار إليها: ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيَدْخُضُوا بِهِ الْحَقَّ
وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾.

٢١٥- [باب ﴿وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقياً﴾].

ش: يقول عز ذكره لنبيه ﷺ واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتهاه يوشع: لا أبرح يقول: لا أزال أسير.

وقوله ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ أي ملتقاهما. وقيل المراد بالبحرين، فارس والروم، وقيل بحر الأردن، وقيل غيرها.

قوله ﴿أو أمضي حقياً﴾ أي أسير زماناً طويلاً.

[﴿حقياً﴾ زماناً وجمعه أحقاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال في معناه مضت له حقبة والجميع حقب، على تقدير كسرة والجميع كسر كثيرة.

٢٤٥- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال:

أخبرني سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن

موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس:

كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى

قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه

إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم

منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في

مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق،

وانطلق معه بفتهاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما،

واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر

سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ

نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليتئهما، حتى إذا كان

من الغد قال موسى لفتهاه: آتانا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً. قال: ولم

يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدّا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجلٌ مسجى ثوباً، فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام. قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أيتك لتعلمني مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال له الخضر: فأنا اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول. فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمرأ. قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال وهذا أشد من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني

عذرا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض. قال: مائل. فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال: هذا فراق بيني وبينك - إلى قوله - ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً. فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما. قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ، ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا﴾. وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين).
ش: فيه تسع وأربعون مسألة:

الأولى: قوله «إن نوحاً البكالي» في رواية ابن جريح الآتية «إنا لعند ابن عباس في بيته قال: سلوني قلت: أي أبا العباس، جعلني الله فداك، بالكوفة رجل قاص يقال له نوف».

قلت: وصاحب هذا القول هو سعيد بن جبير راوية ابن عباس، ونوف هذا هو نوف بن فضالة ابن امرأة كعب الأحبار، مستور من الثانية، قد كذبه ابن عباس فيما رواه عن أهل الكتاب، مات بعد التسعين.

الثانية: قوله «يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل» وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: «كنت عند ابن عباس وعنده قوم من أهل الكتاب فقال بعضهم: يا أبا عباس إن نوحاً يزعم عن كعب الأحبار أن موسى الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا قال: أسمعته يا سعيد قال نعم».

الثالثة: قوله «كذب عدو الله» يعني فيما قال وذلك لمخالفته صريح القرآن كما هو مبسوط في سورة الأعراف وغيرها، وهذا القول محمول على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة.

الرابعة: قوله «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل» في رواية ابن جريح

«موسى رسول الله عليه السلام قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى» وعند مسلم في الفضائل، باب فضل الخضر، والنسائي في التفسير «أنه بينا موسى عليه السلام في قومه يذكروهم بأيام الله وأيام الله نعمائمه، وبلائمه».

الخامسة: قوله «فستل أي الناس أعلم» في رواية ابن جريج «فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك».

السادسة: قوله «أنا» في رواية ابن جريج «قال لا» وعند مسلم والنسائي «ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني».

السابعة: قوله «فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه» وفي رواية ابن جريج «إذ لم يرد العلم إلى الله» وعند مسلم والنسائي «فأوحى الله إلي إنني أعلم بالخير عند من هو».

قلت: فبان بهذا أمران.

أحدهما: سبب عتاب موسى ﷺ وهو عدم رده العلم إلى الله.

وثانيهما: نوع العتاب وذلك في قوله فأوحى الله إليه... الخ.

الثامنة: قوله «فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك» في رواية ابن جريج «قيل بلى قال أي رب فأين قال بمجمع البحرين» وعند مسلم والنسائي «إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك».

التاسعة: قوله «قال موسى: يا رب فكيف لي به؟» في رواية ابن جريج «قال أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك منه» وعند مسلم والنسائي «قال يا رب فدلي عليه».

العاشر: قوله «تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل» في رواية ابن جريج «فقال لي عمرو: قال حيث يفارقك الحوت» وقال لي يعلى «قال خذ نوناً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح» وعند مسلم والنسائي «فقيل له تزود حوتاً مالحاً فإنه

حيث تفقد الحوت».

الحادية عشرة: قوله «فأخذ حوتاً فجعله في مكتل».

قلت: والمكتل هو بكسر الميم الزبيل الكبير قيل أنه يسع خمسة عشر صاعاً كأن فيه كتلاً من التمر أي قطعاً مجتمعة. قاله ابن الأثير.

الثانية عشرة: قوله «ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون» وعند مسلم والنسائي «فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة».

الثالثة عشرة: قوله «حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما» في رواية ابن جريج «فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال ما كلفت كثيراً، فذلك قوله جل ذكره «وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون» ليست عند سعيد.

الرابعة عشرة: قوله «واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر» في رواية قتبية وستأتي: قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: «وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيى، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر» وفي رواية ابن جريج «إذ تَضَرَّبَ الحوت وموسى نائم» وعند مسلم «فاضطرب الحوت في الماء» ولا مغايرة بين هاتين الروایتين فإن الحوت اضطرب أولاً في المكتل حين أحس الحياة واضطرب ثانياً في البحر.

الخامسة عشرة: قوله «وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق» في رواية ابن جريج «فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما» وعند مسلم والنسائي «وجعل لا يلتزم عليه إلا صار مثل الكوة».

قلت: والمعنى أن الله أمسك عن الحوت جريان الماء حتى صار كعقد البناء أو كالكوة كما في رواية مسلم وهي الفتحة في الجدار.

السادسة عشرة: قوله «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوث» عند مسلم والنسائي «فقال فتاه ألا ألحق بني الله ﷺ فأخبره، قال فنسي».

السابعة عشرة: قوله «فانطلقا بقية يومهما وليتتهما» يعني أن موسى ﷺ وفتاه سار من حين استيقاضهما هذه المسافة ويوضحه ما يأتي في المسألة:

الثامنة عشرة: قوله «حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا».

التاسعة عشرة: قوله «ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به» في رواية ابن جريج «قال قد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يصبه نصب حتى تجاوزا».

العشرون: قوله «فقال له فتاه أرأيت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً» عند مسلم والنسائي «فتذكر فقال أرأيت إذ أرينا إلى الصخرة... الخ الآية».

سيأتي شرحها في أول الباب السابع عشر بعد المائتين.

الحادية والعشرون: قوله «فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً» في رواية قتبية «فكان لفتاه عجباً وللحوت سرباً» وإيضاح ذلك ما رواه ابن أبي حاتم من طريق قتادة «قال: عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكل».

الثانية والعشرون: قوله «فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً» سيأتي شرحها ضمن الأثر الرابع من الباب السابع عشر بعد المائتين.

الثالثة والعشرون: قوله «قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة» والمعنى عاد موسى وفتاه قافلين من حيث أتيا متتبعين أثرهما وهذا يقتضي أن رجوعهما كان من نفس الطريق الذي سلكاه حتى عادا إلى مجمع

البحرين، ويزيده وضوحاً ما عند النسائي ومسلم «فأراه مكان الحوت فقال ها هنا وصف لي».

الرابعة والعشرون: قوله «فإذا رجل مسجى ثوباً» في رواية ابن جريج «فرجعاً فوجداً خضراً قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسه خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفة تحت رأسه» وعند مسلم والنسائي «فإذا هو بالخضر مسجى ثوباً مستلقياً على القفا».

الخامسة والعشرون: قوله «فسلم عليه موسى» وعند مسلم والنسائي «فقال: السلام عليكم» وفيه دليل على أن ابتداء السلام من القادم على صاحب المكان، وأنه أعني السلام من السنن المتفق عليها بين شريعة محمد ﷺ وشرائع من قبله من الأنبياء.

السادسة والعشرون: قوله «فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام» في رواية ابن جريج «فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام» وعند مسلم والنسائي «فكشف الثوب عن وجهه فقال: وعليكم السلام من أنت».

قلت: وهذا الإستفهام دليل على استغراب الخضر السلام وأنه لم يعتد ذلك من أهل أرضه لأنهم قوم كفار.

السابعة والعشرون: قوله «أنا موسى» في رواية ابن جريج «من أنت؟ قال: أنا موسى» وكذا عند مسلم والنسائي.

قلت: فيه دليل على أن الخضر لم ير موسى من قبل ولم يعرف صفته.

الثامنة والعشرون: قوله «قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم» عند مسلم والنسائي «ما جاء بك» وفي رواية ابن جريج «قال نعم، فما شأنك».

قلت: وسؤال الخضر هذا يقتضي أنه عنده علم بخبر موسى عليه الصلاة والسلام وأنه نبي بني إسرائيل وإنما استغرب مجيئه إليه في أرضه.

التاسعة والعشرون: قوله «أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً» في رواية قتيبة «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً» ولا تعارض بينهما لجواز أن كلتا العبارتين قالها موسى واحدة بعد الأخرى، وذلك مبالغة في الطلب وإظهار الحاجة إلى ما عند الخضر.

الثلاثون: قوله «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه» في رواية ابن جريج «أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الرحي يأتيك... الخ».

قلت: فيه دليل على اعتراف الخضر بما اختص الله به موسى من الرحي والرسالة، وأن كلاً منهما قد أتاه الله من الخصائص ما ليس عند الآخر وأن الخضر ليس على شريعة موسى.

الحادية والثلاثون: قوله «قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً» عند مسلم والنسائي «شيء أمرت أن أفعله إذا رأيتني لم تصبر». قلت: ولهذا قطع موسى على نفسه الوعد بالصبر على اتباعه معلقاً وعده على مشيئة الله.

الثانية والثلاثون: قوله «فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً» وعند ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس «حتى أبين لك شأنه».

قلت: وهذا الخبر معناه صحيح وإن كان إسناده مسلسلاً عن الضعفاء.

الثالثة والثلاثون: قوله «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول» في رواية قتيبة «فحملوهم في سفينتهم بغير نول - يقول بغير أجر -» وفي رواية ابن جريج «فقالوا عبد الله الصالح - قال قلنا لسعيد: خضر؟ قال نعم لا تحمله بأجر».

الرابعة والثلاثون: قوله «فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد

قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم» وفي رواية ابن جريج «فخرقتها ووتد فيها وتدا» والجامع بين هذه ورواية الباب أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدا».

قال الحافظ: عند عبد بن حميد من رواية ابن المبارك عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم «جاء بود حين حرقها والود بفتح الواو وتشديد الدال لغة في الودت» نقله في الفتح.

الخامسة والثلاثون: قوله «قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ» في رواية ابن جريج «قال مجاهد: منكرأ» وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم «أن موسى لما رأى ذلك امتلاً غضباً وشد ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أول هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد، فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذني، وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة، إنما أردت الخير فحمدوا رأيه، وأصلحها الله على يده» حكاه الحافظ.

السادسة والثلاثون: قوله «وكانت الأولى من موسى نسياناً» في رواية ابن جريج «كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً».

قلت: الأولى قوله أخرجتها لتغرق أهلها - إلى قوله - لا تؤاخذني بما نسيت، والثانية قوله أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً - إلى قوله - إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، والثالثة قوله في قصة الجدار لو شئت لا اتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك.

وعند ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال «قال الخضر لموسى إن عجلت عليّ في ثلاث فذلك حين أفارقك».

السابعة والثلاثون: قوله «وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة» في رواية ابن جريج أن الطائر نقر في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما ولفظه «فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: والله ما

علمي وما علمك... الخ».

والجمع بينهما بأن قوله «فأخذ طائر بمنقاره» متعقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح رواية الباب بذلك، ويؤيده ما عند النسائي في التفسير من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى: «أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: لا، قال: يقول: ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا كمثل ما نقص بمنقاري من جميع هذا البحر».

الثامنة والثلاثون: قوله «فبينا هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله» عند مسلم والنسائي «فانطلق إلى أحدهم بسادي الرأي فقتله» وفي رواية ابن جريج «وجد غلاماً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ضريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين».

قلت: فلا تعارض بين هذه الروايات لإمكان الجمع في قتل الغلام بين حز رأسه وقلعه.

التاسعة والثلاثون: قوله «أقتلت نفساً زكية بغير نفس... الخ الآية» في رواية ابن جريج «قال: أقتلت نفساً زكية لم تعمل بالحنث» وكان ابن عباس يقرؤها "زكية زكية مسلمة" كقولك غلاماً زكياً» وعند مسلم والنسائي «فقال رسول الله ﷺ عند هذا المكان: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة» والذمامة هي الحياء والإشفاق من الذم واللوم.

الأربعون: قوله «وهذا أشد من الأولى» يعني هذا الأمر الذي هو قتل الغلام أشد من سابقتها وهي خرق السفينة.

الحادية والأربعون: قوله «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها».

قلت: فيه دليل على جواز السؤال عند الحاجة، وإنه لا غضاضة فيه، وإن

كان السائل شريفاً، كريماً.

الثانية والأربعون: قوله «فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض». يقول وجدنا في القرية حائطاً يريد أن يسقط، ويقع. يقال منه انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت.

الثالثة والأربعون: قوله «مائل فقام الخضر فأقامه بيده» في رواية ابن جريج «قال سعيد: بيده هكذا، ورفع يده فاستقام قال يعلى: حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام».

الرابعة والأربعون: قوله «قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً». في رواية ابن جريج «قال سعيد: أجراً نأكله».

قلت: وقوله «ولم يطعمونا ولم يضيفونا» سببان لاستحقاق مطالبة القوم بالأجرة على البناء. وقد عرفت أننا نجلهم ولومهم.

الخامسة والأربعون: قوله «هذا فراق بيني وبينك - إلى قوله - ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً».

قلت السياق: «قال هذا فراق بيني وبينك سأبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً».

قلت: وقد تبين من خلال هذه الآيات الخمس ما حمل الخضر على صتيعة في كل حادثة من هذه الحوادث الثلاث، وأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل بأمر الله.

السادسة والأربعون: قوله «ووددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما». ووددنا بفتح الواو وكسر الدال الأولى وسكون الثانية، أي أحببنا وتمنينا.

وقوله «صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما» يعني إذ لو صبر نبي الله موسى على ما رأى من فعل صاحبه لرأى العجب من علم الخضر.
السابعة والأربعون: قوله «قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك».

قلت: وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن عيينة عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك».
قال ابن جرير بعد ذلك: وقد حمل بعض أهل المعرفة بكلام العرب "وراء" من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا
بمعنى أمامي.

وقد قدمنا تفسير الورا في سورة إبراهيم في الأثر التاسع ضمن الباب السابع والثمانين بعد المائة.

الثامنة والأربعون: قوله «يأخذ كل سفينة غصباً».

قلت: عند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية عبد الله بن عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «وفي قراءة أبي بن كعب: يأخذ كل سفينة صالحاً غصباً».

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة قال: «وفي حرف ابن مسعود: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحاً غصباً» وفي رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان «وكان ابن مسعود يقرأ: كل سفينة صحيحة غصباً». حكاهما الحافظ في شرحه

للباب الذي بعده.

قلت: وقد اتفقت هذه الروايات على أن ذلك الملك الغاصب لا يأخذ إلا كل سفينة سليمة من العيوب.

التاسعة والأربعون: قوله «وكان يقرأ: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين» وفي رواية ابن جريج «كان أبواه مؤمنين وكان كافراً». وعند مسلم والنسائي من رواية إبي إسحاق «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً كان أبواه قد عطفوا عليه».

من فقه الحديث:

أولاً: يجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يرد علمه إلى الله.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: فضيلة الخضر.

رابعاً: تواضع كل منهما لصاحبه.

خامساً: لا يعلم أحدٌ من الغيب حتى الأنبياء إلا ما علمه الله.

سادساً: أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن

يخفف لئلا يملوا.

٢١٦ - باب ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر

سرباً﴾.

ش: قوله ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين.

قال مجاهد: بين البحرين.

وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ يعني بقوله نسيا، تركا.

وقوله ﴿فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾. انتصاب سرباً على أنه المفعول الثاني

لاتخذ، أي اتخذ سبيلاً سرباً، والسرب النفق الذي يكون في الأرض للضب ونحوه من الحيوانات.

[مذهبا، سرباً يسرب ويسلك ومنه وساربٌ بالتهار].

ش: قاله أبو عبيدة.

٢٤٦ - حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج

أخبرهم، قال: أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبیر -

يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبیر - قال:

«إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني. قلت: أي أبا عباس، جعلني الله

فداءك، بالكوفة رجل قاصٌ يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى

إسرائيل. أما عمرو فقال لي: قال قد كذب عدوُّ الله: وأما يعلى فقال لي: قال

ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: موسى رسول الله

عليه السلام قال ذكر الناس يوماً، حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب

ولّى، فأدركه رجل فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟

قال: لا. فعتب عليه إذ لم يرُدّ العلم إلى الله. قيل: بلى. قال: أي ربّ فأين؟ قال:

بمجمع البحرين. قال: أي ربّ اجعل لي علماً أعلمُ ذلك به. فقال لي عمرو:

قال حيث يفارقك الحوت. وقال لي يعلى قال: خذ نوناً ميتاً حيث يُنفخ فيه

الروح. فأخذ حوتاً فجعله في مكّتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت. قال: ما كلفت كثيراً. فذلك قوله جل ذكره ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون - ليست عن سعيد - قال: فينا هو في ظلّ صخرة في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسى نائم؛ فقال فتاه: لا أوقظهُ. حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأنّ أثره في حجر. قال لي عمرو: هكذا كان أثره في حجر - وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما - ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قال قد قطع الله عنك النصب - ليست هذه عن سعيد - أخبره، فرجعاً، فوجدنا خضيراً. قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيد بن جبیر: مُسَجِّي بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً. قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك، وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه، وإنّ لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه. فأخذ طائرٌ بمنقاره من البحر، فقال: والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائرٌ بمنقاره من البحر. حتى إذا ركبنا في السفينة وجدا معابراً صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح - قال: قلنا لسعيد: خضير؟ قال: نعم - لا نحمله بأجر، فخرقها ووتد فيها وتدا. قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرأ - قال مجاهد: منكراً - قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. لقياً غلاماً فقتله. قال يعلى قال سعيد: وجد غلاماً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال: أقتلت نفساً

زكية بغير نفس لم تعمل بالحنث. وكان ابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاماً زكياً فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام. لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال سعيد: أجراً نأكله. وكان وراءهم، وكان أمامهم - قرأها ابن عباس أمامهم - مَلِكٌ. [يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَدُ بن بُدَدٍ، والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور] مَلِكٌ يأخذ كل سفينة غصبا. فأردتُ إذا هي مرّت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها. ومنهم من يقول سدّوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار. كان أبواه مؤمنين وكان كافراً، فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً: أن يحملهما حبه على أن يتابعه على دينه، فأردنا أن يبذلّهما ربّهما خيراً منه زكاةً لقوله أقتلت نفساً زكية - وأقرب رُحماً. هما به أرحمُ منهما بالأول الذي قتلَ خضِرًا. وزعم غير سعيد أنهما أُبدِلا جارية. وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «وكان ابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة»

قلت: هما قراءتان صحيحتان فالأولى قراءة الأكثر، والثانية قراءة نافع وابن

كثير وأبي عمرو.

وقوله «مسلمة» تفسير لزكية زاكية ومراده أن تلك النفس معصومة.

الثانية: قوله «يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد» القائل ذلك هو

ابن جريج ومراده أن تسمية الملك الذي كان يأخذ السفن لم تقع في رواية سعيد

وقد عزاه ابن خالويه في كتاب "ليس" لمجاهد:

وهدد في الروايات بضم الهاء وحكى ابن الأثير فتحها والبدال مفتوحة،

اتفاقاً. ووقع عند ابن مردويه بالميم بدل الهاء، وأبوه بدد بفتح الموحدة، وجاء في

تفسير مقاتل أن اسمه منولة بن الجلندي بن سعيد الأزدي، وقيل هو الجلندي وكان بجزيرة الأندلس. قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور» وكذا أخرجه ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبتي «وفيه أقوال أخرى ذكرها الحافظ.

الرابعة: قوله «فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً» اختلفت القراء في قراءة ذلك فقراه جماعة من قراء المكين والمدنيين والبصريين «فأردنا أن يبدلهما ربهما» بتشديد الدال، وقراها عامة قراء الكوفة «فأردنا أن يبدلهما» بتخفيف الدال، وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول: أبدل يبدل بالتخفيف، وبدل يبدل بالتشديد. معني واحد، والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. قاله ابن جرير.

الخامسة: قوله «خير منه زكاة» أي خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً ودينياً.

السادسة: قوله «وأقرب رحماً» فسره بقوله هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل الخضر وأخرج ابن جرير عن ابن جريج نحوه.

السابعة: قوله «زعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية» في رواية الإسماعيلي من هذا الوجه، قال ويقال أيضاً عن سعيد بن جبير: أنها جارية، وللنسائي من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «فأبدلهما ربهما خيراً منه زكاة قال: أبدلهما جارية فولدت نبيا من الأنبياء».

الثامنة: قوله «داود بن أبي عاصم» هو داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي المكي، ثقة من الثالثة. أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود، والنسائي.

التاسعة: قوله «قال عن غير واحد أنها جارية» قلت: هو قول عمرو بن قيس ويعقوب بن عاصم وسعيد بن جبير وقال ابن جريج وقتادة: هو غلام مسلم أخرجهما ابن جرير.

فائدة في ترجمة الخضر ﷺ.

والخضر قد اختلف في اسمه وفي اسم أبيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه: هو بلياً بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتانية، ووجد بخط الدمياطي في أول الاسم بنقطتين، وقيل كالأول بزيادة ألف بعد الباء، وقيل اسمه إلياس، وقيل اليسع، وقيل عامر، وقيل خضرون - والأول أثبت - ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شاخ ابن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقيل اسمه خضرون بن عايل بن معمر بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل كان أبوه فارسياً رواه الطبري من طريق عبد الله بن شوذب، وحكى ابن المظفر في تفسيره أنه كان من ذرية بعض من آمن بإبراهيم.

وحكى ابن عطية والبغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيري هو ولي.

وقال الطبري في تاريخه: كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر.

وأخرج النقاش أخباراً كثيرة تدل على بقاءه لا تقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية، قال: ولو كان باقياً لكان له في ابتداء الإسلام ظهور، ولم يثبت شيء من ذلك.

وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء.

والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر

بن المنادى، وأبو يعلى بن القراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي، وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد» قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ وحديث ابن عباس «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خيرهما» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

٢١٧- [باب ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾].
ش: تمامها ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿فلما جاوزا﴾ موسى وفتاه بجمع البحرين قال موسى لفتاه يوشع: ﴿آتنا غداءنا﴾ يقول: جئنا بغدائنا واعطنا وقال آتنا غداءنا كما يقال أتى الغداء وأتيت مثل ذهب وأذهبتة ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناءً وتعباً. وقال ذلك موسى فيما ذكر بعدما جاوز الصخرة حين ألقى عليه الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه وقوله ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ يقول تعالى ذكره قال فتى موسى لموسى حين قال له آتنا غداءنا لنطعم أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ يقول وما أنساني الحوت إلا الشيطان أن أذكره "فأن" في موضع نصب رداً على الحوت وقوله ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ انتصاب عجباً على أنه المفعول الثاني كما مرّ في سربا والظرف في محل نصب على الحال يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أخبر موسى أن الحوت اتخذ سبيله عجباً للناس وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات وأكل شقه، ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه لبيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين إعتراضاً. اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿صنعاً﴾ عملاً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والصنع والصنعة والصنيع واحد.

والآية المشار إليها: ﴿قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿٢﴾
 ٢- ﴿حَوَلَا﴾ ﴿تَحَوَلَا﴾.

ش: قال أبو عبيدة: أي لا يريدون ولا يحبون عنها تحولا.

والآية المشار إليها: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

٣- ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَرِهِمَا قَصَصًا﴾.

ش: يقول تعالى ذكره فقال موسى لفتاه ﴿ذَلِكَ﴾ يعني بذلك نسيانك

الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ يقول الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت.

وقوله ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَرِهِمَا قَصَصًا﴾ يقول: فرجعا في الطريق الذي كانا

قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكناها.

٤- ﴿إِمْرًا﴾ و ﴿نَكْرًا﴾ ذاهية.

ش: قاله أبو عبيدة وأشار بالكلمة الأولى إلى الآية الحادية والسبعين

وبالكلمة الثانية إلى الآية الرابعة والسبعين.

٥- ﴿يَنْقُضُ﴾ ينقاض كما تنقاض السن.

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يقع يقال نقضت الدار إذا انهدمت وسقطت

وقرأ قوم أن ينقاض ومجازه أن يتقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم انقضت

السن أي: انصدعت وتقلعت من أصلها. اهـ.

قلت: وحكى هذه القراءة ابن جرير عن يحيى بن يعمر.

٦- ﴿لَتَنْخِذُنَّ﴾ و ﴿وَأَتَّخِذُنَّ﴾ واحداً.

ش: حكى القراءتين ابن جرير فقال: قرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنْخِذُنَّ﴾، وقرأه بعض أهل البصرة ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخِذُنَّ﴾ بتخفيف

التاء وكسر الخاء.

والآية المشار إليها: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا

أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجراً.

٧- [رُحْمًا] من الرحم وهي أشد مبالغة من الرحمة ونظن أنه من الرحيم وتدعى مكة أم رُحْم أي الرحمة تنزل بها].

ش: حاصل كلامه أن رُحْماً من الرحم التي هي القرابة وهي أبلغ من الرحمة التي هي رقة القلب لأنها تستلزمها غالباً من غير عكس.

وقوله ويظن مبني للمجهول، وقوله مشتق من الرحمة أي التي اشتق منها الرحيم وقوله أم الرحم بضم الراء والسكون وذلك لتنزل الرحمة بها ففيه تقوية لما اختاره من أن الرحم من القرابة لا من الرقة. أه من الفتح.

٢٤٧- حدثني قتيبة بن سعيد، حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: «قلت لابن عباس إن نوماً البكالي يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فقيل له: أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها، قال فوضع موسى رأسه فنام. قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عينٌ يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فاصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى قال لفتاه: آتنا غداءنا. الآية. قال ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به. قال له فتاه يوشع بن نون: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت... الآية. قال فرجعا يقصان في آثارهما، فوجدا في البحر

كالطاق ممر الحوت، فكان لفتاه عجباً، وللحوت سرّباً. قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجل مسجّى بثوب، فسلم عليه موسى، قال: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؟ قال له الخضر: يا موسى، إنك على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه. قال: بل أتبعك. قال: فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً. فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فعرف الخضر، فحملوهم في سفينتهم بغير تول - يقول بغير أجر - فركبا السفينة، قال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره. قال: فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم فخرق السفينة، فقال له موسى: قوم حملونا بغير تول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت.. الآية. فانطلقا، إذا هما بسلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فقطعه، قال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً - إلى قوله - فأبوا أن يضيفوهما، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض، فقال بيده هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً. فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما. قال وكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وأما الغلام فكان كافراً.

تقدم شرحه مستوفى في البابين قبله.

٢١٨- [باب ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾].

ش: تمام السياق ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويجاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود والنصارى ﴿هل ننبئكم﴾ أيها القوم ﴿بالأخسرين أعمالاً﴾ يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحاً وفضلاً، فنالوا به عطياً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله.

وقوله ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ يقول هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلال وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به.

وقوله ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يقول وهم يظنون أنهم يفعلهم ذلك لله مطيعون. وفيما ندب عباده إليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر. بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالة وقد كانوا يحسبون أنهم يحسنون في صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعا كانوا مثابين ماجورين ولكن القول بخلاف ما قالوا. فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة. قاله ابن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم، فاتبعوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال، والانتصار لهم، وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صفحاً، ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلباً للفضيلة، وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس في طلبه وفهمه، وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه، فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينحى سواه فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستنفذ فيه أوقاته، وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتعزم بحبه والسرور بقربه مطرود، ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا بأخس المطالب. سبحانه الله وإن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرق قصدها».

٢٤٨- حدثني محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن

عمرو بن مرة، عن مصعب^(١) بن سعد قال: «سألت أبي^(٢) ﴿قل هل ننبئكم

(١) هو أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، ثقة من الثالثة أرسل عن عكرمة بن أبي جهل مات سنة ثلاث ومائة. ع.

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة وأول من رمي بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور وهو آخر العشرة وفاة. ع.

بالأخسرين أعمالاً ﴿ هم الخرورية؟ قال: لا.. هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمد ﷺ وأما النصارى: كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والخرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. » وكان سعد يسميهم الفاسقين.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «سألت أبي» كذا أخرجه ابن جرير من هذا الوجه، وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية يزيد بن هارون عن شعبة «سأل رجل أبي»، ويبدو لي والعلم عند الله أن سؤال سعد عن هذه الآية وقع مرتين أحدهما من ولده مصعب والأخرى من غيره وحكاها مصعب.

الثانية: قوله «هم الخرورية» نسبة إلى حروراء وهي قرية قرب الكوفة ظهر فيها الخوارج على عليّ ثم صار هذا الوصف لازماً لكل خارجي.

قال الحافظ: «ولابن مردويه من طريق حصين بن مصعب: «لما خرجت لخرورية...» ولعل هذا هو السبب في سؤال مصعب أباه عن ذلك، وليس الذي قاله عليّ ببعيد لأن اللفظ يتناولُه وإن كان السبب مخصوصاً انتهى من الفتح. قلت: وخسران الخوارج واقع بمجانبتهم النص والإجماع في تكفير الفاسق المللي وإشهار السيف على من ولي أمر المسلمين لفسقه.

الثالثة: قوله: «لا.. هم اليهود والنصارى» قلت: واعلم أن أهل العلم بالتأويل اختلفوا في المعنى بهذه الآية من هم على أقوال ثلاثة: أحدها: أنهم الرهبان والقسس، وبه قال علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص.

وثانيها: أنهم جميع أهل الكتابين، وبه قال علي وسعد في الرواية الثانية عنهما وهو موافق لرواية الباب.

وثالثها: أنهم الخوارج وبه قال علي في الرواية الثالثة عنه.

حكى هذه الأقوال ابن جرير واختار أنها عامة في كل من عمل عملاً يحسبه فيه مصيباً وهو بفعله ذلك مسخطاً لله.

الرابعة: قوله «أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ».

قلت: من ذلك ما أحرى الله عنهم بقوله ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين﴾.

قال ابن عباس وأبو العالية، وسعيد بن جبير وغير واحد من أهل التفسير قالوا إنها في اليهود.

قلت: والآيات في تكذيب اليهود رسول الله ﷺ أشهر من أن تذكر ومتواتر السنة أشهر من أن يحصر.

الخامسة: قوله «وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب» في رواية ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مرة عن مصعب قال هم عباد النصارى قالوا ليس في الجنة طعام ولا شراب.

السادسة: قوله: «والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين».

قلت: هذا دليل على أن سعداً رضي الله عنه لا يرى كفر الخوارج وعلى ذلك أجمع أهل السنة والجماعة وعدوهم في أهل الأهواء.

قال ابن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى، أربعة أهواء: فمن هذه الأربعة أهواء إنشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى، القدرية والمرجئة والشيعية والخوارج نقله البربهاري في شرح السنة.

٢١٩- [باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾].

ش: تمامها ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.

قوله ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته، وصدق رسله وكذبوا بالله والآخرة. وقوله ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير. اهـ من ابن كثير.

٢٤٩- حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا سعيد بن أبي مریم، أخبرنا المغيرة، قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾. وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله. ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين» قال الحافظ وعند ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة «الطويل العظيم الأكل الشروب» حكاه في الفتح.

الثانية: قوله «لا يزن عند الله جناح بعوضة» فيه دليل على وقوع الوزن على الأشخاص، وفي المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يجني سواكاً من الآراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»

واعلم أن الميزان يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان

مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين ﴿٤١٩﴾.

وقال تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾.

وأحاديثه متواترة ومنها غير حديث الباب، وحديث ابن مسعود المتقدم، ما رواه أحمد وأحمد والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سينخلص رجلاً من أمي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر». الحديث وفيه «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم».

قلت: ولا تعارض بين هذه الأخبار وما في معناها فإن الوزن يكون للعمل والعامل وصحيفة العمل. ولم ينكره إلا المعتزلة وفسروا الميزان بالعدل وما تقدم من الأدلة وما في معناها حجة عليهم. والنصوص صريحة بأنه ميزان على حقيقته وله كفتان.

وما أحسن ما قاله ابن أبي العز وهو يشرح قول الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراف والميزان» اهـ.

حيث قال ابن أبي العز - رحمه الله - (ص ٤١٩):

«فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدر في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك

من حكم مالا اطلاع عليه» اهـ.

الثالثة: قوله «اقرؤوا إن شئتم» ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.

هذا يحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون من كلام الصحابي، فهو على الأول نص بأن ذلك الموزون من الكفار وعلى الثاني فهو استدلال من الصحابي بالآية على ما فهمه من أنه الكافر. وظاهر الآية يقتضي ذلك والله أعلم.

وقول البخاري «وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله» هو معطوف على سعيد بن أبي مريم والتقدير حدثنا محمد بن عبد الله عن سعيد بن أبي مريم وعن يحيى بن بكير، وبهذا جزم أبو مسعود، ويحيى بن بكير هو ابن عبد الله بن بكير نسب لجدّه وهو من شيوخ البخاري أيضاً، وربما أدخل بينهما واسطة كهذا، وجوز غير أبي مسعود أن تكون طريق يحيى هذه معلقة، وقد وصلها مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، حدثني أبو بكر بن إسحاق، حدثنا يحيى بن بكير، حدثني المغيرة يعني الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة فذكره.

آخر تفسير سورة الكهف والحمد لله.

سورة مريم

٢٢٠- باب سورة مريم بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾.

وقد روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب ﷺ قرأ هذه السورة على النجاشي وأصحابه وحديث ابن مسعود المتقدم في سورة بني إسرائيل.

قال ابن عباس: أنزلت بمكة سورة كهيعص، أخرجه النحاس وابن مردويه. عدد آياتها ثمان وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن قتادة بلفظ «ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر».

وعن ابن زيد بلفظ «هذا يوم القيامة، فأما الدنيا فلا. كانت على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر في الدنيا، فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا».

٢- [﴿في ضلال مبين﴾ يعني قوله ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره].

ش: وصله ابن أبي حاتم من الطريق السابق، وأخرجه عبد الرزاق قال: أنا معمر عن قتادة «في قوله تعالى ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ قال: أسمع قوم وأبصرهم». والآية المشار إليها: ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾.

٣- [﴿لأرجمنك﴾ لأشتمنك].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن جريج قال بالقول لأشتمنك. وأخرج عن السدي نحوه.

ووصله ابن أبي حاتم بالإسناد السابق عن ابن عباس بلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: ﴿قال أراغب أنت عن آهتي يا إبراهيم لئن لم تنته

لأرجمنك واهجرني ملياً﴾.

٤- [﴿ورئياً﴾ منظرًا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي ثنا عبد الله ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال الحسن «الرئي» المال، وقال قتادة: أكثر أموالاً. أخرجهما ابن جرير أيضاً.

والآية المشار إليها: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾.

٥- [وقال أبو وائل: علمت مريم أن النبي ذو نبيه حتى قالت ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق عاصم قال: «قرأ أبو وائل ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾ قال لقد علمت... الخ» فذكره. حكاه في الفتح. وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد كلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾.

٦- [وقال ابن عيينة: ﴿تؤزهم أزا﴾ تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً].

ش: كذا هو في تفسير ابن عيينة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وقال ابن عباس والضحاك: تغريهم إغراء. أخرجه عنهم ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾.

٧- [وقال مجاهد: ﴿لدا﴾ عوجاً].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله. قاله الحافظ.

قلت: وأخرج ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى، وحدثني الحارث، ثنا الحسن، ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿لدا﴾ قال: لا يستقيمون. والعبارتان متفقتان في المعنى.

وأخرج عنه من طريق ليث قال: فجاراً ظلمة». وأخرج هذا المعنى أيضاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿فإِذَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾.

٨- [قال ابن عباس: ﴿وردًا﴾ عطاشاً].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثنا عبد الله، ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

كما أخرجه عن أبي هريرة والحسن وسفيان، وأخرج عن قتادة نحوه. والآية المشار إليها: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾.

٩- [﴿أثاثاً﴾ مالا].

ش: أخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن ابن عباس، وأخرج عن الحسن: الأثاث أحسن المتاع.

وقال مجاهد: المتاع، وقال أبو عبيدة مثل قول الحسن ومجاهد، وزاد: وهو جيد المتاع.

وقد سبقت الآية المشار إليها ضمن الأثر الرابع.

١٠- [﴿إدأ﴾ قولاً عظيماً].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثنا عبد الله، ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره. وأخرجه أيضاً عن مجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدأ﴾.

١١- [﴿ركراً﴾ صوتاً].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس. وأخرجه أيضاً عن قتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحدٍ

أو تسمع لهم ركزاً».

١٢- [وقال مجاهد: ﴿فليمدد﴾ فليدعه].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بلفظ «فليدعه الله في طغيانه».

والآية المشار إليها: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾.
١٣- [﴿غياً﴾ خسراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي، ثنا عبد الله، ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وهو أحد أقوال ثلاثة حكاهما عن أهل التفسير.

وثانيها: أنه اسم واد من أودية جهنم، أو بئر من آبارها وهو قول عبد الله

بن عمرو وابن مسعود.

وثالثها: أنه بمعنى الشر وبه قال ابن زيد. ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي ﷺ والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فقد لاقى خسراً وشراً حسب به شراً.

والآية المشار إليها: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾.

١٤- [﴿بكيّاً﴾ جماعة بك].

ش: قال أبو عبيدة: جمع بك.

والآية المشار إليها: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية

آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيّاً﴾.

١٥- ﴿صَلِيًّا﴾ صَلَّى يَصَلِي].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر صليت تصلي، خرج مخرج فعلت فعولاً، ولا يظهرون في هذا أيضاً الواو». اهـ

قلت: فعلى هذا فأصل الكلمة «صلوى»، اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة فسبقت أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياءً.

والآية المشار إليها: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾.

١٦- ﴿ندياً﴾ والنادي واحد مجلساً].

ش: قاله أبو عبيدة مع تقديم وتأخير.

قلت: وفسر الندي بالمجلس كل من ابن عباس ومجاهد وقتادة. أخرجه عنهم

ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا

للذين ءامنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

٢٢١- [باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾].

ش: تمامها: ﴿إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾.

قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ «يقول تعالى ذكره لنييه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة» اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿إذ قضى الأمر﴾ الآية أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودخل كل إلى ما صار إليه فخلد فيه. ﴿وهم﴾ أي اليوم. ﴿في غفلة﴾ عما أنذروا به. ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون به. اهـ من ابن كثير.

٢٥٠- ثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة - (وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا) - وهم لا يؤمنون﴾.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «يؤتى بالموت» وعند النسائي في باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ من طريق الأعمش «إذا دخل أهل النار، النار وأدخل أهل الجنة، الجنة يجاء بالموت» فبان بهذا بأن الإتيان به بعد دخول كل من الفريقين مأواه، ويدل له ما رواه المصنف في باب صفة الجنة والنار من الرقاق عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت».

الثانية: قوله «كهيفة كبش أملح» عند مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها من رواية أبي معاوية، والترمذي من رواية النضر بن إسماعيل، والنسائي من رواية محمد - غير منسوب - «كأنه كبش أملح» وزاد الترمذي «حتى يوقف على السون»، والأملح قيل هو الأبيض الخالص، وقيل هو الذي فيه بياض وسواد، وبياضه أكثر.

الثالثة: قوله «فينادي مناد» وعند المصنف في باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب من الرقاق «ثم يقوم مؤذن بينهم».

الرابعة: قوله «فيشربون» أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

الخامسة: قوله «وكلهم قد رآه» أي عاين الموت وأبصره ويظهر أن ذلك كان قبل النداء بدليل قوله قبل «هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت».

السادسة: قوله «فيذبح» عند الترمذي «فيضجع فيذبح».

قلت: ويظهر أن مكان هذا الذبح على سور بين الجنة والنار ويدل له ما قدمناه من رواية الترمذي في المسألة الثانية «حتى يوقف على السور بين الجنة والنار».

السابعة: قوله «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا

موت» عند المصنف في الرقاق من حديث ابن عمر «يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم». وعند الترمذي من رواية النضر بن إسماعيل «فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحاً».

قال مقبده: واعلم هداانا الله وإياك إلى صواب الأقوال والأعمال أن

المقضي عليه بالخلود في النار هم الكفار وليس عموم العصاة، ويؤيده ما رواه

أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة».

قلت: والأخبار في هذا الباب متواترة وهي حجة على أن الفاسق الملي لا يخلد في النار إذا دخلها.

الثامنة: قوله «ثم قرأ ﴿وأنذرهم﴾»

قلت: القارئ هو النبي ﷺ، ويؤيده ما جاء عند الترمذي وفيه «قرأ رسول الله ﷺ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾».

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهذا الكيش والإضجاع، والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً. وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح؛ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كيش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاناة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً».

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح ملك الموت. فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض تذبح.

وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم

يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه ﷺ «تحيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث. فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «إن ما تذكرون من جلال الله من تسيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لمن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن». ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء». وهذا حقيقة لا خيال، ولكن الله أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوالله إنني لأراك امرأ الصديق فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت؟ فوالله إنني لأراك امرأ السوء فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، يعارض صاحبه ويشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول له: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.

والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاذه حتى

يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين؟ قيل: لا، قالوا: إن هذا هو الفوز العظيم.

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته. اهـ من بدائع التفسير.

٢٢٢- [باب ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾].

ش: تمامها: ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾.

المعنى لا تستبطننا يا محمد في تخلفنا عنك فإننا لا ننزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، الله ما هو حادث من أمور الأخرى التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فحلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكة ومصرفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمراً إلا بأمره إيانا به.

وقوله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ يقول: لم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يريد ويقضي في خلقه جل ثناؤه.

٢٥١- حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر^(١) قال: سمعت أبي^(٢) عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» في بدء الخلق باب ذكر

الملائكة «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا».

(١) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي، ثقة رمي بالإرجاء من السادسة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة وقيل غم ذلك. خ. م. ت. س. فق.

(٢) هو ذر بن عبد الله المرهبي. ثقة عابد رمي بالإرجاء من السادسة مات قبل الماتين. ع

الثانية: في سبب هذا السؤال روى ابن جرير من طريق العوفيين وحكاة
الحافظ عن ابن مردويه من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير كلاهما عن
ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبي ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك
وحزن. فأتاه جبريل فقال: يا محمد ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ الآية.

الثالثة: قوله «فنزلت» كذا هو عند المصنف في جميع الطرق وبهذا
اللفظ. أخرجه الترمذي والنسائي.

٢٢٣- [باب ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنييه محمد ﷺ أفرايت يا محمد الذي كفر بآياتنا حججنا فلم يصدق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر وبرسوله ﴿لأوتين﴾ في الآخرة مالا وولداً.

٢٥٢- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: سمعت خباباً قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالا وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآية ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً﴾».

رواه الثوري وشعبة وحفص وأبو معاوية ووکیع عن الأعمش.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «جئت العاص بن وائل السهمي» هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام.
الثانية: قوله «أتقاضاه حقاً لي عنده» في البيوع باب ذكر القين والحداد «كنت قيناً في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه» وفي رواية سفيان الآتية في الباب بعد هذا «فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً فحجث أتقاضاه» فتبين من هذه الروايات الدين ووقته.

الثالثة: قوله «فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد» وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، من رواية وكيع «لن أقضيك حتى تكفر بمحمد» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية أبي معاوية «والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد» وفيه دليل أن مطالبة خباب العاص بدينه كانت في الإسلام.

الرابعة: قوله «فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث» عند مسلم «إني لن أكفر» وعند النسائي «لا والله لا أكفر» وقوله «حتى تموت ثم تبعث» مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال لا أكفر أبداً.

الخامسة: قوله «وإني لميت ثم مبعوث» في البيهقي «دعني حتى أموت وأبعث» وعند مسلم «وإني لمبعوث من بعد الموت».

قلت: والحاصل أن عدو الله قال ما قال على سبيل التهكم والاستبعاد للبعث وسخرية بخباب لعلمه أنه مسلم.

السادسة: قوله «قلت نعم» أي ستموت وتبعث من بعد الموت وفي هذا تقرير وتوبيخ لعدو الله.

السابعة: قوله «إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه» في رواية وكيع الآتية وعند مسلم «فسوف أقضيك إذا رجعت إلي مالٍ وولي» وعند النسائي «فإني إذا مت ثم بعثت جثتي ولي ثم مال وولد فأعطيك».

قلت: ليس بين هذه الروايات مغايرة، فإنها كلها متفقة على ما انطوى عليه قلب عدو الله من الكفر بالله ولقائه، واستهزائه بالدين وأهله وإنكاره البعث.

الثامنة: قوله «فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ إلى آخر الآية» في رواية سفيان الآتية وعند النسائي «فأنزل الله» وفي رواية وكيع الآتية، وعند الترمذي من رواية سفيان «فنزلت ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ إلى آخر الآية».

قلت: هذا هو وجه الشاهد من الحديث وفيه كما ترى التصريح بأن سبب نزول الآية هو مقولة العاص بن وائل.

٢٢٤- [باب قوله ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾].

قوله ﴿أطلع الغيب﴾ إنكار على هذا القائل ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ يعني يوم القيامة أي أعلم ما له في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك، أم اتخذ عند الرحمن عهداً، أم له عند الله عهداً سيؤتيه ذلك. اهـ من ابن كثير.

٢٥٣- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد، فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال: موثقاً.

لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً، ولا موثقاً.

ش: قوله «لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً ولا موثقاً».

قلت: الأشجعي هو عبيد الله بن عبد الرحمن وقد تقدمت ترجمته وقد

قالهما غيره وهو محمد بن كثير كما ترى.

وقد مضى شرحه في الباب قبله.

٢٢٥- [باب ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾].

ش: قوله ﴿كلا﴾ هي حرف ردع لما قبلها وتأكيده لما بعدها ﴿سنكتب ما يقول﴾ أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تمناه، وكفره بالله العظيم، ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ أي في الدار الآخرة، على قوله ذلك وكفره في الدنيا. اهـ من ابن كثير.

٢٥٤- حدثنا بشر بن خالد، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، سمعت أبا الضحى يحدث عن مسروق، عن خباب قال: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي دين على العاص بن وائل، قال: فأتاه يتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال: والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتي مالا وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾.

مضى شرحه.

٢٢٦- [باب قوله عز وجل ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾].

ش: قوله ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي من مال وولد نسلبه منه، عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالاً وولداً، زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال ﴿ويأتينا فرداً﴾ أي من المال والولد. اهـ من ابن كثير.

[وقال ابن عباس ﴿الجمال هدأ﴾ هدماً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وفي رواية ابن جريج عنه قال: الهد: الإنقضاء.

٢٥٥- حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال فنزلت ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾.

آخر تفسير سورة مريم والله الحمد والمنة، وتم بذلك الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله تفسير سورة طه.

وَأَشْرَافُ الْقَابِرِي

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثالث

مكتبة الفرقانية

سورة طه

٢٢٧- [سورة طه بسم الله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية واضح في أول السورة.

وأخرج المصنف في تفسير الأنبياء عن ابن مسعود أنه قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول، وهن من تلادي.
قال القرطبي: مكية في قول الجميع.
عدد آياتها خمس وثلاثون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [قال ابن جبير: بالنبطية ﴿طه﴾ يا رجل].

ش: أخرجه ابن أبي شيبة في ما فسر بالنبطية، كتاب فضائل القرآن حدثنا وكيع عن سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير قال: طه بالنبطية أبطه يا رجل.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير من طريق القاسم ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال: (طه يا رجل بالسريانية).

وأخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن مثل ما حكاه المصنف وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير.

وأخرج عن ابن عباس أنه اسم من أسماء الله. وفي إسناد عبد الله بن صالح ومعاوية بن صالح وكلاهما ضعيف.

٢- [قال مجاهد ﴿ألقى﴾ صنع].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري﴾.

٣- [يقال: كل ما لم ينطق بحرف أو فيه تمتمة أو فأفة فهي عقدة].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز العقدة في اللسان كل ما لم ينطلق بحرف أو كانت منه مسكة من تمتمة أو فأفة.

والآية المشار إليها: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾.

٤- [﴿أزري﴾ ظهري].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفيين، وكذا قال أبو عبيدة وزاد: معناه صار مثلي، وعاونني على من يكفله، ويقال قد أزرنني، أي

كان لي ظهراً، وآزرني أي صار لي وزيراً.
والآية المشار إليها: ﴿أشدد به أزري﴾.
٥- ﴿فيسحتكم﴾ يهلككم].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والسدي وابن زيد وكذا قال أبو عبيدة وزاد: وفيه لغتان سحت الدهر، والجذب بني فلان، وقوم يقولون: أسحته بالألف، وقال الفرزدق:

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحت أو مجلف
والمسحت المهلك، والمجلف الذي قد بقي منه بقية، ولم يدع أي لم يبقى.
وقال سويد بن أبي كاهل:

أرق العين خيال لم يدع
من سليمي ففؤادي منتدع
لم يدع أي لم يستقر. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾.

٦- ﴿المثلى﴾ تأنيث الأمثل، يقول بدينكم يقال خذ المثلى خذ الأمثل].
ش: قال أبو عبيدة: تأنيث الأمثل، يقال خذ المثلى منهما، للأثنى وخذ
الأمثل منهما إذا كان ذكراً.

واعلم أن أهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى قوله تعالى ﴿ويذهبها
بطريقتكم المثلى﴾ على ثلاثة أقوال:
أحدها: أي يغلبوا سادتكم وأشرافكم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والسدي.

وثانيها: بمعنى يغيروا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه وبه قال ابن زيد.
وثالثها: بمعنى يصرفوا وجوه الناس إليهما وبه قال علي بن أبي طالب ؑ.
حكاها جميعها ابن جرير واختار أولها.

وَالآيَةَ الْمَشَارِ إِلَيْهَا: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾.
 ٧- ﴿ثُمَّ آتُوا صَفَا﴾ يقال هل أتيت الصف اليوم يعني المصلى الذي يصلى فيه].

ش: قال أبو عبيدة: أي صفوفاً وله موضع آخر من قولهم هل أتيت الصف اليوم يعني المصلى الذي يصلى فيه قال أبو العرب الكلبي: ما استطعت أن آتي الصف أمس يعني المصلى.
 والآية المشار إليها: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾.

٨- ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر خوفاً فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء].
 ش: قال أبو عبيدة: أي أضمر وأحس منهم خيفة أي خوفاً فذهبت الواو وصارت ياء من أجل كسرة الخاء.

والآية المشار إليها: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾.

٩- ﴿فِي جَدْوَعٍ﴾ أي على جدوع].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة
 فلا عطست شيان إلا بأجدعا

والآية المشار إليها: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَكُمْ

فِي جَدْوَعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدَّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

١٠- ﴿خَطْبِكَ﴾ بالك].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وشأنك وأمرك واحد قال رؤبه:

والعبد حيان بن ذات القنب يا عجباً ما خطبه وخطبي

والآية المشار إليها: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبِكَ يَا سَامِرِيُّ﴾.

١١- ﴿مَسَاسٌ﴾ مصدر ماسه مساساً.

ش: قال أبو عبيدة: إذا كسرت الميم دخلها النصب والجر والرفع بالتنوين في مواضعهن وهي ها هنا منفية فلذلك نصبتها بغير تنوين قال الجعدي:

فأصبح من ذاك كالسامري إذ قال موسى له لا مساسا

وقال القلاخ بن حزن المنقري:

ووتر الأساور القياسا صفدية تنتزع الأنفاسا

حتى يقول الأزد لا مساسا

وهو المماساة والمخالطة، ومن فتح الميم جعله اسماً منه فلم يدخلها نصب ولا رفع وكسر آخرها بغير تنوين كقوله:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساس

جر بغير تنوين وهو في موضع نصب لأنه أجرى بجرى قطام وحذام ونزال

إذا فتحوا أوله، وقال زهير:

ولنعم الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر

وإن كسروا أوله دخله الرفع والنصب والجر والتنوين في مواضعها وهو

المنازلة. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا

مساس﴾.

١٢- ﴿لننسفنه﴾ لنذرينه.

ش: هو قول ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة: مجازه

لنقذفه ولنذرينه، وكل شيء وضعته في منسف ثم طيرت عنه غباره بيدك أو قشوره فقد نسفته أيضاً.

والآية المشار إليها: ﴿وانظر إلى إهلك الذي ضلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم

لننسفنه في اليم نسفاً﴾.

١٣- ﴿قَاعاً﴾ يعلوه الماء، والصفصف المستوى من الأرض].

ش: قال ابن جرير: قاعاً يعني أرضاً ملساء، صفصفاً يعني مستوياً، لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع. ثم أخرج المعنى عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد. ثم قال بعد ذلك: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع مستنقع الماء، والصفصف الذي لا نبات فيه.

قلت: وهذا نحو ما اختاره البخاري.

والآية المشار إليها: ﴿فِيذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفًا﴾.

١٤- [وقال مجاهد: ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ وهي الحلبي التي

استعاروا من آل فرعون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثني عيسى وحدثني الحارث عن الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

١٥- [فَقَذَفْنَاهَا﴾ فآلقيناها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا

من زينة القوم ففقدناها وكذلك ألقى السامري﴾

١٦- [أَلْقَى﴾ صنع].

ش: قلت: تقدم شرحه برقم اثنين وكذلك الآية المشار إليها.

١٧- [فَنَسِيَ﴾ موساهم، يقولونه أخطأ الرب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق ولفظه فنسي موسى قال:

هم يقولونه أخطأ الرب العجل.

وأخرج عن قتادة قال السامري: موسى نسي ربه عنكم.

والآية المشار إليها: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ

وإله موسى فنسي﴾.

١٨- ﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ العجل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق. وأخرجه أيضاً عن قتادة.
والآية المشار إليها: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً
ولا نفعاً﴾.

١٩- ﴿همساً﴾ حس الأقدام].

ش: أخرج ابن جرير عن مجاهد من طريق ابن علي عن ابن أبي نجيح قال:
تهافتاً وقال: تخافت الكلام. ومن طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح قال: خفض
الصوت. وكذا من طريق ابن جريج. وعن ابن عباس وعكرمة وابن زيد قالوا:
وطء الأقدام. وعن ابن عباس في رواية والحسن قالوا: همس الأقدام. وقال أبو
عبيدة: أي صوتاً خفياً وهو مثل الذكر.

والآية المشار إليها: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾.

٢٠- ﴿حشرتني أعمى﴾ عن حجي].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
بلفظ «لا حجة لي».

٢١- ﴿وقد كنت بصيراً﴾ في الدنيا].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني
الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾.

٢٢- [قال ابن عباس: ﴿بقبس﴾ ضلوا الطريق، وكانوا شاتين، فقال إن

لم أجد عليها من يهدي الطريق آتكم بنار توقدون].

ش: وصله ابن عيينة من طريق عكرمة عنه وفي آخره «آتكم بنار توقدون»

ووقع في رواية أبي ذر «تدفنون» حكاه في الفتح.

وأخرج ابن جرير عن وهب بن منبه قال: بقبس تصطلون.

والآية المشار إليها: ﴿إذ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾.

٢٣- [وقال ابن عيينة: ﴿أمثلهم﴾ أعدلهم طريقة].

ش: عزاه الحافظ إلى تفسير ابن عيينة. وأخرجه ابن جرير عن شعبة بلفظ «أوفاهم عقلاً».

والآية المشار إليها: ﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾.

٢٤- [وقال ابن عباس: ﴿هضمًا﴾ لا يظلم فيهضم من حسناته].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج نحوه عن مجاهد وحبیب بن أبي ثابت وغيرهما. وقال أبو عبيدة: ولا نقيصه قال لييد:

ومقسم يعطي العشرة حقها ومغذمر^(١) لحقوقها هضامها.

والآية المشار إليها: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾.

٢٥- [﴿عوجاً﴾ وادياً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد الذي قبله.

وقال أبو عبيدة: مجازه مصدر ما اعوج من الخاني والمسائل والأودية، والإرتفاع يميناً وشمالاً إذا كسرت أوله، وإن فتحته فهو في كل رمح وسن وحائط. اهـ.

(١) المغذمر من الرجال: الذي يركب الأمور فيأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع لهذا من حقه ويكون ذلك في الكلام أيضاً إذا كان يخلط في كلامه. اهـ من اللسان، مادة: غذمر.

٢٦- ﴿أمتاً﴾ رابية].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.
والآية المشار إليها: ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾.

٢٧- ﴿سيرتها﴾ حالتها الأولى].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق.
وأخرج عن مجاهد وقتادة نحوه. وقال أبو عبيدة: أي خلقتها التي كانت عليها قبل ذلك.

قلت: وهذه العبارات الثلاث متفقة المعنى.

والآية المشار إليها: ﴿قال خذها ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى﴾.

٢٨- ﴿النهي﴾ النقي].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة نحوه. وقال أبو عبيدة: مجازه لذوي الحجي واحدتها نهييه، أي أحلام وعقول وانتهى إلى عقول أمرهم ورأيهم. اهـ.
وهذه العبارات كلها صحيحة ولا منافاة بينها.

وقد وقعت الكلمة في هذه السورة مرتين إحداهما في الآية الرابعة والخمسين والأخرى في الآية الثامنة والعشرين بعد المائة.

٢٩- ﴿ضنكاً﴾ الشقاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

وأخرج عن مجاهد وقتادة قالاً: ضيقة. وكذا قال أبو عبيدة وزاد: والضنك توصف به الأنثى، والمذكر بغير الهاء وكل عبس أو منزل أو مكان ضيق فهو ضنك. قال عنزة:

إن المنية لو تمثل مثلت
مثلى إذ نزلوا بطنك المنزل

والآية المشار إليها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.
 ٣٠- ﴿هوى﴾ شقى].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: ﴿وَمَنْ يَجْلُلْ عَلَيْهِ غَضْبِي فَقَدْ هَوَى﴾.
 ٣١- ﴿بالواد المقدس﴾ المبارك].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

٣٢- ﴿طوى﴾ اسم الوادي].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله، عن ابن عباس وبه قال مجاهد وابن زيد. وهو أحد أقوال خمسة حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادي المقدس طوى به. قاله ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أنه وادٍ قدس مرتين وبه قال الحسن.

ورابعها: بمعنى «على ثنى» أي مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد، وبه قال قتادة.

وخامسها: أنه أمر من الله لموسى أن يطمأ الوادي بقدميه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة، وبه قال عكرمة وسعيد بن جبير وهو الرواية الثانية عن مجاهد.

والذي اختاره ابن جرير أنه اسم الوادي كما قال أصحاب القول الأول.

والآية المشار إليها: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾.

٣٣- ﴿بملكنا﴾ بأمرنا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله. وأخرجه أيضاً عن

مجاهد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما.

ثانيها: بمعنى طاقتنا وهو قول قتادة والسدي.

وثالثها: أي بهوانا وبه قال ابن زيد.

والذي يبدو لي أن هذه الأقوال متقاربة كما قال ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من

زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري﴾.

٣٤- [مكاناً سوى] مَنصَفٌ بينهم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وبنحوه قاله قتادة والسدي وابن زيد.

وقال أبو عبيدة: يضم أوله ويكسر وهو منقوص يجري مجرى عُدى

وعدى، والمعنى النصف، والوسط فيما بين القريتين وقال موسى بن جابر الحنفي:

وإن إيانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفرز

والفرز سعد بن زيد مناة. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت

مكاناً سوى﴾.

٣٥- [ييساً] يابساً].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقال أبو عبيدة: متحرك الحروف بالفتحة

والمعنى يابساً ويقال: شاة ييس بفتح الباء أي يابسة ليس لها لبن وبعضهم يسكن

الباء. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فأضرب لهم

طريقاً في البحر ييساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾

٣٦- [على قدر] موعداً].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿فلبثت في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾.

٣٧- ﴿لَا تَنِيًّا﴾ تضعُفاً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.
والآية المشار إليها: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾.

٢٢٨- [باب قوله ﴿واصطنعتك لنفسي﴾].

ش: «يقول تعالى ذكره: واصطنعتك لنفسي أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمرني ونهبي.

والإصطناع في الأصل: إتخاذ الصنيعة وهي الخير تسديه إلى غيرك.
قال الشاعر:

وإذا اصطنعت صنيعة فاقصد بها وجه الذي يولي الصنائع أودع

قال ابن عباس: اصطنعتك لوحيي ورسالتي.

وقال الكلبي: اخترتك بالرسالة لنفسي، لكي تحبني وتقوم بأمرني، وقيل:

اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في الخطاب والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم». انتهى محل الغرض من كلام ابن القيم كما في بدائع التفسير (٣/١٥٤).

قلت: وفي الآية دليل على إثبات النفس لله تعالى وهي نفس حقيقية لا تئة بجلاله.

٢٥٦- حدثنا الصلت بن محمد^(١) حدثنا مهدي بن ميمون^(٢) حدثنا محمد

بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ قال له آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب عليّ قبل أن يخلقني؟ قال نعم، فحج آدم موسى».

ش: سيأتي في الباب الثلاثين بعد المائتين.

(١) هو أبو همام الصلت بن محمد بن عبد الرحمن البصري الخاركي صدوق، من كبار العاشرة مات سنة بضع عشرة ومائتين. خ. م.

(٢) هو أبو يحيى مهدي بن ميمون الأزدي المعولي البصري، ثقة من صغار السادسة مات سنة اثنتين وسبعين [ومائة]. ع.

قوله [اليم : البحر]

ش: قال ابو عبيدة : ﴿ فاخذ فيه في اليم ﴾ أي ارم به في البحر ، واليم

معظم البحر ، قال العجاج :

كباذخ اليم سقاها اليم . أهـ

٢٢٩- [باب قوله ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضربهم طريقاً في البحر يساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى﴾].

ش: قوله ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضربهم طريقاً في البحر يساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ يقول تعالى ذكره ﴿ولقد أوحينا إلى﴾ نبينا ﴿موسى﴾ إذ تابعنا له الحجاج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿أن أسر﴾ ليلاً ﴿بعبادي﴾ يعني بعبادي من بني إسرائيل ﴿فاضربهم طريقاً في البحر يساً﴾ يقول: فاتخذهم في البحر طريقاً يابساً. والييس والييس: يجمع أياس، تقول: وقفوا في أياس من الأرض. والييس المخفف: يجمع ييوس.

وقوله ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى﴾. يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعاً ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ يقول جل ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿وما هدى﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

٢٥٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح حدثنا شعبة حدثنا أبو

بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، واليهود تصوم عاشوراء، فسأهم فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ: نحن أولى بموسى منهم، فصوموه».

ش: فيه خمس مسائل.

الأولى: قوله «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء» في الصيام، باب صيام يوم عاشوراء من رواية عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء».

الثانية: قوله «فسألهم» في رواية عبد الله بن سعيد المذكورة «فقال: ما هذا» وعند مسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء «فستلوا». قلت: وهذا اختلاف تنوع في العبارة.

الثالثة: قوله «هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون» في الصيام «هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم» وعند مسلم من رواية عبد الله بن سعيد «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه».

الرابعة: قوله «نحن أولى بموسى منهم» وفي الصيام «فأنا أحق بموسى منكم» وعند مسلم «ونحن أحق وأولى بموسى منكم» وفي قوله «أولى» تعريض باليهود إذ لم يكونوا على شريعة موسى وكانوا قوماً كفاراً.

الخامسة: قوله «فصوموه» عند المصنف في الصيام ومسلم «فصامه وأمر بصيامه» وفيه دليل على جواز التعبد بالصيام شكراً لله.

وقد سبق في الباب السادس والعشرين بيان حكم صيام عاشوراء والجمع بين حديث الباب وحديث عائشة «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية» فراجع إن شئت.

٢٣٠- [باب ﴿فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾].

ش: قلت الآية: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾.

قوله ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ يعني حواء عليهما السلام، ﴿فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾ أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك ها هنا في عيش رغيد هنيء، لا كلفة ولا مشقة.

فائدة:

كيف شرك بينهما في الخروج، وخص آدم بالشقاء؟
فالجواب: لاشتغاله بالكسب والمعاش والمرأة في خدرها.

٢٥٨- حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى».

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «حاج موسى آدم» في رواية همام ومالك «تحتاج» وفي رواية

أيوب بن النجار ويحيى بن كثير «حج آدم موسى».

قال الطيبي: معنى قوله حج آدم موسى: غلبه بالحجة، وفي رواية يزيد بن

هرمز عند مسلم باب حجاج آدم موسى «عند ربهما» وفي رواية ابن سيرين

«التقى آدم وموسى» وفي رواية عمار والشعبي «لقي آدم موسى» وفي حديث

عمر عند أبي داود «لقي موسى آدم». وكذا عند أبي عوانة وعند أبي داود في

السنة باب القدر عن عمر «قال موسى يا رب أرني آدم».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات بيان مكان تخاصم هاذين النبيين عليهما الصلاة والسلام وأن الله جمع بينهما وأما وقتها فلم أجد حتى هذه الساعة من النصوص ما يحدده والله أعلم.

الثانية: قوله «أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم» وفي رواية طاوس «أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة» وفي رواية يحيى بن أبي كثير «أنت الناس» وفي رواية الشعبي «أنت آدم أبو البشر» وفي الأنبياء باب وفاة موسى من رواية حميد بن عبد الرحمن «أنت آدم الذي أخرجتك خطيبتك من الجنة» وفي التوحيد باب قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ «أخرجت ذريتك» وفي رواية مالك «أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة» وفي رواية ابن سيرين «أشقيت» بدل «أغويت» ومعنى أغويت كنت سبباً لغواية من غوى منهم. وعند أحمد من طريق أبي سلمة «أنت الذي أدخلت ذريتك النار».

قلت: فكل هذه الروايات مجتمعة على أن موسى ﷺ عاتب أباه آدم على ما اقترفه من خطيئته، وأنه بتلك الخطيئة كان السبب في إخراج ذريته من الجنة، ويجمع بين إختلاف هذه الروايات بأنها كلها محفوظة عند الأئمة وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر.

الثالثة: قوله «يا موسى أنت الذي إصطفاك الله برسالته وبكلامه» في باب تحاج آدم وموسى عند الله من القدر «يا موسى إصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده» وفي رواية الأعرج عند مسلم «أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء وإصطفاك على الناس برسالته» وعند مسلم باب حجاج آدم موسى من رواية يزيد بن هرمز «وقربك نجيا وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء» وعند المصنف من رواية ابن سيرين «إصطفاك الله برسالته وإصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة» وفي حديث عمر قال «أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم،

قال أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم».

قلت: والحاصل أن آدم عليه الصلاة والسلام إعترض على موسى ﷺ إذ إحتج عليه بما عرفه فيما آتاه الله من العلم لأن خطيئة آدم مقدرة عليه وأنه لا ينبغي له لومه على ذلك.

الرابعة: قوله «أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره عليّ قبل أن يخلقني» في القدر «أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة». وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة «فكم تجحد في التوراة أنه كتب عليّ العمل الذي عملته قبل أن أخلق؟ قال بأربعين سنة». وفي رواية الشعبي «أفليس تجحد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجني منها قبل أن يدخلنيها؟ قال: بلى» وفي حديث عمر قال: «فلم تلومني على شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء».

قلت: فبان بهذا دفع آدم احتجاج موسى عليه، ويجمع بين الرواية المقيدة بأربعين سنة بحملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم.

الخامسة: قوله «فحج آدم موسى» في الأنبياء «فحج آدم موسى» مرتين وفي القدر «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» ثلاثاً، وكذا عند مسلم من رواية ابن سيرين وكذا في حديث جندب عند أبي عوانة، وفي حديث عمر «فاحتجنا إلى الله فحج آدم موسى قالها ثلاث مرات»، وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج «لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية الشعبي «فخصم آدم موسى، فخصم آدم موسى».

فائدة:

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد، فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله.

قال: وليس فيه حجة للجبرية».

قال مقيده: لقد إفترق الناس في فهم محاجة آدم و موسى صلى الله عليهما وسلم إلى خمس فرق، وقد ذكر هذا الإختلاف ابن القيم في شفاء العليل (ص ٢٥) ورد على كل فرقة قولها.

فقال رحمه الله: «ثم إختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى.

١ - فقالت فرقة: إنما حجّه لأن آدم أبوه، فحجّه كما يحجّ الرجل ابنه وهذا الكلام لا محصل فيه البتة، فإنّ حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حجّ الرجل أباه بحق وجب المصير إليه.

٢ - وقالت فرقة: إنما حجّه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة. وهذا من جنس ما قبله، إذ لا تأثير في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسالتها المتقدمة عليها وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبلُ الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم.

٣ - وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه. وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه: أحدها: أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى، ولم يقل أتلومني على ذنب قد تبت منه. الثاني: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباؤه بعده وهداه، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعلوه فضلاً عن كليم الرحمن. الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ما علّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه.

٤ - وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأنه لومه في غير دار التكليف ولو لومه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه، وهذا أيضاً فاسد من

وجهين. أحدهما: أن آدم لم يقل له لُمتني في غير دار التكليف وإنما قال أتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق، فلم يتعرض للدار وإنما احتج بالقدر السابق. والثاني: أن الله سبحانه يلوم الملوّمين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة.

٥ - وقالت فرقة أخرى: إنما حجّه لأن آدم شهد الحكمَ وجريانه على الخليفة وتفرّد الرب سبحانه برؤيته وأنه لا تحرك ذرة إلا بمشيئته وعلمه وأنه لا رادّ لقضائه وقدره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قالوا: ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة لأنه شهد نفسه عدماً محضاً، والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لا حيلة له ولا قوة له، قالوا: ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم. وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث، وهو شرٌّ من مسلك القدرية في ردّه، وهم إنما ردوه إبطالاً لهذا القول ورداً على قائليه، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم، وأخطأوا في رد حديث رسول الله ﷺ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جان على جنايته ولا ظالم على ظلمه، ولا يُنكر منكر أبداً، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في إشاراتِهِ: العارف لا ينكر منكرأ لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر، وهذا كلامٌ منسلخ من الملل ومتابعة الرسل، وأعرف خلق الله به رسله وأنبيأه، وهم أعظم الناس إنكاراً للمنكر، وإنما أرسلوا لإنكار المنكر، فالعارف أعظم الناس إنكاراً للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار، والقدر يعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وفي مقام ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فعبده بأمره وقدره وتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم.

ثم قال رحمه الله في صفحة إحدى وثلاثين بعد نقله ملخصاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسماءه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيهاً على سبب المعصية والحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له «أخرجتنا ونفسك من الجنة» وفي لفظ «خيبتنا» فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي أتلومني على مصيبة قدرت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة آدم ﷺ.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالقدر.

آخر تفسير سورة طه والحمد لله.

سورة الأنبياء

٢٣١ - سورة الأنبياء بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وسر تسميتها بهذا إشتغالها على ذكر كثير من الأنبياء وقد تقدم ما ورد في فضلها من حديث ابن مسعود المتقدم في سورة طه وسيأتي:

قلت: وهي من المثين التي أوتيتها النبي ﷺ مكان الزبور، فعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المثين، ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل) أخرجه أبو داود الطيالسي وأحمد وابن جرير والبيهقي في الشعب وغيرهم.

قال القرطبي مكية في قول الجميع.

وعدد آياتها ثنتي عشرة ومائة آية.

٢٥٩- حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء» فيه دليل على أن هذه السور معروفة بهذه الأسماء لدى أصحاب النبي ﷺ وهذا شاهد للقول بأن أسماء السور توقيفية.

الثانية: قوله «هن من العتاق» يعني هذه السور المذكورة في الخبر، وجاء بضمير الفصل للتأكيد، والعتاق: جمع عتيقة ومعناه بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة.

الثالثة: قوله «الأول» بتخفيف الواو جمع أولى مؤنث أول وهو تأكيد لسابقه على أول المعنيين.

الرابعة: قوله «وهن من تلادي» بكسر المثناة وتخفيف اللام أي مما حفظ قديماً، والتلاد قديم الملك وهو بخلاف الطارق، ومراد ابن مسعود أنهم من أول ما تعلم من القرآن وأن هن فضلاً لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم.

شرح جملة من الكلمات:

١- [قال قتادة: ﴿جذاذاً﴾ قطعهن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ أي قطعاً. وأخرج عن ابن عباس قال «حطاماً». وأخرج عن مجاهد قال: كالصريم والعبارات الثلاث متقاربات المعنى.

والآية المشار إليها: ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾.

٢- [وقال الحسن: ﴿في فلك﴾ مثل فلكة المغزل].

ش: وصله ابن عيينة عن عمرو عن الحسن. ذكره الحافظ وحكاه ابن جرير

بقوله: «وذكر عن الحسن أنه يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل» اهـ. وبه قال قتادة وابن زيد. وهو أحد خمسة أقوال حكاها عن أهل التفسير. وثانيها: أنه كهيئة حديدة الرحي وبه قال مجاهد وابن جريج وابن عباس. وثالثها: أنه سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها وبه قال الضحاك.

ورابعها: أنه موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه. وخامسها: أنه القطب الذي تدور به النجوم. ولم يذكر قائلًا لهذين القولين.

والآية المشار إليها: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾.

٣- ﴿يسبحون﴾ يدورون].

ش: وصله ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿كل في فلك يسبحون﴾ يدورون حوله. حكاه الحافظ. وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن زيد قالا: يجرون. وكلتا العبارتين بمعنى واحد.

٤- [وقال ابن عباس: ﴿نفشت﴾ رعت ليلاً].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا. حكاه في الفتح.

وقال أبو عبيدة: النفس أن تدخل ليلاً فتأكله. وقالت: نفشت في جدادي، الجداد من نسج الثوب تعني الغنم. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾.

٥- ﴿يَصْحَبُونَ﴾ يمنعون].

ش: وصله ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

وفي الآية ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير عن المفسرين:

أحدها: أنها لا تصحب من الله بخير وهو قول قتادة.

وثانيها: بمعنى لا ينصرون وبه قال مجاهد وابن عباس وهو بمعنى ما حكاه المصنف عنه.

وثالثها: بمعنى يجارون. وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

ثم قال بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن "هم" من قوله "ولا هم" من ذكر الكفار، وأن قوله «يصحبون» بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿أَمْ لَمْ آتِهِمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ

أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَنَا يَصْحَبُونَ﴾.

٦- ﴿أَمْ تَكُمُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال دينكم دين واحد].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.

٧- [وقال عكرمة: ﴿حَصْبٌ﴾ حطب بالحشية].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق عبد الملك بن أبيجر سمعت عكرمة بهذا. حكاه في الفتح (٣٣٢/٦).

وأخرج ابن جرير ثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن ابن أبيجر عن

عكرمة قوله ﴿حَصْبٌ جَهَنَّمَ﴾ قال: حطب جهنم. وأخرجه أيضاً عن مجاهد

وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾.

٨- [وقال غيره ﴿أحسوا﴾ توقعوا، من أحسست].

ش: قال أبو عبيدة: أي لقوره ورأوه يقال: هل أحسست فلاناً، أي هل وجدته، ورأيته ولقيته، ويقال: هل أحسست مني ضعفاً، وهل أحسست من نفسك براً. اهـ.

قلت: وهذا أولى مما ذهب إليه المصنف رحمه الله للدلالة ظاهر الآية عليه.

والآية المشار إليها: ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾.

٩- [خامدين ﴿هامدين﴾].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الخامد مجاز الهامد كما يقال للنار إذا أطفئت خمدت النار. وقال ابن جرير هالكين قد انطفئت شرارتهم، وسكنت حركتهم فصاروا هموداً. كما تخمد النار فتطفأ. ثم أخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة وبجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾.

١٠- [حصيداً ﴿مستأصل، يقع على الواحد والاثنين والجمع﴾].

ش: قال أبو عبيدة: والحصيد مجازه مجاز المستأصل وهو يوصف بلفظ الواحد والاثنين والجمع من الذكر والأنثى سواء كأنه أجري مجرى المصدر الذي يوصف به الذكر والأنثى والاثنان والجميع منه على لفظه. اهـ.

١١- ﴿لَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لَا يَعْیُونَ وَمِنْهُ ﴿حَسِيرٌ﴾ وَحَسْرَتٌ بَعِيرِي].
ش: قال أبو عبيدة: أي لا يفتزون ولا يعيون ولا يملون ويقال حسرت
البعير.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد لا يفتزون ولا يسأمون. وليس بين العبارتين
اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.
١٢- ﴿عَمِيقٌ﴾ بَعِيدٌ].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقطعن بعد النازح العميق».
والآية المشار إليها هي الآية السابعة والعشرون من سورة الحج، ومناسبة
ذكرها هنا لما وقع في هذه السورة فجاءاً وجاء في التي بعدها من كل فج
عميق. كأنه استطرده من هذه لهذه أو كان في طرة فنقلها الناسخ إلى غير
موضعها. كذا وجهه الحافظ.

١٣- ﴿نَكَسُوا﴾ رَدُّوا].
ش: قال أبو عبيدة: مجازه قلبوا ويقال نكست فلاناً على رأسه إذا قهره
وعلاه ونحو ذلك.

وحكى ابن جرير في الآية ثلاثة أقوال:
أحدها: غلبوا في الحجة وبه قال قتادة وابن إسحاق.
وثانيها: بمعنى نكسوا في الفتنة وهو قول السدي.
وثالثها: بمعنى ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم وبه قال بعض أهل
العريية.

قلت: واختلاف هذه العبارات لفظي.
والآية المشار إليها: ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ

ينطقون ﴿﴾.

١٤- [﴿صنعة لبوس﴾ الدروع].

ش: قال أبو عبيدة: «اللبوس السلاح كلها من درع إلى رمح وقال الهذلي:
ومعنى لبوس للبيس كأنه روقة بجهة ذي نعاج مجفل»
وقال ابن جرير: «وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى
الدروع. ثم أخرج المعنى عن قتادة».

والآية المشار إليها: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم
فهل أنتم شاكرون﴾.

١٥- [﴿تقطعوا أمرهم﴾ اختلفوا].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه واختلفوا وتفرقوا.
وأخرج ابن جرير عن ابن زيد اختلفوا في الدين.

والآية المشار إليها: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾.

١٦- [الحسيس والحس والجرس والهمس واحد، وهو من الصوت

الخفي].

ش: قال أبو عبيدة: أي صوتها والحسيس والحس واحد قال عبيد بن
الأبرص:

فاستثال وارتاع من حسيها وفعله يفعل المذؤوب

والآية المشار إليها: ﴿لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتتت أنفسهم

خالدون﴾.

١٧- [﴿أذناك﴾ أعلمناك].

ش: الآية المشار إليها هي السابعة والأربعون من سورة فصلت حم
السجدة.

وقد ذكره ها هنا استطراداً وتمهيداً لما بعدها.

١٨- ﴿آذنتكم﴾ إذا أعلمته فأنت وهو على سواء لم تغدر].

ش: قال أبو عبيدة: إذا أذرت عدوك وأعلمته ذلك ونبذت إليه الحرب حتى تكون أنت وهو على سواء وحذر فقد آذنته على سواء. اهـ.
والآية المشار إليها: ﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾.

١٩- [وقال مجاهد: ﴿لعلكم تسألون﴾ تفهمون].

ش: وصله الفريابي من طريقه. قاله في الفتح.
وأخرج ابن جرير: ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: تفقهون.

وهذا هو أحد القولين عنده في الآية. وثمة قول آخر وهو لعلكم تسألون من دنياكم شيئاً على وجه السخرية والإستهزاء وبه قال قتادة.
والآية المشار إليها: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾.

٢٠- [ارتضى﴾ رضي].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.
والآية المشار إليها: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.

٢١- [التمثيل﴾ الأصنام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.
والآية المشار إليها: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾.

٢٢- [السجل﴾ الصحيفة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وأخرجه أيضاً عن ابن

عباس. وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه اسم ملك من الملائكة وبه قال ابن عمر والسدي.

وثالثها: أنه اسم رجل كان يكتب لرسول الله ﷺ وهو قول ابن عباس في

الرواية الثانية.

واختار ابن جرير قول مجاهد ومن وافقه. قال: «لأن ذلك هو المعروف في

كلام العرب ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك

ذلك اسمه». اهـ.

قلت: ولا يجوز العدول عما هو معروف في لغة العرب عند الاطلاق في

القرآن إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

والآية المشار إليها: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا

أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾.

٢٣٢- [باب ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا﴾].

ش: قلت: الآية: ﴿يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا

أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾.

يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة يوم نظوي السماء كطي السجل للكتاب

كما قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وقوله ﴿كطي السجل للكتب﴾ المراد بالسجل: الكتب كذا قرأه حفص

وحمزة والكسائي وقرأ الباقون بالتحديد.

وقوله ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ يعني هذا

كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على

إعادتهم، وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبذل،

وهو القادر على ذلك ولهذا قال ﴿إنا كنا فاعلين﴾.

٢٦٠- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان

شيخ من النخع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً» ﴿كما بدأنا

أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ ثم إن أول من يكسى يوم القيامة

إبراهيم ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب

أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح

﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت - إلى قوله - شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا

مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

سبق شرحه في تفسير سورة المائدة ضمن الباب الحادي والعشرين بعد

المائة.

آخر تفسير سورة الأنبياء والله الحمد والمنة.

سورة الحج

٢٣٣- سورة الحج بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية هو قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عقبه بن عامر قال: «قلت: يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدها فلا يقرأها».

وأخرج أبو داود في المراسيل والبيهقي عن خالد بن مهران أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجديتين».

والسورة مختلطة منها مكِّي ومنها مدني حكاها القرطبي عن الجمهور. قال العزيمي: وهي من أعاجيب السور نزلت ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا، مكياً ومدنيًا، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً. وعدد آياتها ثمان وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عيينة: ﴿المخبتين﴾ المطمئنين].

ش: هو كذلك في تفسير ابن عيينة.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال: المطمئنين.

وأخرجه عن قتادة قال: المتواضعين.

والآية المشار إليها: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما

رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾.

٢- [وقال ابن عباس: ﴿في أمنيته﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه

فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس

فذكره.

واعلم أن أهل التفسير مختلفون في معنى قوله "تمنى" في هذا الموضع على

قولين وكلاهما حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أن ذلك التمني من النبي ﷺ ما حدثته نفسه من محبته مقارنة قومه،

في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا

تذكر بسوء وهذا هو قول محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأبي العالية

وسعيد بن جبير والضحاك.

وثانيهما: أنه بمعنى إذا قرأ وتلا أو حدث وبه قال ابن عباس وقد قدمناه لك

قبل قليل وهو قول مجاهد والضحاك في الرواية الثانية عنه.

٣- [ويقال أمنيته قراءته].

ش: قلت: هذا هو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه كما تقدم قبل قليل.

والآية المشار إليها: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نبي إلا إذا تمنى

ألقى الشيطان في أمنيته﴾.

٤- ﴿إلا أمانى﴾ يقرؤون ولا يكتبون].

ش: قلت: أشار به إلى الآية الثامنة والسبعين من سورة البقرة
قال الفراء في تفسيرها: والأمنية في المعنى التلاوة كقول الله ﷻ: ﴿إلا إذا
تمنى ألقى الشيطان في أميته﴾ أي تلاوته، والأمانى أيضاً أن يفعله الرجل
الأحاديث المفتعلة. اهـ محل الغرض.

٥- [وقال مجاهد: ﴿مشيد﴾ بالقصة].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وهو أحد قولين حكاهما في
الآية.

وثانيهما: معناه قصر رفيع طويل وهو قول قتادة والضحاك واختار ابن جرير
أولهما ومعناه مشيد بالجص أو الكلس.

والآية المشار إليها: ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على
عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾.

٦- [وقال غيره: ﴿يسطون﴾ يفرطون من السطوة ويقال يسطون
بيطشون].

قلت: الأول هو قول أبي عبيدة والثاني قال ابن عباس ومجاهد فيما أخرجه
ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾.

٧- [﴿وهودوا إلى الطيب من القول﴾ أهموا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأخرج عن ابن زيد «هدوا إلى الكلام
الطيب لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله» وكلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما.

والآية المشار إليها: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾.

٨- [قال ابن عباس ﴿بسبب﴾ بجبل إلى سقف البيت].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا ابن حميد ثنا حكام بن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني عن التميمي قال: «سألت ابن عباس... الأثر وفيه «والسبب الجبل والسماء سقف البيت». وأخرج نحوه عن قتادة ومجاهد والضحاك وعكرمة.

والآية المشار إليها: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع﴾.

٩- [﴿وهدوا إلى الطيب﴾ ألهموا إلى القرآن].

ش: روى ابن المنذر من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله ﴿إلى الطيب من القول﴾ قال: القرآن. ذكره الحافظ.

١٠- [﴿تذهل﴾ تشغل].

ش: أخرجه البغوي عن ابن عباس وقال أبو عبيدة في الآية: أي تسلوا وتنسى قال كثير عزه:

صحا قلبه يا عزا وكاد يذهل: أي يصحوا ويسلوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد: ترك ولدها للكرب الذي نزل.

والآية المشار إليها: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها﴾.

٢٣٤- [باب ﴿وترى الناس سكارى﴾].

ش: قلت الآية: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.

قال تعالى: ﴿يوم ترونها﴾ هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ أي تشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له، ولهذا قال ﴿كل مرضعة﴾ ولم يقل كل مرضع وقال ﴿عما أرضعت﴾ أي عن رضيعها قبل فطامه.

وقوله ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أي قبل تمامه لشدة الهول. ﴿وترى الناس سكارى﴾ وقرئ ﴿سكرى﴾ أي من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رأهم حسب أنهم سكارى ﴿وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾. اهـ من ابن كثير.

٢٦١- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ يوم القيامة يا آدم يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا».

قال أبو أسامة، عن الأعمش: «تتروى الناس سكارى وما هم بسكارى» وقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية «سكرى وما هم بسكرى». ش: فيه أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «قال النبي ﷺ: قال الله ﷻ» كذا في الأنبياء باب قصة ياجوج وماجوج وفي آخرها تعالى بدل عز وجل. وفي التوحيد باب قول الله تعالى «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» «قال النبي ﷺ يقول الله» بلا زيادة. وفي الرقاق «قال رسول الله ﷺ يقول الله» وعند مسلم في الإيمان باب قوله «يقول الله لآدم اخرج بعث النار» «قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ» وعند النسائي في تفسير السورة «قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى» فقد إتفقت هذه الروايات جميعها كما ترى على أن الحديث مرفوع.

الثانية: قوله «لييك ربنا وسعديك» في الأنبياء والرقاق باب قوله عز وجل «إن زلزلة الساعة شيء عظيم» وعند مسلم «فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك» وفي التوحيد «لييك وسعديك» فقط. وفي الإقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضاً بتقدير الله كالخير.

قلت: وفي التنزيل الكريم «وإنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً».

الثالثة: قوله «فينادى بصوت» كذا في التوحيد وفي الأنبياء «يقول» وفي الرقاق وعند مسلم «قال يقول» وعند النسائي «يقول الله تبارك وتعالى لآدم يوم القيامة: يا آدم».

قلت: وفي هذا دليل على أن المنادي هو الله جل وعلا وأنه يخاطب عبده آدم ﷺ بلا واسطة بكلام يسمعه آدم وذلك الكلام هو حرف وصوت وهذا هو مذهب العقلاء.

قال السجزي - رحمه الله - في رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: «اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أحسن حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت له اللغات... إلى أن قال - فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً». اهـ

الرابعة: قوله «إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» وكذا في التوحيد وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «أخرج بعث النار». وعند النسائي «قم فابعث من ذريتك بعث النار» وعند أحمد «نصيب» بدل «بعث» والبعث بمعنى المبعوث وأصلها في سرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناه هنا مميّز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء فقد رآه النبي ﷺ ليلة الأسراء وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة.

الخامسة: قوله «يا رب وما بعث النار» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي قال: «وما بعث النار» بدون «يا رب» وفي حديث أبي هريرة في باب كيف الحشر من الرقاق «فيقول كم أخرج» والواو عاطفة على شيء محذوف تقديره سمعت وأطعت وما بعث النار.

السادسة: قوله: «من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» بالجزم. وفي حديث أبي هريرة المشار إليه قبل قليل «من كل مائة تسعة وتسعين».

قال الكرمانى: «إن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد والمقصود من العديدين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد

الكافرين».

السابعة: قوله «فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» في الأنبياء والرقاق وعند مسلم والنسائي «فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى... الخ ففي الحديث رد على القائلين إن زلزلة الساعة المذكورة في قوله تعالى ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ واقعة في الدنيا وهم علقمة والشعبي وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي. أخرجه عنهم ابن جرير في تفسير الآية.

الثامنة: قوله «فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم» في الأنبياء «قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد» وفي الرقاق وعند مسلم «فاشتد ذلك عليهم» وعند النسائي «فشق ذلك على الصحابة» وفي حديث ابن عباس «فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن» وعند الترمذي والنسائي في تفسير سورة الحج والحاكم في الإيمان وصححه من حديث عمران بن حصين «فأبلس القوم حتى ما أبدوا بضحكة».

التاسعة: قوله «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد» في الأنبياء «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً» وفي الرقاق وعند مسلم «فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» وعند النسائي «فدخل منزله ثم خرج عليهم فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد» وعند الترمذي من حديث عمران «فقال اعملوا وابشروا».

قال الحافظ: «وقد فتح الله تعالى بأجوبة آخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة». قاله في شرحه لهذا الحديث في الرقاق بعد نقله كلام الكرمانى المتقدم في المسألة السادسة.

العاشرة: قوله «ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور

الأبيض» في الأنبياء «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود» وفي الرقاق «إن أمي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» وعند مسلم «إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار» وعند النسائي «ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض» وفي باب كيف الحشر من الرقاق من حديث ابن مسعود قال: «وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» وفي حديث عمران عند الترمذي والنسائي «ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة».

قال مقيده: والذي يظهر لي من مجموع هذه الروايات إخباره ﷺ بأن أتباعه على دينه أقل الناس ويؤيده رواية ابن مسعود المتقدمة «ما أنتم في أهل الشرك».

الحادية عشرة: قوله «فإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» وكذا عند النسائي وفي الأنبياء والرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «إني لأطمع» وفي حديث ابن مسعود «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة».

قلت: واختلاف الروايات محمول على تعدد القصة ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود قال: «كنا مع النبي ﷺ في قبة» وفي حديث عمران بن حصين وهو عند الترمذي والنسائي قال: «كنا مع النبي ﷺ في مسير فتفاوت بين أصحابه في السير» فذكر نحو حديث أبي سعيد.

الثانية عشرة: قوله «فكبرنا» وكذا في الأنبياء وفي الرقاق وعند مسلم «فحمدنا الله وكبرنا» وعند النسائي «فكبروا وحمدوا الله».

الثالثة عشرة: قوله «ثلث أهل الجنة فكبرنا» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا

ثلث أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا».

الرابعة عشرة: قوله «شطر أهل الجنة فكبرنا» في الأنبياء «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا» وفي الرقاق وعند مسلم «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة» وعند النسائي «إني لأرجو الله أن تكونوا نصف أهل الجنة».

وقوله «قال أبو أسامة عن الأعمش: سكارى وما هم بسكارى» يعني أنه وافق حفص بن غياث في رواية هذا الحديث عن الأعمش بإسناده ومثله وقد أخرجه أحمد عن وكيع عن الأعمش كذلك.
وقوله «وقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» تقدم في المسألة السادسة.

قوله «وقال جرير وعيسى ويونس وأبو معاوية ﴿سكرى وما هم بسكرى﴾» بمعنى أنهم روه عن الأعمش بإسناده هذا ومثله لكنهم خالفوا في هذه اللفظة.

قلت: وبهذه الأخيرة قرأ حمزة والكسائي وبالأولى قرأ الباقر كما في

الكشف.

فأما رواية جرير فوصلها المصنف في الرقاق.

وأما رواية عيسى ويونس فوصلها إسحاق بن راهوية عنه كذلك.

وأما رواية أبي معاوية فاختلف عليه فيها، فرواها بلفظ «سكرى» أبو بكر بن

أبي شيبه عنه، وقد أخرجه سعيد بن منصور عن أبي معاوية والنسائي عن أبي

كريب عن أبي معاوية فقالا في روايتهما «سكرى وما هم بسكارى» وكذا عند

الإسماعيلي من طريق أخرى عن أبي معاوية، وأخرجه مسلم عن أبي كريب عنه

مقرونة برواية وكيع وأحال بهما على رواية جرير.

وروى ابن مردويه من طريق محاضر، والطبري من طريق المسعودي كلاهما عن ابن مسعود «سكرى وما هم بسكرى» قال: وهو جيد في العربية. انتهى.
ونقله الإجماع عجب مع أن أصحابه الكوفيين يحيى بن وثاب وحمزة والأعمش والكسائي قرؤوا بمثل ما نقل عن ابن مسعود، ونقلها أبو عبيد أيضاً عن حذيفة وأبي زرعة بن عمرو واختارها أبو عبيد. انتهى قاله الحافظ في الفتح (٤٤٢/٨).

من فقه الحديث.

أولاً: فضيلة آدم ﷺ وشرفه

ثانياً: في نداء الله إياه إثبات صفة الكلام لله فإنه جل وعلا يكلم من شاء

متى شاء وكيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ثالثاً: كثرة أهل النار.

رابعاً: كثرة يأجوج ومأجوج.

خامساً: إن أكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ وهذا دليل على أنها تفضل

سائر الأمم.

٢٣٥- [باب ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة القلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ - إلى قوله - ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾].

ش: تمام السياق ﴿ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾.

يعني جل ذكره بقوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أعراباً كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة و الدخول في الإسلام أقاموا على الأسلام و ألا ارتدوا على أعقابهم فقال الله ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ على شك ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالأسلام وثبت عليه ﴿وإن أصابته فتنة﴾ وهو الضيق في العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿انقلب على وجهه﴾ يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله

وقوله ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ يقول تعالى ذكره وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، إرتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يقول: ارتداده ذلك داعياً من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهاباً بعيداً.

[﴿أترفناهم﴾ وسعناهم].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وسعنا عليهم فأترفوا فيها وبغوا وبطروا فكفروا

وآعجبوا قال العجاج:

وقد رأني بالديار مترفاً

قلت: وهذه الكلمة من الآية الثالثة والثلاثين من قد أفلح المؤمنون ولم تظهر

لنا المناسبة لذكرها ها هنا ولعله تصرف من الناسخ.

٢٦٢- حدثني إبراهيم بن الحارث^(١) حدثنا يحيى بن أبي بكير^(٢) حدثنا

إسرائيل، عن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً وتنجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «كان الرجل يقدم المدينة» وعند ابن أبي حاتم من رواية جعفر

بن أبي المغيرة «كان الناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون» ساق إسنادها ابن كثير.

الثانية: قوله «فإن ولدت امرأته غلاماً، وتنجت خيله قال: هذا دين صالح»

وفي رواية جعفر المذكورة «فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به» وأخرج ابن المنذر من طريق الحسن «قال نعم الدين هذا» حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء» وفي

رواية جعفر المتقدمة «فإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير».

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل البغدادي نزيرل نيسابور، صدوق من الحادية عشرة مات سنة خمس وستين ومائتين. خ. كد.

(٢) هو يحيى بن أبي بكير واسمه نسر الكرماني كوفي الأصل، نزل بغداد ثقة من التاسعة، مات سنة ثمان أو تسع ومائتين. ع.

٢٣٦- [باب ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾].

ش: تمامها ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾.

قوله ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ أي هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معادة كل فريق منهما الفريق الآخر، ومحاربتة إياه على دينه.

وقوله ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ يقول تعالى ذكره فأما الكافر بالله فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار.

وقوله ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ يقول يصب على رؤوسهم ماء مغلى.

٢٦٣- حدثنا حجاج بن منهال حدثنا هشيم أخبرنا أبو هاشم^(١) عن أبي مجلز^(٢) عن قيس بن عباد^(٣) عن أبي ذر^(٤) رضي الله عنه «أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر».

رواه سفيان عن أبي هاشم وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله.

(١) هو يحيى بن دينار الرماني الواسطي وقيل ابن الأسود وقيل ابن نافع ثقة من السادسة مات سنة اثنتين وعشرين [ومائة] وقيل سنة خمس وأربعين. ع.

(٢) هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري مشهور بكنيته ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ست وقيل تسع ومائة وقيل قبل ذلك. ع.

(٣) هو أبو عبد الله قيس بن عباد البصري، ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عده في الصحابة. خ. م. د. س. ق.

(٤) هو جندب بن جنادة الغفاري الصحابي المشهور، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا ومناقبه كثيرة جداً مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. ع.

٢٦٤- حدثنا حجاج بن منهال حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة». ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «كان يقسم فيها» وفي المغازي باب قتل أبي جهل وعند مسلم في التفسير «سمعت أبا ذر يقسم قسماً» وعند ابن جرير من رواية سفيان عن أبي هاشم «سمعت أبا ذر يقسم بالله قسماً»

الثانية: قوله «إن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾» في المغازي «﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾» وعند مسلم «إن ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ إنها نزلت» وعنده أيضاً وعند المصنف في المغازي من طريق سفيان «لنزلت هؤلاء الآيات».

الثالثة: قوله «في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه» فسره في المغازي وعند مسلم «حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة». الرابعة: قوله «يوم برزوا في يوم بدر» لم يقع في هذه الرواية تفصيل المبارزين وذكر ابن إسحاق أن عبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة كانا أسن القوم فيروز عبيدة لعبة، وحمزة لشيبة، وعلي للوليد.

قال الحافظ: وعند موسى بن عقبة: برز حمزة لعبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركة عبيدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء، ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبيدة فأعاناه على قتله.

وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة، وعند

أبي الأسود عن عروة مثله، وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني أن شيبه لحمزة وعبيدة لعتبة وعلياً للوليد ثم قال الليث إن عتبة لحمزة وشيبه لعبيدة. اهـ قال بعض من لقيناه: اتفقت الروايات على أن علياً للوليد وإنما اختلفت في عتبة وشيبه أيهما لعبيدة وحمزة، والأكثر على أن شيبه لعبيدة.

قلت: وفي دعوى الإتفاق نظر، فقد أخرج أبو داود من طريق حارثة بن مضرب عن علي قال: «تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فانتدب له شباب من الأنصار فقال لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة. فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبه واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثنخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة».

قلت: وهذا أصح الروايات لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشيبه كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: «أعنت أنا وحمزة وعبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا». وهذا موافق لرواية أبي داود والله أعلم. اهـ من الفتح (٢٩٤/٧).

الخامسة: قوله «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» يجثو بالجيم والمثلثة أي يقعد على ركبته مخاضماً والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام. اهـ من الفتح.

السادسة: قوله «وفيهم نزلت» في المغازي من رواية سليمان التيمي قال علي رضي الله عنه: «فينا نزلت هذه الآية».

قلت: وهذا تصريح بوصل الخبر عن علي ﷺ ويجوز عندي أن قيساً ذكره مرة مرسلًا وذكره مرة عن علي.

السابعة: قوله «هذان خصمان» الخ. تقدم الكلام عليه في المسألة الثانية وما بعدها.

وفي الحديثين النص على أن المراد بالخصمين هم المؤمنون والكفار المتبارزون يوم بدر وهذا هو قول هلال بن يساف وعطاء وقيس بن عباد وهو أحد أقوال أربعة حكاه ابن جرير.

وثانيها: أن الفريق الآخر أهل الكتاب وبه قال ابن عباس.

وثالثها: أن الفريق الآخر هم الكفار كلهم من أي ملة كانوا قاله الحسن بن علي وعاصم والكلبي ومجاهد.

ورابعها: أن الخصمين هما الجنة والنار وهو قول عكرمة.

وإن قلت أي هذه الأقوال ترى أنه يشمله عموم الآية قلت: نختار قول مجاهد ومن وافقه لأنه لا ينافي القولين قبله وظاهر الآية يؤيده.

آخر تفسير سورة الحج والله الحمد والمنة.

سورة المؤمنون

سورة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وفي نسخة أخرى برواية الهروي المؤمنون، وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عبد الله بن السائب قال: «صلى النبي ﷺ بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع» أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.
وقال القرطبي: كلها مكية في قول الجميع، وآياتها تسع عشرة ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عيينة: ﴿سبع طرائق﴾ سبع سموات].

ش: هو في تفسير ابن عيينة من رواية سعيد بن عبد الرحمن عنه، وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾.

٢- [﴿ها سابقون﴾ سبقت لهم السعادة].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرج عن ابن زيد «فتلك الخيرات».

والآية المشار إليها: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾

٣- [﴿قلوبهم وجلة﴾ خائفين].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ «يعملون خائفين».

والآية المشار إليها: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم

راجعون﴾.

٤- [قال ابن عباس: ﴿هيهات هيهات﴾ بعيد بعيد].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾.

٥- [﴿فاسأل العادين﴾ الملائكة].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وهو أحد قولين في الآية.

وثانيهما: أنهم الحساب وهو قول قتادة وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

والآية المشار إليها: ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين﴾.

٦- [﴿لنا كبون﴾ لعادلون].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذا قال أبو عبيدة وزاد: يقال نكب عنه ويقال نكب عن فلان أي عدل عنه ويقال نكب عن الطريق أي عدل عنه. والآية المشار إليها: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾.

٧- [كالحون] عابسون.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾.

٨- [وقال غيره] من سلالة الولد والنطفة السلالة.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وقالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية:

وهل كنت إلا مهرة عربية سلالة أفراس تجللهما بغل
فإن نتجت مهرا كريما فبالحري وإن يك إقراف فمن قبل الفحل

تقول لزوجها روح بن زنباع الجذامي. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

٩- [والجنة والجنون واحد].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين﴾.

١٠- [والغشاء الزبد وما ارتفع عن الماء وما لا ينتفع به].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: في شيء.

والآية المشار إليها: ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غشَاءً فبعداً للقوم

الظالمين﴾.

١١- [بجأرون]: يرفعون أصواتهم كما تجار البقرة.

ش: قاله أبو عبيدة إلا أنه قال الثور بدل البقرة وزاد: قال عدي بن زيد:

إنني والله فاسمع حلفي بأبيل كلما صلى جأر

والآية المشار إليها: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجترون﴾.

١٢- ﴿على أعقابكم﴾ رجع على عقبيه.

ش: قال أبو عبيدة: يقال لمن رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبيه.

والآية المشار إليها: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم

تكصون﴾.

١٣- ﴿سامراً﴾ من السَّمَر، والجميع السَّمَّار والسامر ها هنا في موضع

الجمع.

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من سمر الليل قال ابن أحرر:

من دولهم إن جئتهم سمرأ عزف القيان ومجلس عمر

وسامر في موضع «سَمَّار» بمنزل طفل في موضع أطفال». اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾.

١٤- ﴿تسحرون﴾ تعمون من السحر.

ش: قال أبو عبيدة: أي فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه ونراه من قوله

«سحرت أعيننا عنه فلم نبصره».

والآية المشار إليها: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار

عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾

آخر تفسير سورة قد أفلح المؤمنون والله الحمد والمنة.

سورة النور

٢٣٨- بسم الله الرحمن الرحيم سورة النور.
ش / شاهد التسمية : قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ الآية.
وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير قالاً: أنزلت سورة النور
بالمدينة.
وآياتها أربع وستون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- ﴿من خلاله﴾ من بين أضعاف السحاب].

ش/ قال أبو عبيدة: أي من بين السحاب يقال: من خلاله ومن خلته قال زيد الخيل:

ضربن بغمرة فخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قرأها ﴿من خلله﴾ بفتح الخاء من غير ألف قال هارون - أحد رواة - فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم.

والآية المشار إليها: ﴿لم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾.

٢- ﴿سنا برفه﴾ الضياء].

ش/ قال أبو عبيدة: منقوص أي ضوء البرق و"سنا" الشرف ممدود. اهـ.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وابن زيد "ضوء" وقال قتادة "لعان".

والآية المشار إليها: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار﴾.

٣- ﴿مذعنين﴾ يقال للمستخذي مذعن].

ش/ قال أبو عبيدة: أي مقرين مستخذين منقادين، يقال أذعن لي إنقاد لي.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: "سراعاً".

قلت: وليس بين العبارتين إختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها: ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾.

٤- ﴿أشتاتاً﴾ وشتى وشتات وشت واحد].

ش/ قاله أبو عبيدة دون قوله شت.

وقال في المصباح: شت شتاً من باب ضرب إذا تفرق والاسم الشتات،

وشتى شتيت وزان كريم متفرق وقوم شتى على فعل فعلى متفرقون وجاءوا
أشتاتا كذلك. وشتان ما بينهما أي بعد. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿سورة أنزلناها﴾ بينها].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

٦- [وقال غيره: سمي القرآن لجماعة السور وسميت السورة لأنها

مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآناً].

ش/ قال أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ وهي الآية

الثالثة والعشرون من سورة البقرة أي من مثل القرآن، وإنما سميت سورة لأنها
مقطوعة من الأخرى وسمي القرآن قرآناً لجماعة السور. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿سورة أنزلناها وفرضاها وأنزلنا فيها آيات بينات

لعلكم تذكرون﴾.

٧- [وقال سعد بن عياض الثمالي: المشكاة الكوة بلسان الحبشة].

ش/ سعد بن عياض الثمالي بضم المثناة وتخفيف الميم نسبة إلى ثمالة قبيلة من

الأزد وهو كوفي تابعي، ذكر مسلم أن أبا إسحاق تفرد بالرواية عنه، وزعم

بعضهم أن له صحبة ولم يثبت، وما له في البخاري إلا هذا الموضع، وله حديث

عن ابن مسعود عند أبي داود والنسائي قال ابن سعد: كان قليل الحديث وقال

البخاري: مات غازياً بأرض الروم وقوله «المشكاة الكوة بلسان الحبشة» وصله

ابن شاهين من طريقه ووقع لنا بعلو في فوائد جعفر السراج. اهـ قاله في الفتح.

قلت: وفيه لأهل العلم بالتأويل ستة أقوال:

أولها: أنها كل كوة لا منفذ لها وبه قال كعب الأحبار وابن عباس وابن

حريج.

ثانيها: أنها صدّر المؤمن وهو قول أبي بن كعب والرواية الثانية عن ابن

عباس.

وثالثها: أنها جوف المؤمن قاله مجاهد وهو الرواية الثالثة عن ابن عباس.

ورابعها: أنها قلب المؤمن وبه قال الحسن وابن زيد.

وخامسها: أنها القنديل وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه.

وسادسها: أنها الحديد الذي يعلق به القنديل قاله مجاهد في الرواية الثالثة

عنه.

أخرجها ابن جرير ثم قال: مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه

الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها.

والآية المشار إليها: ﴿لله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها

مصباح﴾.

٨- [وقوله تعالى ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ تأليف بعضه إلى بعض ﴿فإذا

قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا جمعناه وألفناه فاتبع قرآنه أي ما جمع فيه فاعمل بما

أمرك وائته عما نهاك الله ويقال: ليس لشعره قرآن أي تأليف، وسمي الفرقان

لأنه يفرق بين الحق والباطل ويقال للمرأة ما قرأت بسلاً قط، أي لم تجمع في

بطنها ولدًا].

ش/ قال أبو عبيدة في الآية الثامنة عشرة من سورة القيامة: «اتبع جمعه فإذا

قرأناه: جمعناه وهي من قول العرب ما قرأت هذه المرأة سلى قط. قال عمرو بن

كلثوم: لم تقرأ جنينا». اهـ.

وهذا التفسير شاهد لما ذكره في الأثر السادس عند قوله "وقال

غيره... الخ". وكان حقه أن يليه كما في النسخة التي اعتمدها الحافظ.

والآية المشار إليها هي الثامنة عشرة من سورة القيامة وسيأتي تفسيرها.

٩- [وقال ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ ﴿فَرَضْنَاهَا﴾

يقول فرضنا عليكم وعلى من بعدكم].

ش/ قال الفراء في تفسيره: ومن قال فرضناها يقول أنزلنا فيها فرائض مختلفة وإن شاء فرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة، والتشديد لهذين الوجهين حسن.

قلت: وكلتا القراءتين سبعة صحيحة فبالتشديد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالتخفيف قرأ بقية السبعة. حكاه مكي. والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس.

١٠- [قال مجاهد: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ لم يدروا، لما بهم من الصغر].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثني محمد ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم».

والآية المشار إليها: ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾.

١١- [وقال الشعبي ﴿غير أولي الإربة﴾ من ليس له أرب].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي قال: الذي لا أرب له في النساء.

١٢- [وقال طاوس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء].

ش/ أخرجه ابن جرير ثنا الحسن أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: الأحمق الذي ليست له همة في النساء.

١٣- [وقال مجاهد: لا يهمله إلا بطنه ولا يخاف على النساء].

ش/ أخرجه ابن جرير حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

وأخرج من طريق شريك عن منصور عن مجاهد قال الأبله.

وهذه الثلاثة الأقوال متقاربة.

٢٣٩- [باب قوله عزوجل ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهودا إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: ﴿والذين يرمون﴾ من الرجال ﴿أزواجهم﴾ بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا، ولم يكن لهم شهودا يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة.

ويعني بقوله ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله﴾ فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة. اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله ﷺ وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهودا إنه لمن الصادقين.

٢٦٥- حدثنا إسحاق حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي حدثني الزهري عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصماً بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال: «كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقنته فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقنته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سعى الله في كتابه فلاعنها ثم قال: يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين. ثم قال رسول الله ﷺ: انظروا، فإن جاءت به أسحم

أدعج العينين، عظيم الألتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر، كأنه وحررة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها». فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه».

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أن عويمر» في رواية القعني عن مالك «عويمر بن أشقر» وكذا أخرجه أبو داود، وأبو عوانة من طريق عياض بن عبد الله الفهري عن الزهري، ووقع في «الإستيعاب» «عويمر بن أبيض» وعند الخطيب في «المبهمات» «عويمر بن الحارث»، وهذا هو المعتمد؛ فإن الطبري نسبه في «تهذيب الآثار» فقال: «هو عويمر بن الحارث بن زيد بن الجند بن عجلان، فلعل أباه كان يلقب أشقر، أو أبيض». اهـ من الفتح.

الثانية: قوله «أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان» أي ابن الجند بن العجلان العجلاني، وهو ابن عم والد عويمر. والجند بفتح الجيم وتشديد الدال، والعجلان بفتح المهملة وسكون الجيم، هو: ابن حارثة بن ضبيعة من بني بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة، وكان العجلان حالف بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من الأنصار في الجاهلية وسكن المدينة فدخلوا في الأنصار؛ وقد ذكر ابن الكلبي أن امرأة عويمر هي بنت عاصم المذكور وأن اسمها خولة. وقال ابن مندة في كتابه «الصحابة»: «خولة بنت عاصم التي قذفها زوجها فلاعن النبي ﷺ بينهما، لها ذكر ولا تعرف لها رواية» وتبعه أبو نعيم ولم يذكر سلفهما في ذلك وكأنه ابن الكلبي. حكاه الحافظ.

الثالثة: قوله «كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً» عند مسلم في اللعان «أرأيت يا عاصم لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وعند المصنف في الطلاق باب من جوز الطلاق لثلاث من رواية مالك «أرأيت رجلاً». وفي

المساجد باب القضاء واللعان في المسجد من رواية ابن جريح «أن رجلاً قال يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً» وفي التلاعن في المسجد من الطلاق وعند مسلم من رواية ابن جريح «أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله» وفي حديث ابن مسعود عند مسلم في اللعان «قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذا جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، وإن سكت سكت على غيظ... الخ الحديث».

قلت: فلا تعارض لجواز تعدد القصة وإن كانت واحدة فيجوز أن صاحبها سأل رسول الله ﷺ وسأل غيره.

الرابعة: قوله «أبقتله فقتلونه أم كيف يصنع» أي قصاصاً لتقدم علمه بحكم القصاص لعموم قوله تعالى: ﴿النفس بالنفس﴾ لكن قال ذلك لاحتمال أن يخص من ذلك ما يقع بالسبب الذي لا يقدر على الصبر عليه غالباً من الغيرة التي في طبع البشر، ولأجل هذا قال: «أم كيف يفعل»؟ وفي أول باب الغيرة استشكل سعد بن عبادة مثل ذلك وقال «لو رأيت لضربته بالسيف غير مصفح» وذلك قبل أن ينزل اللعان

الخامسة: قوله «فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل» في الطلاق «فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ».

السادسة: قوله «فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ قال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها».

السابعة: قوله «والله لا أنته حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك» في

الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها».

الثامنة: قوله «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتلته فقتلونه أم كيف يصنع؟» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فأقبل عويمر حتى جاء رسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله...» الحديث.

التاسعة: قوله «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «فقال رسول الله ﷺ قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فات بها» وفي الإعتصام «فأنزل الله القرآن خلف عاصم» وفي رواية ابن جريج في الطلاق «فأنزل الله في شأنه ما ذكر في القرآن من أمر الملاعنة» وفي رواية إبراهيم بن سعد «فأتاه فوجده قد أنزل الله عليه» ويمكن الجمع بأن نزول القرآن في عويمر وزوجه فور انصراف عاصم من عند النبي ﷺ وأن عويمراً لم يعلم بذلك حتى أتى رسول الله ﷺ فأعلمه.

العاشرة: قوله «فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمي الله في كتابه فلاعنها» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ» وعند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن جريج «فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد» ولم يذكر هاهنا ولا في غيره من الطرق كيفية ملاعنة عويمر وزوجه؛ لكن في حديث ابن عمر عند مسلم «فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين» الحديث.

قلت: فهذا بيان صريح في كيفية تلك الملاعنة وهو من بيان السنة بالسنة.

الحادية عشرة: قوله «يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها، فطلقها» في الطلاق وعند مسلم في اللعان «قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ» وفي حديث ابن عمر عند

المصنف في الطلاق «ففرق بينهما» والجمع بينهما أن عويمر طلق زوجته بعد الملاعة ثم فرق بينهما ﷺ تفريقاً أبدياً بعدها، ويؤيده قوله بعد «لا مال لك، إن كنت صادقاً فقد دخلت بها، وإن كنت كاذباً فهو أبعد منك».

الثانية عشرة: قوله «فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين» في الطلاق وعند مسلم في اللعان قال ابن شهاب: «فكانت سنة المتلاعنين». زاد أبو داود عن القعني عن مالك «فكانت تلك» وهي إشارة إلى الفرقة.

الثالثة عشرة: قوله «انظروا فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الألتين، خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها» وعند المصنف في الطلاق «إن جاءت به أحمر قصيراً كأنه وحره فلا أراها إلا قد صدقت وكذب عليها، وإن جاءت به أسود أعين ذا إلتين فلا أراه إلا قد صدق عليها» ومعنى قوله «أسحم» أي شديد السواد وقوله «أدعج» أي أكحل أو شديد سواد العينين وقوله «خدلج الساقين» أي ممتلئان باللحم.

الرابعة عشرة: قوله «فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ» عند المصنف في الطلاق «فجاءت به على المكروه من ذلك». والخامسة عشرة: قوله «فكان بعد ينسب إلى أمه» عند مسلم في اللعان وعند المصنف في الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

من فقه الحديث:

أخرج الحديث الإمام أبو عمر ابن عبد البر في باب ابن شهاب عن سهل بن سعد من كتابه التمهيد (١٨٨/٦) واستنبط منه أكثر من عشرين فائدة ونحن نقل بعضها مع تصرف واختصار. - قال - في هذا الحديث من الفقه:

١- السؤال عن الإشكال

٢- وفيه أن الاستفهام بـ «أرأيت» عن المسائل كان قديماً في عصر رسول

الله ﷺ.

- ٣- وفيه أن يتولى السؤال عن مسألتك غيرك وإن كانت مهمة.
- ٤- وفيه قبول خبر الواحد؛ لأنه لو لم يجب قبول خبره عنده ما أرسله يسأل له.
- ٥- وفيه كراهية سماع الكلام إذا فيه تعريض بقبیح.
- ٦- فيه أن طباع البشر أن تكون الغيرة تحمل على سفك الدماء إلا أن يعصم الله عن ذلك بالعلم والتثبت والتقوى.
- ٧- وفيه أن العالم إذا كره السؤال له أن يعيبه وينجحه^(١). صاحبه.
- ٨- وفيه أن من لقي شيئاً من المكروه بسبب غيره كان له أن يؤنب ذلك الذي لقي المكروه بسببه ويعاتبه، لقول عاصم لعويمر: لم تأتني بخير.
- ٩- وفيه أن المحتاج إلى المسألة من مسائل العلم لا يردعه عن تفهمها غضب العالم وكراهيته لها حتى يقف على الثلج منها.
- ١٠- وفيه أن السؤال عما يلزم علمه من أمر الدين واجب في المحافل وغير المحافل، وأنه لا حياء يلزم فيه؛ ألا ترى إلى قوله: فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ - وهو وسط الناس - فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أبقته فقتلونه أم كيف يفعل؟
- ١١- وفيه أن الملاعنة لا تكون إلا عند السلطان وأنها ليست كالطلاق الذي للرجل أن يوقعه حيث أحب وهذا ما لا خلاف فيه.

(١) نجح صاحبه بنجحه كمنع: زجره وانتهره. انظر اللسان والتاج (مادة نجح).

٢٤٠- [باب ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾].

ش/ يقول: والشهادة الخامسة ﴿أن لعنة الله عليه﴾ يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حاله إن كان فيما زماها به من الفاحشة من الكاذبين.

٢٦٦- حدثني سليمان بن داود أبو الربيع^(١): حدثنا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً رأى مع امرأته رجلاً أيقنله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله ﷺ: «قد قضى الله فيك وفي امرأتك» قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ فقارقتها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملاً فأنكر حملها وكان ابنها يدعى إليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها.

ش: سبق شرحه في الباب قبله وفيه هنا ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «وكانت حاملاً فأنكر حملها» فيه التصريح بأن اللعان وقع والمرأة حاملاً ويؤيده ما في رواية العباس بن سهل بن سعد عن أبيه عند أبي داود «فقال النبي ﷺ لعاصم بن عدي: أمسك المرأة عندك حتى تلد».

الثانية: قوله «وكان ابنها يدعى إليها» عند المصنف في الطلاق وعند مسلم في اللعان من رواية ابن عمر: «وألحق الولد بالمرأة».

قلت: فيه دليل على أن ولد الملاعنة ينسب إليها لا إلى زوجها الذي لاعنها.

الثالثة: قوله «ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها» هذه الأقوال كلها أقوال ابن شهاب وهو موصول إليه بالسند المبدأ به وقد وصله سويد بن سعيد عن مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد.

(١) هو سليمان بن داود العتكي، الزهراني البصري، نزيل بغداد، ثقة لم يتكلم فيه أحد بحجة، من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين [ومائتين] خ.م.د.س.

قال الدارقطني في (غرائب مالك): «لا أعلم أحداً رواه عن مالك غيره». قاله الحافظ في الفتح (٤٥٣/٩).

فائدة في كيفية إرث ولد اللعان:

قال الخرقى (١٢٢/٧): «وابن الملاعنة ترثه أمه وعصبتها، فإن خلف أمّاً وخالاً، فلأمه الثلث، وما بقي فللخال».

قال الشارح: «وجملته أن الرجل إذا لاعن امرأته ونفى ولدها، وفرق الحاكم بينهما انتفى ولدها عنه، وانقطع تعصبيه من جهة الملاعن فلم يرثه هو ولا أحد من عصباته، وترث أمه وذووا الفروض منه فروضهم وينقطع التوارث بين الزوجين، ولا نعلم بين أهل العلم في هذه الجملة خلافاً».

٢٤١- [باب ﴿ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾].

ش / يعني جل ذكره بقوله ﴿ويدراً عنها العذاب﴾ وهو الحد أن تخلف بالله أربع أيمان أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا.

٢٦٧- حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌ في ظهرك». فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة والا حدٌ في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم - فقرأ حتى بلغ - إن كان من الصادقين﴾. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب». ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سايع الأيتين، خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء». فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله، لكان لي وها شأن».

ش : فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ» هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس الواقفي الأنصاري شهد بدمراً وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، وتيب عليهم.

الثانية: قوله «شريك بن سحماء» قلت: سحماء هي أمه وأبوه عبدة بن معتب بن الجد بن العجلان بن حارثة البلوي من حلفاء الأنصار قيل شهد أحد مع أبيه وهو أخو البراء بن مالك لأمه. حكاه في أسد الغابة.

الثالثة: قوله «البينة أو حد في ظهرك» قال ابن مالك: «ضبطوا البينة بالنصب على تقدير عامل أي: أحضر البينة». وقال غيره: «روي بالرفع والتقدير: إما البينة، وإما حد». وقوله في الرواية المشهورة «أو حد في ظهرك» قال ابن مالك: «حذف منه فاء الجواب وفعل الشرط بعد إلا والتقدير: وإلا تحضرها فجزأوك حد في ظهرك».

قلت: ومراده أن يحضر أربعة شهود على ما ادعى به أو أن يجلد ثمانين جلدة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

الرابعة: قوله «إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة» قلت: وهذا سؤال استغراب ومعناه كيف للرجل في هذه الحال طلب البينة وأين يجدها.

الخامسة: قوله «فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يرى ظهري من الخلد». كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية، وفي حديث سهل الماضي أنها نزلت في عويمر ولفظه: «فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقته فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبك». فأمرهما بالملاعنة» وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد.

ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود

والطبري من طريق عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله «لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية قال سعد بن عباد: لو رأيت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته، قال فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية». والقائل في قصة عويمر، عاصم بن عدي كما في حديث سهل ابن سعد في الباب الذي قبله. وأخرج الطبراني من طريق الشعبي مرسلاً قال: «لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية قال عاصم بن عدي إن أنا رأيت فتكلمت جلدت، وإن سكت سكت على غيظ» الحديث. ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول. قاله الحافظ.

قلت: وهذا جمع حسن ونظائره أكثر من أن تحصى ويشهد لتعدد القصة ما رواه مسلم عن ابن عمر: «أن هلال بن أمية قذف امرأته» الحديث وفيه «وكان أول رجل لاعن في الإسلام».

السادسة: قوله «فنزل جبريل - إلى قوله - ﴿كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾». وعند أبي داود في اللعان من كتاب الطلاق عن الحسن بن علي «فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ الآيتين كليهما فسرى عن رسول الله ﷺ فقال: «أبشر يا هلال، قد جعل الله عز وجل لك فرجاً ومخرجاً».

السابعة: قوله «فأرسل إليها» في حديث الحسن المذكور «فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها» فجاءت».

الثامنة: قوله «فجاء هلال فشهد» أي فشهد على نفسه أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين.

التاسعة: قوله «والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب» عند أبي داود من حديث الحسن «فتلاها عليهما رسول الله ﷺ وذكرهما وأخبرهما إن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا» ويجمع بينهما

بأن الوعظ كان قبل بدء الملاعة وهذه العبارة أثناءها.

العاشرة: قوله «ثم قامت فشهدت» في حديث الحسن المذكور «ثم قيل لها: اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين».

الحادية عشرة: قوله «فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها الموجبة» عند أبي داود «فلما كانت الخامسة قيل لها: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب».

الثانية عشرة: قوله «فتلكأت، ونكصت حتى ظننا أنها ترجع - إلى قوله - فمضت». وعند أبي داود من رواية عباد بن منصور «فتلكأت ساعة، ثم قالت: والله لا أفصح قومي، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين».

الثالثة عشرة: قوله «أبصروها - إلى قوله - فهو لشريك بن سحماء». عند أبي داود «إن جاءت به أصيب أريصح أتيح حمش الساقين، فهو لهلال، وإن جاءت به أورك جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الإليتين فهو للذي رميت به». الرابعة عشرة: قوله «فجاءت به كذلك». في رواية عباد عند أبي داود «فجاءت به أورك جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين».

الخامسة عشرة: قوله «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». عند أبي داود «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن».

قلت: ومراده بالأيمان: ما شهد به كل منهما على نفسه. والمعنى أنه لولا ما مضى من أيمانهما لرحم المرأة لأنها جاءت بالولد على النعت المكروه.

من فقه الحديث:

أولاً: فيه دليل أن آيات اللعان مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾.

ثانياً: البدء في اللعان بالرجل ثم التثنية بالمرأة.

ثالثاً: تذكير المتلاعنين ووعظهما أثناء اللعان.

رابعاً: في مجيء الولد على النعت المكروه علم من أعلام نبوته ﷺ.

٢٤٢- [باب قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾].

ش/ قوله ﴿والخامسة أن غضب الله عليها...﴾ الآية. يقول: والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين..

٢٦٨- حدثنا مقدم بن محمد بن يحيى^(١): حدثنا عمي القاسم بن يحيى^(٢) عن عبيد الله، وقد سمع منه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلاً رمى امرأته، فانتفى من ولدها، في زمان رسول الله ﷺ فأمر بهما رسول الله ﷺ فتلاعنا كما قال الله، ثم قضى بالولد للمرأة، وفرق بين المتلاعنين».

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «أن رجلاً». في الطلاق من رواية جويرية «أن رجلاً من الأنصار». وفيه من رواية عبيد الله «لاعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار».

الثانية: قوله «رمى امرأته». في الطلاق من رواية جويرية المذكورة «قذف امرأته».

قلت: والمعنى على كلتا الروايتين أنه ادعى على امرأته عند رسول الله ﷺ بفعل فاحشة الزنا.

الثالثة: قوله «فانتفى من ولدها في زمان رسول الله ﷺ». في الحديث السادس والستين بعد المائتين برواية سهل بن سعد «وكانت حاملاً، فأنكر حملها».

قلت: والحاصل أنه تبرأ من هذا الولد، وكره أن يلحق به في النسب فأقره

(١) هو مقدم بن محمد بن يحيى بن عطاء بن مقدم الهلالي المقدمي، الواسطي، صدوق ربما وهم من العاشرة. خ.

(٢) هو أبو محمد القاسم بن يحيى بن عطاء بن مقدم بن مطيع الهلالي المقدمي، الواسطي، ثقة من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة. خ.

النبي ﷺ على ذلك، وهي السنة في ولد الملاءنة، كما تقدم بيانه في حديث سهل.
الرابعة: قوله «فتلاعنا كما قال الله».

قلت: وبيانه ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم
فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله
عليه إن كان من الكاذبين. ويدروا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله
إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.
الخامسة: قوله «ثم قضى بالولد للمرأة». عند مسلم في اللعان والمصنف في
الطلاق من رواية ابن عمر «وألحق الولد بالمرأة».

السادسة: قوله «وفرقت بين المتلاعنين». في الطلاق «وفرقت النبي ﷺ بين
أخوي عجلان». وعند أبي داود من حديث سهل: قال حضرت هذا عند رسول
الله ﷺ فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبداً.
قلت: فتحصل من هذا أمران:

أحدهما: أن المتلاعنين: عويمر العجلاني، وزوجه.

وثانيهما: أن الفرقة باللعان أبدية.

فائدة:

ونرى من المناسب ختم الكلام على هذه الأحاديث الثلاثة، وهي في اللعان
كما رأيت بعدة مباحث.

الأول: في تعريف اللعان: فهو مصدر: لاعن يلاعن لعاناً، وملاءنة، مشتق
من اللعن؛ لأن كل واحد من الزوجين يلعن نفسه في الخامسة.

الثاني: في صفته، أن يبدأ الزوج قائلاً أربع مرات: أشهد بالله لقد زنت
زوجتي هذه ويشير إليها إن كانت حاضرة، ويسميها، وينسبها إن كانت غائبة،
ويزيد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ثم تقول هي أربع
مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة: وإن

غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

الثالث: الحكمة من مشروعيته، أن الرجل إذا رأى الفاحشة في زوجته فلا يتمكن من السكوت كما لو رآه من الأجنبية؛ لأن هذا عار عليه، وفضيحة له، وانتهاك لحرمته. ولا يقدم على قذف زوجته إلا من تحقق؛ لأنه لن يقدم على هذا إلا بدافع من الغيرة الشديدة إذ أن العار واقع عليهما فيكون هذا مقبولاً لصحة دعواه.

الرابع: وقد اختلف العلماء فيمن وجد مع امرأته رجلاً فتحقق الأمر فقتله هل يقتل به؟ فمنع الجمهور الاقدام وقالوا يقتص منه إلا أن يأتي ببينة الزنى أو على المقتول بالاعتراف أو يعترف به ورثته، فلا يقتل القاتل به بشرط أن يكون المقتول محصناً وقيل بل يقتل به لأنه ليس له أن يقيم الحد بغير إذن الإمام، وقال بعض السلف بل لا يقتل أصلاً ويعزر في ما فعله إذا ظهرت أمارات صدقه وشرط أحمد وإسحاق ومن تبعهما أن يأتي بشاهدين أنه قتله بسبب ذلك، ووافقهم ابن القاسم وابن حبيب من المالكية لكن زاد أن يكون المقتول قد أحسن. قال القرطبي: ظاهر تقرير عويمر على ما قال يؤيد قولهم كذا قال والله أعلم.

٢٤٣- [باب قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ يقول: جماعة منكم أيها الناس. ﴿لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾ يقول: لا تظنوا ما جاؤوا به من الإفك شراً لكم عند الله، وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمدعى به، ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً.

وقوله ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾ يقول: لكل امرئ من الذين جاؤوا بالإفك جزء ما اجترم من الإثم، بحجته بما جاء به. وقوله ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه، له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.

[أفك: كذاب].

ش/ قاله أبو عبيدة وزاد: بهات.

والكلمة وقعت في الآية الثانية والعشرين بعد المائتين من الشعراء، وفي الآية السابعة من الجاثية، وأظن الشيخ ذكرها هنا لمناسبة الإفك.

٢٦٩- حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿والذي تولى كبره﴾ قالت: عبد الله بن أبي بن سلول.

ش : فيه مسألتان:

الأولى: قوله « ﴿والذي تولى كبره﴾ تقدم شرحه في الآية.

الثانية: قوله «عبد الله بن أبي بن سلول» وبه قال ابن عباس، وهشام بن

عروة، ومجاهد، وابن زيد. وهو أحد قولين لأهل العلم في الآية.

والقول الآخر: أنه حسان بن ثابت وهو الرواية الثانية عن عائشة.

أخرجهما ابن جرير، واختار أنه عبد الله بن أبي فقال: وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبير ذلك الأمر.

قلت: ويؤيده أيضاً أنه قول من سمينا من أهل العلم مع إحدى الروایتين عن

عائشة وهي صاحبة القصة.

٢٤٤- [باب قوله ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبین، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾].

ش: هذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة، ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيراً. يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيراً، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال ﴿بأنفسهم﴾؛ لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة؛ لأنهم أهل ملة واحدة.

وقوله ﴿وقالوا هذا إفك مبین﴾ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

وقوله ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء...﴾ الآية. أي هلا جاءوا عليه، أي على ما قالوا بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاءوا به ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ أي في حكم الله كاذبون فاجرون.

٢٧٠- حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا - وكلّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض - الذي حدثني عروة عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة:

فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقدٌ لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتصمت عقدي وحسني ابتغأوه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما تأكلُ العُلقة من الطعام، فلم يستتكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجنث منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. فأمت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقضت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول؛ فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرييني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذي يرييني ولا أشعر حتى خرجت بعد ما نقيت، فخرجت معي أمٌ مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا

وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل، بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بنس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي. فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي - قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما - قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمته ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يجبهها ولها ضرائر إلا كثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي. فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة ابن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال: أهلك يا رسول الله، وما نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ ببريرة، فقال: أي ببريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت ببريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد

الله بن أبي بن سلول، فقالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً. وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرک منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک. قالت: فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فائق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيروك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلبص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجبني رسول الله ﷺ. قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت:

فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن -: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - لتصدقني. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله مبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يروني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت: فلما سرّي عن رسول الله ﷺ سرّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك. فقالت أمي: قومي إليه. قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه...﴾ العشر الآيات كلها. فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾. قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: يا زينب، ماذا علمت أو

رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري. ما علمت إلا خيراً. قالت - وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك».

ش : فيه إحدى وستون ومائة مسألة:

الأولى: قوله «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج» زاد معمر «سفرأ» أي إلى السفر، فهو منصوب بنزع الخافض أو ضمن يخرج معنى ينشئ فيكون سفرأ نصباً على المفعولية، وفي رواية فليح وصالح بن كيسان «كان إذا أراد سفرأ».

الثانية: قوله «قرع بين أزواجه» القرعة: السهمة، والمقارعة المساهمة، وقد اقترع القوم وتقارعوا وقارع بينهم، وأقرع أعلى وأقرعت بين الشركاء في شيء يقتسمونه، وقارعه فقرعه يقرعه أي أصابته القرعة دونه.

قلت: هذا في اللغة وفي الاصطلاح: ما ثبت فيه الحق لاثنين فأكثر وتقع المشاحة فيه، فيقرع لفصل النزاع.

والقرعة مما اختلف في مشروعيتها، والجمهور على القول بها في الجملة، وأنكرها بعض الحنفية. وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة القول بها.

الثالثة: قوله «فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ». وقع في رواية الأصيلي من طريق فليح «فأيتهن» بغير مثناة والأولى أولى.

قلت: والمعنى أن من أصابتها القرعة كان حقاً عليها مصاحبة النبي ﷺ في سفره ولها حق الاستئثار به في ذلك السفر.

الرابعة: قوله «في غزوة غزاها» هي غزوة بني المصطلق، وصرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وعنده في رواية أبي أويس «فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعة». وعند البزار من حديث أبي هريرة «فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق».

الخامسة: قوله «فخرج سهمي» هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها، لكن عند الواقدي من طريق عباد بن عبد الله عنها أنها خرجت معه في تلك الغزوة أيضاً أم سلمة، وكذا في حديث ابن عمر، وهو ضعيف، ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر. ويدل على انفرادها أنه في رواية ابن إسحاق في السيرة قالت: «فخرج سهمي عليهن، فخرج بي معه».

السادسة: قوله «بعد ما نزل الحجاب». أي بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمنعن، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج، أو يركبن الهودج غير مستترات، فما كان يقع لها الذي يقع، بل كان يعرف الذي كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا.

السابعة: قوله «فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه». في رواية ابن إسحاق في السيرة «فكنت إذا رحلوا بعيري جلست في هودجي ثم يأخذون بأسفل الهودج فيضعونه على ظهر البعير. والهودج بفتح الهاء والبدال بينهما واو ساكنة وآخره جيم: محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون أستر لهن.

الثامنة: قوله: «فسرنا حتى إذا فرغ» كذا اقتضت القصة، لأن مراد سياق الإفك خاصة وإنما ذكرت ما ذكرت ذلك كالتوطئة لما أرادت اقتصاصه، ويحتمل أن تكون ذكرت جميع ذلك فاختصره الراوي للغرض المذكور، ويؤيده أنه قد جاء عنها في قصة غزوة بني المصطلق أحاديث غير هذا، ويؤيد الأول أن في رواية الواقدي عن عباد «قلت لعائشة: يا أمته حدثينا عن قصة الإفك، قالت: نعم». وعنده «فخرجنا فغنم الله أموالهم وأنفسهم ورجعنا».

التاسعة: قوله «وقفل» بقاف وفاء أي: رجع من غزوته، وفي السيرة «فلما

فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلا».

العاشرة: قوله «ودنونا من المدينة قافلين» أي: راجعين، أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة كما عند ابن إسحاق «حتى إذا كنا قريباً من المدينة».

الحادية عشرة: قوله «آذن» بالمد والتخفيف، وبغير مد والتشديد، والمعنى اعلم بالرحيل، وفي رواية ابن إسحاق «فنزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم آذن بالرحيل».

الثانية عشرة: قوله: «بالرحيل» في رواية بعضهم «الرحيل» بغير موحدة وبالنصب وكأنه حكاية قولهم بالنصب على الإغراء.

الثالثة عشرة: قوله «فمشيت حتى جاوزت الجيش» وعند ابن إسحاق «وخرجت لبعض حاجتي» والمعنى لتقضي حاجتها منفردة.

الرابعة عشرة: قوله «فلما قضيت شأني» أي الذي توجهت بسببه، ووقع في حديث ابن عمر خلاف ما في الصحيح، وأن سبب توجهها لقضاء حاجتها أن رحل أم سلمة مال فأنأخوا بعيرها ليصلحوا رحلها قالت عائشة: «فقلت إلى أن يصلحوا رحلها قضيت حاجتي، فتوجهت ولم يعلموا بي فقضيت حاجتي، فانقطعت قلاذتي فأقمت في جمعها ونظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا ولم يعلموا بنزولي. حكاها الحافظ، وقال هذا شاذ منكر.

الخامسة عشرة: قوله «فإذا عقد» بكسر العين قلادة تعلقها النساء في العنق للترزين بها.

السادسة عشرة: قوله «من جزع أظفار» بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها مهملة: خرز معروف في سواده بياض كالعروق، قال ابن القطاع: هو واحد لا جمع له، وقال ابن سيده: هو جمع واحده جزعة وهو بالفتح، قال التيفاشي: يوجد في معادن العقيق ومنه ما يؤتى به من الصين، قال: وليس في الحجازة

أصلب جسما منه، ويزداد حسنه إذا طبخ بالزيت. وقوله «أظفار» كذا في هذه الرواية بزيادة ألف، وكذا في رواية فليح، ولكن في رواية الكشميهني من طريقه «ظفار» وكذا في رواية معمر وصالح، وقال ابن بطال: الرواية «أظفار» بألف، وأهل اللغة لا يعرفونه بألف ويقولون ظفار. قال ابن قتيبة: جزع ظفاري. وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم «أظفار» وهي خطأ. قال الحافظ: لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري، حتى أن رواية صالح بن أبي الأخضر عند الطبراني «جزع الأظافر».

السابعة عشرة: قوله «ولما قضيت شأني» أي فرغت من قضاء حاجتي كما عند ابن إسحاق «فلما فرغت».

الثامنة عشرة: قوله «أقبلت إلى رحلي» أي رجعت إلى المكان الذي كانت نازلة فيه.

التاسعة عشرة: قوله «فإذا عقد لي» في رواية فليح «فلمست صدري فإذا عقدي».

العشرون: قوله «قد انقطع» في رواية ابن إسحاق «قد انسل من عنقي وأنا لا أدري».

قلت: فتحصل من هذا أن انقطاع عقدها بغير علمها.

الحادية والعشرون: قوله «فالتمست عقدي» في رواية فليح «فرجعت فالتمست وحبسني ابتغائه» أي طلبه، في رواية ابن إسحاق «فرجعت عودي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه». وفي رواية الواقدي «وكنت أظن أن القوم لو لبثوا شهرا لم يبعثوا بعيري حتى أكون في هودجي».

الثانية والعشرون: قوله «وأقبل الرهط» هو عدد من ثلاثة إلى عشرة وقيل غير ذلك. ولم أقف على تسمية أحد منهم لكن قال الحافظ: إلا أن في رواية الواقدي أن أحدهم أبو موهوية مولى رسول الله ﷺ.

الثالثة والعشرون : قوله «يرحلون لي» بفتح أوله والتخفيف، رحلت البعير إذا شددت عليه الرحل. ووقع في رواية أبي ذر بالتشديد في هذا وفي « فرحلوه». وقوله «لي» في رواية معمر «بي» وحكى النووي عن أكثر نسخ صحيح مسلم «يرحلون لي». قال وهو أجود، وقال غيره بالباء أجود لأن المراد وضعها وهي في الهودج فشبهت الهودج الذي هي فيه بالرحل الذي يوضع على البعير.

الرابعة والعشرون: قوله «فرحلوه» أي وضعوه، وفيه تجوز وإنما الرحل هو الذي يوضع على ظهر البعير ثم يوضع الهودج فوقه.

الخامسة والعشرون: قوله «وكان النساء إذ ذاك خفافاً» قالت هذا كالتفسير لقولها «وهم يحسبون أنني فيه».

السادسة والعشرون : قوله «لم يثقلهن اللحم» في رواية فليح «لم يثقلهن ولم يغشهن اللحم». وعند مسلم «لم يهبلن ولم يغشهن اللحم». وعند ابن إسحاق «إنما يأكلن العلق» وهو البلغة من الطعام.

قال ابن أبي جمرة: ليس هذا تكراراً؛ لأن كل سمين ثقيل من غير عكس، لأن الهزيل قد يمتلئ بطنه طعاماً فيثقل بدنه، فأشارت إلى أن المعنيين لم يكن في نساء ذلك الزمان.

وقال الخطابي: معنى قولها: «لم يغشهن» أي لم يكثر عليهن فيركب بعضه بعضاً.

وقوله «يهبلهن» قال النووي: يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله، وأصبح فلان مهبلأً أي كثير اللحم، أو وارم الوجه.

السابعة والعشرون: قوله «فلم يستنكر القوم خفة الهودج» وقع في رواية فليح ومعمر «ثقل الهودج» والأول أوضح؛ لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول: لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون

هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت ذلك بقولها: «وكنت جارية حديثة السن، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها.

وقد وجهت الرواية الأخرى بأن المراد لم يستنكروا الثقل الذي اعتادوه؛ لأن ثقله في الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه خشب وحيال وستور وغير ذلك، وأما هي فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة ثقل، والحاصل أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه.

الثامنة والعشرون: قوله «وكنت جارية حديثة السن» هو كما قالت؛ لأنها أدخلت على النبي ﷺ بعد الهجرة في شوال ولها تسع سنين، وأكثر ما قيل في المريسيع كما عند ابن إسحاق كانت في شعبان سنة ست فتكون لم تكمل خمس عشرة، فإن كانت المريسيع قبل ذلك فتكون أصغر من ذلك، ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك وذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور.

التاسعة والعشرون: قوله «فبعثوا الجمل» أي أثاروه.

الثلاثون: قوله «بعد ما استمر الجيش» أي ذهب ماضياً، وهو استفعل من

مر.

الحادية والثلاثون: قوله «فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب» في رواية فليح «وليس فيها أحد» فإن قيل: لِمَ لم تستصحب عائشة معها غيرها فكان ادعى لأنها مما يقع للمنفرد ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينظروها إن أرادوا الرحيل؟ والجواب أن هذا من جملة ما يستفاد من قوله

حديثة سن؛ لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما ذكر في قصتها مع أم مسطح.

الثانية والثلاثون: قوله «فأمت منزلي» بالتحفيف أي قصدت، وفي رواية أبي ذر هنا بتشديد الميم الأولى، قال الداودي: ومنه قوله تعالى: ﴿ولا أمين البيت الحرام﴾. وفي رواية صالح بن كيسان «فتممت».

الثالثة والثلاثون: قوله «وظننت أنهم سيفقدوني» في رواية فليح، وعند مسلم «سيفقدوني» بنون واحدة، وعند ابن إسحاق «وعرفت أن لو افتقدت لرجع إلي».

الرابعة والثلاثون: قوله «فيرجعون إلي» وقع في رواية معمر «فيرجعوا» بغير نون وكأنه على لغة من يحذفها مطلقاً، قال عياض: الظن هنا العلم. وأرادت بمن يفقدها من هو منها بسبب كزوجها أو أيها.

الخامسة والثلاثون: قوله «فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فمتمت» وعند ابن إسحاق «فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني». يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم - وهو وقوع ما يكره - غلبة النوم، بخلاف الهم - وهو توقع ما يكره - فإنه يقتضي السهر، أو لما وقع من برد السحر لها مع رطوبة بدنها وصغر سنها. أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

السادسة والثلاثون: قوله «وكان صفوان بن معطل» بفتح الطاء المهملة المشددة «السلمي ثم الذكواني» منسوب إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة - بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها مثلثة - ابن سليم، وذكوان بطن من بني سليم، وكان صحابياً فاضلاً أول مشاهده عند الواقدي الخندق وعند ابن الكلبي المريسي، قتل شهيداً في سبيل الله وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض

الروم في خلافة معاوية.

السابعة والثلاثون: قوله «من وراء الجيش» في رواية معمر «قد عرس من وراء الجيش» وعرس بمهمات مشدداً أي نزل، قال أبو زيد: التعريس: النزول في السفر في أي وقت كان، وقال غيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة.

الثامنة والثلاثون: قوله «فأدبج فأصبح عند منزلي».

قال ابن الأثير: هو سير الليل. يقال إذا أدبج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وأدبج بالتشديد إذا سار من آخره، والاسم منهما الدلجة، والدلجة: بالضم والفتح. اهـ.

وكانه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل.

وفي رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة في قصة الإفك قالت: «فبلغ الأمر ذلك الرجل فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط»، أي ما جامعتها، والكنف بفتح الحين الثوب الساتر، ومنه قولهم أنت في كنف الله أي في ستره.

والجمع بينه وبين حديث أبي سعيد على ما ذكره القرطبي أن مراده بقوله ما كشفت كنف أنثى قط أي بزنا. قلت: وفيه نظر؛ لأن في رواية سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة في قصة الإفك «أن الرجل الذي قيل فيه ما قيل لما بلغه الحديث قال: والله ما أصبت امرأة قط حلالاً ولا حراماً» وفي حديث ابن عباس عند الطبراني «وكان لا يقرب النساء» فالذي يظهر أن مراده بالنفي المذكور ما قبل هذه القصة ولا مانع أن يتزوج بعد ذلك.

قلت: وهذا جمع حسن وبه يجتمع شمل هذه الأخبار فله در الحافظ.

التاسعة والثلاثون: قوله «فرأى سواد إنسان قائم» وعند ابن إسحاق

«فرأى سوادى».

قلت: السواد ضد البياض يطلق على الشخص أي شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.
الأربعون : قوله «فعرفني حين رأني» هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت؛ لأنها تلففت بجلبابها ونامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.

الحادية والأربعون : قوله «وكان يراني قبل الحجاب» عند مسلم «قبل أن يضرب الحجاب» أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذي القعدة سنة ثلاث، وعند آخرين فيها سنة أربع وصححه الدمياطي.

الثانية والأربعون : قوله «فاستيقضت باسترجاعه حين عرفني» عند ابن إسحاق «فلما رأني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون». وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشي أن يقع ما وقع، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإقاظ، وفيه دليل على فطنة صفوان وحسن أدبه.

الثالثة والأربعون : قوله «فخمرت» أي غطيت «وجهي بجلبابي» أي الثوب الذي كان عليها. وفي هذا دليل على أنه متقرر عندهم ستر المرأة وجهها عن الأجانب.

الرابعة والأربعون : قوله «والله ما كلمني كلمة» عبرت بهذه الضيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة، وأما اقتصر على الاسترجاع.

الخامسة والأربعون : قوله «ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته» في رواية الكشميهني «حين أناخ راحلته» ووقع في رواية فليح «حتى» وللأصيلي والباقيين وكذا عند مسلم عن معمر. وعلى التقديرين فليس فيه

نفي أنه كلمها بغير استرجاع؛ لأن النفي على رواية «حين» مقيد بحال إناخه الراحلة فلا يمنع ما قبل الإناخة ولا ما بعدها، وعلى رواية «حتى» معناه بجميع حالاته إلى أن أناخ ولا يمنع ما بعد الإناخة. ويؤيده ما في رواية ابن إسحاق أنه قال لها: «ما خلفك؟» وأنه قال لها: «اركبي» واستأخر. وفي رواية أبي أويس «فاسترجع وأعظم مكاني - أي حين رأني وحدي - وقد كان يعرفني قبل أن يضرب الحجاب، فسألني عن أمري فسترت وجهي عنه بجلباي وأخبرته بأمرى فقرب بعيه فوطئ على ذراعه فولاني ففاه فركبت».

قلت: ليس المراد من العبارة الأولى نفي المكاملة البتة بل نفي الاسترسال والتماذي في الكلام وفيه دليل على أنه سلك مع أم المؤمنين غاية الحياء والأدب والخفاوة والتكريم.

السادسة والأربعون : قوله «حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها» أي ليكون أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها.

السابعة والأربعون : قوله «فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش» هكذا وقع في جميع الروايات قاله الحافظ.

وعند ابن إسحاق « فأخذ برأس البعير فانطلق سريعا».

الثامنة والأربعون: قوله «بعدهما نزلوا موغرين» بضم الميم وكسر الغين المعجمة والراء المهملة أي: نازلين في وقت الوغرة بفتح الواو وسكون الغين وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.

وقد وقع عند مسلم عن عبد بن حميد قال: « قلت لعبد الرزاق: ما قوله موغرين؟ قال: الوغرة: شدة الحر. والتغویر النزول وقت القائلة، ووقع في رواية فليح « معرّسين» بفتح العين المهملة وتشديد الراء ثم سين مهملة، والتعريس نزول المسافر في آخر الليل، وقد استعمل في النزول مطلقاً كما تقدم وهو المراد هنا.

التاسعة والأربعون : قوله «في نحر الظهر» تأكيد لقوله موغرين، فإن نحر الظهر أولها وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله كأن الشمس لما بلغت غايتها في الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر، ووقع في رواية ابن إسحاق «فوالله ما أدركنا الناس ولا افتقدت حتى نزلوا واطمأنوا طلع الرجل يقودني».

الخمسون: قوله «فهلك من هلك» زاد صالح في روايته «في شأني» وفي رواية أبي أويس «فهالك قال في وفيه أهل الإفك ما قالوا» وفي رواية ابن إسحاق «فقال أهل الإفك ما قالوا» فأبهمت القائل وما قال. وأشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك.

وأما أسماءهم فالمشهور في الروايات الصحيحة: عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثاة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش. وقد وقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري قال: قال عروة لم يسم من أهل الإفك أيضاً غير عبد الله بن أبي إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى. انتهى.

الحادية والخمسون : قوله «وكان الذي تولى كبره» أي تصدى لذلك وتقلده، وكبره أي كبر الإفك، وكبر الشيء معظمه وهو قراءة الجمهور بكسر الكاف، وقرأ حميد الأعرج بضمها.

قال القراء: وهي قراءة جيدة في العربية، وقيل المعنى الذي تولى إثمه. ووقع في المغازي من طريق صالح بن كيسان وفي رواية ابن إسحاق «وكان الذي تولى كبر ذلك عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش».

الثانية والخمسون : قوله «فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك» وفي رواية

ابن إسحاق «وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ولا يذكرون لي شيئاً من ذلك» وفيها أنها مرضت بضعاً وعشرين ليلة.
وقوله «والناس يفيضون» بضم أوله أي يخوضون، من أفاض في قول إذا أكثر منه.

الثالثة والخمسون : قوله «وهو يريني في وجعي» بفتح أوله من الريب ويجوز الضم من الرباعي يقال: رابه وأرابه.

الرابعة والخمسون : قوله «اللطيف» بضم أوله وسكون ثانيه وبفتحهما لغتان، والمراد الرفق. وفي رواية ابن إسحاق «أنكرت بعض لطفه».

الخامسة والخمسون : قوله «الذي كنت أرى منه حين أشتكى» أي حين أمرض، والمعنى أنها اشتكت في هذه الشكوى معاملة النبي ﷺ لها.

السادسة والخمسون : قوله «إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم» وفي رواية ابن إسحاق «فكان إذا دخل قال لأمي وهي تمرضني كيف تيكم» بالمشناة المكسورة وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

قلت: وفي الخلاصة:

بذا مفرد مذكر أشر بذى وذه تي تا على الأنثى اقتصر

واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء، ولكنها لما لم تكن تدري السبب، لم تبلغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته. ويدل له ما في رواية أبي أويس: «إلا أنه يقول وهو مار كيف تيكم ولا يدخل عندي ولا يعودني ويسأل عن أهل البيت» وفي حديث ابن عمر «وكنت أرى منه جفوة ولا أدري».

السابعة والخمسون : قوله «نقهت» بفتح القاف وقد تكسر، والأول أشهر، والناقه بكسر القاف الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته. وقد أطلق الجوهري وغيره أنه بفتح القاف وكسرها لغتان في برأ من المرض وهو قريب

العهد لم يرجع إليه كمال الصحة.

الثامنة والخمسون: قوله «فخرجت مع أم مسطح» في رواية أبي أويس «فقلت يا أم مسطح خذي الإداوة فاملئها ماء فاذهي بنا إلى المناصع».
التاسعة والخمسون: قوله «قبل المناصع» أي جهتها والمناصع صعيد أبيض خارج المدينة.

الستون: قوله «متبرزنا» بفتح الراء قبل الزاي موضع التبرز وهو الخروج إلى البراز وهو الفضاء، وكله كناية عن الخروج إلى قضاء الحاجة.
وقوله: «والكنف» بضم الكيف وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة يوضحه رواية ابن إسحاق الكنف التي يتخذها الأعاجم.
الحادية والستون: قوله «وأمرنا أمر العرب الأول» بضم الهمزة وتخفيف الواو صفة العرب، وبفتح الهمزة وتشديد الواو صفة الأمر.

قال النووي: كلاهما صحيح تريد أنهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم.
الثانية والستون: قوله «في التبرز قبل الغائط» في رواية فليح «في البرية» بفتح الموحدة وتشديد الراء ثم التحتانية «أو في التنزه» بمثناة ثم نون ثم زاي ثقيلة هكذا على الشك، والتنزه: طلب النزاهة، والمراد البعد عن البيوت.

الثالثة والستون: قوله «فانطلقت أنا وأم مسطح» بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات. اسمها سلمى وهي بنت أبي رهم بضم الراء وسكون الهاء ابن عبد مناف كذا هنا ولم ينسبه فليح، وفي رواية صالح «بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف» وهو الصواب. واسم أبي رهم أنيس. قاله الحافظ.

الرابعة والستون: قوله «وأما بنت صخر بن عامر» أي ابن كعب بن سعد بن تيم من رهط أبي بكر. «خاله أبي بكر الصديق» اسمها رائطة حكاه أبو نعيم.

الخامسة والستون : قوله «وابنها مسطح بن أثالة» بضم الهمزة ومثلثتين الأولى خفيفة بينهما ألف، ابن عباد بن المطلب فهو المطلبى من أبيه وأمه، والمسطح عود من أعواد الخباء، وهو لقب واسمه عوف وقيل عامر والأول هو المعتمد.

وقد أخرج الحاكم من حديث ابن عباس قال: «قال أبو بكر يعاتب مسطحاً في قصة عائشة:

يا عوف ويحك هل لا قلت عارفة من الكلام ولم تبع به طمعا

وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وكان أبوه مات وهو صغير فكفله أبو بكر لقرابة أم مسطح منه، وكانت وفاة مسطح سنة أربع وثلاثين وقيل سنة سبع وثلاثين بعد أن شهد صفين مع علي حكاة في الفتح.

السادسة والستون : قوله «فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا

من شأننا فعثرت» بالمهملة والمثناة، «أم مسطح في مرطها» بكسر المهم، وفي رواية مقسم عن عائشة أنها وطعت على عظم أو شوكة، وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن في رواية هشام بن عروة الآتية قريباً أنها عثرت قبل أن تفضي عائشة حاجتها، وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كان الذي خرجت له لا تجد منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكذا وقع في رواية ابن إسحاق قالت: «فوالله ما قدرت أن أفضي حاجتي» وفي رواية أبي أيوب «فذهب عني ما كنت أجد من الغالط، ورجعت هودي على بدلي».

ويجمع بينها بأن معنى قولها «وقد فرغنا من شأننا» أي من شأن المسير، لا قضاء الحاجة.

السابعة والستون : قوله «فما قلت تعس مسطح» بفتح المثناة وكسر العين

المهملة وبفتوحها أيضاً بعدها سين مهملة أي كب لوجهه أو هلك ولزمه الضرر أو بعد.

الثامنة والستون : قوله «فقلت لها بئس ما قلت، أتسيين رجلاً شهد بدراً» في رواية هشام بن عروة أنها عثرت ثلاث مرات كل ذلك تقول: «تعس مسطح» وأن عائشة تقول لها: «أي أم أتسيين ابنك» وأنها انتهرتها في الثالثة فقالت: «والله ما أسبه إلا فيك» وعند الطبراني «فقلت: أتسيين ابنك وهو من المهاجرين الأولين» وفي رواية ابن حاطب عن علقمة بن وقاص «فقلت: أتقولين هذا لابنك وهو صاحب رسول الله ﷺ؟. ففعلت مرتين فأعدت عليها فحدثتني بالخبر فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيئاً».

قال أبو محمد بن أبي حمزة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قلت: وهذا توجيه حسن يتم به التوفيق ويزول به التعارض.

التاسعة والستون : قوله «قالت أي هنتاه» أي حرف نداء للبعيد وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد، والنكته فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد، وقوله «وهنتاه» بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخرها ساكنة وقد تضم أي هذه وقيل امرأة وقيل «بلهى»، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس. وهذه اللفظة تختص بالنداء وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر قيل يا هنة، وقد تشعب النون فيقال يا هناه، وحكى بعضهم تشديد النون فيه ه الأزهري.

السبعون : قوله «قالت: قلت وما قال» في رواية أبي أويس «فقالت لها إنك لغافلة عما يقول الناس» وفيها «أن مسطحاً وفلاناً وفلاناً يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي يتحدثون عنك وعن صفوان يرمونك به» وفي رواية مقسم عن عائشة «أشهد أنك من الغافلات المؤمنات» وفي رواية هشام بن عروة الآتية

«فنفرت لي الحديث» وهي بنون وقاف ثقيلة أي شرحته، ول بعضهم بموحدة وقاف خفيفة أي أعلمتنيه.

الحادسة والسبعون : قوله «فازددت مرضاً علي مرضي» عند سعيد بن منصور من مرسل أبي صالح «فقلت: وما تدرين ما قال؟ قالت: لا والله، فأخبرتها بما خاض فيه الناس، فأخذتها الحمى» وعند الطبراني عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليلاً فأطرح نفسي فيه. صححه الحافظ. وأخرجه أبو عوانة أيضاً.

قلت: وفي رواية ابن إسحاق «فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي».

الثانية والسبعون : قوله «فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ» وفي رواية معمر «فدخل» قيل الفاء زائدة والأولى أن في الكلام حذفاً تقديره: فلما دخلت بيتي استقرت فيه فدخل.

الثالثة والسبعون : قوله «فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي» في رواية هشام بن عروة المعلقة «فقلت أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام». قال الحافظ: «ولم أقف على اسم هذا الغلام».

الرابعة والسبعون : قوله «فقلت لأمي يا أمته ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك» عند ابن إسحاق «قلت لأبي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكر لي من ذلك شيئاً» وفي رواية هشام بن عروة: «فقلت يا بنية خففي عليك الشأن».

ويجمع بينها أنها سألت أباهما مرة، وأمها مرة.

الخامسة والسبعون : قوله «فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة... الخ» عند ابن إسحاق «فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا

كثرتنا وكثر الناس عليها.

و«وضيئة» بوزن عظيمة من الوضاعة أي حسنة جميلة وعند مسلم من رواية ابن ماهان «حظية» مهملة ثم معجمة من الحظوة أي ربيعة المنزل. السادسة والسبعون : قوله «ضرائر» جمع ضرة وقيل للزوجات ضرائر؛ لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة.

السابعة والسبعون : قوله «أكثرن عليها» في رواية الكشميهني «كثرن» بالتشديد أي القول في عيبها، وفي رواية ابن حاطب «لقلما أحب رجل امرأته إلا قالوا لها نحو ذلك» وفي رواية هشام «إلا حسدنها وقيل فيها» وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأنيها في تربيتها ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تفرد بذلك، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمئة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش، وعرف من هذا أن الاستثناء في قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها بل ذكرت شأن الضرائر.

وأما ضرائرها هي فإنهن وإن كن لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر لكن لم يعلم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمئة؛ لأن ورع أختها منعها من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات، وإنما اختصت زينب بالذكر؛ لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة.

الثامنة والسبعون : قوله «فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا» زاد ابن جرير من طريق معمر عن الزهري «وبلغ رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم». وفي رواية هشام «فقلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: ورسول الله ﷺ». وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «ورجعت إلى أبيي

فقلت: أما اتقيتما الله في، وما وصلتما رحمي، يتحدث الناس بهذا ولم تعلماني»
وفي رواية هشام بن عروة «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق
البيت يقرأ فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت
عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت». وفي رواية
معمر عند الطبراني «فقال لأمي: لم تكن علمت ما قيل لها فأكبت تبكي ساعة
ثم قال: اسكتي يا بنية». ومعنى قولها: «فقلت: سبحان الله»: استغاثت بالله
تعجباً من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها.

التاسعة والسبعون: قوله «فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي
دمع» بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع.

الثمانون: «ولا أكتحل بنوم» كناية عن السهر. ووقع في باب حديث
الإفك من المغازي من رواية مسروق عن أم رومان «فخرت مغشياً عليها، فما
استفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطتها». وفي رواية
الأسود عن عائشة «فألقت علي أمي كل ثوب في البيت.

قال الحافظ: تبييه: طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر
من أم مسطح، لكن وقع في حديث أم رومان ما يخالف ذلك ولفظه «بيننا أنا
قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بقلان
وفعل، فقلت وما ذاك؟ قالت: ابني ومن حدث الحديث، قالت وما ذاك؟ قالت
كذا وكذا». هذا لفظ المصنف في المغازي، ولفظه في قصة يوسف «قالت: إنه نسي
الحديث، فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها، قالت: فسمعه أبو بكر؟ قالت:
نعم. قالت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. فخرت مغشياً عليها».

وطريق الجمع بينهما أنها سمعت ذلك أولاً من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت
أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملًا كما مضى من قولها هوني
عليك وما أشبه ذلك، ثم دخلت عليها الأنصارية فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة

أمها فقوى عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجيا منها أن لا يكونا سمعا ذلك ليكون أسهل عليها، فلما قالت لها إنهما سمعاه غشي عليها. ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصارية ولا على اسم ولدها. اهـ
قلت: وهذا جمع جيد يزول به الإشكال وينتفي فيه التعارض في الظاهر.
الحادية والثمانون: قوله «فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي».

قلت: واختصهما بالدعوة لمكانتهما منه فعلي ابن عمه وصهره، وأسامة هو حبه وابن حبه. هذا ظاهر بالقصة لأنها عقببت بكاءها تلك الليلة بهذا ثم عقببت هذا بالخطبة. وفي أول رواية هشام عن أبيه عن عائشة «لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله ﷺ خطيباً». فذكر قصة الخطبة الآتية.
والجمع كما قال الحافظ بأن «الفاء» في قوله «فدعا» عاطفة على شيء محذوف تقديره: وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل فدعا علياً.
وقوله «حين استلبت الوحي» بالرفع أي طال لبث نزوله، وبالنصب أي استبطأ النبي ﷺ نزوله.

الثانية والثمانون: قوله «يستأمرهما في فراق أهله» أي يستشيرهما في فراقها وظاهره أن الاستشارة وقعت بعد ما علمت بالقصة لأنها عدلت عن قولها في فراقها إلى قولها فراق أهله لكرامتها التصريح بإضافة الفراق إليها.
الثالثة والثمانون: قوله «أهلك ولا نعلم إلا خيراً» بالرفع كما صرح به في رواية معمر «هم أهلك» ويجوز النصب أي أمسك ومعناه هم أهلك أي العفيفة اللائقة بك، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئاً من المشورة ووكل الأمر إلى رأي النبي ﷺ، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيراً» وإطلاق الأهل على الزوجة شائع، قال ابن التين: أطلق عليها أهلاً وذكرها بصيغة الجمع حيث قال «هم أهلك» إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف

المذكور. انتهى. ويحتمل أن يكون جمع لإرادة تعظيمها.

الرابعة والثمانون : قوله «وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير» كذا للجميع بصيغة التذكير كأنه أراد الجنس مع أن لفظ فعيل يشترك فيه المذكر والمؤنث إفراداً وجمعاً. والمعنى كما قال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله «وسل الجارية تصدقك» ففوض الأمر إلى أن تطلع علي براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة.

الخامسة والثمانون : قوله «وسل الجارية تصدقك» في رواية مقسم عن عائشة «أرسل إلى بريرة خادمتها فسلها، فعسى أن تكون قد اطلعت على شيء من أمرها».

السادسة والثمانون : قوله «فدعا رسول الله ﷺ بريرة» بفتح الموحدة وكسر الراء. وفي رواية مقسم «فأرسل إلى بريرة فقال لها أتشهدين أنني رسول الله؟ قالت: نعم. قال: فإني سألتك عن شيء فلا تكتمينه. قالت: نعم. قال: هل رأيت من عائشة ما تكرهينه؟ قالت: لا».

السابعة والثمانون : قوله «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك» في رواية هشام بن عروة «فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول الله» وفي رواية أبي أويس «إن النبي ﷺ قال لعلي: شأنك بالجارية، فسألها علي وتوعدها فلم تخبره إلا بخبر، ثم ضربها وسألها فقالت: والله ما علمت علي عائشة سوء» وفي رواية ابن إسحاق «فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً يقول: اصدقي رسول الله ﷺ». ووقع في رواية هشام «حتى أسقطوا لها به». يقال أسقط الرجل

في القول إذا أتى بكلام ساقط، والضمير في قوله "به" للحديث أو الرجل الذي اتهموها به. وفي رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عند الطبراني «فقال: لست عن هذا أسألك. قالت: فعمه؟ فلما فطنت قالت: سبحان الله. ووقع في رواية ابن جرير من طريق أبي أسامة «قال عروة: فعيب ذلك علي من قاله».

وقال ابن بطلال: يحتمل أن يكون من قولهم: سقط إلى الخير إذا علمته، قال

الشاعر:

إذا هن ساقطن الحديث وقلن لي

قال: فمعناه ذكروا لها الحديث وشرحوه.

الثامنة والثمانون: قوله «إن رأيت عليها أمراً» أي ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها.

التاسعة والثمانون: قوله «أغمصه» بغين معجمة وصاد مهملة أي أعيبه.

التسعون: قوله «سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجيين أهلها» في رواية ابن إسحاق «ما كنت أعيب عليها إلا أنني كنت أعجن عجيين وأمراها أن تحفظه فتنام عنه». وفي رواية مقسم «ما رأيت مذ كنت عندها إلا أنني عجن عجيماً لي فقلت: احفظي هذه العجيبة حتى أقتبس ناراً لأخبزها، ففقلت فجاءت الشاة فأكلتها» وهو يفسر المراد بقوله في رواية الباب «حتى تأتي الداجن» وهي بدال مهملة ثم جيم: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيراً. وفي رواية هشام بن عروة «ما علمت منها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر» أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب فكذلك أنا لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب. وفي رواية ابن حاطب عن علقمة «فقال الجارية الحبشية: والله لعائشة أطيب من الذهب، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله. قالت: فعجب الناس من فقهما».

الحادية والتسعون : قوله «**فقام رسول الله ﷺ**» في رواية أبي أويس «ثم خرج حين سمع من بريدة ما قالت» وفي رواية هشام بن عروة «قام فينا خطيباً فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد» وفي رواية ابن إسحاق «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤخوني في أهلي».

الثانية والتسعون : قوله «**فاستعذر من عبد الله بن أبيي**» أي طلب من يعذره منه، أي ينصفه.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى به أهلي من المكروه، ومن يقوم بعذري إذا علقته على سوء ما يصدر منه؟ ورجح النروي هذا الثاني. فقال: «ومعنى من يعذرنني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلموني».

الثالثة والتسعون : قوله «**بلغني أذاه في أهل بيتي**» في رواية هشام بن عروة «أشيروا عليّ في أناس أبناء أهلي» وهو بفتح اللوحدة الخفيفة والنون المضمومة. وحكى عياض أن في رواية الأصيلي بتشديد اللوحدة وهي لغة، ومعناه عابوا أهلي أو اتهموا أهلي، وهو المعتمد؛ لأن الأين بفتحيتين التهمة. وقال ابن الجوزي: المراد رموا أهلي بالقبيح.

الرابعة والتسعون : قوله «**ولقد ذكروا رجالاً**» زاد ابن جرير في روايته «صالحاً» وفي رواية ابن إسحاق «ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً».

الخامسة والتسعون : قوله «**فقام سعد بن معاذ الأنصاري**» كذا هنا وفي رواية معمر وأكثر أصحاب الزهري، ووقع في رواية صالح بن كيسان «فقام سعد أخو بني عبد الأشهل» وفي رواية فليح «فقام سعد» ولم ينسبه، وقد تعين أنه سعد بن معاذ لما وقع في رواية الباب وغيره. وترجمته: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي، شهد بدرًا باتفاق رمي

بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريضة وأحسن دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات.

تنبيه:

اتفق الشيخان على أن المتكلم أولاً في هذه الحادثة هو سعد بن معاذ ويشكل عليه أن غزوة بني المصطلق والإفك سنة ست، وكان موت سعد بعد الخندق وهي سنة أربع باتفاق أهل السير.

قال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق.

قال القاضي: فيحتمل أن غزوة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق.

وذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس. قال: وكانت الخندق وقريضة بعدها. انتهى ملخصاً من الفتح.

وقال ابن القيم: «وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم فإن سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقيب حكمه في بني قريضة عقيب الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه وهي المريسيع والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست فاختلقت طرق الناس عن هذه الإشكال . . . إلى أن قال بعد حكايته الخلاف المتقدم: وفي حديث الإفك ما يدل على خلاف ذلك أيضاً، لأن عائشة قالت إن القضية كانت بعد ما أنزل الحجاب وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش وزينب إذ ذاك كانت تحته فإنه ﷺ سألها عن عائشة فقالت: أحمي سمعي وبصري. قال عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ وقد ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه زينب كان في ذي القعدة سنة خمس وعلى هذا فلا يصح قول موسى بن عقبة. وقال محمد بن إسحاق إن غزوة بني المصطلق كانت

في سنة ست بعد الخندق وذكر فيها حديث الإفك إلا أنه قال عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة . . . فذكر الحديث : فقال : فقام أسيد بن الحضير فقال : أنا أعذرک منه . فرد عليه سعد بن عبادة ولم يذكر سعد بن معاذ . قال أبو محمد بن حزم وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه وذكر سعد بن معاذ وهم لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك ، وكانت في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد وكانت المقابلة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة» انتهى محل الغرض من زاد المعاد (٢٦٥/٣).

السادسة والتسعون : قوله «أنا أعذرک منه» في رواية فليح «أنا والله أعذرک منه». ووقع في رواية معمر «أعذرک منه» بحذف المبتدأ.

السابعة والتسعون : قوله «إن كان من الأوس ضربت عنقه» يعني قبيلة أسيد ابن الحضير. في رواية صالح بن كيسان «ضربت» بضم المثناة. وإنما قال ذلك؛ لأنه كان سيدهم فحزم بأن حكمه فيهم نافذ.

الثامنة والتسعون : قوله «وإن كان من إخواننا من الخزرج»، «من» الأولى تبعية والأخرى بيانية.

التاسعة والتسعون : قوله «أمرتنا ففعلنا أمرک» في رواية ابن جريج «أتيناك به ففعلنا فيه أمرک».

المائة : قوله : «فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج» في رواية صالح بن كيسان «فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج». انتهى.

الحادية ومائة : قوله «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً» في رواية ابن إسحاق «وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً» أي كامل الصلاح، في رواية الواقدي

«وكان صالحاً لكن الغضب بلغ منه ومع ذلك لم يغمص عليه في دينه».

الثانية بعد المائة : قوله «لكن احتملته الحمية» كذا للأكثر «احتملته»
بمهملة ومثناة ثم ميم أي أغضبته، وفي رواية معمر عند مسلم وكذا يحيى بن
سعيد عند الطبراني «اجتهدته» بجيم ثم مثناة ثم هاء. وصورها الوقشي، أي حملته
على الجهل.

الثالثة بعد المائة : قوله «فقال لسعد» أي ابن معاذ «كذبت لعمر الله لا
تقتله» العمر بفتح العين المهملة هو البقاء، وهو العمر بضمها. لكن لا يستعمل في
القسم إلا بالفتح.

الرابعة بعد المائة : قوله «ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما
أحببت أن يقتل» فسر قوله لا تقتله بقوله «ولا تقدر على قتله» إشارة إلى أن
قومه يمنعونه من قتله.

وأما قوله «ولو كان من رهطك» فهو من تفسير قوله «كذبت» أي في
قولك «إن كان من الأوس ضربت عنقه» فنسبه إلى الكذب في هذه الدعوى وأنه
حزم أن يقتله إن كان من رهطه مطلقاً، وأنه إن كان من غير رهطه إن أمر بقتله
قتله وإلا فلا، فكأنه قال له: بل الذي نعتقه على العكس مما نطقت به، وأنه لو
إن كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، ولكنه من غير رهطك فأنت تحب أن
يقتل. وهذا بحسب ما ظهر له في تلك الحالة.

قال الحافظ: ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى قوله كذبت لا تقتله أن
النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك فلذلك لا تقدر على قتله، وهو حمل جيد، وقد
بينت الروايات الأخرى السبب الحامل لسعد بن عباد على ما قال، ففي رواية
ابن إسحاق «فقال سعد بن عباد: يا ابن معاذ والله ما بك نصره رسول الله
ﷺ، ولكنها قد كانت بيننا ضغائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا صدوركم، فقال
ابن معاذ: الله أعلم بما أردت».

قال ابن التين: قول ابن معاذ «إن كان من الأوس ضربت عنقه» إنما قال ذلك؛ لأن الأوس قومه وهم بنو النجار، ولم يقل ذلك في الخزرج لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة، ونفى أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو من الأوس. قال: ولم يرد سعد بن عبادة الرضا بما نقل عن عبد الله بن أبي، وإنما معنى قول عائشة «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً» أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين، وهو كما قال.

الخامسة بعد المائة: قوله «فقام أسيد بن حضير» بالتصغير فيه وفي أبيه، وأبوه بمهملة ثم معجمة وهو ابن عم سعد بن معاذ أي من رهطه، ولم يكن ابن عمه لحاء؛ لأنه سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس، إنما يجتمعان في امرئ القيس وهما في التعدد إليه سواء.

السادسة بعد المائة: قوله «فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه» أي ولو كان من الخزرج إذا أمر رسول الله ﷺ بذلك، وليست لكم قدرة على منعنا من ذلك.

السابعة ومائة: قوله «فإنك منافق تجادل عن المنافقين» أطلق أسيد ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله.

قال الحافظ: وقال المازري: إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك فأشبهه حال المنافق؛ لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه.

الثامنة ومائة: قوله «فتأور الحيان» بمثناة ثم مثلثة: تفاعل من الشورة، والحيان بمهملة ثم تحتانية تننية حي والحى كالقبيلة، أي نهض بعضهم إلى بعض

من الغضب. وعند ابن إسحاق «تساور الحيان من الأوس والخزرج». في رواية ابن جريح في روايته في قصة الإفك هنا «قال: قال ابن عباس: فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة» أي خارج المدينة لتتقاتلوا هناك.

العاشرة ومائة: قوله «فلم ينزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا» وفي رواية ابن حاطب «فلم ينزل يومئذ بيده إلى الناس ههنا حتى هدأ الصوت» وفي رواية فليح «فنزل فخفضهم حتى سكتوا». ويحمل على أنه سكتهم وهو على المنبر ثم نزل إليهم أيضاً ليكمل تسكينهم. ووقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فحجز بينهم».

الحادية عشرة ومائة: قوله «فمكثت يومي ذلك» في رواية الكشميهني «فبكيت» وهي في رواية فليح وصالح وغيرهما.

الثانية عشرة ومائة: قوله «فأصبح أبواي عندي» أي أنهما جاءا إلى المكان الذي هي به من بيتهما، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها. ووقع في رواية محمد بن ثور عن معمر عند ابن جرير «وأنا في بيت أبوي».

الثالثة عشرة ومائة: قوله «وقد بكيت ليلتين ويوما» أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس والليلة التي تليه. ووقع في رواية فليح «وقد بكيت ليلتي ويوما» وكأن الياء مشددة ونسبتهما إلى نفسها لما وقع لها فيهما.

الرابعة عشرة ومائة: قوله «فبيننا هما» وفي رواية الكشميهني «فبينما هما».

الخامسة عشرة ومائة: قوله «يظنان أن البكاء فائق كبدي» في رواية فليح «حتى أظن».

ويجمع بأن الجميع كانوا يظنون ذلك.

السادسة عشرة ومائة : قوله «فاستأذنت» كذا فيه وفي الكلام حذف تقديره جاءت امرأة فاستأذنت، وفي رواية فليح «إذ استأذنت».

السابعة عشرة ومائة : قوله «امرأة من الأنصار» لم يعرف اسمها.

الثامنة عشرة ومائة : قوله «فبيننا نحن على ذلك» في رواية الكشميهني «فبيننا نحن كذلك» وهي رواية فليح، والأول رواية صالح.

التاسعة عشرة ومائة : قوله «دخل علينا رسول الله ﷺ» في رواية هشام بن عروة بلفظ «فأصبح أبوأي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله ﷺ» وقد صلى العصر، وقد اكتنفتني أبوأي عن يميني وعن شمالي» وفي رواية ابن حاطب «وقد جاء رسول الله ﷺ حتى جلس على سرير وجاهي» وفي حديث أم رومان «أن عائشة في تلك الحالة كانت بها الحمى النافض، وأن النبي ﷺ لما دخل فوجدها كذلك قال: ما شأن هذه؟ قالت: أخذتها الحمى بنافض، قال: فلعله في حديث محدث؟ قالت: نعم. فقعدت عائشة».

العشرون بعد المائة : قوله «ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني» حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعاً وثلاثين يوماً فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد.

ويجمع بأن المدة التي كانت بين قدمهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبوها حين بلغها الخبر. قاله الحافظ.

الحادية والعشرون ومائة : قوله «فتشهد» في رواية هشام بن عروة «فحمد الله وأثنى عليه».

الثانية والعشرون ومائة : قوله «أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا» هو كناية عما رميت به من الإفك، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ، ووقع

في رواية ابن إسحاق «فقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فسائق الله، وإن كنت قارفت سوء فتوبي».

الثالثة والعشرون ومائة: قوله «فإن كنت بريئة فسيبرئك الله» أي بوحى ينزله بذلك قرآناً أو غيره.

الرابعة والعشرون ومائة: قوله: «وإن كنت ألممت بذنب» أي وقع منك ذنب على خلاف العادة، وهذا حقيقة الإلمام، ومنه «ألمت بنا والليل مرخ ستوره».

الخامسة والعشرون ومائة: قوله «فاستغفري الله وتوبي إليه» في رواية معمر «ثم توبي إليه» وفي رواية أبي أويس «إنما أنت من بنات آدم إن كنت أعطأت فتوبي».

السادسة والعشرون ومائة: قوله «فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

قال الداودي: أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا يكتمنه إياه؛ لأنه لا يحل لني إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس فإنهن ندين إلى السر.

السابعة والعشرون ومائة: قوله «قلص دمي حتى ما أحس» بفتح القاف واللام ثم مهملة أي استمسك نزوله فانقطع ومنه قلص الظل وتقلص إذا شمر. قال القرطبي: سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

وقوله «حتى ما أحس» بضم الهمزة وكسر المهملة أي أجد.

الثامنة والعشرون ومائة: قوله «فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول» قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن

السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالتها إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري؛ لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى؛ ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده. وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري. ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فقال: ماذا أقول». وفي رواية أبي أويس «فقلت لأبي أحب فقال: لا أفعل، هو رسول الله والوحي يأتيه».

التاسعة والعشرون ومائة: قوله «قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن» قالت هذا توطئة لعذرها؛ لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي، ووقع في رواية هشام بن عروة الآتية «فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأنتيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعلم» وفي رواية ابن إسحاق «فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب مما ذكروا أبدا».

الثلاثون بعد المائة: قوله «لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به» في رواية فليح «وقر» بالتخفيف أي ثبت وزنا ومعنى.

الحادية والثلاثون بعد المائة: قوله «وصدقتم به» في رواية هشام بن عروة «لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم» قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققت من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم، أو مرادها من صدق به أصحاب الإفك، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم

تغليياً.

الثانية والثلاثون بعد المائة : قوله «ولا تصدقوني بذلك» أي لا تقطعون بصدقي. وفي رواية هشام بن عروة «ما ذاك بنافعي عندكم» وقالت في الشق الآخر «لتصدقني» وهو بتشديد النون والأصل تصدقوني فأدغمت إحدى النونين في الأخرى، وإنما قالت ذلك؛ لأن المرء مؤاخذ بإقراره. ووقع في حديث أم رومان «لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن قلت لا تعذروني».

الثالثة والثلاثون بعد المائة : قوله «والله ما أجد لكم مثلاً» في رواية صالح وفليح ومعمر «ما أجد لك ولي مثلاً».

الرابعة والثلاثون بعد المائة : قوله «إلا قول أبي يوسف» زاد ابن جريج في روايته «واختلس مني اسمه» وفي رواية هشام بن عروة «والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه» وفي رواية ابن إسحاق «فلم أذكره» وفي رواية أبي أويس «نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف» ووقع في حديث أم رومان «مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه» وهي بالمعنى للتصريح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه.

الخامسة والثلاثون بعد المائة: قوله «ثم تحولت فاضطجعت على فراشي» زاد ابن جريج «ووليت وجهي نحو الجدر».

السادسة والثلاثون بعد المائة : قوله «وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي» والمعنى أن الله سبحانه وتعالى سينزل في ما يبرئني به من وجهه.

السابعة والثلاثون بعد المائة: قوله «ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر» في رواية فليح «من أن يتكلم بالقرآن في أمري» وفي رواية ابن إسحاق «يقرأ به في المساجد ويصلى به» والمعنى أنها كانت تتوقع شيئاً غير القرآن ويفسره رواية ابن إسحاق «ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في

نومه شيئاً يكذب به الله عني».

الثامنة والثلاثون بعد المائة: قوله «فوالله ما رام رسول الله ﷺ» أي فارق، ومصدره الريم بالتحانية، بخلاف رام بمعنى طلب فمصدره الروم، ويفترقان في المضارع: يقال رام يروم روما، ورام يريم ريماء. وفي رواية صالح وفليح ومعمر وغيرهم «بجلسه» وهي مفسرة لما حذف من الأولى أي ما فارق مجلسه. وفي رواية ابن إسحاق «ما برح» والمعنى واحد.

التاسعة والثلاثون بعد المائة: قوله «ولا خرج أحد من أهل البيت» أي الذين كانوا حينئذ حضوراً. ووقع في رواية أبي أسامة «وأنزل الله على رسول الله ﷺ من ساعته».

الأربعون بعد المائة: قوله «فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء». بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته. ووقع في رواية إسحاق بن راشد «وهو العرق» وبه جزم الداودي، وهو تفسير باللازم غالباً؛ لأن البرحاء شدة الكرب ويكون عنده العرق غالباً، وفي رواية ابن حاطب «وشخص بصره إلى السقف» وفي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه، عن عائشة عند الحاكم «فأتاه الوحي، وكان إذا أتاه الوحي أخذه السبل» وفي رواية ابن إسحاق «فسجى بثوب ووضعت تحت رأسه وسادة من آدم».

الحادية والأربعون بعد المائة: قوله «حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشامي من ثقل القول الذي ينزل عليه» الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم اللؤلؤ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ.

وقال الداودي: حرز أبيض، والأول أولى، فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابهتها في الصفاء والحسن. وزاد ابن جريج في روايته «قال أبو بكر: فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ أخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظر

إلى وجه عائشة فإذا هو منبثق، فيطمعني ذلك فيها» وفي رواية ابن إسحاق «فأما أنا فوالله ما فرغت قد عرفت أنني بريئة، وأن الله غير ظالمي. وأما أبوأي فما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما يقول الناس».

الثانية والأربعون بعد المائة: قوله «فلما سرى» بضم المهملة وتشديد الراء المكسورة أي كشف.

الثالثة والأربعون بعد المائة: قوله «وهو يضحك» في رواية هشام بن عروة «فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه يمسح جبينه» وفي رواية ابن حاطب «فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى أنسي لأنظر إلى نواجذه سروراً، ثم مسح وجهه».

الرابعة والأربعون بعد المائة: قوله «فكان أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برك» في رواية صالح بن كيسان «قال يا عائشة» وفي رواية فليح «أن قال لي: يا عائشة أحمدي الله، فقد برك» أي بما أنزل من القرآن.

الخامسة والأربعون بعد المائة: قوله «فقلت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله» وفي رواية صالح «فقلت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي» وعند ابن جرير من هذا الوجه «أحمد الله لا إياكما» وفي رواية أبي أويس «نحمد الله ولا أحمدكم» وفي رواية أم رومان وكذا في حديث أبي هريرة «فقلت نحمد الله لا نحمدك» ومثله في رواية عمر بن أبي سلمة، وكذا عند الواقدي، وفي رواية ابن حاطب «والله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وفي رواية مقسم والأسود وكذا في حديث ابن عباس «ولا نحمدك ولا نحمد أصحابك» وزاد في رواية الأسود عن عائشة «وأخذ رسول الله ﷺ بيدي فانتزعت يدي منه، فنهرتني أبو

بكر» وعذرها في إطلاق ذلك ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتهما.

قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه. وقيل أشارت إلى أفراد الله تعالى بقولها «فهو الذي أنزل براءتي» فناسب إفراده بالحمد في الحال. ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك. ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها «أحمدي الله» ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك. وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب.

قال ابن القيم: «ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها فقال لها أبواها قومي إلى رسول الله ﷺ فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليئتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام وتجريدها التوحيد وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له، وثقتها بحجة رسول الله ﷺ لها قالت ما قالت إدلالاً للحبيب على حبيبه ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال فوضعت موضعها والله ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي، والله ذلك الثبات والرزان منها وهو أحب شيء إليها ولا صبر لها عنه وقد تنكر قلب حبيبه لها شهراً ثم صادفت الرضى منه والإقبال فلم تبادر إلى القيام إليه والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له وهذا غاية الثبات والقوة». انتهى من الزاد (٢٦٤/٣).

السادسة والأربعون بعد المائة: قوله «فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العشر آيات كلها».

قلت: آخر العشر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لكن وقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري «فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا - إِلَى قَوْلِهِ - أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث

عشرة آية، فلعل في قولها العشر الآيات بطريق إلغاء الكسر. وفي رواية الحكم بن عتبة مرسلًا عند ابن جرير «لما خاض الناس في أمر عائشة - فذكر الحديث مختصراً وفي آخره - فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ - الخبيثات للخبيثين». وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضع ست عشرة. وفي مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في «الإكليل» فنزلت ثماني عشرة آية متوالية كذبت من قذف عائشة ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا - إِلَى قَوْلِهِ - رِزْقِ كَرِيمٍ﴾ وفيه ما فيه أيضاً. وتحرير العدة سبع عشرة.

قلت: فعلى هذا فنهاية الآيات ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأرجز عبارة وأشبعها، لاشتمالها على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة، كل واحد منها كاف في بابه، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل. وعند أبي داود من طريق حميد الأعرج، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة «جلس رسول الله ﷺ وكشف الثوب عن وجهه ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾» وفي رواية ابن إسحاق: «ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم». ويجمع بأنه قرأ هذه الآيات مرتين أولهما عند عائشة وأبيها، والثانية على الناس في المسجد.

السابعة والأربعون بعد المائة: قوله «فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئاً» يوخذ منه مشروعية ترك المواخذه بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه.

الثامنة والأربعون بعد المائة: قوله «لقربته منه» تقدم بيانه في المسألة

الخمسين والحادية والخمسين.

التاسعة والأربعون بعد المائة : قوله «وفقره» علة أخرى للإنفاق عليه.

الخمسون بعد المائة : قوله «بعد الذي قال لعائشة» أي عن عائشة، وفي

رواية هشام بن عروة «فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً».

الحادية والخمسون بعد المائة : قوله «ولا يأتل» سيأتي شرحها في الباب

الخمسين بعد المائتين.

الثانية والخمسون بعد المائة : قوله «وليعفوا وليصفحوا» قال مسلم حدثنا

حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال: «هذه أرجى آية في كتاب

الله» انتهى، وإلى ذلك أشار القائل:

فإن قدر الذنب من مسطح يحط قدر النجم من أفقه

وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

الثالثة والخمسون بعد المائة: قوله «قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن

يغفر الله لي». في رواية هشام بن عروة «بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر

لنا».

الرابعة والخمسون بعد المائة : قوله «فرجع إلى مسطح النفقة» أي ردها

إليه، وفي رواية فليح «فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه» وفي رواية هشام

بن عروة «وعد له بما كان يصنع» ووقع عند الطبراني أنه صار يعطيه ضعف ما

كان يعطيه قبل ذلك. حكاه الحافظ.

الخامسة والخمسون بعد المائة : قوله «يسأل زينب بنت جحش» أي أم

المؤمنين.

السادسة والخمسون بعد المائة : قوله «أحمي سمعي وبصري» أي من

الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع ولا أبصر.

السابعة والخمسون بعد المائة: قوله «وهي التي كانت تساميني» أي

تعاليني من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده.

الثامنة والخمسون بعد المائة : قوله «فعضمها الله» أي حفظها ومنعها «بالورع» أي بالمحافظة على دينها وبجانبه ما تخشى سوء عاقبته. وفي هذا ثناء من عائشة على ضربتها زينب رضي الله عنهما.

التاسعة والخمسون بعد المائة : قوله «وظفقت أختها حمنة» بكسر الفاء وحكي فتحها أي جعلت أو شرعت، وحمنة بفتح المهملة وسكون الميم بنت جحش الأسدية كانت تحت مصعب بن عمير ثم طلحة، وكانت تستحاض ولها صحبة.

الستون بعد المائة : قوله «تخارب لها» أي تجادل لها وتتعصب وتحكي ما قال أهل الإفك لتتخفف منزلة عائشة وتعلو مرتبة أختها زينب.

الحادية والستون بعد المائة : قوله «فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك» أي حدثت فيمن حدث أو أئمت مع من أئمت، زاد صالح بن كيسان وفليح ومعمر وغيرهم «قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغنا من حديث هؤلاء الرهط» زاد صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عروة «قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله، والذي نفسي بيده ما كشفت كنف أثني قط». قالت عائشة «ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله». وعند أصحاب السنن من طريق محمد ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة «أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك» لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي، وكذا في حديث أبي هريرة عند البزار، وبنى على ذلك صاحب «الهدى» فأبدى الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي، وفاته أنه ذكر أيضاً فيمن أقيم عليه الحد، ووقع ذلك في رواية أبي اويس، وعن حسن بن زيد، عن عبد الله بن أبي بكر أخرجه الحاكم في «الإكليل» وفيه رد على

الموردي حيث صحح أنه لم يخدمهم مستنداً إلى أن الحد لا يثبت إلا بينة أو إقرار، ثم قال: وقيل أنه خدمهم. وما ضعفه هو الصحيح المعتمد. قاله الحافظ

من فقه الحديث:

وفي هذا الحديث فوائد غير ماتقدم:

- ١- جواز الحديث عن جماعة ملفقاً بجملاً.
- ٢- وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو.
- ٣- وجواز حكاية ما وقع للمرء من فضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس.

- ٤- وفيه استعمال التوظيفة فيما يحتاج إليه من كلام.
- ٥- وأن الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.
- ٦- وفيه خدمة الأجنب للمرأة من وراء الحجاب.
- ٧- وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها.
- ٨- وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها.
- ٩- وصيانة المال ولو قل للنهي عن إضاعة المال.
- ١٠- توقف رحيل العسكر على إذن الأمير.
- ١١- واستعمال بعض الجيش ساقية يكون أميناً، ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح.
- ١٢- والاسترجاع عند المصيبة.
- ١٣- وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي.
- ١٤- وإطلاق الظن على العلم.
- ١٥- وإغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك.

- ١٦- وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة.
- ١٧- والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمين مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي.
- ١٨- وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق.
- ١٩- وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي باطنه لتلا يزيد ذلك في مرضه.
- ٢٠- وفيه السؤال عن المريض.
- ٢١- وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها.
- ٢٢- وفيه الذب عن المسلمين خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل.
- ٢٣- وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على ما قيل فيه هل وقع منه ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك. ذكر هذه الفوائد الحافظ رحمه الله.

٢٤٥- [باب قوله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾].

ش/ يقول تعالى ذكره ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المشيعون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿ورحمته﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿في الدنيا والآخرة﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ﴿لمسكم فيما﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلاً في الدنيا ﴿عذاب عظيم﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١- [وقال مجاهد: ﴿تلقونه﴾ يرويه بعضكم عن بعض].

ش/ أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ المصنف، قال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره.

وأخرجه ابن جرير: ثنا الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بلفظ: «تروونه بعضكم عن بعض»، والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ستأتي.

٢- [﴿تفيضون﴾ تقولون].

ش/ هو قول مجاهد وسيأتي في تفسير سورة الأحقاف ضمن الباب السابع عشر بعد الثلاثمائة. وذكره ها هنا استشهداً لقوله ﴿فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾.

٢٧١- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان^(١) عن حصين، عن أبي

وائل، عن مسروق، عن أم رومان^(٢) أم عائشة أنها قالت: «لما رميت عائشة خرت مغشياً عليها».

مضى في المسألة الثالثة والستين من الباب الذي قبله.

(١) هو أبو داود أو أبو محمد سليمان بن كثير العبدي، البصري، لا بأس به في غير الزهري، من السابعة. مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هي أم رومان الفراسية، زوج أبي بكر الصديق، وأم عائشة، وعبد الرحمن، صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد. عاشت بعد النبي ﷺ. خ.

٢٤٦- [باب ﴿إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْسَّلَامِ﴾] إذ تلقونه بالسلم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴿﴾].

ش: يعني بقوله ﴿تلقونه﴾ تتلقون الإفك الذي جاءت به العصابة من أهل الإفك فتقبلونه، ويرويه بعضهم عن بعض. يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقي آخر فيقول: أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليشيع عليها بذلك الفاحشة.

وذكر أنها في قراءة أبي ﴿إذ تلقونه﴾ بتاعين، وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرعوها «تلقونه» بتاء واحدة؛ لأنها كذلك في مصاحفهم. اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يُقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ وفي الصحيحين «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً».

٢٧٢- حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام أن ابن جريح أخبرهم:

قال ابن أبي مليكة: سمعت عائشة تقرأ: ﴿إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْسَّلَامِ﴾.

ش: فيه مسألان:

الأولى: تفسير تلقونه. قال ابن الأثير: الولق والألق الاستمرار في

الكذب. يقال: ولق يلق، وألق يألق، إذا أسرع في مره. وقيل: الولق الكذب. اهـ.

قلت: والحديث عند المصنف في حديث الإفك من المغازي برواية نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها «كانت تقرأ: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ وتقول: الولق: الكذب».

الثانية: هذه القراءة ﴿تلقونه﴾ بكسر اللام وتشديد القاف لم أجد هذه القراءة فيما وقفت عليه عن غير عائشة رضي الله عنها ولعلها سيقى للتفسير وقد قدمنا المعنى قبل قليل والله أعلم.

٢٤٧- باب ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

ش/ هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ما ينبغي أن يظن بهم خيراً، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك - وسوسة أو خيالاً - فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل» أخرجاه في الصحيحين.

وقال الله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله وحليلة خليله.

٢٧٣- حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة، وهي مغلوبة قالت: «أخشى أن يثنى عليّ فقييل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين؟ قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس، فأثنى عليّ، ووددت أني كنت نسياً منسياً».

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد حدثنا ابن عون، عن القاسم أن ابن عباس رضي الله عنهما استأذن على عائشة نحوه ولم يذكر نسياً منسياً.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «وهي مغلوبة» هذه الجملة حالية ومعناها كناية عما تعانیه

عائشة رضي الله عنها من شدة مرض الموت وكرهه.

الثانية: قوله «أخشى أن يثني علي» فيه دليل على شدة ورعها وتواضعها.

الثالثة: قوله «فقيل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين» كأن القائل فهم عنها أنها تمنعه من الدخول للمعنى الذي ذكرته وهو ما كانت تكرهه من الثناء فذكرها بمنزلته، والذي راجع عائشة في ذلك هو ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، والذي استأذن لابن عباس هو ذكوان مولى عائشة، وقد بين ذلك كله أحمد في فضائل الصحابة (٨٧٣/٢) وابن سعد (٧٤/٢) في الطبقات من طريق عبد الله بن عثمان هو ابن خثيم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت فذكر الحديث. وفيه «فقال لها عبد الله يا أمته إن ابن عباس من صالح بيتك يسلم عليك ويودعك، قالت: ائذن له إن شئت».

قلت: وفيه فائدتان:

إحداهما: جواز عيادة المرأة في مرضها لا سيما إن كانت من أهل الفضل والصلاح.

وثانيتهما: تذكير المريض بفضل القادم عليه إذا تردد في الإذن له.

الرابعة: قوله «ائذنوا له فقال: كيف تجدينك» في الكلام محذوف تقديره فأذن له فدخل عليها وفيه دليل على سؤال المريض عن حاله.

وعند أحمد من رواية ذكوان «فلما جلس قال أبشري قالت وأيضاً قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد».

قلت: ولا منافاة بين الرويتين لجواز جمعه في محادثتها بين السؤال عن حالها وهذه البشارة.

الخامسة: قوله «بخير إن اتقيت» أي إن كنت من أهل التقوى.

السادسة: قوله «فأنت بخير إن شاء الله تعالى» وفي باب فضل عائشة من الفضائل برواية القاسم بن محمد «يا أم المؤمنين تقدمين علي فرط صدق علي

رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

السابعة: قوله «زوجة رسول الله ﷺ» في رواية ذكوان «كنت أحب نساء رسول الله ﷺ ولم يكن يجب إلا طيباً».

الثامنة: قوله «ونزل عذرك من السماء» يشير إلى قصة الإفك، ووقع في رواية ذكوان «وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين، فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه أناء الليل وأطراف النهار» وزاد في آخره «وسقطت فلاتك ليلة الأبراء فنزل التهم فوالله إنك لمباركة».

التاسعة: قوله «ودخل ابن الزبير خلاله» أي على عائشة بعد أن خرج ابن عباس فتحالفا في الدخول والخروج.

العاشر: قوله «وددت أني كنت نسياً منسياً» هو على عادة أهل الورع في شدة الخوف على أنفسهم أن يصيبهم من المديح والثناء العجب والغرور. وفي رواية ذكوان أنها قالت لابن عباس هذا الكلام قبل أن يقوم ولفظه: «فقلت دعني منك يا ابن عباس، فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً».

ويمكن الجمع بأنها قالت ذلك مرتين إحداهما لابن عباس والأخرى لابن الزبير ومطابقة هذا الحديث للترجمة في قول ابن عباس «ونزل عذرك من السماء». فإن الآية من أعظم ما جاء في عذرها وبرائها وتكذيب أصحاب الإفك.

وقوله عن القاسم نحوه. أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم في المستخرج من طريق حماد بن زيد، عن عبد الله بن عون ولفظه: «عن القاسم بن محمد، عن عائشة أنها اشتمت، فاستأذن ابن عباس عليها وأتاها يعودها فقالت الآن يدخل عليّ فيزكيني فأذنت له فقال: أبشري يا أم المؤمنين، تقدمين علي فرط صدق، وتقدمين علي رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، قالت: أعوذ بالله أن تزكيني» حكاه الحافظ هنا.

وفي مناقب عائشة عند المصنف قال: حدثنا محمد بن يشار ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد ثنا ابن عون عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتمت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين علي فرط صدق، علي رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر».

٢٤٨- [باب ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾].

ش / تمامها: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

يقول تعالى ذكره: يذكركم الله وينهاكم بأي كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة، من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بالسنتكم وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبداً. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه.

٢٧٤- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم، قال سفيان: تعني ذهاب بصره. فقال:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تَرَى بَرِيَّةً وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ
قالت: لكن أنت».

ش : فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله «جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها» في رواية شعبة عند المصنف في المغازي «دخلنا على عائشة رضي الله عنها، وعندها حسان بن ثابت» وعند مسلم «دخلت» بدل «دخلنا». ويمكن الجمع بينهما بأن مسروق فهم من حال عائشة رضي الله عنها أنه لم يدخل عليها حسان إلا بإذن وهذا هو ما جرت به عادتهم واستقر عندهم شرعاً.

الثانية: قوله «أتأذنين لهذا» في رواية شعبة السابقة أن هذا القول وقع بعد إنشاد حسان الشعر. ففعل مسروق قال ذلك مرتين مرة حين رآه مرة بعد سماعه شعره.

الثالثة: قوله «أوليس قد أصابه عذاب عظيم» في المغازي قال مسروق «لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿والذي تولي كبيره منهم له

تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

وفي قول مسروق هذا وإقرار عائشة ما يفيد أن حسان هو ممن تولى كبر الإفك وهذا معارض في الظاهر لما رجحناه في المسألة الثانية من الحديث التاسع والستين بعد المائتين أن من تولى كبره هو عبد الله بن أبي ويزيل هذا الإشكال ما حكاه الحافظ عن المستخرج من رواية أبي حذيفة عن سفيان بلفظ «وهو ممن تولى كبره».

الرابعة: قوله «تعني ذهاب بصره» في المغازي «وأي عذاب أكثر من العمى» تعني في الدنيا. وزاد أبو حذيفة في المستخرج «وإقامة الحدود».

الخامسة: قوله «حصان» بفتح المهملة قال السهيلي: هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام منها كأنهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى. و«حصان» من الحصين والتحصين يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها.

السادسة: قوله «رزان» يقال امرأة رزان بالفتح، ورزينة، إذا كانت ذات ثبات ووقار وسكون، والرزانة في الأصل الثقل. قاله ابن الأثير.

السابعة: قوله «ها تزن بريبة» أي تتهم يقال: زنه بكذا أو أزنه إذا أتهمه به وظنه فيه والريب هو بمعنى الشك وقيل هو الشك مع التهمة، يقال رأبني الشيء وأرابني بمعنى شككني.

الثامنة: قوله «تصبح غرثي» بفتح المعجمة وسكون الراء ثم مثلثة أي خميسة البطن أي لا تغتاب أحداً أو هي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب ﴿أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾.

التاسعة: قوله «من لحوم الغوافل» جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ومناسبة تسمية الغيبة

بأكل اللحم، أن اللحم ستر على العظم فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر.

العاشرة: قوله «لكن أنت» في المغازي «لست كذلك» وعند مسلم «لكنك لست كذلك» فتحصل من هذا أن عائشة رضي الله عنها تعني بهذا أن حسان ممن تكلم في ذلك الإفك.

٢٤٩- [باب قوله ﴿ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾].

ش/ قوله ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الآية. ويفصل الله لكم حججه عليكم، بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له منكم من العصاة والله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، حكيم بتدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال. اهـ من ابن جرير.

٢٧٥- حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي أنبأنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبه وقال:

حصان رزان ما ترن بريبة وتصبح غرثي من حوم الفوافل
 قالت: لست كذاك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله
 ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ فقلت: وأي عذاب أشد من العمى، وقالت: وقد
 كان يرد عن رسول الله ﷺ...
 ش: فيه مسألان:

الأولى: قوله «فشبه» معجمة وموحدتين الأولى ثقيلة. في المصباح: شبه الشاعر بفلانة تشبيهاً قال فيها الغزل وعرض مجها. وشبه قصيدته حسناتها وزينتها بذكر النساء. وفي النهاية: تشبيب الشعر: ترقيقه بذكر النساء.
 قلت: ومراد حسان رضي الله عنه الثناء على أم المؤمنين رضي الله عنها بذكر بعض محاسنها الشخصية ومزاياها الخلقية.

الثانية: قوله «وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ». في المغازي باب حديث الإفك من رواية شعبة بلفظ «إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ». وفي قصة الإفك من رواية صالح بن كيسان عن الزهري قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

٢٥٠- [باب قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ تُشَاعِرَ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَجْبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾].

ش/ قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ يَذِيعَ الزُّنَا فِي الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِيهِمْ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ يَقُولُ: لَهُمْ عَذَابٌ وَجِيعٌ فِي الدُّنْيَا بِالْحُدِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ حَدًّا لِرَامِيِ الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنِينَ إِذَا رَمَوْهُمْ بِذَلِكَ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابُ جَهَنَّمَ إِنْ مَاتَ مَصْرًا عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَذِبَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ مِنْ صَدَقَتِهِمْ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عِلْمُ الْغُيُوبِ. يَقُولُ فَلَا تَرَوُوا مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَلَا سِوَا عَلَى حُلَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَهْلِكُوا. اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أَي لَوْلَا هَذَا لَكَانَ أَمْرٌ آخَرَ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ، فَتَابَ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَطَهَرَ مَنْ طَهَرَ مِنْهُمْ بِالْحُدِّ الَّذِي أَقِيمَ عَلَيْهِ. اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ - إِلَى قَوْلِهِ - غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَقُولُ جَلِ ثَنَاءُؤُهُ: وَلَا يَخْلَفُ مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنْ مَالٍ وَسَعَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أَلَا يَعْطُوا ذَوِي قُرَابَتِهِمْ، فَيَصِلُوا بِهِ أَرْحَامَهُمْ. ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ يَقُولُ وَذَوِي خَلَةِ الْحَاجَةِ. ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴿وَلِيَعْفُوا﴾ يَقُولُ وَلِيَعْفُوا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ جَرْمٍ. ﴿وَلِيَصْفَحُوا﴾ يَقُولُ وَلِيَتْرَكُوا عَقُوبَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِجَرْمَانِهِمْ مَا كَانُوا

يؤتونهم قبل ذلك؛ ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم. ﴿أَلَا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول: ألا تجبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بأفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه، واتبع أمره. ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة، قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها. اهـ من ابن جرير.

٢٧٦- وقال أبو أسامة، عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، عن عائشة قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر، وما علمت به، قام رسول الله ﷺ في حطياً، فتشهد، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أشيروا علي في أناس أبناوا أهلي، وإيّم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي. فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال: كذبت، أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم. حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرّ في المسجد، وما علمت. فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعني أم مسطح، فعثرت وقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أمّ تسبين ابنك، وسكتت ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك، ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟ قالت: فبقرت لي الحديد، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله، فرجعت إلى بيتي، كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلاً ولا كثيراً. ووُعِكت، فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق البيت يقرأ،

فقال أمي: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني، فقالت: يا بنية، خفضي عليك الشأن، فإنه - والله - لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يجبها، لها ضرائر إلا حسدنها، وقيل فيها، وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول الله ﷺ، فاستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل، فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه، قال: أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت.

ولقد جاء رسول الله ﷺ بيبي فسأل عني خادمتي فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً، إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها، أو عجينها، وانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقني رسول الله ﷺ، حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أثنى قط. قالت عائشة: فقتل شهيداً في سبيل الله. قالت: وأصبح أبوأي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله ﷺ وقد صلى العصر، ثم دخل وقد اكتنفي أبوأي عن يميني وعن شمالي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، يا عائشة إن كنت قارفت سوء، أو ظلمت، فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة من عباده. قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، فهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً، فوعظ رسول الله ﷺ فالتفت إلى أبي، فقلت: أجه، قال: فماذا أقول، فالتفت إلى أمي، فقلت: أجيبي، فقالت: أقول ماذا، فلما لم يجيباه، تشهدت فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد، فوالله لئن قلت لكم إنني لم أفعل، والله عز وجل يشهد إنني لصادقة، ما ذاك بنافعي عندكم، لقد تكلمتم به

وأشربته قلوبكم، وإن قلت: إني فعلت، والله يعلم أنني لم أفعل، لتقولن قد باءت به على نفسها، وإني والله ما أجد لي و لكم مثلاً، والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه، إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. وأنزل على رسول الله ﷺ من ساعته، فسكتنا، فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك. قالت: وكنت أشد ما كنت غضبا، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحده ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه.

وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمزة فهلكت فيمن هلك، وكان الذي يتكلم فيه مسطح، وحسان بن ثابت، والمنافق عبد الله بن أبي، وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمزة، قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم... إلى آخر الآية يعني أبا بكر... والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين - يعني مسطحاً - إلى قوله... ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾. حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

ش: مضى شرحه ضمن الباب الرابع والأربعين ومائتين وفيه ههنا أربع

مسائل:

الأولى: قوله «وقام رجل من بني الخزرج» في رواية الزهري «فقام سعد بن

عبادة وهو سيد الخزرج».

الثانية: قوله «والله ما كشفت كنف أنثى قط» بفتح الكاف والنون أي

ثوبها يريد ما جامعها في حرام.

الثالثة: قوله «بنافعة أهدأ» في المصباح النفع الخير وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه يقال نفعني كذا ينفعني نفعاً... وانتفعت بالشيء ونفعني الله به، والمنفعة اسم منه.

قلت: فعلى هذا يكون أبو بكر رضي الله عنه قد حلف على أن لا يصيب مسطحاً منه أي خير من نفقة وغيره.

الرابعة: قوله «وعاد له بما كان يصنع» في رواية الزهري «فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.

٢٥١- [باب ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾].

ش/ قلت الآية: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾.

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييزا لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرشدة كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدوا ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ الآية. اهـ من ابن كثير.

وقال ابن جرير: وقوله ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿للمؤمنات﴾ من أمتك ﴿يغضضن من أبصارهن﴾ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه ﴿ويحفظن فروجهن﴾ يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم. اهـ

وقوله تعالى ﴿ولا يبدین زینتهن﴾ يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية، والزينة زينتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلاخل والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي

النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. وقوله تعالى ﴿إلا ما ظهر منها﴾.

واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناهما الله تعالى.

قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان.

وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل

مسجد﴾ وأراد بها الثياب.

وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في

الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة

وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر وإنما رخص في هذا القدر أن تبديه

المرأة من بدنهما؛ لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنهما عورة

يلزمها ستره. اهـ من البغوي.

قوله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ يقول تعالى ذكره: وليلقين

خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن

وقوله ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿ولا يبدين

زينتهن﴾ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك كالخلخال والقرط والدمالج

وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيض لها كشفه وإبرازه

في الصلاة وللأجنيين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك ﴿إلا لبعولتهن﴾ يقول

تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست

بالظاهرة، إلا لبعولتهن وهم أزواجهن، واحدهم بعل، ﴿أو لأبائهن، أو لأبائ

بعولتهن﴾ يقول: أو لأبائ أزواجهن أو لأبنائهن أو لأبنائهن أو لإخوانهن أو

لبنّي إخوانهن ويعني بقوله ﴿أو لإخوانهن﴾ أو لأخواتهن أو بني إخوانهن أو بني

أخواتهن أو نسائهن قيل عنى بذلك نساء المسلمين.

وقوله ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ يقول تعالى ذكره:

والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا

حاجة به إليهن، ولا يريدن. اهـ من ابن جرير.

وقال ابن كثير: «وقوله ﴿أَوِ الْبُطْحَانَ﴾ أي أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء» يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرحيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسنة فلا يمكن من الدخول على النساء.

وقوله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ﴾ من زينتهن» كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت - لا يسمع صوتها - ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجل طنينه، فهي الله المؤمنات عن مثل ذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ﴾ ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها». اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم، من غض البصر وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ يقول: لتفلحوا وتدرخوا طلباتكم لديه إذا أنتم أطمعتموه فيما أمركم ونهاكم. اهـ من ابن جرير.

٢٧٧- وقال أحمد بن شبيب، حدثنا أبي، عن يونس، قال ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

٢٧٨- حدثنا أبو نعيم، حدثنا إبراهيم بن نافع^(١)، عن الحسن بن مسلم^(٢)، عن صفية بنت شيبة^(٣) أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «يرحم الله نساء المهاجرات» فيه دعاء يتضمن المدح والثناء على أولئك النسوة بسرعة امتثالهن أمر الله ونهيه في الآية.

وقوله «نساء المهاجرات» من إضافة الموصوف إلى صفته أي النساء المهاجرات مثل هذا دين الحق أي الدين الحق، وكقولهم شجر الأراك أي الشجر الأراك.

الثانية: قوله «الأول» بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى، أي السابقات إلى الهجرة والإسلام.

الثالثة: قوله «مروطهن» جمع مرط قال في المصباح: وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتلفع المرأة به. وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن».

قال أهل العلم: متلفعات أي متلففات. والمروط أكسية يمنة غليظة.

الرابعة: قوله «فاختمرن بها» أي غطين وجوههن وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التفع.

(١) هو إبراهيم بن نافع المخزومي المكي ثقة حافظ من السابعة. ع.

(٢) هو الحسن بن مسلم بن يناق المكي، ثقة من الخامسة ومات قديماً بعد المائة بقليل. خ. م. د. س. ق.

(٣) هي صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية، لها رؤية، وحدثت عن عائشة وغيرها من الصحابة، وفي البخاري التصريح بسماها من النبي ﷺ. ع.

قال الفراء في معاني القرآن (٢/٢٤٩): «وذلك أن نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من ورائهن فينكشف ما قدامها، فأمرنا بالاستتار».

الخامسة: قوله «أخذن أزوهن» هكذا وقع عند المصنف الفاعل ضميراً وهو نون النسوة كما ترى. وأخرجه النسائي في تفسير الآية من رواية ابن المبارك بلفظ «أخذن النساء» وأخرجه الحاكم في التفسير من المستدرک سورة النور من طريق زيد بن الحباب بلفظ «أخذن نساء الأنصار» وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية ما يوضح ذلك ولفظه «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن لنساء قريش لفضلاً، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور عليهن ما أنزل فيها ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن علي رؤوسهن الغربان».

ويمكن الجمع بين الروایتين بأن كلا من المهاجرات والأنصاريات بادرن إلى سرعة الاختمار وتغطية الوجوه امتثالاً لهذه الآية ولكن كان نساء الأنصار أسرع إلى المبادرة.

آخر تفسير سورة النور والحمد لله.

سورة الفرقان

٢٥٢- سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرئها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرئها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله ﷺ: أرسله. اقرآن هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال: اقرآن يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه. متفق عليه.

وهي مكية كلها في قول الجمهور. آياتها سبع وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عباس ﴿هباء منشورا﴾ ما تسفي به الريح].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس بلفظ: «ما تسفي الريح وتبته». وأخرجه أيضاً عن قتادة وابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال عنده في الآية. وثانيها: أنه الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوه وهو قول عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: أنه الماء المهراق وبه قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة عنه.

والذي اختاره ابن جرير من هذه الأقوال هو الثاني.

والآية المشار إليها: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾.

٢- [﴿مَدَّ الظِّلُّ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس فذكراه.

وأخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

٣- [﴿ساكناً﴾ دائماً].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن زيد.

٤- [﴿عليه دليلاً﴾ طلوع الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.

وبه قال مجاهد وابن زيد أخرجه عنهما ابن جرير.
والآية المشار إليها بالكلمات الثلاث: ﴿الم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو
شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾.
٥- [﴿خلفه﴾ من فاته من الليل عملٌ أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار
أدركه بالليل].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح، عن
معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس.
وأخرجه ابن جرير عن عمر بن الخطاب والحسن وهو أحد ثلاثة أقوال
عنده في الآية.

ثانيها: أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً صاحبه فجعل هذا أسود وهذا
أبيض وهو قول مجاهد.

وثالثها: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا
جاء هذا ذهب هذا، وبه قال مجاهد في رواية قيس عنه، وابن زيد.
والآية المشار إليها: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن
يذكر أو أراد شكوراً﴾.

٦- [وقال الحسن ﴿هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ في طاعة
الله وما شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبَه في طاعة الله].

ش: وصله سعيد بن منصور: ثنا جرير بن حازم سمعت الحسن وسأله رجل
عن قوله ﴿هب لنا من أزواجنا﴾ ما القرة في الدنيا أم في الآخرة قال بل في الدنيا
هي والله أن يرى العبد من ولده في طاعة الله.

وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب "البر والصلة" عن حزم القطعي، عن
الحسن وسمى الرجل السائل كثير بن زياد.

وفي رواية سعيد بن منصور «أن يرى حميمه» حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير: ثني أحمد بن المقدم، ثنا حزم، سمعت كثيراً
سأل الحسن قال: يا أبا سعيد قول الله ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ﴾ في الدنيا والآخرة قال: لا بل في الدنيا قال: وما ذاك؟ قال المؤمن يرى
زوجته وولده يطيعون الله. وأخرج عن ابن عباس قال: من يعمل لك بالطاعة،
فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة. وأخرج عن ابن الحضرمي وابن جريج وابن زيد
نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

٧- [وقال ابن عباس ﴿ثبورا﴾ ويلا].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، عن معاوية بن
صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.
وهو أحد قولين حكاهما في الآية.
وثانيهما: أنه الهلاك وبه قال الضحاك.

قال ابن جرير بعد حكايته القولين: والثبور في كلام العرب أصله انصراف
الرجل عن الشيء يقال منه: ما ترك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في
هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرفهم عن طاعة الله في الدنيا
والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل:
واندمتاه واخسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وكان بعض أهل المعرفة بكلام
العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي هلكة ويقول
هو مصدر من ثر الرجل أي هلك ويستشهد لقيه في ذلك بيت ابن الزبيري:

إذا أجازي الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبورا

والآية المشار إليها: ﴿وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَنِينَ دَعَا هُنَالِكَ

ثُبُورًا﴾.

٨- [وقال غيره: السعير مذكر، والتسعر الاضطرام التوقد الشديد].

ش: قال أبو عبيدة: والسعير مذكر، وهو ما تسعر من سعار النار.
والآية المشار إليها: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾.

٩- [﴿تملى عليه﴾ تقرأ عليه، من أمليت وأملت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهي في موضع آخر أمملت عليه.
وقول المصنف أمملت يشير إلى قوله من سورة البقرة ﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾.

والآية المشار إليها هنا: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾.

١٠- [﴿الرس﴾ المعدن جمعه رساس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال النابغة الجعدي:

سبقت إلى فرط ناهل تنابلة يحفرون الرساسا

والرساس المعدن. اهـ.

قلت: وفي الآية أربعة أقوال.

أحدها: أنهم أصحاب الرس من ثمود وهو قول ابن عباس.

وثانيها: أنها قرية من اليمامة يقال لها الفلج وبه قال قتادة وعكرمة.

وثالثها: أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر وهو قول عكرمة في الرواية الثانية

عنه.

ورابعها: أنها بئر كانت تسمى الرس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية

عنه ومجاهد.

وهذا الأخير هو اختيار ابن جرير.

والآية المشار إليها: ﴿وَعَادُوا ثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

١١- ﴿مَا يَعْبا﴾ يقال ما عبأت به شيئاً أي لم تعتد به.

ش: قال أبو عبيدة: ومنه قولهم ما عبأت بك شيئاً أي ما عددتك شيئاً.

والآية المشار إليها: ﴿قُلْ مَا يَعْبُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَامَا﴾.

١٢- ﴿غَرَامَا﴾ هلاكاً.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ولزأما لهم ومنه رجل مغرم بالحب حب النساء من الغرم والدين قال الأعشى:

إن يعاقب بكن غراما وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي

والآية المشار إليها: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

١٣- [وقال مجاهد] ﴿وَعَتُوا﴾ طغوا].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال طغوا. ذكره الحافظ.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال التجير، والمعنى واحد.

والآية المشار إليها: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عَتْوًا كَبِيرًا﴾.

١٤- [وقال ابن عيينة: ﴿عَاتِيَةٌ﴾ عتت عن الخزان].

ش: كذا في تفسيره وهذه الكلمة هي من الآية السادسة من سورة الحاقة وإنما ذكرها استطراداً.

٢٥٣- [باب قوله ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً﴾].

ش: يخبر تعالى عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات. ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلاً﴾ ومعنى يحشرون على وجوههم: يسحبون عليها إلى جهنم ﴿أولئك شر مكانا﴾ أي منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ وأخطأ طريقاً، وذلك لأنهم قد صاروا في النار.

٢٧٩- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يونس بن محمد البغدادي^(١)، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «أن رجلاً» لم نقف له على تسمية.

الثانية: قوله «يا نبي الله» وعند مسلم باب يحشر الكافر على وجهه من كتاب صفة المنافقين برواية زهير وعبد بن حميد «يا رسول الله». قلت: وهذا ما اعتاده أصحابه عليه السلام معه، يخاطبونه بالنبوة والرسالة ولم يعهد منهم مخاطبته باسمه، وهذا غاية في تأديبهم معه.

الثالثة: قوله «كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة» وكذا عند مسلم، وعند المصنف في الرقاق باب كيف الحشر «يحشر الكافر على وجهه» بحذف الاستفهام، ولقطة يوم القيامة. ولا غرابة فإن ذلك جائز في العربية. قال في الألفية:

(١) هو أبو محمد يونس بن محمد بن مسلم البغدادي، المؤدب، ثقة ثبت، من صغار التاسعة. مات سنة سبع ومائتين. ع.

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عرف

وعند الحاكم في تفسير سورة الفرقان من رواية أبي داود السبيعي عن أنس

«كيف يحشر أهل النار».

الرابعة: قوله «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن

يمشيه على وجهه يوم القيامة» وكذا في الرقاق وعند مسلم «على رجله». وعند

الحاكم «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»

وفي حديث أبي هريرة عند ابن جرير «يحشر الناس على ثلاثة أصناف، صنف

على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم. فقليل فكيف يمشون

على وجوههم» الحديث.

قلت: ولا منافاة بين هذه الأحاديث فيمكن الجمع بينها بأن المقربين

يحشرون ركباناً ومن عداهم من المسلمين على أرجلهم والكفار على وجوههم.

الخامسة: قوله «قال قتادة... الخ» قال الحافظ وغيره: هذه الزيادة موصولة

بالإسناد المذكور.

قلت: ويظهر من هذا أن قائل «قال قتادة» هو شيبان راوية قتادة ومعناها

التصديق لقوله ﷺ: «أليس الذي أمشاه... الخ».

تنبيه:

أخرج هذا الحديث النسائي: أنا الحسين بن منصور نا حسين بن محمد، عن

شيبان، عن قتادة، عن أنس: أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الناس على

وجوههم» الحديث.

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري لكن لم أجد هذا الحرف

فيما وقفت عليه عن أصحاب شيبان إلا برواية الحسين بن محمد راويه، فأخشى

أن تكون شاذة.

٢٥٤- [باب قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾].
 ش: يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر، فيشركون في عبادتهم إياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ قتلها ﴿إلا بالحق﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها أو زنا بعد إحصانها أو قتل نفس فتقتل بها. ﴿ولا يزنون﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج. ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يقول ومن يأت هذه الأفعال فدعا مع الله إلهاً آخر، وقاتل النفس التي حرم الله بغير حق، وزنى ﴿يلق أثاماً﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا.

[أثاماً: العقوبة].

ش: كذا قاله أبو عبيدة.

٢٨٠- حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني منصور وسليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسرة، عن عبد الله قال: وحدثني واصل^(١)، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت أو سئل رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك» قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾.

(١) هو واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، ثقة ثبت من السادسة مات سنة عشرين ومائة. ع.

٢٨١- حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة^(١): أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ فقراءت عليه: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ فقال سعيد: قراءتها على ابن عباس كما قراءتها عليّ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء.

٢٨٢- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

٢٨٣- حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا منصور، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿فجزأوه جهنم﴾ قال: لا توبة له، وعن قوله جل ذكره ﴿ولا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ قال كانت هذه في الجاهلية.

ش: فيها خمس مسائل:

الأولى: قوله «ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ» والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» الآية فيه التصريح بأن رسول الله ﷺ وافق في جوابه الوحي وهذا دليل على أن تلك الأمور المذكورة في الحديث هي أعظم الذنوب.

الثانية: قوله «هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة» في رواية منصور عن سعيد بن جبير في آخر الباب «قال: لا توبة له».

الثالثة: قوله «قراءتها على ابن عباس» في الرواية التي بعدها من طريق المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير: «اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت فيه إلى ابن عباس».

(١) هو القاسم بن أبي بزة المكي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة مات سنة خمس عشرة ومائة وقيل قبلها. ع.

الرابعة: قوله «هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء» يعني آية الفرقان نسختها آية مدنية التي في سورة النساء يعني قوله ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا﴾ الآية.

قال الحافظ: «وروى ابن مردويه من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر».

الخامسة: قوله «اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن» يعني عمداً. كذا وقع هنا مختصراً ووقع في باب ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا﴾ من سورة النساء أتم قال: «آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء». وأخرجه مسلم في التفسير من طرق عن شعبة بلفظ: «اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ﴾ فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: لقد أنزلت آخر ما أنزل ثم ما نسخها شيء». وقد بينها في رواية منصور التالية عن سعيد بن جبير: «سألت ابن عباس عن قوله ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ﴾ فقال: لا توبة له، وعن قوله: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال: كانت هذه في الجاهلية». ويأتي في الباب السادس والخمسين بعد المائتين أوضح ولفظه: أمرني عبد الرحمن بن أبزي أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال: نزلت في أهل الشرك».

٢٥٥- [باب ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه

مهانا﴾].

ش: قوله ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ أي يكرر عليه ويغلظ
﴿ويخلد فيه مهانا﴾ أي حقيراً ذليلاً.

٢٨٤- حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن منصور، عن سعيد بن
جبير قال: قال ابن أبيزى^(١): سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً
متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ وقوله: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق -
حتى بلغ - إلا من تاب﴾ فسأله فقال: لما نزلت قال أهل مكة فقد عدلنا بالله
وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وأتيننا الفواحش فأنزل الله: ﴿إلا من
تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً - إلى قوله - غفوراً رحيماً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «سئل ابن عباس» كذا في رواية أبي ذر بصيغة الفعل الماضي،
ومثله للنسفي، وهو يقتضي أنه من رواية سعيد بن جبير عن ابن أبيزى عن ابن
عباس وفي رواية الأصيلي «سل» بصيغة الأمر وهو المعتمد، ويدل عليه قوله بعد
سياق الآيتين «فسأله» فإنه واضح في جواب قوله «سل» قاله في الفتح.

قلت: ويأتي في الباب الذي يليه عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد
الرحمن بن أبيزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿ومن يقتل مؤمناً
متعمداً﴾ فسأله فقال: لم ينسخها شيء وعن ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً
آخر﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.

(١) هو عبد الرحمن بن أبيزى الخزاعي مولاهم، صحابي صغير وكان في عهد عمر رجلاً وكان على
خرسان لعلي. ع.

ويمكن الجمع بينهما بأن سؤال ابن عباس وقع أولاً من سعيد بن جبير بأمر من عبد الرحمن ثم وقع ثانياً من عبد الرحمن نفسه، والله أعلم.

الثانية: قوله «قال أهل مكة» لم أقف على تسمية القائل وعند مسلم فقال المشركون وما يغني عنا الإسلام...» الحديث.

الثالثة: قوله «عدلنا بالله» أي أشركنا به غيره وفي التنزيل الكريم ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي يشركون.

٢٥٦- [باب ﴿إِلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾].

ش: قوله ﴿إِلا من تاب﴾ يقول إِلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله، ﴿وآمن﴾ يقول: وصدق بما جاء به محمد نبي الله ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه.

وفي قوله ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ قولان لأهل العلم:

أحدهما: بمعنى فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام وبه قال ابن عباس، وابن زيد، وهذا هو الذي رجحه ابن جرير.

وثانيهما: أنه بمعنى فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب.

قوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا من عظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح وهو حقيقة التوبة قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت، وفرحه بنزول ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾». انتهى من بدائع التفسير.

٢٨٥- حدثنا عبدان، أخبرنا أبي، عن شعبة، عن منصور، عن سعيد بن جبیر قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين

﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ قال: نزلت في أهل الشرك.
ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «أمرني عبد الرحمن بن أبزي أن أسأل ابن عباس» وكذا عند مسلم من رواية منصور وعنده من رواية ابن جريج: حدثني القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق...﴾ إلى آخر الآية. قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً﴾. وعند المصنف في فضائل الصحابة من رواية الحكم عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبد الرحمن بن أبزي قال: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ فسأل ابن عباس فقال: لما أنزلت التي في الفرقان...» الحديث.

الثانية: قوله «لم ينسخها شيء» روى أحمد وابن جرير من طريق يحيى الجاري والنسائي وابن ماجه من طريق عمار الذهبي كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعدما كف بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: جزاؤه جهنم خالداً فيها» وساق الآية إلى عظيمًا. قال: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له التوبة والهدى».

فائدة:

قال الحافظ: «وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفاً، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم السني في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه.

قال مقيده: وهذا توجيه جيد تتألف به الروايات ويزول ما يظن بينها من تعارض، ويظهر المقصود منها لذي البصيرة.

قال النووي (١٨/١٥٩): «هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل والتورية في المنع منه وليس في هذه الآية التي احتج بها ابن عباس تصريح بأنه يخلد وإنما فيها أنه جزاؤه ولا يلزم منه أنه يجازى».

قال مقيده: ويؤيد قبول توبة قاتل المؤمن عمداً أمران:

أولهما: آيات الفرقان المتقدمة وذلك أن الحق جل ثناؤه ظمها عقوبة المشرك والقاتل والزاني استثنى التائب فقال: ﴿إلا من تاب﴾ الآية. ولا صارف لهذا النص عن ظاهره الذي هو العموم فيما نعلم.

وثانيهما: ما رواه الشيخان: «فيمن قتل مائة نفس أنه سأل عن أعلم أهل

الأرض فدل على رجل عالم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم

ومن يحول بينه وبين التوبة». فإنه نص صريح في المسألة ولا يصرفه عن ظاهره إلا نص مثله أو إجماع.

وعلى هذا فيحمل قول ابن عباس وما ماثله على التعليل والزجر وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

الثالثة: قوله «نزلت في أهل الشرك» في الفضائل برواية الحكم عن سعيد بن جبير: «لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركوا أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلها آخر، وقد أتينا الفواحش فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن﴾ الآية. فهذه لأولئك».

٢٥٧- [باب ﴿فسوف يكون لزاماً﴾].

ش: قلت الآية: ﴿قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾.

قوله ﴿قل ما يعبؤ بكم ربي﴾ أي لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويسبحوه بكرة وأصيلاً.

وقوله ﴿فقد كذبتم﴾ أي أيها الكافرون ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم، يعني مقتضياً لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر.

واعلم أن أهل العلم قد اختلفوا في معنى قوله ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ على ثلاثة أقوال حكاهما ابن جرير وهي:

أولاً: بمعنى عذاباً لكم ملازماً ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وبه قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة وإبراهيم ومجاهد والضحاك.

وثانياً: بمعنى القتال وهو قول ابن زيد.

وثالثاً: الموت وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

[لزاماً: هلكه].

ش: قال أبو عبيدة: أي جزاءً وهو الفيصل وله موضع آخر فسوف يكون هلاكاً. قال أبو ذؤيب:

ففاجئته بعادية لزام كمن يتفجر الحوض اللقيف

الحوض اللقيف الذي قد تهدمت حجارته سقط بعضها على بعض. أهـ

٢٨٦- حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: خمسٌ قد مضين، الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللزام، فسوف يكون لزاماً.

يأتي في تفسير سورة الروم ضمن الباب السادس والستين بعد المائتين.

آخر تفسير سورة الفرقان والله الحمد والمنة.

سورة الشعراء

٢٥٨ - سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ﴾ وهي مكة

عند الجمهور وآياتها سبع وعشرون ومائتا آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿تعبثون﴾ تبنون].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين عن المقدسي عن أسيد بن حبيب عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فذكره. وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك بلفظ تلعبون. قلت: وهو الموافق لظاهر الآية، وعليه مشى ابن جرير في تفسيره.

والآية المشار إليها ﴿تبنون بكل ربيع آية تعبثون﴾.

٢ - [﴿هضم﴾ يتفتت إذا مُسّ].

ش: أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم: حدثنا الحبيب بن الحبيب عن إبراهيم بن عبد الله عن ابن جريج عن مجاهد، وأخرجه ابن جرير: حدثنا القاسم، ثنا الحبيب: ثني حجاج عن ابن جريج: سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهد يقول في قوله ﴿ونخل طلعتها هضم﴾ حيث تطلع يفيض عليه فيهضمه، قال ابن جرير قال مجاهد: إذا مس تهشم و تفتت).

والآية المشار إليها: ﴿وزروع ونخل طلعتها هضم﴾.

٣ - [﴿مسحّرين﴾ المسحورين].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وأخرجه ابن جرير عن قتادة

والآية المشار إليها: ﴿قالوا إنما أنت من المسحّرين﴾.

٤ - [﴿ليكة﴾ والأيكة جمع أيكه وهي جمع الشجر].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ كذا قرأها وهي قراءة أهل مكة ابن كثير وغيره وأما الشطر الثاني فقال أبو عبيدة: جمعها أيك وهي جماع الشجر

والآية المشار إليها: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾.

٥ - ﴿يَوْمِ الظَّلَّةِ﴾ إِظْلَالُ الْعَذَابِ إِيَاهُمْ].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث؛ ثنا الحبيب: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأخرجه عن ابن عباس والضحاك وابن زيد.

وأخرج عن ابن عباس في صفته قال: بعث الله عليهم ومرة وحرراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأضلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم ناراً.

والآية المشار إليها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ﴾، إنه كان

عذاب يوم عظيم ﴿

٦ - ﴿مُوزُونٌ﴾ معلوم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحبيب: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بلفظ مقدر بقدر

والكلمة من الآية التاسعة عشرة من سورة الحجر ولعلها وقعت هنا سهواً

من بعض النساخ والله أعلم

٧ - ﴿كَالطُّودِ﴾ الجبل].

ش: كذا وقع وقد وجدته عند ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أبي صالح: حدثني

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الحافظ وقع هذا لأبي ذر منسوباً إلى ابن عباس، ولغيره منسوباً إلى مجاهد والأول أظهر.

والآية المشار إليها ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾.

٨ - [وقال غيره: ﴿لشردمة﴾ طائفة قليلة].

ش: قال أبو عبيدة: (أي طائفة وكل بقية قليلة فهي شردمة قال: يحذين في شرادم النعال.

أي قطع النعال وبقاياها، وهي هاهنا في موقع الجماعات ألا ترى أنه قال شردمة قليلون) اهـ.

والآية المشار إليها ﴿إن هؤلاء لشردمة قليلون﴾.

٩ - ﴿في الساجدين﴾ المصلين].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وتقبلك في الساجدين﴾.

١٠ - [قال ابن عباس: ﴿لعلكم تخلصون﴾ كأنكم].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وقال الفراء: معناه كيما تخلصوا.

قلت: وظاهر الآية صالح لكلا المعنيين.

والآية المشار إليها ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلصون﴾.

١١ - ﴿الربع﴾ الأيفاع من الأرض وجمعه ربيعة وأرياع واحده ربيعة].

ش: قال أبو عبيدة: (وهو الارتفاع من الأرض والطريق والجميع أرياع وربعة قال ذو الرمة:

طراق الخوافي مشرف فوق ربيعة ندى ليله في ريشة يتزفرق

وقال الشماخ:

تعن ليه بمذنب كل واد إذا ما الغيث أخضل كل ريع

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الأول.

١٢ - ﴿مصانع﴾ كل بناءٍ فهو مصنعة].

ش: قاله أبو عبيدة.

وقال مجاهد هي القصور المشيدة، وقال قتادة هي مأخذ للماء أخرج هذين القولين ابن جرير واختار تفسير أبي عبيدة لجمعه القولين كما ترى. وتقدمت الآية في الأثر الأول.

١٣ - ﴿فرهين﴾ مرحين ﴿فارهمين﴾ بمعناه، ويقال: «فارهمين» حاذقين].

ش: قال أبو عبيدة أي حاذقين وقال آخرون فارهمين أي مرحين. وقال

عدي بن وداع العقوي من العقاة بن عمرو بن مالك ابن فهم من الأزد:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ولن تراني بخير فاره اللب

أي مدح اللب ويجوز فرهين في معنى فارهمين اهـ.

وقال مكِّي قرأه الكوفيون وابن عامر بألف على معنى حاذقين، وقرأ الباقر

بغير ألف على معنى أشرين أي بطرين، وكلا القراءتين حسن محتمل.

والآية المشار إليها ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين﴾.

١٤ - ﴿تعثوا﴾ هو أشد الفساد، وعاث يعيث عيثاً].

قال أبو عبيدة: يقال عثيت تعثي عثواً، وهي أشد الفساد والخراب.

والآية المشار إليها ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض

مفسدين﴾.

١٥ - ﴿الجبيلة﴾ الخلق. جبل: خلق، ومنه جبلاً وجبلاً، وجبلاً يعني

الخلق قاله ابن عباس].

ش: قال الحافظ: كذا لأبي ذر وليس عند غيره قال ابن عباس، وهو أولى

فإن هذا كله كلام أبي عبيدة قال في قوله ﴿والجبيلة الأولين﴾ أي الخلق هو من

جبل على كذا أي تخلق. اهـ.

قلت: والذي أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح ثني معارفة عن علي
عن ابن عباس قوله ﴿والجبلة الأولين﴾ يقول: خلق الأولين.
والآية المشار إليها: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾.

٢٥٩ - [باب: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾]

ش: يقول: ولا تذلي بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف

القيامة. اهـ من ابن جرير.

٢٨٩ - وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي

سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: «إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة

والقفرة» الغبرة هي القفرة.

٢٩٠ - حدثنا إسماعيل: حدثنا أخي^(١) عن ابن أبي ذئب عن سعيد

المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول

الله: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «وقال إبراهيم بن طهمان... الخ» وصله النسائي في تفسير

الشعراء عن أحمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان وساق

الحديث بتمامه.

الثانية: قوله «عن سعيد المقبري عن أبي هريرة» كذا قال إسماعيل ابن أبي

أويس، وأورد البخاري هذه الطريق معتمدا عليها وأشار إلى الطريق الأخرى في

الحديث الأول التي زيد فيها بين سعيد وأبي هريرة رجل فذكرها معلقة، وسعيد

قد سمع من أبي هريرة وسمع من أبيه عن أبي هريرة، فلعل هذا مما سمعه من أبيه

عن أبي هريرة ثم سمعه من أبي هريرة، أو سمعه من أبي هريرة مختصراً ومن أبيه

عنه تاماً، أو سمعه من أبي هريرة ثم ثبت فيه أبوه، وكل ذلك لا يقدر في صحة

(١) هو أبو بكر عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي مشهور بكنيته

إلى أبيه ثقة من التاسعة، مات سنة اثنتين ومائتين وخمسة، د، ت، س.

الحديث. وقد وجد للحديث أصل عن أبي هريرة من هذا الوجه أخرجه الحاكم في التفسير من المستدرک (٢ / ٢٣٨).

الثالثة: قوله «إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة وعليه الغبرة والقفرة، والغبرة هي القفرة» كذا أورده مختصراً، وعند المصنف في الأنبياء باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً وألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك، وعند النسائي في التفسير " وعليه الغبرة والقفرة، فقال له: قد نهيتك عن هذا فعصيتني، قال: لكني لا أعصيك اليوم " الحديث، فعرف من هذا أن قوله والغبرة هي القفرة من كلام المصنف وأخذه من كلام أبي عبيدة وأنه قال في تفسير سورة يونس ﴿ولا يرهق وجوههم قفراً ولا ذللاً﴾ القفر الغبار، أنشد الأخطل:

يعلو القناطر بينها ويهدمها مسوماً حوقة الرايات والقفر

قال الحافظ: قال ابن التين: وعلى هذا فقوله في سورة عبس ﴿غبرة ترهقها قفرة﴾ تأكيد لفظي، كأنه قال غبرة فوقها غبرة.

الرابعة: قوله: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين» هكذا أورده هنا مختصراً وأورده في أحاديث الأنبياء وتامه "ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطيخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار. قلت والذبيخ هو ذكر الضباع والأنتى ذبيخه وأراد بالتلطيخ التلطيخ برجيعه أو بالطين. وهذا موافق لظاهر قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر.. الآية﴾ ونسبته هو آزر واسمه شارخ بن ناحور بن شاروخ بن راغوء بن فالخ بن عبيد ويقال عابد بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح.

الخامسة: قوله «وعلى وجه آزر قفرة وغبرة» هذا موافق لظاهر القرآن ﴿وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة﴾ أي يغشاهما قفرة فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب والقفرة السواد الكائن عن الكآبة.

السادسة: قوله «فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك» في رواية إبراهيم بن طهمان عند النسائي في التفسير فقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني قال: لكني لا أعصيك واحدة "

السابعة: قوله «فيقول يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يعثون»، زاد في الأنبياء (فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) ووصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أيه وقيل الأبعد صفة أيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد وقيل الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمان عند النسائي "وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد".

الثامنة: "قوله «فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين» في حديث أبي سعيد "فينادي: أن الجنة لا يدخلها مشرك".

٢٦٠- [باب ﴿وانذر عشيرتک الأقربین و اخفض جناحک﴾]

ش: تمام السياق ﴿لمن اتبعك من المؤمنین، فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون﴾.

يقول جل ثناؤه لنبیه محمد ﷺ: وانذر عشیرتک من قومک الأقربین إلیک قرابة وحذرهم من عذابنا أن ینزل بهم لکفرهم "ا.هـ من ابن جریر قلت: وخص الأقربین لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدایتهم إلی الحق أقدم. وقوله ﴿واخفض جناحک... الخ﴾، أمره أن یلین جانبیه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنین، ومن عصاه من خلق الله کائناً من کان فلیتبرأ منه ولهذا قال: ﴿فإن عصوک فقل إني برئ مما تعملون﴾ وهذه النذارة الخاصة لا تنافی العامة بل هی فرد من أجزائها کما قال: ﴿وانذر به الذین یخافون أن یحشروا إلی ربهم﴾ وقال: ﴿لتبشر به المتقین وتنذر به قوماً لدا﴾ وقال: ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ کما قال ﴿ومن یکفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾.

من فقه الآيتين

أولاً: مشروعیة البدء فی الدعوة بالأقربین وأنهم أولى من غیرهم.
ثانياً: علی الداعية إلی الله علی بصیرة لین الجانب لإخوانه من أهل الإیمان والتواضع لهم.

ثالثاً: البراءة من الشرك و أهله.

[﴿واخفض جناحک﴾: ألن جانبک]

ش: قاله أبو عبیده وزاد وکلامک.

٢٩١- حدثنا عمر بن حفص بن غیاث حدثنا الأعمش حدثني عمرو بن

مرة عن سعید ابن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "لما نزلت ﴿وانذر عشیرتک الأقربین﴾ صعد النبي ﷺ علی الصفا فجعل ینادی: یا بني فھر، یا بني عدي - لبطون قريش - حتی اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم یستطع أن یخرج

أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو هب وقريش، فقال: أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو هب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي هب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾

٢٩٢ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله ﴿وأنذر عشيرتک الأقربین﴾ قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا صفية عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً."

تابعه أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب.

ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: أن هذين الحديثين من مراسيل الصحابة وحكمه حكم الموصول على الراجح.

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

"أما الذي أرسله الصحابي فحكمه الوصل على الصواب"

وقال في الشرح: أي أما مراسيل الصحابة فحكمها حكم الموصول قال ابن الصلاح: ثم إننا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعه منه لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة

والجهالة بالصحابة غير قاذحة لأن الصحابة كلهم عدول، قلت: قوله لأن روايتهم عن الصحابة فيه نظر والصواب أن يقال لأن غالب روايتهم إذ قد سمع جماعة من الصحابة بعض التابعين" إ.هـ.

قلت: والظاهر من حالهم أنهم لا يروون إلا عن تابعي عدل.

الثانية: قوله «لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾» زاد في تفسير تبت

من رواية أبي أسامة عن الأعمش بهذا السند "ورھطك منهم المخلصين" وهذه الزيادة وصلها ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه كان يقرؤها كذلك، قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن، والجواب عن ذلك أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن، ثم عطف عليه الرھط المخلصين تنويهاً بهم وتأكيذاً، قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «فجعل ينادي: يا بني فھر، يا بني عدي، لبطون قريش» في

حديث أبي هريرة قال: "يا معشر قريش، أو كلمة نحوها" قال الحافظ: ووقع عند البلاذري من وجه آخر عن ابن عباس أبين من هذا ولفظه "فقال: يا بني فھر، فاجتمعوا. ثم قال: يا بني غالب، فرجع بنو محارب والحارث ابنا فھر. فقال: يا بني لؤي، فرجع بنو الأدرم بن غالب. فقال: يا آل كعب، فرجع بنو عدي وسهم وجمح فقال: يا آل كلاب، فرجع بنو مخزوم وتيم. فقال: يا آل قصي، فرجع بنو زهرة، فقال: يا آل عبد مناف، فرجع بنو عبد الدار وعبد العزی. فقال له أبو لهب: هؤلاء بنو عبد مناف عندك" حكاه في الفتح.

الرابعة: قوله «أرأيتمكم لو أخبرتكم... الخ» أراد بذلك تقريرهم بأنهم

يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب. ووقع في حديث علي "ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة".

الخامسة: قوله «كنتم مصدقي» بتشديد التحتانية. وقوله (قال فياني نذير لكم) أي منذر. ووقع في حديث قبيصة بن محارب وزهير بن عمرو عند مسلم باب ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ وأحمد "فجعل ينادي: إنما أنا نذير، وإنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فجعل يهتف: يا صباحاه" يعني يندر قومه. وفي رواية موسى بن وردان عن أبي هريرة عند أحمد قال "أنا النذير، والساعة الموعد" وعند ابن جرير من مرسل قسامة ابن زهير قال "بلغني أنه صلى الله عليه وسلم وضع أصابعه في أذنه ورفع صوته وقال: يا صباحاه، ووصله مرة أخرى عن قسامة عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه الترمذي، موصولاً أيضاً باب ومن سورة الشعراء.

السادسة: قوله فنزلت ﴿تبت يدا أبي هب وتب﴾ في رواية أبي أسامة عند المصنف وابن جرير في تفسير سورة المسد ﴿تبت يدا أبي هب وقد تب﴾ وزاد "هكذا قرأها الأعمش يومئذ". قال الحافظ: وليست هذه القراءة فيما نقل الفراء عن الأعمش، فالذي يظهر أنه قرأها حاكياً لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق "يومئذ" فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك، والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده.

السابعة: قوله «اشترؤا أنفسكم من الله» أي باعتبار تخليصها من النار فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والتمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفى ما عليه من الثمن، وبالله التوفيق.

الثامنة: قوله «يا بني عبد مناف، اشترؤا أنفسكم من الله، يا عباس... الخ» في رواية موسى بن طلحة عن أبي هريرة عند مسلم وأحمد "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب كذلك يا معشر بني هاشم كذلك يا معشر بني عبد المطلب كذلك" الحديث.

التاسعة: قوله «يا صفية عمه رسول الله ﷺ» بنصب عمه، ويجوز في صفية الرفع والنصب وكذا القول في قوله يا فاطمة بنت محمد. قال ابن مالك:

ونحو زيد ضم وافتحن من نحو أزيد بن سعيد لا تهن
قال ابن عقيل: أي إذا كان المنادى مفرداً علماً ووصف بابن مضافاً إلى علم ولم يفصل بين المنادى وبين ابن جاز لك في المنادى وجهان البناء على الضم نحو يا زيد ابن عمرو والفتح إبتاعاً نحو يا زيد بن عمرو. اهـ.
وقوله تابعه أصبغ يعني أن أبا اليمان تابعه أصبغ وقال الحافظ: وصله الذهلي في الزهريات عن أصبغ.

من فقه الحديثين:

أولاً: كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على قومه وحرصه على هدايتهم.
ثانياً: مبادرته صلى الله عليه وسلم إلى إنذارهم فور نزول الآية ألا ترى ابن عباس قال "لما نزلت: وانذر عشيرتك الأقربين"
ثالثاً: في البدء بالقراءة سر وهو أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقریب من العطف والرأفة فيحاييهم في الدعوة والتخويف.
رابعاً: إذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين لأقاربه المؤمنين وغيرهم خصوصاً سيدة العالمين وعمه وعمته وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر إلى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الإعتقاد فيه وفي غيره من الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون ويغنون من عذاب الله تبيين له التوحيد وعرف غربة الدين. فأين هذا من قول صاحب البردة والبرعي واضرابهما من المادحين له حتى بما هو يتبرأ منه ليلاً ونهاراً.

آخر تفسير سورة الشعراء والله الحمد والمنة.

سورة النمل

٢٦١ - سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت غملة

يأيها النمل ادخلوا مسكنكم﴾ الآية.

قال القرطبي: وهي مكية كلها في قول الجميع، وأخرج ابن الضريس

والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة

النمل بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، وآياتها ثلاث وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿الْخَبَاءُ﴾ ما خبأت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد في نفسك أي ما أسررت، وقال ابن جرير: يخرج المخبؤ في السموات والأرض من غيث في السماء والنبات في الأرض ونحو ذلك. وأخرج المعنى عن مجاهد وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿أَلَا يَسْجُدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾.

٢ - ﴿لَا قَبْلَ﴾ لا طاقة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد لهم بها ولا يدين.

والآية المشار إليها ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

٣ - ﴿الصَّرْحُ﴾ كل مِلاطٍ اتَّخَذَ مِنَ الْقَوَارِيرِ، وَالصَّرْحُ الْقَصْرُ،

وجماسته صروح].

ش: قال أبو عبيدة "الصرح" القصر وكان من قوارير قال أبو ذؤيب:

بهن نعام بناها الرجا ل تشبه أعلامهن الصروحا

كل بناء بنيته من حجارة فهو نعامه والجماع نعام وإذا كان من شجر فهو

ثاية اهـ.

والآية المشار إليها ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمْرَدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٤ - [وقال ابن عباس ﴿وهي عرش عظيم﴾ سرير كريم، حُسنُ الصنعة وغلاء الثمن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم: ثنا الحسين: ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بلفظ: سرير كريم قال: حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

والآية المشار إليها: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾.

٥ - [مسلمين] طائعين].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره. وهو أحد قولين عنده في الآية والقول الثاني بمعنى قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله، وبه قال ابن جريج واختار ابن جرير قول ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾.

٦ - [ردف] أقرب].

ش: أخرجه ابن جرير عن الضحاك وأخرج عن مجاهد نحوه. والآية المشار إليها ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾.

٧ - [جامدة] قائمة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: ثابتة، وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾.

٨ - ﴿أَوْزِعْنِي﴾ اجعلني].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة بلفظ "ألهمني" والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.

٩ - [وقال مجاهد ﴿نكروا﴾ غيروا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ غيره، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: تنكيره أن يجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ويزاد فيه أو ينقص منه.

والآية المشار إليها ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾.

١٠ - ﴿وأوتينا العلم﴾ يقوله سليمان].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ سليمان يقوله.

والآية المشار إليها ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك، قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾.

١١ - [الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير البسها إياها].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من الطريق الذي قبله بلفظ "بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير البسها".

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث وكان حق هذا أن يذكر هناك.

آخر تفسير سورة النمل والحمد لله.

سورة القصص

٢٦٢ - سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا

تخف نجوت من القوم الظالمين﴾

وأخرج أحمد عن معد يكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقر أعلينا طسم

المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ، خباب بن

الأرت قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا رضي الله عنه، وهي مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وآياتها ثمان وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [كل شيء هالك إلا وجهه] إلا ملكه. ويقال إلا ما أريد به وجه

الله.

ش: قال مقيده: وبهذه الحكاية يظهر لك أن في الآية قولين أما أولهما: فلم أجد من قال به فيما وقفت عليه؛ نعم قال الحافظ في الكلام على هذا الأثر: (في رواية النسفي وقال معمر فذكره، ومعمر هذا هو أبو عبيدة بن المثني، وهذا كلامه في كتابه "بجاز القران" لكن بلفظ إلا هو وكذا نقله الطبري عن بعض أهل العربية، وكذا ذكره الفراء. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن البخاري رحمه الله قال ذلك حاكياً لا مفسراً وأما القول الثاني فقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي سعيد عن خصيف عن مجاهد مثله.

وأخرج عن سفيان الثوري نحوه، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الآية من الأدلة الصريحة على إثبات الوجه لله والوجه صفة ذاتية له جل ثناؤه فكما أنه الأول فليس قبله شيء والأخر فليس بعده شيء فكذلك صفاته أزلية أبدية كذاته وعلى هذا فالآية أفادت بقاءه جل ثناؤه بعد فناء خلقه، ولا يجوز أن يفهم من الوجه أنه هو الذات كما لا يجوز اتهام البخاري بالتأويل كيف وهو من أئمة الحديث وهم على ما عليه أهل السنة والجماعة بعد أصحاب النبي ﷺ والله أعلم.

٢ - [وقال مجاهد ﴿الأنباء﴾ الحجج].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وكذا قال الفراء، وقال أبو عبيدة: "الأخبار" يقال عمى علي خبر القوم والأول أظهر. والآية المشار إليها ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ يؤمنذ فهم لا يتسألون.

٢٦٣- [باب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ﴾]

ش: تمامها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.]

يقول تعالى ذكره: لنبيه محمد ﷺ إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ خَلْقِهِ، بِتَوْفِيقِهِ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَلَوْ قِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَهُ لِقَرَابَتِهِ مِنْكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، كَانَ مَذْهَبًا.

وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية. اهـ.

فإن قلت كيف التوفيق بين هذه الآية وبين آية الشورى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قيل: الهداية نوعان:

١ - مثبتة كما في آية الشورى وهذه هداية الإرشاد والدلالة.

٢ - منفية كما في آية الباب وهي هداية التوفيق وهذه خاصة بالله ولا

يملكها أحد.

٢٩٣- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني

سعيد ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال: أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

يستغفروا للمشركين ﴿ وانزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «لما حضرت أبا طالب الوفاة» قال الكرمانى المراد حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، وبدل له ما وقع من المراجعة بينه وبينهم؛ قلت: وفي القرآن الكريم ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ وروى الترمذى وحسنه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر".

الثانية: قوله «جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية» ظاهره أن يكون المسيب حضر هذه القصة، فإن المذكورين من بني مخزوم وهو من بني مخزوم أيضاً، وكان الثلاثة يومئذ كفاراً فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخرون.

الثالثة: قوله «أي عم» أما "أي" فهو بالتخفيف حرف نداء، وأما "عم" فهو منادى مضاف، لكن حذف منه ياء المتكلم وهذا جائز في صريح اللغة.

الرابعة: قوله «كلمة أحاج لك بها عند الله»: بالنصب على البدل من لا إله إلا الله أو الاختصاص. ويجوز الرفع على أنه خير لمبتدأ محذوف أي هي. وقوله (أحاج) بتشديد الجيم من المحاجة وهي مفاعله من الحجة والجيم مفتوحة على الجزم جواب الأمر، والتقدير إن تقل أحاج، ويجوز الرفع على أنه خير لمبتدأ محذوف تقديره أنا ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا الإسناد في الجنائز "أشهد" بدل "أحاج" وفي رواية مجاهد عند ابن جرير في تفسير هذه الآية قل

كلمة الإخلاص "أجادل عنك بها" وعنده في تفسير الآية الثالثة عشرة بعد المائة من سورة التوبة من طريق سفيان بن حسين عن الزهري قال: "أي عم، إنك أعظم الناس علي حقا، وأحسنهم عندي يدا، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك يوم القيامة".

الخامسة: قوله «فلم يزل يعرضها»: بفتح أوله وكسر الراء أي يكررها كما وقع عند ابن جرير في تفسير آية الباب من رواية الشعبي "فقال له ذلك مراراً".

السادسة: قوله «ويعيدانه بتلك المقالة»: أي ويعيدانه إلى الكفر بتلك المقالة، كأنه قال كان قارب أن يقوها فيردانه. ووقع في رواية معمر فيعودان له بتلك المقالة وهي أوضح، ووقع عند مسلم في الإيمان (باب صفة إيمان من حضره الموت "فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول له تلك المقالة"; قال القرطبي في "المفهم" كذا في الأصول وعند أكثر الشيوخ، والمعنى أنه عرض عليه الشهادة وكررها عليه. ووقع في بعض النسخ "ويعيدان له بتلك المقالة" والمراد قول أبي جهل ورفيقه له "ترغب عن ملة عبد المطلب".

السابعة: قوله «آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب»: خير مبتدأ محذوف أي (هو على ملة) كما توضحه رواية معمر "هو على ملة عبد المطلب" وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال "أنا" فغيرها الراوي أنفة أن يحكي كلام أبي طالب استقباحا للفظ المذكور؛ وهي من التصرفات الحسنة، ووقع في رواية مجاهد قال "يا ابن أخي ملة الأشياخ أوسنة الأشياخ" ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم في الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت والترمذي في تفسير سورة القصص "قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حملة عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك" قال الحافظ: وفي رواية الشعبي عند الطبراني "قال لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل".

الثامنة: قوله «أبي أن يقول لا إله إلا الله» هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، وكأنه استند في ذلك إلى عدم سماعه ذلك منه في تلك الحال، وهذا القدر كاف في نفي قول أبي طالب كلمة الإخلاص.

التاسعة: قوله «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» قلت: هذا وعد من رسول الله ﷺ لعمه بالاستغفار له ولا ينصرف إلا إلى طلب المغفرة العامة وسوغ له ذلك إقتداءه بأبيه إبراهيم حين وعد أباه بالاستغفار له كما قص الله عنه بقوله ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان يبي حنيا﴾.

العاشرة: قوله «فأنزل الله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾»: تقدم شرحه في تفسير سورة التوبة من الباب الخامس والستين بعد المائة.

الحادية عشرة: قوله «وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾» هذا يشعر بأن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره والثانية نزلت فيه وحده، ويؤيد تعدد السبب ما أخرجه أحمد من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي قال «سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله: ﴿ما كان للنبي... الآية﴾».

من فقه الحديث:

أولاً: في الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين.

ثانياً: أن أبا طالب لو قال كلمة الإخلاص حين أمره النبي ﷺ لنفخته.

ثالثاً: خطر التقليد وأنه من أعظم الصوارف عن قبول الحق.

رابعاً: مضرة تعظيم الأسلاف من الكفار.

خامساً: أنه لا يقدر أحد من الخلق على هداية التوفيق والقبول.

سادساً: جواز عيادة المريض من الكفار مع دعوته إلى الإسلام.

سابعاً: تحريم الاستغفار لمن مات على الشرك.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن عباس ﴿أولي القوة﴾ لا يرفعها العصابة من الرجال].

ش: قلت لم أحده فيما وقفت عليه، وأعلم أنه قد اختلف أهل العلم في عدد العصابة فقال مجاهد: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: أربعون رجلاً، وقيل: سبعون؛ حكاهما البغوي.

٢ - [﴿لتوء﴾ لتقل].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿إن قارون كان من قوم موسى فيغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتوء بالعصابة أولي القوة﴾.

٣ - [﴿فارغاً﴾ إلا من ذكر موسى].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وأخرج ابن جرير نحوه عن مجاهد ومطر وقاتة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾.

٤ - [﴿الفرحين﴾ المرحين].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به. وأخرجه أيضاً عن قتادة، وأخرج نحوه عن مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.

٥ - [﴿قصيه﴾ اتبعي أثره، وقد يكون أن يلقى الكلام ﴿نحن نقص

عليك﴾].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: ثنا أبي: ثنا أبو صالح: حدثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن إسحاق وأخرج نحوه عن قتادة والسدي.
والآية المشار إليها: ﴿وقالت لأخته قصية، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾.

٦ - ﴿عن جنب﴾ عن بُعد، عن جنابة واحد، وعن اجتناب أيضاً.

ش: قوله «عن جنب» عن بعد: أخرجه ابن جرير عن مجاهد.
وقوله «عن جنابة واحد» وعن اجتناب أيضاً؛ قال أبو عبيدة "تجنب ويقال ما تأتينا إلا عن جنب وعن جنابة، قال علقمة بن عبيدة:
فلا تحرمي نائلاً عن جنابة
فإني امرؤ وسط القباب غريب.

٧ - ﴿بيطش﴾ وبيطش.

ش: قال أبو عبيدة: الطاء مكسورة ومضمومة لغتان
والآية المشار إليها ﴿فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾.

٨ - ﴿يأتمرون﴾ يتشاورون.

ش: قال أبو عبيدة: "بجازه يهمون بك ويتوامرون فيك، ويتشاورون فيك ويرتثون قال النمر بن ثولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة
وفي كل حادثة يؤتمر

والآية المشار إليها ﴿وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾.

٩ - ﴿العدوان﴾ والعداء والتعدّي واحد.

ش: قال أبو عبيدة: وهو من العدا والتعدي والعدو واحد كله وهو الظلم.

والآية المشار إليها ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي﴾.

١٠ - ﴿آنس﴾ أبصر].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

آنس خربان فضاء فانكدر
داني جناحيه من الطور فمر
والآية المشار إليها ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً﴾.

١١ - ﴿الجدوة﴾ قطعة غليظة من الخشب ليس فيها هب، والشهاب

فيه هب].

ش: قال أبو عبيدة: "أي قطعه غليظة من الحطب ليس فيها هب وهي مثل

الجدمه من أصل الشجرة وجماعها الجذا" اهـ.

والشهاب فيه هب قال الراغب: الشهاب الشعلة الساطعة من النار الموقدة.

والآية المشار إليها ﴿لعلي آتيكم منها بخبير أو جدوة من النار لعلكم

تصطلون﴾.

وكلمة الشهاب هي من الآية السابعة من سورة النمل وقد ذكرها الشيخ

استطراداً.

١٢ - ﴿كانها جان﴾ وهي في آية أخرى "كانها حية تسعى" والحيات

أجناس الجان والأفاعي والأساود].

ش: قال أبو عبيدة: وفي آية أخرى ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ فالحيات

أجناس فيها الجان وغير ذلك والأفعى والحفاة ومجازها كأنها جان من الحيات

ومجاز الأخرى فإذا هي حية من الجان"

والآية المشار إليها ﴿فلما رآها تهتر كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب﴾

الآية، وأما الآية الأخرى فهي الآية العشرون من سورة طه.

١٣ - ﴿رَدًّا مُعِينًا﴾.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال قد أردأت فلاناً على عدوه وعلى ضيعته أي أكنفته وأعنته أي صرت له كنفاً.

١٤ - [قال ابن عباس: لكي ﴿يُصَدِّقَنِي﴾].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا عبد الله: ثنا معاوية، عن علي عن ابن عباس بلفظ "كي يصدقني"، وأخرجه من طريق العوفيين بلفظ "كيما يصدقني". والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأ يصدقني﴾.

١٥ - [وقال غيره: ﴿سَنَشُدُّ﴾ سُنْعِينِكَ، كلما عززت شيئاً فقد جعلت له عضداً].

ش: قال أبو عبيدة: أي سنقويك به ونعينك به يقال إذا أعز رجل رجلاً ومنعه قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضدته على أمره أي عاونته وأزرته عليه.

والآية المشار إليها ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾.

١٦ - [﴿مقبوحين﴾ مهلكين].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾

١٧ - [﴿وصلنا﴾ بيناه وأتمناه].

ش: أخرج ابن جرير عن سفيان بن عيينة قال: وصلنا، بينا.

وقال أبو عبيدة: أي أتمناه قال: جعلت عمامي صلة لحبلي.

وقال الأخطل:

فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف لا يزال يوصل

والآية المشار إليها ﴿ولقد وصلناهم القول لعلهم يتذكرون﴾.

١٨ - ﴿يَجْبِي﴾ [يُجَلِّب].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يجمع كما يجبي الماء في الجايبة فيجمع للواردة، قلت: وهذا بمعنى ما قاله المصنف.
والآية المشار إليها ﴿أولم نمكن لهم حراماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً﴾.

١٩ - ﴿بَطِرْتُ﴾ [أشربت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وطغت وبغت.
والآية المشار إليها ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾.
٢٠ - ﴿في أمها رسولاً﴾ [أم القرى مكة وما حولها].

ش: قال أبو عبيدة: أم القرى مكة وأم الأرضين في قول العرب، وفي آية أخرى ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾.
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال أم القرى مكة.
والآية المشار إليها ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا﴾.

٢١ - ﴿تكن﴾ [تخفي، أكننت الشيء أخفيته، وكننته أخفيته وأظهرته].

ش: قوله تخفى: أكننت الشيء أخفيته، قال أبو عبيدة: أي تخفى ويقال أكننت ذلك في صدري وكننت الشيء بغير ألف: صنته.
وقوله «وكننته أخفيته وأظهرته» من الثلاثي، ومعناه خفيته بدون الهمزة في أوله أي أظهرته، وهو من الأضداد، ووقع في الأصول أخفيته في الموقعين بالهمزة في أوله، ولأبي ذر بحذف الألف في الثاني، وكذا قال ابن فارس قاله العيني (٣٦٦/١٥).

والآية المشار إليها ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾.

٢٢ - [﴿ويكأن الله﴾ مثل: ﴿ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع عليه، ويضيق عليه].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه: ألم تر أن الله يبسط الرزق، قال الشاعر:

وي كأن من يكن له نشب يجب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والآية المشار إليها ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾.

٢٦٤ - [باب ﴿إِن الذي فرض عليك القرآن﴾].

ش: تمامها ﴿لرادك إلى معاد، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد، وهو يوم القيامة، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال: ﴿إِن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ أي افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿لرادك إلى معاد﴾ أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى ﴿فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين﴾ وقال ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾ ﴿وجئ بالنبين والشهداء﴾. اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره لنيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجحاً ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم وقوله ﴿مبين﴾ يعني أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى. اهـ من ابن جرير.

٢٩٤ - حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا يعلى^(١): حدثنا سفيان

العصفري^(٢) عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

ش: فيه تفسير المعاد الذي وعد الله رسوله برده إليه في الآية بأنه مكة وبه

قال مجاهد بن جبر والحجاج وهو أحد ثلاثة أقوال في الآية أخرجها ابن جرير:

ثانيها: إلى الجنة وهو قول أبي سعيد الخدري وأبي مالك وأبي صالح

وعكرمة والحسن و الزهري و قتادة ومجاهد وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

(١) هو أبو يوسف يعلى بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الطنافسي، ثقة إلا في حديثه عن

الثوري ففيه لين من كبار التاسعة، مات سنة بضعة ومائتين وله تسعون سنة. ع.

(٢) هو أبو سعيد سفيان بن دينار التمار، الكوفي، ثقة من السادسة. خ، س.

ثالثها: إلى الموت وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس في الرواية الثالثة عنه.
قال مقيده: والراجح عندنا ما قدمناه في تفسير الآية وهو ما مشى عليه ابن
كثير في تفسيره وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة وذلك أنه لا
يتبادر من ظاهر الآية إلى الذهن غيره، وقول من قال «لرادك إلى معاد» إلى
الجنة لا ينافي ذلك.

آخر تفسير سورة القصص والله الحمد والمنة.

سورة العنكبوت

٢٦٥ - سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿ممثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾.

وقد اختلف في كونها مكية أو مدنية، أو بعضها مكية وبعضها مدنية على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها مكية كلها أخرجها ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس وأخرجها ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، زبه قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد.

الثاني: أنها مدنية كلها، قال القرطبي: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة.

الثالث: أنها مكية إلا عشر آيات من أولها، قال القرطبي: وهو أحد قولي

ابن عباس وقتادة، وهو قول يحيى بن سلام.

وحكي عن علي بن أبي طالب أنها نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول

رابع.

وأخرج الدارقطني في السنن عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي في

كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجعات، يقرأ في الركعة الأولى

العنكبوت أو الروم و في الثانية يس.

وآياتها تسع وستون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ ضلّلة].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ في الضلالة.

والآية المشار إليها ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُمْ فُصِّدَهُمُ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

٢ - [وقال غيره ﴿الحيوان﴾ والحي واحد].

ش: قال أبو عبيدة: مجاز الحيوان والحياة واحد ومنه قولهم نهر الحيوان أي نهر الحياة ويقال حيتت حياً على تقدير عييت عياً فهو مصدر: اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.

٣ - [﴿وليعلمن الله﴾ علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله كقوله

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه وليميزن الله هؤلاء من هؤلاء. اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾.

٤ - [﴿أثقالاً مع أثقالهم﴾ أوزاراً مع أوزارهم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازها وليحملن أوزارهم وخطاياهم وأوزاراً وخطاياً

مع أوزارهم وخطاياهم». اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وليحملن أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم﴾.

آخر سورة العنكبوت والحمد لله.

سورة الروم

٢٦٦ - سورة ألم، غلبت الروم

بسم الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة الروم بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.

وأخرج عبدالرزاق وأحمد وحسنه السيوطي عن رجل من الصحابة أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم، قال القرطبي: كلها مكية بلا خلاف.

وعدد آياتها ستون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿يَجْرُونَ﴾ يُنْعَمُونَ].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فذكره. وأخرجه عن قتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية: ثانيها: يكرمون وهو قول ابن عباس. وثالثها: يلدذون بالسمع والغناء وبه قال يحيى بن أبي كثير، وهذه الأقوال متقاربة.

والآية المشار إليها: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُجْرُونَ﴾.

٢ - [﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من أعطى عطية يتغى أفضل منه فلا أجر له فيها].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه " يعطي ماله يتغى أفضل منه " وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وطاووس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

٣ - [﴿يَمْهَدُونَ﴾ يسوّون المضاجع].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وعلى هذا التفسير مشى ابن جرير في معنى الآية. والآية المشار عليها ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلَا نَفْسَهُمْ يَمْهَدُونَ﴾.

٤ - ﴿الودق﴾ المطر].

ش: قال الفريابي ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره قاله الحافظ.
قلت وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم ثنا عيسى
وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال
القطر؛ والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسطه في
السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾.

٥ - [قال ابن عباس: ﴿هل لكم مما ملكت أيما نكم﴾ في الآلهة وفيه
تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء
الخراساني عن ابن عباس فذكره وهو أحد قولين حكاهما في الآية.
ثانيهما: بمعنى تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيما نكم أن يقاسموكم
أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً وبه قال أبو بجز، ورجح ابن جرير هذا القول
لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام.

والآية المشار إليها ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت
أيما نكم من شركاء في ما رزقناكم﴾
٦ - [﴿يصدعون﴾ يتفرقون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وابن زيد.
والآية المشار إليها ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد
له من الله يؤمئذ يصدعون﴾.

٧ - ﴿فَاصِدَعٌ﴾

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿فَاصِدَعٌ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي أفرق و أمضه
قال أبو ذؤيب:

و كأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق على القداح أي بالقداح. اهـ

قلت: وبهذا التفسير ظهرت مناسبته لما قبله.

والآية المشار إليها هي الرابعة والتسعون من سورة الحجر.

٨ - [وقال غيره: ﴿ضَعْفٌ﴾ و﴿ضَعْفٌ لَفْتَانٌ﴾.]

ش: قرأه أبو بكر وحمزة بفتح الضاد في ثلاثة مواضع في هذه السورة، وقد

ذكر عن حفص أنه رواه عن عاصم واختار الضم لرواية قويت عنده، وهو ما

رواه ابن عمر قال: فرد علي النبي ﷺ من ضَعْفٍ يعني بالفتح، قال فرد علي

النبي ﷺ من ضَعْفٍ يعني بالضم في الثلاثة، وروى عنه أنه قال ما خالفت عاصماً

في شيء مما قرأت به عليه إلا في ضم همزة الثلاث كلمات وقرأ الباقون فيهن

بالضم، وهما لفتان كالفقر والفقر. اهـ قاله مكي.

والآية المشار إليها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ

قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

٩ - [وقال مجاهد: ﴿السُّوْأَى﴾ الإساءة جزاء المسيئين].

ش: وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به ذكره في

التعليق (٢٧٩/٤) وقال ابن جرير: السوأي يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم،

أما في الدنيا فالبور والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم

يستعتبون. اهـ

وأخرج المعنى عن ابن عباس وقتادة. والآية المشار إليها: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ

الَّذِينَ آسَأُوا السُّوْأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ﴾

٢٩٥ - حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان حدثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففرعنا فأثيت ابن مسعود وكان متكئاً، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ وإن قريشاً أبطنوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جنت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله، فقرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله - عائدون﴾ أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم بدر ولزماً يوم بدر ﴿الم غلبت الروم - إلى - سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

ش: قلت: الشاهد منه ﴿الم غلبت الروم - إلى - سيغلبون﴾ والروم قد مضى، وسيأتي في تفسير سورة ص ضمن الباب الرابع والتسعين بعد المائتين.

٢٦٧ - [باب ﴿لا تبديل خلق الله﴾].

ش: قلت: الآية ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿.

يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين حنيفاً: يقول مستقيماً لدينه وطاعته، فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول صبغة الله التي خلق الناس عليها. اهـ من ابن جرير.

وقال ابن القيم: «فبين سبحانه أن إقامة الوجه وهو إخلاص القصد، وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلاً عليه معرضاً عما سواه؛ هو فطرته التي فطر الناس عليها عباده، فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ولا اختاروا سواه، ولكن غيرت الفطر وأفسدت». اهـ من بدائع التفسير.

وقوله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ فيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: لا تغيير لدين الله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وإبراهيم النخعي.

وثانيهما: لا تغيير لخلق الله وبه قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد في الرواية الثانية عنهما، أخرجهما ابن جرير.

وقال ابن كثير: «قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرهم التي فطرهم الله عليها فيكون خيراً بمعنى الطلب كقوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ وهذا معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خير على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبل المستقيمة».

وقوله ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي ذلك الدين المأمور بإقامة الوجه له هو الدين القيم، أو لزوم الفطرة هو الدين القيم.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به.

من فقه الآية

أولاً: وجوب اتباع دين الله وشرعه.

ثانياً: وجوب الإخلاص في عبادة الله.

ثالثاً: الإسلام هو أصل ما فطر الناس عليه كما يشهد له حديث الباب

الآتي.

رابعاً: إن أكثر الناس في ضلال وجهل بالدين.

خامساً: ليس العبرة بمجرد الكثرة بل العبرة بإصابة الحق وموافقته.

ش: شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿لخلق الله﴾: لدين الله.

ش: هو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد

وإبراهيم النخعي.

٢ - ﴿خلق الأولين﴾: دين الأولين.

ش: قلت: كذا فسرها ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها هي السابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الشعراء، وقد

ذكرها هنا استشهداً على تفسير الخلق بالدين.

٣ - [والفطرة: الإسلام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة.

٢٩٦- حدثنا عبدان: أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال

أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

الله ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو

مجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «ما من مولود» في الجنائز إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه من رواية ابن أبي ذئب، (كل مولود) أي من بني آدم، وصرح به جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وكذا رواه خالد الواسطي عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج ذكرها ابن عبد البر، قال الحافظ: واستشكل هذا التركيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقع له التهود وغيره مما ذكر، والفرض أن بعضهم يستمر مسلماً ولا يقع له شيء، والجواب أن المراد من التركيب أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه، بل إنما حصل بسبب خارجي، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق، وهذا يقوي المذهب الصحيح في تأويل الفطرة.

الثانية: قوله (يولد على الفطرة) ظاهرة تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين ومثله ما في باب إذا اسلم الصبي فمات من رواية يونس أيضاً ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ "ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة يعبر عنه لسانه" وفي رواية له من هذا الوجه "ما من مولود إلا وهو على الملة" وحكى ابن عبد البر عن قوم أنه لا يقتضي العموم، وإنما المراد أن كل من ولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الإسلام نقلاه إلى دينهما، فتقدير الخبر على هذا: كل مولود على الفطرة وأبواه يهوديان مثلاً فإنهما يهودانه ثم يصير عند بلوغه إلى ما يحكم به عليه. ويكفي في الرد عليهم رواية أبي صالح المتقدمة. وأصرح منها رواية جعفر بن ربيعة بلفظ "كل بني آدم يولد على الفطرة" وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام وهو قول مجاهد وعكرمة، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في

آخر حديث الباب: اقرؤا إن شئتم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ ومحدث عياض بن حمار، قلت هذا الحديث عند مسلم وغيره عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" الحديث قال الحافظ: وقد رواه غيره فزاد فيه "حنفاء مسلمين" ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى ﴿فطرة الله﴾ لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام، ونقله أبو يعلى بن الفراء عن إحدى الروايتين عن أحمد، وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة، وقد سبق في "باب إسلام الصبي" في آخر حديث الباب من طريق يونس ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ - إلى قوله - القيم ﴿وظاهره أنه من الحديث المرفوع، وليس كذلك بل هو من كلام أبي هريرة أدرج في الخبر، بينه مسلم من طريق الزبيدي عن الزهري ولفظه "ثم يقول أبو هريرة اقرعوا إن شئتم" قال الطيبي: ذكر هذه الآية عقب هذا الحديث يقوي ما أوله حماد بن سلمة من أوجه:

أحدها: أن التعريف في قوله «على الفطرة» إشارة إلى معهود وهو قوله تعالى ﴿فطرة الله﴾ ومعنى المأمور في قوله ﴿فأقم وجهك﴾ أي اثبت على العهد القديم.

ثانيها: ورود الرواية بلفظ «الملة» بدل الفطرة و الدين. في قوله ﴿للدين حنيفاً﴾ هو عين الملة، قال تعالى ﴿دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً﴾ ويؤيده حديث عياض المتقدم.

ثالثها: التشبيه بالمحسوس المعين ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس، قال: والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلية، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد انتهى، وإلى هذا مال القرطبي في "المفهم" فقال: المعنى أن الله خلق قلوب بني آدم

مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال "كما تنتج البهيمة" يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنه تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً فخرج عن الأصل، وهو تشبيهه واقع ووجهه واضح. والله أعلم.

وقال ابن القيم: «ليس المراد بقوله «يولد على الفطرة» أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله يقول ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، لأنه لا يتغير بتهود الأبوين مثلاً بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلى وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من إرتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه في تأويل الرؤيا». والله أعلم.

وفي المسألة أقوال أخر ذكرها ابن عبد البر وغيره:

منها: قول ابن المبارك أن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة، فمن علم الله أنه يصير مسلماً وُلد على الإسلام، ومن علم الله أنه يصير كافراً ولد على الكفر، فكأنه أول الفطرة بالعلم؛ وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن لقوله "فأبواه يهودانه الخ" معنى لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فينافي في التمثيل بحال البهيمة.

ومنها أن المراد أن الله خلق فيهم المعرفة والإنكار، فلما أخذ الميثاق من الذرية قالوا جميعاً ﴿بلى﴾ أما أهل السعادة فقالوها طوعاً، وأما أهل الشقاوة فقالوها كرها، وقال محمد بن نصر: سمعت إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا

المعنى ويرجح، وتعقب بأنه يحتاج إلى نقل صحيح، فإنه لا يعرف هذا التفصيل عند أخذ الميثاق إلا عن السدي ولم يسنده، وكأنه أخذه من الإسرائيليات، حكاه ابن القيم عن شيخه.

ومنها أن المراد بالفطرة الخلقة أي يولد سالماً لا يعرف كفرةً ولا إيماناً، ثم يعتقد إذا بلغ التكليف، ورجحه ابن عبد البر وقال: إنه يطابق التمثيل بالبهيمة ولا يخالف حديث عياض لأن المراد بقوله ﴿حَنِيفاً﴾ أي على استقامة، وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يقتصر في أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الإسلام، ولم يكن لاستشهاد أبي هريرة بالآية معنى.

ومنها قول بعضهم: أن اللام في الفطرة للعهد أي فطرة أبويه، وهو متعقب بما ذكر في الذي قبله، ويؤيد المذهب الصحيح أن قوله "فأبواه يهودانه الخ" ليس فيه لوجود الفطرة شرط بل ذكر ما يمنع موجبها كحصول اليهودية مثلاً متوقف على أشياء خارجة عن الفطرة، بخلاف الإسلام، وقال ابن القيم سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية، لأن قوله "فأبواه يهودانه... الخ" محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث "الله أعلم بما كانوا عاملين" ١.٠هـ من الفتح.

الثالثة: قوله «فأبواه» أي المولود، قال الطيبي: الفاء إما للتعقيب أو السببية أو جزاء شرط مقدر، أي إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمهما إياه أو بترغيبهما فيه، وكونه تبعاً لهما في الدين يقتضي أن يكون حكمه

حكيمهما، وخص الأبوين بالذكر للغالب، فلا حجة فيه لمن حكم بإسلام الطفل الذي يموت أبواه كافرين.

الرابعة: قوله «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» وفي رواية ابن أبي ذئب «كمثل البهيمة تنتج البهيمة» أي تلدها فالبهيمة الثانية بالنصب على المفعولية، قال الطيبي: قوله «كما» حال من الضمير المنصوب في «يهودانه» أي يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة تشبيها بحال البهيمة التي جدعت بعد أن خلقت سليمة، أو هو صفة مصدر محذوف أي يغيرانه تغييراً مثل تغييرهم البهيمة السليمة.

وقوله «تنتج» بفتح المثناة وأنتج الرجل ناقته ينتجها إنتاجاً.

وقوله «جمعاء» أي لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها.

الخامسة: قوله «هل ترى فيها جدهاء»؟ قال الطيبي: هو في موضع الحال أي سليمة مقولاً في حقها ذلك، وفيه نوع التأكيد أي إن كل من نظر إليها قال ذلك لظهور سلامتها، والجدهاء المقطوعة الأذن، ففيه إيحاء إلى أن تصميمهم على الكفر كان بسبب صممهم عن الحق، وقوله «هل تحسون فيها من جدهاء» هو من الإحساس والمراد به العلم بالشيء يريد أنها تولد لا جدع فيه وإنما يجدها أهلها بعد ذلك.

السادسة: قوله «ثم يقول ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل...﴾ الخ» الآية، قلت وفي رواية، شعيب ويونس في الجنائز عن الزهري عن أبي سلمة «ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فطرة الله التي...﴾ الخ الآية، وكذا عند مسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة من رواية الزبيدي عن الزهري عن ابن المسيب.

من فقه الحديث

أولاً: في قوله «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» شاهد لقول مجاهد وعكرمة وغيرهم أن فطرة الله هي الإسلام.
 ثانياً: أن الأصل في الإنسان هو الإسلام وأن الكفر طارئ عليه.
 ثالثاً: خطورة البيئة الفاسدة على الناشئ.

تنبيه

وإذا سأل سائل عن حكم أولاد المشركين في الآخرة فجوابه أن أهل العلم قد اختلفوا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في "الاعتقاد" عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البر: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث "الله أعلم بما كانوا عاملين".

ثانيها: أنهم تبع لأبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفار في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج، واحتجوا بقوله تعالى ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ وأما حديث "هم من آبائهم أو منهم" فذاك ورد في حكم الحربي، وروى أحمد من حديث عائشة "سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين، قال: في الجنة، وعن أولاد المشركين، قال: في النار فقلت: يا رسول الله لم يدر كوا الأعمال، قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار" وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى، وللطبراني والبخاري من حديث سمرة مرفوعاً "أولاد المشركين خدم أهل الجنة" وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون تراباً، روي عن ثمامة بن أشرس.

سادسها: هم في النار حكاة عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى عذب، أخرجه البخاري من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المخنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في "كتاب الاعتقاد" أنه المذهب الصحيح، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وفي الصحيحين "أن الناس يومرون بالسجود، فيصير ظهر المنافق طباقاً، فلا يستطيع أن يسجد".

ثامنها: أنهم في الجنة، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلا أن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى، ولحديث سمرة المذكور في هذا الباب، قلت يعني باب ما قيل في أولاد المشركين ولعل الشاهد منه قوله "والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس" ولحديث عمه خنساء المتقدم، ولحديث عائشة الآتي قريباً.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك. وفي الفرق بينهما دقة. انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة الروم والله الحمد والمنة.

سورة لقمان

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي قوله ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث قاله ابن عباس فيما أخرجه النحاس عنه، وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عنه أنها مكية ولم يستثن، وحكى القرطبي عن قتادة أنها مكية إلا آيتين وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء قال: كنا نصلي خلف النبي ﷺ الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات، وعدد آياتها أربع وثلاثون آية.

٢٦٨ - [باب ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾].

قلت الآية: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن

الشرك لظلم عظيم﴾.

يقول تعالى ذكره، لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ﴿إذ قال لقمان لابنه

وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله﴾، ثم قال محذراً له ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾

أي هو أعظم الظلم. اهـ من ابن كثير.

«ووجه كونه ظلماً عظيماً أنه لا أفضع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من

تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله

وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه،

وسوى من لا يستطيع أن ينفع بمثقال ذرة من النفع، بالذي ما بالخلق نعمة في

دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو فهل

أعظم من هذا الظلم شيء؟!» اهـ من تفسير ابن سعدي.

من فقه الآية

أولاً: فضيلة لقمان.

ثانياً: وجوب تربية الناشئة على عبادة الله الخالصة.

ثالثاً: تسمية الشرك بالله ظلماً عظيماً.

٢٩٧ - حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم،

عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين

آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ،

وقالوا: أين لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنه ليس بذلك، ألا

تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «لما نزلت هذه الآية»، وفي الإيمان باب ظلم دون ظلم من رواية شعبة (لما نزلت ﴿الذين آمنوا﴾) قلت وعليها بوب المصنف في تفسير سورة الأنعام وتقدم شرحها هناك.

الثانية: قوله: «شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ» في الإيمان قال أصحاب رسول الله ﷺ دون لفظ شق.

الثالثة: قوله: «أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟» قلت لقد شق وقع آية الأنعام على قلوب القوم وفهموا من عمومها نفي الأمن عن خالط إيمانه ظلم صغيراً كان أو كبيراً وهذا فهم صحيح إذ الأصل في العموم أنه كلي الدلالة لولا أن نبههم النبي ﷺ على مراد الله منها كما سيأتي.

الرابعة: قوله: «إنه ليس بذاك» في رواية وكيع (فقال ليس كما تظنون) وفي رواية عيسى بن يونس إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان قلت وهذا ظاهر في أن نزول آية لقمان هذه قبل آية الأنعام ولذلك نبههم عليها، وفيه دليل آخر وهو أن عموم آية الأنعام ليس على إطلاقه بل هو عام يراد به الخصوص وذلك الخصوص هو الشرك الأكبر.

الخامسة: قوله: «ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾».

إن قيل لا يلزم من قوله ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ أن غير الشرك لا يكون ظلماً فالجواب أن التنوين في قوله لظلم للتعظيم، وقد بين ذلك استدلال الشارع بالآية الثانية فالتقدير لم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم أي بشرك، إذ لا ظلم أعظم منه، وقد ورد ذلك صريحاً في قصة إبراهيم الخليل من طريق حفص بن غياث عن الأعمش ولفظه (قلنا يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه؟ قال ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان) فذكر الآية.

٢٦٩ - [باب ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾

ش: تمامها ﴿وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾.

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى له بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا يجليها لوقتها إلا هو وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها، ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو... الآية﴾.

وقوله ﴿إن الله عليم خبير﴾ يقول إن الذي يعلم ذلك كله، هو الله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن وما قد كان.

من فقه الآية:

أولاً: اختصاص الرب جل وعلا بعلم هذه الأشياء.

ثانياً: هذه الآية بيان لما أجمل في آية الأنعام ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾.

ثالثاً: سعة علم الله سبحانه وتعالى وأنه لا يعزب عنه شيء.

٢٩٨ - حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن

أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر). قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: (الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة،

وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾). ثم انصرف الرجل، فقال: (ردوا علي). فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: (هذا جبريل، جاء ليعلم الناس دينهم).

٢٩٩ - حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب قال: حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر: أن أباه حدثه: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾).

ش: فيهما خمس وعشرون مسألة:

الأولى: قوله: «أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس» في الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس) أي ظاهراً لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره، والبروز الظهور، وقد وقع في رواية أبي فروه بيان ذلك، فإن أوله: كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجئ الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبينما له دكانا من طين كان يجلس عليه. اهـ.

واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعاً إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه.

الثانية: قوله: «إذ أتاه رجل يمشي» في الإيمان (أتاه رجل) أي ملك في صورة رجل، ولأبي فروه: (فإننا لجلوس عنده إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً

وأطيب الناس ريحاً كان ثيابه لم يمسها دنس) ولمسلم في الإيمان باب الإسلام والإيمان والإحسان من طريق كهمس في حديث عمر: بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وفي رواية ابن حبان سواد اللحية، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وفي رواية لسليمان التيمي عند ابن مندة في كتاب الإيمان (١ / ١٤٦): ليس عليه سحناء السفر، وليس من البلد، فتخطى حتى برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة، ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ، فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله على فخذيه يعود على النبي ﷺ، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية ورجحه الطيبي بحثاً لأنه نسق الكلام، وهذا وإن كان ظاهراً من السياق لكن وضعه يديه على فخذ النبي ﷺ صنيع منه للإصغاء إليه، وفيه إشارة لما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفاة الأعراب، ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ كما تقدم، ولهذا استغرب الصحابة صنيعه، ولأنه ليس من أهل البلد وجاء ماشياً ليس عليه أثر سفر، فإن قيل: كيف عرف عمر أنه لم يعرفه أحد منهم؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون استند في ذلك إلى ظنه، أو إلى صريح قول الحاضرين؛ والثاني أولى كما في رواية عثمان بن غياث فإن فيها: فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا: ما نعرف هذا. وسبب ورود هذا الحديث كما عند مسلم في رواية عمارة ابن القعقاع: قال رسول ﷺ: سلوني، فهابوا أن يسألوه، قال فجاء رجل.

الثالثة: قوله «فقال يا رسول الله» فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو لئيبين أن ذلك غير واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي، وهذا الثالث هو الصحيح كما ثبت

في رواية أبي فروه، ففيها بعد قوله كأن ثيابه لم يمسه دنس حتى سلم من طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام؛ قال: أدنو يا محمد؟ قال: أدن؛ فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له أدن، ونحوه في رواية عطاء عن ابن عمر، لكن قال: السلام عليك يا رسول الله، وفي رواية مطر الوراق فقال: يا رسول الله أدنو منك؟ قال أدن، ولم يذكر السلام؛ فاختلفت الروايات هل قال له يا محمد أو يا رسول الله، هل سلم أو لا، فأما السلام فمن ذكره مقدم على من سكت عنه، وقال القرطبي بناء على أنه لم يسلم وقال يا محمد: إنه أراد بذلك التعمية فصنع صنيع الأعراب، ويجمع بين الروايتين بأنه بدأ أولاً بنداؤه باسمه لهذا المعنى، ثم خاطبه بقوله يا رسول الله، ووقع عند القرطبي أنه قال: السلام عليكم يا محمد، فاستنبط منه أنه يستحب للدخول أن يعمم بالسلام ثم يخص من يريد تخصيصه» اهـ.

قال الحافظ والذي وقفت عليه من الروايات إنما فيه الإفراد وهو قوله:

السلام عليك يا محمد.

الرابعة: قوله «ما الإيمان؟» قيل قدم السؤال عن الإيمان لأنه أصل، وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى، وثلت بالإحسان لأنه متعلق بهما، وفي رواية عمارة بن القعقاع: بدأ بالإسلام لأنه بالأمر الظاهر، وثنى بالإيمان لأنه بالأمر الباطن، ورجح هذا الطيبي لما فيه من التزقي، ولا شك أن القصة واحدة اختلف الرواة في تأديتها، وليس في السياق ترتيب، ويدل عليه رواية مطر الوراق فإنه بدأ بالإسلام وثنى بالإحسان وثلت بالإيمان، فالحق أن الواقع أمر واحد، والتقديم والتأخير وقع من الرواة والله أعلم. قاله الحافظ، قلت وفيه دليل على صحة الرواية بالمعنى.

الخامسة: قوله «قال: الإيمان أن تؤمن بالله... الخ» دل الجواب أنه علم

أنه سأله عن متعلقاته لا عن معنى لفظه، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق،

قلت وهذا في اللغة أما في الشرع فهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وقال الطيبي: هذا يوهم التكرار، وليس كذلك، فإن قوله أن تؤمن بالله مضمن معنى أن تعترف به، ولهذا عداه بالباء، أي أن يصدق معترفاً بكذا، قال الحافظ: والتصديق أيضاً يعدى بالباء فلا يحتاج إلى دعوى التضمن، وقال الكرمانى: ليس هو تعريفاً للشيء بنفسه، بل المراد من المحدود الإيمان الشرعي، ومن الحد الإيمان اللغوي، قال الحافظ! والذي يظهر أنه إنما أعاد لفظ الإيمان للاعتناء بشأنه تفخيماً لأمره، وفيه قوله تعالى ﴿قُلْ يَحْيَىٰ الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في جواب ﴿مَنْ يَحْيَىٰ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، يعني أن قوله أن تؤمن إيماناً يحصل منه الإيمان فكأنه قال: الإيمان الشرعي تصديق مخصوص، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق، والإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص، كما يتضمن الإيمان بربوبيته وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه وبألوهيته وهي عبادته وحده دون من سواه.

السادسة: قوله «وملائكته» الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله تعالى ﴿عِبَادٌ مَّكْرُمُونَ﴾ وقدم الملائكة على الكتب والرسول نظراً للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول، ولأن الملائكة موجودون قبل الرسل في الخلق، واعلم أن الملائكة مخلوقون من نور كما في صحيح مسلم (وخلقت الملائكة من نور)

السابعة: قوله «ورسله» الرسل جمع رسول وهو في اللغة من بعث برسالة وشرعاً هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، ووقع في حديث أنس وابن عباس (والملائكة والكتاب والنبين)، وكل من السياقين في القرآن وفي سورة البقرة خاصة، والإيمان بالرسل التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، ودل الإجمال في الملائكة والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين، وفي الكتاب العزيز

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ فالواجب الإيمان بجميع رسل الله من سمي الله منهم مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ومن لم يسم، قال تعالى ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾.

الثامنة: قوله «وبلقائه» وفي الإيمان وقعت بين الكتب والرسول، وكذا لمسلم من الطريقين، ولم تقع في بقية الروايات، وقد قيل إنها مكررة لأنها داخلية في الإيمان بالبعث، والحق أنها غير مكررة، فقيل المراد بالبعث القيام من القبور، والمراد باللقاء ما بعد ذلك، وقيل اللقاء يحصل بالانتقال من دار الدنيا، والبعث بعد ذلك، ويدل على هذا رواية مطر الوراق فإن فيها (وبالموت وبالبعث بعد الموت)، وكذا في حديث أنس وابن عباس، وقيل المراد باللقاء رؤية الله، ذكره الخطابي، وتعقبه النووي بأن أحداً لا يقطع لنفسه برؤية الله، فإنها مختصة بمن مات مؤمناً، والمرء لا يدري بم يختم له، فكيف يكون ذلك من شروط الإيمان؟ وأجيب بأن المراد الإيمان بأن ذلك حق في نفس الأمر، وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إذ جعلت من قواعد الإيمان.

التاسعة: قوله «وتؤمن بالبعث الآخر»، ولمسلم في حديث عمر (واليوم الآخر) فأما البعث الآخر فقيل ذكر الآخر تأكيداً كقولهم أمس الذهاب، وقيل لأن البعث وقع مرتين:

الأولى: الإخراج من العدم إلى الوجود أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا.

والثانية: البعث من بطون القبور إلى محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار والحوض والصراط والقنطرة التي يوقف عليها أهل الجنة لتنفيتهم وتهذيبهم.

فوائد:**الفائدة الأولى:**

في حديث عمر عند مسلم في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من كتاب الإيمان برواية كهمس (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وفيه برواية عمارة بن القعقاع (وتؤمن بالقدر كله) وفي حديث ابن عباس وهو في رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة (وحلوه ومره من الله).

الفائدة الثانية:

قال مقيده واعلم أن معنى القدر كما دل عليه الكتاب والسنة هو تقدير كل شيء تقديراً مسبقاً على خلقه وحدوثه أي تحديده ماهية وخاصة وصفة كما وكيفاً زماناً ومكاناً.

فمن دليل تقدير الخلق قوله ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ ومن دليل تقدير الماهية والخاصية للمخلوق قوله ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

ومن دليل تقديره سبحانه للمخلوقات زماناً وأجلاً قوله ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ وأما مراتب القدر فأربع:

الأولى: العلم وهو إن الله قد علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.
الثانية: الكتابة وهي أن الله كتب مقادير الأشياء إلى قيام الساعة وفق علمه في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل شيء خاضع لسلطانه مقهور به.

الرابعة: الخلق فإنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء.

هذا هو القدر العام أو الإجمالي وينقسم من حيث العلم والكتابة تفصيلاً إلى ثلاث مراتب:

الأولى: التقدير العمري كما في حديث الصادق المصدوق، قال: (ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ في الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد).

الثانية: التقدير الحولي وهو تقدير ما يحصل في السنة من أرزاق وآجال وغير ذلك من ليلة القدر في رمضان إلى مثلها كما قال تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ فالشاهد في قوله يفرق، قال أهل العلم: معناه يفصل.

الثالثة: التقدير اليومي وهو تقدير ما يكون في كل يوم بحسبه قال تعالى ﴿كل يوم هو في شأن...﴾ قال أهل العلم: من إعزاز وإذلال وإحياء وإماتة وغير ذلك.

الفائدة الثالثة:

اعلم أن أركان الإيمان الستة قد جاءت في القرآن فقد ذكرت الخمسة الأولى منها في آية من سورة البقرة وهي ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾، وذكر السادس في قوله تعالى من سورة القمر ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

العاشرة: قوله: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً» قال النووي: «يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة الله فيكون عطف الصلاة وغيرها عليها لإدخالها في الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقاً، فيدخل فيه جميع الوظائف، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص على العام، وتعقبه الحافظ فقال: أما الاحتمال الأول فبعيد، لأن المعرفة من متعلقات الإيمان،

وأما الإسلام فهو أعمال قوليه وبدنية، وقد عبر في حديث عمر هنا بقوله (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) فدل على أن المراد بالعبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين، وبهذا تبين دفع الاحتمال الثاني، ولما عبر الراوي بالعبادة إحتاج أن يوضحها بقوله (ولا تشرك به شيئاً) ولم يحتج إليها في رواية عمر لإستلزامها ذلك، اهـ من الفتح (١١٩/١)، قلت وفي هذا دليل على أنه لا يكفي العبادة بل لا بد من إخلاصها لله وحده.

وقد تبين ذلك بقول النبي ﷺ في آخر الحديث (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم) فإن قيل: لم لم يذكر الحج؟ أجاب بعضهم باحتمال أنه لم يكن فرض، وهو مرجوح بما رواه ابن مندة في كتاب الإيمان بإسناده الذي على شرط مسلم من طريق سليمان التيمي في حديث عمر أوله (أن رجلاً في آخر عمر النبي ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ) فذكر الحديث بطوله، وآخر عمره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع فإنها آخر سفراته، ثم بعد قدمه بقليل دون ثلاثة أشهر مات، وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين - التي بلغها متفرقة - في مجلس واحد، لتضبط، ويستتبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجمله السائل ليعلمه السامع، وأما الحج فقد ذكر لكن بعض الرواة إما ذهل عنه وإما نسيه، والدليل على ذلك اختلافهم في ذكر بعض الأعمال دون بعض، ففي رواية كهمس (وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) وكذا في حديث أنس، وفي رواية عطاء الخراساني لم يذكر الصوم، وفي حديث أبي عامر ذكر الصلاة والزكاة فقط، ولم يذكر في حديث ابن عباس مزيداً على الشهادتين، وذكر سليمان التيمي في روايته الجميع، وزاد بعد قوله (وتحج) (وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتمم الوضوء) وقال مطر الوراق في روايته (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة) قال فذكر عرى الإسلام، فتبين أن بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره.

الحادية عشرة: قوله «وتقيم الصلاة» زاد مسلم في الإيمان (المكتوبة) أي المفروضة، وإنما عبر بالمكتوبة للتفنن في العبارة، فإنه عبر في الزكاة بالمفروضة، ولإتباع قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ واعلم بأن إقامة الصلاة يكون بالإتيان بها تامة بشروطها وأركانها وواجباتها وكامل هيئاتها مع المحافظة عليها في أوقاتها.

الثانية عشرة: قوله (وتؤتي الزكاة المفروضة) في الإيمان (وتؤدي الزكاة المفروضة) والزكاة لغة: النماء والزيادة، يقال زكى يزكوا إذا نمت وزاد. وفي الشرع: واجب مالي مخصوص في مال مخصوص:

الثالثة عشرة: قوله «وتصوم رمضان» استدل به علي قول رمضان من غير إضافة شهر إليه، وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي وسعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان) فمردود من وجهين:
الأول: في اسناده أبو معشر وهو ضعيف.

الثاني: معارضة هذا النص بالسنة الصحيحة عن النبي ﷺ التي جاء فيها تسمية شهر الصوم المعروف برمضان ومنها حديث الباب، فإن قال قائل كيف تصنع بزواية هذا الخبر عند البيهقي في السنن الكبرى مرفوعاً عن النبي ﷺ، قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أولها: لم يثبت في أثر أن اسم رمضان أطلق على الله جل وعلا.

ثانيها: أن مدار الخبر كما في سنن البيهقي على أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ثالثها: في كلام البيهقي رحمه الله ما يدل على توهم الخبر حيث قال: «وهذا رواه الحارث عن عبد الله الخازن عن أبي معشر وأبو معشر هو نجيح السندي ضعفه يحيى بن معين، وكان يحيى القطان لا يحدث عنه، وكان عبد

الرحمن بن مهدي يحدث عنه والله أعلم، وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبهه» اهـ

الرابعة عشرة: قوله «الإحسان» هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين:

أرفعهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله (كأنك تراه) أي وهو يراك.

والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل، وهو قوله (فإنه يراك).

وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله (أن تخشى الله كأنك تراه) وكذا في حديث أنس.

قال النووي: معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائماً يراك، فأحسن عبادته وإن لم تراه، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم.

تنبيه:

في قوله أن تعبد الله فيه دليل على أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة، وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامه بقوله ﷺ (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

فائدة:

زاد مسلم في الإيمان في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل (صدقت) عقب كل جواب من الأجوبة الثلاثة، وزاد أبو فروه في روايته (فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه) وفي رواية كهمس (فعجبنا له يسأله ويصدقه) وفي رواية مطر (انظروا إليه كيف يسأله وانظروا إليه كيف يصدقه) وفي حديث أنس (انظروا وهو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه) وفي رواية سليمان بن بريدة (قال القوم: ما رأينا رجلاً مثل هذا، كأنه يعلم رسول الله ﷺ، يقول له: صدقت صدقت) قال القرطبي: إنما عجبوا من ذلك لأن ما جاء به النبي ﷺ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بقاء النبي ﷺ ولا بالسماع منه، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه لأنه يخبره بأنه صادق فيه، فتعجبوا من ذلك تعجب المستبعد لذلك.

الخامسة عشرة: قوله «متى الساعة» أي متى تقوم الساعة؟ وصرح به في رواية عمارة بن القعقاع، واللام للعهد، والمراد يوم القيامة.

السادسة عشرة: قوله «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل» "ما" نافية، وزاد في رواية أبي فروه (فنكس فلم يجبه، ثم أعاد فلم يجبه ثلاثاً، ثم رفع رأسه فقال، ما المسؤل)، وقوله (بأعلم) الباء صلة واقعة في خبر ما لتأكيد النفي، وهذا وإن كان مشعراً بأن كلاً منهما ليس له علم بوقتها كما يوضحه قوله بعد (خمس لا يعلمها إلا الله)، وفي حديث ابن عباس فقال (سبحان الله، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله) ثم تلا الآية.

قال النووي: يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، ولا يكون في ذلك نقص من مرتبته، بل يكون ذلك دليلاً على مزيد ورعه.

وقال القرطبي: مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة، لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الأسئلة الماضية فإن المراد بها استخراج الأجابة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن، وقال (من السائل) ولم يقل منك، لسر لطيف وهو العدول إلى لفظ يشعر بالتعميم تعريضاً للسامعين، أي أن كل مستول وكل سائل فهو كذلك لا يعلم وقت قيام الساعة.

السابعة عشرة: قوله «سأحدثك بأشراطها» في الإيمان وفي رواية أبي فروه (ولكن لها علامات تعرف بها)، وفي رواية كهمس (قال فأخبرني عن أماراتها فأخبره بها فترددنا) فحصل التردد هل ابتداءه بذكر الأمارات أو السائل سأله عن الأمارات، ويجمع بينهما بأنه ابتداء بقوله وسأخبرك، فقال له السائل: فأخبرني، ويدل على ذلك رواية سليمان التيمي ولفظها (ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها، قال أجل) ونحوه في حديث ابن عباس وزاد (فحدثني) وقد حصل تفصيل الأشراف من الرواية الأخرى وأنها العلامات، وهي بفتح الهمزة جمع شرط بفتححتين كقلم وأقلام، ويستفاد من اختلاف الروايات أن التحديث والإخبار والإنباء بمعنى واحد، وإنما غاير بينها أهل الحديث اصطلاحاً.

قال القرطبي: علامات الساعة على قسمين:

ما يكون من نوع المعتاد، أو غيره، والمذكور هنا الأول، وأما الغير مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقاربة لها أو مضايقة والمراد هنا العلامات السابقة على ذلك. والله أعلم.

القائمة عشرة: قوله «إذا ولدت» التعبير بإذا للإشعار بتحقيق الوقوع، ووقعت هذه الجملة بياناً للأشراط نظراً إلى المعنى، والتقدير ولادة المرأة وترؤس الحفاة العراة، وفي الإيمان بلفظ (وإذا تطاول رعاة الإبل ألهم في البيان) فتحصل أن الأشراط ثلاثة، وإنما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها كما تراه هنا وفي الإيمان، وفي رواية محمد بن بشر السبي أخرج مسلم إسنادها وساق ابن خزيمة لفظها عن أبي حيان ذكر الثلاثة، وكذا في مستخرج الإسماعيلي من طريق ابن علي، وكذا ذكرها عمارة بن القعقاع، ووقع مثل ذلك في حديث عمر، فصي رواية كهمس ذكر الولادة والتطاول فقط ووافقه عثمان بن غياث، وفي رواية سليمان التيمي ذكر الثلاثة، ووافقه عطاء الخراساني، وكذا ذكرت في حديث ابن عباس وأبي عامر.

القائمة عشرة: قوله «المرأة ربها» بناء التأنيت، وكذا في حديث عمر، ومحمد بن بشر مثله وزاد (يعني السراري)، وفي الإيمان (ربها) وفي رواية عمارة بن القعقاع (إذا رأيت المرأة تلد ربها) ونحوه لأبي فسوة، وفي رواية عثمان بن غياث (الإماء أربابهن) بلفظ الجمع، والمراد بالرب المالك أو السيد، وقد اختلف العلماء فيه على أقوال كثيرة لخصها الحافظ في أربعة أقوال وهي:

أولاً: قال الخطابي: معناه اسماع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين، قلت: لكن في كونه المراد نظر، لأن استيلاء الإماء كان موجوداً حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسباق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة، وقد فسره وكيع في رواية ابن ماجه بأخص من الأول قال: أن تلد العجم العسب، ووجهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك فتصير الأم من حاملة الرعية والملك سيد

رعيته، وهذا لإبراهيم الحربي، وقربه بأن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالباً من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا سيما في أثناء دولة بني العباس، ولكن رواية ربتها بتاء التانيث قد لا تساعد على ذلك، وخصه بعضهم بأن السبي إذا كثر فقد يسبى الولد أولاً وهو صغير ثم يعتق ويكبر ويصير رئيساً بل ملكاً ثم تسبى أمه فيما بعد فيشترىها عارفاً بها، أو وهو لا يشعر أنها أمه، فيستخدمها أو يتخذها موطوءة أو يعتقها ويتزوجها، وقد جاء في بعض الروايات (أن تلد الأمة بعلها) وهي عند مسلم فحمل على هذه الصورة، وقيل المراد بالبعل المالك وهو أولى لتتفق الروايات.

الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراف غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد أو الاستهانة بالأحكام الشرعية، فإن قيل: هذه المسألة مختلف فيها فلا يصلح الحمل عليها، لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قلنا: يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية كييعها في حال حملها، فإنه حرام بالإجماع.

الثالث: وهو من غمط الذي قبله، قال النووي: لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقاً بنكاح أو زناً ثم تباع الأمة في صورتين بيعاً صحيحاً وبدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها، ولا يعكز على هذا تفسير محمد بن بشر بأن المراد السراري لأنه تخصيص بغير دليل.

الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربهام مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، قال وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة،

ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المرئى مريباً والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى أن يصير الحفاة ملوك الأرض.

تنبيه:

يجمع بين ما في هذا الحديث من إطلاق الرب على السيد المالك في قوله (ربها) وبين ما في الحديث الآخر وهو في الصحيح (لا يقل أحدكم أطعم ربك وضع ربك اسق ربك وليقل سيدي ومولاي) بأن اللفظ هنا خرج على سبيل المبالغة أو المراد بالرب هنا المرابي، وفي المنهي عنه السيد، أو أن النهي عنه متأخر، أو مختص بغير الرسول ﷺ.

العشرون: قوله «وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس» زاد الإسماعيلي، وفي رواية أبي فروه مثله، والمراد بهم أهل البادية كما صرح به في رواية سليمان التيمي وغيره، قال: ما الحفاة العراة؟ قال: العريب، وهو بالعين المهملة على التصغير.

قال الحافظ: وفي الطبراني من طريق أبي حمزة عن ابن عباس مرفوعاً (من انقلاب الدين تفصح النبط واتخاذهم القصور في الأمصار)، قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان، ومنه الحديث الآخر (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع) ومنه (إذا وسد الأمر - أي أسند - إلى غير أهله فانتظروا الساعة) وكلاهما في الصحيح.

الحادية والعشرون: قوله «في خمس لا يعلمهن إلا الله» وكذا في الإيمان، أي علم وقت الساعة داخل في جملة خمس، وحذف متعلق الجار سائغ كما في قوله تعالى «في تسع آيات» أي اذهب إلى فرعون بهذه الآية في جملة تسع

آيات، وفي رواية عطاء الخراساني (قال فمتى الساعة؟ قال: هي في خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله).

قال القرطبي: «لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث، وقد فسر النبي ﷺ قول الله تعالى ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ بهذه الخمس وهو في الصحيح، إلى أن قال: فمن ادعى علم شيء منها غير مسندة إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها في التنجيم وجاء عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكم ﷺ علم كل شيء سوى هذه الخمس، وعن ابن عمر مرفوعاً نحوه أخرجهما أحمد، وأخرج حميد بن زنجويه عن بعض الصحابة أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأنكر عليه فقال: إنما الغيب خمس - وتلا هذه الآية - وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم».

الثانية والعشرون: قوله ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ وفي الإيمان ﴿إن الله عنده علم الساعة...﴾ أي تلا الآية إلى آخر السورة، وصرح بذلك الإسماعيلي، وكذا في رواية عمارة، ولمسلم إلى قوله ﴿خبير﴾ وكذا في رواية أبي فروه.

الثالثة والعشرون: قوله: «ثم انصرف الرجل فقال: ردوا علي» في الإيمان (ثم أدبر فقال: ردوه) وفيه أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبي ﷺ فيراه ويتكلم بحضرة وهو يسمع كما ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة. والله أعلم.

الرابعة والعشرون: قوله: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم» وكذا في الإيمان دون لام التعليل، ولالإسماعيلي (أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا) ومثله لعمارة، وفي رواية أبي فروه (والذي بعث محمداً بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل) وفي حديث أبي عامر (ثم ولّى فلما لم نر طريقه قال النبي ﷺ):

سبحان الله، هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم، والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط إلا وأنا أعرفه، إلا أن تكون هذه المرة) وفي رواية التيمي (ثم نهض فولى، فقال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل، فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرّتي هذه، وما عرفته حتى ولى) قال ابن حبان تفرد سليمان التيمي بقوله (خذوا عنه) فتعقبه الحافظ بقوله: وهو من الثقات الأثبات، وفي قوله (جاء ليعلم الناس دينهم) إشارة إلى هذه الزيادة فما تفرد إلا بالتصريح، واتفقت هذه الروايات على أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بشأنه بعد أن التمسوه فلم يجذوه، وأما ما وقع عند مسلم وغيره من حديث عمر في رواية كهمس (ثم انطلق، قال عمر: فلبثت ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل) فقد جمع بين الروايتين بعض الشراح بأن قوله (فلبثت ملياً) أي زماناً بعد انصرافه، فكأن النبي ﷺ أعلمهم بذلك بعد مضي وقت، ولكنه في ذلك المجلس؛ لكن يعكر على هذا الجمع قوله في رواية النسائي والترمذي (فلبثت ثلاثاً) لكن ادعى بعضهم فيها التصحيف، وأن (ملياً) صغرت ميمها فأشبهت (ثلاثاً) لأنها تكتب بلا ألف، وهذه الدعوى مردودة، فإن في رواية أبي عوانة (فلبثنا ليالي، فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث) ولا ابن حبان (بعد ثلاثة) ولا ابن مندة (تعد ثلاثة أيام) حكاه الحافظ.

وجمع النووي بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبي ﷺ في المجلس، بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض عرض له، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، ولم يتفق الإخبار لعمر إلا بعد ثلاثة أيام، ويدل عليه قوله (فلقيني) وقوله (فقال لي يا عمر) فوجه الخطاب له وحده، بخلاف إخباره الأول، وهو جمع حسن.

تنبيهان :

الأول: قال ابن المنير: في قوله (يعلمكم دينكم) دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلماً، وقد اشتهر قولهم: حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً.

الثاني: قال القرطبي: هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة.

وقال الطيبي: لهذه النكتة استفتح به البغوي كتابيه (المصايخ) و (شرح السنة) إقتداء بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة، لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً.

وقال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.

الخامسة والعشرون: قوله «قال النبي ﷺ مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾» هكذا وقع مختصراً هنا، وفي رواية أبي عاصم (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾) يعني الآية كلها، وفي باب الله يعلم ما تحمل كل أنثى من تفسير سورة الرعد وكذا في باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله من الاستسقاء من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر بلفظ (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله) الحديث، هذا السياق في الخمس، وفي باب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو؛ من تفسير الأنعام من طريق الزهري عن سالم عن أبيه بلفظ مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة، وأخرج أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة: أخبرني عمرو بن مرة سمع عبد الله بن مسلمة سمع

عبد الله بم مسعود قال قلت: سمعته منه قال نعم، أكثر من خمسين مرة، قال: أعطني نبيكم حتى مفاتيح الغيب إلا الخمسة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة.

قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: عبر بالمفاتيح لتقريب الأمر على السامع لأن كل شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح، فإذا كان الشيء الذي لا يطلع على الغيب إلا بتوصيله لا يعرف موضعه فكيف يعرف المغيب. اهـ ملخصاً.

آخر تفسير سورة لقمان.

سورة الم السجدة

٢٧٠ - بسم الله الرحمن الرحيم

سورة تنزيل السجدة

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا
خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم
الجمعة ﴿الم تنزيل﴾ السجدة و﴿هل أتى على الإنسان﴾، ورواه مسلم أيضاً من
حديث سفيان الثوري به.

وهي مكية كما رواه ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن
ابن عباس، ورواه ابن مردويه عن ابن الزبير وأخرج ابن النجار عن ابن عباس
قال: هي مكية سوى ثلاث آيات ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ إلى تمام الآيات الثلاث،
وكذا قال الكلبي ومقاتل وقيل إلا خمس آيات من قوله ﴿تتجافى جنوبهم﴾ إلى
قوله ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾.

وعدد آياتها ثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿مهين﴾ ضعيف نطفة الرجل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى
وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.
وكذا قال أبو عبيدة وزاد: مايع رقيق، قال:
فجاءت به غضب الأديم غظفراً سلالة فرج كان غير حصين.

ا.هـ

والآية المشار إليها ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾.

٢ - [﴿ضَلَلْنَا﴾ هلكنا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد، فذكره.

وأخرج نحوه عن الضحاك وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿وقالوا إذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد بل

هم بقاء ربهم كافرون﴾.

٣ - [وقال ابن عباس ﴿الجرز﴾ التي لا تقطر إلا مطراً لا يغني عنها

شيئاً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى

وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن
عباس فذكره وزاد (إلا ما يأتيها من السيول).

قلت: وهذا إسناد فيه مبهم.

وأخرج في تفسيره عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: هي أرض

باليمن.

وقال أبو عبيدة: أي الغليظة اليابسة التي لم يصبها مطر وهذا أوفق لظاهر الآية والله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾
 ٤ - [يهد] يبين.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: لهم وهو من الهدى.

والآية المشار إليها ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾.

٢٧١ - [باب قوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾

ش: تمامها: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾.

أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل.

وقال ابن القيم: وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حيث يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة. اهـ من بدائع التفسير

قلت وهذا مستنبط من ارتباط الآية بما قبلها وهي قوله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون﴾.

٣٠٠ - حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة

أعين﴾.

وحدثنا سفيان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال الله، مثله، قيل لسفيان: رواية؟ قال: فأبي شيء، قال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح: قرأ أبو هريرة: قرأت أعين.

٣٠١ - حدثني إسحاق بن نصر: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش: حدثنا

أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر ذخراً، بله ما أطلعتم عليه). ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «يقول الله تعالى أعددت لعبادي» وأخرج مسلم في باب أدنى أهل الجنة منزلة من كتاب الإيمان عن الشعبي قال سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ قال: سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة قال: هو رجل يجيء بعد ما ادخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول أي رب كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذة عينك، فيقول رضيت رب، قال رب، فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر) قال ومصادقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾.

وأخرجه الترمذي في تفسير هذه السورة دون قوله (رب فأعلاهم منزلة

الخ)

الثانية: قوله «ولا خطر على قلب بشر أي ما دخل بباله وزاد ابن مسعود في حديثه (ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل)» أخرجه ابن أبي حاتم، قلت فبمجموع الحديثين يتبين أن من نعيم الجنة ما يخفى حتى على الملائكة وليس خاصاً بالبشر.

الثالثة: قوله «ذخراً» بضم الذال المعجمة ونصبه على الحالية، قال في المصباح: ذخرت ذخراً من باب نفع والاسم الذخر بالضم إذا أعددت له لوقت الحاجة إليه.

الرابعة: قوله « بله ما أطلعتم عليه» قال الخطابي: كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم. وتعقبه الحافظ بقوله: وهذا لاثق بشرح (بله) بغير تقدم (من) عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هي بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل لكن قال الصغاني اتفقت نسخ الصحيح على (من بله) والصواب إسقاط كلمة (من) وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلا إذا فسرت بمعنى دع، وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا، وقد ثبت في عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات من.

وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردويه من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك، والمعنى من أين إطلاعكم على هذا القدر الذي تقصر عقول البشر عن الإحاطة به، ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف في (شرح الحاجبيه) فإنها بمعنى غير وذلك بين لمن تأمله. اهـ. من الفتح بتصرف.

الخامسة: قوله «وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة، قرأت أعين»

قلت: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا أبو معاوية وابن نمير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة فذكر الحديث وفيه قال أبو هريرة يقرؤها: (قرأت أعين).

السادسة: قوله «قرت أعين» يقال قرّت عينه تقرّ سرت قال ﴿كسي تقرّ عينها﴾ وقيل لمن يسر به قرّة عين قال ﴿قرّة عين لي ولك﴾ وقوله ﴿هيب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين﴾ قيل أصله من القر، أي البرد فقرت عينه، قيل معناه بردت فصحت وقيل بل لأن للسرور دمه بارد قارة وللحزن دمه حارة، قاله الراغب.

آخر تفسير سورة ألم السجدة والله الحمد والمنة.

سورة الأحزاب

٢٧٢ - سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

روى الإمام أحمد عن زر قال: قال لي أبي بن كعب كأيّن تقرأ سورة الأحزاب أو كأيّن تعدّها؟ قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية فقال: قط لقد رأيتها وإنما لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود ابن بهدلة به.

قال ابن كثير إسناد حسن.

وهي مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون.

[وقال مجاهد: ﴿صياصيهم﴾ قصورهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وقال ابن جرير في معنى الآية ﴿من صياصيهم﴾ يعني من حصونهم ثم أخرج المعنى عن يزيد بن رومان وعكرمة وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾.

٢٧٣ - [باب ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾]

ش: تمامها: ﴿وأزواجه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾.

قوله ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

وفي الصحيح (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين) اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ وهو لهم ومن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجناب قال الله تعالى ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ اهـ من البغوي.

وقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ المراد بأولي الأرحام القرابات أي هم أحق ببعضهم بعضاً في الميراث.

وقوله ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بأفعل التفضيل في قوله ﴿أولى بعضهم﴾ لأنه يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بحذوف هو حال من الضمير: أي كائناً في كتاب الله والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن أو آية المواريث. قال أهل العلم: وهذه الآية ناسخة لما كان بين المسلمين من الميراث بالمواخاة.

وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ اختلف أهل العلم فيه على ثلاثة أقوال حكاهما ابن جرير:

فأولها: بمعنى إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة وهو قول ابن الحنفية وقتادة وعكرمة وعطاء.

وثالثها: بمعنى إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الإيمان والهجرة والحلف فتؤتوهم حقهم من النصر والعقل عنهم قاله مجاهد.

وثالثها: بمعنى أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية وبه قال ابن زيد، ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده.

قال مقيدوه وهذا اختيار حسن يجمع القولين الثاني والثالث وأما القول الأول فإنه بعيد جداً ومردود إذ لا موالاة بين مؤمن وكافر وإن كان بينهما نسب.

وقوله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي كان الذي ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً.

من فقه الآية

أولاً: في قوله ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أموراً:

منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه

للسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده.

ثانياً: تحريم نكاح أزواج النبي ﷺ ووجوب توقيرهن واحترامهن.

ثالثاً: فيها دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن.

رابعاً: الحث على بذل المعروف بين القرابات.

٣٠٢- حدثني إبراهيم بن المنذر: حدثنا محمد بن فليح^(١): حدثنا أبي

عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه)

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة» وفي

باب قول النبي ﷺ من ترك مالا فله من الفرائض برواية أبي سلمة بن عبد الرحمن وكذا في القرض، وقد ورد سببه في باب الدين من كتاب الكفالة من طريق عقيل عن ابن شهاب بذكره ولفظه (أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيقول هل: ترك لدينه قضاء؟ فإن قيل نعم صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الحديث، وعند أبي داود في ميراث ذوي الأرحام عن المقدم الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) وكذا عند مسلم عن جابر، قلت وقد تطابق الحديثان مع الآية في الدلالة على أن من ليس رسول الله ﷺ أولى به ليس من أهل الإيمان وقد قدمنا في فقه الآية ما تستلزمه هذه الولاية.

الثانية: قوله «اقرءوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾» وكذا

في الاستقراض باب الصلاة على من ترك ديناً.

(١) هو محمد بن فليح بن سليمان الأسلمي أو الخزاعي المدني، صدوق يهيم من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائتين خ س ق.

قال ابن التين عن الداودي قوله «اقرأوا إن شئتم» أحسبه من كلام أبي هريرة.

قال مقيده: ولم أجد هذا الحرف في طرق حديث أبي هريرة إلا من رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة وقد روى الحديث أحمد ومسلم وابن حبان عن جابر وليس فيه (فاقرأوا إن شئتم).

الثالثة: قوله «فأما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا» في الكفالة باب الدين (ومن ترك مالا فلورثته) وكذا في الفرائض باب قول النبي ﷺ (من ترك مالا فلأهله).

الرابعة: قوله: «فإن ترك ديناً، أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه» في الكفالة (فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه) وفي الفرائض (فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه) فبان بهذا تخصيص القضاء بمن لم يترك وفاءً لدينه، وقوله فليأتني أي من يقوم مقامه في السعي في وفاء دينه أو المراد صاحب الدين.

وقوله «ضياعاً» بفتح الضاد المعجمة أي عيالاً ضائعين ولا شئ لهم ولا قيم.

من فقه الحديث

أولاً: ثبوت ولاية النبي ﷺ على كل مؤمن وهذا يستلزم إتياعه والتمسك بسنته ومحبته.

ثانياً: كمال شفقته ﷺ على أهل الإيمان من أمته.

ثالثاً: قضاء الدين عمن مات وهو معسر وهل كان ذلك من خصائصه ﷺ أو يجب على ولاية الأمر بعده، والراجح الاستمرار لأن على ولي الأمر من المسلمين ما لرسول الله ﷺ من الأحكام فهو نائب عنه وهذا من مال المصالح.

٢٧٤ - [باب ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

قوله: ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ يقول تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنيه محمد ﷺ: الحق نسب زيد بأبيه حارثه، ولا تدعه زيدا ابن محمد وقوله ﴿هو أقسط عند الله﴾ يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين. اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي عوضاً عما فاتهم من النسب.

وقوله ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ أي لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد ولكن الإثم فيما تعمدت قلوبكم وهو ما قلموه على طريقة العمد من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك. اهـ من الشوكاني.

قوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يخبر تعالى أنه ذو ستر على ذنب من ادعى ولد غيره ابناً له، إذا تاب وراجع أمر الله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب نسبة المرء إلى أبيه إذا كان أبوه معلوماً.

ثانياً: ملاطفة من لم يعلم آباءهم من المسلمين ومواساتهم وذلك باعتبارهم

اخوة في الدين وموالي.

ثالثاً: تحريم انتساب المرء إلى غير أبيه وفي الحديث الصحيح (من ادعى لغير أبيه وهو يعلمه كفر) قال أهل العلم: وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبرئ من النسب المعلوم.

٣٠٣ - حدثنا معلى بن أسد^(١): حدثنا عبد العزيز بن المختار^(٢) حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «إن زيد بن حارثة» هو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ صحابي جليل مشهور من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين.

الثانية: قوله «ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد» قلت لتبني رسول الله ﷺ إياه قصة وهي: أن سعدى أم زيد بن حارثة زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام يفقه فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجه بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فحجج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه فقدموا مكة فسألوا عن النبي ﷺ فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم حرم الله تفكون العاني

(١) هو أبو الهيثم معلى بن أسد العمي البصري، أخو بهز ثقة ثبت، من كبار العاشرة مات سنة ثمانين عشرة [ومائتين] على الصحيح، خ م قد ت س ق.

(٢) هو عبد العزيز بن المختار الدباغ البصري مولى حفصة بنت سورين، ثقة من السابعة، ع.

وتطعمون الأسير جنتناك عن ولدنا عندك فأمنن علينا وأحسن في فدائه فإنا سنرفع لك قال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال أو غير ذلك ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار علي من اختارني فداء قالوا: فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال: نعم هذا أبي وهذا عمي قال فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما فقال: زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أنت مني بمكان الأب والعم فقالا ويحك يا زيد أختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام).

الثالثة: قوله «حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم...﴾» الآية فيه دليل على أن النهي عن نسبة الرجل إلى من تبناه واعتباره ابناً له كان بالمدينة لأن سورة الأحزاب مدنية وقوله ﴿ادعوهم لآبائهم...﴾ الآية هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٧٥ - [باب ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾]

ش: قلت الآية: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾. يقول تعالى ذكره:

﴿من المؤمنين﴾ بالله ورسوله.

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يقول فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما. قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده والنصر من الله والظفر على عدوه.

وقوله ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدور، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا ﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [﴿نَحْبِهِ﴾: عهده].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد، وأخرج عن يزيد بن رومان والحسن نحوه.

وقال أبو عبيدة: أي نذرة الذي كان نحب أي نذر والنحب أيضاً النفس أي الموت وجعله جرير الخطر العظيم فقال:

بطخفة جالدنا الملوك وقبلنا عشية بسطام حديث على نحب. اهـ

٢ - ﴿أقطارها﴾ جوابها].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونواحيها واحدهما قطر.

والآية المشار إليها ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة

لأتوها وما تلقوا بها إلا يسيرا﴾.

٣ - ﴿الفتنة لآتوها﴾ لأعطوها].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وأخرج عن ابن زيد قال: لو سئلوا أن يكفروا

لكفروا وهذا التفسير على قراءة بعض المكيين وعامة الكوفيين والبصريين.

وقرأت عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة ﴿لأتوها﴾ بقصر الألف بمعنى

جاءوها.

٣٠٤ - حدثني محمد بن بشار: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال:

حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نرى هذه الآية

نزلت في أنس بن النضر ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

٣٠٥ - حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني

خارجة بن زيد بن ثابت^(١): أن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في

المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم

أجدها عند أحد إلا مع خزيمه الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته

شهادة رجلين ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

ش: فيهما ست مسائل:

(١) هو أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني، ثقة فقيه، من الثالثة مات سنة

مائة وقيل قبلها، ع.

الأولى: قوله «لوى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر» وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إنني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت هذه الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا... الخ﴾.

وأخرج عن موسى وعيسى ابني طلحة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ قال: وكانوا لا يجرون على مسألته فقالوا للأعرابي سله (من قضى نجبه؟) من هو؟ فسأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم دخلت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رأني رسول الله ﷺ قال: أين السائل عن من قضى نجبه؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: هذا ممن قضى نجبه.

ويجمع بينهما أن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرًا، فعاهدوا الله أن يفروا قتالاً للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نجبه، ومنهم من أوفى ولم يقضى نجبه وكان منتظرًا، وكان أنس وطلحة كلاهما ممن نزلت فيه الآية.

الثانية: قوله ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الثالثة: قوله ﴿فقدت آية من سورة الأحزاب﴾ في فضائل القرآن باب جمع القرآن فقدت آية من الأحزاب حيث نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها.

وقوله «فقدت»: فقداً من باب ضرب و«فقداناً» عدمته فهو مفقود وفقيد.
الرابعة: قوله «(خزيمة الأنصاري)» هو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي ثم الخطمي وأمه كبشة بنت أوس الساعدية من السابقين

الأولين شهد بدماء وما بعدها وقيل أول مشاهده أحد وكانت راية خظمة بيده يوم الفتح قتل يوم صفين.

الخامسة: قوله ((الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين)) أخرج أبو داود والنسائي عن عمارة بن خزيمة بن خزيمة عن عمه وكان من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فارساً، فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطلق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه - فذكر الحديث - قال فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني قد بعثك، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبي ﷺ: تم تشهد؟ قال بتصديقك، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين).

قلت: وفيه فضيلة خزيمة وفضيلة الفطنة في الأمور وأنها ترفع منزلة صاحبها.

السادسة: قوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ هذا هو الشاهد الثاني من الحديث للترجمة وقد سبق شرحه وفي الفضائل زيادة: (فالحقناها في سورتها في المصحف).

٢٧٦ - [باب قوله ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنييه محمد ﷺ قل يا محمد لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن، يقول فيني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾.

وقوله ﴿أسرحكن سراحاً جميلاً﴾ يقول: أطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [وقال معمر: ﴿التبرج﴾: أن تخرج محاسنها].

ش: قلت ومعمر هذا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي صاحب مجاز القرآن، والذي وجدته في تفسيره "وهو من التبرج وهو أن يبرزن محاسنهن فيظهرنها.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كانت لهن مشيه وتكسر وتغنج" وعن ابن أبي نجيح قال: التبخر.

والآية المشار إليها ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾.

٢ - [﴿سنة الله﴾ استنها جعلها].

ش: نصب بنزع الخافض، وقيل فعل سنة الله، وقيل على الإغراء أي اتبعوا سنة الله.

وقال أبو عبيدة: "سنة الله" منصوبة لأنها في موضع مصدر من غير لفظها.

وقال ابن جرير: ونصب قوله "سنة الله" على معنى حقاً من الله كأنه قال:

فعلنا ذلك سنة منا.

قلت: وقد وردت الكلمة منصوبة في هذه السورة مرتين:

إحدهما: في الآية الثامنة والثلاثين.
والأخرى في الآية الثانية والستين ولا ندري أيتهما عنى المصنف.

٣٠٦- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يخيّر أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: إني ذاك لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي، حتى تستأمرني أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت ثم قال: إن الله قال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟
فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)
سيأتي شرحه في الباب الذي بعده.

٢٧٧ - [باب ﴿وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً﴾].
 ش: قوله ﴿وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ أي الجنة ونعيمها.

﴿فإن الله أعد للمحسنات منكم﴾ أي اللاتي عملن عملاً صالحاً.
 ﴿أجراً عظيماً﴾ لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن.

فاختار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وآرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.
 وكن يؤمئذ تسع نسوة وهن خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعه وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

[وقال قتادة: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، القرآن والسنة].

ش: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة فذكره.
 والآية المشار إليها ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾.

٣٠٧ - وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة ابن عبدالرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم

قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا... إِلَىٰ أَجْرٍ عَظِيمًا﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

تابعه موسى بن أعين عن معمر عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة. وقال عبدالرزاق وأبو سفيان المعمر عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.

ش: قوله «قال الليث حدثني يونس» أخرجه ابن جرير في تفسيره هاتين الآيتين والنسائي في الطلاق كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد وموسى بن علي عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها فذكره، وقال الحافظ وصله الذهلي عن أبي صالح عنه.

قلت: وفي الحديث خمس مسائل:

الأولى: قوله «لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه» في رواية شعيب في الباب قبله (حين أمر الله أن يخير أزواجه)، ورد في سبب هذا التخيير ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال (دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ) الحديث وفيه قوله ﷺ (هن حولي كما ترى يسألني النفقة) يعني نساءه، وفيه أنه اعترهن شهراً ثم نزلت عليه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ - حَتَّىٰ بَلَغَ - أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال فبدأ بعائشة فذكر نحو حديث الباب، وفي المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، من طريق عقيل وفي النكاح أيضاً من طريق شعيب كلاهما عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر في قصة المرأتين اللتين تظاهرتا بطوله وفي آخره (حين أفشته حفصة إلى عائشة) وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة ما وجدته عليهن حتى عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون» دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت

له: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وقد أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدتها عدأً، فقال النبي ﷺ: «الشهر تسع وعشرون». وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين قالت عائشة (فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي) الحديث، وهذا سياق ظاهره أن الحديث كله من رواية ابن عباس عن عمر، وأما المروي عن عائشة فمن رواية ابن عباس عنها. قال الحافظ: وقد وقع التصريح بذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي صالح عن الليث بهذا الإسناد إلى ابن عباس قال (قالت عائشة: أنزلت آية التخيير، فبدأ بي، الحديث، لكن أخرج مسلم الحديث من رواية معمر عن الزهري ففصله تفصيلاً حسناً، وذلك أنه أخرجه بطوله إلى آخر قصة عمر في المتظاهرتين إلى قوله (حتى عاتبه) ثم عقبه بقوله (قال: الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون) فذكر مراجعتها في ذلك ثم عقبه بقوله (قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك) الحديث، فعرف من هذا أن قوله (فلما مضت تسع وعشرون الخ) في رواية عقيل هو من رواية الزهري عن عائشة بحذف الواسطة، ولعل ذلك وقع عن عمد من أجل الاختلاف على الزهري في الواسطة بينه وبين عائشة في هذه القصة بعينها كما بينه المصنف هنا، وكأن من أدرجه في رواية ابن عباس مشى على ظاهر السياق ولم يفتن للتفصيل الذي وقع في رواية معمر، وقد أخرج مسلم أيضاً من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد) الحديث بطوله وفي آخره (قال وأنزل الله آية التخيير) فاتفق الحديثان على أن آية التخيير نزلت عقب فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه، ووقع ذلك صريحاً في رواية عمرة عن عائشة قالت (لما نزل النبي ﷺ إلى نساءه أمر أن يخيرهن) الحديث أخرجه الطبري والطحاوي، واختلف الحديثان في سبب الاعتزال، ويمكن الجمع بأن يكون القضيتان جميعاً

سبب الاعتزال فإن قصة المتظاهرتين خاصة بهما، وقصة سؤال النفقة عامة في جميع النسوة، ومناسبة آية التخيير بقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين». اهـ

واختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القول الأول: أنه خيرهن بأذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق

فاختزن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعه.

والقول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكنهن

ولم يخيرهن في الطلاق وبهذا قال علي والحسن وقتادة.

والراجح الأول ويشهد له حديث الباب.

الثانية: قوله (فلا عليك أن لا تعجلي) في رواية شعيب (أن لا تستعجلي)

والمعنى أي فلا بأس عليك في التأني وعدم العجلة حتى تشاوري أبيك.

الثالثة: قوله (حتى تستأمرني أبيك) وكذا في رواية شعيب، أي تطلبي

منهما أن يبينا لك رأيهما في ذلك، ووقع في حديث جابر (حتى تستشيري

أبيك) زاد ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة (إنني

عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه علي أبيك أبي بكر وأم

رومان)، ويستفاد من مجموع هذه الروايات أمر النبي ﷺ عائشة بعرض الموضوع

على أبيها واستشارتها إياها فيه.

الرابعة: قوله « قالت فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ » في رواية محمد

بن عمرو (فقلت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أوامر أبوي أبا بكر

وأم رومان، فضحك) وعند ابن جرير من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه

(ففرح) فدل ذلك على إقرار النبي ﷺ في عدم استشارتها أبيها في هذا الأمر

لأنها أصابت الأرضي لها وهو اختيار الله ورسوله والدار الآخرة.

الخامسة: قوله «ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت» في رواية عقيل (ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة) زاد ابن وهب عن يونس في روايته (فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاحترنه) أخرجه ابن جرير وعنده من رواية محمد بن عمرو المذكورة (ثم استقرى الحجر - يعني حجر أزواجه - فقال: إن عائشة قالت كذا، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت)، وقوله (استقرى الحجر) تعني بيوته وهي مساكن أزواجه والمعنى أنه تتبع نساءه واحدة واحدة في التخيير، وفي حديث جابر المذكور أن عائشة لما قالت (بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة) قالت (يا رسول الله وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، فقال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يعثني متعتاً وإنما بعثني معلماً ميسراً).

من فقه الحديث

- ١ - في الحديث ملاطفة النبي ﷺ لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يعثه عليهن الغيرة.
- ٢ - فضيلة عائشة فقد بدأ بها.
- ٣ - وفيه أن صغر السن مظنة لنقص الرأي، قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبوها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر.
- ٤ - وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها.

فائدة:

وإن خير الرجل زوجه بين نفسه والطلاق فاخترت زوجها أوردت الخيار، نص أحمد في رواية الجماعة عنه وهو مروى عن عمر وعلي وزيد وابن مسعود وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن شرملة وابن أبي ليلى والثوري والشافعي وابن المنذر بأنه لم يقع شيء.

وعن الحسن تكون واحدة رجعية وروي ذلك عن علي ورواه إسحاق بن منصور عن أحمد قال: فإن اختارت زوجها فواحدة يملك الرجعة وإن اختارت نفسها فثلاث. اهـ. من المغني بتصرف.

قال مقيده: وأول القولين هو الراجح ويؤيده حديث الباب فإنه لم يرد في شيء من طرقه أن النبي ﷺ عد تخييره أزواجه طلاقاً بل صرح بن وهب في روايته عند ابن جرير عن عائشة بعدم ذلك فقال فلم يكن ذلك طلاقاً حين قاله لهن فاخترنه والله أعلم.

قوله (تابعه موسى بن أعين عن معمر عن الزهري أخرجني أبو سلمة) يعني عن عائشة، وصله النسائي من طريق محمد بن موسى بن أعين حدثنا أبي فذكره. وقوله (وقال عبد الرزاق وأبو سفيان المعمرى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة) أما رواية عبد الرزاق فوصلها مسلم وابن ماجه من طريقه وأخرجها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه، وقصر من قصر تخريجها على ابن ماجه، وأما رواية أبي سفيان المعمرى فأخرجها الذهلي في الزهريات وتابع معمرأ على عروة جعفر بن برقان، ولعل الحديث كان عند الزهري عنهما فحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا، وإلى هذا مال الترمذي، وقد رواه عقيل وشعيب عن الزهري عن عائشة بغير واسطة) اهـ من الفتح.

٢٧٨ - [باب ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق

أن تخشاه﴾].

ش: قلت الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعياءهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي أنعم الله عليه أي بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿وأنعمت عليه﴾ أي بالعتق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبي ﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضي الله عنها: ما بعته رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه، رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد، عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها.

وقوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) والذي أخفاه أنه لو طلقها زيد لتزوجها ﷺ.

﴿وتخشى الناس﴾ في عدم إبداء ما في نفسك.

﴿والله أحق أن تخشاه﴾ فإن خشيته جالبة لكل خير، مانعة من كل شر.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله ﷺ حق قدره، أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش وأنه رآها فقال: سبحة مقلب القلوب، وأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد بن حارثة أمسكها حتى انزل الله عليه ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه، أمسك عليك

زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴿١﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلام الله مالا يحتمله ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ قد تبناه وكان يدعى زيد بن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه، فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها فقال له رسول الله ﷺ (أمسك عليك زوجك واتق الله) وأخفى في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس، أنه تزوج امرأة ابنه لأن زيدا كان يدعى ابنه فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له.

وقال ابن كثير: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا آثراً عن بعض السلف رضي الله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها».

قال مقبده: ونحن نورد لك بعض تلك الآثار مع التعقيب عليها لكي تعرف سبب إعراض ابن كثير وغيره من المحققين عنها:

١ - ما أخرجه ابن جرير عن عبد الله بن وهب قال: قال ابن زيد كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال يا رسول الله إنني أريد أن أفارق صاحبتني، قال مالك، أرأيت منها شيء، قال لا والله ما رأيت منها شيء يا رسول الله ولا رأيت إلا خيراً فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴿١﴾ تخفي في نفسك إن فارقتها تزوجتها.

قلت: فهذا الخبر مع إرساله منكر وآفته ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم قال الحافظ عنه في التقريب ضعيف، وقال ابن حبان في المجروحين: كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، ونقل عن ابن معين قال: عبد الرحمن وعبد الله وأسامة بنو زيد ابن أسلم ليسوا بشيء.

٢ - واخرج ابن جرير عن علي بن حسين قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أنّ زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾. قلت: وهذا فيه علتان:

إحدهما: الإرسال فإن علي بن الحسين لم يلق النبي ﷺ.

والأخرى: أن علي بن زيد بن جدعان أحد رجال إسناده ضعيف.

ولك أن تقول ما الحق في هذه المسألة ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ فإنها مسألة مبهمة فالجواب ما قاله الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان (٥٨٢/٦) بعد نقله كلاماً لأهل العلم في الآية: والتحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيدا سيطلق زينب وأنه يزوجه إياه ﷺ وهي في ذلك الوقت تحت زيد... والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجه إياها في قوله ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ ولم يبد جل وعلا شيئاً مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد أبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر الثاني: أن الله جل وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأعداء... وكون الله هو

الذي زوجه إياها هذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا ويوضحه قوله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ الآية، لأنه يدل على أن زيد قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره والعلم عند الله تعالى. اهـ.

قال مقيد: عليك بهذا فالزمه وضم معه ما قدمناه عن ابن القيم فإنه هو اللاتق بعصمة رسول الله ﷺ ولا تغتر بسواه فإن منشأه إما خطأ وإما جهل وإما سوء قصد، فالأول مأجور إن شاء الله على اجتهاده، والثاني ليس معدوداً في أهل العلم أو لا يسوغ الأخذ عنهم، وأما الثالث فإنهم أئمة الضلال.

قوله ﴿فلما قضى زيد منها وطراً...﴾ الخ الآية، قضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، يقال قضى وطراً منه إذا بلغ ما أراد من حاجته فيه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها الرائح المجد ابتكاراً قد قضى من تهامة الأوطاراً

أي فرغ من أعمال الحج وبلغ ما أراد منه، والمراد هنا أنه قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة، وقيل المراد به الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة وقال المبرد: الوطر الشهوة والمحبة وأنشد:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر

فلما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق أمته، وبه جاءت الأخبار الصحيحة، ثم علل سبحانه ذلك بقوله ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾ أي ضيق ومشقة في أزواج أديعتهم أي في التزوج بأزواج من يجعلونه ابناً كما كانت تفعله العرب فإنهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة فكان يقال

زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه ﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنيه كما تحرم عليهم نساء آبائهم حقيقة. والأدعياء جمع دعي، وهو الذي يدعى ابناً من غير أن يكون ابناً على الحقيقة، فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم إذا قضاوا منهن وطراً، بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي كان قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاءً ماضياً مفعولاً لا محالة.

٣٠٨- حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن هذه الآية ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة).
ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «أن هذه الآية ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾» هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

الثانية: قوله «في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة» هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصة، وفي التوحيد: ثنا أحمد ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي: ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال (جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية) قال (وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات) وأخرجه أحمد (٣/١٥٠) عن مؤمل بن إسماعيل: ثنا حماد بن زيد: عن ثابت عن أنس قال (أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيد يشكوها إليه، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت إلى قوله ﴿زَوْجِنَاكِهَا﴾ قال: يعني زينب بنت جحش).

وقد أخرج الترمذي في باب ومن سورة الأحزاب من كتاب التفسير، من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت (لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ - يَعْنِي بِالْإِسْلَامِ - وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ - بِالْعَتَقِ - أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إلى قوله ﴿قَدْ رَأَى مَقْدُوراً﴾ وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا تزوج حليمة ابنة، فأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية، وكان تبناه وهو صغير.

قال مقيده: ولا زال زيد يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾.

٢٧٩ - [باب قوله ﴿ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾].

ش: تمامها: ﴿ذلك أدنى أن تقرر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً﴾.

قوله ﴿ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء﴾ اختلف أهل العلم في تأويله على ثلاثة أقوال:

أولها: عنى بقوله ترجي تؤخر وبقوله تؤوي: تضم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي رزين والضحاك.

وثانيها: معنى ذلك تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهم فلا تطلق وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: معنى ذلك ترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك وبه قال الحسن.

قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال الثلاثة: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره، جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ويؤوي إليه منهم من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله، عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن فمن يستحدث إيوؤها أو إرجاؤها منهم: وإذا كان كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء فمن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك، فلا تقربها وتضم إليك من تشاء فمن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك فتجتمعها إذا شئت وتركها إذا شئت بغير قسم.

قوله «﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾» فيه قولان:

أولهما: بمعنى ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك وهو قول قتادة وابن زيد.

وثانيهما: بمعنى من استبدلت ممن أرجيت، فخليت سبيله من نسائك وممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك، وبه قال ابن عباس.

قال ابن جرير بعد حكايتهما: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال: معنى ذلك ومن ابتغيت إصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن.

وقوله «**ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتتهن كلهن**» أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أنت تقسم لمن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرون به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك وتسويتك بينهن وإنصافك لمن وعدلك فيهن.

وقوله «**والله يعلم ما في قلوبكم...**» الخ الآية، يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والحب، يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلاً منه عليك بذلك وتكرمه.

«**وكان الله عليماً**» يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها.

«**حليماً**» يقول ذو حلم وأناة عنهم، ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن عباس: «ترجي» تؤخر].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

٢ - ﴿أرجئه﴾ أخره.

ش: ذكره استشهداً والإشارة به إلى الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة الأعراف والآية السادسة والثلاثين من سورة الشعراء.

٣٠٩ - حدثنا زكريا بن يحيى^(١) حدثنا أبو أسامة قال هشام حدثنا عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

قالت (كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يُسارع في هوائك).

٣١٠ - حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا عاصم الأحول عن معاذة^(٢) عن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت كنت أقول له: إن كان ذلك إلي فأني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحد).

تابعه عباد بن عباد^(٣) سمع عاصماً.

ش: فيهما ثمان مسائل:

(١) هو أبو السكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن الطائي: الكوفي الخزاز صدوق له أوهام لينه بسببها الدار قطني من العاشرة مات سنة إحدى وخمسين ومائتين خ.

(٢) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوي البصرية ثقة من الثالثة ع.

(٣) هو أبو معاوية عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري ثقة ربما وهم من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة أو بعدها بسنة ع.

الأولى: قوله «كنت أغار» كذا وقع هنا بالغين المعجمة من الغيرة وهي الحمية والأنفة يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن بشر عن هشام بن عروة بلفظ (كانت تعير اللاتي وهبن أنفسهن) بعين مهملة وتشديد، قاله الحافظ قلت وفي المصباح (عيرته به قبحته عليه ونسبته إليه يتعدى بنفسه وبالباء، قلت والمستفاد من الروايتين أن عائشة رضي الله عنها غارت على أولئك النسوة وعيرتهن بصنيعهن.

الثانية: قوله «وهبن أنفسهن» هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة، ويؤيده ما أخرجه المصنف في باب تزويج المعسر من حديث سهل بن سعد (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك) وفيه قصة الرجل الذي قال يا رسول الله زوجنيها قال: (التمس ولو خاتماً من حديد)

ثانياً: وأخرج أبو يعلى وأحمد في مسنديهما من حديث أنس (أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت له: أن لي ابنة فذكرت من حسنها وجمالها فأثرتك بها، فقال: قد قبلتها، فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع ولم تشتك قط، فقال: لا حاجة لي في ابنتك) وهذه امرأة أخرى بلا شك.

ثالثاً: قال الحافظ: وعند ابن أبي حاتم من حديث عائشة: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي خولة بنت حكيم، ومن طريق الشعبي قال: من الواهبات أم شريك، وأخرجه النسائي من طريق عروة.

رابعاً: وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح. **خامساً:** وخولة بنت حكيم كما أخرجه ابن جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وهو أيضاً عند المصنف في باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد من النكاح.

قلت فثبت من مجموع هذه الأخبار أن من وهبت نفسها للنبي ﷺ خمس من نساء المسلمين لكنه لم يدخل بواحدة منهن ودليله ما رواه ابن جرير من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس (لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له) قلت وإسناده حسن.

الثالثة: قوله «أتهب المرأة نفسها» في النكاح باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد (ما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل) وهذا استفهام واستنكاراً والباعث عليه الغيرة والمعنى كيف تهب المرأة نفسها فكأنها تعيب عليهن ذلك.

الرابعة: قوله «فلما أنزل الله تعالى ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءِ مِنْهُنَّ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» هذا هو الشاهد من الحديث وقد شرحناه أول الباب.

الخامسة: قوله «مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يَسَارِعَ فِي هَوَاكَ» أَي مَا أَرَى اللَّهَ إِلَّا مُوجِداً لِمَا تَرِيدُ بِلَا تَأْخِيرٍ، مَنْزِلاً لِمَا تُحِبُّ وَتُخْتَارُ.

قوله «تابعه عباد بن عباد سمع عاصماً» يعني تابع عبد الله بن المبارك عباد بن عباد وصله ابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى بن معين عن عباد بن عباد، ورويناه في الجزء الثالث من حديث يحيى بن معين رواية أبي بكر المروزي عنه من طريق المصريين إلى المروزي قاله الحافظ.

السادسة: قوله «أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءِ مِنْهُنَّ...﴾ الْخ الْآيَةُ» فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ وَذَلِكَ بِجَعْلِهِ يَوْمًا لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ وَفِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ مِنْهَا:

ما رواه مسلم عن أنس قال (كان للنبي ﷺ تسع نسوة وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت النبي يأتيها.

ثانيها: وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً امرأة امرأة فيدنوا ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها. رواه أحمد ورواه أبو داود بنحوه.

ثالثها: في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها كان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنوا من إحداهن.

فقد اتفقت هذه الأحاديث الثلاثة على أربعة أمور:

أولاً: القسمة بين نسائه ﷺ وأن كل واحدة منهن لها يوم يبيت عندها فيه.

ثانياً: جواز مرور الرجل على غير صاحبة النوبة من نسائه وبجالستها لموانستها وتفقد أحوالها من غير مييت.

ثالثاً: وجوب المييت عند صاحبة النوبة.

رابعاً: جواز اجتماع الرجل مع نسائه عند صاحبة النوبة من غير مييت.

تنبيه:

في حديث أنس «وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلى

تسع».

قلت: والمشهور انه ﷺ كان يقسم بين ثمان من نسائه ويجعل ليلة سوده لعائشة فيبيت عندها ليلتين لأن سوده تنازلت عن ليلتها لعائشة كما رواه أبو داود.

وهنا سؤال هل كان هذا القسم واجباً عليه أو مخيراً فيه؟

وضواب القول عندي أنه يجب القسم عليه ﷺ بين نسائه شأنه في ذلك

شأن سائر الأمة، كما هو مقرر في الأصول من أن الأصل في الخطاب شموله ﷺ

إلا فيما ثبت فيه خصوصيته، ويدل على وجوب القسمة في حقه ﷺ أدلة كثيرة

منها:

أولاً: قول عائشة في حديث الباب «كان يستأذن في يوم المرأة منا» فلو كان له التخيير بين القسم وعدمه ما احتاج إلى الاستئذان.

ثانياً: ما رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في شأن سودة وفيه قالت (يا ابن أخي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكته عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جمعاً، فيدنوا من كل امرأة من غير ميس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله منها.

قلت: ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: أن دنوه عليه الصلاة والسلام من نسائه حين طوافه عليهن حتى ينتهي بصاحبة النوبة، هو تفسير الإيواء في الآية.

الثاني: لو كان مخيراً ما أحوج الأمر سودة أن تهب نوبتها لعائشة.

ثالثاً: ومن الأدلة على وجوب القسم ما رواه البخاري من حديث عائشة أنه ﷺ كان يسأل أين أنا غداً وذلك في مرضه الذي مات فيه، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها... الحديث، فلو كان له ﷺ التخيير في القسم ما احتاج إلى إذن أزواجه في هذه الحال مع أنه ليس على المريض حرج، والله أعلم.

السابعة: قوله «ما كنت تقولين» القائل راوية عائشة معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية، وفيه جواز السؤال عن الخصوصيات إذا ترتب عليه مصلحة شرعية ولهذا أجابتها عائشة رضي الله عنها.

الثامنة: قوله «إن كان ذاك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً» وعند مسلم في الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً (إن كان ذاك إلي لم أوثر أحداً على نفسي) قال النووي: هذه المنافسة فيه ﷺ ليست لمجرد

الاستمتاع ولمطلق العشرة وشهوات النفوس وحظوظها التي تكون من بعض الناس بل هي منافسة في أمور الآخرة والقرب من سيد الأولين والآخرين والرغبة فيه وفي خدمته ومعاشرته والاستفادة منه وفي قضاء حقوقه وحوائجه وتوقع نزول الرحمة والوحي عليه عندها ونحو ذلك ومثل هذا حديث ابن عباس وقوله في القدح لا أوثر بنفسي منك أحداً ونظائر ذلك كثيرة. اهـ

٢٨٠ - [باب قوله ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً، إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾].

ش: قلت: وأول الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا... الخ﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا... إلى قوله ناظرين إناه﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه.

﴿غير ناظرين إناه﴾ يعني غير منتظرين إدراكه وبلوغه قاله ابن جرير، ثم أخرج هذا المعنى أعني في قوله غير ناظرين إناه عن مجاهد وابن عباس وقتادة.

قوله ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا وإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث﴾ بين لهم سبحانه ما ينبغي لهم إذا دعوا فقال ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾ وفيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الأذن قال ابن العربي: وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول، وقيل إن فيه دلالة بينة على أن المراد بالأذن إلى الطعام هو الدعوة إليه.

﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أمرهم سبحانه بالانتشار بعد الطعام وهو التفرق، والمراد بالإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه عند انقضاء المقصود من الأكل.

﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ عطف على قوله غير ناظرين أو على مقدر أي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين والمعنى النهي لهم عن أن يجلسوا بعد الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث. اهـ من كلام الشوكاني.

قوله ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق﴾ بين سبحانه حكمة النهي وفائدته فقال ﴿إن ذلكم﴾ أي انتظاركم الزائد على الحاجة ﴿كان يؤذي النبي﴾ أي يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته وانتقاله فيه ﴿فيستحي منكم﴾ أن يقول لكم اخرجوا كما هو جاري العادة أن الناس وخصوصاً أهل الكرم منهم يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ولكن الله لا يستحي من الحق فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أديباً وحياء، فإن الحزم كل الحزم اتباع الأمر الشرعي وأن يجزم أن ما مخالفه ليس من الأدب في شيء، والله لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم والرفق لرسوله كائناً ما كان. اهـ من تفسير ابن سعدي.

قوله ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب. وقوله ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم.

﴿ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وقوله ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ والإشارة بقوله ﴿إن ذلكم﴾ إلى أذيته ﷺ ونكاح أزواجه من بعده ﴿كان عند الله عظيماً﴾ أي ذنباً عظيماً وخطياً هائلاً شديداً.

من فقه الآية

أولاً: أمر المؤمنات عامة ونساء النبي ﷺ خاصة بالحجاب من غير ذوي المحارم.

ثانياً: على من دعي إلى وليمة إجابة الدعوى تطيباً لخاطر الداعي، ومن ثم المغادرة بعد أن يطعموا، دون إطالة المكث إلى حد يتأذى به صاحب الوليمة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [يقال: إناه إدراكه أنى يأنى أناة فهو آن].

ش: قال أبو عبيدة: إناه أي إدراكه وبلوغه ويقال أنى لك أن تفعل يأنى أنياً والاسم إنى وأنى أبلغ أدرك قال:

تمحضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام اهـ.

٢- [لعل الساعة تكون قريباً] إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبه وإذا جعلته ظرفاً وبدلاً ولم ترد الصفة، نزع الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع، للذكر والأنثى].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مجاز الظرف هاهنا ولو كان وصفاً للساعة لكان قريبه، وإذا كان ظرفاً فإن لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء وبغير تثنية وبغير جمع.

والآية المشار إليها ﴿يستلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾.

٣١١ - حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس قال (قال عمر رضي

الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب).

٣١٢ - حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي^(١) حدثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يقول حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهياً للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقت فجنّت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد قاموا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية.

٣١٣ - حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال أنس بن مالك (أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب: لما أهديت زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - إلى قوله - من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب، وقام القوم.

٣١٤ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال (بني علي النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي البصري ثقة من كبار العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين على الصحيح خم م س ق.

البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك، فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول هن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

٣١٥ - حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال (أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزيب بنت جحش فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن، ويسلمن عليه، ويدعو هن، ويدعون له، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر، فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب).

وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى حدثنا حميد سمع أنساً عن النبي ﷺ.

٣١٦ - حدثني زكريا بن يحيى، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت (خرجت سوده - بعدما ضرب الحجاب - لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سوده، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك).

ش / فيها ثمان عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر» قلت: البر هو الصادق التقي وعكسه الفاجر وهو كل كذوب أئيم والمعنى أنه لمكانتك يدخل عليك أخلاط من الناس.

الثانية: قوله «قلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب» لوها هنا للعرض وهو الطلب برفق ومنه قولك، لو تنزل عندنا فتصيب خيراً والمعنى أن في عبارة عمر هذه الطلب من رسول الله ﷺ أن يأمر نساءه بالاحتجاب وهو التستر وقد قدم العلة قبل ذلك.

الثالثة: قوله: «فأنزل الله آية الحجاب» في رواية أبي مجلز «فألقي الحجاب بيني وبينه فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية﴾» وفي رواية أبي قلابة بعدها (فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - إلى قوله - من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب وقام القوم).

الرابعة: قوله «لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش» هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رثياب بن يعمر الأسدية أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر عن ثلاث وخمسين سنة وقيل عن خمسين.

الخامسة: قوله «دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون» وفي رواية أبي قلابة (صنع طعاماً ودعا القوم فقعدها يتحدثون) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ثم يخرجون) وفي رواية حميد (فأشبع الناس خبزاً ولحماً)، وفي رواية الجعد (فقال ادع فلاناً وفلاناً وذهبت فدعوتهم زهاء ثلاثمائة رجل)، وفي رواية الجعد بن عثمان عن أنس عند مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب قال (تزوج النبي ﷺ

فدخل بأهله فصنعت له أم سليم حيساً ويمكن الجمع بأن طعام وليمته ﷺ كان من صنعه وصنع أم سليم.

السادسة: قوله «وإذا هو يتأهب للقيام فلم يقوموا» في رواية أبي قلابة (فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود) وفي رواية ابن صهيب (فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة... إلى قوله فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) وفي رواية حميد «فلما رجع إلى بيته رأى رجلين» ووافقه بيان بن عمرو عن أنس عند الترمذي، وأصله عند المصنف أيضاً، قال الحافظ: ويجمع بين الروایتين بأنهم أول ما قام وخرج من البيت كانوا ثلاثة وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك فصاروا اثنين، وهذا أولى من حزم ابن التين بأن إحدى الروایتين وهم.

وجوز الكرمانى أن يكون التحدث وقع من اثنين منهم فقط والثالث كان ساكناً، فمن ذكر الثلاثة لحظ الأشخاص ومن ذكر الاثنين لحظ سبب القعود، قلت وقول أنس (فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون) يرد هذا التأويل.

السابعة: قوله «فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل» كذا بالجزم، وفي رواية حميد (فلا أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر) وفي رواية عبد العزيز عن أنس (فما أدري أخبرته أو أخبر) وهو مبني للمجهول أي أخبر بالوحي، وهذا الشك قريب من شك أنس في تسمية الرجل الذي سأل الدعاء بالاستسقاء، فإن بعض أصحاب أنس جزم عنه بأنه الرجل الأول وبعضهم ذكر أنه سأل عن ذلك فقال لا أدري، وهو محمول على أنه كان يذكره ثم عرض له الشك فكان يشك فيه ثم تذكر فجزم.

الثامنة: قوله «فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية» زاد أبو قلابة في روايته ﴿إلا أن

يؤذن لكم - إلى قوله - من وراء حجاب ﴿ فضرب الحجاب، وفي رواية عبد العزيز (حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب) وعند الترمذي من رواية عمرو بن سعيد عن أنس (فلما أرخى الستر دوني ذكرت ذلك لأبي طلحة فقال: إن كان كما يقول لينزلن فيه قرآن، فنزلت آية الحجاب).

التاسعة: قوله «أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب» وعند المصنف في باب آية الحجاب من الاستئذان ومسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش من رواية الزهري عن أنس قال (أنا أعلم الناس في شأن الحجاب وكان في منى رسول الله ﷺ بزینب).

العاشرة: قوله «لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ» في رواية أبي مجلز (لما تزوج رسول الله ﷺ) وفي رواية عبد العزيز بن صهيب (بني على النبي ﷺ بزینب بنت جحش، فقوله (لما أهديت) أي لما زينتها الماشطة وبعثتها إلى رسول الله ﷺ).

قال الجوهري: (والهداء مصدر قولك: هديت المرأة إلى زوجها هداء وقد هديت إليه وهي مهدية، وقوله (بني على النبي ﷺ) بصفة المجهول من البناء وهو الدخول بالزوجة، والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها فبه ليدخل بها فيها، فيقال بنى الرجل على أهله).

الحادية عشرة: قوله «فيجيء قوم فيأكلون الثلاث» في رواية الجعد وقال لي رسول الله ﷺ (يا أنس هات التور) قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله ﷺ (ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل إنسان مما يليه) قال فأكلوا حتى شعوا.

الثانية عشرة: قوله «فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت وعليك السلام ورحمة الله، كيف

وجدت أهلك بارك الله لك، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فتقرى حجر نسائه كلهن» وفي رواية ثابت عند مسلم (فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن).

الثالثة عشرة: قوله «وقال ابن أبي مريم... الخ» قلت ابن أبي مريم اسمه سعيد بن الحكم الجمحي شيخ البخاري ويحيى ابن أيوب الغافقي المصري ومراد المصنف رحمه الله بهذا إثبات سماع حميد من أنس.

الرابعة عشرة: قوله «سوده» هي أم المؤمنين سوده بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية، تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة وهو بمكة وماتت سنة خمس وخمسين على الصحيح، في خلافة معاوية رضي الله عنهما.

الخامسة عشرة: قوله «لحاجتها» عند المصنف في الوضوء باب خروج النساء إلى البراز (أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصب وهو سعيد أفصح).

السادسة عشرة: قوله «وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على أحد» عند المصنف في الوضوء ومسلم في السلام (وكانت امرأة طويلة).

السابعة عشرة: قوله: «فأراها عمر فقال: يا سوده والله ما تخفين علينا» وفي رواية ابن شهاب (فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سوده، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب).

قال مقيله: وهذا يخالف في ظاهره رواية الباب كما ترى.

قال الكرمانى (٥٤/١٨): «لعله وقع مرتين، وتعقبه الحافظ بقوله: بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني».

الثامنة عشرة: قوله «أنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن» أذن بضم الهمزة مبنياً للمفعول قال القسطلاني: دفعاً للمشقة ورفعاً للحرج وفيه التنبيه على

أن المراد بالحجاب التستر حتى لا يبدوا من جسدهن شيء لا حجب أشخاصهن في البيوت.

من فقه الأحاديث

أولاً: في إشارة عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ بحجاب أمهات المؤمنين وإقرار النبي ﷺ ذلك فضيلة ومنقبة لعمر رضي الله عنه.

ثانياً: بذل المشورة لأهل الفضل وتسيبهم إلى مصالحهم.

ثالثاً: مشروعية الوليمة للعرس وهل هي واجبة أو مستحبة قولان لأهل العلم: فالأكثر على الثاني وقال بعض أصحاب الشافعي بالوجوب قالوا لأن النبي ﷺ أمر بها عبد الرحمن بن عوف ولأن الإجابة إليها واجبة فكانت واجبة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٠٦/٣٢): «أما وليمة العرس فهي سنة».

وقال ابن قدامة في المغني كتاب الوليمة (٨/١٠٦): «ولنا أنها طعام لسرور حادث فأشبهه سائر الأطعمة والخير محمول على الاستحباب».

رابعاً: مشروعية الدعوة إلى الوليمة والتوسعة فيها بما أمكن وهذا مستفاد من أمر النبي ﷺ بذلك وقوله في بعض طرق الحديث (ادع فلان وفلان) وفي بعض طرقه (ومن لقيت) فدعى أنس حتى بلغ المدعوون نحو ثلاثمائة رجل.

خامساً: إجابة الدعوة إلى وليمة العرس، قال ابن عبد البر: «لا خلاف في وجوب الإجابة إلى الوليمة لمن دعي إليها إذا لم يكن فيها لهو، وبه يقول مالك والشافعي والعبري وأبو حنيفة وأصحابه، ومن أصحاب الشافعي من قال هو من فروض الكفريات لأن الإجابة إكرام وموالة فهي كرد السلام»، حكاه في المغني كتاب الوليمة (٨/١٠٧).

قال مقيد: وعندي أن الإجابة إلى وليمة العرس واجبة على الأعيان لورود الأمر بذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ منها: عن ابن عمر رضي الله

عنهما عن النبي ﷺ قال (إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو نحوه) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا دعى أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل وإن كان مفطراً فليطعم. رواهما مسلم.

٢٨١ - [باب قوله ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئاً أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً لَا جَنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نَسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانِهِنَّ، وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾].

ش: قوله ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئاً أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ يقول تعالى ذكره إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء وغير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ يقول: لأتزوجن زوجته بعد وفاته، أو تخفوه: يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ يقول فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء وهو يجازيكم على جميع ذلك. وقوله ﴿لَا جَنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ... إِلَى قَوْلِهِ: وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانِهِنَّ﴾ بين تعالى أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نَسَائِهِنَّ﴾... إلى آخرها وفيها زيادات على هذه.

وقوله «﴿وَلَا نَسَائِهِنَّ﴾» يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات. وقوله «﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانِهِنَّ﴾» يعني به أرقاءهن من الذكور والإناث. ثم أمرهن سبحانه بالتقوى التي هي ملاك الأمر كله والمعنى اتقين الله في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ لم يغب عنه شيء من الأشياء كائناً ما كان، فهو مجاز المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

٣١٧ - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثنا عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت (استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس

بعد ما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل علي النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن؛ فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك فقال النبي ﷺ وما منعك أن تأذني، عمك، قلت يا رسول الله، إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال ائذني له، فإنه عمك تربت يمينك).

قال عروة: فلذلك كانت عائشة تقول: حرموا من الرضاعة، ما تحرمون

من النسب.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس» في النكاح باب لبن الفحل (أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها) وفي الشهادات باب الشهادة على الأنساب من طريق الحكم عن عروة (استأذن علي أفلح فلم آذن له) وعند مسلم أفلح بن قعيس قال الحافظ: والمخفوظ أفلح أخو أبي القعيس، ويحتمل أن يكون اسم أبيه قعيس أو اسم جده فنسب إليه فتكون كنية أبي القعيس وافقت اسم أبيه أو اسم جده، ويؤيده ما وقع في الأدب من طريق عقيل عن الزهري بلفظ (فإن أخا بني القعيس) وكذا وقع عند النسائي من طريق وهب بن كيسان عن عروة، وكذا لمسلم من طريق يونس ومعمّر عن الزهري، وهو المخفوظ عن أصحاب الزهري، لكن وقع عند مسلم من رواية ابن عيينة عن الزهري أفلح بن أبي القعيس، وكذا لأبي داود من طريق الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه، ولمسلم من طريق ابن جريج عن عطاء (أخبرني عروة أن عائشة قالت استأذن علي عمي من الرضاعة أبو الجعد) قال فقال لي هشام: إنما هو أبو القعيس، وكذا وقع عند مسلم من طريق أبي معاوية عن هشام (استأذن عليها أبو القعيس) وسائر الرواة عن هشام قالوا أفلح أخو أبي القعيس كما هو

المشهور، وكذا قال سائر أصحاب عروة، ووقع عند سعيد بن منصور من طريق القاسم بن محمد (أن أبا قعيس أتى عائشة يستأذن عليها) وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق القاسم عن أبي قعيس، والمحفوظ أن الذي استأذن هو أفلح وأبو القعيس هو أخوه، قال القرطبي: كل ما جاء من الروايات وهم إلا من قال أفلح أخو أبي القعيس أو قال أبو الجعد لأنها كنية أفلح، قلت: وإذا تدبرت ما حررت عرفت أن كثيراً من الروايات لا وهم فيه ولم يخطئ عطاء في قوله أبو الجعد فإنه يحتمل أن يكون حفظ كنية أفلح، وأما ابن أبي القعيس فلم أقف عليه إلا في كلام الدار قطني فقال: هو وائل بن أفلح الأشعري، وحكى هذا ابن عبد البر ثم حكى أيضاً أن اسمه الجعد، فعلى هذا يكون أخوه وافق اسمه اسم أبيه، ويحتمل أن يكون أبو القعيس نسب لجده ويكون اسمه وائل بن قعيس بن أفلح بن القعيس، وأخوه أفلح بن قعيس بن أفلح، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا أعلم لأبي القعيس ذكراً إلا في هذا الحديث) اهـ من الفتح.

قال مقيدة: وأما أبو القعيس فنقل الحافظ عن ابن خزيمة وابن مندة حديث الباب وفيه (أن أبا قعيس وائل بن أفلح استأذن الخ) الحديث ثم قال بعد: (الذي يصح من رواية شعبة وغيره أن أفلح أخا أبي القعيس فأبو القعيس إن كان اسمه وائلاً صحت هذه الترجمة) قلت فعليه فالرجل رضي الله عنه مختلف في اسمه.

الثانية: قوله «بعد ما أنزل الحجاب» في النكاح (وهو عمها من الرضاعة، بعد ما أنزل الحجاب) وعند مسلم في الرضاع (أتاني عمي من الرضاعة) فيجمع بينها بأن قوله وهو عمها من كلام عروة وبقيّة الألفاظ من كلام عائشة والله أعلم.

الثالثة: قوله «لا آذن له حتى استأذن النبي ﷺ» وعند مسلم في رواية يونس في الرضاع (والله لا آذن لأفلح) وفي النكاح (فأبيت أن آذن له) وكذا عند مسلم في رواية مالك.

الرابعة: قوله «فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعني امرأة أبي القعيس» وفي رواية يونس عند مسلم (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعني امرأته) هذه الجملة تعليل لما سبق من عدم إذنها له بالدخول عليها ومرادها أنها لم تكن رضیعة لأفلح بل لأخيه أبي القعيس ولهذا قال لها كما في الشهادات (أحتجبتني مني وأنا عمك).

الخامسة: قوله «إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن» وفي رواية يونس يستأذن عليها، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذي صنعت.

السادسة: قوله «ما منعك أن تأذني، عمك» وفي رواية مالك (فأمرني أن أذن له علي) وعند المصنف من رواية عراك (استأذن عليّ أفلح فلم أذن له فقال: أحتجبتني مني وأنا عمك، فقلت: وكيف ذلك، قال: أرضعتك امرأة أخي بلبن أخي فقالت: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدق أفلح، ائذني له) وفي رواية مالك في النكاح (إنه عمك فليلج عليك) أي ليدخل عليك، فبان بهذا دفع ما كانت تظنه عائشة من عدم محرمة أفلح لها وعبرت عنه بأنها لم ترضع بلبنه.

السابعة: قوله «إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعني امرأة أبي القعيس» في رواية يونس (فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعني امرأته) وهذه علة أخرى أوضحت بها لرسول الله ﷺ السبب في عدم إذنها لأفلح بالدخول عليها.

الثامنة: قوله «قال عروة» يظهر أن القائل هو ابن شهاب وعليه فليس بمعلق.

التاسعة: قوله «حرموا من الرضاعة، ما تحرمون من النسب» وفي رواية عراك عند مسلم (فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لها (لا تحتجبي منه، فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) فتحصل من هذا أن التحريم بالرضاعة مثل التحريم من النسب ثابت عن عائشة مرة من قولها ومرة بروايتها عن النبي ﷺ.

من فقه الحديث

أولاً: أن احتجاب النساء من الرجال لم يكن في أول الإسلام، وإنما كانوا يرون النساء، ولا تستتر نساؤهم عن رجالهم إلا بمثل ما كان تستتر رجالهم عن رجالهم حتى نزلت آيات الحجاب.

ثانياً: أن ذوي المحارم من النسب والرضاع لا يحتجب منهم، ولا يستتر عنهم إلا العورات.

ثالثاً: إذا رضع طفل من امرأة صارت أمّاً له وزوجها الذي رضع بلبنه أباه وأولادهما أخوة له وكذلك أولادها من ذلك الرجل أو غيره كما أن أخوة من رضع بلبنه أعمامه وأخوة المرأة أخواله وأبو الرجل وأبو المرأة وإن علوا أجداده ودليل ذلك كله حديث ((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب)).

تنبيه

أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي فقال: انظرون من إخوانكن فإنما الرضاعة من الجماعة).

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث (١٤٨/٩): «والمعنى تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح شرطه من وقوعه في زمن الرضاعة، ومقدار الإرضاع فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط... وقوله (فإنما الرضاعة من الجماعة) فيه تعليل الباعث على إمعان النظر والفكر لأن الرضاعة تثبت النسب وتجعل الرضيع محرماً، وقوله (من الجماعة) أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي: حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته، لأن معدته ضعيفة يكيفها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير كجزء من المرصعة فيشترك في الحرمة مع أولادها» اهـ

قال مقيدة: فلتحذر كل مسلمة من بذل نفسها في الإرضاع بدافع العاطفة أو المحبة ولتتنبه إلى ما أفاده هذا الحديث.

فوائد في الرضاعة:

الأولى: في معنى الرضاع، قال أهل العلم وهو لغة: مص اللبن من الثدي.

وشرعاً: مص من دون الحولين لبناً ثاب عن حمل أو شربه ونحوه.

قال مقيدة: وعموم النصوص من الكتاب والسنة ومنها حديث الباب

وحديث عائشة في التنبيه قبل هذا التعريف تفيد أن الحرمة بالرضاعة حاصلة بمجرد اللبن سواء كان عن حمل أو غيره.

الثانية: في القدر المحرم من الرضعات وفيه ثلاثة أقوال لأهل العلم:

الأول: أن القدر المحرم من الرضاع خمس مصات وهذا هو الصحيح في

مذهب أحمد رحمه الله وبه قال الشافعي وروي هذا عن عائشة وابن مسعود وابن

الزبير وعطاء وطاوس ومن أدلتهم ما رواه مسلم عن عائشة قالت: أنزل في

القرآن عشر رضعات محرمة فممن فتنسج من ذلك خمس وصار إلى خمس

رضعات معلومة يحرم فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وروى مالك

عن الزهري عن عروة عن عائشة عن سهلة بنت سهيل أن النبي ﷺ قال لها:

(ارضعي سالماً خمس رضعات فيحرم بلبتها).

القول الثاني: أنه يحرم قليل الرضاع وكثيره وهو الرواية الثانية عن أحمد

وبه قال مالك وحماد وقتادة ومكحول والحسن والزهري وسعيد بن المسيب

والأوزاعي والثوري والليث وأصحاب الرأي وروي هذا عن علي وابن عباس،

ودليلهم قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾

وقوله ﷺ (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) قالوا: أن ذلك فعل يتعلق به

تحريم مؤبد فلم يعتبر فيه العدد كتحريم أمهات النساء.

القول الثالث: أنه لا يحرم إلا ثلاث رضعات فما فوق وهو الرواية الثالثة عن الإمام أحمد وبه قال أبو ثور وأبو عبيد وابن المنذر وداود بن علي الظاهري، واحتجوا بقوله ﷺ (لا تحرم المصة ولا المصتان) وعن أم الفضل بنت الحارث قالت: قال النبي ﷺ (لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان) رواهما مسلم، قالوا: ولأن ما يعتبر فيه العدد والتكرار يعتبر فيه الثلاث.

والأول هو الراجح ويجاب عن أدلة القول الثاني بأن ما استدلوا به مجمل بينته السنة كما يجاب عن أدلة الفريق الثالث بأن ما استدلوا به مفهوم وصریح أدلة القول الأول منطوق وهو مقدم على المفهوم.

الثالثة: وأعلم أنه لا تكون الحرمة بالرضاعة إلا بشرطين:

أوهما: أن يكون في الحولين لقوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ والحديث (لا يحرم من الرضاع إلا ما أفتق الأمعاء وكان قبل الفطام). رواه الترمذي وصححه. وثانيهما: أن يكون خمس رضعات معلومات وتقدير الرضعة يكون بإمساك الطفل الثدي وإطلاقه باختياره.

فإن قال قائل: فكيف الجواب عن قصة رضاع سالم مولى أبي حذيفة من امرأة أبي حذيفة ألم ترضعه وهو كبير قلنا الحديث في ذلك صحيح ولفظة كما رواه مسلم عن سهلة بنت سهيل أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن سالمًا مولى أبي حذيفة معنا في بيتنا وقد بلغ ما يبلغ الرجال فقال: (أرضعيه تحزمي عليه) قلت ولكن كان إرضاع سالم لضرورة كما هو ظاهر من لفظ الحديث فلا يعترض به علي ما قدمناه قبل والله أعلم.

٢٨٢ - [باب ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾].

ش: المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي من أهل الإيمان بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لني الله محمد ﷺ وسلموا عليه تسليماً يقول: وحيوه تحية الإسلام.

شرح جملة من الآثار

١ - [قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء].

ش: قال ابن كثير: وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضاً.

قلت وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي البصري تابعي مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بستين ودخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مات سنة تسعين، (ع).

٢ - [وقال ابن عباس: يصلون يبركون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (يباركون على النبي).

٣ - [﴿لنفرينك﴾ لنسلطنك].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله ولفظه (لنسلطنك عليهم). وأخرج عن قتادة (لنحرضنك بهم)، والعبارتان متقاربتان في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾.

٣١٨ - حدثني سعيد بن يحيى^(١) حدثنا أبي^(٢) حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلي عن كعب بن عجرة^(٣) رضي الله عنه (قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

٣١٩ - حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: (قلنا يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم) قال أبو صالح عن الليث (على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم)، حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدرراوردي عن يزيد وقال (كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم).

ش / فيهما ست مسائل:

- (١) هو أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي البغدادي ثقة ربما أخطأ من العاشرة، مات سنة تسع وأربعين [ومائتين] خ، م، د، ت، س.
- (٢) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطئ من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين ومائتين خ، ت.
- (٣) هو أبو محمد كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون، ع.
- (٤) هو عبد الله بن خباب الأنصاري النجاري مولاهم المدني، ثقة من الثالثة مات بعد المائة، ع.

الأولى: قوله «قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه» في حديث أبي سعيد بعده (قلنا يا رسول الله هذا التسليم) والمراد بالسلام ما علمهم إياه في التشهد من قولهم (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) قال الحافظ: والسائل عن ذلك هو كعب بن عجرة نفسه، أخرج ابن مردويه من طريق الأجلح عن الحكم بن أبي ليلى عنه.

قلت: وقد وقع السؤال عن ذلك أيضاً لبشير بن سعد والد النعمان بن بشير، كذا وقع في حديث أبي مسعود عند مسلم بلفظ (أتانا رسول الله في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟) وروى الترمذي في الصلاة باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال (لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ الآية، قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة؟). ولا مانع من تعدد السائلين.

الثانية: قوله «فكيف الصلاة عليك؟» في حديث أبي سعيد (فكيف نصلي عليك؟) زاد أبو مسعود في روايته كما أخرج أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان (إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا) وفي هذا دليل على أن العبادات توقيفية.

الثالثة: قوله «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» في حديث أبي سعيد (على محمد عبدك ورسولك).

الرابعة: قوله: «كما صليت على آل إبراهيم» أي تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد فكل من النبيين عبدك ورسولك وخليك.

فائدة

أورد ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٢١٤) سؤالاً: «وهو أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم، فكيف طلب له من الصلاة ما لإبراهيم مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه فكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافرين؟» فذكر أن الناس اختلفوا في هذا تسع طوائف ونحن نذكر ذلك مع اختصار

وتصرف:

أولاً: قالت طائفة: هذه الصلاة علمها النبي ﷺ أمته قبل أن يعرف أنه سيد ولد آدم، ولو سكت قائل هذا، لكان أولى به وخيراً له، فإن هذه الصلاة التي علمهم النبي ﷺ إياها لما سأله عن تفسير ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فعلمهم هذه الصلاة وجعلها مشروعة في صلوات الأمة إلى يوم القيامة، والنبي ﷺ لم يزل أفضل ولد آدم قبل أن يعلم بذلك وبعده، وبعد أن علم بذلك، لم يغير نظم الصلاة التي علمها أمته، ولا أبدلها بغيرها، ولا روى عنه أحد خلافها، فهذا من أفسد جواب يكون.

ثانياً وقالت طائفة أخرى: هذا السؤال والطلب شرع ليتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.

وقد أجابه إلى ذلك كما ثبت عنه في الصحيح: (ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن يعني نفسه، وهذا الجواب من جنس ما قبله فإن مضمونه أنه بعد أن اتخذ الله خليلاً لا تشرع الصلاة عليه على هذا الوجه، وهذا من أبطل الباطل).

ثالثاً: وقالت طائفة أخرى: إنما هذا التشبيه راجع إلى المصلي فيما يحصل له من طلب الصلاة عليه، فطلب من ربه ثواباً وهو أن يصلي عليه كما صلى على آل إبراهيم، لا بالنسبة إلى النبي ﷺ، فإن المطلوب لرسول الله ﷺ من الصلاة أجل وأعظم مما هو حاصل لغيره من العالمين.

وهذا من جنس ما قبله أو أفسد، فإن التشبيه ليس فيما يحصل للمصلي، بل فيما يحصل للمصلي عليه وهو النبي ﷺ وآله، فمن قال: إن المعنى اللهم أعطني من ثواب صلاتي عليه كما صليت على آل إبراهيم فقد حرف الكلم وأبطل في كلامه.

رابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه عائد إلى الآل فقط، وتم الكلام عند قوله: ((اللهم صل على محمد)) ثم قال: ((وعلى آل محمد كما صليت على آل

إبراهيم)) فالصلاة المطلوبة لآل محمد هي المشبهة بالصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، وهذا نقله العمراني عن الشافعي وهو باطل عليه قطعاً، فإن الشافعي أجل من أن يقول مثل هذا، ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته، فإن هذا في غاية الركاكة والضعف.

خامساً: وقالت طائفة أخرى: لا يلزم أن يكون المشبه به أعلى من المشبه، بل يجوز أن يكونا متماثلين وأن يكون المشبه أعلى من المشبه به. قال هؤلاء: والني ﷺ أفضل من إبراهيم من وجوه غير الصلاة، وإن كانا متساويين في الصلاة. قالوا: والدليل على أن المشبه قد يكون أفضل من المشبه به قول الشاعر:

بنونا بنو أبائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

وهذا القول أيضاً ضعيف من وجوه:

أحدها: أن هذا خلاف المعلوم من قاعدة تشبيه الشيء بالشيء، فإن العرب

لا تشبه الشيء إلا بما هو فوقه.

الثاني: أن الصلاة من الله تعالى من أجل المراتب وأعلها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق، فلا بد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لكل مخلوق، فلا يكون غيره مساوياً له فيها.

الثالث: أن الله سبحانه أمر بها بعد أن أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر بالصلاة والسلام عليه، وأكده بالتسليم، وهذا الخبر والأمر لم يثبتهما في القرآن لغيره من المخلوقين.

سادساً: وقالت طائفة أخرى: إن النبي ﷺ له من الصلاة الخاصة به التي لا يساويها صلاة ما لم يشركه فيها أحد، والمستول له إنما هو صلاة زائدة على ما أعطيه مضافاً إليه، ويكون ذلك الزائد مشبهاً بالصلاة على إبراهيم، وليس بمستنكر أن يسأل للفاضل فضيلة أعطيها المفضول منضماً إلى ما اختص به هو من الفضل الذي لم يحصل لغيره.

قالوا: ومثال ذلك: أن يعطي السلطان رجلاً مالاً عظيماً ويعطي غيره دون ذلك المال، فيسأل السلطان أن يعطي صاحب المال الكثير مثل ما أعطى من هو دونه لينضم ذلك إلى ما أعطيه، فيحصل له من مجموع العطاءين أكثر مما يحصل من الكثير وحده.

وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا ما دونها، وهو أكمل الصلاة عليه وأرجحها، لا الصلاة المرجوحة المفضولة.

وعلى قول هؤلاء: إنما يكون الطلب لصلاة مرجوحة لا راجحة، وإنما تصير راجحة بانضمامها إلى صلاة لم تطلب، ولا ريب في فساد ذلك، فإن الصلاة التي تطلبها الأمة له من ربه هي أجل صلاة وأفضلها.

سابعاً: وقالت طائفة أخرى: التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة، لا في قدرها، ولا في كقيتها، فالمستول إنما هو راجع إلى الهيئة، لا إلى قدر الموهوب، وهذا كما تقول للرجل أحسن إلى ابنك كما أحسنت إلى فلان، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان، وإنما تريد به أصل الإحسان، وقد يجتج لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ولا ريب أنه لا يقدر أحد أن يحسن بقدر ما أحسن الله إليه، وإنما أريد به أصل الإحسان لا قدره، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وهذا التشبيه في أصل الوحي لا في قدره وفضل الموحى به.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ إنما مرادهم جنس الآية لا نظيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة، وأن ما لهذه الأمة

أكمل مما لغيرهم. وقال النبي ﷺ: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً)) فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ولا كفيته ونظائر ذلك.

وهذا الجواب ضعيف أيضاً لوجه:

منها أن ما ذكره يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى والمساوي. فلو قلت: أحسن إلى أهلك وأهلك كما أحسنت إلى مركبك وخادمك ونحوه، جاز ذلك. ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة، لحسن أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل أبي أوفى، أو كما صليت على آحاد المؤمنين ونحوه، أو كما صليت على آدم، ونوح، وهود، ولوط، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا صفتها، ولا فرق في ذلك بين كل من صلى عليه، وأي ميزة وفضيلة في ذلك لإبراهيم وآله، وما الفائدة حينئذ في ذكره وذكر آله؟ وكان الكافي في ذلك أن يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط.

الثاني: أن ما ذكره من الأمثلة ليس بنظير الصلاة على النبي ﷺ، فإن هذه الأمثلة نوعان: خير، وطلب؛ فما كان منها خيراً فالمقصود بالتشبيه به الاستدلال والتقريب إلى الفهم وتقرير ذلك الخير، وأنه مما لا ينبغي لعاقل إنكاره كنظير المشبه به، فكيف تنكرون الإعادة وقد وقع الاعتراف بالبداءة وهي نظيرها، وحكم النظر حكم نظيره.

وأما في قسم الطلب والأمر فالمقصود منه التنبية على العلة وأن الجزاء من جنس العمل.

الثالث: أن قوله: (كما صليت على آل إبراهيم) صفة لمصدر محذوف، وتقديره: صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم، وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة مماثلة للصلاة المشبهة بها فلا يعدل عن حقيقة الكلام ووجهه.

ثامناً: وقالت طائفة أخرى: إن هذا التشبيه حاصل بالنسبة إلى كل صلاة من صلوات المصلين، فكل مصل صلى على النبي ﷺ بهذه الصلاة فقد طلب من الله أن يصلي على رسوله صلاة مثل الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ولا ريب أنه إذا حصل من كل مصل طلب من الله له صلاة مثل صلته على آل إبراهيم حصل له من ذلك أضعاف مضاعفة من الصلاة لا تعد ولا تحصى، ولم يقاربه فيها أحد، فضلاً عن أن يساويه أو يفضله ﷺ.

ونظير هذا أن يعطي ملك لرجل ألف درهم، فيسأله كل واحد من رعيته أن يعطي لرجل آخر أفضل منه نظير تلك الألف، فكل واحد قد سأله أن يعطيه ألفاً، فحصل له من الألوف بعدد كل سائل.

وأورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالاً: وهو أن التشبيه حاصل بالنسبة إلى أصل هذه الصلاة المطلوبة، وكل فرد من أفرادها، فالإشكال وارد كما هو.

وتقريره أن العطية التي يعطاها الفاضل لا بد أن تكون أفضل من العطية التي يعطاها المفضول، فإذا سئل له عطية دون ما يستحقه لم يكن ذلك لائقاً بمنصبه. وأجابوا عنه بأن هذا الإشكال إنما يراد إذا لم يكن الأمر للتكرار، فأما إذا كان الأمر للتكرار فالمطلوب من الأمة أن يسألوا الله سبحانه له صلاة بعد صلاة، كل منها نظير ما حصل لإبراهيم ﷺ فيحصل له من الصلوات ما لا يحصى مقداره بالنسبة إلى الصلاة الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

وهذا أيضاً ضعيف، فإن التشبيه هنا إنما هو واقع في صلاة الله عليه لا في معنى صلاة المصلي، ومعنى هذا الدعاء: اللهم أعطه نظير ما أعطيت إبراهيم، فالمستول له صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم، وكلما تكرر هذا السؤال كان هذا معناه، فيكون كل مصل قد سأل الله أن يصلي عليه صلاة دون التي يستحقها، وهذا السؤال والأمر به متكرر، فهل هذا إلا تقوية لجانب الإشكال؟.

ثم إن التشبيه وقع في أصل الصلاة وأفرادها، ولا يغني جوابكم عنه بقضية التكرار شيئاً، فإن التكرار لا يجعل جانب المشبه به أقوى من جانب المشبه، كما هو مقتضى التشبيه، فلو كان التكرار يجعله كذلك، لكان الاعتذار به نافعاً، بل التكرار يقتضي زيادة تفضيل المشبه وقوته، فكيف يشبه حينئذ بما هو دونه؟ فظهر ضعف هذا الجواب.

تاسعاً: وقالت طائفة أخرى: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ وآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء حصل لآل النبي ﷺ من ذلك ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره.

وتقرير ذلك: أن يجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد ﷺ وآله، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم، فيبقى قسم النبي ﷺ والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم وأفضل من الحاصل لإبراهيم، وهذا أحسن من كل ما تقدمه. وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم.

الخامسة: قوله «قال أبو صالح عن الليث» يعني بالإسناد المذكور قبل. قوله «على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم» يعني أن عبد الله بن يوسف لم يذكر آل إبراهيم عن الليث وذكرها أبو صالح عنه في الحديث المذكور.

قال الحافظ: وهكذا أخرجه أبو نعيم من طريق يحيى بن بكير عن الليث.

قوله: «حدثنا ابن أبي حازم» هو عبد العزيز بن سلمة بن دينار، قوله (والدراوردي) هو عبد العزيز بن محمد.

السادسة: قوله «عن يزيد» هو ابن عبد الله بن شداد بن الهاد شيخ الليث فيه، ومراده أنهما رواه بإسناد الليث، فذكر آل إبراهيم كما ذكره أبو صالح عن الليث.

قال الحافظ: وقد روى إسماعيل بن إسحاق في كتاب أحكام القرآن له بإسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب (أما بعد فإن ناساً من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعائهم للمسلمين، ويدعوا ما سوى ذلك) ثم أخرج عن ابن عباس بإسناد صحيح قال (لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار) وذكر أبو ذر أن الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية من الهجرة، وقيل من ليلة الإسراء. اهـ من الفتح.

فائدتان

الأولى: في حكم الصلاة عليه ﷺ حكى الحافظ في شرحه لباب الصلاة على النبي ﷺ من كتاب الدعوات من هذا الصحيح عشرة أقوال وهي:
أولها: قول ابن جرير الطبري أنها من المستحبات وادعى الإجماع على ذلك.

ثانيها: مقابله وهو نقل ابن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة.

ثالثها: تجب في العمر في صلاة أو في غيرها وهي مثل كلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي من الحنفية وابن حزم وغيرهما.

وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، وسبقه ابن عطية.
رابعها: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه.

خامسها: تجب في التشهد وهو قول الشعبي وإسحاق بن راهويه.
سادسها: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل نقل ذلك عن أبي جعفر الباقر.

سابعها: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد قاله أبو بكر بن بكر من المالكية.

ثامنها: كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمة وجماعة من الشافعية، وقال ابن العربي من المالكية أنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري.
تاسعها: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً حكاه الزمخشري.
عاشرها: في كل دعاء حكاه أيضاً.

الثانية: فيما صح عن النبي ﷺ من صيغ الصلاة عليه وهي كثيرة منها:

١ - ما رواه أحمد، والطحاوي في المشكل وغيرهما عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

٢ - ما رواه مسلم عن أبي حميد الساعدي قال ﷺ: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) وإن شئت الوقوف على المزيد في هذا الباب فانظر جلاء الأفهام لابن القيم من (ص ٢٩)، وصفة الصلاة للألباني من (ص ١٤٦).

٢٨٣ - [باب قوله ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾].

ش: قلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا تَأْخُذُوا رَسُولَ اللَّهِ بِقَوْلٍ يَكْرَهُهُ مِنْكُمْ، وَلَا بِفَعْلٍ لَا يَجِبُهُ مِنْكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَمْثَالَ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ، فَرَمَوْهُ بِعَيْبٍ كَذِباً وَبِاطِلاً. واعلم أن أهل العلم اختلفوا في الأذى الذي ناله من قومه وبراءة الله منه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه آدر يعني كبير الخصيتين، وبه قال ابن عباس وابن زيد.

ثانيها: أنه أبرص وهو قول سعيد بن جبیر.

ثالثها: أنهم ادعوا عليه قتل أخيه هارون، وبه قال علي بن أبي طالب والذي اختاره ابن جرير بعد حكايته هذه الأقوال أن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك كان ادعائهم أنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعائهم عليه قتل أخيه هارون وجائز أن يكون كل ذلك.

قلت: وأول الأقوال وثانيها من تفسير النبي ﷺ كما سيأتي بعد في شرح حديث الباب وما كان من تفسير النبي ﷺ لكتاب ربه فلا يعدل عنه إلى سواه من الأقوال.

وقوله: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ أي فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم.

وقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ يقول وكان موسى عند الله مشفقاً فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

٣٢٠ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: إن موسى كان رجلاً حياً، وذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً﴾).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «إن موسى كان رجلاً حياً» يعني كثير الحياء وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، زاد في الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام من هذا الوجه (ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحياءً منه).

الثانية: قوله وذلك «قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد قدمنا شرحه متبوعاً باختلاف أهل العلم فيما نال موسى من آذى قومه وبرأه الله منه وقد ذكر المصنف الحديث في الأنبياء بآتم من هذا ولفظه (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحياءً منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما آدر وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلع يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله ﴿يا

(١) هو خلاس بن عمرو الهجري البصري ثقة وكان يرسل من الثانية وكان على شرطة على وقد صح أنه سمع من عمار، ع.

أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴿١﴾

من فقه الحديث

- ١ - كمال خلق الأنبياء وخلقهم.
 - ٢ - تحريم عيب الأنبياء في شيء من خلقهم أو خلقهم وأنه يخشى على فاعل ذلك من الكفر.
 - ٣ - فيه معجزة لموسى وذلك أنه خاطب الحجر ففهم عنه.
 - ٤ - سوء معاملة بني إسرائيل لنبينهم موسى ﷺ.
 - ٥ - نهى المؤمنين عن التشبه بقوم موسى في أذية نبيهم.
- آخر تفسير سورة الأحزاب والحمد لله.

سورة سبأ

٢٨٤ - سورة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية قوله ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ...﴾ وهي مكية
في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [يقال ﴿معجزين﴾ مسابقين].

ش: قاله أبو عبيدة، والكلمة وقعت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٢ - [﴿بمعجزين﴾ بفائتين].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ويقال أعجز فلان فائتي وغلبني وسبقني، وأعجز مني وهما سواء.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الأنعام.

٣ - [﴿سبقوا﴾ فاتوا].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي الآية التاسعة والخمسون من سورة الأنفال.

٤ - [﴿لا يعجزون﴾ لا يفوتون].

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - [﴿يسبقونا﴾ يُعجزونا].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد.

والآية المشار إليها هي الآية الرابعة من سورة العنكبوت.

٦ - [ومعنى ﴿معجزين﴾ مغالين يريد كل واحدٍ منهما أن يظهر عجز

صاحبه].

ش: قلت: وما بين هذا وما نقله أولاً في تفسير السورة استطراد وأظنه

والعلم عند الله أراد به بيان أن ما نقله أولاً خلاف المختار ويوافق ما قاله

المصنف ما أخرجه ابن جرير في تفسير الآية الخامسة من هذه السورة عن ابن زيد

قال "جاهدين ليحبطوها أو يطلوها"

والكلمة جاءت في هذه السورة في الآية الخامسة والآية الثامنة والثلاثين.

٧ - ﴿مَعشَارٌ عَشْرٌ﴾.

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي، فكيف كان نكير﴾.

٨ - [الأكل، الثمر].

ش: قال أبو عبيدة في قوله "أكلها" والأكل هو الجني.

والآية المشار إليها ﴿وبدلناهم بجناتهم جنتين ذواتى أكل حط وأثل وشيء

من سدر قليل﴾.

٩ - [باعد] وبعده واحد.

ش: قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾

فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ على وجه الدعاء والمسألة بالألف، وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة، ﴿بعده﴾ بتشديد العين على الدعاء أيضاً.

والآية المشار إليها ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم

فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾.

١٠ - [وقال مجاهد] لا يعزب] لا يغيب].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي

لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا

أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.

١١ - ﴿العرم﴾: السد، ماء أحمر أرسله الله في السد فشقه وهدمه، وحفر الوادي، فارتفعت على الجنتين، وغاب عنهما الماء فيستا، ولم يكن الماء الأحمر من السد، ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء].
ش: قوله سيل العرم السد كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، ولأبي ذر عن الحموي الشديد بمعجمة وزن عظيم.

وقوله فشقه كذا للأكثر بمعجمة قبل القاف الثقيلة وذكر عياض أن في رواية أبي ذر فبثقه بموحدة ثم مثلثة قبل القاف الخفيفة قال: وهو الوجه تقول بثقت النهر إذا كسرت لتصرفه عن مجراه.

وقوله «فارتفعتا عن الجنتين» كذا للأكثر بفتح الجيم والنون الخفيفة بعدها موحدة ثم مثناه فوقانية، ثم تحتانية ثم نون، ولأبي ذر عن الحموي بتشديد النون بغير موحدة تشنية جنة، واستشكل هذا الترتيب لأن السياق يقتضي أن يقول: ارتفع الماء على الجنتين وارتفعت الجنتان عن الماء، وأجيب بأن المراد من الارتفاع الزوال أي ارتفع اسم الجنة منهما فالتقدير فارتفعت الجنتان عن كونهما جنتين.

وقوله «ولم يكن الماء الأحمر من السد» كذا للأكثر بضم المهملة وتشديد الدال، وللمستملي من السيل، وعند الإسماعيلي من السيول، وهذا الأثر عن بجاهد وصله الفريابي أيضاً وقال: السد في الموضعين فقال فشقه بالمعجمة والقاف الثقيلة، وقال على الجنتين تشنية جنة كما للأكثر في المواضع كلها. اهـ من الفتح.
١٢ - [وقال عمرو بن شرحبيل: ﴿العرم﴾ المسناة^(١) بلحن أهل اليمن].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أحمد بن عمر البصري ثنا أبو صالح بن زريق أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة فذكره.
قلت وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني كما في التقريب.

(١) - في المصباح مادة: سنن، والمسناة حائط يبنى في وجه الماء ويسمى السد.

١٣ - [وقال غيره: ﴿العرم﴾ الوادي].

ش: قلت أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

فتحصل بهذا أن في العرم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السد وبه قال مجاهد.

ثانيها: أنه المسناة بضم الميم وفتح السين المهملة بعدها نون مشددة

مفتوحة وهو قول أبي ميسرة وهو عمرو بن شرحبيل.

وثالثها: أنه الوادي وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم

جنتين ذواتي أكل حط وأثل وشئ من سدر قليل﴾.

١٤ - [السابغات الدروع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد واسعة طويلة.

والآية المشار إليها ﴿أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾.

١٥ - [وقال مجاهد: ﴿يجازي﴾ يعاقب].

ش: حكاه عن مجاهد بهذا اللفظ البغوي، وأخرجه ابن جرير ثنا محمد بن

عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن

أبي نجيح عن مجاهد بلفظ يعاقب.

وفي الآية قراءتان:

إحدهما: قراءة عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي ﴿وهل

يجازي﴾ بالياء مضمومة، وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله.

ثانيهما: ما قرأه بعض قراء الكوفة "وهل نجازي" بالنون وبكسر الزاي.

والآية المشار إليها ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾.

١٦ - [﴿اعظكم بواحدة﴾ بطاعة الله].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

١٧ - [﴿مثنى وفرادى﴾ واحد واثنين].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾.

١٨ - [﴿التناوش﴾ الرد من الآخرة إلى الدنيا].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الرد. وأخرج بالإسناد نفسه عنه في قوله ﴿من مكان بعيد﴾ قال من الآخرة إلى الدنيا.

والآية المشار إليها ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾.

١٩ - [﴿وبين ما يشتهون﴾ من مال أو ولد أو زهرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

وأخرج نحوه عن ابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: حيل بينهم وبين الإيمان بالله وهو قول الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعلل ذلك بقوله: لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ما أخبر الله عنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال الله وأنى لهم التناوش... الخ الآية.

قلت: وهذا اختيار جيد وظاهر السياق يؤيده وذلك بارتباط هذه الآية

بالآيتين قبلها فإن الحق جل علاه بدأ السياق بقوله ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش﴾ وختمه بقوله ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾.

٢٠ - [﴿بأشياءهم﴾ بأمثالهم].

ش: يبدو من سياق المصنف أنه تفسير مجاهد ولم أقف عليه بهذا اللفظ وأخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد بلفظ قال الكفار من قبلهم. والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلُوا بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّا قَبْلُ﴾.

٢١ - [وقال ابن عباس: ﴿كالجواب﴾ كالجوبة من الأرض].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال ابن جرير: وهي جمع جابية والحماية الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الأعشى:

تروح على نادي المخلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

ثم أخرج في المعنى عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور وآسيات﴾.

٢٢ - [الخمط: الأراك].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

٢٣ - [والأثل: الطرفاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بالإسناد السابق والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿وبدلناهم بجنيتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل﴾.

٢٤ - [العرم الشديد].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٨٥ - [باب ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾].

ش: قلت الآية: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾.

قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أي لعظمته وكبريائه لا يجزئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقال ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ وقال ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.

وقوله ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم... الخ الآية﴾ يقول حتى إذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب قالوا ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة الحق وهو العلي على كل شيء الكبير الذي لا شيء دونه.

وقد اختلف المفسرون في من الموصوف بالفزع في هذه الآية وسبب ذلك على أقوال أربعة:

أحدها: أنهم الملائكة وسبب ذلك سماعهم الوحي قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد والضحاك وعبد الله بن القاسم وهذا القول يشهد له حديث الباب.

ثانيها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه خذراً أن يكون ذلك قيام الساعة وبه قال قتادة.

وثالثها: أنهم الملائكة وسبب ذلك فزعاً بمرور المعقبات أن يكون حدث أمر الساعة وهو قول الضحاك في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنهم المشركون إنما يفزع الشياطين عن قلوبهم وبه قال ابن زيد حكى هذه الأقوال الأربعة ابن جرير واختار الأول وإيراد حديث الباب يدل على اختيار البخاري له.

٣٢١ - حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول (إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، وربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «إذا قضى الله الأمر في السماء» وعند ابن جرير في تفسير سورة سبأ عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي) وعند أبي داود باب في القرآن من كتاب السنة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تكلم الله بالوحي).

الثانية: قوله «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً» بفتحيتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى خاضعين.

الثالثة: قوله «كأنه» أي القول المسموع سلسلة على صفوان هو مثل قوله في بدء الوحي صلصلة كصلصلة الجرس وهو صوت الملك بالوحي وفي حديث النواس (أخذت السموات منه رجفة أوقال رعدته شديدة خوفاً أمر الله، وفي حديث ابن مسعود (سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون)، وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه (إذا تكلم الله

بالوحي يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون، ويرون أنه من أمر الساعة، وقرأ: حتى إذا فزع الآية.

قلت فتحصل من هذا شدة ما يقضيه الله من أمره على السماء وأهلها.

الرابعة: قوله «علي صفوان» وهو الحجر الأملس زاد في سورة الحجر ضمن الباب الثاني والتسعين بعد المائة عن علي بن عبد الله (قال غيره - يعني غير سفيان - ينفذهم ذلك) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه (فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا)، وعند مسلم واللفظ له في كتاب السلام باب تحريم الكهانة من طريق علي بن الحسين بن علي عن ابن عباس عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند النبي ﷺ، فرمى بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمى به في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات عظيم أو يولد عظيم، فقال: إنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ماذا قال ربكم) الحديث، وليس عند الترمذي عن رجال من الأنصار.

الخامسة: قوله «ومسترقوا السمع» في رواية علي عند أبي ذر (ومسترق) بالإفراد وهو فصيح، وقوله (هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان) أي ابن عيينة (بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه) أي فرق، وفي رواية علي (ووصف سفيان بيده ففرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض) وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه (كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون منه الوحي) يعني يلقيها، زاد علي عن سفيان (حتى ينتهي إلى الأرض فيلقى).

السادسة: قوله «علي لسان الساحر أو الكاهن» في رواية الجرجاني (علي لسان الآخر) بدل الساحر وهو تصحيف، وفي رواية علي (الساحر والكاهن) وكذا قال سعيد بن منصور عن سفيان، والمعنى أي: يسمع المسترق الآخر على

من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن، وحينئذ يقع الرجم، والساحر من يعمل السحر والكاهن هو الذي يخبر عن الغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

السابعة: قوله «فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها» الشهاب: هو النجم الذي يرمى به، أي: ربما أدرك المسترق الشهاب إذا رمى به قبل أن يلقي الكلمة إلى من تحته، وربما ألقاها المسترق قبل أن يدركه الشهاب، وهذا يدل على أن الرجم بالنجوم كان قبل المبعث، كما يؤيده حديث ابن عباس المذكور في المسألة الرابعة؛ وفيه قال معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أرأيت (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) قال: غلظت، وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ.

ووقع في رواية سعيد بن منصور عن سفيان في هذا الحديث (فيرمى هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى يلقي على فم ساحر أو كاهن).

الثامنة: قوله «فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» زاد علي بن عبد الله عن سفيان في تفسير الحجر (فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء فما جاءوا به على وجهه حق ولكنهم يحرفون فيه ويزيدون) وفي حديث ابن عباس وذكر فيه الحافظ زيادة (فيقول يكون العام كذا وكذا فيسمعه الجن فيخبرون به الكهنة فتخبر الكهنة الناس فيجدونه).

من فقه الحديث

أولاً: شدة خوف الملائكة من الله وشدة خشيتهم له.

ثانياً: أن الكهان والسحرة يستعينون بالشياطين.

ثالثاً: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

رابعاً: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

خامساً: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟
سادساً: الرد على المنجمين الذين ينسبون الخير والشر والإعطاء والمنع إلى
الكواكب بحسب السعود منها والنحوس وعلى حسب كونها في الولوج الموافقة
أو المنافرة، ونحو ذلك.

٢٨٦ - [باب قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾].
 ش: قلت الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَواحدة، أَنْ تَقومُوا لِلَّهِ مثنى وَفِرادى
 ثم تَتَفَكروا ما بِصاحبكم من جنة، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ
 شَدِيدٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنما أعظمكم أيها
 القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله «﴿أَنْ تَقومُوا لِلَّهِ مثنى وَفِرادى﴾» يقول وتلك الواحدة التي أعظمكم
 بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، وفرادى فرادى.

وقوله «﴿ثم تَتَفَكروا﴾» أي في أمر النبي ﷺ وما جاء به من الكتاب،
 فإنكم عند ذلك تعلمون أن ما بصاحبكم من جنة وذلك لأنهم كانوا يقولون إن
 محمداً مجنون.

وقوله «﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾» يقول ما محمد
 إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن
 تصلوها.

وقوله ﴿هُوَ﴾ كناية اسم محمد ﷺ.

فائدة

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «فلو قبلوا هذه الموعظة،
 واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون، لأن
 هيئته ليست كههيئة المجانين في حنقهم واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن
 الهيئات، وحرركاته، أجل الحركات وهو أكمل الخلق أدباً، وسكينة، وتواضعاً،
 ووقاراً، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلاً، ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه
 المليح، وكلماته، التي تملأ القلوب، أمناً وإيماناً، وتركي النفوس، وتطهر القلوب،
 وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترجر عن مساوئ

الأخلاق ورذائلها إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالاً وتعظيماً فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم ؟ فكل من أحواله وقصده استعلام ، هل هو رسول الله ؟ أم لا ؟ سواء تفكر وحده ، أم معه غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصاً المخاطبين وهو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره .» انتهى من تيسير الكريم الرحمن (١٩٩/٤)

٣٢٢ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن خازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسبكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو هب: تباً لك أهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي هب﴾. ش: سيأتي في تفسير سورة تبت ضمن الباب السادس والستين بعد الأربعمائة.

آخر تفسير سورة سبأ والله الحمد والمنة.

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨٧ - سورة الملائكة

ش: والمعتمد في المصحف سورة فاطر وشاهد التسمية لكليهما ظاهر في أول آية من السورة.

وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: أنزلت سورة فاطر بمكة وقال القرطبي: مكية في قول الجميع. وآياتها خمس وأربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: القطمير لفافة النواة].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد كسحاة البيضة.

والآية المشار إليها ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾.

٢ - [﴿مَثَقَلَةٌ﴾ مَثَقَلَةٌ].

ش: كذا في تفسير مجاهد برواية عبد الرحمن ثنا إبراهيم ثنا آدم ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وإن تدع مثقلة﴾ أي مثقلة ذنباً. والآية المشار إليها ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾.

٣ - [وقال غيره ﴿الحرور﴾ بالنهار مع الشمس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وكان رؤبة يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار.

ونسجت لوامع الحرور
برقرقان آها المسجور
سبائباً كسرق الحرير.

٤ - [وقال ابن عباس و﴿الحرور﴾ بالليل والسموم بالنهار].

ش: لم أقف عليه موصولاً بهذا اللفظ وقد حكى البغوي عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس قال: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار. والآية المشار إليها ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾.

٥ - ﴿وغرايب﴾ أشد سواد، الغريب: الشديد السواد].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ (الغريب الأسود الشديد السواد) حكاه الحافظ، وقال أبو عبيدة مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غريب.

والآية المشار إليها ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب

سود﴾.

آخر تفسير سورة الملائكة والحمد لله.

سورة يس

٢٨٨ - سورة يس

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي :
من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ حم التي يذكر فيه الدخان أصبح
مغفوراً له) إسناده جيد قاله ابن كثير.

قال القرطبي: مكية بالإجماع، وعدد آياتها ثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ شددنا].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.
وأخرج عن ابن زيد قال التعزز القوة والمعنى واحد.
والآية المشار إليها ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

٢ - ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ كان حسرة عليهم استهزأؤهم بالرسول].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة قال: أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله ومعناها واحد.

والآية المشار إليها ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا

به يستهزؤون ﴿﴾

٣ - ﴿أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي

لهما ذلك].

ش: وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بتمامه،

حكاه الحافظ.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (لا يشبه ضوء

أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغي ذلك لهما).

٤ - ﴿سَابِقِ النَّهَارِ﴾ : يتطالبان حثيثين].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد:

ينسلخ أحدهما من الآخر.

والآية المشار إليها بالكلمتين: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

٥ - [نسلخ] نخرج أحدهما من الآخر، ويجري كل واحد منهما].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد بلفظ (يخرج أحدهما من الآخر) حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿وَأَيَّةٌ هُمُ اللَّيْلِ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمُ مُظْلَمُونَ﴾ - ٦ [من مثله] من الأنعام].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره؛ ضمن القائلين بأن المعنى في الآية الإبل وهم ابن عباس وعكرمة وعبد الله بن شداد والحسن وثمة قول آخر أن المعنى به السفن وهذا قول ابن عباس والحسن في الرواية الأخرى عنهما وبه قال أبو مالك وأبو صالح والضحاك وقتادة وابن زيد، أخرجه أيضاً ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿وَوَخَّلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

٧ - [فكهون] معجبون].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد بلفظ فاكهون معجبون، حكاه الحافظ. قلت: وكذا حكاه عنه البيهقي وحكاه عن الضحاك أيضاً، وأخرج ابن جرير عن مجاهد والحسن أي في نعمة وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾

٨ - [جند محضرون] عند الحساب].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره، وهو أحد

قولين عنده في الآية والقول الآخر وهو الذي رجحه أنهم في الدنيا يقضون عليهم، وهو قول قتادة.

والآية المشار إليها ﴿لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾.

٩ - [ويذكر عن عكرمة ﴿المشحون﴾ الموقر].

ش: لم أقف على من أخرجه لكن أخرج ابن جرير من طريق عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وأخرجه أيضاً عن الضحاك. وقال أبو عبيدة «المملوء» ومعناها واحد.

والآية المشار إليها ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾.

١٠ - [وقال ابن عباس ﴿طائركم﴾ مصائبكم].

ش: وصله الفريابي من طريق علي بن أبي طلحة عنه به حكاه الحافظ (٤٦٧/٦)، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقاتدة وكعب ووهب بن منبه بلفظ: أي أعمالكم معكم.

والآية المشار إليها ﴿قالوا طائركم معكم أنن ذكرتم بل أنتم قوم

مصرفون﴾.

١١ - [ينسلون﴾ يخرجون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج مثله عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم

ينسلون﴾.

١٢ - [مرفقنا﴾ مخرجنا].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن أبي بن

كعب قال: ناموا نومة قبل البعث وأخرج عن قتادة ما بين النفتين.

والآية المشار إليها ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

١٣ - ﴿أحصيناه﴾ حفظناه].

ش: لم أجد من أخرجه عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن قتادة كل شئ محصى عند الله.

والآية المشار إليها ﴿وكل شئ أحصيناه في إمام مبین﴾.

١٤ - ﴿مكانتهم﴾ ومكانهم واحد].

ش: قال أبو عبيدة: المكان والمكانة واحد.

والآية المشار إليها ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾.

٢٨٩ - [باب ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾] ش: يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها. بمعنى إلى موضع قرارها.

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول هذا الذي وضعنا من جري الشمس لمستقرها تقدير العزيز في انتقامه ممن عاداه، العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية.

٣٢٢ - حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾).

٣٢٣ - حدثنا الحميدي حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: (سألت النبي عن قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «كنت مع النبي في المسجد» في التوحيد باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ من رواية أبي معاوية (دخلت المسجد ورسول الله جالس) والظاهر أنه مسجده بالمدينة إذ لا يتبادر إلى الذهن غيره عند الإطلاق.

الثانية: قوله «عند غروب الشمس» في بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان برواية سفيان (حين غربت) وفي رواية أبي معاوية (فلما غربت الشمس) والجمع بينها بحمل الحينية على العندية في رواية الباب فيكون من

التجوز في العبارة أو يقال: أن سؤال النبي عند غروب الشمس وإخباره بذلك كان مرتين مرة عند غروب الشمس ومرة حين الغروب والله أعلم.

الثالثة: قوله «أتدري أين تغرب الشمس» هذا استفهام والغرض منه تشويق السامع لما يلقي إليه من الكلام وهذا أسلوب بديع من أساليب التعليم ونظائره في كلام النبي كثيرة منها: أتدرون ماذا قال ربكم.

الرابعة: قوله «الله ورسوله أعلم» هذا هو غاية الأدب والورع إذ رد أبو ذر هذا الأمر الذي لا سبيل إلى علمه إلا بالوحي إلى الله وإلى رسوله وينبغي التنبيه إلى أن هذا القول خاص في حياة النبي أما بعد موته فيقول المسؤل عما لا يعلم الله أعلم.

الخامسة: قوله «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾».

زاد في بدء الخلق (فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله ﴿والشمس تجري... الآية﴾ وعند النسائي في تفسير الآية (ارتفعي فاطلعي من مغربك).

السادسة: قوله «سألت النبي عن قوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾» وفي رواية أبي نعيم وهي الأولى في الباب أن النبي هو السائل لأبي ذر والجمع بينهما أن أبا ذر سأل النبي عن الآية وأن رسول الله أجابه في صورة سؤال بقوله أتدري الخ).

السابعة: قوله «مستقرها تحت العرش»: فسرته بقوله (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش: وهذا نص صريح في أن السجود يقع من الشمس تحت العرش على الحقيقة فلو كان سجودها بمحاذاته لقال (عند العرش: وإن قلت

يشكل على هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فالجواب أن المراد بها نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

من فقه الحديث

أولاً: الإرشاد إلى الملاطفة في التعليم.

ثانياً: أدب أبي ذر مع النبي وذلك في قوله (الله ورسوله أعلم) وهذا ما درج عليه أصحابه معه في حياته.

ثالثاً: أن الشمس تعقل ألا تراه أخير عن سجودها تحت العرش

واستئذانها.

رابعاً: في قوله (مستقرها تحت العرش: رد على من زعم أن المراد بمسقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول أيام السنة.

آخر تفسير سورة يس والله الحمد والمنة.

سورة الصافات

٢٩٠ - سورة الصافات بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج النسائي والبيهقي في سننه عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ

يأمرنا بالتخفيف ويأمرنا بالصافات.

قال القرطبي: مكية في قول الجميع.

وآياتها اثنتان وثمانون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ من كل مكان].

ش: لم أجد مخرجاً فيما وقفت عليه وهو تفسير الآية الثالثة والخمسين من سورة سبأ وقد ذكره هنا استشهاداً لما بعده.

٢ - [﴿ويقذفون من كل جانب﴾ يرمون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (ويقذفون) يرمون قال: من كل مكان.

والآية المشار إليها ﴿لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾.

٣ - [﴿واصب﴾ دائم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ضمن القائلين بأن معناه دائم وهم ابن عباس وقتادة وعكرمة وابن زيد وهو أحد قولين أخرجهما في الآية والقول الثاني أنه بمعنى موجه وبه قال أبو صالح والسدي واختار ابن جرير الأول.

والآية المشار إليها ﴿دحوراً ولهم عذاب واصب﴾.

٤ - [﴿لازب﴾ لازم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وأخرج في المعنى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم نخلقنا إنا خلقناهم من

طين لازب﴾.

٥ - ﴿تأتوننا عن اليمين﴾ يعني الحق، الكفار تقولون للشياطين.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق بلفظ عن الحق الكفار تقولون للشياطين، وأخرج عن قتادة من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطنوننا عنه، وأخرج عن ابن زيد (تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمر الله به) قلت: وهاتان العبارتان أوضح من عبارة مجاهد. والآية المشار إليها ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾.

٦ - ﴿غول﴾ وجع بطن.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وابن زيد وقتادة وهو أحد أقوال خمسة عنده في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس فيها صداع وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: بمعنى لا تغول عقولهم وبه قال السدي.

ورابعها: بمعنى ليس فيها أذى ولا مكروه وهو قول سعيد بن جبير.

وخامسها: بمعنى ليس فيها أثم ولم يخرج عنه أحد وحكاة البغوي عن

الكلبي واختار ابن جرير أن ذلك يعم نفي كل معاني الغول عنه وأعم من ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربها في جسم ولا عقل.

قال مقيده: وهذا الاختيار في غاية الحسن ويشهد له سياق الآيات ﴿يطاف

عليهم بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ ووجه الاستدلال عد الحق تبارك وتعالى هذه الشراب في نعيم الجنة.

٧ - ﴿ينزفون﴾ لا تذهب عقولهم.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن عباس

والسدي وابن زيد وقتادة.

٨ - ﴿قرين﴾ شيطان.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهذا أحد القولين عنده.

ثانيهما: أنه شريك كان له من بني آدم أو صاحب وهو قول ابن عباس و فرات بن ثعلبة وليس بينهما عندي مغايرة لأن القرين يكون من شياطين الجن والإنس.

والآية المشار إليها ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾.

٩ - ﴿يهرعون﴾ كهيئة الهرولة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى وهو قول قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾.

١٠ - ﴿يزفون﴾ النسلان في المشي].

أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى دون قوله (في المشي) والنسلان كما في المصباح (نسل في مشيه ينسل نسلاناً أسرع) وهو أحد أقوال ثلاثة حكاه ابن جرير في الآية.

وثانيها: يجرون وهو قول ابن عباس.

وثالثها: يستعجلون وبه قال زيد بن أسلم وهذه الأقوال ليست بمختلفة في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾.

١١ - ﴿وبين الجنة نساء﴾ قال كفار قريش الملائكة بنات الله، وأمهااتهم

بنات سروات الجن].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج نحوه عن قتادة

والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نساء﴾ ولقد علمت الجنة أنهم

لمحضرون﴾.

١٢ - [وقال الله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ ستحضر للحساب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو أحد قولين عنده في الآية.

وثانيهما: معناه أن قائل هذا القول سيحضرون العذاب في النار وبه قال السدي واختار ابن جرير إنهم لمحضرون العذاب فقال: لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عني به الإحضار في العذاب فكذلك في هذا الموضع.

١٣ - [وقال ابن عباس: ﴿لنحن الصافون﴾ الملائكة].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن سعد ثنا أبي ثني عمي ثني أبي عن ابن عباس فذكره وزاد في قوله ﴿إنا لنحن المسبحون﴾ الملائكة صافون تسبح لله عز وجل وهو قول عمر وابن مسعود والضحاك ومجاهد وقتادة.

١٤ - [صراط الحميم] سواء الحميم، ووسط الحميم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وكذا أخرجه بإسناد الذي قبله، وبه قال الحسن وقتادة والسدي والآية المشار إليها هي الثالثة والعشرون والخامسة والخمسون من السورة.

١٥ - [لشوباً] يُخلط طعامهم، ويُساط بالحميم].

ش: لم أجد بهذا اللفظ والذي أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (لمزيجاً)، ومن طريق العوفيين قال شرب الحميم على الزقوم وهو قول قتادة والسدي وابن زيد. والآية المشار إليها ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾.

١٦ - [مدحوراً] مطروداً].

ش: هذه الكلمة في الآية الثامنة عشرة من سورة الأعراف والآية الثامنة عشرة والتاسعة والثلاثين من سورة الإسراء، ولا وجه لذكرها هنا وأحشى أن يكون من فعل بعض النساخ.

١٧ - ﴿بيض مكنون﴾ اللؤلؤ المكنون.

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو أحد ثلاثة أقوال أخرجهما في الآية.
وثانيها: أنهن شبهن ببطن البيض في البياض وهو الذي داخل القشر وبه قال سعيد بن جبير والسدي وقتادة.

وثالثها: أنهن شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر وهو قول ابن زيد والذي اختاره ابن جرير أنه بياض البيض الذي هو داخل القشر قال وذلك هو الجلدة الملبسة المخ قبل أن تمسه يدا أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون.
قلت: وهذا هو قول سعيد بن جبير ومن وافقه.

والآية المشار إليها ﴿كأنهن بيض مكنون﴾.

١٨ - ﴿وتركنا عليه في الآخري﴾ يذكر بخير.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله وهو قول مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية جاءت في ثلاث مواضع من السورة:
الأول: الثامنة والسبعون.

الثاني: الآية الثامنة بعد المائة.

والثالث: الآية التاسعة والعشرون بعد المائة.

١٩ - ﴿يستسخرون﴾ يسخرون.

ش: لم أجد عن ابن عباس وإنما قال أبو عبيدة: يستسخرون: ويسخرون

سواء.

والآية المشار إليها ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾.

٢٠ - ﴿بِعَلًا﴾ رباً].

ش: وصله إبراهيم الحربي في غريب الحديث عن ابن عباس كما حكاه الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج نحوه عن عكرمة وقتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: اسم لصنم وبه قال الضحاك وابن زيد.

وثالثها: اسم لامرأة كانوا يعبدونها وهو قول ابن إسحاق.

والآية المشار إليها ﴿تَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

٢٩١ - [باب ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾]

ش: هذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه أنه عاقبه عقوبة دنيوية أجهز منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة قاله ابن سعدي.

قلت: وهذا إنجاز جيد لمضمون ما احتوته هذه العشر الآيات في شأن نبي الله وعبده ورسوله يونس بن متى ﷺ وبه نستغني عن التفصيل.

٣٢٤ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس ابن متى).

٣٢٥ - حدثني إبراهيم بن المنذر ثنا محمد بن فليح ثني أبي عن هلال بن علي من بني عامر بن لؤي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب).

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد المائة.

آخر تفسير سورة الصافات والله الحمد والمنة.

سورة ص

٢٩٢ - سورة ص بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية ظاهر، وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي.
وآياتها ثمان وثمانون آية.

٣٢٦ - حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن العوام قال: سألت مجاهداً عن السجدة في ص قال: سئل ابن عباس فقال: أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده وكان ابن عباس يسجد فيها.

٣٢٧ - حدثني محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ ﴿أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده﴾ فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «سألت مجاهداً عن السجدة في ص» السائل هو العوام بن حوشب بن يزيد الواسطي، راوية مجاهد، وفي تفسير سورة الأنعام عن سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس ولا تعارض بينهما لجواز أن يكون كلا من الرجلين سأل مجاهداً وأخبره بجواب ابن عباس له.

الثانية: قوله «سئل ابن عباس» في رواية محمد بن عبيد قال مجاهد سألت ابن عباس.

الثالثة: قوله «من أين سجدت» وفي رواية سليمان الأحول أي ص سجدة؟ فقال نعم ومراد مجاهد معرفة دليل ابن عباس على سجوده في سورة ص ويظهر أنه لم يرى أحداً سجد فيها قبل ابن عباس.

الرابعة: قوله «وكان ابن عباس يسجد فيها» هذا تصريح بسجود ابن عباس في سورة ص وهو الذي حمله على السؤال.

الخامسة: قوله «أو ما تقرأ ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾» أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده في تفسير سورة الأنعام حين قال مجاهد أي ص سجده

(قال نعم ثم تلا ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب... إلى قوله: فبهذا هم اقتده﴾ ثم قال هو منهم) وفي رواية العوام (فقال نبيكم ﷺ من أمر أن يقتدى بهم).

السادسة: قوله «فكان داود من أمر نبيكم ﷺ أن يقتدى به، فسجدها داود عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ» وفي باب سجدة ص من سجود القرآن برواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها).

قلت: فاجتمع لابن عباس دليلان:

أحدهما: ما فهمه من أمر الله نبيه بالإقتداء بتلك الصفوة من الأنبياء وداود ﷺ منهم وقد سجد يعني في قوله ﴿ووطن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب﴾.

والدليل الآخر ما حفظه في هذه السجدة من السنة الفعلية عن النبي ﷺ.

تنبيهات

الأول: في موضع السجدة في سورة ص هو عند قوله تعالى: ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب﴾ فقد روى النسائي في تفسيره أخبرني إبراهيم بن الحسن ثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في ص وقال (سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً) ورواه أيضاً في كتاب الافتتاح من السنن باب السجود في ص من هذا الوجه به وقال ابن كثير حين ساق هذا الحديث في تفسيره: تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات.

الثاني: مذاهب الأئمة في سجدة القرآن:

ذهب أبو حنيفة في إحدى الروايتين والشافعي في أحد القولين وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد إلى أن عزائم سجود القرآن أربع عشرة سجدة ليست

منها سجدة ص، وفي الرواية الثانية عن أحمد وبه قال عقبه بن نافع وإسحاق بن راهوية أنها خمس عشرة سجدة منها سجدة ص.

وذهب مالك في رواية الشافعي إلى أن عزائم السجود إحدى عشرة، وقال ابن عبد البر هذا قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب وابن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس ومالك وطائفة من أهل المدينة.

والراجح عندنا أن سجدة ص مشروعة لما قدمناه قريباً من قوله ﷺ (سجدها داود توبة ونسجدها شكراً) ولما رواه البخاري وقدمناه في المسألة السادسة عن ابن عباس.

الثالث: يسن سجود التلاوة في حق التالي والمستمع القاصد وهذا مما لا خلاف فيه ومن الأدلة على ذلك ما رواه الشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة في غير الصلاة فيسجد ونسجد معه حتى لا يجد أحدنا مكاناً لموضع جبهته.

وأما من سمع غير قاصد فلا يستحب له السجود روي ذلك عن عثمان وابن عباس وعمران وبه قال مالك، وذهب أصحاب الرأي وهو مروى عن ابن عمر والنخعي وابن جبير ونافع وإسحاق أن عليه السجود والله أعلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [عجائب] عجيب.

ش: قاله أبو عبيدة وزاد وقد تحول العرب فعيلاً إلى فعال قال عباس بن مرداس:

إنك عين حذلت مضاعه	تبكي على جار بني جداعة
أين دريد وهو ذو براعه	حتى تروه كاشفاً قناعه
تعدو به سلهبة سراعاه	

أي سريعة.

والآية المشار إليها ﴿اجعل الآلهة لها واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾.

٢ - ﴿القط﴾ الصحيفة هو هنا صحيفة الحسنات].

ش: قاله الفراء وزاد المكتوبة وقال أبو عبيدة: القط الكتاب، وفي الآية

خمسة أقوال حكاه ابن جرير:

أحدها: العذاب وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة:

وثانيها: منازلهم في الجنة وبه قال السدي.

وثالثها: نصيبهم من الجنة وهو قول سعيد بن جبير.

ورابعها: رزقهم وبه قال إسماعيل بن أبي خالد.

وخامسها: كتبهم التي قال الله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ حكاه

البغوي عن ابن عباس والكلبي واختار ابن جرير أنهم سألوا ربهم تعجيل

صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر استهزاءً بوعيد الله.

والآية المشار إليها ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب﴾.

٣ - [وقال مجاهد ﴿في عزة﴾ مغازين].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج

نحوه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾.

٤ - ﴿الملة الآخرة﴾ ملة قريش].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال قتادة وابن زيد

وهو أحد قولين عنده في الآية.

وثانيهما: النصرانية وهو قول ابن عباس والقاضي والسدي.

والراجح عندي هو القول الثاني لأمرين:

الأول: أن دين عيسى هو آخر الأديان السماوية قبل رسالة محمد ﷺ وهذا معروف لدى المشركين كما أنهم يعلمون أن اليهود هم أتباع موسى عليه السلام.

الثاني: أن في قريش بعض معتنقي دين عيسى ﷺ مثل ورقة بن نوفل. والآية المشار إليها ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾. ٥ - [الاختلاق: الكذب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

٦ - [الأسباب] ﴿طرق السماء في أبوابها﴾.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وقتادة وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿أم هم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرشقوا في الأسباب﴾.

٧ - [جند ما هنالك مهزوم] يعني قريشاً.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾.

٨ - [أولئك الأحزاب] القرون الماضية.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى.

والآية المشار إليها ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب﴾.

٩ - [فواق] رجوع.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وهو قول ابن عباس وهو

أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

ثانيها: بمعنى ليس لهم إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا وبه قال السدي.

ثالثها: بمعنى العذاب وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾

١٠ - ﴿قطناً﴾ عذابنا].

ش: تقدم برقم اثنين.

١١ - ﴿اتخذناهم سخرى﴾ أحطنا بهم].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق

قال "أخطأناهم" فلعله وقع تصحيف من بعض النساخ والله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿اتخذناهم سخرى﴾ أم زاغت عنهم الأبصار﴾

١٢ - ﴿أتراب﴾ أمثال].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما مضى، وأخرج نحوه عن قتادة

والسدي.

والآية المشار إليها ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾

١٣ - [وقال ابن عباس ﴿الأيد﴾ القوة في العبادة].

ش: أخرجه بهذا اللفظ البغوي وأخرجه ابن جرير ثنا محمد بن سعد ثنا

أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ (ذا القوة) وكذا أخرجه عن

ابن زيد وأخرج نحوه عن قتادة والسدي ومجاهد.

والآية المشار إليها ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه

أواب﴾

١٤ - ﴿الأبصار﴾ البصر في أمر الله].

ش: لم أجده بهذا اللفظ وأخرج ابن جرير ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن

علي عن ابن عباس بلفظ (الفقه في الدين) وأخرج عن قتادة قال: بصراً في الدين.

والآية المشار إليها ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾.

١٥ - ﴿حب الخير عن ذكر ربي﴾ من ذكر.

ش: لم أجد فيه شيئاً عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن قتادة والسدي في قوله عن ذكر ربي عن صلاة العصر.

والآية المشار إليها ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾.

١٦ - ﴿طفق مسحاً﴾ مسح أعراف الخيل وعراقيبها.

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عقرها وضرب أعناقها وبه قال قتادة والسدي والحسن وحكاه البغوي عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾.

١٧ - ﴿الأصفاد﴾ الوثاق.

ش: لم أجد عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن السدي تجمع اليدين إلى عنقه، وأخرج عن الضحاك في السلاسل وقال أبو عبيدة: الأغلال واحداً صفاً.

والآية المشار إليها ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾.

٢٩٣ - [باب قوله ﴿هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾]

ش: قلت: الآية ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

يقول تعالى ذكره قال سليمان راعياً إلى ربه رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك فلا تعاقبني به.

وقوله ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قال ابن عطية في تفسيره (٣٤/١٤) «واختلف المتأولون في معنى قوله ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فقال جمهور الناس أراد أن يفرد بين البشر لتكون خاصة له وكرامة وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خير العفريت الذي عرض له في صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سواري المسجد، قال ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فأرسلته» وقال قتادة وعطاء بن أبي رباح إنما أراد سليمان ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ مدة حياتي أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن... وسليمان عليه السلام مقطوع بأنه إنما قصد بذلك قصداً برأ جاثراً، لأن للإنسان أن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أحد، لا سيما بحسب المكانة والنبوة، وانظر أيضاً أن قوله عليه السلام ﴿لَا يَنْبَغِي﴾ إنما هي لفظة محتملة ليس يقطع في أنه لا يعطى الله نحو ذلك الملك لأحد.

وقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ يقول إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

تنبيه

ما نقله ابن عطية رحمه الله في معنى الآية عن قتادة وعطاء بن أبي رباح أي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجن جرى عليه كثير من المفسرين

وعمدتهم في ذلك قصة مشهورة معروفة بقصة صخر المارد، رواها ابن جرير وغيره عند قوله تعالى ﴿وَأَلْقِينَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وفي تلك القصة أن سليمان دخل الحمام يوماً وكان إذا أراد دخول الحمام لا يدخل بخاتمه فأعطاه الشيطان صخراً فألقاه في البحر فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجاء فقعده على كرسيه وسريه وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا يتكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله فبينما هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم.

قال مقيدة: هذا ملخص لفظها والنعارة فيه ظاهرة وأما إسنادها فإنها من قول قتادة وليست من خبر النبي ﷺ وعلى هذا فإنها من الإسرائيليات وأمثالها لا يقبل في الإخبار عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

٣٢٨ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قال روح فرده خاسئاً.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «(إن عفريتاً من الجن)» والعفريت هو من كل جن وإنس أو شيطان الفائق المبالغ الرئيس، يقال عفريت نفريت وعفراريت وهما مثل عفريت قال جرير:

قرنت الظالمين بمرمريس يذل له العفارية المريد

المرمريس: الداهية الشديدة، قال ذو الرمة.

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب اهـ
 قاله أبو عبيدة: عند تفسير الآية التاسعة والثلاثين من سورة النمل.
 وقال الزمخشري العفر والعفرية، والعفارية القوي المشيطان الذي يعفر قرنه.
 قلت: الثاني هو المراد في الحديث ويؤيده ما وقع عند المصنف في العمل في
 الصلاة من رواية شبابه (إن الشيطان) بدل إن عفريتا.

الثانية: قوله «تفلت علي البارحة» وفي العمل في الصلاة (عرض لي فشند
 علي) وفي رواية النضر عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان: (جعل
 يفتك علي) والفتك هو الأخذ في غفلة وخديعة، وعند النسائي في تفسير الآية
 (انفلت البارحة) والبارحة هي الليلة الماضية.
 الثالثة: قوله «ليقطع علي الصلاة» وعند النسائي من هذا الوجه (ليقطع
 علي صلاتي).

الرابعة: قوله «فأمكنني الله منه» وعند مسلم (وإن الله أمكنني منه فدعته)
 يعني خنفته كما يوضحه ما عند النسائي في تفسير سورة ص من حديث عائشة
 (فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله ﷺ حتى وجدت برد لسانه علي يدي).
 الخامسة: قوله «وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد» وعند
 مسلم (فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد) وعند
 النسائي (فأخذه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد).

السادسة: قوله «حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم» وعند مسلم (حتى
 تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم) وعند النسائي (حتى تنظرون إليه).

السابعة: قوله (فذكرت قول أخي سليمان) وعند النسائي (دعوة أخي
 سليمان) وفي حديث أبي الدرداء عند مسلم في المساجد باب جواز لعن الشيطان
 (والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة) وفيه
 دليل على أن نبي الله سليمان سأل ربه ملكاً خاصاً به يكون له فيه معجزه

وكرامة وفيه رد على من قال أن معنى قوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد بعدي﴾ أي مدة حياتي لا أسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجنى.
الثامنة: قوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى تفسيره أول الباب.

تنبيه

ليس حديث الباب وحديثاً أبي الدرداء وعائشة في قصة واحدة بل الظاهر أن كلاً منها في قصة وما صنعناه من ضم روايات الأخيرين إلى حديث الباب في بعض المسائل فلتوضيح المعنى.

من فقه الحديث

أولاً: أن الشياطين قد تعرض للأنبياء ولكن يردهم الله مخذولين كما رد كيدهم عن النبي ﷺ.
ثانياً: أن دفع المار بين يدي المصلي لا يبطل الصلاة وإن كان بقوة.

٢٩٤ - [باب قوله ﴿وما أنا من المتكلفين﴾]

ش: قلت: الآية ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن
الذي أتيتكم به من عند الله أجراً، يعني ثواباً وجزاءً.
﴿وما أنا من المتكلفين﴾ يقول وما أنا ممن يتكلف تحرصه وافتراءه فتقولون
﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ و﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

٣٢٩ - حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن
مسروق قال: (دخلنا على عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم
شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا
يعلم: الله أعلم. قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر
وما أنا من المتكلفين﴾ وسأحدثكم عن الدخان، إن رسول الله ﷺ دعا قريشاً
إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف،
فأخذتهم سنة فحصدت كل شيء، حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل
يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع. قال الله عز وجل ﴿فارتقب يوم تأتي
السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ قال فدعوا ربنا
اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون. إنا كاشفو العذاب قليلاً. إنكم عائدون﴾
أفكشفت العذاب يوم القيامة قال فكشف، ثم عادوا في كفرهم فأخذهم الله
يوم بدر. قال الله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى، إنا منتقمون﴾.

ش: يأتي في تفسير سورة الدخان ضمن الباب الحادي عشر بعد الثلاثمائة.

آخر تفسير سورة ص والحمد لله.

سورة الزمر

٢٩٥ - سورة الزمر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة

زمرأ... الآية﴾

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد، وآياتها خمس وسبعون

آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ يجر على وجهه في النار وهو قوله تعالى ﴿أفمن يلقي في النار خيراً أمن يأتي أمناً يوم القيامة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة، وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾.

٢ - [﴿ذي عوج﴾ لَبَسَ].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾.

٣ - [﴿ورجلاً مسلماً لرجل﴾ مَثَلٌ لَأَهْتَمُّهُمُ الْبَاطِلُ وَالْإِلَهَ الْحَقُّ].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً... الآية﴾.

٤ - [﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ بالأوثان].

ش: وصله الفريابي عن مجاهد قاله الحافظ، وأخرج ابن جرير نحوه عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿ليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾ الآية.

٥ - [﴿خَوَّلْنَا﴾ أَعْطَيْنَا].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿فإذا مس الإنسان ضرر دعانا ثم إذا حولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾.

٦ - ﴿والذي جاء بالصدق﴾ القرآن، ﴿وصدق به﴾ المؤمن يجيء يوم القيامة يقول هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فذكر نحوه، وأخرجه أيضاً عن حكيم عن عمرو عن منصور عن مجاهد، وهو أحد خمسة أقوال حكاهما في الآية.

وثالثها: الرسول ﷺ والذي جاء به لا إله إلا الله والذي صدق به أيضاً الرسول ﷺ

وهو قول ابن عباس.

وثالثها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والذي صدق به أبو بكر وبه قال على رضي الله عنه.

ورابعها: الذي جاء بالصدق الرسول ﷺ والصدق القرآن والمصدقون به هم المؤمنون وهو قول قتادة وابن زيد.

خامسها: الذي جاء بالصدق جرير والصدق القرآن وصدق به رسول الله ﷺ وبه قال السيدي.

والذي اختاره ابن جرير أن الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله والصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه.

قلت: وهذا اختيار حسن وبه يجتمع الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾.

٧ - ﴿مَتَشَاكِسُونَ﴾ الشُّكْسُ: العَسْرُ لَا يَرْضَى بِالْإِنْصَافِ].

ش: قال الحافظ: سقط "وقال غيره" لأبي ذر فصار كأنه من بقايا كلام مجاهد، وللنسفي "وقال" بغير ذكر الفاعل والصواب ما عند الأكثر وهو كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الشكس العسر لا يرضى بالإنصاف أخرجه الطبري. اهـ.

قلت: والذي وقفت عليه عند الطبري عن ابن زيد قال متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذاً بطرف من مال لإستخدامه اسواؤهم.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٨ - ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ ويقال سالماً: صالحاً].

ش: قال أبو عبيدة: خالصاً وسلاماً لرجل أي صالحاً.

٩ - ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت].

ش: أخرجه ابن جرير عن السدي وقاتدة وأخرج عن مجاهد قال انقبضت. والآية المشار إليها ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾.

١٠ - ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ من الفوز].

ش: قال أبو عبيدة: بنجاتهم من الفوز، وأخرج ابن جرير عن السدي قال بفضائلهم وعن ابن زيد قال بأعمالهم وهذه المعاني متقاربة. والآية المشار إليها ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

١١ - ﴿حَافِينَ﴾ أطافوا به، مطيفين بحفافية، بجوانبه].

ش: قال أبو عبيدة: طافوا به بحفافية، وأخرج ابن جرير عن قتادة والسدي قالوا: محققين حول العرش.

والآية المشار إليها ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾.

١٢ - [متشابهاً] ليس من الاشتباه، ولكن يشبه بعضه بعضاً في

التصديق].

ش: قال أبو عبيدة: يصدق بعضه بعضاً ويشبه بعضه بعضاً.

وأخرج ابن جرير هذا المعنى عن قتادة والسدي وسعيد بن جبير.

قلت: وهذا هو التشابه العام.

والآية المشار إليها ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ الآية.

٢٩٦ - [باب ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾]

ش: قلت: الآية ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... الخ﴾ الآية. هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. قوله ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً... الخ﴾ الآية لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط.

فائدة: روى الطبراني من طريق الشعبي عن بشير بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول: إن أعظم آية في كتاب الله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر، ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإن أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وإن أشد آية في كتاب الله تفويضاً ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾. ابن كثير (٦٤/٤).

وأعلم أن هذه الآية أرجأ آية في كتاب الله سبحانه لا شتمها على أعظم بشارة فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب فأنهى عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال ﴿إن الله يغفر الذنوب﴾ فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفرادها، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرج النص القرآني وهو الشرك ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله

﴿جميعاً﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن. بمن لا يتعاضمه ذنب ولا ييخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه هذا الكلام قائلاً إنه هو الغفور الرحيم أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فمن أبي هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنيط عباد الله وتيئيسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه من قوله (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) اهـ. من تفسير الشوكاني.

تنبيه

لا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ وذلك أن كل ذنب كائناً ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له.

من فقه الآية

أولاً: سعة رحمة الله عز وجل وعظيم لطفه.

ثانياً: قبول الله التوبة من جميع الذنوب.

ثالثاً: تحريم القنوط من رحمة الله.

رابعاً: إثبات الغفور والرحيم اسمين لله عز وجل.

٣٣٠ - حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن

جريج أخبرهم: قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله

عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا

محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا

كفارة، فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى قوله (أن ناساً من أهل الشرك) وعند النسائي في تحريم الدم من رواية عبد الأعلى الثعلبي (إن قوماً) ولم نقف على تعيين هؤلاء.

الثانية: قوله (لو تجربنا أن لما عملنا كفارة) روى الطبراني في الكبير (١٩٧/١١) من طريق أبي بن سفيان عن عطاء عن ابن عباس (بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وأنا قد صنعت ذلك فهل تجدل لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ فقال وحشي يا محمد هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ قال وحشي هذا، فجاء فأسلم فقال الناس يا رسول الله إذا أصبنا ما أصاب وحشي قال: (هي للمسلمين عامة).

قلت: ولكن أبي بن سفيان المقدسي ضعف الذهبي في الميزان روايته عن التابعين وهذه الرواية كما ترى منها، وفي سيرة ابن هشام في ذكر حرم المدينة (٤٧٤/١) قال ابن إسحاق فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ان نهاجر إلى المدينة... إلى أن قال وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر في حديثه قال: فكنا نقول ما الله يقابل ممن افتتن صرفاً ولا

عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... إلى قوله وانتم لا تشعرون﴾.

قلت: وهذه الرواية صحيحة ولا تعارض بينها وبين حديث الباب لإمكان أن يكون كلاً من الحادثتين سبب لنزول الآية ونظائر هذا كثير جداً.

الثالثة: قوله فأنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ وفي تفسير سورة الفرقان ضمن باب يضاعف له العذاب يوم القيامة من رواية ابن أبي ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق... حتى بلغ إلا من تاب﴾ فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة، فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وآتيناهم الفواحش فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً إلى قوله غفوراً رحيماً﴾.

الرابعة: قوله (وأنزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾).

قلت: هذا هو محل الشاهد وقد تقدم شرحه أول الباب.

٢٩٧ - [باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾]

ش: تمامها: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

يقول تبارك وتعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته.

وقوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه.

وقوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة لله وعلواً وازتفاعاً عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك أعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.

فائدة

قال ابن القيم: «هذا رد على المشركين والمعتولين الجاحدين لتوحيده ولصفاته كما كان ذلك رداً على منكري كتبه ورساله، وهذان أصلاً الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذا الذي وصف به نفسه ها هنا يتضمن من اقتداره على تغيير العالم وتبديله ما يبطل قول أعدائه من الملاحدة المكذبين بالمبدأ والمعاد أئمة هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل والرأي».

٣٣١ - حدثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر، ثم

قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ» في رواية سفيان في التوحيد باب قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾، (أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ) وفيه من رواية علقمة (جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب).

الثانية: قوله «يا محمد» وفي رواية علقمة (يا أبا القاسم) وعند مسلم في صفات المنافقين من رواية فضيل (يا محمد أو يا أبا القاسم) بالشك.

الثالثة: قوله «إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع» وفي رواية سفيان (إن الله يمسك السموات على إصبع) وكذا في رواية علقمة وفضيل، وفي رواية جرير عند النسائي في تفسير سورة الزمر (إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع).

الرابعة: قوله «والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع» زاد في رواية سفيان (والجبال على إصبع) وعند المصنف في التوحيد من رواية الأعمش (والشجر والأنهار على إصبع).

وفيه دليل على إثبات عظمة الله وعظيم قدرته وأنه جل وعلا له يد وأصابع وهي من الصفات اللائقة به ويجب إثباتها له إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ومن غير تحريف ولا تأويل تؤمن بمعناها مع العلم به، ونفوض كقيمتها إلى الله عز وجل شأنها شأن الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة الصحيحة.

الخامسة: قوله «فيقول أنا الملك» في رواية جرير (ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك) وفي رواية الأعمش ثم يقول (بيده أنا الملك) وزاد ابن خزيمة عن محمد بن خلاد عن يحيى بن سعيد القطان عن الأعمش فذكر الحديث قال محمد عدها علينا يحيى بإصبعه وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله كما في السنة

(٢٦٤/١) قال أبي رحمه الله جعل يشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعه يضع أصبعاً أصبعاً حتى أتى على آخرها، ورواه أبو بكر الخلال من كتاب السنة عن أبي بكر المروزي عن أحمد وقال رأيت أبا عبد الله يشير بأصبع أصبع.

وأخرج الترمذي وصححه في تفسير سورة الزمر عن ابن عباس وفيه (إذا وضع الله السموات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخصره أولاً ثم تابع حتى بلغ الإبهام).

قلت: أخذ السلف الصالح بهذه الأحاديث وأمثالها من نصوص الصفات وأجروها على ظاهرها واتبعوا ما دلت عليه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ولم يحرفوا ولم يكيفوا قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص ٧٤٠) معلقاً على جملة أحاديث أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومنها حديث الباب: «وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها إن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه فلو كان هذا حقاً بلغه أمينه امته فإن الله كمل به الدين واتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين.. وتلقى أصحابه رضي الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فأمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا... وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ولم يجحدوا شيئاً من الصفات.. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لله أسماء وصفات لا يسع أحداً زدها، ومن خالف بعد ثبوت

الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، وثبت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ اهـ.

السادسة: قوله «فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر» في رواية الأعمش (فرأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله) وفي رواية فضيل عند مسلم (فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر تصديقاً له).

قلت: فيه الرد على من زعم أن رسول الله ﷺ ضحك إستنكاراً لما قاله اليهودي فإن الصحابي المشاهد للتنزيل أعلم الناس بمراد النبي ﷺ فإن قلت لم لا يكون قول ابن مسعود (تصديقاً لقول الخبر) ظناً منه ذلك فالجواب أنه لو كان الأمر على ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته عن الإنكار وحاشاه ﷺ من ذلك.

السابعة: قوله (ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره... الخ

الآية﴾).

هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح الآية كاملة أول الباب، والظاهر والعلم عند الله أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية تصديقاً للحبر فيما قال وتعريضاً باليهود إذ لم يؤمنوا بالله وبرسوله وهذا العلم عندهم.

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليدين لله وإثبات الأصابع وذلك على الحقيقة وإياك أن تغتر بقول الخطابي: (لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطوع به، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع بل هو توقيف أطلقه الشارع فلا يكيف ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهود) اهـ فإنه بعيد كل البعد عن الصواب فقد ثبتت اليدان بما يفوق الحصر من نصوص

الكتاب والسنة الصحيحة وخرج حديث الباب في أصح الكتب بعد كتاب الله وهما صحيح البخاري وصحيح مسلم وكذا أخرجه الأئمة المشهود لهم بالفضل وجلالة القدر مثل ابن خزيمة.

وروى مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله يقول (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله ﷺ (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك).

وقال الإمام أبو بكر عمرو بن أبي عاصم في كتابه السنة باب: (إن القلوب بن أصبعين من أصابع الرحمن ماشاء أقامه منها وماشاء أن يزيغه أزاعه) وضمنه أحد عشر حديثاً مختلفة الطرق برواية عدد من أصحاب النبي ﷺ. وكلها صحيحة صريحة الدلالة على ثبوت الأصابع للرب جل وعلا وهاك خمسة من تلك الأحاديث:

١ - عن النواس بن سميان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاعه).

٢ - عن سيرة بن فاكه قال: قال رسول الله ﷺ: (قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاعه).

٣ - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة ما من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ما شاء أقامه وما شاء أزاعه).

٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فإذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه).

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن).
 فصار حديث الأصبع مقطوعاً به. والله الحمد والمنة. وقد قدمت في المسألة الخامسة من شرح حديث الباب موقف السلف من نصوص الصفات فالزمه ولا تحذ عنه يمينة ولا يسرة.
 ثانياً: قبول الحق ممن جاء به وإن كان من أشد أعداء الدين ألا تراه لما سمع قول الخير ضحك حتى بدت نواجذه.
 ثالثاً: عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

٢٩٨ - [باب قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾].

ش: تقدم شرحه أول الباب الذي قبله.

٣٣٢ - حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول، أنا الملك، أين ملوك الأرض).

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه» في حديث ابن عمر باب قول الله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾ من كتاب التوحيد (إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه) وفي رواية عمر بن حمزة التي وصلها مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، وأبو داود في باب الرد على الجهمية من السنة كلاهما من طريق أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن صالح عن ابن عمر (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ويطوي الأرض ثم يأخذهن بشماله) وعند أبي داود بدل قوله بشماله بيده الأخرى قال الحافظ وزاد في رواية ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع وأبي حازم عن ابن عمر (فيجعلهما في كفه ثم يرمي بهما كما يرمي الغلام بالكرة).

الثانية: قوله (أنا الملك، أين ملوك الأرض) زاد في رواية عمر بن حمزة (أين الجبارون أين المتكبرون).

من فقه الحديث

أولاً: إثبات اليمين لله عز وجل وهما يدان حقيقتان لا تقتان بجلاله ومن تأولهما بالنعمة أو القدرة فقد جانب الصواب.

ثانياً: ما في هذا الحديث من القبض والطي لا يعارض ما تضمنه حديث ابن مسعود في الباب قبله من الإمساك والوضع فكل ذلك حق على حقيقته.

ثالثاً: عظيم قدرة الله عز وجل.

رابعاً: فيه إثبات اسم الملك لله.

خامساً: فيه إنفراد الرب بالآخريه التي ليس بعدها شيء كما أنه منفرد بالأولية التي ليس قبلها شيء.

٢٩٩ - [بَاب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾].
 ش: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هذه هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض.
 وقوله ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اختلف أهل العلم فيه على أربعة أقوال حكاها ابن جرير:

أحدها: انه عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، قاله السدي.
 وثانيها: أنه عنى به الشهداء وهو قول سعيد بن جبير.
 وثالثها: أنه عنى بالاستثناء في الفزع الشهداء وفي الصعق جبريل وملك الموت، وحملة العرش ولم يذكر قائله هنا ولا عند قوله تعالى من سورة النمل ﴿فَفَزَعَنَا مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولم أقف عليه.
 ورابعها: أنه يستثنى الله وما يدع أحداً من أهل السماوات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت وهو قول الحسن.

وقوله ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ... الخ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور وهي التي يجمع الله بها الأولين والأخرين للجزاء والحساب ومن نظائرها قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ وقوله ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقوله ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

فائدة

أخرج الحاكم في التفسير من المستدرک (٤٣٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله ﴿وَنُفِخَ

في الصور ﷺ قال النبي ﷺ (هو قرن ينفخ فيه)، قال مقيدته: فهذا نص صريح في بيان الصور الذي ذكره الله تعالى في كثير من آي كتابه ومنها هذه الآية.

٣٣٣ - ثفي الحسن ثنا إسماعيل بن خليل^(١): أخبرنا عبد الرحيم^(٢)، عن زكريا ابن أبي زائدة^(٣)، عن عامر، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري، أكذلك كان، أم بعد النفخة).

٣٣٤ - ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش سمعت أبا صالح: سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون)، قالوا يا أبا هريرة، أربعون يوماً، قال أبيت قال أربعون سنة؟ قال أبيت قال أربعون شهراً؟ قال أبيت (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة» في باب ما يذكر في الأشخاص من كتاب الخصومات برواية أبي سلمة والأعرج (فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق) وكذا في باب وفاة موسى من أحاديث الأنبياء برواية أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفرع منه.

وللحديث قصة أخرجها المصنف في الموضوعين وغيرهما وأخرجها مسلم في باب من فضائل موسى عليه السلام من كتاب الفضائل واللفظ له برواية الأعرج

(١) هو أبو عبد الله، إسماعيل بن الخليل الخزاز، الكوفي، ثقة من العاشرة مات سنة خمس وعشرين ومائتين، خ، م، مد.

(٢) هو أبو علي، عبد الرحيم بن سليمان الكناني أو الطائي الأشل المروزي، نزيل الكوفة، ثقة له تصانيف، من صغار الثامنة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، ع.

(٣) هو أبو يحيى، زكريا بن أبي زائدة خالد ويقال هبيرة بن ميمون بن فيروز الهمداني، الوادعي، الكوفي، ثقة وكان يدلس وسماعه من أبي إسحاق بأخرة من السادسة مات سنة سبع، أو ثمان أو تسع وأربعين ومائة، ع.

عن أبي هريرة قال بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه - شك عبد العزيز - قال: لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، قال فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، قال فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، وقال فلان لطم وجهي فقال رسول الله ﷺ: (لم لطمت وجهه؟ قال: قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا قال فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث... الحديث).

الثانية: قوله «فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش»: في الأنبياء (فإذا موسى باطش بجانب العرش: وعند مسلم في فضائل موسى (فإذا موسى عليه السلام أخذ بالعرش): وفي حديث أبي سعيد (أخذ بقائمة من قوائم العرش): أخرجه المصنف في باب «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة» من أحاديث الأنبياء وهو كذا عند الترمذي في تفسير سورة الزمر برواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، والجمع بين هذه الروايات أن إمساك موسى ﷺ بالعرش كان بشدة وقوة.

الثالثة: قوله «فلا أدري أكذلك كان، أم بعد النفخة» في الأنبياء (فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله) ووقع في حديث أبي سعيد (فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى) وفي رواية عبد الله بن الفضل (فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي) أخرجه المصنف في باب «إن يونس لمن المرسلين» من أحاديث الأنبياء، قال الحافظ: ووقع في رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عند ابن مردويه (أنا أول من تنشق

عنه الأرض يوم القيامة فأنفض التراب عن رأسي، فآتني قائمة العرش فأجد موسى قائماً عندها فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله).

الرابعة: قوله «بين النفختين» وفي باب «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا» من سورة النبأ، (ما بين النفختين) وكذا عند مسلم في باب ما بين النفختين من الفتن وأشراف الساعة.

قلت: فيه دليل على ان النفخ في الصور نفختان وهاتان النفختان هما نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والحساب، فإن سأل سائل: كيف تصنع بأية النمل المتضمنة الفرع مع النفخ، وآية الزمر التي تضمنت نفختين وهما نفخة الصعق ونفخة القيام فإذا أنضم الآيتان إلى بعضهما ظهر أن النفخ ثلاث مرات كما هو ظاهر.

فالجواب أنه لا تعارض بين الآيتين فنفخة الصعق هي التي يصحبها الفرع، يوضحه ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو الطويل وفيه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا اصغى ليتها ورفع ليتها، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس معه) انتهى محل الشاهد فقد نص الحديث كما ترى، على أن الفرع والصعق بنفخة واحدة.

الخامسة: قوله «قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً» لم يعرف السائل واللفظ يشعر أنه ممن سمع أبا هريرة يحدث به.

السادسة: قوله «أبيت» بموحدة والمعنى امتنعت عن القول في ذلك لأنه ليس عندي فيه خير عن النبي ﷺ، قال الحافظ: ولابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش في هذا الحديث فقال اعيبت من الإعياء وهو التعب وكأنه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبين ذلك فلا يجيبه وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ولا وجود له، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد (أربعون سنة) وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة) ذكره في أواخر سورة ص.

السابعة: قوله «ويلى كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه» وعند مسلم (وليس من الإنسان شئ إلا يلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب) وفي تفسير النبأ (ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شئ إلا يلى... الحديث) وعند مسلم برواية همام بن منبه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة) قالوا أي عظم هو يا رسول الله قال: عجب الذنب) وفي حديث أبي سعيد عند الحاكم وأبي يعلى قيل يا رسول الله ما عجب الذنب؟ قال: مثل حبة خردل، والعجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة تحية ويقال له عجم بالميم أيضاً عوضاً عن الباء وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

قال مقيده: واعلم أن الحكمة في بقاء عجب الذنب مما استأثر الله بعلمه ولا سبيل إلى معرفته إلا بخبر المعصوم ﷺ ولا نص في ذلك.

تنبيه

واعلم أن قوله ﷺ في حديث أبي هريرة هذا (ويلى كل شئ من الإنسان... الخ) ليس على عمومته بل خص منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن أجسادهم محرمة على الأرض كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك.

من فقه الحديثين

أولاً: ثناء النبي ﷺ على أخيه موسى ﷺ.

ثانياً: وجوب الإيمان برسالة موسى عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: فضيلة نبينا ﷺ وتشريفه بأنه أول من يعث.

رابعاً: وجوب الإيمان بالنفخ في الصور.

آخر تفسير سورة الزمر والحمد لله.

سورة حم المؤمن

٣٠٠ - سورة حم المؤمن بسم الله الرحمن الرحيم
 ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
 إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رب الله...﴾.
 والمعتمد في المصحف غافر وشاهد التسمية ظاهر.
 أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن ابن مسعود
 قال: الحواميم ديباج القرآن.
 وأخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن عباس قال: إن لكل شئ لباباً وإن لباب
 القرآن آل حم.
 وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وآياتها خمس وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد ﴿حم﴾ مجازها مجاز أوائل السور، ويقال بل هو اسم

لقول شريح بن أبي أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم]

ش: قلت: لم أجده عن مجاهد بل وجدته لأبي عبيدة وزاد وقال الكميت

بن زيد الأسدي وجدنا لكم في ال حاميم آية... تأولها منا تقي ومعرب.

وقوله «ويقال بل هو اسم... الخ» أعلم أن أهل العلم مختلفون في معنى

حاميم على خمسة أقوال حكاه ابن جرير وهي:

الأول: أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم وهو

الحاء والميم منه وبه قال ابن عباس.

الثاني: أنه قسم اقسامه الله وهو اسم من أسماء الله وهو قول ابن عباس في

الرواية الثانية عنه وبه قال مجاهد.

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن قاله قتادة.

الرابع: أنه حروف هجاء، ولم يذكر قائله.

الخامس: أنه اسم واحتج أصحاب هذا القول بمقول أبي شريح المتقدم، ولم

يذكر ابن جرير قائله، وقد قدمت الخلاف في هذه الحروف في أول تفسير سورة

طه عند كلامنا على الأثر الأول ضمن الباب السابع والعشرين بعد المائتين.

٢ - [﴿الطُّول﴾ التفضل].

ش: قاله ابو عبيدة وزاد تقول العرب للرجل إنه لذو طول على قومه أي

ذو فضل عليهم وفيه قولان آخران أخرجهما ابن جرير:

أحدهما: ذو السعة والغنى والنعم وبه قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة.

وثانيهما: ذو القدرة وهو قول ابن زيد.

وليس عندي اختلاف في المعنى بين هذه الأقوال فإنه جل وعلا ذو تفضل وغنى وقدرة.

والآية المشار إليها ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾.

٣ - ﴿داخرين﴾ خاضعين].

ش: قال أبو عبيدة في الجزء الثاني (ص ٩٦) عند الآية السابعة والثمانين من سورة النمل: أي صاغرين خاضعين.

وأخرج ابن جرير عن السدي قال: صاغرين.

والآية المشار إليها ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم

داخرين﴾.

٤ - [وقال مجاهد: ﴿إلى النجاة﴾ الإيمان].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (الإيمان بالله).

والآية المشار إليها ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى

النار﴾.

٥ - [ليس له دعوة﴾ يعني الوثن].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد "ليس شيء"

والآية المشار إليها ﴿لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا

في الآخرة، وأن مردنا إلى الله﴾.

٦ - [يُسَجَّرُونَ﴾ توقد بهم النار].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ولفظه (يوقد بهم النار)

ولا تغاير في المعنى، وأخرج عن السدي وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾.

٧ - ﴿تفرحون﴾ تبطرون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق وزاد "وتأشرون" وهو قول السدي.

والآية المشار إليها: ﴿ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون﴾

٨ - [وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل لم تقنط الناس؟ قال وأنا أقدر أن أقنط الناس والله عز وجل يقول ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ ويقول: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمداً ﷺ مبشراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار من عصاه].

ش: قوله «وكان العلاء بن زياد» هو أبو نصر العلاء بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة من الرابعة مات سنة أربع وتسعين ومائة ولم أقف عليه موصولاً.

قوله «يذكر الناس النار» بتشديد الكاف مكسورة أي يخوفهم منها ويعظهم بها.

قوله «فقال رجل» لم يوقف له على تسمية.

وقوله «لم تقنط الناس» هذا سؤال استنكار والتقنيط هو التيسيس من رحمة الله والمعنى أنك بصنيعك هذا وهو التحوير بالنار فقط، تبعث في نفوس الناس الخوف دون رجاء.

قوله «وأنا أقدر أن أقنط الناس... إلى قوله أصحاب النار» هذا مقول العلاء رداً على من أنكر صنيعه والمعنى أنه ليس لي تقنيط الناس من رحمة الله وقد استدل على ذلك بآيتين إحداهما ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾، والأخرى ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾.

وقوله «ولكنكم تحبون أن تبشروا على مساوي أعمالكم» وهذا جواب آخر من أجوبة إنكار العلاء على من استنكر عليه الإقتصار في الوعظ على التخويف.

وقوله «وإنما بعث الله محمداً ﷺ... إلى قوله من عصاه» هذا تعليل لما قبله من الأجوبة.

تنبيه

واعلم أن الطريقة المثلى في الوعظ الجمع بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب والمجادلة والتي هي أحسن إن احتيج إليها مع تعليم الناس أصول الدين وفروعه، قال ابن القيم في زاد المعاد (٤٢٣/١): «وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملاً القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسّم أموالهم، ويبلى التراب أجسامهم، فيألت شعري أي إيمان حصل بهذا، وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟».

٣٣٥ - حدثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي ثنا

يحيى بن أبي كثير ثنا محمد بن إبراهيم التيمي ثنا عروة بن الزبير قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص^(١) أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ

(١) هو أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بالتصغير ابن سعد السهمي، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح، ع.

قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «أشد ما صنع المشركون... الخ الجواب».

هذا الجواب يخالف في الظاهر ما أخرجه المصنف في باب إذا قال أحدكم آمين من بدء الخلق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبي إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب... الحديث) فالجمع بينهما أن عبد الله بن عمرو استند إلى ما رآه من صنع عقبة مع النبي ﷺ ولم يكن يعلم تلك القصة التي أخبرت بها عائشة.

الثانية: قوله «بيننا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط... إلى قوله فخنقه خنقاً شديداً» في مناقب الأنصار برواية عياش بن الوليد (بيننا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة).

الثالثة: قوله «فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه» وفي فضائل الصحابة برواية محمد بن يزيد فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه.

الرابعة: قوله «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

وفي حديث عمرو بن العاص عند النسائي في تفسير سورة حم المؤمن أنه سئل ما أشد شيء رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله ﷺ قال: مر بهم ذات يوم

فقالوا له أنت الذي تنهانا أن نعبد ما يعبد أبائنا؟ قال: أنا فقاموا إليه فأخذوه بمجامع ثيابه فقال فرأيت أبا بكر محتضنه من ورائه يصرخ وإن عينيه تنفحان وهو يقول (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) قلت: وهذا وإن كان ظاهره مخالفة ما قبله إلا أنه محمول على تعدد القصة والله أعلم.

من فقه الحديث

أولاً: شدة ما لقيه النبي ﷺ من المشركين وصبره عليهم.
 ثانياً: في دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ منقبة له.
 ثالثاً: جواز الأنتزاع من القرآن والاستشهاد به في المواقف المتشابهة وهو ما يفيد قول أبي بكر ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾.
 آخر تفسير سورة غافر والله الحمد والمنة.

سورة حم السجدة

٣٠١ - سورة حم السجدة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس

والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾

والمعتمد في المصحف فصلت وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿كتاب فصلت

آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾.

وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي، وآياتها أربع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال طاووس عن ابن عباس ﴿أئتيا طوعاً﴾ أعطياً].

ش: أخرجه ابن جرير ثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن عليّة عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس فذكره.

٢ - [﴿قالتا أئينا طائعين﴾ أعطينا].

ش: أخرجه ابن جرير عن طاوس عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾.

٣٣٦ - وقال المنهال^(١)، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس:

إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؟

قال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾. ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾. ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾. ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾: فقد كتموا في هذه الآية؟

وقال: ﴿أم السماء بناها - إلى قوله - دحاها﴾: فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - إلى قوله - طائعين﴾: فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء؟

وقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾. ﴿عزيزاً حكيماً﴾. ﴿سميعاً بصيراً﴾: فكأنه كان ثم مضى؟

فقال: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: ﴿فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾: فلا أنساب

(١) هو المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي صدوق ربما وهم من الخامسة خ، ٤، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿أقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾.

وأما قوله: ﴿ما كنا مشركين﴾. ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾: فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتتق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتُم حديثاً، وعنده: ﴿يود الذين كفروا﴾.

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دحاها﴾. وقوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾. فجعلت الأرض وما فيها من شئ في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين.

﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمي نفسه بذلك، وذلك قوله، أي لم ينزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله.

قال أبو عبد الله: حدثني يوسف بن عدي^(١): حدثنا عبيد الله بن عمرو^(٢)، عن زيد بن أبي أنيسة^(٣) عن المنهال بهذا.
ش: فيه ثلاث مسائل:

(١) هو يوسف بن عدي بن رزق التيمي مولاهم الكوفي، نزيل مصر، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك، خ، س، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.

(٢) هو أبو وهب عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الرقي، أبو وهب الأسدي ثقة فقيه ربما وهم من الثامنة، مات سنة ثمانين ومائة عن ثمانين سنة.

(٣) هو أبو أسامة زيد بن أبي أنيسة الجزري أصله من الكوفة ثم سكن الرها ثقة له أفراد من السادسة، مات سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة أربع وعشرين وله ست وثلاثون سنة، ع.

الأولى: قوله «وقال المنهال عن سعيد بن جبير... الخ» ظاهره أنه معلق ولكن ليس كذلك بل ساق المصنف الأسناد بعد الفراغ من الخبر كما مر بك.

الثانية: قوله «إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي» بيانه من قوله قال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسألون﴾ إلى قوله ﴿سميعاً بصيراً﴾ فكأنه كان ثم مضى.

الثالثة: من قوله «فقال ﴿فلا أنساب بينهم﴾» في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتسألون إلى قوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلاً من عند الله هو جواب ابن عباس أزال به عن ذلك الرجل ما عن له من الشبه.

من فقه الحديث

أولاً: يجب على من أشكل عليه أمر في القرآن أو غيره أن يعرضه على الراسخين في العلم.

ثانياً: فقه ابن عباس رضي الله عنه ورسوخه في العلم وهذا يظهر من استعراضه شبه الرجل وإزالتها شبهة شبهة.

ثالثاً: أن القرآن كله حق وليس فيه اشتباه بل يصدق بعضه بعضاً.

شرح جملة من الكلمات

١ - [وقال مجاهد: ﴿هم أجر غير ممنون﴾ محسوب].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج عن ابن عباس والسدي غير منقوص.

والآية المشار إليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

٢ - ﴿أَقْوَاتُهَا﴾ أرزاقها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله بلفظ ﴿أَقْوَاتُهَا﴾ من المطر، وأخرج مثل ما حكاه المصنف عنه عن الحسن، وأخرج نحوه عن ابن زيد والسدي.

والآية المشار إليها ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رِوَاسِيًّا مِّنْ فَوْقِهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْمَسْأَلِينَ﴾.

٣ - ﴿فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرًا﴾ مما أمر به].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وزاد وإرادته، وأخرج نحوه عن السدي وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرًا﴾.

٤ - ﴿نَحْسَاتٍ﴾ مشائيم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة والسدي نحوه.

والآية المشار إليها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ...﴾
الآية

٥ - ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ قرناهم بهم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (قرناء) شياطين، وأخرجه أيضاً عن السدي.

والآية المشار إليها ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

٦ - ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله كما أخرجه عن السدي. والآية المشار إليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

٧ - ﴿اهْتَزَّتْ﴾ بالنبات، ﴿وَرَبَّتْ﴾ ارتفعت].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. والآية المشار إليها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾.

٨ - [وقال غيره: ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ حين تطلع].

ش: قلت: كذا في رواية أبي ذر والأصيلي، وقد أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

٩ - ﴿لِيَقُولُنَّ هَذَا لِي﴾ أي بعلمي أنا محقوق بهذا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. والآية المشار إليها ﴿وَلَنُنْزِلَنَّ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مَسْتَه لِيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً... الآية﴾.

١٠ - ﴿سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ قَدَّرَهَا سَوَاءً].

ش: لم أقف فيها لمجاهد على قول لكن قال أبو عبيدة: نصبها عاصم وحمزة وخففها الحسن فجعلها من نعت الأيام، وإن شئت من نعت الأربعة، ومن نصبها جعلها متصلة الأقوات، وقد ترفع كأنه قال (ذلك سواء للسائلين، يقوله لمن أراد علمه) هـ.

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثاني.

١١ - [فهديناهم] دللناهم على الخير والشر، كقوله ﴿وهديناه النجدين﴾، وكقوله ﴿هديناها السبيل﴾، والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصدقناه، ومن ذلك قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾.

ش: قال الفراء: يقول دللناهم على مذهب الخير ومذهب الشر كقوله ﴿وهديناه النجدين﴾ الخير والشر. ١. هـ

ثم ساق بإسناده عن علي أنه قال في قوله ﴿وهديناه النجدين﴾ الخير والشر.

قال أبو زكريا وكذلك قوله ﴿إنا هديناها السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ والهدي على وجه آخر هو الإرشاد بمنزلة قولك أصدقناه، من ذلك قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ في كثير من القرآن. ١. هـ

قلت: وقول البخاري «والهدي الذي هو الإرشاد بمنزلة أصدقناه...» قال السهيلي: هو بالصاد أقرب إلى تفسير أرشدناه من أصدقناه بالسين المهملة، لأنه إذا كان السين كان من السعد والسعادة، وأرشدت الرجل إلى الطريق وهديته السبيل بعيد من هذا التفسير، فإذا قلت أصدقناهم بالصاد خرج اللفظ إلى معنى الصعدات في قوله إياكم والقعود على الصعدات وهي الطرق، وكذلك أصدق في الأرض إذا سار فيها على قصد، حكاه الحافظ في الفتح (٨ / ٥٦٠).

والآية المشار إليها ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾.

١٢ - [يوزعون] يكفون].

ش: قال الفراء: هي ما وزعت، ومعنى وزعته حبسته وكففته. ١. هـ

وقال السدي: يجبس أولهم على آخرهم. وقال قتادة: عليهم وزعة ترد

أولهم على آخرهم. أخرجه عنهما ابن جرير.

قلت: وهذه العبارات الأربع متقاربة.

والآية المشار إليها ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾.

١٣ - ﴿من أكمأها﴾ قشر الكفري هي الكم].

ش: قال الفراء: قشر الكفراه كم. وقال أبو عبيدة: أي أوعيتها واحدها كمه وهو ما كانت فيه وكم وكمه واحد وجمعها أكمام وأكمه. ا.هـ
وهاتان العبارتان قريبتان من قول المصنف إلا أن قول الفراء أشبه.
والآية المشار إليها مضت في الأثر الثامن.

١٤ - [وقال غيره: ويقال للعنب إذا اخرج أيضاً كافور وكفري].

ش: قوله «وقال غيره» قال ابن فارس: في الجمل مادة كفر والكافور كم العنب قبل أن ينور يسمى كافوراً لأنه كفر الوليع أي غطاه ويقال له الكفري. ا.هـ

١٥ - ﴿ولي حميم﴾ قريب].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

١٦ - ﴿من محيص﴾ حاص حاد].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم

من محيص﴾.

١٧ - ﴿مريه﴾ ومريه واحد أي امتراء].

ش: قاله أبو عبيدة، وأخرج ابن جرير عن السدي شك.

والآية المشار إليها ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيء

محيط﴾.

١٨ - [وقال مجاهد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ هي وعيد].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن: ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ "هذا وعيد" وقال أبو عبيدة: لم يأمرهم بعمل الكفر إنما هو توعد.

والآية المشار إليها ﴿اعملوا ما شئتم﴾ بما تعملون بصير.

١٩ - [وقال ابن عباس: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ الصبر عند الغضب

والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، وهو أحد قولين عنده في الآية).

وثانیهما: بمعنى أَدْفَعُ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ إِسَاءَتَهُ وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ

ومجاهد، وقول ابن عباس أظهر عندي وأوفق للآية والله أعلم.

والآية المشار إليها ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن

فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

٣٠٢ - [باب قوله ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم

ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾].

ش: أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم، ما كنتم تكتُمون الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم. اهـ من ابن كثير.

٣٣٧ - حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن

القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم﴾ الآية، كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض أترون أن الله يسمع حديثنا: قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ الآية.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من

ثقيف وختن لهما من قريش»: وفي التوحيد من رواية سفيان (اجتمع عند البيت ثقيان وقرشي أو قرشيان وثقفي) هذا الشك من أبي معمر وهو عبد الله بن سخبرة راوية ابن مسعود، وقد أخرج هذه القصة عبد الرزاق (ج ٣) عند تفسيره هذه الآية عن وهب بن ربيعة عن ابن مسعود ولفظه قال (إنني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: ثقفي وختناه قرشيان) وعند الترمذي في باب ومن سورة حم السجدة من التفسير برواية عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: كنت مستتراً بأستار الكعبة فحاء ثلاثة نفر) ولم ينسبهم، قال البغوي في تفسير

سورة فصلت عند هذه الآية: وقيل الثقفى عبدياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية.

قلت: وفي الباب بعد هذا وصفهم فقال: كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم كذا للأكثر بإضافة بطون لشحم وإضافة قلوب لفقه وتنوين كثيرة وقليلة، وعند الترمذي (كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم وذكره بعض الشراح بلفظ إضافة شحم إلى كثيرة ويطونهم بالرفع على أنه المبتدأ أي بطونهم كثيرة الشحم والآخر مثله وهو محتمل قال الحافظ: وقد أخرج ابن مردويه من أوجه أخر بلفظ عظيمة بطونهم قليل فقههم).

الثانية: قوله «فقال بعضهم لبعض أترون أن الله يسمع حديثنا» وفي الباب بعده من رواية سفيان (فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟) وعند عبد الرزاق (فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أتري الله يسمع ما قلنا).

الثالثة: قوله «قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله» وعند عبد الرزاق فقال الآخر: (أراه يسمع إذا رفعنا ولا يسمع إذا خفضنا، فقال الآخر: لئن كان يسمع شيئاً منه إنه ليسمعه كله) وفي الباب بعده وكذا عند مسلم والترمذي (فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا).

قال مقيده: هذا القول الأخير وما في معناه على ما فيه من السخرية بالله إلا أن صاحبه أفطن القوم قال الحافظ: وأخلق به أن يكون الأحنس بن شريق لأنه أسلم بعد ذلك وكذا صفوان بن أمية.

الرابعة: قوله: «فأنزلت ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾».

وعند عبد الرزاق: (فذكرت ذلك لرسول الله قال: فأنزل الله ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم...﴾ إلى قوله الخاسرين).
قلت: وهذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد تحصل من مجموع الروايات كما ترى أن تلك الحادثة هي سبب نزول الآيتين.

٣٠٣ - [باب قوله ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم

فأصبحتم من الخاسرين﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم يعني أهلككم يقال منه أردى فلاناً كذا وكذا إذا أهلكه.

وقوله ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار. اهـ من ابن جرير.

٣٣٨ - ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن

عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية.

وكان سفيان يحدثنا بهذا فيقول حدثنا منصور أو ابن أبي نجيح أو حميد أحدهم أو اثنان منهم ثم ثبت على منصور وترك ذلك مراراً غير واحدة.

٣٣٩ - حدثنا عمر بن علي حدثنا يحيى ثنا سفيان الثوري قال حدثني

منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بنحوه.

ش: الشاهد منه يظهر من رواية عبد الرزاق (فأنزل الله ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم... إلى... الخاسرين﴾ وقد تقدم شرح الحديث ضمن الباب الذي قبله.

وقوله: «كان سفيان يحدثنا بهذا إلى قوله مراراً غير واحدة» هذا كلام الحميدي شيخ البخاري عنه وقد أخرجه عنه في كتاب التوحيد باب قوله ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ قال حدثنا منصور عن مجاهد فذكره مختصراً ولم يذكر مع منصور أحداً وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة عن منصور وحده به.

آخر تفسير سورة فصلت والحمد لله.

سورة حم عسق

٣٠٤ - سورة حم عسق بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة والمعتمد في المصحف الشورى وشاهده قوله تعالى ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي وآياتها ثلاث وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [ويذكر عن ابن عباس ﴿عقيماً﴾ لا تلد].

ش: قال الحافظ: «وذكره باللفظ المعلق بلفظ جوير عن الضحاك عن ابن عباس وفيه ضعف وانقطاع فكأنه لم يجزم به لذلك» قلت: وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (لا يلقح). وأخرجه عن ابن زيد قال: لا يلد واحداً ولا إثنين.

والآية المشار إليها ﴿أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾.
٢ - [﴿روحاً من أمرنا﴾ القرآن].

ش: قلت: لم أقف فيه عن ابن عباس على شئ وحكى البغوي في تفسير هذه الآية من سورة الشورى عن مالك بن دينار قال: يعني القرآن. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: رحمة من أمرنا. وأخرج عن السدي وحياً من أمرنا.

والآية المشار إليها ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾.

٣ - [وقال مجاهد ﴿يذروكم فيه﴾ نسل بعد نسل].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (من الناس والأنعام).

وأخرج عن السدي ومنصور نحوه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يعيشكم فيه وهو قول ابن عباس وقتادة.

وجمع ابن جرير بين القولين فقال: وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلهما فقد يؤولان إلى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحيكم يعيشكم به كما يحيى من لم يخلق بتكوينه إياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حياً.

والآية المشار إليها ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه﴾.

٤ - ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ لا خصومة بيننا وبينكم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾.

٥ - ﴿من طرف خفي﴾ ذليل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وبه قال ابن عباس وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى يسارقون النظر وهو قول قتادة والسدي ثم قال ابن جرير رحمه الله: والصواب من القول في ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد وهو ان معناه أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل.

والآية المشار إليها ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾.

٦ - [وقال غيره: ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ يتحركن ولا يجريين في البحر].

ش: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكن عنها الريح ركدت.

وأخرج عن السدي قال: لا تجري، وعن ابن عباس وقولاً.

وقال أبو عبيدة: سواكن. وهذه الأقوال لا اختلاف بينها في المعنى وهي موافقة لظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾.

٧ - ﴿شرعوا﴾ ابتدعوا].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به

الله﴾

٣٠٥ - [باب قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾.

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله تعالى لهم به.

وقوله ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالأً تعطونيهِ وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

قلت: وفي قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾ أربعة أقوال أخرجها ابن جرير: أحدها: معناه إلا أن تودوني في قرابتي لكم وتصلوا رحمي بيني وبينكم وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وابي مالك وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وعطاء.

ثانيها: أي لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي وبه قال علي بن الحسين وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

ثالثها: بمعنى إلا أن توددوا إلى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة وهو قول ابن عباس وقتادة في الرواية الثانية عنهما وبه قال الحسن.

رابعها: بمعنى إلا أن تصلوا قرابتكم قاله عبد الله بن القاسم.

قلت: وأجود هذه الأقوال عندي الأول والثالث لأنه لا اختلاف بينهما في المعنى لموافقتهما ظاهر الآية والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسناً يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشرًا إلى ما شقنا من الجزاء والثواب.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين، والجملة تعليل لما قبلها.

من فقه الآية

أولاً: أن القرآن كلام الله وهذا مستفاد من قوله ﴿قُلْ﴾. ثانياً: في أمر الله له ﷺ بقوله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا... الخ﴾ الحث على الصبر في تبليغ الدعوة بالأساليب الجميلة المحببة إلى النفوس مع الحكمة والموعظة الحسنة وفق ما جاء في الشرع. ثالثاً: تبشير المحسنين بزيادة الأجر. رابعاً: إثبات الغفور والشكور اسمين لله.

٣٤٠ - حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمُوْدَةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبیر قريبي آل محمد ﷺ فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله ﴿عجلت﴾ أي تسرعت في تفسير الآية ولم تترث حتى تعلم المراد.

الثانية: قوله «إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة».

قلت: هذه الجملة تعليل لما قبلها والمعنى أن النبي ﷺ لم يكن قبيلة من قريش وإنما هو فرد من أفرادهم له فيهم قرابة ومن المعلوم أنه ﷺ هاشمي وبنو هاشم أحد بطون قريش.

الثالثة: قوله «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة»

قلت: هذا تفسير ابن عباس للآية وهو أول الأقوال الأربعة في الآية كما مر بك.

تنبيه

قال الحافظ (٨/ ٥٦٤): «وهذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً فأخرج الطبري وابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم، الحديث وإسناده ضعيف وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح».

قلت: «ولم أجده عند ابن جرير في تفسير هذه الآية فلعله أخرجه في موضع آخر، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن الحسين ثنا رجل سماه ثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال: فاطمة وولدها رضي الله عنهم حكاه ابن كثير وقال عقبه: وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل» اهـ.

قال محققه في (٧/ ١٨٩): في المخطوطة مخترق والتحرق اختلاق الكذب.

آخر تفسير سورة الشورى والحمد لله.

سورة حم الزخرف

٣٠٦ - سورة حم الزخرف بسم الله الرحمن الرحيم
 ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا
 لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ
 أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ وَزَخْرَفًا﴾.
 وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة حم الزخرف بمكة،
 قال القرطبي: هي مكة بالإجماع. وآياتها تسع وثمانون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿على أمة﴾ على إمام].

ش: حكاة البغوي وأخرج ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (ملة) وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي. والآية المشار إليها ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾.

٢ - [﴿وقيله يارب﴾ تفسيره: أيحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيلهم].

ش: قال ابن التين: هذا التفسير أنكره بعضهم وإنما يصح لو كانت التلاوة (وقيلهم) حكاة الحافظ.

وقال أبو عبيدة: نصبه في قول أبي عمرو على ﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾ وقيله ونسمع قيله.

وقال غيره: هي في موضع الفعل: ويقول. اهـ.

وقال الفراء: خفضها عاصم والسلمي وحمزة وبعض أصحاب عبد الله، ونصبها أهل المدينة والحسن فيما أعلم فمن خفضها قال ﴿عنده علم الساعة﴾ وعلم ﴿قيله يا رب﴾ ومن نصبها أضمر معها قولاً كأنه قال: وقال قوله، وشكا شكواه إلى ربه وهي في إحدى القراءتين قال الفراء لا أعلمها إلا في قراءة أبي، لأنني رأيتها في بعض مصاحف عبد الله على وقيله، ونصبها أيضاً يجوز من قوله ﴿نسمع سرهم ونجواهم﴾ ونسمع قيله، ولو قال قائل: وقيله رفعاً كان جائزاً كما تقول ونداؤه هذه الكلمة يارب. اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ لولا أن يجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار ﴿سقفاً من فضة ومعارج﴾ من فضة وهي درج وسرر فضة].

ش: وأخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه أيضاً عن الحسن وقتادة والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة وبه قال ابن زيد وأول القولين عندي أظهر لقوله بعده ﴿جعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ الآية.

والآية المشار إليها ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة...﴾.

٤ - [﴿مقرنين﴾ مطيقين].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾.

٥ - [﴿أسفونا﴾ اسخطونا].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾.

٦ - [﴿يعش﴾ يعمى].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق شبيب عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس فذكره، حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾.

٧ - [وقال مجاهد: ﴿أفضرِب عنكم الذكر﴾ أي تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه؟]

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن أبي صالح والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية. وثانيهما: بمعنى أفنرك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوماً مسرفين، وبه قال قتادة ورجح ابن جرير أولهما.

والآية المشار إليها ﴿أفضرِب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾.

٨ - [﴿ومضى مثل الأولين﴾ سنة الأولين].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. وأخرج عن قتادة نحوه وسيأتي.

والآية المشار إليها ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾.

٩ - [﴿وما كنا له مقرنين﴾ يعني الإبل والخيل والبغال والحمير].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

وتقدمت الآية المشار إليها في الأثر الرابع.

١٠ - [﴿ينشأ في الحلية﴾ الجواري: يقول: جعلتموهن للرحمن ولداً

فكيف تحكمون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه عنى بذلك أو ثانهم التي كانوا يعبدونها وهو قول ابن زيد ورجح ابن جرير أولهما وهو الموافق لظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿أومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾.

١١ - ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعنون الأوثان، يقول الله تعالى

﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أي الأوثان إنهم لا يعلمون.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من

علم﴾.

١٢ - ﴿في عقبه﴾ ولده.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج نحوه عن ابن عباس

والسدي وغيرهما.

والآية المشار إليها ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾.

١٣ - ﴿مقرنين﴾ يمشون معاً.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو أحد ثلاثة أقوال

حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى متتابعين، وبه قال قتادة.

وثالثها: بمعنى يقارن بعضهم بعضاً وهو قول السدي.

قال ابن جرير في معنى الآية: مقرنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا

يشهدون له بأنه الله رسول إليهم.

والآية المشار إليها ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه

الملائكة مقرنين﴾.

١٤ - ﴿سلفاً﴾ قوم فرعون سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن قتادة

ومعمر.

١٥ - ﴿ومثلاً﴾ عبرة.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن السدي

ونحوه عن قتادة وسيأتي.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾.

١٦ - ﴿يصدون﴾ يضحجون.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج مثله عن ابن عباس

والضحاك وقتادة والسدي.

والآية المشار إليها ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾.

١٧ - ﴿مبرمون﴾ مجمعون.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وزاد إن كادوا شيئاً كدنا

مثله، وأخرج مثله عن قتادة وعن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون﴾.

١٨ - ﴿أول العابدين﴾ أول المؤمنين.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه ﴿قل إن كان

للرحمن ولدٌ﴾ كما تقولون ﴿فأنا أول العابدين﴾ المؤمنين بالله، فقولوا ما

شئتم.

وأخرج عن ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور: عن ابن معمر عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد في قوله ﴿فأنا أول العابدين﴾ قال: قل: إن كان لله ولد في

قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم.

وهو أحد أقوال خمسة حكاه ابن جرير في الآية:

وثانيها: بمعنى قل ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين له بذلك

وهو قول ابن عباس.

وثالثها: بمعنى ما كان ذلك ولا ينبغي أن يكون، وبه قال قتادة وابن زيد

وغيرهما.

ورابعها: بمعنى لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك وهو قول

السدي.

وخامسها: بمعنى فأنا أول الأنفين ذلك ولم ينسبه إلى أحد.

واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول السدي وهو رابعها.

والآية المشار إليها ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾.

١٩ - [وقال غيره: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ العرب تقول نحن منك

البراء والخلاء والواحد والإثنان والجميع، من المذكر والمؤنث، يقال فيه براء

لأنه مصدر، ولو قال برئ، لقليل في الإثنان بريتان والجميع بريتون، وقرأ عبد

الله ﴿إنني بريء﴾ بالياء.]

ش: قاله الفراء وزاد: ولو قرأها قارئ، كان صواباً موافقاً لقراءتنا لأن

العرب تكتب يستهزي يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها،

يكتبون شيئاً شيئاً ومثله كثير في مصاحف عبد الله وفي مصحفنا ويهيي لكم

ويهياً الألف. ١. هـ

والآية المشار إليها ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾.

٢٠ - [الزخرف: الذهب].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة والسدي وغير واحد.

والآية المشار إليها ﴿وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة

عند ربك للمتقين﴾.

٢١ - ﴿ملائكة يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وأخرج نحوه عن مجاهد
والسدي.

والآية المشار إليها ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾.

٣٠٧ - [باب قوله ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم

ما كثون﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المحرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنادهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا وهو خازن جهنم.

يا مالك ليقض علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من إمانتنا فلا يجيبهم على مقاتلتهم تلك إلا بقوله ﴿إنكم ما كثون﴾: أي باقون في العذاب على الدوام.

٣٤١ - حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن

عطاء عن صفوان بن يعلى^(١) عن أبيه^(٢) قال سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾.

ش: زاد الشيخ رحمه الله في بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين وباب صفة النار وأنها مخلوقة، قال سفيان: في قراءة عبد الله ﴿ونادوا يا مال﴾ بالترخيم على لغة من ينتظر، وعند عبد الرزاق قال سفيان الثوري وفي حرف ابن مسعود ﴿ونادوا يا مال ليقض علينا ربك﴾، وقراءة الجمهور بغير ترخيم وأخشى أن تكون هذه القراءة أعني قراءة الترخيم شاذة بل لم أجد لها عند مكِّي ولا الجزري.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال قتادة: ﴿مثلاً للآخرين﴾ عظة لمن بعدهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشير ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

والآية المشار إليها مضت في الباب قبله برقم ١٥.

٢ - [وقال غيره ﴿مقرنين﴾ ضابطين يقال فلان مقرن لفلان ضابط له].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال الكميت:

(١) هو صفوان بن يعلى بن أمية التميمي المكي ثقة من الثالثة، ع.

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي حليف قريش وهو يعلى بن منية بضم

الميم وهي أمه صحابي مشهور مات سنة بضع وأربعين، ع.

ركبتم صعبتي أشراً وحيناً ولستم للضعاب بمقريننا

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الباب قبله برقم تسعة.

٣ - [والأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها].

ش: قاله أبو عبيدة وقال ابن جرير الأكواب جمع كواب والكواب الإبريق المستدير الرأس الذي لا أذن له ولا خرطوم.

٤ - ﴿أول العابدين﴾ أي ما كان فأننا أول الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد].

ش: قال أبو عبيدة: وقال آخرون مجازها إن كان في قولكم للرحمن ولد فأننا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قتلتم وهي من عبد يعبد عبداً. وفي المجموع المغيث مادة عبد في كلام علي رضي الله عنه عبدت فصمت أي انفت.

وقد تقدم الخلاف في الآية في الباب قبله ضمن الأثر الثامن عشر.

٥ - [وقرأ عبد الله ﴿وقال الرسول يا رب﴾].

ش: قال بعض أهل العلم هي قراءة شاذة، وفي الآية قرأتان:

إحدهما: قراءة عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب وإذا قرئ كذلك كان له وجهان في التأويل:

١- العطف على قوله ﴿إم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم﴾ ونسمع قيله يا رب:

٢- أن يضم له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكا محمد شكواه إلى ربه.

وثانيهما: قراءة عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله.

وقد سبقت الإشارة إلى الآية في شرح الأثر برقم ٢ من الباب قبله.

٦ - [ويقال ﴿أول العابدين﴾ الجاحدين من عبد يعبد].

ش: تقدم ضمن الأثر الثامن عشر في الباب قبله وأنه قول قتادة وابن زيد.

٧ - [وقال قتادة: ﴿في أم الكتاب﴾ جملة الكتاب أصل الكتاب].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

وأخرج عن السدي وعطية بن سعد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾.

٨ - [﴿أفضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾

مشركين، والله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة هلكوا].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وقد تقدم الخلاف في

الآية ضمن شرح الأثر السابع من الباب قبله.

٩ - [﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ عقوبة الأولين].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله.

وقد مضت الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الثامن من الباب قبله.

١٠ - [﴿جزاء﴾ عدلاً].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة بإسناد الذي قبله وهو أحد قولين حكاهما

في الآية.

وثانيهما: قولهم للملائكة هم بنات الله وهو قول مجاهد والسدي واختار

ابن جرير ثانيهما قال لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات

وأصفاكم بالبنين﴾ تويحاً لهم على قولهم ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان

لكفور مبین﴾

آخر تفسير سورة الزخرف والله الحمد والمنة.

سورة الدخان

٣٠٨ - سورة حم الدخان بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾. وفي مسند البزار عن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد (إني قد خبأت خبأً فما هو، وخبأً له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ فقال: احسأ ما شاء الله ثم انصرف).

قال القرطبي: مكية باتفاق إلا قوله ﴿إنا كاشفوا العذاب...﴾. وآياتها تسع وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿رهُوَأُ﴾ طريقاً يابساً].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وبه قال قتادة وهو أحد أقوال ثلثه حكاهما في الآية: وثانيها: بمعنى اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها وهو قول ابن عباس وكعب الأحبار.

وثالثها: بمعنى اتركه سهلاً، وبه قال الربيع والضحاك وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

واختار ابن جرير الثاني من هذه الأقوال.

٢ - [ويقال: رهوَأُ ساكناً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد يقال: أره على نفسك أي أرفق بها ولا تغرق يقال عيش راه.

قال بشر بن أبي حازم:

فإن أهلك عمير قرب زحف يشبه نقهه رهوَأُ ضباباً

والآية المشار إليها ﴿واترك البحر رهوَأُ إنهم جند مغرقون﴾.

٣ - [﴿على علم على العالمين﴾ على من بين ظهريه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (على من هم بين ظهرائيه).

وأخرج نحوه عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾.

٤ - [﴿فاعتلوهُ﴾ ادفعوه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾.

٥ - [﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أنكحناهم حوراً عيناً يحار فيها الطرف].

ش: حكاه البغوي عن مجاهد وزاد: من يياضهن وصفاء لونهن.

والآية المشار إليها ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾.

٦ - [﴿ترجمون﴾ القتل].

ش: حكاه ابن جرير ولم يذكر له قائل وحكى في الآية قولين آخرين:

أحدهما: أنه الشتم باللسان وهو قول ابن عباس وأبي صالح.

وثانيهما: أنه الرجم بالحجارة وبه قال قتادة.

والآية المشار إليها ﴿وانني عدت بربي وربكم أن ترجمون﴾.

٧ - [﴿وقال ابن عباس﴾ كالمهل﴾ أسود كمهل الزيت].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي بن سهل ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي

عن ابن عباس فذكره

وأخرج عن ابن مسعود وسعيد بن جبيرة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿كالمهل يغلي في البطون﴾.

٨ - [وقال غيره: ﴿تبع﴾ ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمى تبعاً،

لأنه يتبع صاحبه، والظل يسمى تبعاً، لأنه يتبع الشمس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في

الإسلام وهم ملوك العرب الأعظم». اهـ

وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً،

وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه.

والآية المشار إليها ﴿أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم﴾.

٣٠٩ - [باب ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾]

ش: يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فارتقب﴾ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون وإنما هو افتعل، من رقبته إذا انتظرته وحرسه.

وقوله ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين أي يوم هو؟ ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، وذلك على قولين:

أحدهما: أن ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف فأخذوا بالجماعة قالوا وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان وبه قال ابن مسعود وأبو العالية، ومجاهد وقتادة والضحاك.

وثانيهما: أن الدخان آية من آيات الله مرسله على عباده قبل مجئ الساعة فيدخل في اسماع أهل الكفر به، ويعتزى أهل الإيمان به كهيئة الزكام قالوا ولم يأت بعد وهو آت وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وأبي سعيد وحذيفة وأبي مالك الأشعري.

حكاهما ابن جرير واختار ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهر بدعائه ﷺ عليهم على ما وصف ابن مسعود من ذلك.

قوله: [قال قتادة: فارتقب فانتظر].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة فذكره.

٣٤٢ - حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن مسلم عن مسروق

عن عبد الله قال: مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطش، واللزام.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «مضى خمس» وفي تفسير سورة الفرقان برواية حفص بن غياث (خمس قد مضين) والمعنى واحد.

الثانية: قوله «الدخان» في رواية منصور في الإستسقاء (وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع)، وفي تفسير سورة يوسف برواية سفيان (حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان)، وفي تفسير سورة الروم برواية سفيان (ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان)، وفي تفسير سورة ص برواية جرير حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع).

الثالثة: قوله «الروم» في الإستسقاء (وآية الروم)، وفي تفسير سورة الروم ﴿الم غلبت الروم... إلى... سيغلبون﴾ والروم قد مضى.

الرابعة: قوله «والقمر» فسره في باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية من المناقب عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ اشهدوا) وعند الترمذي في تفسير سورة القمر من رواية إبراهيم (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلتقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. الحديث) وفي - نبيت أنس عند المصنف في المناقب وعند الترمذي في تفسير سورة القمر (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر).

الخامسة: قوله «والبطشة» يأتي في الباب الرابع عشر بعد الثلاثمائة.

السادسة: قوله «واللزام» تقدم شرحه في تفسير سورة الفرقان ضمن

الباب السابع والخمسين بعد المائتين.

٣١٠ - [باب ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾].

ش: يقول تعالى: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم.

﴿هذا عذاب أليم﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجه وترك من الكلام ﴿يقولون﴾ استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

٣٤٣ - حدثنا يحيى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾. قال: فأتني رسول الله ﷺ فقبل: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: (لمضر؟ إنك لجريء). فاستسقى فسقوا. فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾. فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ قال: يعني يوم بدر.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «إنما كان هذا، لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف» وفي الإستسقاء من رواية منصور كنا عند عبد الله فقال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال (اللهم سبع كسبع يوسف) وفي تفسير سورة يوسف برواية الأعمش (ان قريشاً لما أبطئوا على النبي ﷺ بالإسلام، قال (اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف) وفي سورة الروم برواية منصور والأعمش (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف).

الثانية: قوله «فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام» وفي الإستسقاء (فأخذتهم سنة حصت كل شئ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف) ومعنى حصت كل شئ أي استأصلته، وفي الباب بعد هذا (فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد) وفي باب ﴿أنى لهم الذكرى﴾ (فأصابتهم سنة حصت يعني كل شئ حتى كانوا يأكلون الميتة).

الثالثة: قوله «فأنزل الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾» تقدم شرحهما.

الرابعة: قوله «فأتى رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت» وفي الإستسقاء (فأتاه ابو سفيان فقال يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم) والجمع بين هذه الرواية وحديث الباب أن سؤال النبي ﷺ الإستسقاء لقومه وقع مرتين: إحداهما: من بعض المسلمين ولهذا قال يا رسول الله.

والأخرى: من أبي سفيان وكان مشركاً ولهذا قال يا محمد) وإن قلت إنما دعى رسول النبي ﷺ على قريش وهم قومه فالجواب لعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم بجرمهم فقال لمضر ليندرجوا فيهم ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم، وقد وقع في الرواية الآخرة (وإن قومك هلكوا) ولا منافاة بينهما لأن مضر أيضاً قومه قاله الخافظ في شرحه لهذا الحديث.

الخامسة: قوله «لمضر؟ إنك لجريء» هذا سؤال استنكار وتوبيخ والمعنى أي أتمرني أن استسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك بالله.

السادسة: قوله «فنزلت ﴿إنكم عائدون﴾ في الإستسقاء (قال الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين... إلى قوله.. عائدون﴾»

قلت: وما بينهما ﴿يَمْشِي النَّاسُ هَذَا عَذَابَ أَلِيمٍ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا
العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون﴾.

السابعة: قوله «فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم
الرفاهية» أي التوسع والراحة يعني ما نالهم من خصب ورخاء ببركة دعاء
النبي لهم.

الثامنة: قوله: «فأنزل الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَبُطِثُ الْبَطْثَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
مُنْتَقِمُونَ﴾ قال يعني يوم بدر».

قلت: وسأتي شرح ذلك في آخر باب من تفسير هذه السورة إن شاء

الله.

٣١١ - [باب ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾]

ش: يعني ان الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمننا بك وعبدناك من دون كل معبود إلاك كما أخبر عنهم جل ثناؤه ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾.

قلت: وهذا هو دأب المشركين الذين بعث إليهم ﷺ يخلصون لله الدعاء في الشدائد فما حال المشركين هذا الزمن قال الشيخ محمد رحمه الله في كشف الشبهات ج ١ ص ١٦٩ مجموعة مؤلفات الشيخ: (فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر، أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾.

وقوله ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس.

٣٤٤ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين﴾. إن قريشاً لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: (اللهم أعني

عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾. فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله جل ذكره - إنا منتقمون﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله (دخلت على عبد الله فقال)

قلت: ولهذا القول سبب أخرجه المصنف في تفسير سورة الروم برواية منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كنده فقال: يجي دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففرغنا فأنتيت ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال... الحديث.

وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان من رواية منصور (كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضجع بيننا فأناه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجي فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً... الحديث.

قال بعض أهل العلم: وكندة موضع بالكوفة ولاية عبد الله بن مسعود، ولا منافاة بين الرويتين لجواز أن يكون خير ذلك القاص بلغ ابن مسعود مرتين إحداهما من مسروق والأخرى بحضرته.

قال مقيد: فماذا يقول ابن مسعود وإخوانه خريجوا مدرسة محمد لو سمعوا قصاص اليوم الذين عمدتهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات

والأساطير وليس عندهم ما يبصرون به الناس من دين الله إلا ذلك وإذا قيل لهم ليس عملكم هذا بسديد قالوا: إنما ذلك من أجل الدين وإن كان ليس من الدين.

الثانية: قوله «إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم» وفي تفسير سورة الروم (من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا اعلم) وعند مسلم (فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به الله اعلم) وعند الترمذي في تفسير سورة الدخان (فإن من علم الرجل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم).

الثالثة: قوله «فإن الله قال لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ قلت هذه الجملة أعني فإن الله قال لنبيه الخ تعليل لقوله إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، وقد سبق شرح الآية التي تضمنتها هذه الجملة في تفسير سورة ص حيث بوب عليها البخاري هناك.

الرابعة: قوله «ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون» هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه أول الباب.

الخامسة: قوله «فقليل له: إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا» ظاهره أنه وحي من الله نزل به إليه الملك وفي تفسير الروم (أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم).

السادسة: قوله «فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر» في الروم (فذلك قوله تعالى ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾) يوم بدر، وعند مسلم «يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون» قال يعني يوم بدر.

السابعة: قوله «فذلك قوله تعالى ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله جل ذكره - إنا منتقمون﴾» هذا تفسير لقوله قبل (فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر) وقد مضى بعض الآيات المشار إليها وسيأتي شرح قوله «يوم نبطش البطشة الكبرى» الخ.

من فقه الحديث

- أولاً: جواز الغضب في الموعظة والعلم للزجر والتغليظ.
- ثانياً: إن إخبار السلطان بما يجري في ولايته من المخالفات ليس من الغيبة بل هو من النصيحة الواجبة.
- ثالثاً: ليس حسن النية كافياً في تسويغ العمل بل لابد فيه من إصابة السنة.
- رابعاً: شدة النكير على من خالف السنة وإن كان قصده الخير.
- خامساً: النهي عن القول بلا علم.
- سادساً: لا عيب على من أمسك عن القول عما لا يعلم وأنه من الفقه.
- سابعاً: يجب على من دعى إلى الله على بصيرة أن يفقه الناس في دين الله بالكتاب والسنة.

٣١٢ - [باب ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾]

ش: يقول كيف لهم بالذكر وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والنبذارة وهذا كقوله جلّت عظمته ﴿يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ الآية وكقوله عز وجل ﴿ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ إلى آخر السورة.
قوله: [الذكر والذكرى واحد].

ش: قال الجوهري والذكر والذكرى بالكسيرة نقيض النسيان وكذلك الذكر.

٣٤٥ - حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا جرير بن حازم، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبد الله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأصابتهم سنة حصت - يعني - كل شيء، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم - حتى بلغ - إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾. قال عبد الله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر.
ش: مضى شرحه مفرقاً ضمن الأبواب قبله.

[باب ٣١٣ - ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴿﴾]

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ويقولون إنما هو مجنون علم هذا الكلام.

٣٤٦ - حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد، عن شعبة، عن سليمان ومنصور، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: قال عبد الله: إن الله بعث محمداً ﷺ وقال: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. فإن رسول الله ﷺ لما رأى قريشاً استعصوا عليه قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف). فأخذتهم السنة حتى حصت كل شئ، حتى أكلوا العظام والجلود، فقال أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان، فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: (تعودون بعد هذا). في حديث منصور: ثم قرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى - عائدون﴾. أيكشف عذاب الآخرة؟ فقد مضى: الدخان، والبطشة، واللزام. وقال أحدهم: القمر. وقال الآخر: الروم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «فقال أحدهم» يعني أحد الرجلين منصور أو الأعمش وهو سليمان بن مهران والمتبادر إلى الذهن أن يقول أحدهما بالثنية لكنه صحيح وليس مخالفاً للقياس ونظيره قوله تعالى ﴿فإن كان له إخوة﴾ والمراد إثنان فصاعداً وعليه فقول الشيخ ها هنا مخرج على أقل الجمع وهو إثنان.

الثانية: قوله «ثم قال: تعودون بعد هذا» هو من قول النبي ﷺ بدليل قوله قبله (فدعا ثم قال...) ومراده بذلك التخويف والتهديد والمعنى هل تعودون إلى العناد والعصيان بعد كشف ما ألم بكم؟.

الثالثة: قوله «في حديث منصور ثم قرأ ﴿فارتقب... الآية﴾» مراد الشيخ زحمه الله أن منصور وهو ابن المعتز تغرد عن رفيقه وهو سليمان الأعمش بقوله ثم قرأ الخ.

الرابعة: قوله «وقال أحدهم القمر وقال الآخر الروم» يعني أن أحد راويي أبي الضحى وهما منصور والأعمش قالا القمر وقال الآخر الروم.

٣١٤ - [باب ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم انتقمتم منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم فكشف الله عنهم فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا فأهلكهم قتلاً بالسيف.

وفي البطشة الكبرى قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أنها بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر وهو قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وأبي العالية والضحاك وابن زيد ويؤيده حديث الباب. وثانيهما: أنها بطشة الله بأعدائه يوم القيامة وبه قال ابن مسعود في رواية ابن عباس عنه وعكرمة وقتادة.

٣٤٧ - حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين: الزمام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان.

ش: مضى شرحه في الأبواب قبله.

آخر تفسير سورة الدخان والله الحمد والمنة.

سورة الجاثية

٣١٥ - سورة حم الجاثية بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية للأول ظاهر وأما الثاني فقوله تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير أنها نزلت بمكة، وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا إلا آية منها، وهي قوله ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ فإنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب.

وآياتها سبع وثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿جاثية﴾ مستوفزين على الركب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بهذا اللفظ وأخرجه عن الضحاك وابن زيد دون قوله (مستوفزين).

والآية المشار إليها ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿نستسخ﴾ نكتب].

ش: لم أقف في الآية على شيء عن مجاهد وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية: الملائكة يستسخون أعمال بني آدم.

وأخرج عن علي قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

والآية المشار إليها ﴿هذا كتبنا عليكم بالحق إنا كنا نستسخ ما كنتم تعملون﴾.

٣ - [﴿ننساكم﴾ نترككم].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾.

٣١٦ - [باب ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾]

ش: قلت الآية: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما هم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾.
يخبر جل ثناؤه أن هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث أنهم يقولون ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها.

وقوله ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي ما يهلكنا فيفينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.
وقوله ﴿وما هم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ أي وما هؤلاء المشركين من ذلك من علم يعني من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصاً بغير خير أتاهم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته.

﴿إن هم إلا يظنون﴾ أي ما هم إلا في ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم.

من فقه الآية

أولاً: وجوب الإيمان بالبعث وكفر منكره.

ثانياً: الرد على من زعم أن الدهر من أسماء الله وهذا مستفاد من قوله ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ ووجه الدلالة أنه لو كان الدهر من أسماء الله لم يعب الله المشركين على هذه المقولة لأن المعنى وما يهلكنا إلا الله وهو صحيح.

٣٤٨ - حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد بن

المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقرب الليل والنهار.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «يؤذيني ابن آدم» آذى الرجل أذى وصل إليه المكروه فهو أذٍ مثل عمٍ ويعدى بالهمزة فيقال آذيته إيذاءً والأذية اسم منه فتأذى هو) قاله في المصباح مادة أذى.

قلت: هذا معناه في اللغة وأما المراد من الحديث فقد فسره بقوله بعد (يسب الدهر) وفيه نص على أن الرب جل ثناؤه يؤذيه عباده بسبهم الدهر فتؤمن بذلك ولا نكيفه ونكل علم القول في ذلك إلى من قاله.

الثانية: قوله «يسب الدهر» في رواية أبي سلمة باب لا تسبوا الدهر من الأدب يسب بنو آدم الدهر، وعند مسلم كتاب الألفاظ باب النهي عن سب الدهر من رواية معمر (يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر).

الثالثة: قوله «وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» في الأدب (وأنا الدهر بيدي الليل والنهار) وعند مسلم (أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما) وعند المصنف في الأدب ومسلم (فإن الله هو الدهر) وعند النسائي في تفسير الآية (بيدي الخير، أقلب الليل والنهار).

وأما معنى الحديث إجمالاً فقال الشافعي: «إن العرب كان من شأنها أن تدم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء فيدمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ ((لا تسبوا الدهر)) على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، وإنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الأشياء» انتهى.

وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد بعد نقله هذا الكلام قلت:

والظاهر أن المشركين نوعان:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسببه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.
والثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل ذلك.

وقال الخطابي: «معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لموقع الأمور».

من فقه الحديث

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل بدليل قوله قال الله عز وجل.

ثانياً: تحريم سب الدهر لأنه يترتب عليه ثلاثة مفاسد:

«إحداها: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق

الله منقاد لأمره مدلل لتسخيره فسابه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع

ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر وأعطى من لا يستحق العطاء ورفع من

لا يستحق الرفعة وحرّم من لا يستحق الحرمان وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة،

وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يصرح بلغنه

وتقيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق

فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وقعت أهواءهم حمدوا الدهر

وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر قرب الدهر تعالى هو المعطي المانع الخافض الزافع

المعز المذل والدهر ليس له من الأمر شيء فمستبهم للدهر مسبة لله عز وجل،

ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى». انتهى من زاد المعاد (٣/٣٥٤).

آخر تفسير سورة الجاثية والحمد لله.

سورة الأحقاف

٣١٧ - سورة حم الأحقاف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وشاهد التسمية للأول ظاهر والثاني قوله تعالى ﴿واذكر أخا عاد إذ

أنذر قومه بالأحقاف...﴾.

وعن ابن مسعود قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها

آخر فخالف قراءته، فقلت: من أقرأكها؟ قال رسول الله ﷺ فقلت: والله لقد

أقرأني رسول الله ﷺ غير ذا فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ألم

تقرئني كذا وكذا؟

قال: بلى وقال الآخر ألم تقرئني كذا وكذا قال: بلى، فتمعر وجه النبي ﷺ

فقال: ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فإنما أهلك من كان قبلكم الإختلاف)

أخرجه ابن الضريس والحاكم وصححه.

وهي مكية في قول الجميع كما قال القرطبي، وآياتها خمس وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿تفيضون﴾ تقولون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.
والآية المشار إليها ﴿أم يقولون إفتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه﴾.

٢ - [وقال بعضهم: أثرة وأثرة وأثارة: بقية].

ش: لم أقف على من قاله بهذا اللفظ ولكن قال أبو عبيدة: أي بقية وقال راعي الإبل: وذات أثاره أكلت عليه نبات في أكمة قفارا
أي بقية من شحم أكلت عليه، ومن قال أثرة فهو مصدر أثره بأثره يذكره. ١. هـ

وقال الفراء: «قرأها العوام أثاره وقرأها بعضهم قال أبو عبد الرحمن فيما أعلم وأثرة خفيفة وقد ذكر عن بعض القراء أثره والمعنى فيهن كلهن بقية من علم أو شئ مأثور من كتب الأولين فمن قرأ أثاره فهو كالمصدر مثل قولك السماحة والشجاعة ومن قرأ أثرة فإنه بناه على الأثر كما قيل قتره ومن قرأ أثره كأنه أراد مثل قوله إلا من خطف الخطفة والرجفة». اهـ

والآية المشار إليها ﴿انتوني بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم إن كنتم صادقين﴾.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿بدعاً من الرُّسل﴾ لست بأول الرسل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم...﴾.

٤ - [وقال غيره: ﴿أرأيتم﴾ هذه الألف إنما هي تواعد، إن صح ما تدعون لا يستحق أن يعبد، وليس قوله ﴿أرأيتم﴾ برؤية العين، إنما هو أتعلمون أبلغكم أن ما تدعون من دون الله خلقوا شيئاً].

ش: لم أقف على قائله وهذا كله ليس في رواية أبي ذر وأشار به إلى قوله تعالى ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به﴾.

وقوله «هذه الألف» أشار به إلى أن الهمزة التي في أول أرأيتم إنما هي تواعد لكفار مكة حيث ادعوا صحة ما عبدوه من دون الله، وإن صح ما يدعون في زعمهم فلا يستحق أن يعبد لأنه مخلوق فلا يستحق أن يعبد إلا الله الذي خلق كل شيء.

وقوله «وليس» في قوله أراد به أن الرؤية في قوله أرأيتم ليست من رؤية العين التي هي الإبصار وإنما معناه ما قاله من قوله (أتعلمون أبلغكم... الخ) انتهى مختصراً من عمدة القاري (١٠/١٦).

٣١٨ - [باب ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾]

ش: هذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق وهما مجتهدان في نصيحتته ودعائه إلى الله فلا يزيد دعاهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا اعتوا وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله يقول الله جل ثناؤه ﴿والذي قال لوالديه﴾ أن دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ومجازاته إياهم بأعمالهم ﴿أف لكما﴾ يقول: قدر لكما وبتساأتعدانني أن أخرج، يقول أتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حياً.

وقوله «وقد خلت القرون من قبلي» يقول أتعدانني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلي فهلكوا فلم يبعث منهم أحداً، ولو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقولان لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يقول تعالى ذكره ووالداه يستغيثان الله عليه أن يؤمن بالله ويقر بالبعث ويقولان له ﴿ويلك آمن﴾ أي صدق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه إنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه فيقول عدو الله مجيباً لوالديه، ورداً عليهما نصيحتهما، وتكديماً بوعد الله ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري إلا ما سطره الأولون، من الناس من الأباطيل فكتبوه فاصبتماه أنتما فصدقتما. اهـ من ابن جرير.

٣٤٩ - حدثنا موسى بن إسماعيل: ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك^(١) قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب

(١) هو يوسف بن ماهك بن بهزاد الفارسي المكي ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة وقيل قبل ذلك. ع.

فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبائع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني﴾ فقالت عائشة من وراء حجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «كان مروان على الحجاز» يعني أميراً لمعاوية على المدينة وتوابعها.

وأخرج الإسماعيلي والنسائي من طريق محمد بن زياد هو الجمحي قال: (كان مروان عاملاً على المدينة حكاه الحافظ هنا).

الثانية: قوله «استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبائع له» في رواية الإسماعيلي من الطريق المذكورة (فأراد معاوية أن يستخلف يزيد يعني ابنه - فكتب إلى مروان بذلك، فجمع مروان الناس فخطبهم فذكر يزيد ودعا إلى بيعته وقال إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر) حكاه الحافظ هنا.

الثالثة: قوله «فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً» قلت: أخرج ابن أبي حاتم وأسناده كما ساقه ابن كثير في تفسير هذه الآية: ثنا علي بن الحسين: ثنا محمد بن العلاء: ثنا يحيى بن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد: أخبرني عبد الله بن المديني قال إنني لفي المسجد حين خطب مروان فقال: إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهراقية؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده الخ.

قلت: وعزاه الحافظ أيضاً إلى ابن أبي يعلى.

الرابعة: قوله «فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا» أي امتنعوا من الدخول خلفه في بيت عائشة توقيراً وإجلالاً لها لمكاتها وحق لهم ذلك إذ هي أم المؤمنين زوج النبي

الخامسة: قوله «فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني» وفي خبر ابن المديني المذكور (فقال مروان أأست الذي قال لوالديه أف لكما).

السادسة: قوله «فقال عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري» وفي خبر ابن المديني فقالت يا مروان إن القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف).

قلت: وتعني بقولها «إلا أن الله أنزل عذري» الآيات من سورة النور من قوله «إنا الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم - إلى قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، أولئك مبرؤون مما يقولون، لهم مغفرة ورزق كريم».

تنبيه

قد يستدل بهذا الخبر بعض أهل الأهواء والفرق والجماعات الضالة على مجاهرة الحكام بالنصيحة وعلى الملأ، فجواب أولئك ما رواه ابن أبي عاصم وأحمد عن عياض بن غنم قال: قال رسول الله : من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده فليخلوا به فإن قبلها قبلها وإن ردها كان قد أدى الذي عليه) فالحديث دليل على ثلاثة أمور:

أولاً: السرية التامة في المناصحة للحاكم حتى عن أقرب الناس إليه إن

أمكن.

ثانياً: براءة الذمة بمجرد النصيحة على هذا الوجه الذي تضمنه الحديث.

ثالثاً: أنه لا تبعة على من لا يقدر على النصيحة للحاكم سراً لأنه لا تكلف

نفس إلا وسعها ولأن هذا الطريق هو ما جاء عن الله على لسان رسوله فلو
رضي الله للعباد والبلاد غيره لجاء بيانه في الكتاب أو في صحيح السنة، فكان
لزماً على كل طالب للحق والهدى الوقوف على هذا النص.

٣١٩ - باب قوله ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا

عارض ماطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾

ش: يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ والعرب تسمي السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشياً ثم يصبح من الغد قنبا استوى، وحباً بعضه إلى بعض عارضاً، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين ينشأ.

وقوله ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ يقول تعالى ذكره: مخبراً عن قيل نبيه ﷺ

هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد عرض لهم في السماء هذا عارض ماطرنا نجيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ أي هو العذاب الذي استعجلتم به فقلتم أئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ والريح مكررة على ما في قوله ﴿هو ما

استعجلتم به﴾ كأنه قيل بل هو ريح فيها عذاب أليم.

[قال ابن عباس: ﴿عارض﴾ السحاب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه، حكاه الحافظ

هنا.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال: هي الريح إذا

أثارت سحاباً.

٣٥٠ - حدثنا أحمد: حدثنا ابن وهب: أخبرنا عمرو: أن أبا النضر^(١)

حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ قالت:

ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه هواته، إنما كان يتبسم قالت:

(١) هو سالم بن أبي أمية مولى عمر بن عبيد الله التيمي المدني ثقة ثبت وكان يرسل من

الخامسة، مات سنة تسع وعشرين [ومائة] ع.

وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأته عرف في وجهك الكراهية، فقال: يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته» وعند مسلم في الإستسقاء برواية هارون بن معروف وأبي الطاهر (ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته) واللهواة بالتحريك جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك، ويجمع أيضاً على لهى بفتح اللام مقصوراً.

الثانية: قوله «إنما كان يتبسم» وهذا لا ينافي ما جاء في ضحكه أنه أحياناً يضحك حتى تبدو نواجذه لأن ظهور النواجذ وهي الأسنان التي في مقدم الفم أو الأنياب لا يستلزم ظهور اللهاة.

الثالثة: قوله «وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه» عند المصنف في بدء الخلق باب ما جاء في قوله «وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته» عن عائشة (كان النبي ﷺ إذا رأى مخيله في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا مطرت سري عنه) وعند مسلم في صلاة الإستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم من رواية عطاء (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال "اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به" قالت وإذا تخيلت السماء... الحديث)، وعند النسائي في تفسير هذه الآية (كان رسول الله ﷺ إذا رأى ريحاً قام وقعد وأقبل وأدبر).

الرابعة: قوله «يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية» في بدء الخلق فعرفته عائشة ذلك، وعند مسلم (فعرفت ذلك في وجهه قالت عائشة فسألته).

الخامسة: قوله «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب... الخ» وعند مسلم فقال: (لعله يا عائشة كما قال قوم عاد، فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا).

قال النووي: «فيه الاستعداد بالمراقبة لله والإلتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدث ما يخاف بسببه وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعضيان العصاة وسروره لزوال سبب الخوف».

وقال ابن العربي: «فإن قيل كيف يخشى النبي ﷺ أن يعذب القوم وهو فيهم مع قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ والجواب أن الآية نزلت بعد هذه القصة ويتعين الحمل على ذلك لأن الآية دلت على كرامة النبي ﷺ ورفعته فلا يتخيل إغطاط درجته أصلاً». حكاه الحافظ هنا ثم تعقبه بقوله قلت: ويعكر عليه أن آية الأنفال كانت في المشركين من أهل بدر، وفي حديث عائشة إشعار بأنه كان يواظب على ذلك من صنيعه كان إذا رأى فعل كذا والأولى في الجواب أن يقال أن في آية الأنفال احتمال التخصيص بالذكر به أو يوقف دون وقت أو مقام خوف يقتضي عليه عدم الأمن من مكر الله، وأولى من الجميع أن يقال: خشي على من ليس هو فيهم أن يقع بهم العذاب أما المؤمن فشفقة عليه لإيمانه، وأما الكافر فلرجاء إسلامه، وهو بعث رحمة للعالمين. اهـ.

آخر تفسير سورة الأحقاف والله الحمد والمنة.

سورة محمد

٣٢٠ - ﴿الذين كفروا﴾ سورة محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: كذا لأبي ذر ولغيره ﴿الذين كفروا﴾ قاله الحافظ.

قلت: وشاهد التسمية للثاني قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ بهم في المغرب: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ قلت: وهو شاهد للأول.

وهي مدنية في قول الجميع قاله الماوردي وقال الثعلبي أنها مكية وحكاها ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول وبدل على أنها مدنية ما أخرجه ابن الضريس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القتال بالمدينة، وآياتها ثمان وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿أوزارها﴾ آثامها حتى لا يبقى مسلم.

ش: قاله الفراء في تفسير هذه السورة من معاني القرآن وزاد: أو مسلم والهاء التي في أوزارها تكون للحرب.

والآية المشار إليها ﴿فإما منأ بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾.

٢ - ﴿عرفها﴾ بينها.

ش: قاله أبو عبيدة: وزاد لهم وعرفهم منازلهم.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: يدخل أهل الجنة الجنة وهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا.

وقال محمد بن كعب: «يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون إذا انصرفتم من الجمعة». حكاه ابن كثير، ومعنى هذا الأثر: أن أهل الجنة يستدلون على بيوتهم فيها ومنازلهم منها كما يستدلون على ذلك في الدنيا. ويشهد لصحة ما قاله ما رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا)

والآية المشار إليها ﴿ويدخلهم الجنة عرفها هم﴾.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿مولى الذين آمنوا﴾ وليهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا

مولى لهم﴾.

٤ - [﴿عزم الأمر﴾ جد الأمر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول الحسن.
والآية المشار إليها ﴿فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾.
٥ - ﴿فلا تهنوا﴾ لا تضعفوا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو قول ابن زيد.
والآية المشار إليها ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون...﴾.
٦ - [وقال ابن عباس ﴿أضغانهم﴾ حسدهم].
ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال:
أعمالهم، خبثهم والحسد. حكاه الحافظ.
والآية المشار إليها ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله
أضغانهم﴾.

٧ - ﴿أسن﴾ متغير].
ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس فذكره، وأخرج عن قتادة قال: غير متن.
والآية المشار إليها ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير
أسن﴾.

٣٢١ - [باب ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾]

ش: قلت الآية: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.

يقول تعالى ذكره: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد ﷺ و عما جاءكم به ﴿أن تفسدوا في الأرض﴾ يقول أن تعصوا الله في الأرض فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء وتقطعوا أرحامكم وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التثنت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم.

وقوله ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم يقول فسلبهم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله. ﴿وأعمى أبصارهم﴾ يقول وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته.

من فقه الآيتين

أولاً: وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

ثانياً: أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب ولهذا توعد عليها باللعن.

٣٥١ - حدثنا خالد بن مخلد: حدثنا سليمان: حدثني معاوية بن أبي

مزرد^(١) عن سعيد بن يسار^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن فقال له: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من

(١) هو معاوية بن أبي مزرد عبد الرحمن بن يسار مولى بني هاشم المدني ليس به بأس من السادسة خ، م، س.

(٢) هو أبو الحباب سعيد بن يسار، ثقة متقن من الثالثة مات سنة سبع عشرة [ومائة] وقيل قبلها بسنة، ع.

وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلى، قال: فذاك)) قال أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

حدثنا إبراهيم بن حمزة^(١) حدثنا حاتم^(٢) عن معاوية قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة بهذا ثم قال رسول الله ﷺ: (اقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾).

حدثنا بشر بن محمد^(٣): أخبرنا عبد الله أخبرنا معاوية ابن أبي المزرد بهذا قال رسول الله ﷺ: واقروا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «خلق الله الخلق فلما فرغ منه» في الأدب باب من وصل وصله الله من رواية عبد الله (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه) وعند مسلم في البر والصلة باب صلة الرحم (حتى إذا فرغ منهم)، والمعنى قضاء وأتمه على ما أراد وفق مشيئته.

الثانية: قوله «قامت الرحم» فيه دليل على أن الرب جل ثناؤه قادر على تحويل المعاني إلى أجسام وهذه حقيقة ولا إشكال فيها فإن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ﴿وما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ وحمل القيام ما هنا على أنه من ملك غير سديد بل هو صرف للنص عن ظاهره بغير مسوغ والأصل في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن عبد الله بن الزبير الزبيري المدني، صدوق من العاشرة، مات سنة ثلاثين [ومائتين] خ، م، مد، ت، س.

(٢) هو أبو إسماعيل حاتم بن إسماعيل المدني الحارثي مولاهم أصله من الكوفة صحيح الكتاب صدوق بهم، من الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين [ومائة] ع.

(٣) هو أبو محمد بشر بن محمد السخيتاني المروزي، صدوق رمي بالإرجاء من العاشرة مات سنة أربع وعشرين [ومائتين]، خ.

في النصوص ظاهرها حتى يأتي صارف مقبول وذلك الصارف إما كتاب أو سنة صحيحة.

الثالثة: قوله «فأخذت بحق الرحمن» الحقو: معقد الإزار وهو الموضع الذي يستجار به ويحترم به على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع، كما قالوا تمنعه مما تمنع منه إزرتنا. اهـ قاله القاضي عياض.

قال مقيده: ما قاله هو معناه من جهة اللغة وأما حقو ربنا فإننا لا نكفيه بل نؤمن به كما ورد في صحيح النص وصرح به.

الرابعة: «فقال له: مه» هو اسم فعل معناه الزجر أي أكفف، وقال ابن مالك، هي هنا ما الإستفهامية حذف ألفها ووقف عليها بهاء السكت والشائع أن لا يفعل ذلك إلا وهي مجرورة، لكن قد سمع مثل ذلك فجاء عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج فقلت مه؟ فقالوا قبض رسول الله انتهى من الفتح كما أورده هنا.

وهاهنا إن كان على الزجر فيين وإن كان على الإستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الإستغلام فإنه يعلم السر رضى. انتهى من عمدة القاري.

الخامسة: قوله «هذا مقام العائذ بك من القطيعة» وفي رواية ابن جرير (هذا مقام عائذ من القطيعة) والمعنى: إن قيامي متعلقة بحقك هو مكان المستعذ بك من القطيعة.

السادسة: قوله «ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك» دل صراحة على أن الله عز وجل خاطب الرحم فقهمت عنه وأجابته. وهذا على الحقيقة ويجب صونه عن التأويلات الباطلة، والظنون الكاذبة والتخيلات التي ليس وراءها إلا صرف نصوص الشارع الصحيحة الصريحة عن ظاهرها.

السابعة: قوله «فذاك» وعند المصنف في الأدب (فهو لك) وفيه من رواية أبي صالح (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) وعند مسلم في باب صلة الرحم من كتاب البر والصلة عن عائشة (من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله).

الثامنة: قوله «قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم» ظاهره أنه موقوف على أبي هريرة لكن صرح في رواية حاتم بن إسماعيل وعبد الله بن المبارك كلاهما عن معاوية عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة يرفعه فقال: (ثم قال رسول الله إقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾) وبهذا يتبين لك أن الرفع أرجح.

فائدة

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية (٢٤٧/١٦): «وبالجملة فالرحم على وجهين عامة وخاصة:

فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة وترك مضارثتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى أو حقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتأكيد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تراحمت الحقوق بدئ بالأقرب فألأقرب وقال بعض أهل العلم إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال وقيل بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام، في الموارث، محرماً كان أو غير محرم، فيخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم

سورة الفتح

٢٢١ - سورة الفتح بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

أخرج أحمد والشيخان عن معاوية بن قرّة عن عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في سيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أنني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته. وهي مدنية قال القرطبي: بالإجماع، وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السحنة^(١)].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثني: ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فذكره، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس.

٢- [وقال منصور عن مجاهد: التواضع].

قلت: وصله ابن جرير قال ثنا ابن حميد: ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ (هو الخشوع)، وأخرجه من طريق حميد الأعرج عن مجاهد بلفظ المصنف وزاد والخشوع.

وهاتان الروايتان ضمن القائلين أن ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى حكاهما ابن جرير أيضاً.

أحدها: أن ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وخالد الحنفي وعطية العوفي ومقاتل ابن حيان والحسن.

وثانيها: أن ذلك أثر يكون في وجوه المصلين مثل أثر السهر وهو قول الحسن في الرواية الثانية عنه وسليمان التيمي وشمس بن عطية.

وثالثها: أن ذلك آثار ترى في الوجه من ثرى الأرض، وبه قال سعيد بن جبير وعكرمة.

والذي اختاره ابن جرير هو قول مجاهد وابن عباس.

٣ - [﴿شَطَاهُ﴾ فراخه].

ش: قاله بهذا اللفظ أبو عبيدة وزاد يقال قد شطأ الزرع فهو مشطى إذا فرخ.

(١) - وفي اللسان: مادة: سحن، السحنة والسحنة والسحنة والسحنة والسحنة، لين البشرة والنعمة، وقيل: الهيبة واللون والحال.

وأخرج ابن جرير عن ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: ما يخرج بحسب الحقلة فيتم وينمو.

٤ - ﴿فاستغلف﴾ غلظ].

ش: قاله أبو عبيدة.

٥ - ﴿سوقه﴾ الساق حاملة الشجرة].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: أصوله.

والآية المشار إليها بهذه الكلمات ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية.

٦ - [ويقال: ﴿دائرة السوء﴾ كقولك رجل السوء، ودائرة السوء

العذاب].

ش: قاله الفراء وزاد: والسوء أفشى في اللغة وأكثر وقلما تقول العرب

دائرة السوء.

والآية المشار إليها ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب

الله عليهم﴾.

٧ - ﴿تعزروه﴾ تنصروه].

ش: قاله الفراء وزاد: بالسيف كذلك ذكره الكلبي.

والآية المشار إليها ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾.

٨ - ﴿شطأه﴾ شطء السنبل، تبت الحبة عشرا أو ثمانياً وسبعاً فيقوى

بعضه ببعض فذاك قوله تعالى: ﴿فآزره﴾ قواه ولو كانت واحدة لم تقع على

ساق وهو مثل ضربه الله للنبي ﷺ إذ خرج وحده، ثم قواه بأصحابه كما

قوى الحبه بما ينبت منها].

ش: قاله الفراء وزاد: آزرته مؤازرة قوته، وعاونته وهي المؤازرة.

٣٢٣ - باب ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾

ش: يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ يقول إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه وبلغه على من خالفك وناصرك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر.

وقوله ﴿فتحاً مبيناً﴾ أي بيناً ظاهراً والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان.

٣٥٢ - ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه^(١)

أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

٣٥٣ - حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر: حدثنا شعبة، سمعت قتادة

عن أنس رضي الله عنه ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ قال: الحديبية.

٣٥٤ - حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة حدثنا معاوية بن قرة^(٢)

عن عبد الله بن مغفل^(٣) قال قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجع فيها قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت.

(١) هو أسلم العدوي، مولى عمر ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين وهو

ابن أربع عشرة ومائة سنة، ع.

(٢) هو أبو إياس معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري ثقة من الثالثة، مات سنة

ش: فيها أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «إن رسول الله ﷺ كان يسير» هذا السياق صورته الإرسال لأن أسلم لم يدرك زمان هذه القصة، لكنه محمول على أنه سمعه من عمر بدليل قوله في أثائه قال عمر: فحركت بعيري... الخ) وعلى ذلك أشار الفاسي وقد جاء من طريق أخرى سمعت عمر، أخرجه البزار من طريق محمد بن خالد بن عثمة عن مالك ثم قال: (لا نعلم رواه عن مالك هكذا إلا ابن عثمة وابن غزوان. انتهى، ورواية ابن غزوان وهو عبد الرحمن أبو نوح المعروف بقراد قد أخرجهما أحمد عنه، واستدركها مغلطاي على البزار ظاناً أنه غير ابن غزوان وأورده الدار قطني في غرائب مالك من طريق هذين، ومن طريق يزيد بن أبي حكيم ومحمد بن حرب وإسحاق الحنيني أيضاً.

فهؤلاء الخمسة رووه عن مالك بصريح الإتيان، قاله الحافظ.

الثانية: قوله «في بعض أسفاره» بيانه فيما رواه جامع ابن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول (لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فمنا فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت) الحديث وفيه (فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ وروى قتادة عن أنس قال: (لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا) الحديث، وفيه (فأنزل الله عز وجل ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.. الخ) أخرجهما ابن جرير عند تفسير هذه الآية، وعزاهما الحافظ إلى الطبراني.

الثالثة: قوله «فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه» عند الترمذي في تفسير هذه الآية من رواية محمد بن خالد (فكلمت رسول الله ﷺ فسكت ثم كلمته فسكت ثم كلمته فسكت ولم أف على بيان لمسألة عمر) قال ابن عبد

ثلاث عشرة وهو ابن ست وسبعين سنة، ع.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مغفل بن عبد نهم المزني صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك، ع.

البر في التمهيد (٢٦٣/٣): «حديث رابع لزيد بن أسلم (وفيه أن العالم إذا سئل عن شيء لا يجب الجواب فيه أن يسكت ولا يجيب بنعم ولا بلا، ورب كلام جوابه السكوت، وفيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه».

الرابعة: قوله «ثكلت أم عمر» عند المصنف في المغازي باب غزوة الحديبية برواية عبد الله بن يوسف (ثكلتك أمك يا عمر) وعند الترمذي (فحركت راحلتي فتنتحيت وقلت ثكلتك أمك يا ابن الخطاب) والشكل هو فقدان المرأة ولدها، دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح على رسول الله في المسألة، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة وإنما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

الخامسة: قوله (نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك) وعند الترمذي (نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يكلمك ما أخلقك أن ينزل فيك قرآن) ومعنى نزرت بزاي ثم راء وفيها لغتان التخفيف والتثقيب والتخفيف أشهر أي الححت عليه، وفيه لوم التلميذ نفسه وندمه على الإلحاح على شيخه خوف غضبه وحرمان فائدته فيما يستأنف كما قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لو رفقت بابن عباس لا استخرجت منه علماً.

السادسة: قوله «فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس» في المغازي أمام المسلمين.

السابعة: قوله «ووخشيت أن ينزل في القرآن» فيه ما كان عمر عليه من التقوى والوجل لأنه خشي أن يكون عاصياً بسؤاله رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه.

الثامنة: قوله (فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي) يقال (لم ينشب أن فعل كذا، أي لم يلبث وحقيقته لم يتعلق بشيء غيره، ولا اشتغل بسواه.

وقوله «**سمعت صارخاً يصرخ بي**» فيه دليل على سرعة استدعاء النبي ﷺ صاحبه عمر للملاطفة والتسرية عنه بما يزيل وجله، وينبغي أن يتأسى المعلمون برسول الله ﷺ في ذلك.

التاسعة: قوله «**فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه**» فيه دليل على ما يتحلى به عمر من الأدب والتمسك بالسنة فلم يشغله ما هو فيه من الوجع عن السلام على رسول الله ﷺ وفيه التنبيه إلى أن المدعو ينبغي له البدء بالسلام قبل مخاطبة داعيه.

العاشر: قوله «**لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»

قال ابن العربي: «أطلق المفاضلة بين المنزلة التي أعطيها وبين ما طلعت عليه الشمس، ومن شرط المفاضلة استواء الشيئين في أصل المعنى ثم يزيد أحدهما على الآخر، ولا استواء بين تلك المنزلة والدنيا بأسرها».

حكاه الحافظ هنا ثم قال: يحتمل أن يراد المفاضلة بين ما دلت عليه وبين ما دل عليه غيرها من الآيات المتعلقة به فرجحها، وجميع الآيات وإن لم تكن من أمور الدنيا لكنها أنزلت لأهل الدنيا فدخلت كلها فيما طلعت عليه الشمس.

قلت: فهذا توجيه حسن يزول به الإشكال ويندفع به التعارض بين هذا الحديث وبين ما ورد في تفضيل بعض السور والآيات.

الحادية عشرة: قوله «**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**» قال الحديبية هكذا أورده الشيخ هاهنا مختصراً وأورده في المغازي بهذا اللفظ وزاد: قال أصحابه هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله **«ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار»**.

الثانية عشرة: قوله «**قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح**» في رواية أبي الوليد في المغازي (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته) وفيه دليل

على أن دخول النبي ﷺ مكة منتصراً على أهلها عام ثمانية من الهجرة من الفتح المبين الذي وعده الله إياه ولهذا يسمى في السيرة بالفتح الأعظم.

الثالثة عشرة: قوله «فرجع فيها» أي ردد صوته بالقراءة وقد أخرجه في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه برواية شابة ولفظه (ثم قرأ معاوية يحكي قراءة بن مغفل وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجعت ابن مغفل يحكي النبي ﷺ فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه؟ قال آآآ ثلاث مرات.

الرابعة عشرة: قوله «قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت» القائل هو شعبة بن الحجاج راوية معاوية وقد أسلفنا كيف قرأ النبي ﷺ السورة في المسألة قبلها.

فائدة

قال القاضي: «أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، قال أبو عبيد والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولأن ذلك سبب للركة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه».

قلت: قال الشافعي في موضع أكره القراءة بالألحان وقال في موضع لا أكرهها قال أصحابنا ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود وإدغام مالا يجوز إدغامه ونحو ذلك وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام والله أعلم. اهـ حكاه النووي في شرحه على صحيح مسلم ج ٦ ص ٨٠.

من فقه الأحاديث

أولاً: فضيلة عمر وعظم مكانته عند النبي ﷺ ألا تراه أسرع في دعوته وإخباره بإنزال هذه السورة عليه.

ثانياً: فضل سورة الفتح وشرف مكانتها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً: مشروعية تحسين الصوت بالقرآن مع اجتناب التكلف والتمطيط كما نقل عن الشافعي رحمه الله.

٣٢٤ - [باب قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم

نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾]

ش: قلت: وما بعدها ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

قوله ﴿﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾﴾

أي في الدنيا والآخرة ويهديك صراطاً مستقيماً أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل

يرفعك الله وينصرك على أعدائك.

فائدة

قال ابن القيم: «ما جمع الله سبحانه لرسوله في آية الفتح من أنواع العطايا

وذلك خمسة أشياء:

أحدها: الفتح المبين.

والثاني: مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

والثالث: هدايته الصراط المستقيم.

والرابع: إتمام نعمته عليه.

والخامس: إعطاء النصر العزيز وجمع سبحانه له بين الهدى والنصر لأن

هذين الأصلين بهما كمال السعادة والفلاح فإن الهدى هو العلم بالله ودينه

والعمل بمريضاته وطاعته فهو العلم النافع والعمل الصالح والنصر والقدرة التامة

على تنفيذ دينه فالحجة والبيان والسيف والسنان فهو النصر بالحجة واليد وقهر

قلوب المخالفين له بالحجة، وقهر أبدانهم باليد، وهو سبحانه كثيراً ما يجمع بين

هذين الأصلين إذ بهما تمام الدعوة وظهور دينه على الدين كله كقوله تعالى

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله..﴾ إلى أن

قال بل الصراط المستقيم ما جعله الله عليه من الهدى ودين الحق الذي أمره أن

يخبر بأن الله تعالى هداه إليه في قوله ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ ثم فسره بقوله تعالى ﴿ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ انتهى مختصراً من بدائع الفوائد (١٧٠/٤).

٣٥٥ - حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة حدثنا زياد هو ابن علاقة أنه سمع المغيرة يقول قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبداً شكوراً).

٣٥٦ - حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى أخبرنا حيوة عن أبي الأسود سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع، قام فقرأ ثم ركع.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «قام النبي ﷺ» في التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل من رواية مسعر (إن كان يقوم أو ليصلي) وفي حديث عائشة بعده (أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل) وعند النسائي في تفسير الآية برواية أبي عوانة (أن النبي ﷺ صلى).

الثانية: قوله «حتى تورمت قدماه» في رواية مسعر (حتى ترم قدماه أو ساقاه) وفي حديث عائشة (حتى تتفطر قدماه) وعند النسائي (حتى انتفخت قدماه) وليس بين هذه الروايات اختلاف فإنه إذا حصل الورم والانتفاخ حصل التفطر.

الثالثة: قوله «فقيل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» في التهجد (فيقال له) وفي حديث عائشة (فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وعند النسائي (فقيل: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك... الخ)

قال الحافظ: «وفي حديث أبي هريرة عند البزار (فقيل له تفعل هذا وقد جاءك من الله أن قد غفر لك».. اهـ.

ولم أقف على السائل في حديث المغيرة فيحتمل أنه هو ويحتمل أنه غيره ومرادهم الإشارة إلى قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

قال ابن كثير (٤/١٩٨): «هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره... وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والإستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيته قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل».. اهـ محل الغرض مع الاختصار.

الرابعة: قوله «أفلا أكون عبداً شكوراً» في حديث عائشة (أفلا أحب أن أكون..). والفاء في قوله (أفلا أكون) للسببية وهي عن محذوف تقديره: أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً) والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه.

قال ابن بطال: «في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عما لم يأمن أنه استحق النار انتهى حكاه الحافظ في التهجد ج ٣ ص ١٥ ثم تعقبه بقوله: ومحل ذلك ما إذا لم يفض إلى الملل، لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه، بل صح أنه قال (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) كما أخرجه النسائي من حديث أنس، فأما غيره ﷺ فإذا خشى الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه».. اهـ.

قال مقبده: وعليه يحمل حديث عائشة أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه فقالت: له هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا) وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه) متفق عليه.

الخامسة: قوله «فلما كثر لحمه ﷺ صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع» وعند المصنف في باب إذا صلى قاعداً ثم صح من كتاب تقصير الصلاة برواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (أنها لم تر رسول الله ﷺ يصلي صلاة الليل قاعداً قط حتى أسن فكان يقرأ قاعداً حتى إذا أراد أن يركع قام فقرأ نحواً من ثلاثين آية أو أربعين آية ثم ركع) ودل حديث عائشة على جواز القعود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين. حكاها الحافظ في شرحه لباب إذا صلى قاعداً.

وقال ابن قدامة (١/٨١٢): «لا نعلم خلافاً في إباحة التطوع جالساً وأنه في القيام أفضل وقد قال النبي ﷺ: (من صلى قائماً فهو أفضل ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم) متفق عليه، وفي لفظ لمسلم (صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة)... ولأن كثيراً من الناس يشق عليه طول القيام فلو وجب في التطوع لترك أكثره فسامح الشارع في ترك القيام فيه ترغيباً في تكثيره كما سامح في فعله على الراحلة في السفر وسامح في نية صوم التطوع من النهار» اهـ.

٣٢٥ - [باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿إنا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿شاهداً﴾ على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، ﴿ومبشراً﴾ لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيم، ﴿ونذيراً﴾ لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك.

٣٥٧ - حدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن

هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ قال: في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله ﴿إن هذه الآية التي في القرآن﴾ ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد شرح أول الباب وقد وقع سبب تحديث عبد الله بن عمرو بهذا الحديث في البيوع باب كراهية السخب في السوق برواية فليح عن هلال بن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي... الخ فذكره.

الثانية: قوله «حرزاً للأمين» بكسر المهملة أي حافظاً وأصل الحرز الموضع الحصين والأمينون هم العرب قلت وفي الكتاب الكريم ﴿هو الذي بعث في

الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

قال ابن كثير: «وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فتره من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أي نزراً يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾، وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم. والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضى الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم وفاضل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع» اهـ.

قلت: فأعظم به من حرز يبصر به هؤلاء بعد العمى ويخرجون به من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ومن الكفر والشرك بالله إلى الإيمان والتوحيد فصاروا أقوياء بعد ضعف وأعزة بعد ذل فله الحمد على ما أسبغ من نعمه.

الثالثة: قوله «أنت عبدي ورسولي» أخرج الدارمي في باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه من المقدمة عن ذكوان عن كعب قال في السطر الأول: (محمد رسول الله عبدي المختار).

قلت: فيه الرد على أهل الجفاء والغلو فيه وبيان ما أنزله الله عليه وأنه العبودية والرسالة فهو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب بل يطاع ويتبع.

الرابعة: قوله «سميتك المتوكل» يعني متوكل على الله في جلب النفع وكشف الضر وهذه حقيقة التوكل فإن معناه لغة التفويض وشرعاً: اعتماد القلب على الله في جلب النفع وكشف الضر ولا ينافي الأخذ بالأسباب المشروعة وكان هذا دأبه ﷺ فمما صح عنه أنه إذا أراد غزوة ورى غيرها ليعمي على الأعداء وكان يعزل نفقة أهله السنة والستين مما أفاء الله عليه وفي ذلك أسوة حسنة للمستبصرين وفي مرسل جبير بن نفير الحضرمي (ليس بوهن ولا كسل) أخرجه الدارمي في المقدمة وصححه الحافظ.

الخامسة: قوله «ليس بفظ ولا غليظ» وهذا موافق لقوله تعالى من سورة آل عمران ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك﴾ فالشاهد منها ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك﴾ قال ابن كثير: «والفظ الغليظ المراد به ها هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿غليظ القلب﴾ أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم». اهـ.

فإن قلت كيف التوفيق بين هذا وبين ما أمره الله به من الإغلاظ مثل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ قلنا ليس بينها تعارض والله الحمد لأن النفي في حديث الباب وآية آل عمران محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر بالإغلاظ في هذه الآية ونحوها محمول على المعالجة والنفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو ظاهر آية التحريم.

تنبيه

قال (ليس بفظ ولا غليظ) فلو كان على النسق الأول لقال لست قال أهل العلم هذا إلتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو تعبير سائغ فصيح.

السادسة: قوله «ليس بسخاب في الأسواق» في البيوع (ولا سخاب) وعند الدارمي (ولا سخاب) وفي المصباح: «صخب صخباً من باب تعب ورجل صخب وصاحب وصخاب وصخبان أي كثير اللغظ والجلبه والمرأة صخبى وبالهاء في الثاني وإبدال الصاد سينا لغة وسمعت اصطخاب الطير أي أصواتها». هـ وفيه الدليل على أنه يجوز للإمام الأعظم دخول الأسواق إذا تجنب الصخب.

السابعة: قوله «ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح» في البيوع (ولكن يعفو ويغفر) وفي حديث ابن سلام عند الدارمي (ولكن يعفو ويتجاوز) وعنده من حديث ابن عباس (ولا يكافئ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر) قلت وقد ظهر هذا جلياً منه ﷺ غداة الفتح حين اجتمع له قريش منتظرين صنعهم وقد أظهره الله عليهم فقال لهم عليه الصلاة والسلام حين ذاك ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فكافئهم بالعفو عنهم مع قدرته على عقوبتهم وهذا هو غاية الصفح والمغفرة ودفع السيئة بالحسنة.

الثامنة: قوله «ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله» وعند الدارمي في حديث ابن سلام (ولن أقبضه حتى نقيم الملة المتعوجة بأن تشهد أن لا إله إلا الله) والمعنى ولن يقبضه أي يميته حتى يقيم به أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد والملة العوجاء ملة الكفر ومعنى لا إله إلا الله اختصاراً لا معبود بحق إلا الله وبسطاً لا إله نافياً ما يعبد من دون الله وإلا الله مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

التاسعة: قوله «يفتح بها أعيناً عمياً» وفي حديث ابن سلام (يفتح به أعيناً عمياً) والمعنى على رواية الباب يعني بكلمة التوحيد فمرجع الضمير إليها والمعنى على حديث ابن سلام فالمعنى به الرسول ﷺ ولا منافاة بين المعنيين فإن فيه تحقيق الشهادتين فهما متلازمتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى فشهادة أن لا إله إلا الله بها تجريد الإخلاص لله وحده وشهادة أن محمد رسول الله بها تجريد المتابعة للنبي ﷺ.

العاشرة: قوله «وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً» وفي رواية جبير بن نفير (ليختن قلوباً غلفاً ويفتح أعيناً عمياً ويسمع آذاناً صماً، ويقوم السنة عوجاء حتى يقال لا إله وحده).

فائدة

زاد الدارمي في آخره من حديث كعب برواية ذكوان (مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السطر الثاني محمد رسول الله، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزلة).

قال مقيده: وما أفادته زيادة حديث ابن سلام أعني قوله (وملكه في الشام هو بعض ما وعد به رسول الله ﷺ من اتساع رقعة الإسلام ومصداق ذلك فيما رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أممي سيلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض.. الحديث).

قال القرطبي: «يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد دل على ذلك قوله عليه السلام حين أخبر عن هلاكهما (والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجواهر والفضة، وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان

الفتوح في إماره عمر رضي الله عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده». اهـ.

قلت: فملك قيصر كان في الشام.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: فيه أكبر الحجج وأعظمها بالزام اليهود بالإيمان بمحمد ﷺ وذلك لوجود صفته في كتابهم.

ثانياً: أن أصل الدين وأساسه التوحيد.

ثالثاً: عموم رسالة النبي ﷺ.

٣٢٦ - [باب ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾]

ش: تمامها: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، والله جنود السموات والأرض، وكان الله عليماً حكيماً﴾

يقول تعالى ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم، وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لا ننصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى ﴿والله جنود السموات والأرض﴾ أي ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد حضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة.

وقوله «وكان الله عليماً حكيماً» يعني ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، وما خلقه عاملوه حكيماً في تدبيره.

٣٥٨ - حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ وفرس له مربوط في الدار، فجعل ينفر، فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال (السكينة تنزلت بالقرآن).

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ» في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، برواية زهير (كان رجل يقرأ سورة الكهف) وعند المصنف في باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن من الفضائل عن أسيد قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة) وعند مسلم في باب نزول السكينة

لقراءة القرآن من كتاب صلاة المسافرين عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مريده) وعند أبي داود من طريق مرسلته قال قيل للنبي ﷺ ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصاييح، قال فلعله قرأ سورة البقرة فستل قال قرأت سورة البقرة) فلا تعارض لجواز تعدد القصة.

الثانية: قوله «وفرس له مربوط في الدار» في المناقب (وفي الدار الدابة) وفي الفضائل (وإلى جنبه حصان مربوط بشطينين) وفي حديث أسيد عند المصنف (وفرسه مربوط عنده) قلت والشطينين مفرده شطن وهو الحبل وكأنه كان شديد الصعوبة.

الثالثة: قوله «فجعل ينفر» في المناقب (فجعلت تنفر) وفي الفضائل (فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر) وفي حديث أسيد (إذ جالت الفرس فسكت فسكت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف).

الرابعة: قوله «فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً وجعل ينفر» وفي المناقب (فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته قلت: فكان التقدير خرج فنظر فسلم فلم ير شيئاً).

الخامسة: قوله «فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ» في الفضائل فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له) وفي حديث أسيد (فلما أصبح حدث النبي ﷺ).

السادسة: قوله «السكينة تنزلت بالقرآن» في المناقب (فقال اقرأ فلان، فإنه السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن) وفي الفضائل (تلك السكينة تنزلت بالقرآن) وفي حديث أسيد (اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير) وعند مسلم (فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير فانصرفت وكان يجيئ قريباً منها فخشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما

أراها فقال رسول الله ﷺ تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم).

تنبيه

يختلف أهل العلم في معنى السكينة على ثمانية أقوال:
أحدها: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان وهو قول علي بن أبي طالب.

ثانيها: أن لها رأس كرأس الطرة وجناحان وبه قال مجاهد.

ثالثها: أنه رأس هرة ميتة وهو قول وهب بن منبه.

رابعها: أنه طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وبه

قال ابن عباس والسدي.

خامسها: أنه روح من الله يتكلم وهو قول وهب بن منبه في الرواية الثانية

عنه.

سادسها: أنها ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليه وبه قال عطاء بن أبي

رباح.

سابعها: أنها الرحمة وهو قول الربيع.

ثامنها: أنها الوقار وهو قول قتادة.

أخرجها جميعها ابن جرير في (٦١٣/٢) عند قوله تعالى ﴿إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ

يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وإختار قول عطاء.

وقال الحافظ (٥٨/٩): والذي يظهر أنها مقوله بالإشتراك على هذه المعاني

فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به.

قلت: والمراد بها في حديث الباب الملائكة كما صرح به في حديث أسيد.

من فقه الحديث

أولاً: فضيلة ذلك القارئ سواء كان أسيداً أو غيره.

ثانياً: الرجوع إلى أهل العلم والفضل عند حصول الأمور المستغربة للإستئناس برأيهم.

ثالثاً: في الحديث دليل على ثبوت الكرامة وهي ما يجريه الله سبحانه وتعالى على أيدي أهل التقوى والصلاح من خوارق العادات، قال الطحاوي: ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) قلت: وهذا يعني أنها لا تثبت إلا بشرطين:

أحدهما: صحة الرواية عن جرت له الكرامة.

ثانيهما: أنه من أهل التقوى والصلاح.

وهذا ثابت عند أهل السنة والجماعة واعلم أن مذاهب الناس في الكرامة

ثلاثة:

أحدها: من ينفىها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة وشبهتهم أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء للتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي خرق العادة.

ثانيها: من يغلو في إثباتها من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الثعابين وغير ذلك.

وثالثها: من يشتها بشروطها كما تقدم وهم أهل السنة والجماعة.

٣٢٧ - [باب ﴿إذ يباعدونك تحت الشجرة﴾]

ش: قلت الآية: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾.
يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد كانوا ألفاً وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية.

وقوله تعالى ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ﴿فأنزل السكينة﴾ وهي الطمأنينة ﴿عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام والمستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة.

٣٥٩ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر قال:

كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة.

٣٦٠ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا شعبة حدثنا شعبة عن قتادة

قال: سمعت عقبة بن صهبان^(١) عن عبد الله بن مغفل المزني: إني ممن شهد الشجرة نهى النبي ﷺ عن الخذف.

وعن عقبة بن صهبان قال سمعت عبد الله بن المغفل المزني في البول في

المغتسل.

٣٦١ - ثني محمد بن الوليد^(٢) حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن

خالد عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك^(٣) رضي الله عنه وكان من أصحاب الشجرة.

(١) عقبة بن صهبان بضم المهملة الأزدي بصري ثقة من الثالثة مات بعد السبعين خ، م، د، ق.

(٢) محمد بن الوليد بن عبد الحميد القرشي البصري يلقب حمدان ثقة من العاشرة مات سنة خمسين [ومائتين] أو بعدها خ، م، س، ق.

٣٦٢ - ثنا أحمد بن إسحاق السلمي^(١) ثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه^(٢) عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله: كنا بصفين، فقال رجل: ﴿ ألم تر إلى الذين يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله ﴾ فقال علي: نعم فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتالنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال بلى قال فقيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح).

ش: فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة» في المغازي باب غزوة الحديبية عن البراء قال: «كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة.. الحديث».

قلت: وبه قال سعيد بن المسيب وهو أحد أقوال ثلاثة حكاهما ابن جرير في تفسير الآية.

ثانيها: أنهم ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون وهو قول ابن عباس وقتادة ويؤيده ما رواه البخاري في المغازي وله قصة برواية سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس

(٣) ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة مات سنة أربع وستين، ع.

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر السلمي السمرماري صدوق من الحادية عشرة مات سنة إثنين وأربعين [ومائتين] خ.

(٢) هو عبد العزيز بن سياه بكسر المهملة الأسدي الكوفي صدوق يتشيع من السابعة خ، م، ت، س، ق.

نحوه فقال: مالكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.

وثالثها: أنهم ألف وثلاثمائة وبه قال عبد الله بن أبي أوفى وحديث الباب شاهد للأول وبه جاءت أكثر الروايات عن جابر فيما وقفت عليه.

الثانية: قوله «إني ممن شهد الشجرة» هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة.

الثالثة: قوله «نهى النبي ﷺ عن الخذف» والخذف هو الرمي بالحصى بالأصابع، قلت: لهذا قصة أخرجها المصنف في باب الخذف والبنطقة من كتاب الذبائح والصيد ومسلم في باب إباحة ما يستعان به على الإصطياد وكرهية الخذف في كتاب الصيد والذبائح كلاهما عن عبد الله بن بريدة واللفظ لمسلم قال رأى عبد الله بن المغفل رجلاً من أصحابه يخذف فقال له لا تخذف فإن رسول الله ﷺ كان يكرهه أو قال نهى عن الخذف فإنه لا يصطاد به الصيد ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكرهه أو ينهى عن الخذف ثم أراك تخذف لا أكلمك كلمة كذا وكذا) وأخرج مسلم نحو هذه برواية سعيد بن جبير عن ابن المغفل إلا أنه قال قريباً لعبد الله بن المغفل بدل رجلاً من أصحابه.

قال مقبده: فيه التعنيف على من أظهر مخالفة السنة وإن كان من الأقربين والرد على من زعم أن الإنكار للبدعة لا على المبتدع إلا إذا كانت البدعة مكفرة قلت: وهذا الصنيع من عبد الله بن مغفل رضي الله عنه لم يكن متفرداً به بل هو متواتر عن أصحاب النبي ﷺ، ففي الصحيحين عن معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: قلت لعائشة ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقالت: عائشة أحرورية أنت قالت لست حرورية ولكن أسأل) وسر استنكار عائشة

على معاذة هذا السؤال لأن مذهب الخوارج أمر الحائض بقضاء الصلاة كالصيام وفيهما عن جابر رضي الله عنه أنه كان عنده قوم فسألوه عن الغسل فقال يكفيك صاع فقال رجل ما يكفيني فقال جابر كان يكفي من هو أوفى منك شعراً وخيراً منك... الحديث) والمقصود دحض هذه الشبهة وبيان مخالفتها منهج السلف الصالح.

الرابعة: قوله «في البول في المغتسل» كذا للأكثر وزاد في رواية الأصيلي وكذا لأبي ذر عن السرخسي (يأخذ منه الوسواس) وهذان الحديثان المرفوع والموقوف الذي عقبه به لا تعلق لهما بتفسير هذه الآية بل ولا هذه السورة، وإنما أورد الأول لقول الراوي فيه (من شهد الشجرة) فهذا القدر هو المتعلق بالترجمة، ومثله ما ذكره بعده عن ثابت بن الضحاك وذكر المتن بطريق التبع لا القصد وأما الحديث الثاني فأورده لبيان التصريح بسماع عقبة بن صهبان من عبد الله بن مغفل وهذا من صنيعه في غاية الدقة وحسن التصرف).

وذكره الحافظ في شرحه هنا: فله دره ما أبدع هذه النكته.

قلت: وقول المصنف «في البول في المغتسل» يشير به إلى ما رواه الحاكم في كتاب الطهارة من مستدركه من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عقبة بن صهبان عن عبد الله بن المغفل قال: (نهى أو زجر أن ينال في المغتسل) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في المستخرج من الطريق كما قال الحافظ.

الخامسة: قوله «عن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة» هكذا ذكر القدر الذي يحتاج إليه من هذا الحديث ولم يسع المتن، ويستفاد من ذلك أنه لم يجر على نسق واحد في إيراد الأشياء التبعية بل تارة يقتصر على موضع الحاجة من الحديث وتارة يسوقه بتمامه، فكأنه يقصد التفنن بذلك. قاله الحافظ.

وحديثه في المغازي من طريق يحيى عن أبي قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع النبي ﷺ تحت الشجرة.

السادسة: قوله «أتيت أبا وائل أسأله» القائل هو حبيب بن أبي ثابت وأبو وائل هو شقيق بن سلمة وقد تقدم ترجمة كل منهما ولم يبين هنا المسؤل عنه ولا مكان السؤال وبينه أحمد في المسند (٤٨٥/٣) في روايته عن يعلى بن عبيد ولفظه (أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقه وفيما استحل قتالهم قال: كنا بصفين... الحديث).

السابعة: قوله «فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعوه إلى كتاب الله فقال علي نعم» وعند أحمد (فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأتي عليك ف جاء به رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون فقال علي نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يؤمئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم فتكلم سهل بن حنيف... الحديث).

تنبيه

اعلم هديت صواب الأقوال وسددت في الأعمال أن كلاً من علي ومعاوية رضي الله عنهما له من رفيع المنزلة وشريف الصحبة وجم الفضائل ما يوجب على أهل الإيمان المنصفين حفظ كرامته وصيانة عرضه لكن أهل الأهواء من الروافض والنواصب قد استغلوا ما شجر بينهما وأمثالهما من الفتن فجعلوه سيفاً مسلولاً على هذين الرجلين وأمثالهما من أصحاب النبي ﷺ فلاتغتر بنهج النواصب فتقع في علي وآل البيت ولا تغتر بمسلك الروافض فتقع في سائر

أصحاب النبي ﷺ مثل معاوية وإليك خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وما شجر بينهم.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى لابن قاسم (١٥٤/٣):

«ويتبرءون من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الأثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ولأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ (أنهم خير القرون) (وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم) ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأموال التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى» اهـ

الثامنة: قوله «فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية» يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا يشير بقوله اتهموا أنفسكم أي في هذا الرأي لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل وأشار عليهم كبار الصحابة بمطاعة علي وأن لا يخالف ما يشير به لكونه أعلم بالمصلحة وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية وأنهم رأوا يؤمئذ أن يستمروا ويخالفوا ما دعوا إليه من الصلح ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شرع النبي ﷺ فيه.

التاسعة: قوله «فجاء عمر فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلنا في الجنة... إلى قوله ولن يضيعني الله أبداً» وعند المصنف في باب الشروط في الجهاد من كتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة أن عمر قال: ألسنت نبي الله حقاً قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: إنني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرني، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قال قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به) وأخرج البزار من حديث عمر نفسه مختصراً ولفظه فقال عمر: اتهموا الرأي على الدين فقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأي وما ألتوت عن الحق) وفيه فقال فرضي رسول الله ﷺ وأبيت حتى قال لي: يا عمر تراني رضيت وتأيي).

العاشر: قوله «يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه أبداً» وفي حديث المسور (قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بقرنيه فوالله إنه على الحق) قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصرته الدين وإذلال المبطلين وأما جواب أبي بكر رضي الله عنه لعمر بمثل جواب

النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه في كل ذلك وزيادته فيه كله على غيره رضي الله عنه حكاة النوروي (١٢/١٤١).

الحادية عشرة: قوله (فنزلت سورة الفتح) ظاهره يخالف ما قدمناه في المسألة الثانية من الحديث الثاني والخمسين بعد الثلاثمائة من حديث ابن مسعود وأنس أن نزول هذه السورة بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية والحق أنه لا منافاة بين الحديثين لإمكان نزول السورة مرتين: أحدهما: في الحديبية.

والأخرى: بعد منصرفه ﷺ منها ونظائر هذا كثير.

من فقه الأحاديث

أولاً: فضيلة جابر رضي الله عنه.

ثانياً: فضيلة عبداً لله بن مغفل المزني.

ثالثاً: فضيلة ثابت بن الضحاك.

رابعاً: يسوع للإمام قبول الصلح من خصمه ولو كان ظاهراً عليهم.

خامساً: حرص السلف على تذكير الناس بالسنة في الأمور المشككة كما

صنع سهل بن حنيف.

سادساً: استفاد من صنع أبي بكر مع عمر الحرص على معاونة الإمام

والوقوف معه لجمع الكلمة.

سابعاً: جواز الصلح مع الكفار ولو كانت الغلبة لأهل الإسلام كما يفيد

صنيع النبي ﷺ مع قريش يوم الحديبية.

آخر تفسير سورة الفتح والحمد لله وبه تم الجزء الثالث ويليه الجزء

الرابع وأوله تفسير سورة الحجرات.

وَأَشْرَافُ الْقَابِرِي

بشْرَحِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ

صَلْحِ الْبَخَّارِيِّ

تَأَلَّفَ

فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

عَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَخَّارِيِّ

الْمُدْرِسِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقاً

الْمَجْتَمِعِ الرَّابِعِ

مَجْلَدُ الْفُرْقَانِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



مكتبة الفرقان

تليفون: ٧٤٤٤٣٥٠٦ - فاكس: ٧٤٦٤٠٩٤ - ٦

صرب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - ا.ع.م

E-mail Furqan 1 @ emirates. net. a e

سورة الحجرات

٣٢٨ - سورة الحجرات بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون﴾.
وهي مدنية بالإجماع قاله القرطبي.
وآياتها ثماني عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿لاتقدموا﴾ لاتفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج المعنى عن قتادة والحسن والضحاك وابن زيد وسفيان. والآية المشار إليها ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله﴾.

٢ - [﴿إمتحن﴾ أخلص].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج المعنى عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين إمتحن الله قلوبهم للتقوى﴾.

٣ - [﴿تنازوا﴾ يدعى بالكفر بعد الإسلام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ضمن القائلين بأنه قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق يا زان وهم عكرمة وقتادة وابن زيد وهو أحد أقوال ثلاثة حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه الألقاب التي يكره النبز بها الملقب وهو قول أبي جبيرة بن الضحاك.

وثالثها: أنه تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام وبالفسوق والأعمال

القييحة بعد التوبة، وبه قال ابن عباس والحسن.

واختار ابن جرير أنه ليس بعض هذه الأقوال أولى بالصواب من بعض.

وهذا اختيار حسن ويؤيده عموم الآية.

والآية المشار إليها ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ .
٤ - [﴿يلتكم﴾ ينقصكم، ألتنا نقصنا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾ .

قوله: [ألتنا] .

أشار بها إلى الآية الحادية والعشرين من سورة الطور ومناسبتها الاستشهاد.

٣٢٩ - [باب ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾]

ش: قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام وتغلظون له في الخطاب.

وقوله ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ نهي لكل واحد من الأمة أن ينادي الرسول ﷺ كما ينادي مخاطبه من عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولا يناديه باسمه، مثل يا محمد يا أحمد، وهذا نظير قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾.

وقوله ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري.

فائدة

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟» انتهى من إعلام الموقعين (١/٨٦).

[﴿تشعرون﴾ تعلمون، ومنه الشاعر].

ش: قاله أبو عبيدة كما حكاه الحافظ عنه.

٣٦٣ - حدثنا بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي^(١) ثنا نافع بن عمر^(٢) عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال: أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ.. الآية﴾.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

٣٦٤ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد^(٣) أخبرنا ابن عون قال أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ إفتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتي الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

ش: فيهما ست عشرة مسألة:

(١) هو بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي الدمشقي ثقة من صغار التاسعة مات سنة خمس عشرة ومائتين وقد جاوز السبعين، خ.

(٢) هو نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة تسع وستين ومائة، ع.

(٣) هو أبو بكر أزهر بن سعد السمان الباهلي بصري ثقة من التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين وهو ابن أربع وتسعين، خ، م، د، ت، س.

الأولى: قوله «كاد الخيران» كذا للجميع بالمعجمة بعدها تحتانية ثقيلة وحكى بعض الشراح رواية بالمهملة وسكون الموحدة.

قلت: والخيران أي الفاعلان للخير الكثير وقوله يهلكان كذا لأبي ذر وفي رواية يهلكا بحذف النون قال ابن التين كذا وقع بغير نون وكأنه نصب بتقدير (أن) انتهى قاله الحافظ.

قلت: وقد أخرجه المصنف في الإعتصام باب ما يكره من التعمق والتنازع عن وكيع عن تافع بن عمر عن ابن أبي مليكة بلفظ "أن يهلكا" وهو بكسر اللام.

تنبيه

وهذا السياق صورته الإرسال ولكن ظهر في آخره أن ابن أبي مليكة حمله عن عبد الله بن الزبير حيث قال قال ابن الزبير وفي المغازي برواية ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أحيروهم وساق الحديث بنحوه وكذا في الباب بعد هذا صرح بالإخبار.

الثانية: قوله «رفعا أصواتهما حين قدم عليه ركب بني تميم» وفي الإعتصام لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم) قلت وكان قدومهم سنة تسع وهي السنة المعروفة بسنة الوفود.

الثالثة: قوله «فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه» وفي المغازي وفي الباب بعد هذا فقال أبو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس وعند الترمذي في تفسير هذه الآية من رواية مؤمل بن إسماعيل أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ﷺ فقال أبو بكر يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله.. (الحديث) وهذا يخالف رواية ابن جريج. قال الحافظ: وروايته أثبت من رواية مؤمل بن إسماعيل.

الرابعة: قوله «قال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي» وفي الإعتصام (إنما أردت خلافي) والمعنى ليس مقصودك من مشورتك إلا مخالفة قولي.

الخامسة: قوله «فارتفعت أصواتهما» وفي رواية ابن جريح فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما والمعنى أنهما تجادلا وتنازعا حتى ارتفعت أصواتهما من كثرة ذلك.

السادسة: قوله «فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم....﴾ الآية» وفي الإعتصام (فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله عظيم﴾، وفي الباب بعده، فنزل في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله..﴾
قال ابن عطية (١٢٩/١٥): «الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام جفاة الأعراب»

وقال الحافظ: «لا يعارض ذلك هذا الحديث فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة ﴿لا تقدموا﴾ ولكن لما اتصل بها قوله ﴿لا ترفعوا﴾ تمسك عمر منها بخفض صوته، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم هم من بني تميم، والذي يختص بهم قوله ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ اهـ.

السابعة: قوله «فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه» في الإعتصام (إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار، لم يسمعه حتى يستفهمه) وقوله «كأخي السرار» أي كصاحب المسارة في خفض الصوت.

الثامنة: قوله «و لم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر» وعند الترمذي (وما ذكر ابن الزبير جده يعني أبا بكر) وأخرج الحاكم في المستدرک (٤٦٢/٢) عن أبي هريرة قال لما نزلت ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ قال أبو

بكر الصديق رضي الله عنه والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل).

قال الحافظ: «وأخرج ابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبي بكر قال: لما نزلت ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ..الآية﴾ قال أبو بكر قلت يا رسول الله آليت أن لا أكلمك إلا كأخي السرار». اهـ.

التاسعة: قوله «إن النبي ﷺ إفتقد ثابت بن قيس» وعند النسائي في تفسير هذه الآية قال ثابت بن قيس: أنا والله الذي كنت أرفع صوتي عند رسول الله ﷺ وإني أخشى أن يكون قد غضب الله علي قال فحزن واصفر ففقدته النبي ﷺ فسأل عنه) وعند مسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله من رواية ثابت البناني عن أنس (جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ) قلت: صاحب هذه القصة هو ثابت بن قيس بن شماس أنصاري خزرجي خطيب الأنصار من كبار الصحابة بشره النبي ﷺ بالجنة واستشهد باليمامة.

العاشر: قوله «فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه» وعند مسلم (فسأل النبي ﷺ عنه سعد بن معاذ فقال (يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ اشتكى؟) قال سعد إنه لجاري وما علمت له شكوى) قلت وهذا مشكل لأن هذه القصة في سنة الوفود وهي السنة التاسعة وسعد بن معاذ قد توفي في عام الخندق في سنة أربع على التحقيق والجمع كما قال الحافظ رحمه الله: بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت والذي نزل في قصة الأقرع أول السورة وهو قوله ﴿لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. اهـ قلت: وهذا وجه لأن القرآن ينزل منجما.

الحادية عشرة: قوله «فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه» في الكلام محذوف تقديره فذهب فأتاه، وعند مسلم (فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ).

الثانية عشرة: قوله «ما شأنك فقال شر» أي مالك وما حالك ماكتاً في البيت وقول ثابت شر أي وقع لي شر.

الثالثة عشرة: قوله «كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ» كأن السياق يقتضي أن يقول كنت أرفع صوتي ولكنه ذكر ذلك بلفظ الغيبة وهذا من الإلتفات وهو سائغ في اللغة العربية.

الرابعة عشرة: قوله «فقد حبط عمله وهو من أهل النار» وعند مسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار) وعند النسائي (وإني أخشى أن أكون من أهل النار لأنني كنت أرفع صوتي عند النبي ﷺ).

الخامسة عشرة: قوله «فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا» وعند مسلم (فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ).

السادسة عشرة: قوله «فقال موسى... إلى قوله: ولكنك من أهل الجنة» وعند مسلم (بل هو من أهل الجنة) وزاد النسائي (فكنا نراه يحشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة).

من فقه الحديثين

أولاً: جواز المشورة على الإمام باختيار من يصلح للإمارة.

ثانياً: فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وذلك بمسارعتهما في إمتثال أمر الله حتى أصبحا لا يخاطبان رسول الله ﷺ إلا بشبه المسارة مبالغة في خفض الصوت تأدباً معه ﷺ.

ثالثاً: فقه ثابت بن قيس رضي الله عنه وذلك بفهمه أنه من المعنيين بالآية.

رابعاً: تفقد النبي ﷺ أصحابه في المجلس والسؤال عنهم.
خامساً: يجوز للإمام بعث رسول لإستخبار من أكثر التغيب عن حضور المجلس.
سادساً: الشهادة لثابت رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة.

٣٣٠ - [باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا

يعقلون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك والحجرات جمع حجرة والثلاث حجر، ثم تجمع الحجر فيقال: حجرات وحجرات وقد تجمع بعض العرب الحجر حجرات بفتح الجيم.
وقوله ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ يقول أكثرهم جهال بدين الله، واللازم لك من حقه وتعظيمك.

٣٦٥ - حدثنا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر ما أردت إلى أو إلا خلافي فقال عمر ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ حتى انقضت الآية.

ش: تقدم شرحه ضمن الباب قبله وبقي فيه مسألتان:

الأولى: قوله (القعقاع بن معبد) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن دارم التميمي الدارمي له صحبة يلقب بتيار الفرات لسخائه ومن ولده نعيم بن القعقاع. ١. هـ من الإصابة (ج ٣).

الثانية: قوله «الأقرع بن حابس» هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، قال ابن إسحاق وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفات لقلوبهم وسمي الأقرع لقرع كان برأسه، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان، وقيل: قتل باليرموك. ١. هـ من الإصابة ج ١ ص ٥٨.

٣٣١ - [باب قوله ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾
ش: تمامها ﴿والله غفور رحيم﴾].

أرشد جل ثناؤه يعني المذكورين في الآية قبلها إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ أي لكان لهم في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة.

ومعنى قوله ﴿والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته. قلت: هذا هو الموضع السادس الذي لم يذكر المصنف فيه حديثاً.

وقد أخرج الطبري والبعوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة قال (حدثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخرج إلينا فنزلت ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الحديث وسياقه لإبن جرير، وقال ابن مندة: الصحيح عن أبي سلمة عن الأقرع مرسل، وكذا أخرجه أحمد على الوجهين وقد ساق محمد بن إسحاق قصة وفد بني تميم في ذلك مطولة بإنقطاع، وأخرجها ابن مندة في ترجمة ثابت بن قيس في المعرفة من طريق أخرى موصولة. قاله الحافظ (٥٩٢/٨).

آخر تفسير سورة الحجرات والله الحمد والمنة.

سورة ق

٣٣٢ - سورة ق بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر رضي الله عنه سأل أبا
واقد الليثي ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت) ورواه
مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك.
وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.
وآياتها خمس وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [رجع بعيد ﴿رد﴾].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿أءذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد﴾.

٢ - [فروج ﴿فتوق واحدها فرج﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وفتق.

والآية المشار إليها ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها

وما لها من فروج﴾.

٣ - [من جبل الوريد ﴿وريداه في حلقه، والجبل جبل العاتق﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال الشاعر: كأن وريديه رشاء حلب.

فأضافه إلى الوريد كما يضاف الجبل إلى العاتق، وأخرج ابن جرير عن

بجاهد وابن عباس أنه عرق العنق.

والآية المشار إليها ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن

أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

٤ - [وقال مجاهد: ﴿ما تنقص الأرض﴾ من عظامهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني

الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وأخرج

المعنى أيضاً عن ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب

حفيظ﴾.

٥ - [تبصرة ﴿بصيرة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾.

٦ - ﴿حَبِّ الْحَصِيدِ﴾ الخنطه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن قتادة أنه البير والشعير وقال ابن جرير: وحب الزرع المحصود من البير والشعير وسائر أنواع الحبوب.

والآية المشار إليها ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبِّ الْحَصِيدِ﴾.

٧ - ﴿بِاسْقَاتٍ﴾ الطوال].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن ابن عباس وعبد الله بن شداد وعكرمة وقتادة وابن زيد.
وقال أبو عبيدة: طوال ويقال جبل باسق وحسب باسق قال ابن نوفل لابن هبيرة:

يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزاره

والآية المشار إليها ﴿وَالنَّخْلِ بِاسْقَاتٍ هَا طَلَعَ نَضِيدٌ﴾.

٨ - ﴿أَفْعِينَا﴾ أفاعيا علينا حين أنشأكم وأنشأ خلقكم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن عباس نحوه.

وقال الفراء: يقول كيف نعيأ عندهم بالبعث ولم نعيأ بخلقهم أولاً.

والآية المشار إليها ﴿أَفْعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

٩ - ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان الذي قيص له].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله عند قوله ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ وبه قال ابن عباس وقتادة وغيرهما.

١٠ - ﴿فَنَقَّبُوا﴾ ضربوا].

قال الحافظ: وصله الفريابي قلت: وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (عملوا في البلاد ذاك النقب) وأخرج عن ابن عباس قال: أنزوا. والآية المشار إليها ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾.

١١ - [﴿أو ألقى السمع﴾ لا يحدث نفسه بغيره].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال الضحاك وسفيان. والآية المشار إليها ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

١٢ - [﴿رقيب عتيد﴾ رصد].

ش: قال الحافظ: وصله الفريابي.

قلت: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عليه عمله ويكتبان أثره وأخرج عن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

١٣ - [﴿سائق وشهيد﴾ الملكان كاتب وشهيد].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج المعنى عن عثمان بن عفان وابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغيرهم.

والآية المشار إليها ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾.

١٤ - [﴿شاهد بالقلب﴾ شاهد بالقلب].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرجه أيضاً عن ابن عباس والضحاك وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن الشهيد في هذا الموضع بمعنى الشهادة وهو قول قتادة والحسن وأبي صالح والقولان متقاربان.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الحادي عشر.

١٥ - [لغوب ﴿ نصب] .

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن

عباس وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ .

١٦ - [وقال غيره: نضيد الكُفْرَى ما دام في أكمامه ومعناه منضود

بعضه على بعض فإذا أخرج من أكمامه فليس بنضيد].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر السابع.

١٧ - [وإدبار النجوم ﴿ وإدبار النجوم ﴾ ﴿ وأدبار السجود ﴾

كان عاصم يفتح التي في (ق) ويكسر التي في (الطور) ويكسران جميعاً وينصبان].

ش: قاله الفراء وزاد في أوله: وإدبار جمعه على دبر وأدبار وهما الركعتان

بعد المغرب جاء ذلك عن علي بن أبي طالب أنه قال وأدبار السجود الركعتان

بعد المغرب وإدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وزاد في آخره (جميعاً

جائزان). ١. هـ.

وقال مكّي: «قرأه الحرميان وحمزة بكسر الهمزة وقرأ الباقون بالفتح وحمزة

من قرأ بالكسر أنه جعله مصدر ادبر فنصبه على الظرف والمصادر تجعل ظرفاً

على تقدير إضافة أسماء الزمان إليها وحذفها إتساعاً والتقدير ومن الليل فسبحه

ووقت أدبار السجود أي وسبحه وقت السجود أي بعد الصلاة وهو كقولهم

جئت مقدم الحاج أي وقت مقدم الحاج ورأيتك وقت خفوق النجم أي وقت خفوقه^١ وحذف المضاف في هذا الباب هو المستعمل في أكثر الكلام... وحجة من قرأ بالفتح أنه جعله جمع دبر وقد استعمل ذلك أيضاً ظرفاً قالوا جئتك دبر الصلاة فهو منصوب على الظرف أيضاً، انتهى من الكشف (٢/٢٨٥).

والآية المشار إليها ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾.

١٨ - [وقال ابن عباس: ﴿يوم الخروج﴾ يوم يخرجون من القبور].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، حكاها الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾.

٣٣٣ - [باب قوله ﴿وتقول هل من مزيد﴾]

ش: قلت الآية: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾. يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أن يملأها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقي وهي تقول هل من مزيد أي هل بقي شيء تزيدوني هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

٣٦٦ - حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي بن عمار^(١) حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط)

٣٦٧ - حدثنا محمد بن موسى القطان^(٢) حدثنا أبو سفيان الحميدي سعيد بن يحيى بن مهدي^(٣) حدثنا عوف عن أبي هريرة رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان يقال لجهنم هل امتلأت وتقول: هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط.

٣٦٨ - حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (تحتاج الجنة والنار فقالت النار أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي

(١) هو أبو روح حرمي بن عمار بن أبي حفصة نابت العتكي البصري صدوق بهم من التاسعة مات سنة إحدى ومائتين خ، م، د، س، ق.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن موسى بن عمران القطان الواسطي صدوق من الحادية عشرة خ، م، ق.

(٣) هو سعيد بن يحيى بن عبد الرحمن الحميدي الخذاء الواسطي صدوق من التاسعة مات سنة إثنين ومائتين عن تسعين سنة خ، ت.

ولكل واحد منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط
قط، فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه
أحداً وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً).

ش / فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «يلقى في النار» في التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وهو العزيز
الحكيم﴾ من هذا الوجه «لا يزال يلقي في النار» وفيه من رواية المعتمر عن أبيه
(لا يزال يلقي فيها).

الثانية: قوله «وتقول هل من مزيد» في الأيمان والنذور باب الحلف بعزة
الله وصفاته وكلماته ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون
والجنة يدخلها الضعفاء من رواية شيبان (لا تزال جهنم تقول).

الثالثة: قوله «حتى يضع قدمه» وفي رواية شيبان (حتى يضع رب العزة
فيها قدمه) وفي حديث أبي هريرة في الباب (حتى يضع رجله) وفي حديث أبي
عند أبي يعلى (وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه) وعند أحمد من حديث
أبي سعيد (فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من
مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتزوي فتقول قدني قدني) وفي
تفسير عبد الرزاق ج ٣ ص ٢٣٨، من حديث أبي هريرة (حتى يضع الجبار قدمه
فيها).

الرابعة: قوله «فتقول قط قط» يعني حسبي حسبي وفي تفسير عبد الرزاق
عن أبي هريرة (وتقول قط قط أي حسبي) وفي حديث أبي سعيد (قدني
قدني) والمعنى فيها جميعاً يكفي.

الخامسة: قوله «وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان» القائل هو محمد بن
موسى الراوي عنه وقال يوقفه من الرباعي وهو لغة والفصيح يقفه من الثلاثي

والمعنى أنه كان يرويه في أكثر الأحوال موقوفاً ويرفعه أحياناً وقد رفعه غيره أيضاً.

السادسة: قوله «تراجت الجنة والنار» وفي باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في التوحيد برواية الأعرج (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما).

السابعة: قوله «فقال النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم» وفي التوحيد (فقال الجنة يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين).
والتجبر والتكبر قيل هما بمعنى وقيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه والتجبر المنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكثرث بأمر) والسقط بفتح تين أي المحقرون بين الناس الساقطون من أعينهم.

الثامنة: قوله «قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي» في التوحيد (فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشياء).

التاسعة: قوله «ولكل واحد منهما ملؤها» في التوحيد (ولكل واحد منكما ملؤها).

العاشرة: قوله «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله... الخ» فيه بيان لكيفية ملئ الله النار كما وعدا وكذا قوله (وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً) وهذا دليل على توفيقه كلاً منهما ما وعدا وكمال عدله وسعة رحمته.

الحادية عشرة: قوله «ينشئ لها خلقاً» وعند مسلم في صفة الجنة من حديث أنس (ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل

الجنة) والمعنى أن الله عز وجل يوجد لفضل الجنة خلقاً جديداً لم يكونوا من أهل الدنيا فيسكنهم فضلها.

تنبيه

وقع عند المصنف في التوحيد برواية صالح بن كيسان عن الأعرج (وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها) قال القابسي: «المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقاً وأما النار فيضع فيها قدمه ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا» اهـ.

وجزم ابن القيم: «بأنه غلط واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه» حكاهما الحافظ.

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله:

«وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه (وأما النار فيبقى فيها فضل) والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب، وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب» اهـ من منهاج السنة (٢٥/٣).

قلت: وهذا يدل على حذق البخاري ودقته في البيان.

من فقه الأحاديث

أولاً: فيها من بديع صنعه وعظيم قدرته ما يبهر العقول وذلك بجعله جل وعلا الجنة والنار تميزان وتنطقان معبرتين عن مرادهما.

ثانياً: إثبات الرجل والقدم للرب جل وعلا ومن قال إن المراد بذلك جماعة من الناس فهو محجوج من وجهين:

أحدهما: قوله في الحديث (يضع رجله) فلو كان الأمر كما قال ذلك المؤلف لقال (يلقي).

وثانيهما: أنه لم يعرف في لغة من اللغات إطلاق الرجل والقدم على
الجماعة من الناس.
ثالثاً: سعة رحمته مع كمال عدله جل وعلا.

٣٣٤ - [باب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾]
 ش: قلت الآية: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
 الشمس وقبل الغروب﴾.

قوله عز وجل ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم
 واهجرهم هجراً جميلاً.

﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ وكانت الصلاة
 المفروضة قبل الإسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في
 وقت العصر وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ثم نسخ في
 حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس
 صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل
 الغروب.

وقال ابن القيم: «وتأمل قوله تعالى عقيب ذلك؛ قلت: يعني به قوله تعالى
 ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من
 لغوب﴾ فإنه جاء في تفسيرها أن اليهود سألو النبي ﷺ عن تلك الأيام فذكرها
 لهم وهي من الأحد إلى الجمعة فقالوا عليهم لعائن الله استراح يوم السبت قال
 فإن أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام نسبوه إلى ما لا يليق به وقالوا فيه ما هو
 منزّه عنه، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يصبر على قولهم ويكون له أسوة بربه
 سبحانه وتعالى حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق قال تعالى وسبح بحمد ربك قبل
 طلوع الشمس وقبل الغروب وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث من قال كذا
 وكذا حين يصبح وحين يمسي أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن
 محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر» انتهى من بدائع التفسير (٢١٠/٤).

٣٦٩ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد^(١) الله قال: كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال (إنكم ستزون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾).

٣٧٠ - حدثنا آدم حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عباس أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله ﴿وأدبار السجود﴾. ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ» في المواقيت باب فضل صلاة العصر برواية مروان (كنا عند النبي ﷺ).

الثانية: قوله «فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة» في المواقيت (فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر) وفي التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ برواية عمرو بن عون شيخ البخاري (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر) وعند أبي داود من رواية أبي أسامة كتاب السنة باب في الرؤية (إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ليلة أربع عشرة).

الثالثة: قوله «(إنكم ستزون ربكم كما ترون هذا القمر)» وعند الترمذي برواية وكيع (إنكم ستعرضون على ربكم فتزونه كما ترون هذا القمر).

الرابعة: قوله «(لا تضامون في رؤيته)» كذا للبناء للمفعول مع التخفيف أي لا يصيبكم ضم، وعند مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (لا تضامون في رؤيته) بتشديد الميم مع البناء

(١) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي مشهور مات سنة إحدى وخمسين وقيل بعدها، ع.

للمفعول والمعنى لا ينضم بعضكم لبعض فتزدحمون، وعند النسائي في تفسير هذه الآية برواية عبد الله بن إدريس (لا تضارون في رؤيته) أي لا يضر بعضكم بعضاً، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون تشبيه المرئي بالمرئي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وفي الحديث إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وهذا ما تظافر عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وأما مكان الرؤية فقد بينه شيخ الإسلام بقوله: وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسوله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى. ا.هـ من الواسطية من مجموع الفتاوى (١٤٤/٣).

قلت: فمن الأول ما أخرجه المصنف في باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ من كتاب التوحيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك. ومن الثاني ما رواه مسلم واحمد وغيرهما عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم).

قلت: وللإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني مصنف في هذا الباب سماه كتاب الرؤية، فراجعه.

تنبيه

أنكر هذه الرؤية الجهمية والمعتزلة وطوائف من المبتدعة مستندين إلى شبه باطلة وحجج واهية ومن تلك الشبه:

أولاً: أن إثبات هذه الرؤية يستلزم أن الله في جهة فإذا كان كذلك فهو جسم والجواب أن لفظ الجهة مجمل فإن أريد به جهة سفلى أو جهة علوى تحيط به وتحويه فهو باطل والنص والإجماع على خلاف ذلك، وإن أريد به جهة علوى لا تحيط به ولا تحويه فهذا هو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة وأجمع عليه الصحابة ومن بعدهم من أهل الحق.

ثانياً: قوله تعالى ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

وجواب ذلك أن الآية جاءت لنفي الإدراك وهو الإحاطة بالله عز وجل ولم تجئ بنفي الرؤية فإن الإدراك شئ والرؤية شئ آخر وعليه فهي دليل لإثبات الرؤية لا لنفيها.

ثالثاً: قوله تعالى حين سأله موسى أن ينظر إليه ﴿قَالَ لَنْ تَوَانِي﴾.

والجواب أن هذا لنفي رؤية الله في الدنيا وما دلت عليه النصوص هو رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وحال الناس في الآخرة تختلف عن حالهم في الدنيا وقد ذكر ابن القيم دلالة آية الأعراف هذه على رؤية المؤمنين ربهم من سبعة أوجه وقد ذكرناها في تفسير سورة الأعراف ضمن الباب الخامس والثلاثين بعد المائة.

الخامسة: قوله «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها فافعلوا» وزاد مسلم (يعني العصر والفجر) قلت: وفيه دليل على فضل هاتين الصلاتين والأحاديث في بيان فضلتهما والحث عليهما متواترة وقد ذكرنا بعضها ضمن الباب الرابع والأربعين.

السادسة: قوله «ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل

الغروب﴾» كذا في جميع رواياته عند المصنف وأبي داود والترمذي والنسائي

وابن ماجه وغيرهم، وعند مسلم (ثم قرأ جرير ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ وفي رواية شعبة عند أحمد (ثم تلا هذه الآية) فذكرها وعنده من رواية يحيى (ثم قال ﴿فسبح بحمد ربك... الآية﴾ ويمكن الجمع بأن قراءة الآية وقعت من رسول الله ﷺ ومن جرير.

السابعة: قوله «أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها» يعني قوله ﴿وأدبار السجود﴾.

قلت: والمعنى أن الله أمر نبيه أن يسبحه أدبار السجود من كل صلاة. والآية المشار إليها في هذا الخبر هي قوله تعالى ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ وقد اختلف أهل العلم في التسييح المأمور به في هذه الآية على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير:

أحدها: أنهما الركعتان اللتان يصليان بعد المغرب وهو قول علي بن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة رضي الله عنهم والشعبي ومجاهد وإبراهيم النخعي وابن عباس وجبير بن نفير والحسن والأوزاعي وقتادة.

وثانيها: أن المراد به التسييح بعد الصلوات المكتوبات دون الصلاة بعدها وبه قال ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما ويشهد له حديث الباب.

وثالثها: أنها النوافل في أدبار المكتوبات وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير من هذه الثلاثة أولها قال لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

آخر تفسير سورة ق والحمد لله.

سورة الذاريات

٣٣٥ - سورة والذاريات بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية ظاهر.
قال القرطبي: في قول الجميع مكية.
وآياتها ستون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال علي: ﴿الذاريات﴾ الرياح].

ش: أخرجه ابن جرير من عدة طرق منها: ثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعر قال سمعت علياً رضي الله عنه وخرج إلى الرحبه وعليه برداه فقالوا لو أن رجلاً سأل وسمع القوم قال فقام ابن الكواء فقال مالذاريات ذروا؟ فقال هي الرياح) وأخرجه أيضاً عن ابن عباس ومجاهد.

والآية المشار إليها ﴿والذاريات ذروا﴾.

٢ - [وقال غيره: ﴿تذروه﴾ تفرقه].

ش: قاله أبو عبيدة: (٤٠٥/١) وزاد في أوله تطيره، وفي آخره ويقال ذرته الريح تذروه وأذرته تذريرة. وأشار الشيخ به إلى الآية الخامسة والأربعين من سورة الكهف ومناسبه لما قبله للإستشهاد.

٣ - [﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ تأكل وتشرب في مدخل واحد

ويخرج من موضعين].

ش: قال الفراء عند قوله ﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضاً أن أحدكم يأكل ويشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين ثم عنفهم فقال ﴿أفلا تبصرون﴾. اهـ.

وأخرج ابن جرير عن أهل العلم في الآية قولين:

أحدهما: أنه بمعنى في سبيل الخلاء والبول في أنفسكم غيره لكم وهو قول

ابن الزبير.

وثانيهما: أنه بمعنى في تسوية الله تعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة

لكم وبه قال ابن زيد.

ثم قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال معنى ذلك وفي أنفسكم أيضاً أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم وأنه لا إله لكم سواه إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم».

٤ - ﴿فراغ﴾ فرجع.

ش: قاله الفراء وزاد: إليهم والروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه أو بجيئه ألا ترى أنك لا تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا؟ فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ. ا.هـ.

والآية المشار إليها ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾.

٥ - ﴿فصكت﴾ فجمعت أصابعها فضربت جبهتها.

ش: قاله الفراء وفي المصباح مادة صك صكه صكاً إذا ضرب قفاه ووجهه بيده مبسوطة.

قلت: وفي الآية قولان لأهل التأويل حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى لظمت وبه قال ابن عباس.

ثانيهما: بمعنى ضربت بيدها جبهتها تعجباً وهو قول السدي ومجاهد وسفيان.

والآية المشار إليها ﴿فأقبلت إمرأته في صرة فصكت وجهها وقالت

عجوز عقيم﴾.

٦ - ﴿والرميم﴾ نبات الأرض إذا يبس وديس.

ش: قاله الفراء وكذا قال ابن جرير وأخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾.

٧ - ﴿الموسعون﴾ أي لذوو سعة وكذلك ﴿على الموسع قدره﴾ يعني القوي].

ش: قاله الفراء وابن جرير وأخرج المعنى عن ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾.

٨ - ﴿خلقنا زوجين﴾ الذكر والأنثى واختلاف الألوان حلو وحامض فهما زوجان].

ش: قال الفراء: الزوجان من جميع الحيوان الذكر والأنثى ومن سوى ذلك اختلاف ألوان النبات، وطعوم الثمار، وبعض حلو وبعض حامض فذانك زوجان. اهـ.

وحكى ابن جرير في الآية قولين لأهل العلم بالتفسير:

أحدهما: أنه تعالى خلق نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة والهدى والضلال والشمس والقمر وهو قول مجاهد والحسن.

وثانيهما: أنه تعالى خلق الذكر والأنثى وبه قال ابن زيد.

واختار ابن جرير أولهما وهو أن الله تعالى خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيًا له مخالفًا في معناه فكل واحد منهما زوج للأخر.

قلت: وعموم الآية يؤيد هذا الاختيار.

والآية المشار إليها ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾.

٩ - ﴿ففرؤا إلى الله﴾ معناه من الله إليه].

ش: قال الفراء: معناه فرؤا إليه إلى طاعته من معصيته. اهـ.

وقال ابن جرير فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به واتباع أمره، والعمل بطاعته.

قلت: وليس بين هذه العبارات الثلاث اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿ففرؤا إلى الله﴾ معناه نذير مبين﴾.

١٠ - ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون وقال بعضهم خلَقَهم ليفعلوا، ففَعَلَ بعضٌ وترك بعض وليس فيه حجة لأهل القدر].
ش: قاله الفراء وزاد في أوله إلا ليوحدوني وهذه خاصة بقول وما خلقت أهل السعادة... الخ.

قلت: وفي الآية قولان حكاهما ابن جرير: أحدهما: بمعنى وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي وبه قال زيد بن أسلم وسفيان.
وثانيهما: بمعنى وما خلقت الجن والإنس إلا ليدعنوا لي بالعبودية وهو قول ابن عباس.

واختار ابن جرير ثاني هذين القولين.

قال مقيده: وما أحسن ما قاله الحافظ: وسبب الحمل على التخصيص وجود من لا يعبد، فلو حمل على ظاهره لوقع التناقض بين العلة والمعلول... إلى أن قال: وحاصل التأويلين أن الأول: محمول على أن اللفظ العام مراد به الخصوص، وأن المراد أهل السعادة من الجن والإنس، والثاني: باق على عمومته لكن بمعنى الاستعداد أي خلقهم معدين لذلك لكن منهم من أطاع ومنهم من عصى، وهو كقولهم الإبل مخلوقة للحرث أي قابلة لذلك، لأنه قد يكون فيها ما لا يحرث، وأما قوله وليس فيه حجة لأهل القدر فيريد المعتزلة، لأن محصل الجواب أن المراد بالخلق خلق التكليف لا خلق الجبلة، فمن وفقه عمل لما خلق له ومن خذله خالف، والمعتزلة احتجوا بالآية المذكورة على أن إرادة الله لا تتعلق به، والجواب أنه لا يلزم من كون الشرع معللاً بشيء أن يكون ذلك الشيء مراداً وأن لا يكون غيره مراداً، ويحتمل أن يكون مراده بقوله وليس فيه حجة لأهل القدر أنهم يحتاجون بها على أن أفعال الله لا بد وأن تكون معلولة فقال: لا يلزم من وقوع

التعليل في موضع وجوب التعليل في العبادة إليهم فقال لا حجة لهم في ذلك لأن الإسناد من جهة الكسب. اهـ.

١٢ - ﴿والذنوب﴾ الدلو العظيم].

ش: قاله الفراء وزاد في آخره: ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ.

والآية المشار إليها ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾.

١٣ - [وقال مجاهد: ﴿صرة﴾ صيحة].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرجه عن ابن عباس وابن سابط وابن زيد والضحاك. وأخرج عن قتادة نحوه.

وقد مضت الآية المشار إليها في الأثر الخامس.

١٤ - ﴿ذنوباً﴾ سيلاً].

ش: أخرجه ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً﴾ قال سيلاً. حكاه الحافظ.

قلت: وأخرجه ابن جرير بإسناد الذي قبله بلفظ: سجالاً.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثاني عشر.

١٥ - ﴿العقيم﴾ التي لا تلد].

قلت: الوصف بالعقم جاء في هذه السورة مرتين:

إحدهما: في قصة إبراهيم وقد تقدمت ضمن الأثر الخامس ولعلها مراد

المصنف، قال فيها الضحاك برواية مشاش قال "لا تلد"، وفي رواية أبي ساسان عنه قال "التي ليس لها ولد". أخرجهما ابن جرير.

والثانية: في قصة عاد وهي قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قال فيها ابن عباس "الريح الشديدة التي لا تلقح شيئاً، وقال الضحاک ليس فيها بركة، وقال مجاهد: ليس فيها رحمة ولا نبات. أخرجها ابن جرير.

١٦ - [وقال ابن عباس: والحبك استواؤها وحسنها].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن سعيد بن جبير مثله.

وأخرج عن الحسن وعكرمة والربيع بن أنس وقتادة ومجاهد والضحاک وابن زيد نحوه.

وقال الفراء: الحبك تكسر كل شيء كالرملة إذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم إذا مرت به الريح والدرع درع الحديد لها حبك أيضاً، والشعيرة الجعدة تكسرهما حبك وواحد الحبك حبك وحببكة. اهـ

قلت: وعبارة ابن عباس ومن وافقه أبلغ لمشاهدة الحسن والجمال والإستواء في خلق السماء معانية.

والآية المشار إليها ﴿والسمااء ذات الحبك﴾.

١٧ - [﴿في غمرة﴾ في ضلالتهم يتمادون].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة وسفيان وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون﴾.

١٨ - [وقال غيره: ﴿تواصوا﴾ تواطؤوا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد عليه وأخذه بعضهم عن بعض وإذا كانت شيمة غالبية على قوم قيل كأنما تواصوا بكذا وكذا.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب.
قلت: وهاتان العبارتان متفقتان في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿تواصوا به بل هم قوم طاغون﴾.

١٩ - [وقال ﴿مسومة﴾ معلمة من السيما].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال إنه كان عليها مثل الخواتيم.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس قال المسومة: الحجارة المختومة.

والآية المشار إليها ﴿مسومة عند ربك للمسرفين﴾.

٢٠ - [﴿قتل الخراصون﴾ لعنوا].

ش: قاله الفراء وزاد: الكذابون الذين قالوا: محمد ﷺ مجنون، شاعر

كذاب، ساحر، خرصوا ما لا علم لهم به.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: "لعن المرتابون".

آخر تفسير سورة الذاريات والله الحمد والمنة.

سورة الطور

سورة الطور بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَسْيطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير.
قال القرطبي: مكية في قول الجميع.
وآياتها تسع وأربعون.

شرح جملة من الآثار

١ - [وقال قتادة: ﴿مسطور﴾ مكتوب].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فذكره.

وأخرج عن مجاهد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿وكتاب مسطور﴾.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿الطور﴾ الجبل بالسريانية].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

قلت: وفي هذا الإسم ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير في ج ١ ص ٣٢٥ عند قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الآية الثانية والستين من سورة البقرة:

أحدها: قول مجاهد هذا وبه قال قتادة والسدي وعكرمة وابن زيد.

وثانيها: أنه اسم للجبل الذي ناجى الله موسى عليه وهو قول ابن عباس وعطاء.

وثالثها: أنه اسم لما أنبت خاصة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

٣ - [﴿ورق منشور﴾ صحيفة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن قتادة نحوه.

وقال الفراء: والرق الصحف التي تخرج إلى بني آدم فأخذ كتابه يمينه وأخذ كتابه بشماله. اهـ.

٤ - [﴿والسقف المرفوع﴾ سماء].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج عن علي وقاتدة وابن زيد مثله.

٥ - ﴿المسجور﴾ الموقد].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن زيد مثله وعن علي رضي الله عنه وشمر بن عطية نحوه وهو أحد أربعة أقوال في الآية حكاه ابن جرير:

ثانيها: أنه بمعنى المملؤ وهو قول قتادة.

ثالثها: أنه بمعنى الذي ذهب ماؤه وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أنه بمعنى المحبوس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير أن معناه البحر المملؤ المجموع ماؤه بعضه في بعض فقال: وذلك أن الأغلب من معاني السجر الإيقاد كما يقال سجرت التنور بمعنى أوقدت أو الإمتلاء.

والآية المشار إليها ﴿والبحر المسجور﴾.

٦ - [وقال الحسن: تسجر حتى يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة].

ش: يأتي في تفسير سورة التكوير.

٧ - [وقال مجاهد: ﴿التناهم﴾ نقصناهم].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج عن ابن عباس والربيع بن أنس مثله وعن سعيد بن جبير وقاتدة والضحاك وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم

ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾.

٨ - [وقال غيره: ﴿تمور﴾ تدور].

ش: قاله الفراء، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد ونحوه عن ابن عباس والضحاك وقاتدة وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى تتشقق وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

واختار ابن جرير أن معناه تدور وتكفأ.

والآية المشار إليها ﴿يوم تمور السماء مورا﴾.

٩ - ﴿أحلامهم﴾ العقول].

ش: قاله الفراء وزاد والألباب.

والآية المشار إليها ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون﴾.

١٠ - [وقال ابن عباس ﴿البر﴾ اللطيف].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره.

والآية المشار إليها ﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾.

١١ - [كسفاً قطعاً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وأخرج عن قتادة مثله.

والآية المشار إليها ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب

مركوم﴾.

١٢ - [المنون الموت].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله وأخرجه عن قتادة

وأبي سنان وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه حوادث الدهر وهو قول مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿أم يقولون شاعر نربص به ريب المنون﴾.

١٣ - [وقال غيره: ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي يتداولون قال الأخطل:

نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

والآية المشار إليها ﴿يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم﴾.

٣٧١ - حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة^(١) عن أم سلمة^(٢) قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني اشتكي فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب (مسطور).

٣٧٢ - حدثنا الحميدي ثنا سفيان حدثوني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم^(٣) عن أبيه رضي الله عنه^(٤) سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكٍ أَمْ هُمُ الْمَسْيطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير).

قال سفيان: فأما أنا فإنما سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور لم أسمعه زاد الذي قالوا لي.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني اشتكي» تعني أنها ضعيفة ولا تقدر على الطواف مع الناس كما عند النسائي في تفسير هذه السورة من رواية عبد الرحمن (أنها قدمت مكة وهي مريضة فذكرت ذلك للنبي ﷺ).

(١) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم ماتت سنة ثلاث وسبعين وحضر ابن عمر جنازتها قبل أن يهج وعموت بمكة ع.

(٢) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعدما مات أبوسلمة سنة أربع وقيل ثلاث ماتت سنة اثنتين وستين ع.

(٣) هو محمد بن جبير بن مطعم النوفلي ثقة عارف بالنسب من الثالثة مات على رأس المائة ع.

(٤) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي صحابي عارف بالأنساب مات سنة ثمان أو تسع وخمسين ع.

الثانية: قوله «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» وعند النسائي (من وراء المصلين) وعند المصنف في باب من صلى ركعتي الطواف خارجاً من المسجد من كتاب الحج برواية هشام عن عروة عن أم سلمة (ان رسول الله ﷺ قال وهو بمكة واراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت وأرادت الخروج فقال لها رسول الله ﷺ (إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون، ففعلت ذلك فلم تصل حتى خرجت) قلت: فبان بهذا التفسير ثلاثة أمور:

أحدها: أن ذلك الطواف هو طواف الوداع.

وثانيها: أن أم سلمة طافت من وراء الناس وهم في الصلاة.

وثالثها: تأخيرها يعني ركعتي الطواف حتى خرجت من البيت.

الثالثة: قوله «والنبي ﷺ يصلي إلى جنب البيت» سبق بيان هذه الصلاة في رواية هشام وأنها صلاة الصبح.

الرابعة: قوله «سمعت النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور» وفي الجهاد برواية معمر (وكان جاء في أسارى بدر).

الخامسة: قوله «فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ إِلَى قَوْلِهِ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ﴾».

قال الخطابي: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفة بما تضمنته ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه وذلك من قوله تعالى ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قيل معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شيء، أي هل خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟ وقيل المعنى أم خلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا انكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً ثم قال ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق

السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم، فقامت الحجة، ثم قال: ﴿بَلْ لَا يوقنون﴾ فذكر العلة التي عاقبتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جبر حتى كاد قلبه يطير ومال إلى الإسلام. انتهى.

السادسة: قوله «حدثنا سفيان» هو ابن عيينة قال حدثوني عن الزهري اعترضه الإسماعيلي بما أخرجه من طريق عبد الجبار بن العلاء وابن أبي عمير كلاهما عن ابن عيينة (سمعت الزهري قال) فصرحا عنه بالسماع، وهما ثقتان. قلت: وهو اعتراض ساقط فإنهما ما أوردا من الحديث إلا القدر الذي ذكره الحميدي عنه بانه لم يسمعهما من الزهري وإنما بلغته عنه بواسطة. هـ من الفتح.

من فقه الحديثيين

أولاً: جواز الطواف راكباً لمن كان معذوراً وهل يجوز لغيره فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عدم الجواز وهذا ما يفهم من كلام الخرقى وهو إحدى الروايات عن أحمد وحثهم أن النبي ﷺ قال (الطواف بالبيت صلاة) لأنها عبادة تتعلق بالبيت فلم يجوز فعلها راكباً لغير عذر كالصلاة.

وثانيها: أنه يجزئه ويجبره بدم وهذا قول مالك وبه قال أبو حنيفة إلا أنه قال يعيد ما كان بمكة فإن رجع جبره بدم وحثه أنه ترك صفة واجبة في ركن الحج فأشبهه ما لو وقف بعرفة نهاراً ودفع قبل غروب الشمس.

وثالثها: أنه يجزئه ولا شيء عليه وبه قال الشافعي وابن المنذر وأبو بكر، ودليلهم ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير يستلم البيت بمحجن) وهذا هو أرجح

الأقوال إن شاء الله تعالى لأن طوافه ﷺ ركباً كان في حجة الوداع كما هو صريح الحديث.

ثانياً: جواز طواف المرأة من وراء الناس إذا كانوا في الصلاة.

ثالثاً: جواز تأخير ركعتي الطواف وأدائهما خارج المسجد لعذر.

رابعاً: جواز تطويل صلاة المغرب.

خامساً: يسوغ للراوي أن يؤدي بعد إسلامه ما تحمله في كفره.

آخر تفسير سورة الطور والحمد لله.

سورة النجم

سورة النجم بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

وقد رواه المصنف أيضاً في مواضع ومسلم وأبو دواد والنسائي من طرق عن أبي إسحاق.

وهي مكية جميعها في قول الجمهور.
وآياتها ثنتان وستون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿ذو مرة﴾ ذو قوة].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحديثي الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (جرير).

وأخرج عن سفیان وابن زيد والربيع مثله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى ذو خلق حسن وهو قول ابن عباس وقتادة وهذا هو ما اختاره ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿ذو مرة فاستوى﴾.

٢ - [قاب قوسين] حيث الوتر من القوس].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج عن قتادة والحسن قالاً: قيد قوسين.

والآية المشار إليها ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.

٣ - [ضيزى] عوجاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو أحد أربعة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى جائرة وبه قال ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى منقوضة وهو قول سفیان.

ورابعها: بمعنى مخالفة وبه قال ابن زيد.

قلت: والخلاف بين هذه الأقوال لفظي.

والآية المشار إليها ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾.

٤ - ﴿وَأَكْدَى﴾ قطع عطاءه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: (انقطع عطاءه).
وأخرج عن ابن عباس وابن طاوس وقتادة والضحاك مثله وعن ابن زيد نحوه.

وقال أبو عبيدة: معنى أكدي قطع اشتقت من كدية الركبة وكدية الرجل وهو أن يحفر حتى يئس من الماء فيقول بلغنا كديتها.
والآية المشار إليها ﴿وأعطى قليلاً وأكدي﴾.
٥ - ﴿رب الشعري﴾ هو مرزَم الجوزاء].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة وابن زيد أنه كوكب الشعري.

قلت: وهذا نجم كانوا يعبدونه من دون الله.

والآية المشار إليها ﴿وأنه هو رب الشعري﴾.

٦ - ﴿الذي وفى﴾ وفى ما فرض عليه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج في المعنى عن ابن عباس وهو أحد خمسة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه وفى بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير وسفيان وابن زيد.

وثالثها: أنه وفى بما في صحف إبراهيم وبما رأى في المنام من ذبح إبنه وبه قال ابن عباس في الرواية الثالثة والقرضي.

ورابعها: أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى ﴿سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ حتى ختم الآية ولم ينسبه إلى أحد.

وخامسها: أنه وفيّ ربه عمل يومه وأخرج فيه حديثاً عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: ﴿وإبراهيم الذي وفيّ﴾ قال أتدرون ما وفيّ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: وفيّ عمل يومه أربع ركعات في النهار.

وأولى هذه الأقوال هو أولها بالصواب عندي لشموله جميع هذه المعاني.

والآية المشار إليها ﴿وإبراهيم الذي وفيّ﴾.

٧ - [أزفت الآزفة] إقربت الساعة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿أزفت الآزفة﴾.

٨ - [سامدون] البرطمة وقال عكرمة يتغنون بالحميرية].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن

مجاهد فذكره.

والبرطمة هي بفتح الموحدة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة الإعراض.

وقال ابن عيينة: البرطمة هكذا ووضع ذقنه في صدره.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن زيد نحوه وأخرج تفسير السمود بالغناء

عن ابن عباس.

والآية المشار إليها ﴿وأنتم سامدون﴾.

٩ - [وقال إبراهيم ﴿أفتمارونه﴾ أفجعلونه، ومن قرأ "أفتمرونه" يعني

أفجحدونه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن

إبراهيم فذكره.

قلت: فالأخيرة هي قرأة حمزة والكسائي والأولى قراءة الجمهور.

والآية المشار إليها ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾.

١٠ - [مازاغ البصر] بصر محمد ﷺ].

ش: وفي رواية لأبي ذر (وقال.... الخ): وهذا يشعر أنه من مقول إبراهيم ولم أجد مخرجاً عنه بل هو الفراء. ليس هو قول إبراهيم كما يتبادر إلى الذهن من السياق بل هو قول الفراء وزاد: ما زاغ بقلبه يميناً وشمالاً.
١١ - ﴿وما طغى﴾ ولا جاوز ما رأى].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها بالكلمتين ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾.
١٢ - ﴿فتماروا﴾ كذبوا].

ش: هذه الكلمة في السورة التي بعد هذه وهي الآية السادسة والثلاثون ولعله من بعض النساخ.

١٣ - [وقال الحسن ﴿إذا هوى﴾ غاب].

ش: وصله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عنه، وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال إذا سقط وعن ابن عباس إذا إنصب.
والآية المشار إليها ﴿والنجم إذا هوى﴾.

١٤ - [وقال ابن عباس ﴿أغنى وأقنى﴾ أعطى فأرضى].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن سعد ثنا أبي ثني عمي ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد مثله وهو أحد أقوال خمسة حكاهما.

وثانيها: أنه أغنى بالمال وأقنى القنية وهو قول أبي صالح.

وثالثها: عنى بقول أغنى أخدم وهو قول مجاهد في الرواية الثانية وبه قال

الحسن وقتادة.

ورابعها: بمعنى أرضى وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية ومجاهد في

الرواية الثالثة وبه قال سفيان.

وخامسها: بمعنى أغنى من شاء وأفقر من شاء من خلقه وبه قال ابن زيد.

ويتزجج عندي من هذه الأقوال أولها لأنه بمعنى القناعة ويوافق حديث (ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس).

وقال: (ﷺ أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنع بما رزقه الله).
والآية المشار إليها ﴿وإنه هو أغنى وأقنى﴾.

٣٧٢ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمته هل رأى محمد ﷺ ربه فقالت: لقد قف شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمد ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «يا أمته هل رأى محمد ﷺ ربه» وعند الترمذي في تفسير هذه السورة قصة في سياقه فقد أخرج من طريق مجالد عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم فقال له كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه) وعند عبد الرزاق من هذه الطريق في تفسير هذه السورة (فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم نزعم أو نقول إن محمداً قد رأى ربه مرتين قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إن الله قسم رؤيته بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه قال مجالد وقال الشعبي: فأخبرني مسروق أنه قال لعائشة قلت: أي أمته هل رأى محمد ربه) قال الحافظ: ولا بن مردويه من طريق إسماعيل بن أبي خالد

عن الشعبي عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن كعب مثله قال: يعني الشعبي فأخبرني مسروق أنه قال لعائشة فذكر الحديث. اهـ قلت: وبهذا يتقوى خبير مجالد، وظهر بهذه الزيادة سبب سؤال مسروق لعائشة وقوله يا أمته أصله يا أم والهاء للسكت فأضيفت إليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء وزيدت هاء السكت بعد الألف.

الثانية: قوله (لقد قف شعري مما قلت) أي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبه الله عز وجل.

وقال النضر بن شميل: القفه بفتح القاف وتشديد الفاء كالفشعريرة وأصله التقبض والاجتماع، لأن الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك. وعند الترمذي (لقد تكلمت بشئ قف له شعري).

الثالثة: قوله «أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب» وعند مسلم في الإيمان باب معنى قوله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ من رواية داود (فقلت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمَيِّنِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

الرابعة: قوله «من حدثك أن محمد ﷺ رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾».

وعند مسلم (فقلت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾.

قال مقيده: فظهر بهذا أن عائشة رضي الله عنها كانت مستندة فيما نفتته من رؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء على حديث مرفوع، ولم تكن مقتصرة على الاستنباط من الآيتين.

الخامسة: قوله «ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿و ما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾»، قلت: هذه قطعة من قوله تعالى ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾ وقد تقدم شرحها في تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين وفي رواية داود ابن أبي هند (ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾).

السادسة: قوله «ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك... الآية﴾»، وعند مسلم (ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾).

قلت: وقد تقدم شرح هذه الآية في تفسير المائة ضمن الباب الرابع عشر بعد المائة.

السابعة: قوله «ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين» قلت: لما نفت عائشة رضي الله عنها رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء بعينيه في جوابها على سؤال مسروق إستدركت بقولها (لكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين) وهذا وإن كان صورته الوقف إلا أنه يستند إلى أحاديث مرفوعة منها ما ذكرته عائشة نفسها في جوابها لمسروق عند مسلم قالت: أنا أول هذه الأمة

سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلقه ما بين السماء إلى الأرض).

تنبيه

جاء عن ابن عباس في أكثر الروايات عنه وأبي صالح والريبع أن رسول الله ﷺ رأى ربه بقلبه ليلة الإسراء أخرجه عنهم جميعاً ابن جرير وروى مسلم في الإيمان باب معنى قوله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ عن عطاء عن ابن عباس قال: (رآه بقلبه) وفي لفظ له من طريق أبي العالية (رآه بفؤاده مرتين). فالجمع بين هذه الأحاديث وحديث الباب يحمل النفي في حديث عائشة على رؤية البصر، والإثبات في حديث ابن عباس وغيره على رؤية القلب.

من فقه الحديث

- أولاً: حرص السلف رحمهم الله على تعلم السنة.
- ثانياً: فقه عائشة رضي الله عنها ورسوخها في العلم.
- ثالثاً: حجب الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما علمه الله.
- رابعاً: عدم رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء بعينه.

٣٣٨ - [باب ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾]

ش: قلت وقبلها: ﴿ثم دنى فتدلى﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وإنما هو ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله ﴿دنا﴾ إذ كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو كما يقال: زارني فلان فأحسن وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأساء وأساء فشتمني لأن الإساءة هي الشتم والشتم هو الإساءة. قاله ابن جرير، وأخرجه عن الحسن وقتادة والربيع بن أنس وأخرج عن ابن عباس وأنس بن مالك أن المعنى بذلك ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلى. وقوله ﴿﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما إذا مدا. قاله مجاهد وقتادة.

وقوله تعالى ﴿أو أدنى﴾ هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ أي ماهي بالين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله ﴿يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾.

[حيث الوتر من القوس]

ش: تقدم في الباب قبله عن مجاهد في الأثر رقم اثنين.

٣٧٤ - حدثنا أبو النعمان حدثنا عبد الواحد حدثنا الشيباني قال سمعت

زرأ عن عبد الله ﷺ ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

ش: فيه مسألان:

الأولى: قوله «سمعت زراً» القائل هو الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان فيروز الكوفي وفي الباب بعد هذا برواية زائدة قال سألت زراً عن قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾.

الثانية: قوله «حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح» وفي الباب بعده أخبرنا عبد الله: أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح) وفي رواية عباد بن منيع عند النسائي في تفسير السورة أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح) وفي رواية شعبة عند مسلم في الإيمان باب ذكر سدره المنتهى قال (رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح).

٣٣٩ - [باب قوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾]

ش: فيها قولان لأهل العلم حكاهما ابن جرير:

أحدهما: بمعنى فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه وجعلوا قوله ما أوحى
بمعنى المصدر وبه قال ابن عباس.

وثانيهما: أن المقصود به جبريل وهو قول الحسن والربيع وابن زيد وهذا
هو ما اختاره ابن جرير قال لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن
رسول الله ﷺ وعن جبريل عليه السلام وقوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ في
سياق ذلك ولم يأت ما يدل على إنصراف الخبر عنهما فيتوجه ذلك إلى ما
صرف إليه.

وقال ابن القيم: «ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى، ودنوه وتدليه
وقربه من رسول الله ﷺ وإيحاء الله ما أوحى، فصور سبحانه لأهل الإيمان
صورة الحال من نزول جبريل من عنده، إلى أن استوى بالأفق، ثم دنا وتدلى
وقرب من رسوله فأوحى إليه ما أمره الله بإيحاؤه، حتى كأنهم يشاهدون صورة
الحال ويعاينونها هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى، مستوياً عليه، ثم
نزل وقرب من محمد ﷺ وخاطبه بما أمره الله به، قائلاً: ربك يقول لك
كذا وكذا» انتهى محل الغرض من البيان في أقسام القرآن.

٣٧٥ - حدثنا طلق بن غنام حدثنا زائدة عن الشيباني قال: سألت زراً

عن قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال:
أخبرنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «أن محمداً ﷺ» وفيما ما اعتمده الحافظ (أنه محمد ﷺ)

وقال في الشرح هنا: ووقع عند أبي ذر (أن محمداً رأى جبريل) وهذا أفصح في
المراد.

قلت: وهو ظاهر في ثلاثة أمور:

أحدها: موافقة ابن مسعود رضي الله عنه للحسن والربيع وابن زيد في أن المعنى بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى أنه جبريل.

ثانيها: موافقة عائشة في أن رسول الله ﷺ لم ير ربه ليلة الإسراء.

ثالثها: موافقة الحسن والربيع ابن أنس وابن زيد في أن المراد بقوله ثم دنى فتدلى أنه جبريل.

الثانية: قوله «لله ستمائة جناح» زاد عاصم بن أبي النجود كما عند

النسائي في تفسير السورة عن زر قال يتناثر منها تهاويل الدر.

قلت: عاصم هذا صدوق له أوهام، وعزاه الحافظ إلى ابن مردويه، وأخرج

النسائي عن أبي اسحاق عن زر بن حبيش قال رأى جبريل عليه السلام قد سد الأفق:

٣٤٠ - [باب ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه بأن رسول الله ﷺ رأى حين أسري به من الآيات العظام الدالة على وحدانية الله ووصفها بالكبرى لعظمها وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآيات الكبرى على قولين حكاهما ابن جرير:

أحدهما: أن المراد به رفر ف رفر ف أخضر قد سد الأفق وبه قال ابن مسعود.

وثانيهما: أنه رأى جبريل في صورته وهو قول ابن زيد.

٣٧٦ - حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة

عن عبد الله رضي الله عنه ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال: رأى رفر فاً أخضر قد سد الأفق.

ش: قوله «رأى رفر فاً أخضر قد سد الأفق» هذا يخالف في ظاهره حديثه

السابق أنه محمد ﷺ رأى جبريل الخ لكن يوضح المراد ما رواه النسائي

والحاكم في تفسير هذه السورة كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد

عن ابن مسعود في قوله ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال أبصر نبي الله ﷺ جبريل

على رفر ف قد ملأ ما بين السماء والأرض) ومن هذا الوجه عند الترمذي في

تفسير السورة قال (رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفر ف قد ملأ ما بين

السماء والأرض) فتحصل من هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل

والصفة التي كان عليها وهي أنه على رفر ف قد ملأ ما بين السماء والأرض وأن

الرفرف هو الحلة ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿متكئين على رفر ف خضر

وعبقري حسان﴾ وأصل الرفرف ما كان من الديات رقيقاً حسن الصنعة ثم

اشتهر استعماله في الستر ويقال رفر ف الطائر بجناحيه إذا بسطهما).

٣٤١ - [باب ﴿أفرايتم اللات والعزى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام ﴿أفرايتم اللات﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

والعزى شجرة عليها بناء وأستار بنخله وهي بين مكة والطائف وكانت قريش يعظمونها.

ومن نظائر هذه الآية في توبيخ عبدة الأصنام وتقريعهم قوله تعالى في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الزمر ﴿قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾.

٣٧٧ - حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب^(١) حدثنا أبو الجوزاء^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿اللات والعزى﴾ كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج.

٣٧٨ - حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليصدق).

ش: فيهما ست مسائل:

- (١) هو جعفر بن حيان السعدي العطاردي البصري مشهور بكنيته ثقة من السادسة مات سنة خمس وستين وله خمس وتسعون سنة ع.
- (٢) هو أوس بن عبد الله الربعي بصري يرسل كثيراً ثقة من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ع.

الأولى: قوله «كان اللات رجلاً» هذا على قراءة التشديد وبها قرأ مجاهد وأبو صالح وجعلوه صفة للوثن الذي عبدوه والقراءة الثانية قراءة التخفيف وبها قرأ عامة القراء ومعناه على ما تقدم تفسيره في الآية.

الثانية: قوله «يلت سويق الحاج» وعند ابن جرير عن مجاهد (كان يلت السويق للحاج فعكف على قبره) قلت: والسويق هو دقيق الدخن بعد حمسه وأما لته فغالباً بالسمن وقد اختلف في اسم ذلك الرجل فزعم بعض الناس أنه عامر بن الضرب وهو بفتح الظاء المشالة وكسر الراء ثم موحدة وهو العدواني بضم المهملة وسكون الدال، وكان حكم العرب في زمانه وفيه يقول شاعرهم: ومنا حكم يقضي ولا ينقض ما يقضي، وحكى السهيلي أنه عمرو بن لحي والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي فقد اخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي إنه لم يموت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً.

وحكى ابن الكلبي أن اسمه صرمه بن غنم. اهـ من الفتح مع تصرف.

الثالثة: قوله «من حلف» زاد في الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً (من حلف منكم) والحلف والحلف القسم لغتان حلف أي قسم يحلف حلفاً وحلفاً وحلفاً ومحلوقاً وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور والواحدة حلقة، ويقولون: محلوفه بالله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يحلف بالله محلوفه أي قسماً والحلوفة هو القسم ورجل حالف وحلاف وحلافه كثير الحلف، وأحلفة الرجل وحلفته واستحلفته بمعنى واحد ومثله أرهبته واسترهبته وقد استحلفته بالله ما فعل كذا وحلفه وأحلفه. اهـ قاله في اللسان. مادة: حلف.

الرابعة: قوله «فقال في حلفه واللات والعزى» وفي الأدب (باللات

والعزى).

الخامسة: قوله «فليقل لا إله إلا الله» قال ابن العربي: من حلف بها جاداً فهو كافر ومن قالها جاهلاً أو ذاهلاً يقول لا إله إلا الله يكفر الله عنه ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو). ١. هـ حكاها الحافظ.

تنبيه

قال مقيدته: واعلم أنه قد صح عن النبي ﷺ النهي عن الحلف بغير الله فلا تظنه مختصاً بهذين الصنمين وإنما غلظ النبي ﷺ على من أقسم بهما وأمره أن يقول لا إله إلا الله لأنهما كانتا تعبدان من دون الله وإليك بعض ما ورد من الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ في النهي عن الحلف بغير الله، ففي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

وعن بريدة مرفوعاً (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله إجماعاً.

قلت: وبهذا تعلم أن ما قاله بعض المتأخرين أن ذلك على سبيل كراهة التنزيه باطل ولا يلتفت إليه مع النص والإجماع في تحريم الحلف بغير الله مهما كان من المخلوقين وإن كان النبي ﷺ فإذا تقرر هذا فاعلم أن الحلف بغير الله على ضربين:

أحدهما: شرك أكبر يخرج من الملة وذلك إذا اعتقد أن المحلوف به مثل الله

في التعظيم والعظمة.

وثانيهما: شرك أصغر ينافي كمال التوحيد إن لم يعتقد في المحلوف به

المساواة بالله.

السادسة: قوله «ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق» قال الخطابي: أي بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث وهذا هو الصواب.

ويؤيده رواية معمر عند مسلم (فليتصدق بشيء) قلت: والمقامرة هي المغالبة والمخادعة يقال قامر الرجل مقامرة وقماراً راهنه وهو التقامر والقمار المقامرة، وتقامروا: لعبوا القمار، وقميرك الذي يقامرك، وقد قمره يقمره قمرأً وقمرت الرجل أقمره بالكسر قمرأً إذا فاخرته فيه فغلته. اهـ قاله في اللسان مادة قمر.

من فقه الحديثين

أولاً: في أمره ﷺ الخالف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله سد لذرائع الشرك ووسائله.

ثانياً: تحريم العكوف على القبور تعظيماً لأهلها وأن لم يقصد بذلك عبادتهم.

ثالثاً: تحريم الحلف بغير الله وقد عرفت في الشرح أقسامه.

رابعاً: تحريم الدعوة إلى المعصية.

خامساً: تحريم المقامرة لما فيها من الضحك على الناس وأكل الأموال

بالباطل.

٣٤٢ - [باب ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾]

ش: وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعه والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة، قال العلماء وفي قوله الثالثة الأخرى صفة ذم للثالثة أي لأنها بمعنى المتأخرة الوضعية المقدار كقولته تعالى ﴿وقالت أخراهم﴾ أي وضعاهم ﴿لأولاهم﴾ أي لأشرفهم. ا.هـ.

٣٧٩ - حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري سمعت عروة قلت: لعائشة رضي الله عنها فقالت: إنما كان من أهل بمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون، قال سفيان: مناة بالمشلل من قديد وقال عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: نزلت في الأنصار، كانوا هم وغسان قبل أن يسلموا يهلون لمناة مثله) وقال معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة، ومناة صنم بين مكة والمدينة قالوا يا نبي الله كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، نحوه.

ش: سبق شرحه في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثالث والعشرين.

[باب ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾] - ٣٤٣

ش: يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الألهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له فاخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه.

فائدة

قال شيخ الإسلام: «العبادة أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. اهـ من العبودية ص ٤

قلت: ولا بد لها من شرطين وهما تجريد الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ. «

٣٨٠ - حدثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس).

تابعه ابن طهمان عن أيوب ولم يذكر ابن علي بن عباس.

٣٨١ - حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف).

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «سجد النبي ﷺ بالنجم» وأخرج الحاكم في تفسير السورة من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن ابيه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ سجد فيها يعنى والنجم).

الثانية: قوله «وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» إنما أعاد الجن والإنس مع دخولهم في المسلمين لنفي توهم إختصاص ذلك بالإنس، قال الكرمانى (١١٦/١٩): «فإن قلت لم سجد المشركون قلت لأنها أول سجدة نزلت فأرادوا معارضة المسلمين بالسجدة لمعبودهم أو وقع ذلك منهم بلا قصد أو خافوا في ذلك المجلس من مخالفتهم».

الثالثة: قوله «تابعه ابن طهمان عن أيوب» قلت المتابع هو عبد الوارث ومتابعة ابن طهمان له وصلها الإسماعيلي من طريق حفص بن عبد الله النيسابوري عنه بلفظ (إنه قال حين نزلت السورة التي يذكر فيها النجم سجد لها الإنس والجن) حكاه الحافظ.

الرابعة: قوله «ولم يذكر ابن علي بن عباس» قلت ابن علي هو إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علي ومراد البخاري أن ابن علي حدث بالخبر عن أيوب عن عكرمة فأرسله، ولكن هذا الإرسال غير قادح في صحة الحديث لإتفاق ثقتين على وصله وهما إبراهيم بن طهمان وعبد الوارث.

الخامسة: قوله «أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم» ووقع في رواية زكريا عن أبي إسحاق عند الإسماعيلي في أول هذا الحديث (إن أول سورة استبان بها رسول الله ﷺ فقراً على الناس النجم) وله من رواية زهير بن معاوية (أول سورة قرأها على الناس النجم) حكاه الحافظ.

السادسة: قوله «إلا رجلاً» وفي أبواب سجود القرآن من رواية شعبة (غير شيخ) وفيه من رواية حفص عن شعبة (فما بقي أحد من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفاً من حصي) وهذا ظاهره تعميم سجودهم لكن يشكل عليه

ما رواه النسائي في باب السجود في والنجم من كتاب الإفتاح في سنته عن
عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه قال: قرأ رسول
الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت أن
أسجد ولم يكن يومئذ أسلم).

قلت: في إسناده جعفر بن المطلب قال الحافظ في التقريب مقبول وعلى
فرض صحته فالجمع بينه وبين حديث الباب بحمل تعميم ابن مسعود بالنسبة إلى
من اطلع عليه.

السابعة: قوله «فرايته بعد ذلك قتل كافراً» وفي رواية شعبة (فلقد رأيت
بعد قتل كافراً) والتقدير فوالله لقد رأيت.

الثامنة: قوله «وهو أمية بن خلف» وافق إسرائيل في تسميته زكريا بن أبي
زائدة عند الإسماعيلي حكاه الحافظ.

فإن قلت: يعارض حديث الباب ما أخرجه ابن جرير عن القرظي أن الذي
لم يسجد هو الوليد بن المغيرة فالجواب أن هذا الخبر ضعيف كما سيأتي.

تنبيه

قد يقول قائل: ظهر من خلال هذين الحديثين صراحة أن سبب سجود
المشركين هو تلاوة النبي ﷺ سورة النجم وسجوده بعد ذلك فكيف تصنعون بما
جاء من طريق محمد بن كعب القرظي رحمه الله قال: (لما رأى رسول الله ﷺ
تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباحثهم ما جاءهم به من عند الله تمنى
في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه، وكان يسره مع حبه
وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما أغلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه
وتمنى وأحبه، فأنزل الله ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ فلما
انتهى إلى قول الله ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى
الشیطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه: تلك

الغرائيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبیهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يهتمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل، فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة، سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبیهم تصديقاً لما جاء به واتباعاً لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيخاً كبيراً، فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس، من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرائيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ وقيل أسلمت قريش، فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون، وأتى جبرائيل النبي ﷺ فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله ﷺ عند ذلك وخاف من الله خوفاً كبيراً، فانزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وكان به رحيماً﴾، يعزیه ويخفف عليه الأمر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى، كما تمنى، ولا أحب كما أحب، إلا والشيطان قد ألقى في أميته، كما ألقى على لسانه ﷺ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، أي فأنت كبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته... الآية﴾، فأذهب الله عن نبیه الحزن وأمنه من الذي كان يخاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرائيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إلى قوله: ﴿...وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾. أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم

عنده، فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه، قالت قريش: ندم محمد على ما كان من منزلة ألهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شراً على ما كانوا عليه.

رواية أخرى (جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين: (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترنجى) فتكلم بها ثم مضى، فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعاً معه، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، فرضوا ما تكلم به، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيى ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن ألهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيباً فنحن معك، قالوا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه، قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله ﷺ: (أفتريت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفزي علينا غيره﴾ إلى قوله: ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة، أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرتهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

فالجواب:

أخرج هذين الأثرين الطبري، وشاركه البغوي في الأول واللفظ لابن جزير، وكلاهما ضعيف الإسناد، فهما إما من طريق أبي معشر، أو تدليس ابن إسحاق، وفي الأول عند ابن جرير: سلمة بن الفضل، فإنه كثير الخطأ، مع صدقه ومع هذا فالخبران مرسلان وقد تضمننا أموراً منكراً تنافي مقام النبوة، منها:

أولاً: أن رسول الله ﷺ حين رأى تولى قومه عنه، تمنى أن لا ينزل الله فيهم شيئاً ينفرهم منه كما يفيد الأثر الثاني.

ثانياً: أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ أثناء قراءته سورة النجم: (تلك العرائق العلى وإن شفاعتهم ترضى (ترنجى) وأن رسول الله ﷺ تكلم بهاتين الجملتين ولذلك سجد المشركون بسجوده، لأنه في زعمهم أثنى على آلهتهم.

ثالثاً: أن رسول الله ﷺ لم يشعر بما حصل منه حتى جاءه جبريل وطلب إليه عرض السورة عليه، ثم قال جبرائيل عليه السلام: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت ما لم يقل.

وفي الأثر الثاني: (أن رسول الله ﷺ لما بلغ تلك الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتكم بهاتين فقال رسول الله ﷺ: أفترى على الله ما لم يقل).

ومع ما بيناه في الحديثين من أسباب ردهما وعدم صلاحيتهما للإحتجاج على ما احتويا من الأخبار، فقد يحتج على إثبات حادثة العرائق، وأنها سبب لنزول قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...﴾ إلى قوله: ﴿عليم حكيم﴾، والحجة أن تلك الحادثة جاءت مروية عن غير ابن كعب من أهل التأويل عند جماعة من المفسرين؟

فالجواب: أن الأمر كما ذكر، فالقصة مشهورة فقد رواها ابن جرير الطبري، والبغوي، وغيرهما، وحكاها السيوطي، نقلاً عن ابن المنذر، وابن أبي

حاتم، وغير واحد من المفسرين، ومن الأئمة الذين جاءت عنهم رواية تلك الحادثة: ابن عباس، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، لكن جهابذة المحققين من العلماء مثل: القاضي عياض، وابن العربي، وابن كثير، والشوكاني، والألباني، تصدوا لهذه الحادثة فكشفوا عن وجه الحق فيها، وابتانوا بالدليل بطلانها وعدم صحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ وقد خصصها الألباني برسالة نقدها فيها سنداً ومتناً.

وأرى أنه يجدر بطالب الحق الإطلاع عليها حتى يتبين له وجه الصواب، ورغبة مني في دفع السأم وبيان الحق في تلك الحادثة - موجزاً - فلإني أعرض ما قاله بعض أولئك العلماء الجهابذة جزاهم الله عن دينه والمسلمين خير الجزاء. فأقول:

أولاً: قال القاضي عياض: فاعلم أكرمك الله: أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما: في توهين أصله، والثاني: على تسليمه. أما المأخذ الأول: فيكيفك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم. إلى آخر ما قاله في الموضوع.

ثانياً: قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مسندة من وجه صحيح. اهـ.

ثالثاً: قال ابن العربي: بعد ذكره الحادثة: المسألة الثانية: اعلموا أنار الله أفئدتكم بتور هداه ويسر لكم مقصد التوحيد ومغزاه أن الهدى هدى الله، فسبحان من يتفضل به على من يشاء ويصرفه عن من يشاء، وقد بينا معنى الآية في فضل تبييه الغبي، على مقدار النبي بما نرجو به عند الله الجزاء الأوفى في مقام الزلفى ونحن الآن نجملوا بتلك الفصول الغماء وترقيكم بها عن حضيض الدهماء إلى بقاع العلماء في عشر مقامات:

المقام الأول: أن النبي إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه فإنه يخلق له العلم به، حتى يتحقق أنه رسول من عنده ولولا ذلك ما صحت الرسالة ولا تبينت النبوة، فإذا خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره، وثبت اليقين واستقام سبيل الدين ولو كان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنسان أو صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاماً وبلغت إليه قولاً لم يصح له أن يقول: إنه من عند الله ولا ثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقنة، وحالة متحققة لا بد منها ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها، أو يتشبه بها ما أمانا على آية، ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا الفصل اللبس وصح اليقين في النفس، إلى أن قال: **المقام العاشر:** أن هذه الآية نص في غرضنا دليل على صحة مذهبنا، أصل في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه أنه قاله عندنا، وذلك أنه قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه أنهم إذا قالوا عن الله قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، كما يفعل سائر المعاصي، كما تقول: ألقيت في الدار كذا، وألقيت في العكم كذا، وألقيت في الكيس كذا، فهذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي ﷺ لا أن النبي قاله... الخ.

وأقول: لقد دل الكتاب والسنة صراحة، على بطلان نسبة تلك المقالة إلى رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾، وقال: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، فوجه الدلالة من الآيتين الأوليين إخبار الله عن صيانة كتابه عن عبث الشياطين، وحاشاه أن يخلف وعده، كما دلت الآيتان الأخريان على أن رسول الله ﷺ لا

يتكلم في التلاوة إلا بما يوحى إليه ربه، وهذا نص في أن الشيطان لم يجر على لسانه المقالة الخبيثة، ويدل على بطلانها، ما جاء في الصحيح: (أن رسول الله ﷺ لما فرغ من سورة النجم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون) وليس فيه لقصة الغرائيق ذكر.

آخر تفسير سورة والنجم والله الحمد والمنة.

سورة اقتربت الساعة

سورة اقتربت الساعة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

والمعتمد في المصحف القمر وهو ظاهر كذلك وقد أسلفنا حديث أبي واقد

أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الأضحى والفطر.

وهي مكية كلها في قول الجمهور.

وآياتها خمس وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿مستمر﴾ ذاهب].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.
وأخرج في المعنى عن قتادة والضحاك وسفيان وعليه مشى ابن جرير في تفسيره للآية.

وقال الفراء: سيطل ويذهب.

والآية المشار إليها ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾.

٢ - [مزدجر ﴿متناه﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وعليه مشى في تفسير الآية وأخرج في المعنى عن قتادة وسفيان.

والآية المشار إليها ﴿ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر﴾.

٣ - [وازدجر ﴿فاستطير جنوناً﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى اتهموه وزجروه ووعدوه لكن لم يفعل ليكونن من المرجومين وبه قال ابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونوازدجر﴾.

٤ - [دسر ﴿أضلاع السفينة﴾].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وهو أحد أقوال خمسة حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه المسمار الذي تشد به السفينة وبه قال ابن عباس والقرضي

وقتادة وابن زيد.

وثالثها: أنه صدر السفينة وإنما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويدسره وهو قول الحسن وابن عباس في الرواية الثانية.

رابعها: أنه عوارض السفينة وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه. وخامسها: أنه أطرافها وهو قول الضحاك.

والذي مشى عليه ابن جرير في تفسير الآية ثاني الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾.

٥ - ﴿لمن كان كفر﴾ يقول كفر له جزاء من الله.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (كفر با الله) ومعناه فعلنا ذلك ثواباً لمن كان كفر فيه. بمعنى كفر با الله فيه وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أهلكهم وغرقهم من قوم نوح وهو قول ابن زيد واختار ابن جرير قول مجاهد فقال: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد.

٦ - ﴿محتضر﴾ محضرون الماء.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ومعناه فسر الآية.

وقال الفراء: يحتضره أهله ومن يستحقه.

قلت: وهذه قريبة من عبارة مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾.

٧ - [وقال ابن جبیر: ﴿مهطعين﴾ النسلان الخبب السراع].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق شريك عن سالم الأفكس عن سعيد بن جبیر. حكاه الحافظ هنا.

والآية المشار إليها ﴿مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾.

٨ - [وقال غيره: ﴿فتعاطى﴾ فعاطها بيده فعقرها].

ش: قال ابن التين: لا أعلم لقوله فعاطها وجهاً إلا أن يكون من المقلوب لأن العطر التناول فكأنه قال تناولها بيده. حكاه الحافظ.
قلت: ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومشى عليه في تفسير الآية قال فتناولها بيده.

والآية المشار إليها ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾.
٩ - [المختصر] كحظار من الشجر محترق].

قال أبو عبيدة: صاحب الحظيرة والمختظر هو الحظار والهشيم ما يبس من الشجر أجمع.
وفي الآية خمسة أقوال:

أحدها: أنها العظام المحترقة وبه قال ابن عباس وقتادة والحسن.

وثانيها: أنه التراب المتناثر على الحائط وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: أنها حظيرة الراعي للغنم وبه قال أبو إسحاق والضحاك.

ورابعها: أنه هشيم الخيمة وهو ما تكسر من خشبها وبه قال مجاهد.

وخامسها: أنه الورق المتناثر من خشب الحطب وهو قول سفيان حكاهما

ابن جرير وظاهر الآية يؤيد ما قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم

المختصر﴾.

١٠ - [ازدجر] إفتعل من زجرت].

ش: قاله الفراء وزاد وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الإفتعال فيه

دالاً من ذلك زجر، ومزدجر ومن ذلك إزدلف ويزداد هي من الفعل يفتعل فقس

عليه ما ورد.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الثالث.

١١ - ﴿كفر﴾ فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء لما صنع بنوح وأصحابه.

ش: قاله الفراء وزاد: فقال لمن يريد القوم وقيد معنى ما: ألا ترى أنك تقول غرقوا لنوح ولما صنع بنوح والمعنى واحد. والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الخامس.

١٢ - ﴿مستقر﴾ عذاب حق.

ش: قال قتادة: بأهل الخير الخير وبأهل الشر الشر.

وأخرجه ابن جرير وعبارته كما ترى أوفق لظاهر الآية.

وقال الفراء: استقر قرار تكذيبهم، وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالعقاب والثواب.

قلت: وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر﴾.

١٣ - [يقال: ﴿الأشر﴾: المرح والتجبر].

ش: الأشر شدة البطر وقد أشر يأشر أشراً قال تعالى ﴿سيعلمون غداً من

الكذاب الأشر﴾ فالأشر أبلغ من البطر والبطر أبلغ من الفرح فإن الفرح وإن

كان في أغلب أحواله مذموماً لقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ فقد

يحمد تارة إذا كان على قدر ما يجب في الموضع الذي يجب كما قال تعالى

﴿فبذلك فليفرحوا﴾ قاله الراغب مادة أشر وإن قيل لِمَ لم تنقل كلام أبي عبيدة

في الآية قلنا: تركنا ذلك لأن المصنف لم يشرح الوصف وهو كلمة أشر بكسر

المعجمة بل شرح المصدر أشراً بفتح الشين المعجمة والراء المهملة.

٣٤٥ - [باب ﴿وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا﴾]

ش: قلت الآيتان: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اقتربت الساعة﴾: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة وقوله ﴿اقتربت﴾: إفتعلت من القرب وهذا من الله تعالى ذكره: إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها في غفلة ساهون.

وقوله ﴿وانشق القمر﴾ يقول جل ثناؤه: وانفلق القمر وذلك أن المشركين كما صح به الخبر سألوا رسول الله ﷺ وهو بمكة آية فأراههم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما آراههم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر سحرنا محمد فقال الله جل ثناؤه ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾.

٣٨٢ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن

إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا).

٣٨٣ - حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: أخبرنا ابن أبي نجيح

عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين فقال لنا: اشهدوا اشهدوا).

٣٨٤ - حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثني بكر، عن جعفر^(١) عن عراك

بن مالك^(٢) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

(١) هو أبو شرحبيل جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي المصري ثقة من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة ع.

٣٨٥ - حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر.

٣٨٦ - حدثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

ش: فيها سبع مسائل:

الأولى: قوله «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ» في المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية برواية أبي حمزة (وكننا مع النبي ﷺ بمنى) وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر برواية علي بن مسهر (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر).

ووقع عند الطبراني من طريق زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين.

ولا تعارض بينه وبين حديث الباب لأن منى من مكة.

قال الحافظ: وقد وقع عند ابن مردويه بيان المراد فاخرج من وجه آخر عن ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن يصير إلى المدينة).

قلت: فوضح به أن هذه الحادثة وقعت قبل الهجرة.

الثانية: قوله «فرقتين» وكذا في حديث أنس الآتي برواية شعبة عن قتادة، وفي المناقب برواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس (شقتين) وأخرجه مسلم ج ٤ ص ٢١٥٩ من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ (فأراهم انشقاق القمر مرتين) وكذا وقع عند عبد الرزاق والإمام

(٢) هو عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني ثقة فاضل من الثالثة مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة ع.

أحمد وعزاه الحافظ إلى إسحاق بن راهويه، والمتفق عليه بين الشيخين من رواية شعبة عن قتادة عن أنس بلفظ (فرقتين) قال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه (مرتين) حكاه الحافظ وقال: لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ (مرتين) إنما فيه فرقتين أو فلقنتين) بالراء أو اللام وكذا في حديث ابن عمر (فلقتين) وفي حديث جبير بن مطعم فرقتين) وفي لفظ عنه (فانشق باثنتين) حكاه الحافظ.

وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم (٢٨٠/١) في الدلائل (فصار قمرين) لكن في إسناده بشير بن الحسين وهو متروك قال الحافظ: ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانشق مرتين بالإجماع ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الإنشقاق في زمنه ﷺ ولم يتعرض أحد من شراح الصحيحين، ثم نقل الحافظ عن ابن القيم أنه قال: «المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر من الثاني (انشق القمر مرتين) وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة». اهـ

وقال الإمام ابن كثير في البداية (١٢٠/٢) (وما وقع في رواية أنس في

مسند أحمد: فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين. اهـ.

الثالثة: قوله «فرقة فوق الجبل وفرقة دونه» في المناقب برواية سعيد بن أبي

عروة (حتى رأوا حراء بينهما) والفرقة من الشيء قطعه وفي المصباح (فرقت بين الشيء فرقا من باب قتل فصلت أبعاضه).

الرابعة: قوله «اشهدوا» وفي رواية مجاهد بعد هذه (اشهدوا اشهدوا)

وأخرج النسائي في تفسير السورة من رواية خالد بن الحارث ومسلم من رواية معاذ العنبري كلاهما عن شعبة (اللهم اشهد).

الخامسة: قوله «انشق القمر في زمان النبي ﷺ» وعند أبي نعيم في الدلائل (٢٨٠/١) عن عطاء عن ابن عباس قال: اجتمعت المشركون إلى رسول الله ﷺ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وزمعه بن الأسود والنضر بن الحارث ونظروا هم كثير، فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشق القمر لنا فرقتين، نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقهان ورسول الله ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، اشهدوا).

السادسة: قوله «سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» مضت كيفية السؤال وأسماء بعض من سألوا النبي ﷺ عن ذلك في رواية عطاء عن ابن عباس قريباً.

السابعة: قوله (انشق القمر فرقتين) سبق معناه ضمن المسألة الثانية من هذا الباب.

تنبيه

لم يدرك ابن عباس ولا أنس هذه القصة فهي من مراسيل الصحابة وذلك مقبول عند المحدثين وأمثاله كثير.

٣٤٦ - [باب ﴿تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾، ولقد تركناها آية

فهل من مذكر﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه: أن السفينة التي حملت نوحاً فوق ماء الطوفان تجري بمنظر منه وحفظ.

وقوله ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام.

وقوله ﴿ولقد تركناها آية﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحاً ومن كان معه آية، يعني عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.

ولهذا قال هنا فهل من مذكر أي فهل من يتعظ ويتذكر. ١. هـ

قوله: [قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أوائل هذه الأمة].

ش: أخرجه عبد الرزاق عند تفسيره هذه الآية (٢٥٨/٣) عن معمر عن قتادة فذكره.

وأخرجه ابن جرير ثنا ابن عبد الأعلى ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة به. وأخرجه من طريق سعيد عن قتادة بنحوه وزاد أبقاها الله بيباب قردي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظراً، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً.

٣٨٧ - حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود

عن عبدا لله قال: كان النبي ﷺ يقرأ ﴿فهل من مذكر﴾.

ش: زاد في الأنبياء برواية سفيان مثل قراءة العامة.

قلت: ومذكر بالدال المهملة المشددة وسبب ذلك أن بعض السلف قرأها

بالمعجمة هكذا (فهل من مذكر) كما أخرجه ابن جرير عن سفيان.

وقال الحافظ: وهو منقول أيضاً عن قتادة.

٣٤٧ - [باب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن، بيناه وفصلناه للذكر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ وهوناه.
وقوله ﴿فهل من مدكر﴾ يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر.

فائدة

قال ابن القيم: «العلم النافع هو الذي جاء به الرسول دون مقدرات الأذهان ومسائل الخرص، والألغاز وذلك بحمد الله تعالى أيسر شيء على النفوس تحصيله وحفظه وفهمه، فإنه كتاب الله الذي يسره للذكر كما قال تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾».

قال البخاري في صحيحه: قال مطر الوراق هل من طالب علم فيعان عليه ولم يقل فتضيع عليه مصالحه وتتعطل معاشه عليه، وسنة رسوله وهي بحمد الله تعالى مضبوطة محفوظة وأصول الأحكام التي تدور عليها نحو خمسمائة حديث، وفرشها وتفصيلها نحو أربعة آلاف حديث وإنما الذي هو في غاية الصعوبة والمشقة مقدرات الأذهان وأغلوطات المسائل والفروع والأصول التي ما أنزل الله بها من سلطان التي كل مألها في نمو وزيادة وتوليد، والدين كل مألها في غربة ونقصان والله المستعان». انتهى من البدائع (٢٠٩/٤).

قلت: وفي الآية تحريض على التمسك بالقرآن والعمل به ونبذ ما يخالفه من الآراء.

روى مسلم في باب من فضائل علي بن أبي طالب من كتاب فضائل الصحابة عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى حمماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم

ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)
فحث على كتاب الله ورغب فيه).
[قال مجاهد: يسرنا هوناً قراءته].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى
وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ:
هوناه.

واخرج عن ابن زيد قال بينا.

٣٨٨ - حدثنا مسدد، عن يحيى عن شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود
عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه كان يقرأ (فهل من مدكر).
ش: مضى في الباب قبله.

٣٤٨ - [باب ﴿أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر﴾]

ش: قلت الآيتان: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، فكيف كان عذابي ونذر﴾.

قوله ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ يقول تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتندق رقابهم، وتبين من أجسامهم.

وقوله ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ يقول تعالى ذكره: فانظروا يا معشر كفار قريش، كيف كان عذابي قوم عاد، إذ كفروا بربهم، وكذبوا رسوله فإن ذلك سنة الله في أمثالهم وكيف كان إنذاري بهم من أنذرت.

٣٨٩ - حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل

الأسود: ﴿فهل من مذكر﴾ أو ﴿مذكر﴾ فقال سمعت عبداً لله يقرؤها ﴿فهل من مذكر﴾ قال وسمعت النبي ﷺ يقرؤها ﴿فهل من مذكر﴾ دالاً.

ش: مضى شرحه.

٣٤٩ - [باب ﴿فكانوا كهشيم﴾ المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مذكر﴾]

ش: قلت الآيتان: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم
المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾.
يخبر جل وعلا أنه أهلك ثموداً وهم قوم صالح ﷺ حين كذبوه بصيحة
واحدة فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وحمدوا وهمدوا كما يهمد ييس
الزرع والنبات.

٣٩٠ - حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود
عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قرأ ﴿فهل من مذكر﴾ الآية.
ش: مضى شرحه

٣٥٠ - [باب ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر، فذوقوا عذابي

ونذر﴾ إلى ﴿فهل من مدكر﴾]

ش: وتماها: ﴿فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد صبح قوم لوط بكرة وقيل إن ذلك كان عند طلوع الفجر وقوله ﴿عذاب﴾ وذلك قلب الأرض بهم، وتصير أعلاها أسفلها بهم ثم أتبعهم بالحجارة من سجيل منضود كما قال تعالى ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾.

وقوله ﴿مستقر﴾ يقول: استقر ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافقوا عذاب الله الأكبر في جهنم.

وقوله ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ يقول تعالى ذكره لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحلته بكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله وإنذاري بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب.

فائدة

وأما فائدة قوله ﴿فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أن يجددوا عند استماع كل نبأ من الأنبياء التي أتت من الأمم السالفة أذكراً واتعاضاً ويتنبهوا إذا سمعوا الحث على ذلك. قاله العيني (٥٩/١٦).

٣٩١ - حدثنا محمد حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن

الأسود عن عبد الله عن النبي ﷺ قرأ ﴿فهل من مدكر﴾.

ش: سبق شرحه.

٣٥١ - [باب ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مذكّر﴾]

ش: قوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ﴿فهل من مذكّر﴾ أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل﴾.

٣٩٢ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله: قرأت على النبي ﷺ ﴿فهل من مذكّر﴾ فقال النبي ﷺ ﴿فهل من مذكّر﴾.

ش: قوله ﴿مذكّر﴾ أصله مذكّر بمثناة بعد ذال معجمة فأبدلت التاء دالاً مهملة ثم أهملت المعجمة لمقاربتها ثم أدغمت.

فائدة

فإن قلت ما معنى تكرار هذا الحديث في هذه التراجم الستة وما وجه المناسبة بينه وبينها قلت: لعل غرضه أن المذكور في هذه السورة الذي هو في المواضع الستة كله بالمهملة. قاله الكرمانى (١٢٠/١٨).

٣٥٢ - [باب قوله ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾]

ش: يقول جل ثناؤه: سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ويولون الدبر يقول ويولون أديارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم منهم وقيل الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرؤوس إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه.

٣٩٣ - حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس: وحدثني محمد حدثنا عفان بن مسلم عن وهيب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: وهو في قبة يوم بدر (اللهم إني انشدك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم) فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، الححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر» وفي المغازي باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب عن ابن عباس قال النبي ﷺ وهذا من مراسيل الصحابة فإن ابن عباس لم يحضر ذلك، ولعله أخذه عن عمر أو عن أبي بكر فقد أخرج مسلم باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر من كتاب الجهاد من طريق أبي زميل بالزاي مصغراً واسمه سماك بن الوليد عن ابن عباس قال: حدثني عمر لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فلم يزل يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وقال الحافظ وعند سعيد بن منصور من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن

يمينه فقال رسول الله ﷺ وهو في صلواته: اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلي اللهم لا تترني اللهم انشدك ما وعدتني. ا.هـ وروى ابن إسحاق في السيرة (٦٢١/١) (انه ﷺ قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة)

الثانية: قوله «وهو في قبة» المراد بها العريش الذي اتخذها الصحابة لجلوس النبي ﷺ فيه ففي السيرة لابن إسحاق أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ألا نبي لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم تلقى عدونا).

الثالثة: قوله «اللهم إني انشدك عهدك ووعدك» انشدك بفتح الهمزة وسكون النون والمعجمة وضم الدال أي اطلب منك وأسألك وعند الطبراني عن ابن مسعود قال: ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر: اللهم إني انشدك ما وعدتني) قال السهيلي في الروض (٤٧/٣): «وأما شدة اجتهاد النبي ﷺ ونصبه في الدعاء فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثنياه الغبار، وأنصار الله يخوضون غمار الموت، والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم فكان الكل في اجتهاد وجد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين، وأنصار الله وملائكته يجتهدون، وليؤثر الدعوة وحزب الله مع أعدائه يجتهدون».

الرابعة: قوله «اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» في المغازي (اللهم إن شئت لم تعبد) وفي حديث عمر في مسلم (اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) وفي السيرة (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) قال أهل العلم وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، ولا استمرار المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة.

الخامسة: قوله «فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله الححت على ربك» وعند مسلم أن أبا بكر أتاه فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم إلتزمه من ورائه فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه ينجز لك ما وعدك فأنزل الله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الآية، فأمده الله بالملائكة)، وعند ابن إسحاق (وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك).

السادسة: قوله «وهو يشب في الدرع» وثب وثباً من باب وعد قفز ووثوباً ووثبياً فهو وثاب ويتعدى بالهمزة فيقال "أوثبته" ووثبته بمعنى ساورته من الوثوب والعامية تستعمله بمعنى المبادرة والمسارة قاله في المصباح.

والدرع قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس في الحروب.

السابعة: قوله «فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾».

وفي رواية أيوب عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت ﴿سيهزم الجمع﴾ جعلت أقول أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع ويقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ أخرجه ابن جرير في تفسير الآية، وأخرج ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قد خفق خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع).

٣٥٣ - [باب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم بل الساعة موعدهم للبعث والعقاب والساعة أدهى وأمر عليهم من الهزيمة التي يهزمونها عند التقائهم مع المؤمنين بدر.

[﴿أدهى وأمر﴾: يعني من المرارة].

ش: قاله الفراء وزاد في أوله يقول أشد عليهم من عذاب يوم بدر.

٣٩٤ - حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج

أخبرهم قال: أخبرني يوسف بن ماهك قال إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ وهو بمكة وإني لجارية ألعب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾.

٣٩٥ - حدثني إسحاق حدثنا خالد عن خالد عن عكرمة عن ابن

عباس: أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر (انشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾.

ش: فيهما ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «لقد أنزل على محمد ﷺ وهو بمكة» قلت: ولذلك قصة

أخرجها المصنف في فضائل القرآن باب تأليف القرآن عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير قالت: ويحك وما يضرك، قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك قالت لم قال لعليّ أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف قالت وما يضرك أي قرأت قيل إنما أنزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شئ لا يشربوا الخمر لقالوا لا ندع

الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني جارية ألعب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ (الحديث).

قال الحافظ في شرحه الحديث هناك قوله (لقد نزل بمكة) إشارة بذلك إلى تقوية ما ظهر لها من الحكمة المذكورة.

الثانية: قوله «وإني لجارية ألعب» أي دون البلوغ وأرادت به تقوية الخير وتأكيده وفيه دليل على قبول ما تحمله الراوي من الأخبار في صغره.

الثالثة: قوله ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ وفي حديث ابن عباس بعده ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ وظاهره يخالف ما تقدم في الباب قبله فخرج وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ والجمع بينهما أن نزول الآية كان بمكة واستشهاد النبي ﷺ بها على البشارة كان يوم بدر. والله أعلم.

آخر تفسير سورة القمر والله الحمد والمنة.

سورة الرحمن

سورة الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول السورة.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر

وقال ابن مسعود مدنية كلها والأول أصح.

وآياتها ست وسبعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿بحسبان﴾ كحُسابان الرحي].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وهو أحد أقوال ثلاثة حكاهما في الآية.

وثانيها: أن معناه الشمس والقمر بحسبان ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها وبه قال ابن عباس وأبو مالك وقتادة وابن زيد.

وثالثها: أن معناه أنهما يجريان بقدر وهو قول الضحاك واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه فقال لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبه حساباً وحسباناً مثل قولهم كفرته كفراناً وغفرته غفراناً. والآية المشار إليها ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾.

٢ - [وقال غيره: ﴿واقيموا الوزن﴾ يريد لسان الميزان].

ش: عزاه الحافظ إلى الفراء ولم أجده عنده في تفسير هذه الآية. وقال ابن جرير (واقيموا لسان الميزان بالعدل) وأخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾.

٣ - [والعصف بقل الزرع إذا قطع منه شيء قبل أن يدرك فذلك

العصف.

والريحان: رزقه والحب الذي يؤكل منه والريحان في كلام العرب

الرزق].

ش: قاله الفراء.

٤ - [وقال بعضهم والعصف يريد المأكول من الحب والريحان النضيج الذي لم يؤكل].

ش: هو بقية كلام الفراء، وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنه البر والشعير. قال الحافظ: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال العصف أول ما يخرج الزرع بقللاً.

٥ - [وقال غيره: العصف ورق الخنطة].

ش: كذا لأبي ذر وفي رواية غيره وقال مجاهد العصف ورق الخنطة والريحان الرزق وقد وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه مفرقاً قال: العصف ورق الخنطة، والريحان الرزق. حكاه الحافظ.

قلت: وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: الورق من كل شئ قال: يقال للزرع إذا قطع أعصافه وكل ورق فهو عصافة.

٦ - [وقال الضحاك: ﴿العصف﴾ التبن].

ش: أخرجه ابن جرير قال حدثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك فذكره.

وأخرج عن ابن عباس وقتادة مثله وعن سعيد نحوه.

٧ - [وقال أبو مالك: ﴿العصف﴾ أول ما ينبت تسميه النبط هبوراً].

ش: وصله عبد ابن حميد من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي مالك بهذا قاله الحافظ.

وأبو مالك هو الغفاري كوفي تابعي ثقة قال أبو زرعة: لا يعرف اسمه وقال غيره اسمه غزوان بفتحيتين وقال الحافظ ليس له في البخاري إلا هذا الموضع والنبط بفتح النون والموحدة ثم طاء مهملة هم أهل الفلاحة من الأعاجم وكانت أماكنهم بسواد العراق والبطائح، وأكثر ما يطلق على أهل الفلاحة.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك في تفسير سورة الفيل قال كعصف مأكول هو الهبور بالنبطية.

٨ - [وقال مجاهد: ﴿العصف﴾ ورق الحنطة والريحان الرزق].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد كما في الفتح. والآية المشار إليها بهذه الكلمات ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾.

٩ - [والمارج: اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس قال من أوسطها وأحسنها.

والآية المشار إليها ﴿وخلق الجن من مارج من نار﴾.

١٠ - [وقال بعضهم عن مجاهد: ﴿رب المشرقين﴾ للشمس في الشتاء

مشرق ومشرق في الصيف ورب المغربين مغربها في الشتاء والصيف].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله بلفظ مشرق الشتاء

ومغربه ومشرق الصيف ومغربه.

والآية المشار إليها ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾.

١١ - [﴿لا يبغيان﴾ لا يختلطان].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو أحد أربعة أقوال

حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى لا يبغي أحدهما على صاحبه وهو قول ابن أبي زياد والرواية

الثانية عن مجاهد وبه قال قتادة.

ثالثها: بمعنى لا يبغيان على اليبس وهو قول قتادة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: بمعنى لا يبغيان أن يلتقيا وبه قال ابن زيد.

واختار ابن جرير أن الآية عامة فقال فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه فيقال إنهما لا يبغيان على شيء ولا يبغي أحدهما على صاحبه ولا يتجاوزان حد الله الذي حده لهما.

والآية المشار إليها ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

١٢ - [المنشآت] ما رُفِعَ قَلْعُهُ من السفن فأما ما لم يرفع قلعه فليس

بمنشأة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾.

١٣ - [وقال مجاهد: ﴿كالفخار﴾ كما يصنع الفخار].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ "التراب اليابس الذي

يُسمع له صلصلة فهو كالفخار كما قال الله عز وجل.

والآية المشار إليها ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾.

١٤ - [الشواظ] هب من نار].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وسفيان

والضحاك وقتادة وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الدخان الذي يخرج من اللهب وهو قول الضحاك.

١٥ - [ونحاس] الصفر يصب على رؤوسهم فيعذبون به].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن منصور عن

مجاهد فذكره بلفظ (يذاب الصفر من فوق رؤوسهم) وبه قال ابن عباس وسفيان

وقتادة وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الدخان الذي يخرج من اللهب وبه قال ابن عباس في الرواية

الثانية عنه وسعيد.

واختار ابن جرير ثانيهما قال وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان. والآية المشار إليها ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾. ١٦ - ﴿خاف مقام ربه﴾ يهيم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيتركها]. ش: أخرجه ابن جرير ثني أبو السائب ثنا ابن إدريس عن الأعمش عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم. والآية المشار إليها ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾. ١٧ - ﴿مدهامتان﴾ سوداوان من الري]. ش: أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ مسوادتان.

وعزاه الحافظ بلفظ المصنف إلى الفريابي وأخرج ابن جرير عن أبي سنان قال مسوادتان من الري.

١٨ - ﴿صلصال﴾ طين خلط برملا فصلصل كما يصلصل الفخار]. ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. وقد مضت الآية المشار إليها ضمن الأثر الثالث عشر. ١٩ - [ويقال: منن. يريدون به صل: يقال صلصال، كما يقال صر الباب عن الإغلاق وصرصر مثل كبكته يعني كبته]. ش: قاله الفراء.

٢٠ - ﴿فاكهة ونخل ورمان﴾ وقال بعضهم: ليس الرمان والنخل بالفاكهة، وأما العرب فأنها تعدها فاكهة كقوله عز وجل ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ فأمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ثم أعاد العصر تشديداً لها كما أعيد النخل والرمان، ومثلها ﴿الم تر أن الله يسجد له

من في السموات ومن في الأرض ﴿ ثم قال ﴿ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ وقد ذكروهم الله في أول قوله ﴿ من في السماوات ومن في الأرض ﴾ .

ش: قال الفراء: يقول بعض المفسرين: ليس الرمان ولا النخل بفاكهة وقد ذهبوا مذهباً ولكن العرب تجعل ذلك فاكهة فإن قلت: فكيف غير النخل والرمان إن كانا من الفاكهة؟ قلت: ذلك كقوله ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾ وقد أمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ثم أعاد والعصر تشديداً لها، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة... الخ كلام الفراء. والآية المشار إليها ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ .

٢١ - [وقال غيره: ﴿ أفنان ﴾ أغصان].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية. وثانيها: بمعنى ذواتا ألوان وهو قول ابن عباس والضحاك والرواية الثانية عن مجاهد.

وثالثها: بمعنى ذواتا أطراف أغصان الشجر وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

ورابعها: بمعنى فضلها وسعتها على ما سواهما وهو قول قتادة والذي مشى عليه ابن جرير في تفسير الآية هو ثاني هذه الأقوال. ٢٢ - [﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ ما يجتنى قريب].

ش: قاله أبو عبيدة وأخرج نحوه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ .

٢٣ - [وقال الحسن: ﴿ فبأي آلاء ﴾ نعمه].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن ثنا سهل السراج عن

الحسن فذكره.

وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

٢٤ - [وقال قتادة: ﴿ربكما﴾ يعني الجن والإنس].

ش: أخرجه عبد الرزاق ج ٣ ص ٢٦٤ عن معمر عن قتادة فذكره.

٢٥ - [وقال أبو الدرداء: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ يغفر ذنباً ويكشف

كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين].

ش: وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في الصحيح وابن ماجه وابن أبي

عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً، وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق

أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً وللمرفوع شاهد آخر عن عبد الله بن منيب

أخرجه ابن جرير في تفسير هذه الآية وعزاه الحافظ إلى البزار والطبراني.

٢٦ - [وقال ابن عباس: ﴿برزخ﴾ حاجز].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره وقال ابن جرير في تفسيره يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد،

لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه.

ثم أخرج المعنى عن ابن أزي ومجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها تقدمت.

٢٧ - [﴿الأنام﴾: الخلق].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله وهو قول الحسن

ومجاهد وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿والأرض وضعها للأنام﴾.

٢٨ - [﴿نضاختان﴾: فياضتان].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. قاله

الحافظ.

وقال أبو عبيدة: "فوارتان".

والآية المشار إليها ﴿فيهما عينان نضاختان﴾.

٢٩ - ﴿ذو الجلال﴾ ذو العظمة].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره وزاد والكيرياء.

والآية المشار إليها ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾.

٣٠ - [وقال غيره: ﴿مارج﴾ خالص من النار يقال: مرج الأمير رعيته

إذا خلاهم يعدو بعضهم على بعض، من مرجت ذابتك تركتها، ويقال مرج

أمر الناس].

ش: ولم أقف له على قائل وقد قدمنا تفسير الكلمة ضمن الأثر التاسع.

٣١ - ﴿مريج﴾ ملتبس].

ش: أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير وبجاهد وقتادة ومعر وقال: أبو

عبيدة "مختلط" والمعنى واحد.

والآية المشار إليها هي الخامسة من سورة ق.

٣٢ - ﴿مرج﴾ إختلط البحرين].

ش: أصل المرج الخلط المروج الإختلاط قاله الراغب وقال ابن جرير: أرسل

وخلى من قوهم مرج فلان ذابته إذا خلاها وتركها، ثم أخرج المعنى عن ابن

عباس.

٣٣ - ﴿سفرغ لكم﴾ سنحاسبكم لا يشغله شئ عن شئ. وهو

معروف في كلام العرب يقال: لأتفرغن لك، وما به شغل يقول لأخذتك على

غرتك].

ش: قاله أبو عبيدة دون قوله وهو معروف في كلام العرب... الخ.

وقال الفراء: وهذا من الله وعيد لأنه عز وجل لا يشغله شيء عن شيء وأنت قائل للرجل الذي لا شغل له، قد فرغت لثمتي أي قد أخذت فيه وأقبلت عليه. وقال ابن جرير: سنحاسبكم، وتأخذ في أمركم أيها الإنس والجن فنعاقب أهل المعاصي ونثيب أهل الطاعة ثم أخرج في المعنى عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾.

٣٥٥ - [باب قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾]

ش: يخبر تعالى أن دون الجنتين اللتين أخبر أنهما لمن خاف مقامه جنتين
أخريين.

وقد اختلف أهل العلم في المعنى بقوله ﴿ومن دونهما﴾ في هذا الموضع على
قولين:

أحدهما: أنهما دونهما في الدرجة وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير.
وثانيهما: أنهما دونهما في الفضل وبه قال ابن زيد حكاهما ابن جرير،
وظاهر السياق يؤيد القول الثاني والله أعلم.

٣٩٦ - حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد
الصمد العمي^(١) حدثنا أبو عمران الجوني^(٢) عن أبي بكر بن عبد الله بن
قيس^(٣) عن أبيه^(٤) أن رسول الله ﷺ قال: جنتان من فضة آيتهما وما فيهما،
وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم
إلا رداء الكبر، على وجهه في جنة عدن.

ش: يأتي شرحه مستوفى في الباب بعده إن شاء الله.

(١) هو أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري ثقة حافظ من كبار التاسعة
مات سنة سبع وثمانين [ومائة] ويقال بعد ذلك. ع.

(٢) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكندي مشهور بكنيته ثقة من كبار الرابعة مات
سنة ثمان وعشرين [ومائة] وقيل بعدها ع.

(٣) هو أبو بكر بن أبي موسى الأشعري إسمه عمرو أو عامر ثقة، وكان أسن من أخيه أبي
بردة. ع.

(٤) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور أمره
عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة خمسين وقيل بعدها، ع.

٣٥٦ - [باب: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾]

ش: يخبر الله تعالى عن الخيرات الحسان بأنهن مقصورات في الخيام وقد قال في ازواج أهل الجنتين اللتين اعدهما لمن خاف مقامه قاصرات الطرف ولا شك أن التي قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات وقد اختلف أهل العلم في قوله ﴿مقصورات﴾ على قولين أحدهما: إنهن قصرن على أزواجهن فلا يبغيهن بهم بدلاً قاله مجاهد والريبع ابن أنس وثانيهما: أنهن محبوسات في الخيام وهو قول أبي العالیه و الريبع ابن أنس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما وابن عباس ومحمد بن كعب وأبي صالح والحسن والضحاك حكاهما ابن جرير .

قلت: ولا منافاة بين القولين وذلك أن الله جل وعلا ذكر أن هؤلاء الأزواج مقصورات في الخيام ولم يخصص وصفاً دون آخر وهو ما اختاره ابن جرير))

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس: ﴿حور﴾: سواد الحدق].

ش: لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرج ابن المنذر من طريق عطاء عن ابن عباس: الحور سواد الحدقه، حكاه الحافظ.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿مقصورات﴾: محبوسات قصر طرفهن وأنفسهن

على أزواجهن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو هشام: ثنا وكيع: ثنا سفيان عن منصور عن

مجاهد فذكره وزاد فلا يردن غيرهم.

٣ - [﴿قاصرات﴾ لا يبغيهن غير أزواجهن].

ش: وصله الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ
قصرن أطرافهن عن الرجال فلا ينظرون إلا إلى أزواجهن، حكاه في التعليق
(٣٣٤/٤).

وأخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عبيد المحاربي: ثنا أبي عن أبي يحيى عن
مجاهد قال قصر طرفهن عن الرجال، فلا ينظرون إلا إلى أزواجهن.
قلت: ولعل المصنف أراد به تفضيل قاصرات الطرف على المقصورات في
الخيام.

والآية المشار إليها ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا
جان﴾.

٣٩٧ - حدثنا محمد بن المثني: ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد: ثنا أبو
عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه: أن رسول الله ﷺ
قال: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها
أهل ما يرون الآخريين، يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة آيتهما وما
فيهما، وجنتان من كذا آيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى
ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن.
ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «إن في الجنة خيمة» هذا هو الشاهد من الحديث المناسب
لقوله تعالى: ﴿في الخيام﴾ والخيام جمع خيمة وهو في الأصل بيت تبنيه العرب من
عيدان الشجر قال ابن الأعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من
أربعة أعواد ثم يسقف بالثمام والجمع خيمات وخيم وزان بيضات وقصع،
والخيم بحذف الهاء لغة والجمع خيام، مثل سهم وسهام وخيمت بالمكان بالتحديد
إذا اقامت به قاله في المصباح قلت: وسيأتي وصف هذه الخيمة.

الثانية: قوله «من لؤلؤة مجوفة» وفي بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة أنها مخلوقة من رواية همام (الخيمة درة مجوفة) وعند مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ما جاء في صفة عرف الجنة برواية الحارث بن عبيد (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة) أي متقوية ومفرغ داخلها والمعنى أنها واسعة الخوف.

الثالثة: قوله «عروضها ستون ميلاً» وكذا في رواية الحارث بن عبيد وفي رواية همام (ثلاثون ميلاً) ورواية الأولين أرجح وزاد في رواية الحارث بن عبيد وعند مسلم من رواية همام (طولها في السماء ستون ميلاً).

الرابعة: قوله «في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون» وفي بدء الخلق (في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون) وعند مسلم (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً).
الخامسة: قوله «وجنتان من فضة» العطف على شئ محذوف تقديره هذا للمؤمن.

السادسة: قوله «وجنتان من كذا آيتيهما» وفي رواية عبد الله بن أبي الأسود في الباب قبله (وجنتان من ذهب آيتيهما وما فيهما) قال الحافظ: وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد لا أعلمه إلا قد رفعه قال: (جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين).

أخرجه الطبري وابن أبي حاتم ورجاله ثقات. ١. هـ ولم أجده عند ابن جرير في تفسير الآية.

السابعة: قوله «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن» في التوحيد باب قول الله تعالى «وجوه يؤمئذ

ناضرة إلى ربها ناظرة ﴿ من رواية علي بن عبد الله (إلا رداء الكبرياء علي وجهه...).

قلت: فيه النص الصريح على أربعة أمور:

أولها: إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

ثانيهما: إتصاف الرب جل وعلا بالكبرياء وأنه رداؤه فقد أخرج أبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار) وفي لفظ مسلم في البر والصلة باب تحريم الكبر (العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبتة).

ثالثها: فضل جنة عدن وعلوها على سائر الجنات.

رابعها: إثبات الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

تنبيه

فإن قلت كيف الجواب عن هذه العبارات:

الأولى: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها فعبر عن زوال الموانع ورفع عن الأبصار بذلك.

الثانية: كانت العرب تستعمل الإستعارة كثيراً، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى: ﴿جناح الذل﴾ فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى، ومن لم يفهم ذلك تاه فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزّه عن الذي يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها كأن يقول استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيئته وجلاله المانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيئته وموانع عظمته.

الثالثة: أن قوله «على وجهه» حال من رداء الكبرياء.

الرابعة: أن هذا الحديث من التشابهات فإما مفوض وإما متأول بأن المراد بالوجه الذات والرداء صفة من صفة الذات اللازمة المنزهة عما يشبه المخلوقات. والخامسة: أن الرداء إستعارة كنى بها عن العظمة كما في الحديث الآخر (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) وليس المراد الثياب المحسوسة لكن المناسبة أن الرداء والإزار لما كانا متلازمين للمخاطب من العرب عبر عن العظمة والكبرياء بهما.

قلنا: حكى هذه العبارات الخمس الحافظ في الفتح (٤٣٢/١٣) عن خمسة من أهل العلم وبعضهم من شراح الصحيح وأولئك الأعلام على الترتيب المازري والقاضي عياض والطبي والكرماني والقرطبي، والجواب عن هذه العبارات من عدة أوجه:

الأول: أن الأصل في النصوص إرادة الظاهر المتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي حتى يأتي صارف عن ذلك من الشارع.

الثاني: لا أحد أعلم من الله بنفسه ولا أحد من خلقه أعلم بالله من رسوله ﷺ فلا عدول عما وصف الله به نفسه في كتابه أو جاء من أوصافه صحيحاً في سنة رسوله ﷺ.

الثالث: لقد أخذ الصحابة ومن بعدهم من أئمة أهل السنة بظاهر هذا النص وأمثاله من نصوص الصفات واعتقدوا إثبات ما دلت عليه إثباتاً من غير تمثيل وتنزيهاً من غير تعطيل فلنقف حيث وقفوا ولنقل ما قالوا فإذا عرفت هذا فاعلم أن هذه العبارات وأمثالها من التأويلات التي هي من باطل القول إذ المشي عليها صرف لكلام الله وكلام رسوله عن معناه الصحيح بل ورد لنصوص الشرع بغير برهان.

آخر تفسير سورة الرحمن والله الحمد والمنة.

سورة الواقعة

٣٥٧ - سورة الواقعة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن جابر بن سمرة يقول كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنعو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور.
وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء.
وآياتها ست وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿رجت﴾ زلزلت].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وبه قال ابن عباس وقتادة.

والآية المشار إليها ﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾.

٢ - [﴿بست﴾ فتت ولتت كما يلت السويق].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد ما قبله ولفظه فتت، وأخرجه من طريق سفيان عن منصور عن مجاهد بلفظ (كما ييس السويق).

والآية المشار إليها ﴿وبست الجبال بساً﴾.

٣ - [﴿المخضود﴾ الموقر حملاً، ويقال أيضاً: لا شك له].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وقوله: «ويقال أيضاً: لا شك له» أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن عكرمة وعكرمة وقتادة وغيرهم بلفظ لا شك فيه.

وكذا قال أبو عبيدة والفراء.

والآية المشار إليها ﴿في سدر مخضود﴾.

٤ - [﴿منضود﴾ الموز].

ش: أخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن علي وابن عباس وعطاء وابن زيد وأخرجه عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (موز كم).

والآية المشار إليها ﴿وطلح منضود﴾.

٥ - [العرب: المحبيات إلى أزواجهن].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ (المتحيات إلى أزواجهن) وبه قال ابن عباس والضحاك وأخرج عن الحسن وعكرمة وغيرهما نحوه.

والآية المشار إليها ﴿عرباً أترباباً﴾.

٦ - ﴿ثلة﴾ أمه].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال الحسن وهذه الكلمة جاءت في الآيات الثالثة عشرة والتاسعة والثلاثين والأربعين من السورة.

٧ - ﴿يحموم﴾ دخان أسود].

ش: قاله الفراء.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه (من دخان حميم) وأخرج عبد بن حميد كما في التعليق (٣٣٥/٤) من طريق شباية ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (من دخان جهنم).

والآية المشار إليها ﴿وظل من يحموم﴾.

٨ - ﴿يصرون﴾ يديمون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ولفظه (يدمنون).

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾.

٩ - ﴿الهميم﴾ الإبل الظماء].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وبه قال ابن عباس وأخرج نحوه عن عكرمة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿فشاربون شرب الهميم﴾.

١٠ - ﴿لغرمون﴾ للزمون].

ش: لم أقف عليه عن مجاهد ولا غيره بهذا اللفظ وفي الآية ثلاثة أقوال
حكاهما ابن جرير عن أهل العلم:
أحدها: بمعنى لمولع بنا وبه قال عكرمة ومجاهد.
وثانيها: بمعنى معذبون وهو قول قتادة.
وثالثها: بمعنى الملقون للشر وبه قال مجاهد في الرواية الثانية.
واختار ابن جرير قول قتادة فقال: وذلك أن الغرام عند العرب العذاب
ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي
والآية المشار إليها ﴿إنا لمغرمون﴾.

١١- [﴿فروح﴾ جنة وريحاء ﴿وريحان﴾ الرزق].

ش: أخرجه بهذا اللفظ عن مجاهد البيهقي في الشعب قاله في الفتح
(٣٢٢/٦) وفي الآية ستة أقوال حكاهما ابن جرير:
أحدها: بمعنى راحة ومستراح وبه قال ابن عباس.
وثانيها: الروح الراحة والريحان: الرزق وبه قال مجاهد.
وثالثها: الروح الفرح والريحان الرزق وهو قول سعيد بن جبير.
ورابعها: الروح روح الإنسان والريحان المعروف وهو قول الحسن وأبي
العالية.

وخامسها: الروح الرحمة والريحان الإستراحة وبه قال الضحاك والريبع بن
خثيم والحسن في الرواية الثانية.
وسادسها: أن الروح: الرحمة، والريحان: هو الريحان المعروف.
واختار ابن جرير أن معنى الروح الفرح والرحمة والمغفرة والريحان الذي
يتلقى به عند الموت.

والآية المشار إليها ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾.

١٢ - ﴿وَنَنْشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في أي خلق نشاء.

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ (في أي خلق شئنا)، ولا منافاة بين العبارتين.

والآية المشار إليها ﴿وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون﴾.

١٣ - [وقال غيره: ﴿تفكهون﴾ تعجبون].

ش: قاله الفراء وزاد مما نزل بزرعكم.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة بمثل حكاية المصنف وهو أحد أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى تلاومون وبه قال عكرمة.

وثالثها: بمعنى تندمون وهو قول الحسن وقتادة في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: بمعنى تعجبون مما صنع بجرثكم وبه قال ابن زيد وهو قريب من

الأول.

واختار ابن جرير أولها قال وأصله من التفكه بالحديث إذا حلدت الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ويلهى به.

والآية المشار إليها ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهون﴾.

١٤ - [﴿عُرْباً﴾ مُثَقَّلَةٌ: واحداً عَرُوبٌ مثل: صَبُورٌ وَصَبْرٌ، يسميها

أهل مكة العربية، وأهل المدينة العنجة، وأهل العراق الشكيلة].

ش: لم أقف له على قائل بهذا اللفظ لكن قال الفراء واحدهن عرب وهي

المتحبية إلى زوجها العنجه قال ثنا الفراء ثني شيخ عن الأعمش قال كنت أسمعهم يقرعون عرباً أتراباً بالتخفيف وهو مثل قولك الرسل والكتب في لغة تميم وبكر

بالتخفيف والتثقيب وجه القراءة، لأن كل فعول وفعيل أو فعال جمع على هذا المثال، فهو مثقل مذكراً كان أو مؤنثاً والقراء على ذلك. ا.هـ.
والآية المشار إليها: مضت في الأثر الخامس.

١٥ - [﴿وقال في﴾ خافضة ﴿لقوم إلى النار رافعة إلى الجنة﴾].

ش: قاله الفراء وأخرجه ابن جرير عن عبد الله بن سراقه وقتادة وعكرمة.
والآية المشار إليها ﴿خافضة رافعة﴾.

١٦ - [﴿موضونه﴾ منسوجه ومنه وضين الناقة].

ش: قاله الفراء وزاد: وإنما سمى العرب وضين الناقة وضيناً لأنه منسوج، قال ابن جرير ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً.

والآية المشار إليها ﴿على سرر موضونه﴾.

١٧ - [والكوب لا أذان له ولا عروة والأباريق ذوات الأذان والعري].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿بأكواب وأباريق﴾.

١٨ - [﴿مسكوب﴾ جار].

ش: قاله الفراء وزاد: غير منقطع.

وأخرج ابن جرير عن سفيان قال يجري في غير أخلود.

والآية المشار إليها ﴿وماء مسكوب﴾.

١٩ - [﴿وفرش مرفوعة﴾ بعضها فوق بعض].

ش: قاله الفراء.

٢٠ - [﴿مترفين﴾ متعمين].

ش: قاله الفراء وزاد: في الدنيا.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ منعمين.

والآية المشار إليها ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾.

٢١ - ﴿ما تمنون﴾ هي النطفة في أرحام النساء.

ش: قاله الفراء بلفظ (النطف إذا قذفت في أرحام النساء).

والآية المشار إليها ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾.

٢٢ - ﴿للمقوين﴾ للمسافرين والقي: القفر.

ش: قاله الفراء بلفظ (يعني منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض ألقى يعني

القفر).

والآية المشار إليها ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾.

٢٣ - ﴿بمواقع النجوم﴾ بمحكم القرآن، ويقال بمسقط النجوم إذا

سقطن، مواقع وموقع واحد.

ش: قاله الفراء وزاد في الجملة الأولى: وكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً.

وفي الآية أربعة أقوال حكاه ابن جرير:

أحدها: أنه بمعنى منازل القرآن ومحكمه وهو قول ابن عباس ومجاهد.

وثانيها: بمعنى مساقط النجوم وبه قال قتادة ومجاهد في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: منازل النجوم وهو قول قتادة في الرواية الثانية عنه. ورابعها: بمعنى

انتثار النجوم عند قيام الساعة وهو قول قتادة في الرواية الثالثة.

واختار ابن جرير ثانيها قال وذلك أن المواقع جمع موقع والموقع المفعول من

وقع يقع موقعاً.

والآية المشار إليها ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾.

٢٤ - ﴿مدهنون﴾ مكذبون مثل ﴿لو تدهن فيدهنون﴾.

ش: قال الفراء: مكذبون وكافرون، وقال ابن جرير: تليثون القول

للمكذبين به.

وأخرج المعنى عن مجاهد وابن عباس والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿أفيهذا الحديث أنتم مدهنون﴾.

٢٥ - ﴿فسلام لك﴾ أي مسلم لك إنك من أصحاب اليمين، وألغيت إن وهو معناها كما تقول أنت مصدق، مسافر عن قليل، إذا كان قد قال: إنني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: فسقياً من الرجال، إن رفعت السلام فهو من الدعاء].

ش: قاله الفراء وزاد في وسطه: وكذلك تجد معناه أنت مصدق أنك مسافر ومعناه: فسلام لك أنت من أصحاب اليمين وقد يكون كالدعاء... الخ.

والآية المشار إليها ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾.

٢٦ - [تورون: تستخرجون أوريت أوقدت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: من أوريت وأكثر ما يقال وريت، وأهل نجد يقولون ذلك.

والآية المشار إليها ﴿أفرايتم النار التي تورون﴾.

٢٧ - ﴿لغوياً﴾ باطلاً.

ش: قاله أبو عبيدة (٨/٢) وزاد قبله: أي هذراً.

والآية المشار إليها ﴿لا يسمعون فيها لغوياً ولا تأثيماً﴾.

٢٨ - ﴿تأثيماً﴾ كذباً.

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، حكاه

في الفتح هنا.

٣٥٨ - [باب قوله ﴿وظل ممدود﴾]

ش: يخبر تعالى أن من نعيم أصحاب الجنة أنهم في ظل دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه، وكل ما لا إنقطاع له فإنه ممدود كما قال لبيد:

غلب البقاء وكنت غير مغلب
دهر طويل دائم ممدود

٣٩٨ - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها، واقرؤا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «يبلغ به النبي ﷺ» في باب صفة الجنة من بدء الخلق برواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره.
الثانية: قوله «إن في الجنة شجرة» وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق محمد بن جعفر: ثنا شعبة: سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ومائة سنة هي شجرة الخلد).

وقال ابن الجوزي: يقال إنها طوبى.

قلت: وشاهده ما أخرجه الإمام أحمد في مسند عتبة بن عبد السلمي ثنا عبد الله بن أبي ثناء على بن بحر ثنا هشام بن يوسف حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة؟ قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى الحديث.

قال الحافظ: فهذا هو المعتمد خلافاً لمن قال إنما نكرت للتثنية على إختلاف

جنسها بحسب شهوات أهل الجنة.

وأخرج ابن حبان (١٦/ ٤٢٩) عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال: شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة).

وقال المحقق وأخرجه أحمد وأبو يعلى والخطيب وهذا الطريق ضعيف لضعف دراج وهو أبو السمح لكن يقويه ما قبله من طريقين عن ابن لهيعة عن دراج به قلت: فلم ينفك عن دراج والله أعلم.

الثالثة: قوله «يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وأخرج مسلم في باب إن في الجنة شجرة من كتاب الجنة وصفة نعيمها عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها.

وقوله في ظلها أي في نعيمها وراحتها ومنه قولهم عيش ظليل، وقيل معنى ظلها ناحيتها وأشار بذلك إلى إمتدادها ومنه قولهم أنا في ظلك أي ناحيتك. قال القرطبي: والمحجج إلى هذا التأويل أن الظل في عرف أهل الدنيا ما بقي من حر الشمس وأذاها وليس في الجنة شمس ولا أذى. حكاه في الفتح (٣٢٧/٦).

قلت: وفي تفسير النبي ﷺ لكلام ربه كما هو ظاهر حديث الباب وما انضم إليه من الأحاديث وهي نص صريح في المراد بالظل الممدود ما يعني عن هذه التأويلات والله الحمد والمنة.

الرابعة: قوله «واقروا إن شئتم ﴿ووظل ممدود﴾» زاد في بدء الخلق (ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب).

آخر تفسير سورة الواقعة.

سورة الحديد

٣٥٩ - سورة الحديد بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾.

وروى الإمام أحمد عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن ابن أبي السرح عن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلًا ولم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية حكاه ابن كثير.

قلت: وهذه السورة إحدى المسبحات لكونها مبدؤة بقوله تعالى ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾.

قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع، وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس أنها مدنية.

وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿جعلكم مستخلفين﴾ مُعَمَّرِينَ فِيهِ].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنى محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد بالرزق.

والآية المشار إليها ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾.

٢ - [﴿من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.
والآية المشار إليها ﴿هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

٣ - [﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ جَنَّةٌ وَسِلَاحٌ].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وزاد: وأنزله ليعلم الله من ينصره.

والآية المشار إليها ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ﴾ الآية.

٤ - [﴿مولاكم﴾ أَوْلَىٰ بِكُمْ].

ش: قاله الفراء وأبو عبيدة وزاد الأخير: قال لييد: مولى المخافة خلفها وأمامها.

والآية المشار إليها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مَاوَاكُم النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾.

٥ - [﴿لنلا يعلم أهل الكتاب﴾ ليعلم أهل الكتاب].

ش: قاله أبو عبيدة، وقال الفراء: وفي قراءة عبداً لله: ﴿لَكِي يَعْلَمُ أَهْلُ

الكتاب أَلَا يَقْدَرُونَ﴾ والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في إثره جحد

أو في أوله جحد غير مصرح فهذا مما دخل آخره الجحد، فجعلت (لا) في أوله
صلة. ١. هـ.

والآية المشار إليها ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شيء من فضل
الله﴾.

٦ - [يقال الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً].

ش: قاله الفراء وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: اللهم
أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس
فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء). الحديث.

قال ابن القيم: «فهذه الأسماء الأربعة متقابلة إسمان لأزليته وأبديته سبحانه
وإسمان لعلوه وقربه. فأوليته سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه وآخريته
سبحانه ثابتة بعد آخريّة كل ما سواه فأوليته سبقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد
كل شيء وظاهريته فوقيته وعلوه على كل شيء ومعنى الظهور يقتضي العلو
وظاهر الشيء ما علا منه وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه
من نفسه وهذا قرب الإحاطة العامة». ١. هـ.

والآية المشار إليها ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾.

٧ - [انظرونا﴾ انتظرونا].

ش: قاله الفراء وزاد: ومعنى انظرونا أخرونا كما قال أنظرنني إلى يوم
يبعثون، وقد تقول العرب أنظرنني وهم يريدون انتظرنني تقوية لقراءة يجيى.

قال الشاعر: أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

والآية المشار إليها ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا

نقتبس من نوركم... الآية﴾.

تنبيه

فإن قلت: لم كم يبوب البخاري على قوله تعالى ﴿الْم يَأْن لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ من هذه السورة وفيها ما رواه مسلم في باب قوله تعالى ﴿الْم يَأْن لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ من كتاب التفسير عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿الْم يَأْن لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين.

فالجواب أن الحديث صحيح ولكن لم يخرج المصنف ها هنا لأن فيه عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ليس على شرطه.

آخر تفسير سورة الحديد والحمد لله.

سورة المجادلة

٣٦٠ - باب سورة المجادلة

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ تِجَادِكَ فِي زَوْجِهَا
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.
وهي مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني
وباقيها مكِّي.
وآياتها ثنتان وعشرون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿بجادون﴾ يشاقون الله].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد في أوله يعادون.

وقد وردت الآية المشار إليها في السورة مرتين: إحداهما في الآية الخامسة والآخرى في الآية العشرين ولعل الشيخ أراد الأولى.

٢ - [﴿كتبوا﴾ أخذوا من الخزي].

ش: أخرجه ابن جرير عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ خزوا كما خزي الذين من قبلهم. ولا فرق بين هذه العبارة وعبارة المصنف في المعنى.

٣ - [﴿استحوذ﴾ غلب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد عليهم وحازهم. والآية المشار إليها ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله﴾. آخر سورة المجادلة والله الحمد والمنة.

سورة الحشر

٣٦١ - سورة الحشر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾.
وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير رواه البخاري ومسلم وسيأتي
وحديث العرياض المتقدم في سورة الحديد.
وهي مدنية كلها قال القرطبي في قول الجميع.
وآياتها أربع وعشرون آية.

قوله : ﴿الْجَلَاءُ﴾ الإخراج من أرض إلى أرض].

ش: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الجلاء: إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى.

وأخرج عن قتادة نحوه.

وقال أبو عبيدة: جلاوا من أرض إلى أرض جلاء وأجليتهم أنا.

والآية المشار إليها ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا...﴾

الآية ﴿﴾.

٣٩٨ - حدثنا محمد بن عبد الرحيم: ثنا سعيد بن سليمان: حدثنا

هشيم: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة

التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها

لن تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها: قال قلت: سورة الأنفال؟ قال نزلت في بدر

قال، قلت: سورة الحشر، قال نزلت في بني النضير.

٣٩٩ - حدثنا الحسن بن مدرك^(١): ثنا يحيى بن حماد^(٢): أخبرنا أبو

عوانة عن أبي بشر، عن سعيد قال: قلت: لابن عباس رضي الله عنهما:

سورة الحشر قال: قل سورة النضير.

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله «سورة التوبة، قال التوبة؟» هو إستفهام إنكاري بدليل قوله

بعد هي الفاضحة.

(١) هو أبو علي الحسن بن مدرك بن بشير السدوسي البصري الطحان، لا بأس به ونسبه

أبو داود إلى تلقين المشايخ من الحادية عشرة خ، م، د، س، ق.

(٢) يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني مولا هم البصري، ختن أبي عوانة ثقة عابد من

صغار التاسعة، مات سنة ثلاث وثمانين [ومائة] على الصحيح وله ثمانون سنة ع.

قال الحافظ: ووقع في رواية الإسماعيلي من وجه آخر عن هشيم (سورة التوبة؟ قال بل سورة الفاضحة).

الثانية: قوله «ما زالت تنزل ومنهم ومنهم» يعني مثل قوله ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يستخطون﴾، وقوله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾، وقوله ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾.

الثالثة: قوله «لن تبقي» وفيما اعتمده الحافظ (لم) وفي رواية الإسماعيلي أنه (لا يبقى) حكاه الحافظ.

قلت: والمعنى أن المنافقين حين سمعوا هذه الآيات وما شابهها من سورة التوبة خافوا أن يفضحوا عن آخرهم.

الرابعة: قوله «نزلت في بني النضير»

قال ابن إسحاق في السيرة (٢ / ١٩٢): «ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ وما عمل به فيهم».

الخامسة: قوله «قل سورة النضير» كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير من المدينة فتفرقوا ما بين خيبر والشام.

قال ابن إسحاق: فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب.

٣٦٢ - [باب ﴿ما قطعتم من لينة﴾]

ش: تمامها: ﴿أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾.

يقول تعالى ذكره: ما قطعتم أيها المسلمون من ألوان نخيل بني النضير أو تركتموها قائمة على أصولها من غير قطع.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى اللينة على أربعة أقوال حكاه ابن جرير:

أولها: أنها جميع أنواع النخل سوى العجوة وهو قول عكرمة ويزيد بن

رومان وقتادة والزهري وابن عباس.

وثانيها: أنها النخل كله العجوة منه وغير العجوة وبه قال مجاهد وعمرو بن

ميمون وابن زيد.

وثالثها: أنها لون من النخل وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.

ورابعها: أنها كرام النخل وبه قال سفيان.

وجمع ابن جرير في اختياره بين القول الثاني والثالث فقال والصواب من

القول في ذلك قول من قال: اللينة النخلة وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة

وإياها عنى ذو الرمة بقوله:

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشه يتزفرق

وقوله «فبإذن الله» يقول فبأمر الله قطعتم ما قطعتم وتركتكم ما تركتم،

وليغيب بذلك أعداءه ولم يكن فساداً.

﴿وليخزي الفاسقين﴾ أي وليذل الخارجين عن طاعة الله عز وجل

المخالفين أمره ونهيه وهم يهود بني النضير.

[لينة]: نخلة ما لم تكن عجوة أو برنية].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد في وسطه: وهي ألوان النخل.

وفي آخره: إلا أن الواو ذهبت لكسرة اللام قال ذو الرمة: فوق لينه.

٤٠٠ - حدثنا قتيبة ثنا ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع» في السيرة (١٩١/٢) قال ابن اسحاق: «فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها».

قلت: فيه جواز قطع شجر الكفار وإحراقه وبه قال عبد الرحمن بن القاسم ونافع مولى بن عمر ومالك والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق والجمهور.

الثانية: قوله: «وهي البويرة»، وزاد في المزارعة ولها يقول حسان:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير.

والبويرة تصغير البئر التي يستقي منها الماء، وهي موضع منازل بني النضير وهم اليهود الذين غزاهم رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد بستة أشهر.

الثالثة: قوله «فأنزل الله تعالى ﴿ما قطعتم... الخ﴾» الآية، هذا هو وجه

الشاهد من الحديث وقد سبق معناه أول الباب:

٣٦٣ - [باب قوله ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾]

ش: تمامها ﴿من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ الذي رد الله عز وجل على رسوله من أموال مشركي القرى.

وقوله «﴿ولذي القربى﴾» يقول ولذي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب واليتامى وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم.

والمساكين وهم الجامعون فاقة وذل المسئلة.

وابن السبيل وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله.

وقوله «﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾» يقول جل ثناؤه: وجعلنا

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء

دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة

في أبواب البر وسبل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا

تتغير.

٤٠١ - ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان، غير مرة عن عمرو عن الزهري

عن مالك بن أوس بن الحدثان^(١) عن عمر رضي الله عنه قال كانت أموال

بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا

ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم

يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله).

ش: فيه أربع مسائل:

(١) هو أبو سعيد مالك بن أوس بن الحدثان المدني له رؤية وروى عن عمر مات سنة

اثننتين وتسعين وقيل سنة إحدى، ع.

الأولى: قوله «كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب».

قلت: سبب ذلك ما أخرجه المصنف في فرض الخمس عن مالك بن الحداث قال: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من آدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال، إنه قدم علينا من قومك أهل آيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت له غيري، قال: فاقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون، قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، فسلموا فجلسا فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: تيدكم، أنشدكم بالله الذي يآذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه. قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالوا: قد قال ذلك، قال عمر: فيأني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله خص رسوله ﷺ في هذا الشيء بشيء لم يعطه احداً غيره، فذكر الحديث بتمامه وفي آخره فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال عمر: ثم توفي الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي الله أبا بكر، فكننت أنا ولي أبي

بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتي يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: لانورث، ما تركنا صدقة، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: أدفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله، هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعها إلي، فإني أكفيكماها).

الثانية: قوله (فكانت لرسول الله ﷺ خاصة) في فرض الخمس (فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكمها وبنها فيكم، حتى بقي منها هذا المال) وعند مسلم في الجهاد باب حكم الفيء وأبي داود في الخراج باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال (فإن الله خص رسوله ﷺ بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس)

وقد ذكر القاضي في معنى هذا احتمالين:

أحدهما: تحليل الغنيمة له ولأمته.

والثاني: تخصيصه بالفيء إما كله أو بعضه وهذا الثاني أظهر لإستشهاد

عمر على هذا بالآية حكاه النووي (٧٥/١٢).

الثالثة: قوله «ينفق على أهله منها نفقة سنته» في فرض الخمس (فكان

رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال).

فإن قلت: فكيف التوفيق بين هذا وحديث عائشة في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ (توفي ودرعه مرهونة على شعير).

قلنا لا معارضة بينهما لأنه يجمع بينهما بأنه كان يدخر لأهله قوت سنتهم ثم في طول السنة يحتاج لمن يطرفه إلى إخراج شيء منه فيخرجه فيحتاج إلى أن يعرض من يأخذ منها عوضه، فلذلك استدان.

الرابعة: قوله «ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله» في فرض الخمس (ثم يأخذ ما بقي فيجعله يجعل مال الله) وعند مسلم وأبي داود ثم يجعل ما بقي أسوة المال) ومعناه أن يجعل ما بقي عن نفقة أهله مساوياً للمال الآخر الذي يصرف لوجه الله.

تنبيه

أخرج المصنف في فرض الخمس عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال: أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا صدقة).

وها هنا استشكال شديد وهو أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً قد علما بأنه ﷺ قال: (لا نورث) فإن كانا سمعاه من النبي ﷺ فكيف يطلبانه من أبي بكر؟ وإن كانا إنما سمعاه من أبي بكر أو في زمنه بحيث أفاد عندهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟ والذي يظهر - والله أعلم - حمل الأمر في ذلك على ما تقدم في حديث فاطمة عليها السلام وأن كلا من علي وفاطمة والعباس اعتقد أن عموم قوله (لا نورث) مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، ولذلك نسب عمر إلى علي وعباس أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك. اهـ. من الفتح (٦/ ٢٠٧).

قلت: وهذا جمع حسن وجيد يزول به الإشكال ويندفع به التعارض.

فائدتان:

الأولى: قال ابن كثير في معنى قوله تعالى ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم... الآية﴾: «يقول تعالى مبيناً لمال الفبيء، وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفبيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله - عز وجل - في هذه الآيات، فقال: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾، أي: من بني النضير، ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾، يعني: الإبل، ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شيء قدير﴾، أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء».

الثانية: قال في المغني بعد قول الخرقى: مسألة: قال: وأربعة أحماس الفبيء لجميع المسلمين غنيهم وفقيرهم فيه سواء إلا العبيد.

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم اليوم في أن العبيد لا حق لهم في الفبيء، وظاهر كلام أحمد والخرقى أن سائر الناس لهم حق في الفبيء غنيهم وفقيرهم ذكر أحمد الفبيء فقال فيه حق لكل المسلمين وهو بين الغني والفقير، وقال عمر رضي الله عنه ما من أحد من المسلمين إلا له في هذا المال نصيب إلا العبيد فليس لهم فيه شيء وقرأ عمر: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى - حتى بلغ - والذين جاؤوا من بعدهم﴾ ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة ولئن عشت ليأتين الراعي بسرو وحمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه، ولأنه مال مخموس فلم يختص به من فيه منفعة كأربعة أحماس الغنيمة.

وذكر القاضي أن أهل الفسيء هم من أهل الجهاد من المرابطين في الثغور وجند المسلمين ومن يقوم بمصالحهم، لأن ذلك كان للنبي ﷺ في حياته لحصول النصرة والمصلحة به فلما مات صارت للجند ومن يحتاج إليه المسلمون فصار ذلك لهم دون غيرهم، وأما الأعراب ونحوهم ممن لا يعد نفسه للجهاد فلا حق لهم فيه والذين يغزون إذا نشطوا يعطون من سهم سبيل الله من الصدقة، قال ومعنى كلام أحمد أنه بين الغني والفقير يعني الغني الذي فيه مصلحة المسلمين من المجاهدين والقضاة والفقهاء ويحتمل أن يكون معنى كلامه أن لجميع المسلمين الانتفاع بذلك المال لكونه يصرف إلى من يعود نفعه على جميع المسلمين، وكذلك ينتفعون بالعبور على القناطر والجسور المعقودة بذلك المال وبالأنهار والطرق التي أصلحت به.

وسياق كلامه يدل على أنه ليس مختصاً بالجند وإنما هو مصروف في مصالح المسلمين لكن يبدأ بجند المسلمين لأنهم أهل المصالح لكونهم يحفظون المسلمين فيعطون كفاياتهم فما فضل قدم الأهم فالأهم من عمارة الثغور وكفاياتها فالأسلحة والكرراع وما يحتاج إليه ثم الأهم فالأهم من عمارة المساجد والقناطر وإصلاح الطرق وكراء الأنهار وسد بثوقها وإرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ونحو ذلك مما للمسلمين فيه نفع.

٣٦٤ - [باب ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾]

ش: تمامها ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.
أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير،
وإنما ينهى عن شر.

وقوله ﴿واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره
وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه
زجره ونهاه.

٤٠٢ - ثنا محمد بن يوسف: ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن
علقمة، عن عبد الله قال: (لعن الله الواثقات والموتشقات، والمتنمصات
والمتفلجات، للحسن المغيرات خلق الله) فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها
أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال وما لي لا
ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين
اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته أما
قرأت: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالت: بلى قال:
فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري،
فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً فقال: لو كانت كذلك ما جامعتنا).

٤٠٣ - ثنا علي: ثنا عبد الرحمن عن سفيان ذكرت لعبد الرحمن بن
عابس^(١) حديث منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبدا لله رضي الله عنه
قال: لعن رسول الله ﷺ الواصلة فقال: سمعته من امرأة يقال لها أم يعقوب
عن عبد الله مثل حديث منصور.

ش: فيهما خمس عشرة مسألة:

(١) هو عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة النخعي الكوفي، ثقة من الرابعة مات سنة تسع
عشرة ومائة خ، م، د، س، ق.

الأولى: قوله «لعن الله» قلت: اللعن من الله هو الطرد والإبعاد من رحمته واللعن من المخلوق هو طلب الطرد والإبعاد من رحمة الله.

الثانية: قوله «الواشحات» جمع واشمة بالشين المعجمة وهي التي تشم نفسها أو غيرها.

الثالثة: قوله «الموتشحات» وفي اللباس من رواية جرير (والمستوشحات) جمع مستوشمة وهي التي تطلب الوشم، ونقل ابن التين عن الداودي أنه قال (الواشمة التي يفعل بها الوشم والمستوشمة التي تفعله) ولا وجه له فإن الحديث صريح فيما قدمنا وعند مسلم في اللباس والنسائي في التفسير من رواية مفضل بن مهلهل (الموشحات) وهي من يفعل بها الوشم.

قال أهل اللغة: الوشم بفتح ثم سكون أن يغرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة أو غيرها فيخضر. وقال أبو داود في السنن: الواشمة التي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد والمستوشمة المعمول بها، انتهى. وذكر الوجه للغالب.

وأخرج المصنف عن نافع في باب وصل الشعر من اللباس قال: الوشم في اللثة، وليس المراد بذلك الحصر بل المراد أن الوشم يقع في أجزاء متعددة من الجسم وهو زينة عند المولعات به من النساء والظاهر أنهن يتعمدن وضعه فيما يظهر غالباً كالوجه والكفين.

الرابعة: قوله «والمتممصات» جمع متممصه وحكى ابن الجوزي متممصه بتقديم الميم على النون وهو مقلوب، والمتممصه التي تطلب النماص والنامصة التي تفعله، قال أبو داود في السنن: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه.

الخامسة: قوله «والمفلجات» الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الشيتين فالمفلجة هي التي تصطنع الفرجة بين الثنايا والرباعيات بمبرد أو نحوه.

وقوله في الحديث للحسن يفهم منه أن المذموم من فعلت ذلك لأجل الحسن فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلاً جاز.

السادسة: قوله «المغيرات خلق الله» هي صفة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفلج والوصل، كما صرح به في حديث أبي هريرة في باب وصل الشعر من اللباس عند المصنف.

السابعة: قوله «يقال لها أم يعقوب» قال في التقريب: هي امرأة من بني أسد كأنها صحابية ولها قصة مع ابن مسعود خ. اهـ. ويشير بالقصة إلى حديث الباب.

الثامنة: قوله «بلغني أنك لعنت كيت وكيت» وعند مسلم (ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشحات والمستوشحات والتمنصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) ومعنى كيت وكيت كناية عن الأمر نحو كذا وكذا. قال أهل العربية: إن أصلها كية، بالتشديد، والتاء فيها بدل إحدى الياءين والهاء في الأصل محذوفة وقد تضم التاء وتكسر، حكاها ابن الأثير باب الكاف مع الياء.

التاسعة: قوله «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله» ما استفهامية وجوز الكرمانى أن تكون نافية وهو بعيد بدليل قوله بعد (ومن هو في كتاب الله) والمعنى: ما يمنعني من لعن من لعنه الله ورسوله.

العاشرة: قوله «لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول» وعند مسلم (لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته) ومرادها أنها لم تجد في القرآن لعن أولئك النسوة من الواشمة والمستوشمة والتمنصة والمتفلجة.

الحادية عشرة: قوله «أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾» وعند مسلم (قال الله عز وجل ﴿وما آتاكم الرسول... الآية﴾).

الثانية عشرة: قوله «فإني أرى أهلك يفعلونسه» تعني زوجه وهي زينب بنت عبد الله الثقفية ومرادها أن زوج بن مسعود تفعل الأمور التي ذكرها في حديثه.

الثالثة عشرة: قوله «فلم تر من حاجتها شيئاً» أي من الذي ظنت أن زوج ابن مسعود تفعله.

الرابعة عشرة: قوله «ما جامعتنا» وعند مسلم (لم نجتمعها) ويحتمل أمرين: أولهما: أن يكون المراد بالجماع الوطاء. ثانيهما: الاجتماع وهو أبلغ لأن معناه كما قال جماهير العلماء لم نصابها ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها.

الخامسة عشرة: قوله «ذكرت لعبد الرحمن بن عابس» القائل هو سفيان بن سعيد الثوري.

من فقه الحديثين

أولاً: تحريم الوشم والتنميص والتفليج وانها من كبائر الذنوب.
 ثانياً: جواز لعن من لعنه الله ورسوله على سبيل العموم.
 ثالثاً: عناية السلف بالسنة وتمسكهم بها كالقرآن.

قال ابن القيم: بل كان السلف الصالح الطيب إذا سمعوا الحديث عنه وجدوا تصديقه في القرآن ولم يقل أحد منهم قط في حديث واحد أبداً أن هذه زيادة على القرآن فلا تقبله ولا نسمعه ولا نعمل به ورسول الله ﷺ أجل في صدورهم وسنته أعظم عندهم من ذلك وأكبر، اهـ من أعلام الموقعين (٢/٢٩٤).

٣٦٥ - [باب ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾]

ش: تمامها: ﴿من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾ يقول اتخذوا المدينة مدينة رسول الله ﷺ فابتوتوها منازل.

والإيمان بالله ورسوله من قبلهم يعني من قبل المهاجرين.

فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوءوا الإيمان.

قلت: معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبنياً وماء بارداً أو جعلوا الإيمان مستقراً ومستوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك. اهـ من الكشاف (٨٢/٤).

وقوله ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم.

﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

وقوله ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاربين على أنفسهم، ويبدعون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

وقوله ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الظاهر من الآية أن الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الأشياء التي يقبح الشح بها شرعاً من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيد إضافة الشح إلى

النفس، والإشارة بقوله فأولئك إلى (من) باعتبار معناها، وهو مبتدأ وخبره هم المفلحون والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب.

٤٠٤ - ثنا أحمد بن يونس: ثنا أبو بكر يعني ابن عياش عن حصين عن عمرو بن ميمون^(١) قال: قال عمر رضي الله عنه: (أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم).
ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «قال عمر» قلت: وهذا الحديث له قصة خرجها المصنف في الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ من رواية جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوترنه اليوم على نفسي، فلما أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، فإذا قبضت فاحملوني ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين. إني لا أعلم أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة، فاسمعوا له وأطيعوا، فسمى: عثمان، وعلياً، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وولج عليه شاب من الأنصار، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة

(١) هو أبو عبد الله ويقال أبو يحيى عمرو بن ميمون الأودي مخضرم مشهور، ثقة عابد، نزل الكوفة، مات سنة أربع وسبعين وقيل بعدها ع.

بعد هذا كله، فقال: ليتني يا أخي وذلك كفافاً، لا علي ولا لي، أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين. الحديث فذكره.

الثانية: قوله «أوصي الخليفة» وفي فضائل الصحابة باب قصة البيعة من رواية أبي عوانة (أوصي الخليفة من بعدي) وعند النسائي في تفسير الآية (من بعدي بتقوى الله).

الثالثة: قوله «بالمهاجرين الأولين» زاد النسائي (الذين أخرجوا من ديارهم وهم من صلى إلى القبلتين وقيل من شهد بيعة الرضوان).

الرابعة: قوله «(أن يعرف لهم حقهم)» عند المصنف في فضائل الصحابة (أن يحفظ لهم حرمتهم) وعند النسائي (أن يعرف لهم هجرتهم، ويعرف لهم فضلهم).

الخامسة: قوله «(وأوصي الخليفة بالأنصار)» زاد في فضائل الصحابة (خيراً) والأنصار اسم إسلامي، سمي به النبي ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم، والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج ينسبون إلى خزرج بن حارثة، وهما ابنا قبيلة وهو اسم أمهم وابوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع إليه أنساب الأزد.

السادسة: قوله «(الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ)» وعند المصنف في الفضائل والنسائي (والإيمان من قبلهم).

السابعة: قوله «(أن يقبل من محسنهم)» وعند النسائي (أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم).

الثامنة: قوله «(ويعفوا عن مسيئهم)» يعني به ما دون الحدود وحقوق الناس. وعند النسائي (ويتجاوز عن مسيئهم) وزاد في الفضائل (وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رداء الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن

يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم).

من فقه الحديث

أولاً: حرص عمر رضي الله عنه على جمع كلمة المسلمين ولم شملهم.

ثانياً: ورعه وتقواه.

ثالثاً: معرفته قدر المهاجرين والأنصار وغيرهم من أهل الأمصار.

رابعاً: فيه دليل على مشروعية وصية الحاكم من بعده خيراً بالرعية.

٣٦٦ - [باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾]

تقدمت الآية تامة مع شرحها في الباب قبله.

شرح جملة من الآثار

١ - [الخصاصة: الفاقة].

ش: هو قول مقاتل أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه حكاه في الفتح

(٦٣١/٨).

٢ - [﴿المفلحون﴾]: الفائزون بالخلود، الفلاح: البقاء].

ش: هو قول الفراء: قاله الحافظ وقال أبو عبيدة ج ١ ص ٢٩: كل من

أصاب شيئاً من الخير فهو مفلح ومصدره الفلاح وهو البقاء، وكل خير، قال لبيد

بن ربيعة:

نحل بلاداً حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

وأخرج ابن جرير (١٠٨/١) عن ابن عباس: أي الذين أدركوا ما طلبوا،

ونجو من شر ما منه هربوا.

وهذه الأقوال كلها صحيحة ولا تنافي بينها.

٣ - [حي على الفلاح: عَجِّلْ].

ش: قال ابن التين: لم يذكره أحد من أهل اللغة وإنما قالوا معناه هلم وأقبل

وهو كما قال لكن فيه إشعار بطلب الإعجال فالمعنى أقبل مسرعاً، قاله الحافظ

(٦٣٢/٨).

٤ - [وقال الحسن: ﴿حاجة﴾ حسداً].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا عبد الصمد: ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن

فذكره.

٤٠٥ - ثني يعقوب بن إبراهيم بن كثير^(١): ثنا أبو أمامة ثنا فضيل بن غزوان^(٢) ثنا أبو حازم الأشجعي^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله ﷺ: (ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفتي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: (لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك من فلان وفلان) فأنزل الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «(أتى رجل رسول الله ﷺ)» هذا الرجل هو أبو هريرة وقد وقع مفسراً في رواية الطبراني.

الثانية: قوله «(ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله)» زاد في رواية الكشميهني (رحمة) بالتنوين وفي فضائل الصحابة باب ويؤثرون على أنفسهم (من يضم أو يضيف هذا).

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي مولا هم الدورقي ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثمانين وله ست وثمانون سنة وكان من الحفاظ (ع).

(٢) هو أبو الفضل فضيل بن غزوان ابن جرير الضبي مولا هم الكوفي ثقة من كبار السابعة، مات بعد سنة أربعين ومائة. ع.

(٣) هو أبو حازم سلمان الأشجعي الكوفي ثقة من الثالثة، مات على رأس المائة، ع.

الثالثة: قوله «فقام رجل من الأنصار» وعند مسلم في الأشربة باب إكرام الضيف (فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة) وتردد الخطيب هل هو زيد بن سهل المشهور أو صحابي آخر يكنى أبا طلحة.

قلت: ولا يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق إلى أحد سوى زيد بن سهل.

فإن قلت: وقع للإمام المفسر القرطبي ج ١٨ ص ٢٤ عن الهروي أن هذه الآية نزلت في أبي المتوكل زاد: ابن عساكر الناجي، وأن الضيف ثابت بن قيس وقيل أن فاعلها ثابت بن قيس حكاه يحيى بن سلام.

قلنا تعقبه الحافظ فقال: وهو غلط بين فإن أبا المتوكل الناجي تابعي مشهور وليس له في القصة ذكر إلا أنه رواها مرسله أخرجها من طريق إسماعيل القاضي وكذا بن أبي الدنيا في كتاب قرى الضيف، وابن المنذر في تفسير هذه السورة كلهم من طريق إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي تابعي إجماعاً. فكانه جوز أنه صحابي يكنى أبا المتوكل وليس كذلك.

الرابعة: قوله «ونطوي بطوننا الليلة» عند مسلم (وأريه أنا نأكل)، ولا بن أبي الدنيا في قرى الضيف (قلت فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان).

وفيه مشروعية الإحتيال في إكرام الضيف إذا خشي أنه يمتنع.

الخامسة: قوله «ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ» في مناقب الأنصار وعند مسلم (فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ).

السادسة: قوله «لقد عجب الله عز وجل أو ضحكك» كذا ها هنا بالشك وعند مسلم من طريق جرير عن فضيل بن غزوان بلفظ (عجب) وعند ابن أبي الدنيا في حديث أنس (ضحك) بلا شك، وعجب من الشيء عجباً من باب تعب وتعجبت واستعجبت وهو شيء عجيب أي يعجب منه وأعجبني حسنه

وأعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول إذا ترفع وتكبر ويستعمل (التعجب) على وجهين:

أحدهما: ما يحمده الفاعل ومعناه الإستحسان والإخبار عن رضاه به.

الثاني: ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له ففي الإستحسان يقال (أعجبتني بالألف وفي الذم والإنكار (عجبت) وزن تعبت، قاله في المصباح.

قلت: والضحك يكون في العادة من الأشياء التي تخرج عن نظائرها وفي الحديث دليل على إثبات العجب والضحك لله عز وجل فكل منهما كسائر الصفات الإلهية ثابت بالنص والإجماع فلا تغتر بقول الخطابي: اطلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا. فإنه صرف لنص الشارع عن ظاهره بلا مسوغ.

السابعة: قوله «فأنزل الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾» وعند الحاكم في المستدرک (٤٨٣/٢) والواحدي في أسباب النزول كلاهما من طريق القاسم بن الحكم العرنی عن عبيد الله بن الوليد عن محارب بن دثار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعباله أحوج إلى هذا منا قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحداً إلى آخر حتى تداولها سبعة آيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة إلى آخر الآية.

لكن في اسناده عبيد الله بن الوليد وهو الواضح الكوفي ضعيف وعزاه الحافظ إلى ابن مردويه من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قلت: وعلى فرض ثبوته من هذا الوجه فلا يعارض حديث الباب لجواز تعدد القصة.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا.

ثانياً: ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولاً بما يتيسر إذا أمكنه ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه.

ثالثاً: فيه فضيلة إكرام الضيف وإيثاره.

رابعاً: وفيه منقبة لهذا الأنصاري وأمراته.

آخر تفسير سورة الحشر والحمد لله.

سورة المتحنة

٣٦٧ - سورة المتحنة بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات

مهجرات فأمتحنوهن الله أعلم بإيمانهن...﴾.

قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع.

وآياتها ثلاث عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿لا تجعلنا فتنة﴾ لاتعذبنا بأيديهم فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج عن ابن عباس وقتادة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

٢- [﴿بعض الكوافر﴾ أمر أصحاب النبي ﷺ بفراق نسائهم كن كوافر بمكة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن عمر طلق يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك.

والآية المشار إليها: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن من أجورهن ولا تمسكوا بعض الكوافر﴾ الآية.

٣٦٨ - [باب ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾]

ش: قلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي﴾ من المشركين ﴿وعدوكم أولياء﴾ يعني أنصاراً. وقوله ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ يقول جل ثناؤه: تلقون إليهم مودتكم إياهم ودخول الباء في قوله بالمودة، وسقوطها سواء.

وقوله ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهركم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال: ﴿إن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي لم يكن لهم عندكم دين إلا إيمانكم بالله رب العالمين. وقوله: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعدائكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله: ﴿تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعل ذلك الإتحاذ لعدوي وعدوكم أولياء ويلقي إليهم بالمودة فقد أخطأ طريق الحق والصواب وضل عن قصد السبيل.

فائدة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: أصل الدين وقاعدته أمران:
الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك
والموالاتة فيه وتكفير من تركه.
الثاني: الإنذار من الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه
وتكفير من فعله.

٤٠٦ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: ثنا عمرو بن دينار: ثنا الحسن بن
محمد بن علي^(١): أنه سمع عبيداً لله بن أبي رافع كاتب علي^(٢) يقول سمعت
علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال:
(انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها)
فذهبنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا، أخرجني
الكتاب، فقالت ما معي من كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب،
فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى
أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ما
هذا يا حاطب، قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأً من قريش،
ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها
أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يداً
يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني فقال النبي ﷺ: إنه
قد صدقكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله فاضرب عنقه فقال: إنه شهد

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني وأبوه ابن الحنفية
ثقة فقيه يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء من الثالثة، مات سنة مائة أو قبلها
بسنة ع.

(٢) هو عبيد الله بن أبي رافع المدني، مولى النبي ﷺ كان كاتب علي وهو ثقة، من الثالثة

بدرًا، وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ قال لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو.

حدثنا علي: قيل لسفيان في هذا: فنزلت ﴿لا تتخذوا عدوي﴾ قال سفيان هذا في حديث الناس، حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً، وما أرى أحداً حفظه غيري.

ش: فيه سبع عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد» قلت وسبب ذلك ما أخرجه ابن اسحاق: ثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها ساره، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به) وأخرج ابن جرير من طريق أبي البخزري الطائي عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، أسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبي ﷺ يريدكم).

الثانية: قوله «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ» بمعجمتين ومن قال بمهملة

ثم جيم فقد صحف وهو موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة.

الثالثة: قوله «فإن بها ضعينة معها كتاب» الضعينة بالطاء المعجمة وهو الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن، وقيل سميت المرأة ضعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجلسة. اهـ. من اللسان.

الرابعة: قوله «فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة» وعند ابن جرير (فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر النبي ﷺ).

الخامسة: قوله «أخرجني الكتاب» وعند ابن جرير (قلنا هاتي الكتاب).

السادسة: قوله «لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب» وعند ابن جرير (فقلنا أخرجني الكتاب وإلا عرينك) وفي رواية ابن اسحاق (لتخرجن إلي هذا الكتاب أو لنكشفنك) قال النووي (٥٥/١٦) (وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً، أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت مصلحة).

السابعة: قوله «فاخرجته من عقاصها» وعند ابن جرير (فأخرجته من حجرتها) وعند ابن اسحاق (فلما رأت الجدم منه قالت اعرض عني، فأعرض عنها، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب) والعقاص جمع عقيصة وهي الشعر الذي يلوى ويدخل أطرافه في أصوله.

الثامنة: قوله «فأتينا به النبي ﷺ» في الكلام محذوف تقديره فلما أخرجت الكتاب أخذناه منها فأتينا به النبي ﷺ.

التاسعة: قوله «فإذا فيه من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة» وعند ابن جرير (إلى أهل مكة) وحاطب هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير ابن سلمة بن صعيب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى، قال المرزبان في معجم الشعراء كان أحد فرسان قريش في الجاهلية

وشعرائها وقال ابن أبي خيثمة قال المدايني مات حاطب في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة. اهـ. الإصابة (٣١٤/١).

العاشرة: قوله: «ما هذا يا حاطب» وعند ابن جرير (قال ما حملك على ما صنعت) وعند ابن اسحاق (يا حاطب ما حملك على هذا).

الحادية عشرة: قوله: «لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرءاً من قريش ولم أكن من أنفسهم» وعند ابن جرير (يا نبي الله إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، وكان لي بها أهل ومال، ولم أكن من أنفسهم) وعند ابن اسحاق (أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت رجلاً في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة).

الثانية عشرة: قوله: «دعني يا رسول الله فأضرب عنقه» عند مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر (دعني يا رسول الله أضرب عنقه) وعند ابن اسحاق (فإن الرجل قد نافق) قال أهل العلم إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله.

فائدة

مذهب الشافعي وطائفة أن الجاسوس المسلم يعذر ولا يجوز قتله وقال بعض المالكية يقتل إلا أن يتوب وبعضهم يقتله وإن تاب وقال مالك يجتهد فيه الإمام، حكاة النووي (٥٧/١٦).

قلت: والأخير أصوب.

الرابعة عشرة: قوله «إنه شهد بدمراً وما يدريك لعل الله عز وجل أطلع علي أهل بدر» عند ابن جرير (أليس قد شهد بدمراً؟ قال بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك) قال أهل العلم فأرشد النبي ﷺ إلى علة ترك قتله بأنه شهد

بدرًا فكأنه قيل: وهل يسقط عنه شهود بدر هذا الذنب العظيم؟ فأجاب بقوله (وما يدريك).

تنبيه

قول النبي ﷺ لعمر: (وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) أشكل على كثير من الناس معناه، فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها وذلك ممتنع، فقالت طائفة منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله (اعملوا) الاستقبال، وإنما هو للماضي وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفرته، قال: ويدل على ذلك شيان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله فسأغفر لكم.

والثاني: أنه إن كان يكون إطلاقاً في الذنوب ولا وجه لذلك، وحقيقة هذا الجواب أي قد غفرت لكم بهذه الغزوة ما سلف من ذنوبكم، لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ (اعملوا) ياباه، فإنه للإستقبال دون الماضي وقوله (قد غفرت لكم) لا يوجب أن يكون اعملوا مثله فإن قوله (قد غفرت) تحقيق لوقوع المغفرة في المستقبل كقوله: (أتى أمر الله)، (وجاء ربك)، ونظائره.

الثاني: أن نفس الحديث يردده، فإن سببه قصة حاطب وتجنسه على النبي ﷺ وذلك ذنب وقع بعد غزوة بدر لا قبلها، وهو سبب الحديث فهو مراد منه قطعاً، فالذي نظن في ذلك والله أعلم أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم بل يموتون على الإسلام وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها بل يوفقهم لتوبة نصوح، واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأمر لما احتاجوا بعد

ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج وزكاة ولا جهاد، وهذا محال. اهـ. من الفوائد لابن القيم الجوزية (ص ٢٣).

قال مقيده: وهذا اختيار حسن ويؤيده أن سادة أهل بدر هم أحرص الناس على فعل الخيرات من فرائض ونوافل وابعدهم عن المنكرات، واشدهم لله خشية وأكثرهم طمعاً في رحمته، فكان الصديق إذا قرأ القرآن سمع لصوته أزيز كأزيز القدر وكان الفاروق يسأل حذيفة أمين سر النبي ﷺ ويقول: يا لله عليك هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين.

الخامسة عشرة: قوله (ونزلت فيه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ عند مسلم وابن جرير (فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ إلى قوله ﴿واليك أنبأ﴾ إلى آخر القصة. اهـ.

السادسة عشرة: قوله «لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو» هذا الشك من سفيان بن عيينة لكن جزم به في رواية الحارث عند ابن جرير ومحمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عند ابن اسحاق.

السابعة عشرة: قوله «هذا في حديث الناس» يعني هذه الزيادة يريد الجزم برفع هذا القدر وهذا يدل على أن هذه الزيادة لم يكن سفيان يجزم برفعها وقد أدرجها عنه ابن أبي عمير أخرجه الإسماعيلي من طريقه فقال في آخر الحديث يقال وفيه نزلت هذه الآية. اهـ. من الفتح

قلت: وقد أخرجه مسلم عن ابن أبي عمرو وعمرو الناقد، وقال عقبه: وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية، وجعلها اسحاق في روايته من تلاوة سفيان) وأخرجه ابن جرير عن عبيد بن اسماعيل والفضل بن الصباح بالجزم بالرفع فإذا انضمت هذه الرواية الأخيرة إلى ما قدمناه ترجح الرفع والله أعلم.

من فقه الحديث غير ما تقدم

أولاً: فضيلة أهل بدر.

ثانياً: فضيلة حاطب رضي الله عنه.

٣٦٩ - [باب ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ﴾]

ش: قلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ اللهُ أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ﴾ النساء ﴿الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَاِمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكانت محنة رسول الله ﷺ إيساهن إذا قدمن مهاجرات، وصفة هذا الإختبار كما أخرجه ابن جرير بسنده إلى أبي نصر الأسددي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ هذه الجملة معرضة لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه ولم يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرجوع إلى الإسلام.

وقوله ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الإطلاع عليه يقيناً، وأنه يجرم نكاح الكافر للمسلمة.

وقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائز في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة.

وقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ يقول جل ذكره: واعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهن مؤمنات، فلم ترجعوهن إليهم ما انفقوا في نكاحهم اياهن من الصداق.

قال القرطبي: «أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن يرد على زوجها ما أنفق، وذلك من الوفاء بالعهد، لأنه لما منع من أهله بجرمة الإسلام أمر برد المال إليه حتى لا يقع عليهم خسران من وجهين الزوجة والمال، ولا غرم إلا إذا طالب الزوج الكافر، فإذا حضر وطالب منعناها وغرنا، فإن كانت ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر إذ لم يتحقق المنع، وإن كان المسمى خمراً أو خنزيراً لم نغرم شيئاً، لأنه لا قيمة له وللشافعي في هذه الآية قولان:

أحدهما: أن هذا منسوخ قال الشافعي: وإذا جاءتنا المرأة الحرة من أهل الهدنة مسلمة مهاجرة من دار الحرب إلى الإمام في دار الإسلام أو في دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض، وإذا طلبها زوجها لنفسه أو غيره بوكالته ففيه قولان:

أحدهما: يعطى العوض، والقول ما قال الله عز وجل وفيه قول آخر أنه لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض فإن شرط الإمام رد النساء كان الشرط ورسول الله ﷺ ألا يرد النساء كان شرط من شرط رد النساء منسوخاً وليس عليه عوض لأن الشرط المنسوخ باطل ولا عوض للباطل.

وقوله ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن.

وقوله: ﴿وَلَا تَمْسُكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ يقول جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبائهن، والكوافر جمع كافرة، والعصم جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب.

قال القرطبي: «المراد بالكوافر ها هنا عبدة الأوثان من لا يجوز ابتداء نكاحها فهي خاصة بالكوافر من غير أهل الكتاب وقيل هي عامة نسخ منها نساء أهل الكتاب، ولو كان إلى ظاهر الآية لم تحل كافرة بوجه وعلى القول الأول إذا أسلم وثني أو مجوسي، ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهذا قول بعض أهل العلم ومنهم من قال: ينتظر بها تمام العدة». اهـ.

قلت: ومخصص الكتابيات من عموم هذه الآية قوله تعالى ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن﴾ الآية.

وقوله ﴿واسئلوا ما انفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهن اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله ﴿ذلكم حكم الله﴾ أي ذلكم المذكور من إرجاع المهور من الجهتين حكم الله.

وقوله ﴿يحكم بينكم﴾ في محل نصب على الحال أو مستأنفة ﴿والله عليم حكيم﴾ أي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله.

٤٠٧ - ثنا اسحاق: ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد: ثنا ابن أخي ابن

شهاب، عن عمه: أخبرني عروة: أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يباعدنك - إلى قوله - غفور رحيم﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك، كلاماً، ولا والله ما منست يده يد امرأة قط في المبايعه، ما يباعدنك إلا بقوله (قد بايعتك على ذلك).

تابعه يونس ومعمرو وعبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، وقال إسحاق بن راشد عن الزهري عن عروة وعمرة.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنين بهذه الآية» أي يختبر أولئك النسوة فيما يتعلق بالإيمان فيما يرجع إلى ظاهر الحال دون الاطلاع على ما في القلوب، وقد قدمنا أول الباب حديث ابن عباس في صفة هذا الإمتحان.

الثانية: قوله «قال عروة: قالت عائشة» هو موصول بالإسناد المذكور كما صرح به الزهري في باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية من كتاب الطلاق قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت... الحديث.

الثالثة: قوله «فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات» زاد في الطلاق (فقد أقر بالحننة) يعني الإمتحان والاختبار كما تقدم صفة ذلك.

الرابعة: قوله «قد بايعتك كلاماً» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعه، قال النووي ج ١٣ ص ١٠ فيه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأن صوتها ليس بعورة وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة كتطيب وفسد وحجامة، وقلع ضرس وكحل عين ونحوها مما لا توجد امرأة تفعله جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة. اهـ.

الخامسة: قوله «ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعه» في هذا القسم تأكيد الخبر، وكان عائشة رضي الله عنها أشارت بذلك إلى الرد على ما جاء عن أم عطية فعند ابن جرير من طريق اسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية في تفسير ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ قالت: لما قدم رسول

الله ﷺ المدينة جمع بين نساء الأنصار في بيت... الحديث وفيه فمد يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد) وعزاه الحافظ إلى البزار وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه عن أم عطية قالت: (بايعنا رسول الله ﷺ... الحديث وفيه ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها) قال الحافظ: ويمكن الجواب عن الأول بأن مد الأيدي من وراء حجاب إشارة إلى وقوع المبايعات وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض اليد التأخر عن القبول أو كانت المبايعات تقع بحائل.

السادسة: قوله «تابعه يونس ومعمرو وعبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري» أما متابعة يونس فقد رواها الذهلي في الزهريات عن إبراهيم بن المنذر به. قاله الحافظ.

وأما متابعة معمر فقد رواها المصنف في باب بيعة النساء من كتاب الأحكام قال: ثنا محمود: ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري فذكر الحديث بنحوه مختصراً.

وأما متابعة عبد الرحمن بن إسحاق فقال ابن مردويه في التفسير: ثنا أحمد بن محمد بن زياد: ثنا أبو اسمعيل: ثنا وهب بن بقية: ثنا خالد عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري فذكره. قاله الحافظ في التعليق (٣٣٩/٤).

وقوله «وقال إسحاق بن راشد عن الزهري عن عروة وعمرة» يعني عن عائشة جمع بينهما وصله الذهلي في الزهريات عن عتاب ابن بشير عن إسحاق بن راشد به. اهـ. حكاه الحافظ.

٣٧٠ - [باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ﴾]

ش: قلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ﴾ أي قاصدات لمبايعتك على الإسلام ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن وهو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي لا يلحقن بأزواجهن ولدًا ليس منهن.

وقوله ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي في كل أمر هو طاعة لله.

وقوله ﴿فَبَايِعْنَهُنَّ﴾ هذا جواب إذا والمعنى إذا بايعتك على هذه الأمور فبايعهن ولم يذكر في بيعتهن الصلاة والزكاة والصيام والحج لوضوح كون هذه الأمور ونحوها من أركان الدين وشعائر الإسلام، وإنما خص الأمور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء.

وقوله ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ أي اطلب من الله المغفرة لهن بعد هذه المبايعة لهن منك.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي كثير المغفرة والرحمة لعباده.

٤٠٨ - ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث: ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين^(١) عن أم عطية^(٢) رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرا علينا ﴿أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها،

(١) هي أم الهذيل حفصة بنت سيرين الأنصارية البصرية ثقة من الثالثة ماتت بعد المائة، ع.

(٢) هو نسيبة بنت كعب ويقال بنت الحارث الأنصارية صحابية مشهورة سكنت البصرة، ع.

فقالت: اسعدتني فالانه أريد أن أجزئها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت، فبايعها.

٤٠٩ - ثنا عبد الله بن محمد ثنا وهب بن جرير قال ثنا ابي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء.

٤١٠ - ثنا علي بن عبد الله: ثنا سفيان: قال الزهري حدثنا قال ثنا أبو إدريس سمع عبادة بن الصامت^(١) رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: (أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا - وقرأ آية النساء، وأكثر لفظ سفيان قرأ الآية - فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. تابعه عبد الرزاق عن معمر في الآية.

٤١١ - ثنا محمد بن عبد الرحيم: ثنا هارون بن معروف^(٢): ثنا عبد الله بن وهب: قال وأخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبאיعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا

(١) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت الأنصاري أحد النقباء شهد بدرأ مات بالرمل سنة أربع وثلاثين، ع.

(٢) هو أبو علي هارون بن معروف المروزي الخزاز الضريز، نزيل بغداد ثقة من العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وله أربع وسبعون، خ، م، د.

يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴿ حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ (أنتن على ذلك) وقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري الحسن من هي قال: (فتصدقن) وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقيان الفتح والخواتيم في ثوب بلال.

ش: فيها تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿ أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾» وعند مسلم في الجنائز باب التشديد في النياحة (لما نزلت هذه الآية ﴿بايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾).

الثانية: قوله «ونهانا عن النياحة» وعند مسلم في حديث أم عطية (كان منه النياحة) وهو رفع الصوت بالندب على الميت، لأنها سخط لقضاء الله ومعارضة لأحكامه وسوء أدب مع الله.

وقال النووي (٦ / ٢٣٧): فيه تحريم النوح وعظيم قبحه والإهتمام بإنكاره والزجر عنه لأنه مهيج للحزن ورافع للصبر.

قلت: وروى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: والنايحة إذا لم تب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران ودرع من حرب.

قال مقبده: ومن النياحة أمران ألفهما كثير من الناس وتتابعوا عليهما: أحدهما: الإجتماع للتعزية في مكان خاص كالدار أو المقبرة أو المسجد. ثانيهما: اتخاذ أهل الميت الطعام لضيافة الواردين للغزاء لما رواه أحمد وابن ماجة عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: (كنا نعد) وفي رواية (نرى) الإجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.

وقال النووي كما في المجموع (٥ / ٣٠٦): (وأما الجلوس للتعزية، فنص الشافعي والمصنف وسائر الأصحاب على كراهته، قالوا يعني بالجلوس لما أن

يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية قالوا بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها.

قلت: ونص الشافعي كما في الأم ج ١ ص ٢٤٨ قال: وأكره المأتم، وهي الجماعة، وإن لم يكن لهم بكاء، فإن ذلك يجدد الحزن، ويكلف المؤنة، مع ما مضى فيه من الأثر. اهـ.

الثالثة: قوله «فقبضت امرأة يدها» تقدم توجيهه في المسألة الخامسة من الباب قبله.

الرابعة: قوله «أسعدتني فلانة أريد أن أجزئها... الخ» وعند مسلم والنسائي في التفسير من رواية عاصم (إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم قال: إلا آل فلان) قال النووي: هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة كما هو ظاهر ولا تحل النياحة غيرها ولا لها في غير آل فلان كما هو صريح في الحديث وللشارع أن يخص من العموم ما شاء.

الخامسة: قوله «إنما هو شرط شرطه الله للنساء» اللام بمعنى على والمعنى إنما هو شرط شرطه الله على النساء.

قلت: ولا يستلزم هذا التخصيص كما هو صريح حديث عبادة بعده.

السادسة: قوله «اتباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً» في الإيمان باب علامة حب الأنصار (أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: (بإيعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً) والمبايعة عبارة عن المعاهدة سميت بذلك تشبيهاً بالمعوضة المالية كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ﴾.

السابعة: قوله «ولا تزنوا ولا تسرقوا» زاد في الإيمان (ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف) وعند مسلم

في الحدود باب الحدود كفارات لأهلها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ بدل ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ وعنده من رواية أبي الأشعث الصنعاني (ولا يعضه بعضنا بعضاً) والعضة هي ان يرميه بالبهتان والكذب وقيل النميمة كما أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ألا هل أتبعكم ما للعضة هي النميمة القالة بين الناس).

الثامنة: قوله «وقرأ آية النساء» يعني آية بيعة النساء وهي ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأعنك الآية﴾.

التاسعة: قوله «فمن وفي منكم فأجره على الله» عند ابن إسحاق (فإن وفيتم فلكم الجنة).

العاشرة: قوله «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له» في الإيمان (ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له) وعند ابن إسحاق (وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له).

الحادية عشرة: قوله «ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» وعند النسائي في الحدود باب ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها (ومن لم تنله عقوبة فأمره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه) وعند ابن إسحاق (وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر) وزاد المصنف في الإيمان (فبايعناه على ذلك) قلت: وفي الحديث دليل لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها بل هو بمشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه خلافاً للخوارج والمعتزلة.

الثانية عشرة: قوله «تابعه عبد الرزاق عن معمر في الآية» وصله مسلم فقال ثنا عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري بهذا الإسناد وزاد في الحديث (فتلا علينا آية النساء: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ الآية).

الثالثة عشرة: قوله «شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان» في رواية أبي عاصم في العيدين باب الخطبة بعد العيد (شهدت العيد مع رسول الله ﷺ).

الرابعة عشرة: قوله «فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد» فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن خطبة العيد بعد الصلاة قال القاضي هذا هو المتفق عليه من مذاهب علماء الأمصار وأئمة الفتوى ولا خلاف بين أئمتهم فيه وهو فعل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده. حكاها النووي (١٧٢/٦).

الخامسة عشرة: قوله «فنزل نبي الله ﷺ فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده» أي يأمرهم بالجلوس.

قال القاضي: هذا النزول كان في أثناء الخطبة وتعقبه النووي فقال: وليس كما قال إنما نزل إليهن بعد فراغ خطبة العيد وبعد انقضاء وعظ الرجال. اهـ.

قلت: وقد جاء ذلك صريحاً في حديث جابر فقال: (ثم خطب الناس فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل وأتى النساء...) ففي الحديث دليل على تخصيص الإمام النساء بالموعظة إذا دعت الحاجة لذلك وفي أمره ﷺ الرجال بالجلوس حكمة عظيمة وهي درء اختلاط الرجال بالنساء أثناء الخروج من المصلى والله أعلم.

السادسة عشرة: قوله (فقال) «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً...» الخ الآية. هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه أول الباب.

السابعة عشرة: قوله «أنتن على ذلك؟» يعني به المذكور في الآية.

الثامنة عشرة: قوله «وقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري الحسن من هي» قيل هي أسماء بنت يزيد، قال النووي: ويكون معناه لكثرة النساء واشتغالهن ثيابهن لا يدري من هي.

التاسعة عشرة: قوله (وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال)، وعند مسلم (هلم فدى لكن أبي وأمي) والفتخ واحدها فتحة كقصة وقصب واختلف في تفسيرها فقال عبد الرزاق هي الخواتيم العظام وقال الأصمعي هي خواتيم لا فصوص لها وقال ابن السكيت: خواتيم تلبس في أصابع اليد.

والخواتيم جمع خاتم وفيه أربع لغات فتح التاء وكسرها وخاتام وخيتام، قال النووي (وفي الحديث جواز صدقة المرأة من مالها بغير إذن زوجها ولا يتوقف ذلك على ثلث مالها هذا مذهبنا ومذهب الجمهور).

من فقه حديث ابن عباس

أولاً: جواز حضور النساء صلاة العيد مع الإمام ولكن بمعزل عن الرجال.
 ثانياً: أن صدقة التطوع لا تفتقر إلى إيجاب وقبول.
 ثالثاً: استحباب وعظ النساء وحثهن على الصدقة وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما.
 آخر تفسير سورة المتحنة والحمد لله.

سورة الصف

٣٧١ - سورة الصف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا.

قال الماوردي هي مدنية في قول الجميع.

وآياتها أربع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١ - [وقال مجاهد: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ من يتبعني إلى الله].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله﴾.

٢ - [وقال ابن عباس: ﴿مرصوص﴾ ملصق ببعضه ببعض].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ مثبت لا ينزول ملصق ببعضه ببعض. حكاه الحافظ.

والآية المشار إليها ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم

بنيان مرصوص﴾.

٣ - [وقال غيره: بالرصاص].

ش: قاله الفراء وزاد (حتمهم على القتال).

٣٧٢ - [باب قوله تعالى: ﴿من بعدي اسمه أحمد﴾].

ش: قلت الآية: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾.

المعنى واذكر يا محمد ﴿إذ قال عيسى بن مريم﴾ لقومه من بني إسرائيل ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة﴾ التي أنزلت على موسى ﴿ومبشراً﴾ ابشركم برسول من بعدي اسمه أحمد وهو الرسول النبي الأمي أحمد: فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد قام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.

وقوله ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ أي لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل المراد محمد ﷺ أي لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة، وهذا هو اختيار ابن جرير والأول أولى لدلالة ظاهر السياق عليه ولقوله تعالى في الآية العاشرة بعد المائة من سورة المائدة.

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾.

٤١٢ - ثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني محمد بن

جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب).

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «إن لي أسماء» في المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (لي خمسة أسماء) وفي حديث أبي موسى عند مسلم في باب أسمائه ﷺ من الفضائل قال (كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، أنا محمد وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة) وأخرج ابن سعد عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: أتخصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير بن مطعم يعدها؟ قال: نعم هي ست فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم، لكن روى البيهقي في الدلائل من طريق بن أبي حفصة عن الزهري في حديث حذيفة أحمد ومحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة فتحصل من هذه الأخبار أن أسمائه ﷺ تسعة.

فائدة

قال عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يسمى أحد قبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبياً يعث في ذلك الزمان يسمى محمداً فرجوا أن يكونوا هم، فسموا أبناءهم بذلك. حكاه الحافظ وقال السهيلي في الروض: لا يعرف في العرب من تسمى محمداً قبل النبي ﷺ إلا ثلاثة: محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن أحيحة بن الجلاح، ومحمد بن حمران بن ربيعة.

ومما وقع من أسمائه ﷺ في القرآن بالإتفاق (الشاهد، المبشر، النذير، المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير) وفيه أيضاً: (المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي والشهيد، والأمين والمزمل والمدثر).

قال الحافظ: ومن أسمائه المشهورة (المختار، والمصطفى والشفيع المشفع، والصادق، المصدق).

الثانية: قوله «أنا محمد» في سورة الفتح ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ وفي سورة محمد ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا

بما نزل على محمد ﷺ، وفي آل عمران ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾، وفي الأحزاب ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم﴾.

قال الراغب: مادة حمد ويقال فلان محمود إذا حمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة، ومحمد إذا وجد محموداً فحمد وإن كان من وجه إسمياً له علماً ففيه إشارة إلى وصفه بذلك، وتخصيصه بمعناه.

الثالثة: قوله «وأنا أحمد» هذا إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله تنبيهاً أنه كما وجد إسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله.

الرابعة: قوله «وأنا الماحي الذي يحو الله بي الكفر» في رواية نافع بن جبير عند ابن سعد (وأنا الماحي فإن الله يحو به سيئات من اتبعه) قال الحافظ: وهذا يشبه أن يكون من قول الراوي. اهـ.

قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وما زوي للنبي ﷺ من الأرض ووعد أن يبلغه ملك أمته قالوا يحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾.

قلت: وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد).

قال النووي (٢/١٩٠): قوله فيكم أي في هذه الأمة وإن كان خطاباً لبعضها ممن لا يدرك نزوله.

وقوله ﷺ حكماً أي ينزل حاكماً بهذا الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة. اهـ.

الخامسة: قوله «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي» أي على أثري أي أنه يحشر قبل الناس وهو موافق لما عند مسلم (يحشر الناس على عقبي) قال العلماء: معناها يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي.

السادسة: قوله «وأنا العاقب» زاد مسلم من رواية سفيان عن الزهري (والعاقب الذي ليس بعده نبي) وعنده أيضاً من رواية يونس بن يزيد (وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد) وقد سماه الله رؤفاً رحيماً، قال ابن الأعرابي: العاقب والعقوب الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه عقب الرجل لولده.

آخر تفسير سورة الصف والحمد لله.

سورة الجمعة

٣٧٢ - سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

وهي مدنية في قول الجميع حكاه القرطبي.

وآياتها إحدى عشرة.

٣٧٣ - [باب قوله ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾]

ش: تمامها ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

أي وامتن على آخرين من غيرهم أي من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله، وشاهدوه، وباشروا دعوته حصل لهم من الخصائص والفضائل، ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها، وهذا من عزته وحكمته حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم. اهـ. من تفسير ابن سعدي

قلت: وهذان الصنفان هم السعداء وأما من لم يقبل هدي الله الذي بعث به رسوله ولم يرفع به رأساً فهو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

[وقرأ عمر: (فأمضوا إلى ذكر الله)].

ش: وصله ابن جرير: ثني يونس بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهب: ثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحي أنه سمع سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله﴾.

وأخرجه أيضاً عن ابن مسعود وأبي العالية، وأخرجه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

ولا أدري ما مناسبة هذا الأثر للباب.

٤١٣ - ثني عبد العزيز بن عبد الله، ثني سليمان بن بلال، عن ثور^(١)

عن أبي الغيث^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ

(١) هو ثور بن يزيد الدبلي المدني ثقة من السادسة، مات سنة خمس وثلاثين ومائة، ع.

فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأله ثلاثاً، وفيها سلمان الفارسي، وضع رسول الله يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الشريا، لئاله رجال، أو رجل من هؤلاء).

ثنا عبد الله بن عبد الوهاب: ثنا عبد العزيز^(١): أخبرني ثور، عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (لئاله رجال من هؤلاء).

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «فأنزلت عليه سورة الجمعة» و«آخرين منهم لما يلحقوا بهم» كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة الجمعة، وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي. قاله الحافظ، وأخرج مسلم والنسائي في التفسير والترمذي في تفسير السورة جميعاً عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾.

الثانية: قوله «من هم يا رسول الله» وفي رواية قتبية عند مسلم في فضائل الصحابة باب فضل فارس (قال رجل من هؤلاء يا رسول الله؟) وفي رواية النسائي (قال من هؤلاء؟) والسائل هو أبو هريرة والجمع بين هذه العبارات أنه صرح مرة وكنى مرة أخرى.

(٢) هو سالم المدني مولى عبد الله بن مطيع ثقة من الثالثة، ع.

(١) هو أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي الجهني مولاهم المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر من الثامنة مات سنة ست، أو سبع وثمانين ومائة، ع.

الثالثة: قوله «فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً» وعند مسلم (فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً) وعند الترمذي (فلم يكلمه) والمعنى أن النبي ﷺ لم يجب أبا هريرة حتى كرر السؤال ثلاث مرات.

الرابعة: قوله «وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان» في رواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة (يده على فخذ سلمان) حكاها الحافظ

الخامسة: قوله «لو كان الإيمان» عند مسلم برواية يزيد بن الأصم (لو كان الدين) وعند أحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة (لو كان العلم).

السادسة: قوله «عند الثريا» هو كوكب مشهور وفي اللسان سميت لغزارة نوثها وقيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها فكأنها كثيرة العدد بالاضافة الى ضيق المحل) قلت وفي هذا التعبير النبوي - أعني قوله : ((عند الثريا)) - إشارة الى علو همة سلمان رضى الله عنه وصدق عزيمته.

السابعة: قوله «لنا له رجال - أورجل من هؤلاء» هذا الشك من سليمان بن بلال بدليل الرواية التي أوردها بعده من غير شك مقتصر على قوله (رجال من هؤلاء) وكذا عند مسلم والنسائي من رواية عبدالعزیز بن محمد الدراوردي.

٣٧٤ - [باب (وإذا رأوا تجارة أولهوا)]

ش: تمامها ﴿انفضوا إليها وتركوك قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أولهوا ﴿انفضوا إليها﴾ يعني أسرعوا إلى التجارة ﴿وتركوك قائماً﴾ يقول للنبي ﷺ: وتركوك يا محمد قائماً على المنبر، وذلك أن التجارة التي رأوها فانفض القوم إليها وتركوا النبي ﷺ قائماً كانت زيتاً قدم به دحية بن خليفة الكلبي من الشام وهذا هو قول أبي مالك وقره أخرجه ابن جرير عنهما.

وقوله ﴿قل ما عند الله﴾ يعني من الجزاء العظيم وهو الجنة ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ اللذين ذهبتم إليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي ﷺ لأجلها ﴿والله خير الرازقين﴾ فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

٤١٤ - ثني حفص بن عمر: ثنا خالد بن عبد الله: ثنا حصين عن سالم بن أبي الجعد، وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أقبلت غير يوم الجمعة، ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا إثني عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ» في رواية زائدة في الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً) وعند النسائي في التفسير (كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة فمرت غير تحمل الطعام) وعند مسلم في الجمعة باب في قوله تعالى ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ (أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت غير من الشام).

قلت: فبعض هذه الروايات ظاهر في أن انصراف القوم كان في الخطبة وبعضها ظاهرة أن انصراف القوم كان في الصلاة والجمع كما قال الحافظ رحمه الله بعد ذكره الروايات المختلفة في ذلك (٤٢٣/٢): فعلى هذا فقوله (نصلي) أي تنتظر الصلاة، وقوله (في الصلاة) أي في الخطبة مثلاً وهو من تسمية الشيء بما قاربه.

الثانية: قوله «فثار الناس» في الجمعة (فالتفتوا إليها) وعند مسلم (فانفتل الناس إليها) وعند النسائي (فخرج الناس) وعند الترمذي (فابتدروا أصحاب رسول الله ﷺ) وهذه العبارات ليس بينها اختلاف في المعنى وفي عدم إضافة واحدة منهن إلى ضمير المتكلم كقوله أنفتلنا أو ابتدرونا إلتفات لأن جابراً رضي الله عنه لم يكن ممن انصرف إلى تلك التجارة كما صرح به عند مسلم في رواية خالد الطحان عن حصين عن سالم حين قال (أنا فيهم).

الثالثة: قوله «إلا اثني عشر رجلاً» زاد مسلم والترمذي من رواية هشيم (فيهم أبو بكر وعمر) وأخرج ابن جرير في تفسير هذه الآية عن سعيد بن أبي عروبه عن قتادة قال: (فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلاً وامراً) قلت وهذا خير مرسل.

قال الحافظ: وفي تفسير إسماعيل بن أبي زياد الشامي (وامرأتان) ولابن مردويه من حديث ابن عباس (وسبع نسوة) لكن إسناده ضعيف. اهـ.

وهذه الروايات مع رواية الصحيحين والترمذي والنسائي كما ترى متفقة كلها على أن من بقي مع النبي ﷺ اثنا عشر من الرجال، فإن قلت ما الجواب عما أخرجه الدارقطني في باب ذكر العدد في الجمعة من كتاب الجمعة عن علي بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: (بينما رسول الله ﷺ يخطبنا... الحديث وفيه وتركوا رسول الله ﷺ ليس معه إلا أربعون رجلاً أنا منهم...) قلنا الجواب ما قاله الدارقطني بعد سياقه (لم يقل في

الإسناد) إلا أربعين رجلاً غير علي بن عاصم عن حصين، وخالفه أصحاب حصين فقالوا: لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثني عشر رجلاً.

قلت: و«علي المذكور هو علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، التيمي مولا هم صدوق يخطئ ويصر ورمي بالشييع من التاسعة، مات سنة إحدى ومائتين، وقد جاوز التسعين، د، ت، ق». اهـ من التقريب.

وقال يعقوب بن شيبة في حقه: كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع وكان شديد التوقي أنكر عليه كثرة الغلط مع تماديه على ذلك.

الرابعة: قوله «فأنزل الله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾» قلت: هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه أول الباب.

من فقه الحديث

أولاً: وجوب الإنصات لخطبة الجمعة على من حضر.

ثانياً: تحريم الخروج من المسجد أثناء خطبة الجمعة للبيع أو الشراء.

ثالثاً: فيه منقبة لأبي بكر وعمر وجابر رضي الله عنهم إذ لم يكونوا ضمن

المنصرفين.

رابعاً: فيه منقبة لأولئك الإثني عشر اللذين ثبتوا مع النبي ﷺ ولم يلتفتوا

للتجارة.

آخر تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة.

سورة المنافقون

سورة المنافقين بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية
قال القرطبي: هي مدنية في قول الجميع.
وآياتها إحدى عشرة.

٣٧٥ - [باب قوله (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله)]
 ش: تمامها ﴿وا لله يعلم انك لرسوله وا لله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾.
 يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿اذا جاءك المنافقون﴾ يا محمد (قالوا)
 بألسنتهم ﴿نشهد انك لرسول الله وا لله يعلم انك لرسوله﴾ قال المنافقون ذلك
 أو لم يقلوه ﴿وا لله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ يقول وا لله يشهد ان المنافقين
 لكاذبون في اخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد انك لرسول الله وذلك أنها لاتعتقد
 ذلك ولا تؤمن به فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.

٤١٥ - ثنا عبد الله بن رجاء ثنا اسرئيل عن أبي اسحاق عن زيد بن
 أرقم قال: (كنت في غزاة فسمعت عبدا لله بن أبي يقول: لاتنفقوا على من
 عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز
 منها الأذل فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته
 فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدا لله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني
 رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال
 لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله تعالى (اذا
 جاءك المنافقون) فبعث إلى النبي ﷺ فقرأ فقال ان الله قد صدقك (يازيد).

ش: فيه اثنتي عشرة مسألة

الأولى: قوله: «كنت في غزاة» زاد في الباب بعده (كنت مع عمي) وفي
 رواية زهير بعد هذا بيابين (خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة)
 وفي رواية محمد بن كعب القرظي عند النسائي في التفسير (كنت عند رسول
 الله ﷺ في غزوة تبوك) والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق ويؤيده
 ما ذكر ابن اسحاق في المغازي قال فيينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء وردت
 واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود
 يقود فرسه فازحم جهجاه وسانان بن زيد الجهني حليف بني عوف بن الخبزج

على الماء فاقتلا فصرخ الجهني يامعشر الأنصار فصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلايب قريش الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ... الحديث)

الثانية: قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله» هو كلام عبد الله بن أبي ولم يقصد الراوي بسياقه التلاوة وغلط بعض الشراح فقال هذا على سبيل البيان من ابن مسعود، قلت: ولا يلزم من كون عبد الله بن أبي قالها قبل أن ينزل القرآن بحكاية جميع كلامه. اهـ. قاله الحافظ.

الثالثة: قوله «فذكرت ذلك لعمي أو لعمر» كذا بالشك، وفي سائر الروايات الآتية لعمي بلا شك وكذا عند الترمذي في تفسير هذه السورة، قال الحافظ: ووقع عند الطبراني وابن مردويه أن المراد بعمه سعد بن عباد، وليس عمه حقيقة وإنما هو سيد قوم الخزرج، وعم زيد بن أرقم الحقيقي ثابت بن قيس له صحبة، وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً. اهـ.

الرابعة: قوله «فذكره للنبي ﷺ» أي ذكره عمي كما هو في الروايات التي بعد هذه، ووقع في رواية ابن أبي ليلى عن زيد (فأخبرت به النبي ﷺ) وفي رواية القرظي بعده بيايين (أخبرت به النبي ﷺ) فلعل زيدا راسل النبي ﷺ بالخبر أولاً ثم حضر فشافه به.

الخامسة: قوله «فحلفوا ما قالوا» في رواية زهير (فاجتهد بيمينه) والمراد به عبد الله بن أبي بن سلول وجمع باعتبار من معه ووقع في روايه آدم في الباب بعده (فارسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا) .

السادسة: قوله «فكذبني» بالتشديد وفي رواية زهير (فقالوا كذب زيد رسول الله ﷺ) وهذا بالتخفيف ورسول الله بالنصب على المفعوليه وعند النسائي في تفسير السوره من رواية ابن ابي ليلى (فجعل الناس يقولون أتى زيد رسول الله ﷺ بالكذب).

السابعة: قوله «وصدقهم» في الباب بعده (فصدقهم) ولاتعارض بين الروایتين إذ الافراد باعتبار عبد الله بن أبي والجمع باعتباره ومن معه.

الثامنة: قوله «فأصابني هم» في رواية زهير (فوقع في نفسي مما قالوا شدة) وفي رواية عبيدا لله بن موسى (فأصابني غم لم يصيبني مثله قط) وعند الحاكم في تفسير السورة (فوقع عليّ من الغم ما لم يقع على احد قط) وعند النسائي من رواية ابن ابي ليلى (حتى جلست في البيت مخافة إذا رأني الناس أن يقولوا كذبت).

التاسعة: قوله «فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبتك» كذا للأكثر، وذكر أبو علي الجياني أنه وقع في رواية الأصيلي عن الجرجاني: فقال لي عمر قال الجياني والصواب (عمي) كما عند الجماعة. قاله الحافظ.

العاشر: قوله «ومقتك» في رواية القرظي (فلامني الأنصار) وعند النسائي من طريقه (ولامني قومي) وعند الحاكم (وكذبتك وكذبتك المسلمون).

الحادية عشرة: قوله «فأنزل الله ﷻ إذا جاءك المنافقون» وبعده بثلاثة أبواب (فدعاني رسول الله ﷻ فأتيته فقال: (إن الله قد صدقك) ونزل ﴿هم الذين﴾، وفي رواية أبي الأسود عن عروه (فبينما هم يسيرون أبصروا رسول الله ﷻ يوحى إليه فنزلت) وعند الحاكم (فبينما أنا أسير مع رسول ﷻ في سفر

وقد خفقت برأسي من أهما فأتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد أو الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله ﷺ قلت ما قال لي رسول الله ﷺ شيئاً غير أنه عرك أذني فضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقال ما قال لك رسول الله ﷺ فقلت له مثل قولي لأبي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين).

الثانية عشرة: قوله «إن الله قد صدقك يا زيد» عند الترمذي (فأتاني النبي ﷺ أو أتته فقال إن الله قد صدقك) ومراده ﷺ إخبار زيد أن الله قد أنزل عليه تصديقه و تكذيب ابن أبي وصحبه من المنافقين.

من فقه الحديث

أولاً: فضيلة زيد بن أرقم رضي الله عنه.

ثانياً: أنه ينبغي لمن سمع أمراً يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاية الأمور ويخاف ضرره على المسلمين أن يبلغه إياه ليحترز منه وأن ذلك ليس من الغيبة المحرمة.

٣٧٦ - [باب ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾]

ش: تمامها ﴿فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾.
 قوله ﴿اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله﴾ أي اتقوا الناس بالآيمان الكذبة والحلفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون، فرما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبلاً فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ولهذا قال تعالى ﴿فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾.

[﴿جنة﴾: يجتنون بها]

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج عن الضحاك وقتادة نحوه.
 ٤١٦ - ثنا آدم بن أبي إياس: ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال أيضاً، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلقوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبي، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله - إلى قوله - ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها عليّ ثم قال: (إن الله قد صدقك).
 ش: تقدم شرحه ضمن الباب الذي قبله.

٣٧٧ - [باب ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا

يفقهون﴾]

ش: أي أنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى.

﴿طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي فلا يصل إلى قلوبهم

هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

وهذا هو النفاق الاعتقادي وأنواعه ستة وهي:

١- بغض الرسول ﷺ.

٢- بغض بعض ما جاء به.

٣- تكذيب الرسول ﷺ.

٤- تكذيب بعض ما جاء به.

٥- كراهية انتصار دين الإسلام.

٦- المسرة بإخفاض دين الإسلام.

٤١٧ - ثنا آدم ثنا شعبة، عن الحكم قال: سمعت محمد بن كعب

القرظي قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما قال عبد الله بن أبي:

لا تنفقوا على من عند رسول الله، وقال أيضاً لئن رجعنا إلى المدينة، أخصرت

به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت

إلى المنزل فدمت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتته فقال: (إن الله قد صدقك)

ونزل ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا﴾ الآية.

وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد

عن النبي ﷺ.

ش: قوله «فيه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن أرقم» كذا رواه الأعمش عن عمرو بن مرة عنه، وقد رواه شعبة عن عمرو بن مرة فقال عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم فكان لعمرو بن مرة فيه شيخان.
وقد سبق شرح الحديث ضمن الباب الأول من تفسير هذه السورة.

٣٧٨ - [باب ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾]

ش: يقول جل ذكره لنبية محمد ﷺ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لا ستواء خلقها وحسن صورها.

﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ يقول جل ثناؤه وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقتهم منطق الناس.

﴿كأنهم خشب مسندة﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم وإنما هم صور بلا أحلام وأشباح بلا عقول.

وقوله ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي يحسب هؤلاء المنافقون من خشيتهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة عليهم لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به استارهم ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم وسي ذراريتهم وأخذ أموالهم.

وقوله ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ أي هم العدو يا محمد فاحذرهم فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم.

قال ابن القيم: «ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا من اثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم بل هم أحق بالعداوة ممن يأتيهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم اشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة، والزم وادوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً يدلون

العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم فهم أحق بالعداوة من المبين الجاهر». اهـ. من طريق الهجرتين.
 وقوله «قاتلهم الله أنى يؤفكون» أي أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق.

٤١٨ - ثنا عمرو بن خالد: ثنا زهير بن معاوية: ثنا أبو إسحاق سمعت زيد بن أرقم: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبدا لله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأرسل إلى عبدا لله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا كذب زيد رسول الله ﷺ فوق في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: «إذا جاءك المنافقون» فدعاهم النبي ﷺ ليستغفروا لهم فلووا رؤوسهم، وقوله «خشب مسندة» قال كانوا رجالاً أجمل شيء.
 ش: مضى شرحه.

٣٧٩ - [باب قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾]

ش: يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله - أنهم إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، لووا رؤوسهم أي يعرضون عن قول من قال لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أو يعرضون عن رسول الله وجملة ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل الحال الأولى، وهي يصدون لأن الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى ورأيتهم صادين مستكبرين.

قوله: [حرّكوا: استهزؤوا بالنبي ﷺ، ويُقرأ بالتخفيف من لويت]

ش: قال الفراء حرّكها استهزاءً بالنبي ﷺ ودعائه، وقرأ بعض أهل المدينة: (لَوُوا رُؤُوسَهُمْ) بالتخفيف.

قلت: وبالتخفيف قرأ نافع وقرأ الباقر بالتشديد. حكاه مكي في الآية .
٤١٩ - ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي، فسمعت عبداً لله بن أبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته فأرسل إلى عبداً لله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، وكذّبي النبي ﷺ وصدقهم فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، وقال عمي: ما أردت إلى أن كذبتك النبي ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فأرسل إلي النبي ﷺ فقرأها وقال: إن الله قد صدقك.

ش: مضى شرحه.

٣٨ - [باب قوله ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن

يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين

الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله استغفرت لهم ذنوبهم أم لم تستغفر

لهم لن يغفر الله لهم يقول لن يصفح الله لهم ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها.

﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يقول إن الله لا يوفق للإيمان القوم

الكاذبين عليه الكافرين به الخارجين عن طاعته.

٤٢ - ثنا علي: ثنا سفيان: قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله رضي

الله عنهما قال: كنا في غزاة - قال سفيان مرة - في جيش - فكسع رجل من

المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري يا

للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: (ما بال دعوى جاهلية) قالوا يا

رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: (دعوها فإنها

منتنة) فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال يا رسول

الله، دعني اضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ (دعه لا يتحدث الناس أن

محمداً يقتل أصحابه) وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة،

ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

قال سفيان: فحفظته من عمرو: قال عمرو: سمعت جابراً: كنا مع

النبي ﷺ.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «كنا في غزاة» هي غزوة بني المصطلق كما تقدم في شرح

حديث زيد بن أرقم وعند الترمذي في التفسير من طريق ابن أبي عمرو عن

سفيان قال يرون أنها غزوة بني المصطلق.

الثانية: قوله «فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار» في المناقب باب ما ينهى من دعوى الجاهلية (وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً) وعند مسلم في البر والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار) وكسعه ضرب دبره بيده ووقع عند الطبري عن الحسن عن عمرو بن دينار عن جابر (أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد) واسم الكاسع هو جهجاه بن قيس ويقال ابن سعيد القفاري والمكسوع سنان بن وبرة الجهني حليف الأنصار.

الثالثة: قوله «ما بال دعوى الجاهلية» عند مسلم (ما هذا دعوى أهل الجاهلية) قال النووي (١٣٧/١٦): وأما تسميته بجاهلية ذلك دعوى الجاهلية فهو كراهة منه لذلك فإنه لما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها وكانت الجاهلية بأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل فجاء الإسلام يبطل ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية فإذا اعتدى انسان على آخر حكم القاضي بينهما وألزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الإسلام.

الرابعة: قوله «دعوها فإنها منتنة» في المناقب (فإنها خبيثة) والمعنى اتركوا مثل هذه الدعوى وهي دعوة كل من الغلامين حيه، ومنتنة بضم الميم وسكون النون وكسر المثناة من التن أي أنها كلمة قبيحة خبيثة.

الخامسة: قوله «فعلوها» هو استفهام بحذف الأداة أي افعلوها؟ أي الأثرة أي اشركناهم فيما نحن فيه فارادوا الاستبداد به علينا.

السادسة: قوله «أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» هذه المقولة الثالثة من مقولات رأس النفاق بالمدينة عبد الله بن أبي ويعني بالأعز نفسه وعصابته من أهل النفاق وأما سائر الأنصار فبريثون منها ويعني

بالأذى رسول الله ﷺ والمهاجرين، وما علم عدو الله أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

السابعة: قوله «فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني اضرب عنقه» عند مسلم (دعني اضرب عنق هذا المنافق) وفي المناقب (ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث).

قلت: فظهر لك أن عمر قال ما قال غيره على دين الله واستأذن في قتل ابن أبي تليxa من شره وقطعاً لدابره لما علم من خطورته على أهل الإسلام.

الثامنة: قوله «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» قال النووي (١٣٨/١٦): «فيه ما كان عليه الصلاة والسلام من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتم دعوة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغب غيرهم في الإسلام وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ويجاهدون معه إما حمية وإما لطلب دنياً أو عصبية لمن معه من عشائريهم». اهـ.

التاسعة: قوله «وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إن المهاجرين كثرو بعد» هذا مما يؤيد تقدم القصة، ويوضح وهم من قال إنها بتبوك لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيراً جداً، وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار.

٣٨١- [باب قوله ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره ﴿هم الذين يقولون﴾ يعني المنافقين الذين يقولون لأصحابهم لا تنفقوا على من عند رسول الله من أصحابه المهاجرين، ﴿حتى ينفضوا﴾ يقول حتى يتفرقوا عنه.

وقوله ﴿والله خزائن السموات والأرض﴾ يقول: والله جميع ما في السموات والأرض من شيء ويده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ أن ذلك كذلك فلذلك يقولون ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾.

٤٢١ - ثنا إسماعيل بن عبد الله، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة^(١)، عن موسى بن عقبة ثنا عبد الله بن الفضل^(٢): أنه سمع انس بن مالك يقول حزن علي من أصيب بالحرّة، فكتب إلي زيد بن أرقم، وبلغه شدة حزني يذكر: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار) وشك ابن الفضل في: (أبناء أبناء الأنصار) فسأل أنساً بعض من كان عنده فقال: هو الذي يقول رسول الله ﷺ (هذا الذي أوفى الله له ياذنه).

ش: فيه أربع مسائل:

- (١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة الأسدي مولا هم المدني ثقة تكلم فيه بلا حجة، من السابعة مات في خلافة المهدي خ تم س.
- (٢) هو عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي المدني ثقة من الرابعة، ع.

الأولى: قوله «حزنت على من أصيب بالحرّة» حزنت بكسر الزاي من الحزن قال الحافظ: زاد الإسماعيلي من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة (من قومي). اهـ.

وكانت تلك الموقعة سنة ثلاث وستين كما ذكره المؤرخون، وسببها أن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد فأمر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وأمر المهاجرون عليهم عبد الله بن مطيع العدوي، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية، مسلم بن عقبة السمرّي في جيش كثير فهزموهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جداً، وكان أنس يؤمئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار، فكتب إليه زيد بن أرقم وكان يؤمئذ بالكوفة يسليه، ومحصل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله لا يشتد الحزن عليه، فكان ذلك تعزية لأنس فيهم.

الثانية: قوله «وشك ابن الفضل في (أبناء أبناء الأنصار)» قلت وروى النضر بن أنس عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار) أخرجه مسلم في باب من فضائل الأنصار من كتاب فضائل الصحابة، وعند الترمذي في باب فضل الأنصار وقريش من المناقب عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم اغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولذراري ذراريهم).

الثالثة: قوله «فسأل أنساً بعض من كان عنده» لم أقف على هذا السائل ولعله النضر بن أنس فإنه هو الذي روى هذا الحديث والله أعلم.

الرابعة: قوله «أوفى الله له بأذنه» أي بسمعه وهو بضم الهمزة والذال المعجمة ويجوز فتحهما، أي اظهر صدقه فيما أعلم به، وأخرج عبد الرزاق (٢٩٤/٣): قال له النبي ﷺ (فلعلك غضبت عليه) فقال لا والله يا نبي الله لقد سمعته يقوله، قال فلعلك أخطأ سمعك فقال لا والله يا نبي الله لقد سمعته يقول

ذاك، قال فلعله نبه عليك فأنزل الله تعالى (تصديقاً للغلام ﴿لكن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل﴾
قلت: ومطابقة هذا الحديث للباب تؤخذ من قوله (هذا الذي أوفى الله له
بأذنه) ولما أخرج عبد الرزاق كما مضى.

٣٨٢ - [باب قوله ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فيها، ويعني بالأعز: الأشد والأقوى قال الله جل ثناؤه: ﴿والله العزة﴾ يعني الشدة والقوة، ولسوله وللمؤمنين بالله ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ذلك.

٤٢٢ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: حفظناه من عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري بالأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمّعها الله رسوله ﷺ قال: ((ما هذا؟)) فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال النبي ﷺ ((دعوها فإنها منتنة)) قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ (دعه)، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

ش: مضى في الباب الثمانين بعد الثلاثمائة

آخر تفسير سورة المنافقين والحمد لله

سورة التغابن

٣٨٣ - سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ

التغابن﴾.

وهي في قول الأكثرين مدنية وقال الضحاك مكية.

وآياتها ثمان عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

(١) [التغابن ﴿غبن أهل الجنة أهل النار﴾]

ش: في نسخة الحافظ: وقال مجاهد التغابن... فذكره.

قلت: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء: جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أسماء يوم القيامة عظمه

وحذر منه)

والآية المشار إليها: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن...﴾.

٢- [وقال علقمة، عن عبد الله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ هو الذي

إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من الله].

ش: أخرجه ابن جرير عن الأعمش عن أبي ضبيان قال كنا عند علقمه

فقرئ عنده هذه الآية ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ فستل عن ذلك فقال: هو

الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلم ذلك ويرضى).

وأخرجه عبدالرزاق من هذا الوجه عن علقمة بلفظ (هو الرجل يصاب

بالمصيبة فيعلم أنها من الله).

قال الحافظ: وأخرج البرقاني من وجه آخر عن علقمة قال: شهدنا عنده —

يعني عند عبد الله - عرض المصاحف فأتى على هذه الآية ﴿ومن يؤمن بالله يهد

قلبه﴾ قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم ويرضى.

آخر تفسير سورة التغابن •

سورة الطلاق

٣٨٤- سورة الطلاق بسم الله الرحمن الرحيم
ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.
وهي مدنية في قول الجميع قاله القرطبي.
وآياتها ثنتا عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال مجاهد: ﴿إن ارتبتم﴾ إن لم تعلموا: أتحيض؟ أم لا تحيض فاللاني

قعدن عن الحيض واللاني لم يحضن بعد: فعدتهن ثلاثة أشهر].

ش: وصله الفريابي كما في التعليق (٣٤٣/٤) قال ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني

الحارث: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (إن لم

تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهن ثلاثة أشهر) وبه قال

الزهري وابن زيد وهو أحد أقوال ثلاثة حكاهما في الآية.

ثانيها: أن معنى ذلك: إن ارتبتم بحكمهن فلم تدرؤا ما الحكم في عدتهن،

فإن عدتهن ثلاثة أشهر وهو قول أبي بن كعب.

وثالثها: أن معناه إن ارتبتم مما يظهر منهن من الدم، فلم تدرؤا ما الحكم

فيهن ولم يذكر قائلة واختار أن معنى الآية: واللاني ينسن من الحيض من نسائكم

إن ارتبتم بالحكم فيهن وفي عددهن، فلم تدرؤا ما هن فإن حكم عددهن إذا

طلقن وهن ممن دخل بهن أزواجهن فعدتهن ثلاثة أشهر) والتحقيق أن عدة

اليائسة من الحيض والصغيرة التي لم تبلغ سنه ثلاثة أشهر إذا طلقن بعد الدخول

بهن وأن قوله ﴿إن ارتبتم﴾ شرط لا مفهوم له مثل ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على

البغاء إن أردن تحصناً﴾ فنهيهن عن البغاء متحتم وليس مقصوراً على إرادتهن

التحصن.

والآية المشار إليها: ﴿واللاني ينسن من الحيض من نسائكم إن ارتبتم

فعدتهن ثلاثة أشهر واللاني لم يحضن﴾.

٢- ﴿وبال أمرها﴾ جزاء أمرها﴾.

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى، وثني الحارث قال: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرج عن السدي وقتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً﴾.

٤٢٣ - ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث: ثني عقيل عن ابن شهاب: أخبرني

سالم: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال (ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه فتلك العدة كما أمره الله).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «أنه طلق امرأته» وعند مسلم في الطلاق باب تحريم طلاق

الحائض بغير رضاها من رواية الليث عن نافع (أن ابن عمر طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة وفيه من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: (طلقت امرأتي) قال الحافظ (٣٤٧/٩): قال النووي في تهذيبه: «اسمها آمنة بنت غفار قاله ابن باطيش، ونقله عن النووي جماعة ممن بعده منهم الذهبي في تجريد الصحابة) لكن قال في مبهمات - فكأنه أراد مبهمات التهذيب، وأوردها الذهبي في آمنة بالمد وكسر الميم ثم نون وأبوها غفار ضبطه ابن يقضه بكسر المعجمة وتخفيف الفاء، ولكني رأيت مستند ابن باطيش في أحاديث قتيبة جمع سعيد العيار بسند فيه ابن لهيعة أن ابن عمر طلق امرأته آمنة بنت عمار، كذا رأيتها في بعض الأصول بمهملة مفتوحة ثم ميم ثقيلة والأول أولى، وأقوى من ذلك ما رأته في مسند أحمد قال: ثنا يونس: ثنا الليث عن نافع أن عبد الله طلق امرأته وهي حائض فقال عمر: يا رسول الله إن عبد الله طلق امرأته النوار فأمره أن

يراجعها... الحديث، وهذا الإسناد على شرط الشيخين، ويونس شيخ أحمد هو ابن محمد المؤدب من رجالهما، وقد أخرجه الشيخان عن قتيبة عن الليث ولكن لم تسم عندهما، ويمكن الجمع بأن يكون اسمها آمنة ولقبها النوار». اهـ.

الثانية: قوله «وهي حائض» في رواية قاسم بن اصبع من طريق عبد الحميد بن جعفر عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي في دمها حائض، وعند البيهقي من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر أنه طلق امرأته في حيضتها.

الثالثة: قوله «فذكر عمر لرسول الله ﷺ» في الطلاق باب وبعولتهن احق بردهن وفي رواية ابن أبي ذئب عن نافع (فأتى عمر النبي ﷺ فذكر له ذلك)، وأخرج أيضاً من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر الحديث وفيه (فاستفتى عمر رسول الله ﷺ).

الرابعة: قوله «فتغيب فيه رسول الله ﷺ» قال الحافظ: ولم أر هذه الزيادة في رواية غير سالم، وهو أجل من روى الحديث عن ابن عمر وفيه اشعار بأن الطلاق في الحيض كان تقدم النهي عنه وإلا لم يقع التغيب على أمر لم يسبق النهي عنه.

الخامسة: قوله «ليراجعها» في الطلاق (مره فليراجعها) قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام (٤/٥٣): «ويتعلق بالحديث مسألة أصولية وهي أن الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك الشيء أم لا فإن النبي ﷺ قال لعمر في بعض طرق الحديث مره فأمره، وعلى كل حال فلا ينبغي أن يتردد في اقتضاء ذلك الطلب وإنما ينبغي أن ينظر في أن لوازم صيغة الأمر هل هي لوازم لصيغة الأمر بالأمر. بمعنى أنهما هل يستويان في الدلالة على الطلب من وجه واحد أم لا». اهـ.

السادسة: قوله «ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» في رواية عبيد الله بن عمر عن نافع (ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فإذا

طهرت فليطلقها) وعند مسلم من رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم بلفظ (ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً) قال الشافعي: غير نافع إنما روى (حتى تطهر من الحيضة التي طلقها فيها ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق) رواه يونس بن جبير وأنس وابن سيرين وسالم قلت: وهو كما قال، لكن رواية الزهري عن سالم موافقة لرواية نافع، وقد نبه على ذلك أبو داود، والزيادة من الثقة مقبولة ولا سيما إذا كان حافظاً) اهـ. من الفتح (٣٤٩/٩).

السابعة: قوله «فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه» في الطلاق (إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمسه) وفي رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم (ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً).

فائدتان

الأولى: اختلف في الحكمة من هذا الأمر، فقال الشافعي: يحتمل أن يكون أراد بذلك أي بما وقع في رواية نافع - أن يستبرئها بعد الحيضة التي طلقها فيها بطهر تام ثم حيض تام ليكون تطليقها وهي تعلم عدتها إما بحمل أو بحيض، أو ليكون تطليقها بعد علمه بالحمل وهو غير جاهل بما صنع إذ يرغب فيمسك للحمل أو ليكون إن كانت سألت الطلاق غير حامل أن تكف عنه. وقيل الحكمة فيه أن لا تصير الرجعة لغرض الطلاق فإذا أمسكها زماناً يحل له فيه طلاقها ظهرت فائدة الرجعة.

وقيل إن الطهر الذي يلي الحيض وهو ممتنع من الطلاق في الحيض، فلزم أن يتأخر إلى الطهر الثاني.

الثانية: اختلف أهل العلم في جواز تطليقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي وقع فيها الطلاق والرجعة، وفيه للشافعية وجهان أصحهما المنع وبه قطع المتولي، وهو الذي يقتضيه ظاهر الزيادة التي في الحديث وعبارة الغزالي في الوسيط وتبعه

المجلى: هل يجوز أن يطلق في هذا الطهر؟ وجهان وكلام المالكية يقتضي أن التأخير مستحب.

وقال ابن تيمية في المحرر: ولا يطلقها في الطهر المتعقب له فإنه بدعه، وعنه أي عن أحمد - جواز ذلك، وفي كتب الحنفية عن أبي حنيفة الجواز، وعن أبي يوسف ومحمد المنع.

الثامنة: قوله «فتلك العدة كما أمر الله» في الطلاق (فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء) ومراده بيان قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ وهذا هو ما صرح به أبو الزبير في روايته عن عبد الرحمن بن أيمن قال ابن عمر وقرأ النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قَبْلِ عَدَّتِهِنَّ﴾.

قلت: وهو دليل على أن الأقراء هي الأطهار للأمر بطلاقها في الطهر، وتفسير القرء بالطهر هو قول ابن عمر وعائشة وزيد وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز والزهري ومالك والشافعي وأبي ثور وأبي بكر بن عبد الرحمن وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

تنبيه

قال ابن القيم في زاد المعاد بعد ذكره حديث الباب وأحاديث أخرى: فتضمنت هذه النصوص أن المطلقة نوعان: مدخول بها، وغير مدخول بها، وكلاهما لا يجوز تطليقها ثلاثاً مجموعة، ويجوز تطليق غير المدخول بها طاهراً وحائضاً.

وأما المدخول بها، فإن كانت حائضاً أو نفساء، حرم طلاقها، وإن كانت طاهراً، فإن كانت مستبينة الحمل، جاز طلاقها بعد الوطء وقبله، وإن كانت حائضاً لم يجز طلاقها بعد الوطء في طهر الإصابة، ويجوز قبله.

هذا الذي شرعه الله على لسان رسوله من الطلاق، وأجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي أذن الله فيه، وأباحه إذا كان من مكلف مختار، عالماً بمدلول اللفظ، قاصداً له.

واختلفوا في وقوع المحرم من ذلك، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الطلاق في الحيض، أو في الطهر الذي واقعها فيه.

المسألة الثانية: في جمع الثلاث، ونحن نذكر المسألتين تحريراً وتقريراً، كما ذكرناهما تصويراً، ونذكر حجج الفريقين، ومنتهى إقدام الطائفتين، مع العلم بأن المقلد المتعصب لا يترك من قلده ولو جاءته كل آية، وأن طالب الدليل لا يأثم بسواه، ولا يحكم إلا إياه، ولكل من الناس مورد لا يتعداه وسبيل لا يتخطاه، ولقد عذر من حمل ما انتهت إليه قواه، وسعى إلى حيث انتهت إليه خطاه.

فأما المسألة الأولى، فإن الخلاف في وقوع الطلاق المحرم لم يزل ثابتاً بين السلف والخلف، وقد وهم من ادعى الإجماع على وقوعه، وقال بمبلغ علمه، وخفي عليه من الخلاف ما اطلع عليه غيره، وقد قال الإمام أحمد: من ادعى الإجماع، فهو كاذب، وما يدرية لعل الناس اختلفوا.

كيف والخلاف بين الناس في هذه المسألة معلوم الثبوت عن المتقدمين والمتأخرين؟ قال محمد بن عبدالسلام الخشني: حدثنا محمد بن بشار؛ حدثنا عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، حدثنا عبيداً لله بن عمر، عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال في رجل طلق امرأته وهي حائض. قال ابن عمر: لا يعتد بذلك، ذكره أبو محمد ابن حزم في ((المحلى)) بإسناده إليه.

وقال عبد الرزاق في ((مصنفه)): عن ابن جريج، عن ابن طاووس، عن أبيه أنه قال: كان لا يرى طلاقاً ما خالف وجه الطلاق، ووجه العدة، وكان يقول: وجه الطلاق: أن يطلقها ظاهراً من غير جماع وإذا استبان حملها.

وقال الخشني: حدثنا محمد بن المثني، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا همام بن يحيى، عن قتادة، عن خلاص بن عمرو أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض: قال: لا يعتد بها قال أبو محمد ابن حزم: والعجب من جرأة من ادعى الإجماع على خلاف هذا، وهو لا يجد فيما يوافق قوله في إمضاء الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه كلمة عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم غير رواية عن ابن عمر قد عارضها ما هو أحسن منها عن ابن عمر، وروايتين ساقطتين عن عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما. إحداهما: رواها من طريق ابن وهب عن ابن سمعان، عن رجل أخبره أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقضي في المرأة التي يطلقها زوجها وهي حائض أنها لا تعتد بحيضتها تلك، وتعتد بعدها بثلاثة قروء. قلت: وابن سمعان هو عبد الله بن زياد بن سمعان الكذاب، وقد رواه عن مجهول لا يعرف. قال أبو محمد: والأخرى من طريق عبدالرزاق، عن هشام بن حسان، عن قيس بن سعد مولى أبي علقمة، عن رجل سماه، عن زيد بن ثابت أنه قال فيمن طلق امرأته وهي حائض: يلزمه الطلاق، وتعتد بثلاث حيض سوى تلك الحيضة.

قال أبو محمد: بل نحن أسعد بدعوى الإجماع هاهنا لو استجزنا ما يستجيزون، ونعوذ بالله من ذلك، وذلك أنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم قاطبة، ومن جملتهم جميع المخالفين لنا في ذلك أن الطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه بدعة نهي عنها رسول الله ﷺ مخالفة لأمره، فإذا كان لا شك في هذا عندهم، فكيف يستجيزون الحكم بتجوير البدعة التي يقرون أنها بدعة وضلالة، أليس بحكم المشاهدة يميز البدعة مخالفاً لإجماع القائلين بأنها بدعة؟ قال أبو محمد: وحتى لو لم يبلغنا الخلاف، لكان القاطع على جميع أهل الإسلام بما لا يقين عنده، ولا بلغه عن جميعهم كاذباً على جميعهم.

أولاً: قال الماتعون من وقوع الطلاق المحرم: لا يزال النكاح المتيقن إلا بيقين مثله من كتاب، أو سنة، أو إجماع متيقن. فإذا أوجدتمونا واحداً من هذه الثلاثة، رفعنا حكم النكاح به، ولا سبيل إلى رفعه بغير ذلك. قالوا: وكيف والأدلة المتكاثرة تدل على عدم وقوعه، فإن هذا طلاق لم يشرعه الله تعالى ألبتة، ولا أذن فيه، فليس من شرعه، فكيف يقال بنفوذه وصحته؟

ثانياً: قالوا: وإنما يقع من الطلاق المحرم ما ملكه الله تعالى للمطلق، ولهذا لا يقع به الرابعة، لأنه لم يملكها إياه، ومن المعلوم أنه لم يملكه الطلاق المحرم، ولا أذن له فيه، فلا يصح، ولا يقع.

ثالثاً: قالوا: ولو وكل وكيلاً أن يطلق امرأته طلاقاً جائزاً، فطلق طلاقاً محرماً، لم يقع، لأنه غير مأذون له فيه، فكيف كان إذن المخلوق معتبراً في صحة إيقاع الطلاق دون إذن الشارع، ومن المعلوم أن المكلف إنما يتصرف بالإذن، فما لم يأذن به الله ورسوله لا يكون محلاً للتصرف ألبتة.

رابعاً: قالوا: وأيضاً فالشارع قد حجر على الزوج أن يطلق في حال الحيض أو بعد الوطء في الطهر، فلو صح طلاقه لم يكن لحجر الشارع معنى، وكان حجر القاضي على من منعه التصرف أقوى من حجر الشارع حيث يبطل التصرف بحجره.

خامساً: قالوا: وبهذا أبطلنا البيع وقت النداء يوم الجمعة، لأنه بيع حجر الشارع على بائعه هذا الوقت، فلا يجوز تنفيذه وتصحيحه.

سادساً: قالوا: ولأنه طلاق محرم منهى عنه، فالمنهي يقتضي فساد المنهي عنه، فلو صححناه، لكان لا فرق بين المنهي عنه والمأذون فيه من جهة الصحة والفساد.

سابعاً: قالوا: وأيضاً فالشارع إنما نهى عنه وحرمه، لأنه يبغضه، ولا يجب وقوعه، بل وقوعه مكروه إليه، فحرمه لئلا يقع ما يبغضه ويكرهه، وفي تصحيحه وتنفيذه ضد هذا المقصود.

ثامناً: قالوا: وإذا كان النكاح المنهي عنه لا يصح لأجل النهي، فما الفرق بينه وبين الطلاق، وكيف أبطلتم ما نهى الله عنه من النكاح، وصححتم ما حرمه ونهى عنه من الطلاق، والنهي يقتضي البطلان في الموضوعين؟

تاسعاً: قالوا: ويكفينا من هذا حكم رسول الله ﷺ العام الذي لا تخصيص فيه برد ما خالف أمره وإبطاله وإلغائه، كما في الصحيح عنه، من حديث عائشة رضي الله عنها: (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). وهذا صريح أن هذا الطلاق المحرم الذي ليس عليه أمره ﷺ مردود باطل، فكيف يقال: إنه صحيح لازم نافذ؟ فأين هذا من الحكم برده؟.

عاشراً: قالوا: وأيضاً فإنه طلاق لم يشرعه الله أبداً مردوداً باطلاً كطلاق الأجنبية، ولا ينفعكم الفرق بأن الأجنبية ليست محلاً للطلاق بخلاف الزوجة، فإن هذه الزوجة ليست محلاً للطلاق المحرم، ولا هو مما ملكه الشارع إياه.

الحادي عشر: قالوا: وأيضاً فإن الله سبحانه إنما أمر بالتسريح بإحسان، ولا أشتر من التسريح الذي حرمه الله ورسوله، وموجب عقد النكاح أحد أمرين: إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، والتسريح المحرم أمر ثالث غيرهما، فلا عبرة به ألبتة.

الثاني عشر: قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، وصح عن النبي ﷺ المبين عن الله مراده من كلامه، أن الطلاق المشروع المأذون فيه هو الطلاق في زمن الطهر الذي لم يجامع فيه، أو بعد

استبانة الحمل، وما عداهما فليس بطلاق للعدة في حق المدخول بها، فلا يكون طلاقاً، فكيف تحرم المرأة به؟.

الثالث عشر: قالوا: وقد قال تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾، ومعلوم أنه إنما أراد الطلاق المأذون فيه، وهو الطلاق للعدة، فدل على أن ما عداه ليس من الطلاق، فإنه حصر الطلاق المشروع المأذون فيه الذي يملك به الرجعة في مرتين، فلا يكون ما عداه طلاقاً. قالوا: ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: إنهم لا طاقة لهم بالفتوى في الطلاق المحرم، كما روى ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلق كما أمره الله، فقد بين الله له، ومن خالف، فإننا لا نطيع خلافة، ولو وقع طلاق المخالف لم يكن الإفتاء به غير مطاق لهم، ولم يكن للتفريق معنى إذ كان النوعان واقعين نافذين.

الرابعة عشر: ما رواه أبو داود بالسند الصحيح الثابت عن أبي الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عمرو يسأل ابن عمر قال أبو الزبير وأنا أسمع: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إن عبداً لله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبداً لله: فردها علي ولم يرها شيئاً، وقال: إذا طهرت، فليطلق أو ليمسك، قال ابن عمر: وقرأ رسول الله ﷺ ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن﴾ في قبل عدتهن. قالوا: وهذا إسناد في غاية الصحة، فإن أبا الزبير غير مدفوع عن الحفظ والثقة، وإنما يخشى من تدليسه، فإذا قال: سمعت، أو حدثني، زال محذور التدليس، وزالت العلة المتوهمه، وأكثر أهل الحديث يحتجون به إذا قال: ((عن)) ولم يصرح بالسماع، ومسلم يصحح ذلك من حديثه، فأما إذا صرح بالسماع، فقد زال الإشكال، وصح الحديث، وقامت الحجة.

الخامس عشر: قالوا: ولا نعلم في خير أبي الزبير هذا ما يوجب رده، وإنما رده من رده استبعاداً واعتقاداً أنه خلاف الأحاديث الصحيحة، ونحن نحكي كلام من رده، ونبين أنه ليس فيه ما يوجب الرد.

قال أبو داود: والأحاديث كلها على خلاف ما قال أبو الزبير.

وقال الشافعي: ونافع أثبت عن ابن عمر من أبي الزبير، والأثبت من الحديثين أولى أن يقال به إذا خالفه.

وقال الخطابي: حديث يونس بن جبير أثبت من هذا، يعني قوله: (مره فليراجعها)، وقوله: (أرأيت إن عجز واستحمق)؟ قال: فمه.

قال ابن عبد البر: وهذا لم ينقله عنه أحد منهم، وأبو الزبير ليس بحجة فيما خالفه فيه مثله، فكيف بخلاف من هو أثبت منه.

وقال بعض أهل الحديث: لم يرو أبو الزبير حديثاً أنكر من هذا.

فهذا جملة ما رد به خير أبي الزبير، وهو عند التأمل لا يوجب رده ولا بطلانه.

أما قول أبي داود: الأحاديث كلها على خلافه، فليس بأيديكم سوى تقليد أبي داود، وأنتم لا ترضون ذلك، وتزعمون أن الحجة من جانبكم، فدعوا التقليد، وأخبرونا أين في الأحاديث الصحيحة ما يخالف حديث أبي الزبير؟ فهل فيها حديث واحد أن رسول الله ﷺ احتسب عليه تلك الطلقة، وأمره أن يعتد بها، فإن كان ذلك فنعم والله هذا خلاف صريح لحديث أبي الزبير، ولا تجحدون إلى ذلك سيلاً، وغاية ما بأيديكم (مره فليراجعها)، والرجعة تستلزم وقوع الطلاق. وقول ابن عمر. وقد سئل: أتعنت بتلك التغطية؟ فقال: (أرأيت إن عجز واستحمق) وقول نافع أو من دونه: (فحسبت من طلاقها) وليس وراء ذلك حرف واحد يدل على وقوعها، والاعتداد بها، ولا ريب في صحة هذه الألفاظ، ولا مطعن فيها، وإنما الشأن كل الشأن في معارضتها، لقوله: (فردها علي ولم

يرها شيئاً)، وتقديمها عليه، ومعارضتها لتلك الأدلة المتقدمة التي سقناها، وعند الموازنة يظهر التفاوت، وعدم المقاومة، ونحن نذكر ما في كلمة كلمة منها.
أما قوله: (مره فليراجعها)، فالمراجعة قد وقعت في كلام الله ورسوله على ثلاثة معان.

أحدها: ابتداء النكاح، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، ولا خلاف بين أحد من أهل العلم بالقرآن أن المطلق ما هنا: هو الزوج الثاني، وأن التراجع بينها وبين الزوج الأول، وذلك نكاح مبتدأ.

وثانيها: الرد الحسي إلى الحالة التي كان عليها أولاً، كقوله لأبي النعمان بن بشير لما نحل ابنه غلاماً خصه به دون ولده: (رده)، فهذا رد ما لم تصح فيه الهبة الجائزة التي سماها رسول الله جوراً، وأخبر أنها لا تصلح، وأنها خلاف العدل، كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

ومن هذا قوله لمن فرق بين جارية وولدها في البيع، فنهاه عن ذلك، ورد البيع، وليس هذا الرد مستلزماً لصحة البيع، فإنه يبيع باطل، بل هو رد شيئين إلى حالة اجتماعهما كما كانا، وهكذا الأمر بمراجعة ابن عمر امرأته ارتجاع ورد إلى حالة الاجتماع كما كانا قبل الطلاق، وليس في ذلك ما يقتضي وقوع الطلاق في الحيض ألبتة.

وأما قوله: «أرأيت إن عجز واستحمق»، فيا سبحان الله أين البيان في هذا اللفظ بأن تلك الطلقة حسبها عليه رسول الله ﷺ، والأحكام تؤخذ بمثل هذا ولو كان رسول الله ﷺ قد حسبها عليه، واعتد عليه بها لم يعدل عن الجواب بفعله وشرعه إلى: أرأيت، وكان ابن عمر أكره ما إليه (أرأيت)، فكيف يعدل للسائل عن صريح السنة إلى لفظة (أرأيت) الدالة على نوع من الرأي سببه عجز المطلق وحمقه عن إيقاع الطلاق على الوجه الذي أذن الله له فيه، والأظهر فيما هذه

صفته أنه لا يعتد به، وأنه ساقط من فعل فاعله، لأنه ليس في دين الله تعالى حكم نافذ سببه العجز والحمق عن امتثال الأمر، إلا أن يكون فعلاً لا يمكن رده بخلاف العقود المحرمة التي من عقدها على الوجه المحرم، فقد عجز واستحقم، وحينئذ، فيقال: هذا أدل على الرد منه على الصحة واللزوم، فإنه عقد عاجز أحقق على خلاف أمر الله ورسوله، فيكون مردوداً باطلاً، فهذا الرأي والقياس أدل على بطلان طلاق من عجز واستحقم منه على صحته واعتباره.

وأما قوله: فحسبت من طلاقها. ففعل مبني لما لم يسم فاعله، فإذا سمي فاعله، ظهر، وتبين، هل في حسبانها حجة أو لا؟ وليس في حسبان الفاعل المجهول دليل البتة. وسواء كان القائل: (فحسبت) ابن عمر أو نافعاً أو من دونه، وليس فيه بيان أن رسول الله ﷺ هو الذي حسبها حتى تلزم الحجة به، وتحرم مخالفته، فقد تبين أن سائر الأحاديث لا تخالف حديث أبي الزبير، وأنه صريح في أن رسول الله ﷺ لم يرها شيئاً، وسائر الأحاديث مجملة لا بيان فيها.

قال الموقعون: لقد أرتقيتم أيها المانعون مرتقى صعباً، وأبطلتم أكثر طلاق المطلقين، فإن غالبه طلاق بدعي، وجاهرتم بخلاف الأئمة، ولم تتحاشوا خلاف الجمهور، وشذذتم بهذا القول الذي أفتى جمهور الصحابة ومن بعدهم بخلافه، والقرآن والسنن تدل على بطلانه. قال تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾، وهذا يعم كل طلاق، وكذلك قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ ولم يفرق، وكذلك قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾، وقوله: ﴿وللمطلقات متاع﴾، وهذه مطلقة وهي عمومات لا يجوز تخصيصها إلا بنص أو إجماع.

قالوا: وحديث ابن عمر دليل على وقوع الطلاق المحرم من وجوه: أحدها: الأمر بالمراجعة، وهي لم شعث النكاح، وإنما شعثه وقوع الطلاق.

الثاني: قول ابن عمر، فراجعتهما، وحسبت لها التطليقة التي طلقها، وكيف يظن بابن عمر أنه يخالف رسول الله ﷺ فيحسبها من طلاقها، ورسول الله ﷺ لم يرها شيئاً.

الثالث: قول ابن عمر لما قيل له: أيجتسب بتلك التطليقة؟ قال: رأيت إن عجز واستحمق، أي: عجزه وحمقه لا يكون عذراً له في عدم احتسابه بها.

الرابع: أن ابن عمر قال: وما يعني أن أعتد بها، وهذا إنكار منه لعدم الاعتداد بها، وهذا يبطل تلك اللفظة التي رواها عنه أبو الزبير، إذ كيف يقول ابن عمر: وما يعني أن أعتد بها؟ وهو يرى رسول الله ﷺ قد ردها عليه، ولم يرها شيئاً.

الخامس: أن مذهب ابن عمر الاعتداد بالطلاق في الحيض، وهو صاحب القصة، وأعلم الناس بها وأشدهم اتباعاً للسنن، وتخرجاً من مخالفتها قالوا: وقد روى ابن وهب في ((جامعه))، حدثنا ابن أبي ذئب، أن نافعاً أخبرهم عن ابن عمر، أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهي واحدة هذا لفظ حديثه).

قالوا: وروى عبدالرزاق، عن ابن جريج قال: أرسلنا إلى نافع وهو يترجل في دار الندوة ذاهباً إلى المدينة، ونحن مع عطاء: هل حسبت تطليقة عبداً لله بن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

قالوا: وروى حماد بن زيد، عن عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من طلق في بدعة ألزمناه بدعته)، رواه عبدالباقى بن قانع، عن زكريا الساجي حدثنا إسماعيل بن أمية الذارع حدثنا حماد فذكره.

قالوا: وقد تقدم مذهب عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت في فتواهما بالوقوع.

قالوا: وتحريمه لا يمنع ترتب أثره، وحكمه عليه كالظهار، فإنه منكر من القول وزور، وهو محرم بلا شك، وترتب أثره عليه وهو تحريم الزوجة إلى أن يكفر، فهكذا الطلاق البدعي محرم، ويترتب عليه أثره إلى أن يراجع، ولا فرق بينهما.

قالوا: وهذا ابن عمر يقول للمطلق ثلاثاً: حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك، وعصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك. فأوقع عليه الطلاق الذي عصى به المطلق ربه عز وجل.

قالوا: وكذلك القذف محرم، وترتب عليه أثره من الحد، ورد الشهادة وغيرهما.

قالوا: والفرق بين النكاح المحرم، والطلاق المحرم، أن النكاح عقد يتضمن حل الزوجة وملك بضعها، فلا يكون إلا على الوجه المأذون فيه شرعاً، فإن الأبضاع في الأصل على التحريم، ولا يباح منها إلا ما أباحه الشارع، بخلاف الطلاق، فإنه إسقاط لحقه، وإزالة لملكه، وذلك لا يتوقف على كون السبب المنزىل مأذوناً فيه شرعاً، كما يزول ملكه عن العين بالإتلاف المحرم، وبالإقرار الكاذب، وبالتبرع المحرم، كهبتها لمن يعلم أنه يستعين بها على المعاصي والآثام.

قالوا: والإيمان أصل العقود وأجلها وأشرفها، يزول بالكلام المحرم إذا كان كفراً، فكيف لا يزول عقد النكاح بالطلاق المحرم الذي وضع لإزالته.

قالوا: ولو لم يكن معنا في المسألة إلا طلاق الهازل، فإنه يقع مع تحريمه لأنه لا يحل له الهزل بآيات الله، وقد قال النبي ﷺ: (ما بال أقوام يتخذون آيات الله هزواً: طلقتك راجعتك، طلقتك راجعتك) فإذا وقع طلاق الهازل مع تحريمه، فطلاق الجاد أولى أن يقع مع تحريمه.

قالوا: وفرق آخر بين النكاح المحرم، والطلاق المحرم، أن النكاح نعمة، فلا يستباح بالمحرّمات، وإزالته وخروج البضع عن ملكه نقمة، فيجوز أن يكون سببها محرماً.

قالوا: وأيضاً فإن الفروج يحتاط لها، والإحتياط يقتضي وقوع الطلاق، وتحديد الرجعة والعقد.

قالوا: وقد عهدنا النكاح لا يدخل فيه إلا بالتشديد والتأكيد من الإيجاب والقبول، والولي والشاهدين، ورضى الزوجة المعتبر رضاها، ويخرج منه بأيسر شيء، فلا يحتاج الخروج منه إلى شيء من ذلك، بل يدخل فيه بالعزيمة، ويخرج منه بالشبهة، فأين أحدهما من الآخر حتى يقاس عليه.

قالوا: ولو لم يكن بأيدنا إلا قول حملة الشرع كلهم قديماً وحديثاً: طلق امرأته وهي حائض، والطلاق نوعان: طلاق سنة، وطلاق بدعة، وقول ابن عباس رضي الله عنه: الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال، ووجهان حرام، فهذا الاطلاق والتقسيم دليل على أنه عندهم طلاق حقيقة، وشمول اسم الطلاق له كشموله للطلاق الحلال، ولو كان لفظاً مجرداً لغواً لم يكن له حقيقة، ولا قيل: طلق امرأته، فإن هذا لا يقال فيه: طلق، ولا يقسم الطلاق - وهو غير واقع - إليه وإلى الواقع، فإن الألفاظ اللاغية التي ليس لها معان ثابتة لا تكون هي ومعانيها قسماً من الحقيقة الثابتة لفظاً، فهذا أقصى ما تمسك به الموقعون، وربما ادعى بعضهم الإجماع لعدم علمه بالنزاع. اهـ.

قال مقيد: فبان بهذا التقرير أمران:

أحدهما: أن طلاق المدخول بها حائضاً أو في طهر بعد ميسس من الطلاق المحرم بنص الشارع.

وثانيهما: أنه غير معتد به وغير واقع لمخالفته أمر الله ورسوله.

٣٨٥ - [باب ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾]

ش: قلت الآية ﴿واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾.

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة، وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر، عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت عليه ذلك آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال ﴿واللاتي لم يحضن﴾.

وقوله ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ يقول تعالى: ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعها، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفراق ناقة، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به الأحاديث الصحيحة ومنها حديث الباب.

وقوله ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ يقول جل ثناؤه: ومن يخف الله فربه، فاجتنب معاصيه، وأدى فرائضه، ولم يخالف أذنه في طلاق امرأته فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسراً وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لإشباع نفسه إياها الرجعة مادامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعت نفسه إليها قدر على خطبتها.

من فقه الآية

- أولاً: أن من كانت من ذوات الحيض فلا تعتد بالأشهر.
- ثانياً: تنتهي عدة الحامل بوضع حملها طالبت المدة أو قصرت.
- ثالثاً: إن الطلاق وفق ما شرعه الله وهو استقبال العدة من تقوى الله.

رابعاً: وعد المتقي بتيسير أموره.

[«وأولات الأحمال»: واحدها ذات حمل].

ش: هو من قول أبي عبيدة، قلت لأن أولات ملحق بجمع المؤنث السالم فلا واحد له من لفظه، قال ابن مالك:

وما بتا وألف قد جمعا يكسر في الجر وفي النصب معاً
كذا أولات والذي اسماً قد جعل كأذرعَات فيه ذا أيضاً قبل

٤٢٤ - ثنا سعد بن حفص^(١)، ثنا شيبان، عن يحيى قال: أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده، فقال: افتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة؟ فقال ابن عباس: آخر الأجلين قلت أنا: «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريماً إلى أم سلمة يسأها: فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله، وكان أبو السنابل فيمن خطبها).

٤٢٥ - وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد قال: كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلي وكان أصحابه يعظمونه، فذكر آخر الأجلين، فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة، قال: فضمّر لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له، فقلت إنني إذا لجريء إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته، فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال:

(١) هو أبو محمد سعد بن حفص الطلحي مولا هم الكوفي، المعروف بالضحيم ثقة، من كبار العاشرة خ، س.

كنا عند عبدا لله، فقال: أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة لنزلت سورة النساء القصوى بعد الطولى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾.

ش: فيهما ثمان عشرة مسألة:

الأولى: قوله «جاء رجل إلى ابن عباس» لم نقف على اسمه.

الثانية: قوله «آخر الأجلين» أي يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً وهو نص آية البقرة، ولو وضعت قبل ذلك، فإن مضت ولم تضع تتربص إلى أن تضع، وقد قال بقول ابن عباس هذا محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، ونقل عن سجنون أيضاً.

قال الحافظ: «وروق عند الإسماعيلي: قيل لابن عباس في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة أبصلح أن تتزوج؟ قال لا إلى آخر الأجلين، قال أبو سلمة: فقلت: قال الله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ قال إنما ذاك في الطلاق وهذا السياق أوضح لمقصود الترجمة، لكن البخاري على عادته في إيثار الأخصى على الأجلى» اهـ.

قلت: وأخرج ابن جرير في تفسير هذه الآية من طريقين عن أبي بن كعب قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ قال: قلت: يا رسول الله، المتوفى عنها زوجها والمطلقة، قال نعم) وهذا الحديث وإن كان كل من طريقه فيه مقال إلا أنه يشهد له قصة سبيعة.

الثالثة: قوله «قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة»، أي أوافقه

فيما قال.

الرابعة: قوله «فأرسل ابن عباس غلامه كريماً إلى أم سلمة» هذا صريح

واضح أن ابن عباس استفتى أم سلمة في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، ويزيده وضوحاً ما أخرجه مسلم في الطلاق باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها

من رواية سليمان بن يسار (فبعثوا كريماً مولى ابن عباس إلى أم سلمة سألتها عن ذلك، فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت: أن سبيعة الأسلمية، نفست بعد وفاة زوجها بليال، وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج).

الخامسة: قوله «قتل زوج سبيعة» كذا هنا، وفي غير هذه الرواية أنه مات والمعنى واحد، واستغنت أم سلمة بسياق قصة سبيعة عن الجواب بلا أو نعم، لكنه اقتضى تصويب قول أبي سلمة.

السادسة: قوله «وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان» وهو محمد بن الفضل المعروف بعارم وكلاهما من شيوخ البخاري قال الحافظ: لكن ذكره الحميدي وغيره في التعليق، وأغفله المزي في الأطراف مع ثبوته هنا في جميع النسخ وقد وصله الطبراني في المعجم الكبير عن علي بن عبدالعزيز عن أبي النعمان بلفظه. اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي في باب عدة الحامل من الوفاة من كتاب العدد من سننه (٤٣٠/٧) من طريق يعقوب بن سفيان: أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد عن أيوب عن محمد بن سيرين فذكره.

السابعة: قوله «كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه» تقدم في تفسير سورة البقرة من طريق عبدالله بن عون عن ابن سيرين بلفظ: (جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار).

الثامنة: قوله «فذكروا له، فذكر آخر الأجلين» أي ذكروا له الحامل تضع بعد وفاة زوجها.

التاسعة: قوله: «فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة» أي ابن مسعود، وقد قدمنا قصة سبيعة في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثالث والأربعين عند شرح الحديث الخامس والخمسين.

العاشرة: قوله «فضمز» بضاد معجمة وميم ثقيلة وزاي قال ابن التين: كذا في أكثر النسخ ومعناه أشار إليه أن أسكت، ضمز الرجل إذا عض على شفتيه.
الحادية عشرة: قوله «إني إذأجريء إن كذبت على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة» في رواية هشام عن ابن سيرين عند عبد بن حميد (إني لحريص على الكذب) وهذا يشعر بأن القصة وقعت لابن سيرين في حياة عبد الله بن عتبة).

الثانية عشرة: قوله: «لكن عمه لم يقل ذلك» يعني به عبد الله بن مسعود والقائل هو عبدالرحمن بن أبي ليلى، والمشهور عن ابن مسعود أنه كان يقول خلاف ما نقله ابن أبي ليلى فعله كان يقول ذلك ثم رجع، أو وهم الناقل عنه.
الثالثة عشرة: قوله «فلقيت أبا عطية مالك بن عامر» في رواية ابن عوف (مالك بن عامر أو مالك بن عوف) بالشك والمحفوظ مالك بن عامر وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه والقائل هو ابن سيرين كأنه استغرب ما نقله ابن أبي ليلى عن ابن مسعود فاستثبت فيه من غيره، ووقع في رواية هشام عن ابن سيرين (فلم أدر ما قول ابن مسعود في ذلك فسكت، فلما قمت لقيت أبا عطية).

الرابعة عشرة: قوله: «فذهب يحدثني بحديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً» أي بمثل ما حدث به عبد الله بن عتبة عنها وقوله (هل سمعت) أراد استخراج ما عنده في ذلك عن ابن مسعود لما وقع عنده من التوقف فيما أخبر به ابن أبي ليلى.

الخامسة عشرة: قوله: «أتجعلون عليها» في رواية أبي نعيم من طريق الحارث بن عمير عن أيوب، (فقال أبو عطية ذكر ذلك عند ابن مسعود فقال: رأيتم لو مضت أربعة أشهر وعشرا ولم تضع حملها كانت قد حلت؟ قالوا: لا، قال: فتجعلون عليها التعليل) الحديث.

السادسة عشرة: قوله: «ولا تجعلون عليها الرخصة» في رواية الحارث بن عمير (ولا تجعلون لها) والحرفان بمعنى ومراده لماذا لا تجعلون لها الرخصة كما دلت عليه آية سورة الطلاق وهي قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾.

السابعة عشرة: قوله: (نزلت سورة النساء القصوى بعد الطولى) هو تأكيد لقسم محذوف تقديره والله لقد نزلت والقصوى سورة الطلاق والطولى سورة البقرة ومراد ابن مسعود إن كان هناك نسخ فالتأخر هو الناسخ، وإلا فالتحقيق أن لا نسخ هناك بل عموم آية البقرة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ مخصوص بآية الطلاق ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ ويوضحه قصة سيعة.

الثامنة عشرة: قوله: «﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾» هذا هو محل الشاهد من حديث بن سيرين وقد تقدم تفسيره أول الباب.

من فقه الحديثين

أولاً: أن عدة الحامل المتوفى عنها مدة حملها طال أو قصر.

ثانياً: توقيف أهل العلم والفضل.

ثالثاً: الاستنبات في الفتوى.

رابعاً: حرص السلف على أخذ العلم من الأعلى فالأعلى.

آخر تفسير سورة الطلاق والله الحمد والمنة.

سورة التحريم

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مدنية في قول الجميع كما قال القرطبي.

وآياتها اثنا عشرة آية.

٣٨٦ - [باب ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لنييه محمد ﷺ: يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

وقد اختلف أهل العلم بالتفسير فيما حرمه الرسول ﷺ على نفسه على ثلاثة أقوال:

أحدها: كان ذلك مارية مملوكته القبطية وهو قول زيد بن أسلم ومسروق وقتادة والشعبي وابن زيد والضحاك.

وثانيها: أنه جاريتته وبه قال ابن عباس.

وثالثها: كان ذلك شرباً يشربه كان يعجبه وبه قال عبد الله بن شداد بن الهاد، حكاهما جميعهما ابن جرير واختار أن الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له وجائز أن يكون ذلك كان جاريتته، وجائز أن يكون شرباً من الأشربة وجائز أن يكون غير ذلك.

وقوله ﴿والله غفور رحيم﴾ أي عظيم المغفرة والرحمة، لما فرط منك بتحريمك على نفسك ما أحل الله لك.

٤٢٦ - ثنا معاذ^(١) بن فضالة: ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم هو يعلى^(٢) بن حكيم الثقفي عن سعيد بن جبير: أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام يكفر وقال ابن عباس: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

(١) هو أبو زيد معاذ بن فضالة الزهراني أو الطفاوي البصري ثقة من العاشرة وهو من كبار شيوخ البخاري، مات بعد سنة عشر ومائتين، خ.

(٢) هو يعلى بن حكيم، الثقفي مولاهم المكي، نزيل البصرة، ثقة من السادسة، خ، م، د، س، ق.

٤٢٧ - ثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، وبمكث عندها فواطيت أنا وحفصة علي: أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغاير، إني أجد منك ريح مغاير قال: (لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً).

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «في الحرام يكفر» أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام لا تطلق وعليه كفارة يمين وفي الطلاق باب لم تحرم ما أحل الله لك من رواية معاوية بن سلام (إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها) قال النووي: (وقد اختلف العلماء فيما إذا قال لزوجته أنت علي حرام فمذهب الشافعي أنه إن نوى طلاقها كان طلاقاً وإن نوى الظهار كان ظهاراً وإن نوى تحريم عينها بغير طلاق ولا ظهار لزمه بنفس اللفظ كفارة يمين والثاني أنه لغو لا شيء فيه ولا يترتب عليه شيء من الأحكام). اهـ.

ثم حكى عن القاضي عياض أربعة عشر قولاً منها:

المشهور من مذهب مالك أنه يقع به ثلاث طلاقات سواء كانت مدخولاً بها أم لا لكن لو نوى أقل من الثلاث قبل في غير المدخول بها خاصة قال وبهذا المذهب قال أيضاً علي بن أبي طالب وزيد والحسن والحكم.

والثاني: أنه يقع به ثلاث طلاقات ولا تقبل نيته في المدخول بها ولا غيرها قاله ابن أبي ليلى وعبد الملك بن الماجشون المالكي.

والثالث: أنه يقع مانوى ولا يكون أقل من طلقة واحدة قاله الزهري.

والرابع: أنه كتحريم الماء والطعام فلا يجب فيه شيء أصلاً ولا يقع به

شيء بل هو لغو قاله مسروق والشعبي وأبوسلمة وأصبغ المالكي.

ثم قال بعد هذا: هذا كله إذا قال لزوجته الحره أما إذا قاله لأمة فمذهب الشافعي أنه إن نوى عتقها عتقت وإن نوى تحريم عينها لزمه كفارة يمين، ولا يكون يميناً وإن لم ينو شيئاً وجب كفارة يمين على الصحيح من المذهب وقال مالك هذا في الأمة لغو لا يترتب عليه شيء قال القاضي: وقال عامة العلماء عليه كفارة يمين بنفس التحريم وقال أبو حنيفة يحرم عليه ما حرمه من أمة وطعام وغيره ولا شيء عليه حتى يتناوله فيلزمه حينئذ كفارة يمين ومذهب مالك والشافعي والجمهور أنه إن قال هذا الطعام حرام علي أو هذا الماء أو هذا الثوب أو دخول البيت أو كلام زيد وسائر ما يحرمه غير الزوجة والأمة يكون هذا لغواً لا شيء فيه ولا يحرم عليه ذلك الشيء فإذا تناوله فلا شيء عليه وأم الولد كالأمة فيما ذكرنا. اهـ. من شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/ ٧٣، ٧٤).

الثانية: قوله: «وقال ابن عباس ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾» فيه إشارة إلى سبب نزول أول هذه السورة وإلى قوله فيها: ﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾، وقد وقع في بعض حديث ابن عباس عن عمر في الباب بعد هذا (فعاتبه الله في ذلك وجعل له كفارة يمين).

الثالثة: قوله: «كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها» في الطلاق (أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً) وليس بين العبارتين اختلاف في المعنى لأن الواو لا تفيد الترتيب بل هي لمطلق الجمع.

تنبيه

أخرج البخاري حديث عائشة هذا من وجهين: أحدهما: هذا من طريق عبيد بن عمير عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش كما ترى في حديث الباب.

وثانيهما: في باب **﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾** من كتاب الطلاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفيه أن شرب العسل كان عند حفصة بنت عمر، فهذا ما في الصحيحين.

قال الحافظ: وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل. اهـ.

والجمع بين هذه الروايات بالحمل على التعدد فلا يمتنع تعدد السبب للأمر الواحد.

الرابعة: قوله: «فواطيت أنا وحفصة» في الطلاق (فتواصيت) وفيه عند مسلم (فتواطأت) وليس بين هذه الروايات اختلاف في المعنى.

الخامسة: قوله: «أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير: إني أجد منك ريح مغافير» وفي الطلاق (أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير) وعند أحمد برواية حجاج بن محمد (إن أيتنا ما دخل بزيادة ما وهي زائدة، و) (أكلت .. ؟) استفهام محذوف الأداة والمغافير بالعين المعجمة والفاء ويثبت التحتانية بعد الفاء) قال النووي: هكذا هو في الموضع الأول في جميع النسخ، وأما الموضعان الأخيران فوقع فيهما في بعض النسخ بالياء وفي بعضها بحذفها قال القاضي: الصواب اثباتها لأنها عوض من الواو التي في المفرد وإنما حذفت في ضرورة الشعر وهو جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناتف وله رائحة كريهة، ينضحه شجر يقال له العرظ بضم العين المهملة والفاء، يكون بالحجاز). اهـ. (١٠ / ٧٦).

السادسة: قوله: «لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له» في الطلاق (فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بأس، شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له) وفيه عند المصنف من رواية

هشام عن أبيه عن عائشة (فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغاير، فإنه سيقول لك: لا، فقولي له ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له: جرت نخله العرفط وسأقول ذلك: وقولي أنت يا صفية ذاك: قالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير قال: لا، قالت فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال سقتني حفصة شربة عسل، فقالت جرت نخله العرفط فلما دار إلي قلت: له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال لا حاجة لي فيه).

السابعة: قوله: «لا تخبري به أحداً» أي لا تخبري بهذا الصنيع وهو ما حرمه ﷺ علي نفسه من شرب العسل أحداً من ضرائك أو غيرهن.

تنبيه

أخرج النسائي في كتاب التفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من سورة التحريم قال أنبأني إبراهيم بن يونس بن محمد نا أبي نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تنزل به عائشة وحفصة حتى حرمها، فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةً﴾ إلى آخر الآية، وأخرجه الحاكم في التفسير من مستدركه في تفسير سورة التحريم (٤٩٣/٢) من طريق محمد بن بكر الحضرمي ثنا سليمان بن المغيرة ثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فذكره. وقال عقبه هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، قلت: وله شاهد مرسل أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن زيد بن أسلم التابعي المشهور قال (أصاب رسول الله ﷺ أم إبراهيم ولده في بيت بعض نسائه فقالت: يا رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها عليه حراماً

فقالت: يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال، فحلف لها با الله لا يصيبها، فنزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾.

قال زيد بن أسلم: فقول الرجل لامرأته أنت حرام لغو، وإنما تلزمه كفارة يمين إن حلف.

قال مقبده: فالجمع بين هذا وبين حديث الباب بأن الآية نزلت في الأمرين معاً.

من فقه الحديثين

أولاً: ليس في التحريم شيء غير كفارة اليمين.

ثانياً: ظاهر قول ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه.

ثالثاً: فيه ما جبل عليه النساء من الغيرة، لا سيما الضرائر وإن الغبراء تعذر فيما يقع منها من الإحتيال.

رابعاً: حرصه ﷺ على البعد عن ما فيه رائحة كريهة.

٣٨٧ - [باب ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾]

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم﴾
 ش: قلت: السياق ﴿تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾، قد فرض
 الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم.
 قوله: ﴿تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ مضى في أول الباب
 قبله.

وقوله: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ يقول تعالى ذكره: قد بين الله
 عز وجل لكم تحلة أيمانكم وحدهما لكم أيها الناس ﴿والله مولاكم﴾ في تدبيره
 إياكم وصرفكم فيما هو أعلم به.

من فقه الآية

أولاً: سعة فضل الله على عباده بما شرعه لهم من كفارة اليمين.
 ثانياً: إثبات العليم والحكيم اسمين لله عز وجل.

٤٢٨ - حدثنا عبدالعزيز بن عبد الله: حدثنا سليمان بن بلال، عن
 يحيى، عن عبيد بن حنين^(١): أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يحدث أنه
 قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن
 أسأله هيبه له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض
 الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفتم له حتى فرغ، ثم سرت معه
 فقلت: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال:
 تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا
 منذ سنة، فما أستطيع هيبه لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم
 فأسألني، فإن كان لي علم خبرتك به، قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في

(١) هو أبو عبد الله عبيد بن حنين المدني، ثقة قليل الحديث، من الثالثة مات سنة خمس
 ومائة، وله خمس وسبعون سنة، ويقال أكثر من ذلك، ع.

الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم هن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: ما لك ولما ههنا؟، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقلت لي: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فقام عمر، فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقلت حفصة: والله إنا لنراجعه، فقلت: تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله، وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها، يريد عائشة، قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقلت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزوجه، فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها. وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة، فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له، يرقى عليها بعجلة، وغلّام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب، فأذن لي، قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت،

فقال: (ما يبكيك؟) فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله فقال: (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة).
ش: فيه أربع وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية» عند مسلم في الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء ونخبيرهن (فلبثت سنة ما أجد له موضعاً) وعند المصنف في المظالم باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها من رواية عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور (لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه) قلت: فلا تعارض بينها فإن ما كان مجملاً من هذه الروايات مثل هذه يرد إلى ما كان مفسراً مثل رواية الباب وما في معناها.

الثانية: قوله: «حتى خرج حاجاً فخرجت معه» وعند مسلم (حتى حج عمر فحججت معه) وعنده من رواية عبيد بن حنين (حتى صحبته إلى مكة).
الثالثة: قوله: «فلما رجعت وكنا ببعض الطريق» وعند مسلم (فلما كان بحر الظهران قلت: وهو وادي قرب مكة يعرف اليوم بوادي فاطمة وعاصمته الجموم).

الرابعة: قوله: «عدل إلى الأراك حاجة له» وعند مسلم (ذهب يقضي حاجته) وفي المظالم عند المصنف (وعدلت معه بالإداوة فترز).
الخامسة: قوله: «فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه» في المظالم (حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضاً) وعند مسلم (ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضاً).

السادسة: قوله: «من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه» في المظالم (اللتين قال الله لهما ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾) زاد الترمذي (﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾).

السابعة: قوله: «تلك حفصة وعائشة» في المظالم (وآعجبي لك يا ابن عباس عائشة وحفصة).

الثامنة: قوله: «فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فإسألني فإن كان لي علم خبرتك به» فيه دليل على تواضع عمر وتلطفه ووجهه بذل ما عنده من العلم.

التاسعة: قوله: «والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً» وعند الترمذي من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله (كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم).

العاشرة: قوله: «فبينما أنا في امر أتأمره إذ قالت امرأتي لو صنعت كذا وكذا فقلت: ها مالك ولما ها هنا» عند مسلم (وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فتغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني).

الحادية عشرة: قوله: «عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ» عند مسلم (فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل).

الثانية عشرة: قوله: «فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة» وعند الترمذي (قلت: في نفسي قد خابت من فعلت ذلك منهن وخسرت) وعند مسلم (فانطلقت فدخلت على حفصة).

الثالثة عشرة: قوله: «يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان» وعند مسلم (أتراجعين رسول الله ﷺ).

الرابعة عشرة: قوله: «والله إنا لنراجعه» وعند مسلم (فقالت: نعم).

الخامسة عشرة: قوله: «تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ» وعند مسلم (أفتأمن أحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت).

السادسة عشرة: قوله: «يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة» وعند مسلم (ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أو سم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة).

السابعة عشرة: قوله: «ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها» قلت: هذه القرابة التي ذكر عمر أنها سبب في دخوله على أم سلمة من بين سائر أزواج النبي ﷺ: هي من جهة أمه وبيان ذلك أن أم سلمة هي هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأم عمر اسمها حنمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فوالد أم سلمة وهو أبو أمية عم حنمة والدة عمر.

الثامنة عشرة: قوله: (عجبا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء، حتى تتبغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه) وفي حديث أنس عند المصنف في تفسير سورة البقرة (حتى أتيت إحدى نساءه، قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت)، وفيه شدة نكير أم سلمة رضي الله عنها على عمر رضي الله عنه جرأته ولومه أزواج النبي ﷺ على صنيعهن معه وعدت ذلك تدخلا منه في شؤون النبي ﷺ وأهل بيته وإن كان ذلك يسوغ لعمر لسببين:

أحدهما: أنه من الأمر بالمعروف.

وثانيهما: قرابته من أم سلمة كما تقدم وهو بمثابة عمها وله أن يأمرها بما

هو أنفع لها.

التاسعة عشرة: قوله: «فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها» والمعنى أنه أثر فيه استنكار أم سلمة صنيعه معها فترك بعض ما كان في نفسه من لومها ونصحها.

العشرون: قوله: «وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر» وفي العلم باب التناوب في العلم من رواية عبيد الله بن عبد الله (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جنته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك) وفي هذا استحباب حضور مجالس العلم واستحباب التناوب في حضور العلم إذا لم يتيسر لكل واحد الحضور بنفسه.

الحادية والعشرون: قوله: «ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه» وعند مسلم (وكننا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا).

الثانية والعشرون: قوله: «فإذا صاحي الأنصاري يدق الباب فقال افتح افتح» في العلم (فنزل صاحي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضرباً شديداً فقال: أتم هو) وعند مسلم (ثم أتاني عشاءً فضرب بابي ثم ناداني).

الثالثة والعشرون: قوله: «جاء الغساني؟ قال: أشد من ذلك» وفي العلم (حدث أمر عظيم) وعند مسلم (حدث أمر عظيم قلت: ماذا أجهت غسان قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول) وفي هذا دليل على ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من الإهتمام بأحوال رسوا الله ﷺ والقلق التام لما يقلقه أو يغضبه.

الرابعة والعشرون: قوله: «اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه» وعند مسلم (طلق النبي ﷺ نساءه) ولعل هذا فهم فهمه بعض الرواة من اعتزال النبي ﷺ

نساءه ويدل له قول عمر في آخر الحديث (فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه إلي وقال: لا).

الخامسة والعشرون: قوله: «رغم أنف حفصة وعائشة، فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت» وعند مسلم (قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي) ورغم هو بفتح الغين وكسرهما يقال رغم يرغم رغباً ورغباً ورغباً بفتح الراء وضمها وكسرهما أي لصق بالرغام وهو التراب هذا هو الأصل ثم استعمل في كل من عجز من الإنتصاف وفي الذل والإنقياد كرهاً، وفي قوله (فأخذت ثوبي) استحباب التجميل بالثوب والعمامة ونحوها عند لقاء الأئمة والكبار احتراماً لهم.

السادسة والعشرون: قوله: «فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له» وعند مسلم (فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت: اطلقكن رسول الله ﷺ فقالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة) والمشربة بضم الراء وفتحها الغرفة ويدل له ما أخرجه المصنف في باب هجرة النبي ﷺ نساءه من النكاح برواية أبي الضحى عن ابن عباس قال: فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملآن من الناس فجاء عمر بن الخطاب فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له).

السابعة والعشرون: قوله: «يرقي عليها بعجلة» قال النووي: «وقع في بعض النسخ بعجلها وفي بعضها بعجلتها، وفي بعضها بعجلة وفي بعضها بعجلة وكله صحيح والأخيرة أجود قال ابن قتيبة وغيره هي درجة من النخل كما قال في الرواية السابقة جذع». اهـ.

الثامنة والعشرون: قوله: «وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة» في رواية سماك أبي زميل عن ابن عباس عند مسلم في الطلاق (فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ، قاعداً على أسكفة المشربة مدل رجله على نقي من خشب).

التاسعة والعشرون: قوله: «فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب فأذن لي»

في رواية عبيد الله بن عبد الله عند مسلم (فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرت لك له فصمت، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل فقد أذن لك) وفي رواية سماك المتقدمة (فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح: استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فإني أظن أنني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها رفعت صوتي، فأومأ إلي أن أرقه) قلت: فانظر أرشدنا الله وإياك إلى صواب الأقوال والأعمال إلى العزيمة الصادقة من عمر رضي الله عنه على قتل ابنته وهي بضعة منه لو أمره رسول الله ﷺ بذلك كيف هانت عنده إنه والله خالص الولاء والبراء وهو الحب في الله والبغض في الله، وهذا شأن كل من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي هاتين الروايتين دليل على أن من استأذن ولم يؤذن له ينبغي أن ينصرف.

الثلاثون: قوله: «فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث» في رواية

عبيد الله عند مسلم والترمذي قال: (لو رأيتنا يا رسول الله وكننا معشر قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساءهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني... فذكر الحديث إلى أن قال: (قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم منك... فذكر الحديث) وقد تقدم في حديث الباب دخوله على أم سلمة وما قال لها وما قالت له.

الحادية والثلاثون: قوله: «وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء تحت رأسه

وسادة من آدم حشوها ليف وإن عند رجله قرصاً مصبوباً وعند رأسه أهب

معلقة فرأيت أثر الحصر في جنبه» في رواية عبيدا لله (فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهياً ثلاثة) وفي رواية سماك (فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق).

قلت: والقرظ بقاف وراء فضاء معجمة مفتوحات ورق السلم الذي يدبغ

به.

وقوله: مصبوراً أي مسكوباً قال القسطلاني (٣٩٥/١٧): ولا يبي ذر مصبوراً بالراء بدل الموحدة أي مجموعاً من الصبرة وهي الكومة من الطعام. اهـ. والأهب بفتح الهمزة والهاء وبضمهما جمع إهاب هو الجلد قبل أن يدبغ وقيل بعد دبغه.

الثانية والثلاثون: قوله: «فبكيت فقال: ما يبكيك؟» في رواية سماك (فابتدرت عيني قال ما يبكيك يا ابن الخطاب) وفيه جواز بكاء الإنسان عند صاحبه تأسفاً لحاله إذا رأى ما يدعو لذلك).

الثالثة والثلاثون: قوله: «إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله» في رواية سماك (قلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك).

الرابعة والثلاثون: قوله: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» في رواية عبيدا لله (فاستوى جالساً ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت: استغفر لي يا رسول الله)، وفي رواية سماك (فقال يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا).

من فقه الحديث

في هذه القصة مجموع رواياتها أبواب من الفقه عظيمة:

أولاً: الحرص على أخذ العلم عن الأكابر.
 ثانياً: توقير أهل العلم والفضل وخدمتهم.
 ثالثاً: تواضع عمر رضي الله عنه.
 رابعاً: جواز احتجاب الإمام والقاضي ونحوهما في بعض الأوقات لحاجاتهم المهمة.

خامساً: أن الحاجب إذا علم منع الأذن بسكوت المحجوب لم يأذن.
 سادساً: وجوب الاستئذان على الإنسان في منزله وإن علم أنه وحده لأنه قد يكون على حالة يكره الإطلاع عليه فيها.
 سابعاً: جواز تكرار الاستئذان إذا لم يؤذن ولا فرق بين الرجل الجليل وغيره.

ثامناً: تأديب الرجل ولده صغيراً كان أو كبيراً أو بنتاً مزوجة لأن أبابكر وعمر رضي الله عنهما أدبا بنتيهما ووجأ كل واحد منهما بنته.
 تاسعاً: فيه ما كان عليه ﷺ من التقلل من الدنيا والرهاوة فيها.
 عاشراً: جواز سكنى الغرفة ذات الدرج واتخاذ الخزانة لأنثا البيت.
 حادي عشر: حرص الصحابة على طلب العلم وتناوبهم فيه.
 ثاني عشر: قبول خبر الواحد لأن عمر كان يأخذ عن صاحبه الأنصاري وبالعكس.

ثالث عشر: أخذ العلم عن من كان عنده وإن كان الآخذ أفضل من المأخوذ منه.

رابع عشر: أن الإنسان إذا رأى صاحبه مهموماً وأراد إزالة همه وموانسته بما يشرح صدره أن يستأذنه في ذلك.

خامس عشر: الخطاب بالألفاظ الجميلة كقولهِ (إن كانت جارتك) ولم يقل ضرتك.

سادس عشر: جواز قرع باب غيره للإستئذان وشدة القرع للأمر المهمة.
سابع عشر: نظر الإنسان إلى نواحي بيت صاحبه وما فيه إذا علم عدم كراهته لذلك.
ثامن عشر: أن للزوج هجران زوجته واعتزاله في بيت آخر إذا جرى منها سبب يقتضيه.

٣٨٨ - [باب ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾]

ش: يقول تعالى ذكره ﴿وإذ أسر النبي﴾ محمد ﷺ ﴿إلى بعض أزواجه﴾ وهي حفصة وقال به ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والشعبي والضحاك بن مزاحم.

وقوله: ﴿حديثاً﴾ وهو قوله لمن أسر إليه ذلك من أزواجه تحريم فئاته أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له، وحلّفه على ذلك أو قوله ﷺ (لا تذكري ذلك لأحد).

وقوله ﴿فلما نبات به﴾ أي فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبها ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي وأظهر الله نبيه محمداً ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبها.

وقوله ﴿عرف بعضه﴾ أي عرف حفصة بعض ما أخبرت به ﴿وأعرض عن بعض﴾ أي وأعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في الناس. وقوله ﴿فلما نبأها به﴾ أي أخبرها بما أفشت من الحديث ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أي من أخبرك به.

وقوله ﴿نبأني العليم الخبير﴾ أي أخبرني العليم بسرائر عبادته وضمائر قلوبهم، الخبير بأمرهم الذي لا يخفى عليه شيء.

٤٢٩ - ثنا علي: ثنا سفيان: ثنا يحيى بن سعيد: سمعت عبيد بن حنين قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أردت أن أسأل عمر: فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

ش: مضى شرحه في الباب قبله.

٣٨٩ - [باب قوله ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾]

ش: تمامها: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ أَيْتَهَا الْمَرْأَتَانِ فَقَدْ مَالَتْ قُلُوبُكُمَا إِلَى حِجَّةٍ مَا كَرِهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَحْرِيمِ مَا كَانَ لَهُ حِلَالًا مِمَّا حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ.

وقوله ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أَي إِنْ تَعَاضَدَا وَتَعَارَنَا فِي الْغِيْرَةِ عَلَيْهِ مِنْكُمْ وَإِفْشَاءِ سِرِّهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي فَإِنَّ اللَّهَ يَتَوَلَّى نَصْرَهُ، وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَنْ يَعْلَمَ نَاصِرًا يَنْصُرُهُ.

وقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أَي بَعْدَ نَصْرِ اللَّهِ لَهُ وَنَصْرِ جِبْرِيلَ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَعْوَانُ يَظَاهِرُونَهُ.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [صغوت وأصغيت: ملت ﴿لتصغى﴾ لتميل].

ش: قال أبو عبيدة (٢٠٥/١): من صغوت إليه أي ملت إليه وهويته، وأصغيت إليه لغة.

قال ذو الرمة:

تصغى إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

٢ - [﴿ظهير﴾: عون: تظاهرا: تعاوننا].

ش: قال الفراء (١٦٧/٣): يريد أعوان ولم يقل ظهراء لو قال قائل: إِنْ تَظَاهَرَا لِجِبْرِيلَ وَلِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ كَانَ صَوَابًا، وَلَكِنْ حِينَ أَنْ يَجْعَلَ الظَّهِيرَ لِلْمَلَائِكَةِ خَاصَةً لِقَوْلِهِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بَعْدَ نَصْرَةِ هَوْلَاءِ ظَهِيرٌ.

قلت: والخلاف بين هذه العبارة وعبارة المصنف لفظي.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ أوصوا أنفسكم وأهليكم

بتقوى الله وادبوهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى
وحدثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
فذكره بلفظ: (اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله).

٤٣٠ - ثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا يحيى بن سعيد قال سمعت عبيد

بن حنين يقول (سمعت ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر عن المرأتين
اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنة فلم أجد له موضعاً، حتى
خرجت معه حاجاً، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته فقال: أدركني
بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً
فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس: فما أتممت
كلامي حتى قال: عائشة وحفصة).

ش: مضى قريباً.

٣٩٠ - [باب قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن

مسلمات مؤمنات قانتات تآبيات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: عسى رب محمد إن طلقكن يا معشر أزواج محمد ﷺ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن.

وقوله: «مسلمات» يقول: خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) يعني مصدقات بالله ورسوله (قانتات) يقول مطيعات لله.

وقوله «تآبيات» يقول راجعات إلى ما يحبه الله منهن من طاعته عما يكرهه منهن (عابدات) أي متذلات لله بطاعته، (سائحات) أي صائمات.

وقوله «ثيبات» وهن اللواتي قد افتزعن وذهبت عذرتهن (وأبكاراً) وهن اللواتي لم يجامعن ولم يفتزعن.

٤٣١ - ثنا عمرو بن عون: ثنا هشيم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: (اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت هن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية).
ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه» عند المصنف في باب هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن من النكاح (فدخل على النبي ﷺ فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: لا، ولكن آليت منهن شهراً، فمكث تسعاً وعشرين ثم دخل على نساءه) وفي تفسير سورة البقرة (وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن قلت: إن انتهين أو لبيدن الله رسوله ﷺ خيراً منكن) وفي رواية سماك أبي زميل في باب في الإيلاء من الطلاق عند مسلم (وقلما تكلمت وأحمد

الله لكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية
آية التخيير ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾.
الثانية: قوله: «فنزلت هذه الآية» في تفسير سورة البقرة (فأنزل الله
﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات﴾ الآية.
آخر تفسير سورة التحريم والله الحمد.

سورة الملك

٣٩١ - باب تفسير سورة الملك

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: (إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ رواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة وأحمد وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة الملك، وقال القرطبي: هي في قول الجميع مكية وآياتها ثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [التفاوت: الإختلاف، والتفاوت والتفاوت واحد].

ش: قاله الفراء، وأخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت﴾.

٢ - [تميز: تقطع].

ش: قاله الفراء وزاد عليهم غيظاً، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس

والضحاك وابن زيد (تتفرق).

والآية المشار إليها ﴿تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم

خزنتها ألم يأتكم نذير﴾.

٣ - [مناكبها: جوانبها].

ش: قاله الفراء وأبو عبيدة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس وبشير بن

كعب ومجاهد نحوه، وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: إنه جبالها وهو قول ابن عباس وبشير بن كعب في الرواية الثانية

عنهما وقال به قتادة وقول المصنف ومن وافقه هو المختار لشموله.

والآية المشار إليها ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها

وكلوا من رزقه﴾.

٤ - [تَدْعُونَ: وتدعون واحد، مثل تذكرون، وتذكرون].

ش/ قال الفراء يريد: تدعون وهو مثل قوله تذكرون وتذكرون وتخبرون

وتخبرون والمعنى واحد.

والآية المشار إليها ﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا

الذي كنتم به تدعون﴾.

٥ - [ويقبضن: يضربن بأجنحتهن].

ش: قاله أبو عبيدة.

٦ - [وقال مجاهد: صافات: بسط أجنحتهن].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى
وحدثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
بلفظ: (بسطن أجنحتهن).

والآية المشار إليها ﴿أولم يرو إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾.

٧ - [ونفور: الكفور].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في

عتو ونفور﴾.

آخر تفسير سورة الملك والحمد لله.

سورة ن والقلم

٣٩٢ - سورة ن والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وروي عن ابن عباس وقتادة أن من أولها إلى قوله ﴿سنسمه على الخرطوم﴾

مكي ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿من الصالحين﴾ مدني وباقيها مكي كذا قال
الماوردي.

وآياتها اثنتان وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال قتادة: ﴿حرد﴾: جد في أنفسهم].

ش: أخرجه عبد الرزاق وابن جرير كلاهما عن معمر عن قتادة بلفظ: جد من أمرهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وابن زيد وهو أحد أقوال أربعة حكاه ابن جرير في الآية.

وثانيها: وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم واستسروه، وأسروه في أنفسهم وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه وعكرمة.

وثالثها: وغدو على فاقة وحاجة وهو قول الحسن في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: وغدو على حنق وبه قال سفيان، وقال ابن جرير بعد إخراج هذه الأقوال: المعروف في معنى الحرد من كلام العرب القصد من قولهم: قد حرد فلان حرد فلان: إذا قصد قصده ومنه قول الراجز:

وجاء سبيل كان من أمر الله يحرد حرد الجنة المفلة

يعني يقصد قصدها. اهـ. قلت: وهذا الاختيار يندرج تحته الأول والثاني

والرابع.

والآية المشار إليها ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾.

٢ - [وقال ابن عباس: ﴿يتخافتون﴾: ينتجون السرار والكلام الخفي].

ش: لم أقف على من أخرجه وقال الحافظ: ثبت هذا لأبي ذر وحده هنا، وثبت للباقيين في كتاب التوحيد. اهـ.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: يتخافتون يسرون.

والآية المشار إليها ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾.

٣ - [لضالون: أضللنا مكان جنتنا].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي: ثنا زيد بن المبارك ثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره حكاه في التعليق (٣٤٦/٤) وأخرج ابن جرير نحوه عن قتادة.
والآية المشار إليها ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾.

٤ - [وقال غيره: ﴿كالصريم﴾: كالصبح انصرم من الليل، والليل انصرم من النهار وهو أيضاً: كل رملة انصرمت من معظم الرمل، والصريم أيضاً المصروم مثل قتيل ومقتول].

ش: قاله أبو عبيدة دون قوله في أوله كالصبح ودون قوله في آخره: مثل قتيل ومقتول.

وفي الآية قولان حكاهما ابن جرير:
أحدهما: بمعنى الليل الأسود وبه قال ابن عباس.
وثانيهما: بمعنى أرض تدعى بهذا الاسم وهو قول سعيد بن جبير.
وما حكاه المصنف ومن وافقه أولى.
والآية المشار إليها ﴿فأصبحت كالصريم﴾.

٣٩٣ - [باب ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾]

ش: قوله «عتل» أي وهو عتل والعتل الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوي فالعرب تسميه عتلاً ومنه قول ذي الإصبع العدواني:
والدهر يغدو معتلاً جذعاً.

وقوله «زنيم» في كلام العرب: الملتصق بالقوم وليس منهم ومنه قول حسان بن ثابت:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
٤٣٢- ثنا محمود^(١): ثنا عبيد الله بن موسى^(٢)، عن اسرائيل، عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ قال: رجل من قريش له زئمة مثل زئمة الشاة.

٤٣٣- ثنا أبو نعيم: ثنا سفيان، عن معبد بن خالد^(٣) قال سمعت حارثة بن وهب الخزاعي^(٤) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل، جواظ، مستكبر).

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «رجل من قريش»: في رواية عكرمة عند ابن جرير في تفسير هذه الآية قال في الزنيم: نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم: قال وكانت له زئمة في عنقه يعرف بها.

(١) هو أبو أحمد محمود بن غيلان العدوي مولا هم المروزي نزيل بغداد، ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وقيل بعد ذلك، خ، م، ت، س، ق.

(٢) هو أبو محمد عبيد الله بن موسى بن باذام العبسي الكوفي ثقة كان يتشيع من التاسعة مات سنة ثلاث عشرة [ومائتين] على الصحيح، ع.

(٣) هو معبد بن خالد بن مرزبان الجدي من جديلة قيس الكوفي ثقة عابد من الثالثة مات سنة ثمانين عشرة [ومائة] ع.

(٤) هو حارثة بن وهب الخزاعي صحابي نزل الكوفة، وكان عمر زوج أمه، ع.

وقد اختلف في معناه على تسعة أقوال:

أولها: أنه الدعي الملقب بالقوم ليس منهم وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن.

وثانيها: أنه الذي له زغبة كزغبة الشاة وبه قال الضحاك وابن ادريس وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أنه المريب وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه وسعيد بن جبير في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: هو الظلوم وهو قول ابن عباس في الرواية الرابعة عنه.

وخامسها: أنه الذي يعرف بأبنة وبه قال ابن عباس في الرواية الخامسة عنه.

وسادسها: هو الجلف الجاني وهو قول شهر بن حوشب.

وسابعها: هو علامة الكفر وبه قال أبو رزين.

وثامنها: هو الذي يعرف باللؤم وهو قول عكرمة في الرواية الثانية عنه.

وتاسعها: هو الفاجر وبه قال أبو رزين في الرواية الثانية عنه.

وإن قلت من المراد به قلنا اختلف فيه أهل العلم على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الوليد بن المغيرة حكاه البغوي عن ابن قتيبة.

ثانيها: أنه الأخنس بن شريق ذكره السهيلي عن القتيبي.

وثالثها: أنه الأسود بن عبد يغوث زعم ذلك ناس من بني زهرة. اهـ. حكى

هذه الإختلافات ابن جرير.

الثانية: قوله «له زغبة مثل زغبة الشاة» الزغبة هي شيء يقطع من أذن الشاة

ويترك معلقاً بها. وهي أيضاً هنة مدلاة في حلق الشاة كالملاحقة بها) اهـ من ابن

الأثير مادة زغم.

الثالثة: قوله «ألا أخبركم بأهل الجنة» في رواية شعبة عند المصنف في الأيمان

والنذور باب قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (ألا أدلكم على أهل

الجنة) وكذا عند مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والنسائي في تفسير الآية.

الرابعة: قوله «كل ضعيف متضعف» ضبطوا قوله (متضعف) بفتح العين وكسرهما والمشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجرون عليه لضعف حاله في الدنيا يقال تضعفه واستضعفه وأما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل واضع من نفسه قال القاضي وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء. ١. هـ من شرح النووي ج ١٧ ص ١٨٧

قلت: في رواية محمد بن كثير عن سفيان في الأدب باب الكبر عند المصنف (متضاعف) قال الحافظ: وفي رواية الإسماعيلي (مستضعف) وأخرج الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٩٨ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون) وقال عقبه صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الخامسة: قوله «لو أقسم على الله لأبره» معناه لو حلف يمينا طمعا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره، وذلك لعظم مكانته عند الله عز وجل.

السادسة: قوله «كل عتل» بضم المهملة والمثناة بعدها لام ثقيلة.

قال الفراء: الشديد الخصومة وقال أبو عبيدة: العتل اللفظ الشديد من كل شيء وهو هنا الكافر.

وقال الخطابي: العتل الغليظ العنيف.

وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن وقال الهروي: الجموع المنوع حكاها الحافظ.

السابعة: قوله «جواظ» بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره معجمة الكثير اللحم المحتال في مشيه قاله الخطابي.

قلت: وفي حديث عبد الله بن عمرو (كل جعصري جواظ) ومعناه الفظ الغليظ المتكبر.

الثامنة: قوله «مستكبر» وعند مسلم من رواية سفيان متكبر، والمعنى صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس.

فائدة

قال ابن القيم في الفوائد (ص ١٧٧): أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنع الإنقياد والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها والغضب يمنع العدل والشهوة تمنع التفرغ للعبادة.

٣٩٤- [باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾]

ش: تمامها ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾.

أي إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل، والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة، التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا، فلا يقدرّون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الإحناء، وهذا الجزء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله، وتوحيده وعبادته، وهم سالمون، لا غلة فيهم فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم، وسوء ما لهم، فإن الله سخط عليهم، وحققت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة والإعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان. اهـ من تيسير الكريم الرحمن.

٤٣٤- ثنا آدم: ثنا الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن

زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً).

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «يكشف ربنا عن ساقه» في التوحيد باب قوله تعالى: ﴿وجوه

يؤمنن ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ من رواية يحيى بن بكير (فيأتيهم الجبار في صورة غير

صورته التي رأوه فيها اول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه).

قلت: فيه فائدتان:

الأولى اثبات مجيء الرب يوم القيامة للفصل بين عباده كما قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ وقال تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ قال ابن القيم: والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان: مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمة أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث (حتى جاء الله بالرحمة والخير) وقوله ﴿ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم﴾.

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ وقوله ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾.

الثانية: اثبات الساق لله عز وجل وأنه يظهره لعباده علامة يستدلون بها عليه وهو ساق حقيقي يجب الإيمان به مع تفويض كفيته إلى الرب جل ثناؤه فالحديث بيان لقوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فلا أحد من الخلق أعلم بالله ومراده من رسول الله ﷺ.

فائدة أخرى

قال شيخ الإسلام: «وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رزوه من الحديث، ووقفت على أكثر من مائة تفسير، فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديثها بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، إلا في مثل قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فروي عن ابن عباس، وطائفة، أنهم عدوها في الصفات، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين.

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، فإنه قال: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة، لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر. اهـ من مجموع الفتاوى (٦/٣٩٤-٣٩٥).

وقال في نقض التأسيس (٣/١٥-١٦): الصحابة قد تنازعوا في تفسير هذه الآية، هل المراد به الكشف عن الشدة، أو المراد أنه يكشف الرب عن ساقه. ولم يتنازع الصحابة، والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات، إلا في هذه الآية بخلاف [قوله]: ﴿لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ونحو ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة الله - تعالى - [يعني قوله - تعالى -]: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ لأنه قال: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾، ولم يقل عن ساق الله ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة، ولا مضافة.

وهذا اللفظ بمجرده، لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله - تعالى - أثبتوه بالحديث الصحيح، المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري، المخرج في الصحيحين، الذي قال فيه: (فيكشف الرب عن ساقه). وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك، من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه.

وأيضاً فحمل ذلك على الشدة، لا يصلح؛ لأن المستعمل في الشدة أن يقال: كشف الله الشدة - أي أزالها - كما قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾، وقال: ﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءِ فِي طَغْيِهِمْ يَعْهَدُونَ﴾.

وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال: كشف الشدة - أي أزالها - فلفظ الآية ﴿يوم يكشف عن ساق﴾، وهذا يراد به الإظهار، والإبانة وأيضاً هناك، تحدث الشدة، لا إزالتها، فلا يكشف الشدة يوم القيامة.

لكن هذا الظاهر [من كون القرآن دالاً على الصفة] ليس ظاهراً من مجرد لفظة (ساق)، بل بالتركيب، والسياق، وتدبر المعنى المقصود.

الثانية: قوله «فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة» وعند مسلم من رواية حفص بن ميسرة (فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود).

الثالثة: قوله «ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة» في التوحيد (ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة) وعند مسلم (ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً).

الرابعة: قوله «فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً» عند مسلم (إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه).

قال ابن القيم: فإن قيل، فالآخرة دار جزاء وليست دار تكليف، فكيف يمتحنون في غير دار التكليف؟ فالجواب: أن التكليف إنما ينقطع بعد دخول دار القرار، وأما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع وهذا معلوم بالضرورة من الدين، من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ وهي تكليف، وأما في عرصات القيامة فقال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾. فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حسناً عقوبة لهم، لأنهم كلفوا به في الدنيا وهم يطبقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدور لهم كلفوا به وهم لا يقدرن عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم). اهـ من طريق الهجرتين لابن القيم .

آخر تفسير سورة القلم.

سورة الحاقة

٣٩٥ - سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية في قول الجميع حكاه القرطبي وكذا روي عن ابن عباس وآياتها

اثنتان وخمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن جبير ﴿حسوما﴾ متتابعة].

ش: لم أقف عليه عن ابن جبير وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنها الريح وبه قال ابن زيد واختار ابن جرير أولهما.

والآية المشار إليها ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾.

٢ - [عيشة راضية] يريد فيها الرضا.

ش: قال العيني (١١٥/١٦): وهذا لم يثبت إلا لأبي ذر والنسفي.

قلت: وهذا يكفي في ثبوته وقال الفراء: فيها الرضا، والعرب تقول: هذا

ليل نائم وسر كاتم، وماء دافق فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل وذلك:

أنهم يريدون وجه المدح أو الذم فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلاً

مصرحاً لم يقل ذلك فيه، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب: مضروب، ولا

للمضروب ضارب لأنه لا مدح فيه ولا ذم. اهـ.

والآية المشار إليها ﴿فهو في عيشة راضية﴾.

٣ - [القاضية] الموتة الأولى التي متها لم أحى بعدها.

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿ياليتها كانت القاضية﴾.

٤ - [من أحد عنه حاجزين] أحد يكون للجمع وللواحد.

ش: قاله الفراء وزاد: وذكر الأعمش في حديث عن النبي أنه قال: (لم

تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس إلا لنبيكم) فجعل أحداً في موضع جمع،

وقال الله جل وعز ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾، فهذا جمع لأن بين لا يقع إلا

على اثنين فما زاد.

والآية المشار إليها ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾.

٥ - [وقال ابن عباس ﴿الوتين﴾ نياط القلب].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني سليمان بن عبد الجبار: ثنا محمد بن الصلت: ثنا أبو كريب عن عطاء عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس فذكره، كما أخرجه عن سعيد بن جبیر وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد.
والآية المشار إليها ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾.

٦ - [قال ابن عباس ﴿طغى﴾ كثر].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن قتادة ومجاهد والضحاك وعليه مشى في تفسير الآية.

والآية المشار إليها ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾.

٧ - [ويقال ﴿بالطاغية﴾ بطغيانهم].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن زيد وأخرج عن مجاهد قال بالذنوب وقال أبو عبيدة مثل قول بن زيد وزاد وكفرهم.

٨ - [ويقال: ﴿طغت﴾ على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح].

ش: قال الحافظ هنا: لم يظهر لي فاعل طغت لأن الآية في حق ثمود وهم قد هلكوا بالصيحة، ولو كانت عاد لكان الفاعل الريح وهي لها الخزان... وأما الصيحة فلا خزان لها، فلعله انتقال من عمت إلى طغت. اهـ.
قلت: وهذا توجيه حسن.

٩ - [﴿غسلين﴾ ما يسيل من صديد أهل النار].

ش: قاله الفراء.

١٠ - [وقال غيره: ﴿من غسلين﴾ (كل شيء غسلته فخرج منه شيء

فهو غسلين فعلين من الغسل من الجرح والدبر)].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾.

١١ - [﴿أعجاز نخل﴾ أصولها].

ش: قاله أبو عبيدة، وأخرجه ابن جرير عن قتادة.

والآية المشار إليها: ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى

القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾.

١٢ - [﴿باقية﴾ بقية].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ومجازها مجاز الطاغية مصدر.

وقال الفراء: من بقاء، ويقال: هل ترى منهم باقيا وكل ذلك في العربية جائز

حسن.

والآية المشار إليها: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾.

آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة.

سورة سأل سائل

٣٩٦ - سورة سأل سائل

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية. وتسمى المعارج كما في المصحف
وشاهده قوله تعالى ﴿ليس له دافع، من الله ذي المعارج﴾.
وهي مكية قال القرطبي: باتفاق.
وآياتها أربع و أربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [الفصيلة: أصغر أبائه القريبى، إليه ينتمي من انتمى].

ش: قال الفراء: هي أصغر أبائه الذي إليه ينتمي. اهـ.
وقال قتادة: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم.

وقال مجاهد: قبيلته.

أخرجهما ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾.

٢ - ﴿للشوى﴾ اليدان والرجلان والأطراف، وجلدة الرأس يقال لها

شواة، وما كان غير مقتل فهو شوى].

ش: قاله الفراء دون لفظة الأطراف.

وقال ابن جرير: والشوى جمع شواة وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وغيرهم.

والآية المشار إليها ﴿نزاعة للشوى﴾.

٣ - [والعزون: الحلق والجماعات وواحداه عزرة].

ش: قال الفراء: والعزون الحلق، والجماعات.

وقال أبو عبيدة: عزين جماع عزرة مثل ثبه وثبين.

وقال ابن جرير: متفرقين حلقاً ومجالس جماعة جماعة، معرضين عنك وعن

كتاب الله.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾.

٤ - ﴿يوفضون﴾ الإيفاض الإسراع].

ش: قاله الفراء وزاد: قال الشاعر:

لأنعن نعامة ميفاضا خرجاء ظلت تطلب الإفاضا

والآية المشار إليها ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب

يوفضون﴾.

آخر تفسير المعارج والحمد لله.

سورة نوح

٣٩٧ - سورة نوح ﴿إنا أرسلنا﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال:

نزلت سورة ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ بمكة.

وآياتها ثمان وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿أطواراً﴾ طوراً كذا وطوراً كذا يقال عدا طوره أي قدره].

ش: قاله أبو عبيدة عدا قوله يقال عدا طوره أي قدره.

وقال ابن جرير: حالاً بعد حال طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾.

٢ - [والكِبَارُ أشد من الكِبَارِ وكذلك جَمَالٌ وجميل لأنها أشد مبالغة،

وكِبَارُ الكبير وكِبَاراً أيضاً بالتخفيف، والعرب تقول رجل حَسَانٌ وجمالٌ وحَسَانٌ مخففٌ وجمالٌ مخففٌ].

ش: قاله أبو عبيدة من أوله إلى قوله (أشد مبالغة) وقال بقيته الفراء وقال

مجاهد (كباراً) عظيماً وقال ابن زيد (كباراً) كثيراً.

أخرج ذلك عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿ومكروا مكراً كِبَاراً﴾.

٣ - [﴿دياراً﴾ من دور ولكنه فيعال من الدوران كما قرأ عمر ﴿الحي

القيام﴾ وهي من قمت].

ش: قاله الفراء وقول المصنف (كما قرأ عمر) أخرج أبو عبيدة في فضائل

القرآن من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن عمر أنه صلى العشاء

الآخرة فاستفتح آل عمران فقرأ ﴿إلا لله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾، وأخرج ابن

أبي داود في المصاحف من طرق عن عمر أنه قرأها كذلك، وأخرجهما عن ابن

مسعود أيضاً حكاه الحافظ هنا.

٤ - [وقال غيره ﴿دياراً﴾ أحداً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد يقولون: ليس بها دياراً وليس بها عَرَبٌ.

تنبيه

لم يتقدم ذكر للمعطوف عليه فيحتمل أن يكون كان في الأصل منسوباً لقائل فحذفه بعض النقلة اختصاراً، وقد عرفت أنه الفراء.
والآية المشار إليها ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾.

٥ - ﴿تباراً﴾ هلاكاً.

ش: قاله أبو عبيدة وقال ابن جرير (خساراً) وأخرجه عن مجاهد.
والآية المشار إليها ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾.

٦ - [وقال ابن عباس: ﴿مدراراً﴾ يتبع بعضه بعضاً].

ش: قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا أبو صالح: ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس فذكره، حكاه الحافظ في التعليق.

والآية المشار إليها ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾.

٧ - [﴿وقاراً﴾ عظمة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً عن مجاهد والضحاك وهو أحد خمسة أقوال حكاهها في الآية.

ثانيها: بمعنى لا تعظمون الله حق عظمته وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: لا تعلمون الله عظمة وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه.

ورابعها: لا ترجون لله عاقبة وبه قال قتادة.

وخامسها: لا ترجون لله طاعة وهو قول ابن زيد.

وهذه الأقوال ليس بينها اختلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً﴾.

٣٩٨ - [باب ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق﴾]

ش: قلت الآية: ﴿وقالوا لا تذرن أهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾.

يخبر جل ثناؤه أن من شدة مكر الملأ من قوم نوح وعنادهم قولهم لا تذرن أهتكم يعني لا تتركوا معبوداتكم من دون الله لقول نوح وقد دعاهم ﷺ إلى عبادة الله وحده بقوله ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ فيردوا عليه في عتو ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ وتلك أصنامهم وعبدها العرب من بعدهم كما سيأتي في حديث الباب.

٤٣٥ - ثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود: كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع: كانت هذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان: وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتناخس العلم عبت.

ش: فائدة

قوله «وقال عطاء عن ابن عباس» قال الحافظ: «قيل هذا منقطع لأن عطاء المذكور هو الخراساني، ولم يلق ابن عباس فقد أخرج عبد الرزاق هذا الحديث في تفسيره عن ابن جريج فقال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس وقال أبو مسعود: ثبت هذا الحديث في تفسير ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه وذكر صالح بن أحمد بن حنبل في العلل عن علي بن المديني قال:

سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني فقال: ضعيف، فقلت: إنه يقول أخبرنا قال لا شيء إنما هو كتاب دفعه إليه انتهى وكان ابن جريج يستحيز إطلاق أخبرنا في المناولة والمكاتبة وقال الإسماعيلي أخبرت عن علي بن المديني أنه ذكر عن تفسير ابن جريج كلاماً ما معناه أنه كان يقول عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فطال على الوراق أن يكتب الخراساني في كل حديث فتركه فرواه من روى على أنه عطاء بن أبي رباح « انتهى.

وأشار بهذا إلى القصة التي ذكرها صالح بن أحمد عن علي بن المديني ونبه عليها أبو علي الحياتي في تقييد المهمل: قال ابن المديني سمعت هشام بن يوسف يقول قال لي ابن جريج سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال: أعفني من هذا قال: قال هشام فكان بعد إذا قال: قال عطاء عن ابن عباس قال عطاء الخراساني قال هشام: فكتبنا ثم مللنا، يعني كتبنا الخراساني، قال ابن المديني وإنما بينت هذا لأن محمد بن ثور كان يجعلها يعني في روايته عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فيظن أنه عطاء ابن أبي رباح وقد أخرج الفاكهي الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ولم يقل الخراساني، وأخرجه عبد الرزاق كما تقدم فقال الخراساني، وهذا مما استعظم على البخاري أن يخفي عليه، لكن الذي قوى عندي أن هذا جميعاً، ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبي رباح من التحديث بالتفسير أن لا يحدث بهذا الحديث في باب آخر من الأبواب أو في المذاكرة، وإلا فكيف يخفي على البخاري ذلك مع تشدده في شرح الإتصال واعتماده غالباً في العلل على علي بن المديني شيخه وهو الذي نبه على هذه القصة.

ومما يؤيد ذلك أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين هذا وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه لا ستكثر من إخراجها لأن ظاهرها إنها على شرطه. ١هـ.

قلت: وهذه نكتة لطيفة جدية بالإهتمام وتوجيه حسن اندفع به الإشكال وقوي به الحديث فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً.

وفي الحديث تسع مسائل:

الأولى: قوله «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد» وعند عبدالرزاق في تفسير السورة (كانت ألهة يعبدها قوم نوح ثم كانت العرب تعبدها بعد).

قال الحافظ: وقال أبو عبيدة: وزعموا أنهم كانوا مجوساً وأنها غرقت في الطوفان فلما نضب الماء عنها أخرجها إبليس فبثها في الأرض. اهـ.
قلت: وهذا الزعم مردود من وجهين:

الأول: قوله في الحديث بأسماء صالحين من قوم نوح.

الثاني: أن المجوسية لم تكن على عهد نوح وإنما حدثت بعده بقرون.

الثانية: قوله «أما ود كانت لكلب بدومة الجنادل» قال ابن اسحاق: وكان لكلب بن وبرة بن قضاة، ووبرة هو ابن تغلب بن عمران بن إلحاق بن قضاة ودومة بضم الدال وتنطقها العامة بفتح الدال وسكون الواو، والجنادل بفتح الجيم وسكون النون.

قلت: وهي مدينة مشهورة تقع في منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية.

ورد بفتح الواو وقرأها نافع وحده بضمها، حكاهما مكى ج ٢ ص ٢٣٧.

الثالثة: قوله «وأما سواع فكانت هذيل» زاد أبو عبيدة (ابن مدركة بن إلياس بن مضر وكانوا بقرب مكة) وقال ابن اسحاق: كان سواع بمكان لهم يقال له رهاط بضم الراء وتخفيف الهاء من أرض الحجاز من جهة الساحل.

وقال ياقوت: موضع على ثلاث ليال من مكة، وقال قوم وادي رهاط في بلاد هذيل وقال عرّام فيما يضيق بشمنصير وهو جبل قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة، وهي بواد يقال له غران، وبقرب وادي رهاط الحديبية

وهي قرية ليست كبيرة، وهذه المواضع لبني سعد وبني مسروح وهم الذين نشأ فيهم رسول الله ﷺ.

الرابعة: قوله «وأما يغوث فكان لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ» في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني بفتح الحاء وسكون الواو، وله عن الكشميهني الجرف بضم الجيم والراء وكذا في مرسل قتادة، وللنسفي بالجون بجيم ثم واو ثم نون قاله الحافظ.

قلت: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير كلاهما عن قتادة مرسلًا (وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ).

الخامسة: قوله «وأما يعوق فكانت لهمدان» قال ابن اسحاق في السيرة ج ١ ص ٧٩: وخبوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.
السادسة: قوله «وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع» وأخرج ابن جرير عن قتادة (لذي كلاع من حمير) وفي السيرة (وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسراً بأرض حمير).

السابعة: قوله «أسماء رجال صالحين من قوم نوح» وأخرج ابن جرير عن محمد بن قيس قال: كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم.
الثامنة: قوله «فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد»
في خبر محمد بن قيس (فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم).

التاسعة: قوله «حتى إذا هلك أولئك وتسخ العلم عبادت» كذا لهم ولأبي ذر والكشميهني (ونسخ العلم) قاله الحافظ وفي رواية محمد بن قيس (فلما ماتوا جاء آخرون دب إليهم ابليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم).

من فقه الحديث

أولاً: أن التوحيد أعني به عبادة الله وحده هو الأصل وأن الشرك أمر طارى يؤيده ما رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نخلته عبداً حلالاً، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم اتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم).

ثانياً: أن أول شرك حدث في الأرض بشبهة محبة الصالحين.

ثالثاً: في الحديث شاهد لما قاله بعض السلف أن البدعة سبب الكفر، وأنها أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

رابعاً: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

خامساً: معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

سادساً: مضرة العكوف على القبور من أجل عمل صالح وأنه يؤول بأهله إلى

عبادة صاحب القبر.

سابعاً: تحريم التماثيل وأنها تؤدي إلى عبادة أصحابها مع الجهل.

ثامناً: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ففيها معرفة قدر وجوده

ومضرة فقده.

تاسعاً: شدة حاجة الخلق بل ضرورتهم إلى الرسالة وأن ضرورتهم إليها أشد

وأعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب.

عاشراً: الرد على من يقدم الشبهات التي يسميها عقليات على ما جاء من

عند الله لأن ذلك الذي أوقع المشركين في الشرك.

حادي عشر: مضرة التقليد وكيف آل بأهله إلى المروق من الإسلام.

ذكر هذه الفوائد وغيرها عدى الأولى صاحب تيسير العزيز الحميد فراجعه
إن شئت (ص ٣١١).
آخر تفسير سورة نوح.

سورة قل أوحى

٣٩٩ - سورة قل أوحى

ش: وفي المصحف سورة الجن والشاهد ظاهر في أول آية.
قال القرطبي هي مكية في قول الجميع.
وآياتها ثمان وعشرون.

[قال ابن عباس: ﴿لبدا﴾ أعواناً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي ثنا أبو صالح ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال ابن جرير (يقول كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض واحدها لبده) وأخرج المعنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد.
والآية المشار إليها ﴿﴾ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾.

٤٣٦ - ثنا موسى بن إسماعيل: ثنا أبو عوانة عن أبي بشير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن.
ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «انطلق رسول الله ﷺ» أخرج مسلم في الصلاة باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح من رواية شيبان بن فروخ بلفظ (ما قرأ رسول الله ﷺ

على الجن وما رأيهم. انطلق رسول الله ﷺ) وعزاه الحافظ إلى أبي نعيم في المستخرج قلت: وأخرج مسلم عن علقمة قال سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير أو اغتيل قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن... الحديث) فيمكن الجمع بينهما بتعدد القصة والله أعلم.

الثانية: قوله «في طائفة من أصحابه» ذكر ابن اسحاق وابن سعد أن ذلك كان في ذي القعدة سنة عشر من المبعث لما خرج النبي ﷺ إلى الطائف ثم رجع منها وهذا مشكل ووجه ذلك أن النبي ﷺ لما ذهب إلى الطائف لم يكن معه غير زيد بن حارثة، فلعله لقيه بعض أصحابه لما رجع من سفرة الطائف في أثناء الطريق فرافقوه وصلوا معه ويؤيده قوله في الحديث (وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر).

الثالثة: قوله «عامدين إلى سوق عكاظ» بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخره ظاء معجمة بالصرف وعدمه، وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم، وهو نخل في واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال وهو وراء قرن المنازل. بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة فخرج الخوارج الحرورية فنهبوا فتركت.

الرابعة: قوله «وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب» والشهب جمع شهاب قال ابن الأثير وهو الذي ينقض في الليل شبه الكواكب، وهو في الأصل الشعلة من النار

قلت: وظاهر صحيح الخبر عن النبي ﷺ يدل على أن الشهب التي يرمى بها مسترقوا السمع من الكواكب فقد روى أحمد والترمذي وصححه عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في نفر من أصحابه إذا رمى بنجم فاستنار فقال رسول الله ﷺ: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟ قالوا كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم فذكر الحديث وفيه (ويختطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونها إلى أوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو حق).

قال مقيده: وظاهر حديث الباب أنه حيل بين الشياطين واستراق السمع مع رميهم بالشهب وقع في هذا الزمان المقدم ذكره، والذي تضافرت به الأخبار أن ذلك وقع لهم من أول البعثة النبوية ومن ذلك ما قصه الله عز وجل بقوله: ﴿وَأَنَا لِمَسْنَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَصِيداً﴾.

يوضح وجه الدلالة من هذه الآيات قوله في حديث ابن عباس السابق عند أحمد (قلت: للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال: نعم ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ).

قلت: والسائل هو معمر بن راشد راوية الزهري.

الخامسة: قوله: «ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث» وأخرج الترمذي في تفسير السورة عن أبي اسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس (فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض).

السادسة: قوله «فصربوا مشارق الأرض ومغاربها» يعني أنهم لما قال لهم عدو الله إبليس (ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض) أخذوا يسعون في الأرض طالبين معرفة ما حدث فيها ومن أجله منعوا من استراق السمع.

السابعة: قوله: «فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر» عند الترمذي من رواية أبي اسحاق (فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين).
الثامنة: قوله: «فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء» في رواية شيبان عند مسلم (فلما سمعوا القرآن استمعوا له) والمعنى أنهم قصدوا سماع القرآن مصغيين إليه كما قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا﴾.

التاسعة: قوله: «فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمننا به ولن نشرك بربنا أحداً» قال الماوردي: ظاهر هذا أنهم آمنوا عند سماع القرآن، قال والإيمان يقع بأحد أمرين إما بأن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة فيقع له العلم بصدق الرسول، أو يكون عنده علم من الكتب الأولى فيها دلائل على أنه النبي المبشر به وكلا الأمرين في الجن محتمل. اهـ.
قلت: وفي سورة الأحقاف ما يدل على أن ذلك الوفد من الجن كانوا على علم بأن النبي ﷺ هو المبشر به ولذلك سارعوا إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحركم من عذاب أليم﴾.

العاشرة: قوله: «وأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾» زاد الترمذي قال ابن عباس: وقول الجن لقومهم: لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداء، قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال: فعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم ﴿لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداء﴾.

الحادية عشرة: قوله: «وإنما أوحى إليه قول الجن» هذا كلام ابن عباس، كأنه تقرر فيه ما ذهب إليه أولاً أنه ﷺ لم يجتمع بهم، وإنما أوحى الله إليه بأنهم استمعوا، وقد عرفت من خبر ابن مسعود الذي قدمناه في المسألة الأولى أن النبي ﷺ أجاب داعي الجن فذهب إليهم وقد جمعنا بين الخبرين بتعدد القصة والله أعلم.

من فقه الحديث

أولاً: الإيمان بوجود الجن وأنهم مخاطبون بالرسالة فلا تغتر بمن فسر الجن بأنهم (ميكروبات).

ثانياً: أن ذلك الوفد من الجن الذي لقي النبي ﷺ كانوا مؤمنين برسالة موسى ﷺ.

ثالثاً: أن مسمى الجن والشياطين واحد وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان.

رابعاً: أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة.

خامساً: مشروعية صلاة الجماعة في السفر.

سادساً: أن الاعتبار بما قضى الله به للعبد من حسن الخاتمة.

آخر تفسير سورة الجن والحمد لله.

سورة المزمل

٤٠٠ - سورة المزمل بسم الله الرحمن الرحيم

ش: وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا

آيتين ﴿واصبر على ما يقولون﴾ والتي تليها وآياتها عشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿وتبتل﴾ أخلص].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا مؤمل: ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره.

وأخرج مثله عن ابن عباس وأبي يحيى المكي وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلاً﴾.

٢ - [وقال الحسن: ﴿أنكالا﴾ قيوداً].

ش: قال عبد بن حميد: ثنا يحيى بن عبد الحميد عن حفص عن عمرو عن الحسن به. حكاه في التعليق (٣٥٠/٤).

وأخرج ابن جرير عن عكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم.

والآية المشار إليها: ﴿إن لدينا أنكالا وجحيماً﴾.

٣ - [﴿منفطر به﴾ مثقلة به].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو حفص الخيري: ثنا مؤمل: ثنا أبو مودود عن الحسن به.

وأخرج مثله عن مجاهد وابن أبي علي وقتادة.

وأخرج عن ابن عباس قال تشقق السماء حين ينزل الرحمن جل وعز.

والآية المشار إليها: ﴿السماء منفطر به كان وعده مفعولاً﴾.

٤ - [وقال ابن عباس: ﴿كثيلاً مهياً﴾ الرمل السائل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح: ثنا معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس به.

وأخرج عن مجاهد قال: (ينها).

والآية المشار إليها: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيلاً﴾.

مهياً.

٥ - [«ويلاً» شديداً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.
وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله.

والآية المشار إليها «ففعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً».

آخر تفسير سورة المزمل والله الحمد والمنة.

سورة المدثر

٤٠١ - سورة المدثر بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر وفيها حديث يحيى بن كثير: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ الحديث وسيأتي عند المصنف.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المدثر بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. وآياتها ست وخمسون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن عباس: ﴿عسير﴾ شديد].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا علي: ثنا أبو صالح: ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها ﴿فذلك يؤمنذ يوم عسير﴾.

٢ - [﴿قسورة﴾ ركز الناس وأصواتهم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

وأخرج معناه عن سفيان.

٣ - [وقال أبو هريرة: الأسد وكل شديد: قسورة، وقسور]

ش: أخرجه ابن جرير من طرق عن زيد ابن أسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فذكره وبه قال زيد ابن أسلم وابن زيد وهو الرواية الخامسة عن ابن عباس وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى:

أحدها: الرئامة وبه قال أبو موسى وبجاهد وعكرمة وقتادة وهو الرواية الثانية

عن ابن عباس.

ثانيها: أنهم القنّاص وهو قول سعيد ابن جبير وابن عباس في الرواية الثالثة

عن ابن عباس.

ثالثها: أنهم جماعة الرجال وبه قال ابن عباس في الرواية الرابعة.

أخرجها جميعها ابن جرير.

والآية المشار إليها ﴿فرت من قسورة﴾.

٤ - [﴿مستفرة﴾ نافرة مذعورة].

ش: هو قول أبي عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿كانهم حمر مستفرة﴾.

٤٣٧ - ثنا يحيى: ثنا وكيع، عن علي بن المبارك^(١) عن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن، عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: (جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً، قال فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً قال: فنزلت ﴿يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر﴾.

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله: «أول ما نزل من القرآن، قال ﴿يا أيها المدثر﴾» وعند المصنف في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي، وفي تفسير سورة اقرأ عن عائشة ما يدل على أن أول ما نزل سورة اقرأ وفي المسألة خلاف مشهور وقوي وأحسن الأقاويل في ذلك بأن أول ما نزل من الآيات ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يا أيها المدثر﴾ وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة وهذا كما ورد في الحديث (أول ما يحاسب به العبد الصلاة) (وأول ما يقضي فيه الدماء) وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة، حكاه الزركشي في البرهان (٢٠٨/١) عن القاضي أبي بكر الباقلاني.

(١) هو علي بن المبارك الهنائي ثقة كان له عن يحيى بن أبي كثير كتابان أحدهما سماع والآخر إرسال فحديث الكوفيين عنه فيه شيء من كبار السابعة، ع.

الثانية: قوله: «سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت» في رواية حرب: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ فقلت: أنبت أنه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ قلت: وفيه دليل على أن هذه العبارات الثلاث وهي حدثنا وأنبأنا وأخبرنا بمعنى واحد.

الثالثة: قوله: «جاورت بحراء» في رواية الأوزاعي عند مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (جاورت بحراء شهراً) والمجاورة مفاعلة من الجوار وقد تكرر ذكرها في الحديث مراداً بها الإعتكاف في المكان والمكث فيه وحراء بالكسر والتخفيف، والمد جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ويقع إلى شرق مكة شرفها الله.

الرابعة: قوله: «فلما قضيت جوارى هبطت» وعند مسلم (فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي) وفي رواية عقيل عن الزهري (فينا أنا أمشي).

الخامسة: قوله: «فنوذيت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً» وعند مسلم (فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً).

قلت: والظاهر أن هذا تصرف من بعض الرواة لأن القصة واحدة، وفيه دليل على رواية الحديث بالمعنى.

السادسة: قوله: «فرفعت رأسي فرأيت شيئاً» في رواية حرب (فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض) وفي رواية الزهري بعد هذا بباين (فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض) وفي رواية يونس عند مسلم، (فجثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض) وعند المصنف من رواية الزهري (فجثت منه رعباً).

السابعة: قوله: «فأتيت خديجة» في رواية عقيل عن الزهري (فجئت أهلي).

الثامنة: قوله: «دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً» في رواية عقيل عن الزهري (زملوني زملوني، فدثروني) وفي رواية الأوزاعي (دثروني فدثروني فصبوا علي ماءً) قال العلماء المدثر والمزمل والمتلفف والمشمتم بمعنى واحد ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه، وفيه دليل على أنه يجسن أن يصب على الفزع الماء البارد. ويلف بثيابه أو غيرها ليسكن فزعه ويذهب عنه الروع.

التاسعة: قوله: «فنزلت ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر﴾» وعند مسلم من رواية الزهري ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ وزاد المصنف بعد هذا ببايين (فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر - إلى - والرجز فاهجر﴾) وفي رواية عقيل عن الزهري قال أبو سلمة: ﴿والرجز الأوثان، وعند المصنف بعد هذا ببايين والتمذي في تفسير السورة ﴿والرجز فاهجر﴾ (قبل أن تفرض الصلاة).

٤٠٢ - [باب ﴿قم فأندرك﴾]

ش: يأمر الله نبيه ﷺ أن يشمر عن ساق العزم والجد فينذر الناس عامة وقومه خاصة، الذين أشركوا مع الله فعبدوا معه غيره وهذه أول سورة أرسل بها النبي ﷺ كما أن سورة أقرأ أول سورة نبي بها.

٤٣٨ - ثفي محمد بن بشار: ثنا عبد الرحمن بن مهدي وغيره قال ثنا حرب بن شداد^(١) عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (جاورت بحراء، مثل حديث عثمان بن عمر عن علي بن المبارك).

ش / تقدم في الباب قبله.

(١) هو أبو الخطاب حرب بن شداد اليشكري البصري ثقة من السابعة مات سنة إحدى وستين ومائة ن، خ، م، د، ت، س.

٤٠٣ - [باب ﴿وربك فكبر﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الألهة والأنداد.

٤٣٩ - ثنا اسحاق بن منصور: ثنا عبد الصمد: ثنا حرب: ثنا يحيى قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿يا أيها المدثر﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال ﴿يا أيها المدثر﴾ فقلت أنبت أنه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ جاورت في حراء، فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس علي عرش بين السماء والأرض. فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء بارداً. وأنزل عليه ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر﴾.

ش: تقدم.

٤٠٤ - [باب ﴿ وثيابك فطهر ﴾]

ش: يأمر الله نبيه ﷺ أن يطهر ثيابه وقد اختلف أهل التفسير في المراد بهذا التطهير على أربعة أقوال حكاهما ابن جرير وهي:

أولها: بمعنى لا تلبس ثيابك على معصية ولا على غدره، وبه قال ابن عباس وعكرمة وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والنسفي وعطاء.

ثانيها: بمعنى لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: بمعنى أصلح عملك وبه قال مجاهد وابو رزين.

ورابعها: بمعنى اغسلها بالماء وطهرها من النجاسة وهو قول ابن سيرين وابن زيد وهذا هو ما اختاره ابن جرير.

وقال ابن القيم بعد ذكره الخلاف في الآية: قلت الآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظاً فإن الأمور به إن كان طهارة القلب وطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرم لبس جلود النمر والسباع بنهي النبي ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا معارض لها لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات فإن الملابس الظاهرة تسري إلى الباطن، ولذلك حرم لبس الحرير والذهب على الذكور لما يكتسب القلب من الهيئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء وأهل الفخر والخيلاء. اهـ من إغاثة اللهفان (١ / ٥٢).

٤٤٠ - ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب وحدثني

عبد الله بن محمد: ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري فأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن (جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فيينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من

السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحششت منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني. فدثروني. فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدثر - إلى - والرجز فاهجر ﴾ قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان).

ش / تقدم ضمن ما قبله.

وقوله : ((فحششتُ منه رُعباً)) أي ذعرت وخيفت ، يقال جُثث الرجل ، وجُثفَ ، وجُثَّ إذا فرِع . قاله في النهاية (جأث)

٤٠٥ - [باب قوله ﴿والرجز فاهجر﴾]

ش: تتضمن هذه الآية الكريمة أمر الله نبيه ﷺ والأمة تبع له في ذلك بهجر
الرجز وفي ذلك قولان للمفسرين:

أحدهما: بمعنى الأصنام وبه قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والزهري
وابن زيد.

وثانيهما: بمعنى المعصية والإثم وهو قول النخعي والضحاك وعندني أن كلاً
من القولين صحيح ولا تعارض بينهما فإن النبي ﷺ وكذلك كل مسلم مأمور
بترك الشرك وما دونه من المعاصي والآثام وعلى هذا تضافرت النصوص وانعقد
الإجماع.

[يقال: الرجز والرجس العذاب].

ش: قال القراء: كسره عاصم والأعمش والحسن، ورفع السلمي ومجاهد
وأهل المدينة فقرأوا ﴿والرجز فاهجر﴾ وفسر مجاهد، والرجز: الأوثان وفسر
الكلبي، الرجز العذاب، ونرى أنهما لغتان وأن المعنى فيهما واحد.

٤٤١ - ثنا عبد الله بن يوسف: ثنا الليث عن عقيل قال: ابن شهاب
سمعت أبا سلمة أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن
فترة الوحي: فيينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل
السماء فإذا الملك الذي جاءني بجراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض،
فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني.
فزملوني. فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها المدثر قم فأندر - إلى قوله - فاهجر﴾ قال
أبو سلمة، والرجز الإوثان. ثم حمى الوحي وتتابع.

ش: تقدم.

آخر تفسير سورة المدثر والحمد لله.

سورة القيامة

٤٠٦ - سورة القيامة

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق

عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة وفي لفظ ﴿لا أقسم﴾ بمكة.

وآياتها تسع وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ .

ش: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به، واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به على قولين:

أحدهما: أنه ﷺ إذا نزل عليه منه شيء عجل به يريد حفظه من حبه إياه فقيل له لا تعجل به فإننا سنحفظه عليك، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وابن زيد والضحاك.

وثانيهما: أنه ﷺ كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه فقيل له ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ إن علينا أن نجتمع لك ونقرئك فلا تنسى وبه قال مجاهد والحسن وقتادة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

حكى هذين القولين ابن جرير واختار الأول وحديث الباب شاهد له كما سيأتي.

٢ - [وقال ابن عباس: ﴿سدى﴾ هملا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد والسدي نحوه.

والآية المشار إليها ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ .

٣ - [﴿ليفجر أمامه﴾ سوف أتوب، سوف أعمل].

ش: وصله الفريابي: ثنا اسرائيل: ثنا أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ (يقول سوف أعمل) حكاه في التعليق (٣٥٥/٤).

قلت: وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي: ثني عمي: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ: (يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم

القيامة) ضمن القائلين أنه يريد أن يمضي أمامه قدماً إلى معاصي الله لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً ويسوف بالتوبة وهم مجاهد والحسن والسدي وعكرمة وسعيد بن جبير وهو أحد أربعة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه يريد أن يركب رأسه في طلب الدنيا دائماً ولا يذكر الموت وبه قال الضحاك.

وثالثها: أنه يريد الإنسان الكافر المكذب بيوم القيامة وهو قول ابن زيد وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: أنه يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة ولم ينسبه إلى أحد. والآية المشار إليها ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾.

٤ - [لا وزر] لا حصن.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي ثني عمي: ثني أبي عن أبيه: عن ابن عباس فذكره وزاد: (ولا ملجأ).

وأخرج عن أبي قلابة وقتادة والضحاك مثله، وعن مطرف بن الشخير ومجاهد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿كلا لا وزر﴾.

٤٤٢ - ثنا الحميدي: ثنا سفيان: ثنا موسى بن أبي عائشة^(١) وكان ثقة

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ إذا نزل

عليه الوحي حرك به لسانه - ووصف سفيان - يريد أن يحفظه، فأنزل الله ﴿لا

تحرك به لسانك لتعجل به﴾).

ش: فيه أربع مسائل:

(١) هو أبو الحسن موسى بن أبي عائشة الهمداني مولا هم الكوفي ثقة عابد من الخامسة، وكان يرسل، ع.

الأولى: قوله: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه» في بدء الوحي باب كيف كان الوحي (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه)، وبعد هذا باب (كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه).

الثانية: قوله: «ووصف سفيان» هو سفيان بن عيينة وعند الترمذي في تفسير السورة (وحرك سفيان شفتيه).

الثالثة: قوله: «يريد أن يحفظه» في بدء الوحي (فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه).

الرابعة: قوله: فأنزل الله ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد سبق شرحه وزاد في بدأ الوحي ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: جمعه له في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأَنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه، وفي رواية جبريل الآتية، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

٤٠٧ - [باب ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى
 تثبتته فيه ﴿وقرآنه﴾: يقول وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك.
 ٤٤٣ - ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة أنه
 سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ قال وقال ابن
 عباس: كان يحرك شفثيه إذا أنزل عليه فليل له لا تحرك به لسانك - يخشى أن
 ينقلت منه - إن علينا جمعه وقرآنه: أن نجمعه في صدرك، ﴿وقرآنه﴾ أن تقرأه،
 ﴿فإذا قرأناه﴾ يقول أنزل عليه - فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه ﴿أن نينه على
 لسانك﴾.

ش: تقدم ضمن ما قبله.

٤٠٨ - [باب قوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرأه﴾]

ش: قوله ﴿فإذا قرأناه﴾ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل. ﴿فاتبع قرأه﴾ أي فاستمع له ثم أقرأه كما أقرأك.

قوله: [قال ابن عباس: ﴿قرأناه﴾: بيناه، ﴿فاتبع﴾: أعمل به].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثنا أبو صالح، ثنا معاوية، عن علي عن ابن عباس فذكره. حكاه في التعليق.

قلت: والذي عند ابن جرير من هذا الوجه عن ابن عباس قوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرأه﴾ يقول: أعمل به.

وأخرج من طريق العوفيين عنه يقول: إذا يتلى عليك فاتبع ما فيه. انتهى

٤٤٤ - ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد

بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله.

قوله: [﴿أولى لك فأولى﴾ : توعد]

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرج ابن جرير عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة ﴿أولى لك فأولى﴾. ثم أولى لك فأولى: وعيدٌ على وعيد، كما تسمعون، زعم أن أنزل في عدو الله أبي جهل. انتهى محل الغرض

آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد والمنة.

سورة ﴿هل أتى على الإنسان﴾

٤٠٩ - سورة ﴿هل أتى على الإنسان﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿لم تنزّل﴾ السجدة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ رواه مسلم.

قال الجمهور: هي مدنية، وأخرج النحاس عن ابن عباس أنها نزلت بمكة وكذا قال مقاتل والكلبي.
وآياتها إحدى وثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [يقال معناه: أتى على الإنسان، (وهل) تكون جحداً، وتكون خيراً، وهذا من الخبر يقول: كان شيئاً فلم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن ينفخ فيه الروح].

ش: قال الفراء: معناه قد أتى على الإنسان حين من الدهر (وهل) قد تكون جحداً وتكون خيراً هذا من الخير.

وقال أبو عبيدة: مجازها قد أتى على الإنسان، ليس باستفهام.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وسفيان ﴿هل أتى على الإنسان﴾ آدم عليه السلام.

والآية المشار إليها ﴿هل أتى على الإنسان حيناً من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

٢ - [أمشاج] الأخلاط ماء المرأة وماء الرجل الدم والعلقة ويقال إذا خلط مشيح كقولك: خليط، وممشوج مثل مخلوط].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿إنا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾.

٣ - [ويقرأ سلاسلاً وأغلالاً] ولم يجر بعضهم].

ش: قاله الفراء: «وسلاسلاً قرأه نافع وأبو بكر وهشام والكسائي بالتنوين وقرأ الباقر وغير تنوين، وكلهم وقف عليه بالألف، إلا حمزة وقُنبلاً فإنهما وقفاً بغير ألف». حكاه مكّي (٣٥٢/٢).

والآية المشار إليها ﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾.

٤ - ﴿مستطيراً﴾ ممتداً البلاء].

ش: قاله الفراء وزاد والعرب تقول استطار الصدع في القارورة وشبهها، واستطال. اهـ

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض.

والآية المشار إليها ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾.

٥ - [القمطير: الشديد، يقال: يوم قمطير ويوم قماطر].

ش: قاله الفراء وزاد: وانشدني بعضهم:

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

٦ - [والعبوس والقمطير والقماطر والعصيب: أشد ما يكون من الأيام

في البلاء].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً﴾.

٧ - [وقال الحسن: النضرة في الوجه: والسرور في القلب].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني يعقوب: ثنا ابن علي عن أبي رجاء عن الحسن

فذكره.

وأخرج عن قتادة مثله.

والآية المشار إليها ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة

وسروراً﴾.

٨ - [وقال ابن عباس: ﴿الأرائك﴾ السرور].

ش: ثبت هذا للنسفي والجرجاني، قاله الحافظ هنا وأخرج ابن جرير من

طريق العوفيين عن ابن عباس قال: الحجال، وأخرج عن قتادة: الحجال فيها

الأسرة وأخرج عن مجاهد السرر في الحجال.

والآية المشار إليها ﴿متكئين فيها على الأرائك، لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾.

٩ - [وقال البراء: ﴿وذلت قطوفها﴾ يقطفون كيف شاءوا].

ش: ثبت هذا للنسفي وحده أيضاً، وقد وصله سعيد بن منصور عن شريك عن أبي اسحاق عن البراء في قوله ﴿وذلت قطوفها تذليلاً﴾ قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضجعين وعلى أي حال شاءوا. اهـ من الفتح.

قلت: وأخرج ابن جرير عن سفيان قال: يتناوله كيف يشاء جالساً ومتكئاً.

والآية المشار إليها ﴿ودانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذليلاً﴾.

١٠ - [وقال معمر ﴿أسرهم﴾ شدة الخلق، وكل شيء شددته من قتب وغبيط فهو ما سور].

ش: قاله أبو عبيدة وهو معمر بن المثنى وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا: خلقهم.

والآية المشار إليها ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾.

آخر تفسير سورة الإنسان والحمد لله.

سورة المرسلات

٤١٠ - سورة المرسلات

ش: شاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وفيه حديث ابن مسعود عند المصنف (كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه

والمرسلات) وسيأتي.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال قتادة إلا آية فيها هي

قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

وآياتها خمسون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد ﴿جمالات﴾ حبال].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

ثانيها: أنها النوق السود وإنما قيل لها صفر وهي سود لأن ألوان الأبل سود تضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن وقيادة والرواية الثانية عن مجاهد.

ثالثها: أنها قطع النحاس وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه، واختار ابن جرير الثاني منها: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وإن الجمالات جمع جمال، نظير رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات.

تنبيه

قال المصنف حكاية عن مجاهد (جمالات) على وزن فعالات وهي إحدى القراءتين في الآية قال مكي (٣٥٨/٢): قرأه حفص وحمزة والكسائي جمالت على وزن فعالة.

جعلوه جمع جمل كأنه جمع على فعال على (جمال) ثم لحقته هاء التانيث لتانيث الجمع كما قالوا (فجل وفحال وفحاله) فالوقف عليه بالهاء، لأنه كقائمة وضاحكة وقرأ الباقر (جمالات) بالألف والتاء جعلوه جمع جمالة على حد التثنية فهو جمع الجمع. اهـ

والآية المشار إليها ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر﴾.

٢ - [﴿اركعوا﴾ صلوا، ﴿لا يركعون﴾ لا يصلون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾.

٣ - [ومثل ابن عباس: ﴿لا ينطقون﴾ ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ فقال: إنه ذو ألوان، مره ينطقون، ومره نختم عليهم].

ش: قال عبد بن حميد: ثني سليمان بن حرب ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس أخبرنا عن قول الله ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ وقوله ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ وقوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقوله ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ قال ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يخلصون ويحجلون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، ويأمر جوارحهم، فتشهد على أعمالهم ما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم، فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا قال وذلك قوله ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾. ا.هـ من التعليق (٣٥٦/٤).

وقال في الفتح: وروى ابن مردويه من حديث عبادة بن الصامت قال: قلت: لعبد الله بن عمرو بن العاص رأيت قول الله ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ فقال: إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون.

ولا بن أبي حاتم من طريق معمر عن قتادة قال: إنه يوم ذو لوان. ا.هـ
٤٤٥ - ثني محمود: ثنا عبيد الله عن اسراييل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه ﴿ والمرسلات﴾ وأنا لتلقاها من فيه، فخرجت حية فابتدرناها، فسبقتنا فدخلت جحرها، فقال رسول الله ﷺ: وقيت شركم كما وقيتم شرها).

حدثنا عبدة بن عبد الله^(١) أخبرنا يحيى بن آدم^(٢) عن إسرائيل عن منصور بهذا، وعن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله مثله، وتابعة أسود بن عامر^(٣) عن إسرائيل. وقال حفص وأبو معاوية وسليمان بن قرم^(٤) عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود. قال يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله وقال ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله.

٤٤٦ - حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قال: قال عبد الله (بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار إذ نزلت عليه ﴿ والمرسلات ﴾ فتلقيناها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ خرجت حية، فقال رسول الله ﷺ: عليكم، اقلوها، قال فابتدرناها فسبقتنا، قال فقال: وقيت شركم كما وقيتم شرها).

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله: «كنا مع رسول الله ﷺ» في رواية الأسود وهي الرواية الثانية (بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار) وفي الإحصار باب ما يقتل المحرم من الدواب من رواية حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى).

- (١) هو أبو سهل عبدة بن عبد الله الصفار الخزاعي البصري، كوفي الأصل، ثقة من الحادية عشرة مات سنة ثمان وخمسين [ومائتين] وقيل في التي قبلها خ، ٤.
- (٢) هو أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي مولى بني أمية ثقة حافظ فاضل من كبار التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين ع.
- (٣) هو أبو عبد الرحمن الأسود بن عامر الشامي نزيل بغداد ويلقب شاذان ثقة من التاسعة مات في أول سنة ثمان ومائتين ع.
- (٤) هو أبو داود سليمان بن قرم بن معاذ البصري النحوي ومنهم من ينسبه إلى جده، سيء الحفظ يتشيع، من السابعة خت، د، ت، س.

قال الحافظ: وهذا أصح - يعني رواية حفص بن غياث - مما أخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال: (بينما نحن عند النبي ﷺ على حراء).

الثانية: قوله: «وأنزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ وإنا لتلقاها من فيه» وفي الرواية الثانية (إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فتلقيناها من فيه، وإن فاه لرطب بها).

الثالثة: قوله: «فخرجت حية» في الإحصار (إذ وثبت علينا حية).
الرابعة: قوله: «فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها» في الرواية الثانية فقال رسول الله ﷺ (عليكم اقتلوها) قال فابتدرناها فسبقتنا) وفي الإحصار (فابتدرناها فذهبت) وعند النسائي (فابتدرناها فدخلت جحرها) ومعنى فسبقتنا أي باعتبار ما آل إليه أمرها، وحاصل هذه الروايات أنهم أرادوا أن يسبقوا إلى قتلها، فسبقتهم إلى الدخول في جحرها.

الخامسة: قوله: «وقيت شركم، كما وقيتم شرها» عند مسلم في السلام باب قتل الحياة وغيرها (وقاها الله شركم كما وقاكم شرها).

فائدة

أخرج مسلم في باب قتل الحيات من كتاب السلام من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (أمر محرماً بقتل حية بمعنى).

فقد تكون هذه القصة هي الواردة في حديث الباب وقد تكون غيرها ولا منافاة.

من فقه الحديثين

أولاً: جواز قتل الحيات في الحل والحرم فإن قلت: هل ينذرنا قلنا هذا خاص بذوات البيوت لما رواه البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

بيننا أنا أطارد حية لأقتلها فناداني أبو لبابة لا تقتلها فقلت: إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات، فقال إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت وهن العوامس).
ثانياً: لا يتبع منها مالاذ بجحره لأن المقصود دفع أذيتها.

٤١١ - [باب قوله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾]

ش: يخبر جل ثناؤه بأن جهنم تقذف بشرر عظيم ومن عظمه أنه كالقصر يتسكين الصاد المهملة وقد اختلف من قرأ هذه القراءة في معناه على قولين: أحدهما: أنه واحد القصور وهو قول ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي.

وثانيهما: أنه الغليظ من الخشب كأصول النخل وما أشبه ذلك وبه قال قتادة والضحاك والحسن وهو قول ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما حكى هذين القولين ابن جرير واختار أولهما. قلت: وظاهر اللفظ يؤيده.

والثاني هو قول الأكثرين وظهر من إيراد المصنف للحديث ابن عباس في الباب أنه يختاره.

٤٤٧ - ثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان: ثنا عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ قال: كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشقاء، فنسميه القصر. ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «كنا نرفع الخشب» في رواية يحيى في الباب بعده (كنا نعمد إلى الخشبية ثلاثة أذرع أو فوق ذلك).

الثانية: قوله: «كنا نرفع الخشب بقصر» وعند ابن جرير برواية وكيع (خشب كنا ندخره للشقاء) والقصر بكسر الموحدة والقاف وفتح الصاد المهملة وتنوين الراء وبالإضافة أيضاً وهو بمعنى الغاية والقدر تقول قصرك وقصارك من كذا ما اقتصرت عليه).

الثالثة: قوله: «ثلاثة أذرع أو أقل» في الباب بعده (أو فوق ذلك) وعند ابن جرير (وفوق ذلك ودون ذلك).

الرابعة: قوله: «فترفعه للشتاء فنسميه القصر» بسكون الصاد وفتحها وهو على الثاني جمع قصرة أي كأعناق الإبل ويؤيده قراءة ابن عباس كالقصر بفتحين وقد حكاها ابن جرير بصيغة التمريض.

٤١٢ - [باب قوله ﴿كأنه جمالات صفر﴾]

ش: شبه جل ثناؤه الشرر الذي ترمى به النار بإعتبار لونه بالجمالة الصفر، وقد قدمنا في الباب الأول من تفسير هذه السورة إختلاف أهل التفسير في معنى جمالة وإختلاف القراءات فيها.

٤٤٨ - ثنا عمرو بن علي: ثنا يحيى: أخبرنا سفيان: ثنا عبدالرحمن بن

عابس: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ترمي بشرر﴾ كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك، فنرفعه للشقاء، فنسميه القصر، ﴿كأنه جمالات صفر﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

ش: قوله «﴿كأنه جمالات صفر.. الخ﴾» هو من تمة الحديث وقد أخرجه

عبد الرزاق وابن جرير واللفظ له كلاهما عن سفيان الثوري عن عبدالرحمن بن عابس سمعت ابن عباس سئل عن ﴿جمالات صفر﴾ قال: حبال السفن تجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال.

قال مقبده: وقد مضى في تفسير أول السورة أنه قال به غير ابن عباس:

بجاهد وسعيد بن جبير ويظهر من صنيع المصنف أنه يختاره. والله أعلم.

٤١٣ - [باب قوله ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾]

ش: يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله، وقد قدمنا في أول تفسير هذه السورة ما جمع به ابن عباس بين هذه الآية وبين قوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقوله ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾.

٤٤٩ - حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود (عن عبد الله قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار، إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنه ليتهاها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: اقتلوها. فابتدرناها فذهب، فقال النبي ﷺ: وقيت شركم كما وقيت شرها). قال عمر: حفظته من أبي (في غار بمعنى).

ش: قوله: (قال عمر حفظته من أبي في غار بمعنى) يعني أن أباه زاد بعد قوله في الحديث (كنا مع النبي ﷺ في غار بمعنى) وقد حكينا هذه الزيادة في المسألة الأولى من الباب الأول في تفسير هذه السورة.

آخر تفسير سورة المرسلات والله الحمد والمنة.

سورة عم يتساءلون

٤١٤ - سورة ﴿عم يتساءلون﴾

ش: وفي المصحف النبا وشاهد التسمية لكليهما ظاهر.

وهي مكية عند الجميع أخرج النحاس وابن الضريس وابن مردويه

والبيهقي: عن ابن عباس قال نزلت بمكة.

وآياتها أربعون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد: ﴿لا يرجون حساباً﴾ لا يخافونه].

ش: وصله الفريابي كما حكاه الحافظ في هذا الموضع من الفتح وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وحدثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (لا يزالون فيصدقون بالغيب) وأخرجه بلفظ المصنف عن قتادة قال: (لا يخافون).

والآية المشار إليها ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾.

٢ - [﴿لا يملكون منه خطاباً﴾ لا يكلمونه إلا أن يأذن لهم].

ش: لم أجده عن مجاهد بلفظ المصنف وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله ولفظه كلاماً، وحكاه البغوي عن مقاتل بلفظ (لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه).

والآية المشار إليها ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾.

٣ - [﴿صواباً﴾ حقاً في الدنيا وعمل به].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾.

٤ - [وقال ابن عباس: ﴿وهاجاً﴾ مضياً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج نحوه عن مجاهد وقاتدة وسفيان.

والآية المشار إليها ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾.

٥ - [﴿ثجاجاً﴾ منصباً].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله، وأخرج مثله عن مجاهد وقتادة والربيع وعن سفیان نحوه وهو أحد قولين حكاهما في الآية. وثانيهما: الكثير وهو قول ابن وهب، واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه.

٦ - ﴿أَلْفَاظًا﴾ ملتفة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن سعد: ثني أبي: ثني عمي: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظ: (جنات إلتف بعضها ببعض). وأخرجه بلفظ المصنف عن مجاهد وسفيان وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وجنات ألفافاً﴾.

٧ - [وقال غيره ﴿غساقاً﴾ غسقت عينه، ويغسق الجرح: يسيل كأن

الغساق والغسيق واحد].

ش: قال أبو عبيدة: وهو ما همى أي سال ويقال: قد غسقت من العين ومن الجرح ويقال: عينه تغسق أي تسيل.

والآية المشار إليها ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾.

٨ - [﴿عطاءً حساباً﴾ جزاءً كافياً، أعطاني ما أحسبني أي كفاني].

ش: قاله أبو عبيدة، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: عطاءً كثيراً، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذي لا انقطاع له.

والآية المشار إليها ﴿جزاءً من ربك عطاءً حساباً﴾.

٤١٥ - [باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾]

ش: قوله ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ترجم يوم ينفخ عن يوم الفصل فكأته قيل يوم الفصل كان أجلاً لما وعدنا هؤلاء القوم، يوم ينفخ في الصور.

قلت: والصور هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكل بالنفخ والمشهور أن ذلك الملك هو اسرافيل وهذه النفخة الثانية.

وقوله ﴿فتأتون أفواجا﴾ أي إلى موضع العرض زمراً زمراً وجماعات جماعات وهي جمع فوج.

[﴿أفواجا﴾ زمراً].

ش: هذا تفسير لأفواج. أخرجه ابن جرير عن مجاهد.

٤٥٠ - ثني محمد: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً؟ قال: آييت. قال: أربعون شهراً قال: آييت. قال: أربعون سنة؟ قال: آييت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا ييلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة).

ش: تقدم في سورة الزمر ضمن الباب التاسع والتسعين بعد المائتين.

آخر تفسير سورة النبا والحمد لله .

سورة النازعات

٤١٦ - سورة النازعات

ش: وشاهد التسمية ظاهر.

أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال:

نزلت سورة النازعات بمكة.

وآياتها ست وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [﴿زجرة﴾ صيحة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وأخرج عن ابن زيد الزجرة قال النفحة في الصور.

والآية المشار إليها ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾.

٢- [وقال مجاهد: ﴿ترجف الراجفة﴾ هي الزلزلة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثني أبو عاصم: ثنا عيسى وثنى الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿يوم ترجف الراجفة﴾.

٣- [﴿الآية الكبرى﴾ عصاه ويده].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج مثله عن الحسن وقتادة وعن ابن زيد معناه.

والآية المشار إليها ﴿فأراه الآية الكبرى﴾.

٤- [﴿سمكها﴾ بناها بغير عمد].

ش: قال الحافظ: ثبت هذا هنا للنسفي وحده.

قلت: ولعله يريد ﴿رفع سمكها فسواها﴾.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها ﴿رفع سمكها فسواها﴾.

٥- [﴿طغى﴾ عصى].

ش: ثبت هذا للنسفي وحده، وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد به، حكاه الحافظ هنا.

والآية المشار إليها ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾.

٦ - [يقال: الناخرة والنخرة سواء، مثل الطامع والطمع، والباخل والبخل. وقال بعضهم النخرة البالية والناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿أءذا كنا عظاماً نخرة﴾.

٧ - [وقال ابن عباس: ﴿الحافرة﴾ إلى أمرنا الأول، إلى الحياة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس بلفظ (الحافرة) الحياة.

وقال الفراء: يقال إلى أمرنا الأول إلى الحياة.

وأخرج ابن جرير مثل قول ابن عباس عن محمد بن كعب القرظي والسدي وهو أحد أقوال ثلاثة في الآية. ثانيها: أنها الأرض وبه قال مجاهد.

وثالثها: النار وهو قول ابن زيد حكاه ابن جرير ويظهر من تفسيره للآية أنه يختار قول ابن عباس ومن وافقه وليس القول الثاني ببعيد عنه.

والآية المشار إليها: ﴿يقولون إنا لمردودون في الحافرة﴾

٨ - [وقال غيره: ﴿أيان مرساها﴾ متى منتهاها، ومرسى السفينة حيث

تنتهي].

ش: قاله أبو عبيدة، وقال الفراء: يقول القائل: إنما الإرساء للسفينة والجبال وما أشبههن فكيف وصفت الساعة بالإرساء؟ قلت: هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست ورسوها قيامها. اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿يستلونك عن الساعة أيان مرساها﴾.

٩ - [﴿الراجعة﴾ النفخة الأولى، ﴿الرادفة﴾ النفخة الثانية].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرج معناه عن الحسن وقتادة والضحاك وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في هاتين الكلمتين.

وثانيها: أن الراجفة الزلزلة والرادفة هو قوله ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وقوله ﴿فَدَكْنَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ وهو قول مجاهد.

وثالثها: الراجفة يوم ترجف الأرض والرادفة الساعة وبه قال ابن زيد واختار ابن جرير في تفسير الآية قول ابن عباس ومن وافقه.

والآيتان المشار إليهما ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ﴾.

٤٥١ - ثنا أحمد بن المقدم، ثنا الفضيل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال يا صبيعه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام: بعثت أنا والساعة كهاتين).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: «رأيت رسول الله ﷺ قال يا صبيعه هكذا» في الرقاق باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين من رواية سعيد بن أبي مرثمة (ويشير يا صبيعه فيمدهما).

الثانية: قوله: «بالوسطى والتي تلي الإبهام» في الطلاق باب اللعان (قرن بين السبابة والوسطى) وعند مسلم في الفتن باب قرب الساعة برواية يعقوب عن أبي حازم (يشير يا صبيعه التي تلي الإبهام والوسطى) وعنده من حديث أنس: (وضع السبابة والوسطى).

الثالثة: قوله «بعثت أنا والساعة كهاتين» في الطلاق (بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين) وعند مسلم من رواية يعقوب (بعثت أنا والساعة هكذا) والمعنى قيل المراد بينهما شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول، وقيل هو إشارة إلى قرب المجاورة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال ابن عباس: ﴿أَغْطِشُ﴾: أظلم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة وابن زيد مثله.

والآية المشار إليها ﴿وَأَغْطِشُ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾.

٢ - [﴿الطَّامَةِ﴾ تَطْمُ كُلُّ شَيْءٍ].

ش: قاله الفراء وليس هو قول ابن عباس كما يفهم من ظاهر السياق.

والآية المشار إليها ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾

آخر تفسير سورة النازعات والحمد لله.

سورة عبس

٤١٧ - سورة عبس بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال:
نزلت سورة عبس بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وآياتها اثنتان
وأربعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿عبس وتولى﴾ كَلح وأعرض].

ش: أما تفسير ﴿عبس﴾ فهو لأبي عبيد، حكاه الحافظ، وأما تفسير تولى بأعرض فأخرج الترمذي والحاكم في تفسير السورة كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر... الحديث).

٢ - [وقال غيره: ﴿مطهرة﴾ لا يمسه إلا المطهرون وهم الملائكة وهذا مثل قوله ﴿فالمدبرات أمراً﴾ جعل الملائكة والصحف مطهرة، لأن الصحف يقع عليها التطهير، فجعل التطهير لمن حملها أيضاً].

ش: قاله القراء، وبه قال ابن عباس وابن زيد.

وهو أحد أقوال ثلاثة حكاه ابن جرير.

ثانيها: أنهم الكتبة، وهو قول قتادة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس.

ثالثها: أنهم القراء، وبه قال قتادة في الرواية الثانية عنه.

واختار ابن جرير الرواية الأولى عن ابن عباس ومن وافقه.

والآية المشار إليها ﴿مرفوعة مطهرة﴾.

٣ - [وقال مجاهد: الغلب: الملتفة].

ش: وقع في رواية النسفي وحده هنا، قاله الحافظ، وقال (٢٩٦/٦)، عند

قول الشيخ قال مجاهد ألفافاً ملتفة، والغلب: الملتفة. وصلهما عبد بن حميد من

طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

قلت: وبه قال ابن عباس وهو أحد أربعة أقوال حكاه ابن جرير في الآية.

وثانيها: أنها الشجر يستظل به في الجنة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وثالثها: أنها الطوال قاله ابن عباس في الرواية الثالثة.

ورابعها: أنه النخل الكرام وهو قول قتادة وعكرمة وابن زيد ويظهر من تفسير ابن جرير للآية أنه يختار الأول.

والآية المشار إليها ﴿وحدائق غلبا﴾.

٤ - [والأب: ما يأكل الأنعام].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بلفظ ما أكلت الأنعام والخلاف لفظي وبه قال ابن عباس والحسن وقاتدة والضحاك وابن زيد وأبو رزين وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه الثمار الرطبة وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية واختار ابن جرير في تفسير الآية الأول وهو قول الأكثرين كما رأيت.

والآية المشار إليها: ﴿وفاكهة وأبا﴾.

٥ - [سفرة] الملائكة واحدهم سافر، سفرت: أصلحت بينهم وجعلت الملائكة - إذا نزلت بوحى الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم].

ش: قاله الفراء وزاد: قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

والآية المشار إليها ﴿بأيدي سفرة﴾.

٦ - [وقال غيره ﴿تصدى﴾ تغافل عنه].

ش: الذي وجدته عند أبي عبيدة: في قوله تعالى: ﴿فأنت له تصدى﴾ تعرض له.

والآية المشار إليها ﴿فأنت له تصدى﴾.

٧ - [وقال مجاهد: ﴿لما يقض﴾ لا يقضي أحد ما أمر به].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثنى الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿كَلِمًا لَّمَّا يَقْضُ مَا أَمْرُهُ﴾.

٨ - [وقال ابن عباس : ﴿ ترهقها ﴾ : تغشاها شدة] .

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس به .

وأخرج الحاكم من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ يصيران غبرةً على وجوه الكفار لاعلى وجوه المؤمنين ، وذلك قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها فترة ﴾ . حكاه الحافظ .

وأخرج ابن جرير : ثني علي ، قال: ثنا أبو صالح ، ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ، قوله ﴿ ترهقها فترة ﴾ : يقول : تغشاها ذلة .

والآية المشار إليها ﴿ ترهقها فترة ﴾

٩ - [مسفرة ﴾ : مشرقة] .

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله . وعزاه الحافظ إلى ابن أبي حاتم .

والآية المشار إليها ﴿ وجوه يومئذٍ مسفرة ﴾

١٠ - [وقال ابن عباس: كتبة أسفاراً، كتباً] .

ش: في نسخة الحافظ: ﴿ بأيدي سفرة ﴾ . وقال ابن عباس: ...

قلت: وأخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن

ابن عباس بلفظ كتبة .

وأخرج عن ابن عباس عند قوله من سورة الجمعة (كمثل الحمار يحمل

أسفاراً) من طريق العوفيين: الأسفار الكتب .

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الخامس .

١١ - ﴿تلهى﴾ تشاغل].

ش: لم أقف عليه عن ابن عباس وقال أبو عبيدة: (تغافل بغيره).

والآية المشار إليها ﴿فأنت عنه تلهى﴾.

١٢ - [يقال واحد الأسفار سفر].

ش: قال أبو عبيدة في الآية السابقة من سورة الجمعة: (واحدنا سفر وهو

الكتاب) ولا أدري ما مناسبتها هنا.

١٣ - ﴿فأقبره﴾ يقال: أقبرت الرجل جعلت له قبراً، قبرته دفنته].

ش: قال أبو عبيدة: أمر بأن يقبر قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح

بن عبد الرحمن أقبرنا صالحاً قال دونكموه، والذي يدفن بيده هو القابر. اهـ.

والآية المشار إليها ﴿فأماته فأقبره﴾.

٤٥٢ - ثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا قتادة قال سمعت زرارة بن أوفى^(١)

يحدث عن سعد بن هشام^(٢) عن عائشة عن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يقرأ

القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده

وهو عليه شديد فله أجران).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: «مثل الذي يقرأ القرآن» أي صفته وهو كقوله ﴿مثل الجنة

التي وعد المتقون﴾ وكقوله ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾.

الثانية: قوله: «وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة» وعند مسلم في

صلاة المسافرين باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع به من رواية أبي عوانة

(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) وعند الترمذي في تفسير السورة من

(١) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامري الحرشي البصري قاضياً، ثقة عابد من الثالثة،

مات فجأة في الصلاة سنة ثلاث وتسعين ع.

(٢) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني، ثقة من الثالثة، استشهد بأرض الهند ع.

رواية أبي داود (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة) والماهر هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه واتقانه.

الثالثة: قوله «ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله

أجران».

عند مسلم (والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران) أي الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتبعته في تلاوته ومشقته.

قال القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي يتتبع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعنى بكتاب الله وحفظه واتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه) اهـ حكاه النووي ج ٦ ص ٨٥ وقال الحافظ: قال ابن التين: اختلف هل له ضعف أجر الذي يقرأ القرآن حافظاً أو يضاعف له أجره وأجر الأول أعظم؟ قال: وهذا أظهر. اهـ
آخر تفسير سورة عبس والحمد لله .

سورة ﴿إذا الشمس كورت﴾

٤١٨ - سورة ﴿إذا الشمس كورت﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إذا الشمس كورت﴾، و﴿إذا السماء انفطرت﴾، و﴿إذا السماء انشقت﴾.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردوية والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿إذا الشمس كورت﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردوية عن عائشة وابن الزبير مثله.

وآياتها تسع وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ - ﴿انكدرت﴾ انثرت].

ش: قاله الفراء وزاد وقعت على وجه الأرض، وأخرجه ابن جرير عن أبي صالح ومجاهد والربيع بن خثيم وقتادة وابن زيد وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أي تغيرت وهو قول ابن عباس.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾.

٢ - [وقال الحسن: ﴿سجرت﴾ ذهب ماؤها فلا تبقى قطرة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا يعقوب: ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن بلفظ (بيست) وهو قول قتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

ثانيها: بمعنى اشتعلت ناراً وحميت وبه قال أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن زيد وشمر بن عطية وسفيان.

وثالثها: بمعنى فاضت، وهو قول الربيع بن خثيم والكلبي والضحاك، واختار ابن جرير ثالثها.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا البحار سجرت﴾.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿المسجور﴾ المملوء].

ش: تقدم في تفسير سورة الطور الأثر الخامس في الباب السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة.

٤ - [وقال غيره ﴿سجرت﴾ أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً وأحدأ].

ش: قاله الفراء وهو يوافق قول الكلبي والضحاك والربيع بن خثيم.

٥ - [والخنس: تخنس في مجراها: ترجع، وتكنس: تستتر كما تكنس

الظباء].

ش: قاله الفراء وزاد قبله: وهي النجوم الخمسة.
وزاد في آخره: في المغار وهو الكناس الخمسة بهرام وزحل وعطارد
والزهرة والمشتري.

والآية المشار إليها: ﴿فلا أقسم بالجنس الجوار الكنس﴾.
٦ - [تنفس] ارتفع النهار].

ش: قاله الفراء وزاد: فهو تنفس الصبح.
والآية المشار إليها: ﴿والصبح إذا تنفس﴾.
٧ - [الظنين] المتهم، والظنين يظن به].
ش: قاله أبو عبيدة وزاد (ويظن).

قلت: وهذا التفسير موافق لقراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي وقرأ
الباقون بالضاد على معنى يبخيل أي ليس محمد يبخيل في بيان ما أوحى إليه
وكتمانه. حكى القراءتين مكى.

والآية المشار إليها: ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾.

٨ - [وقال عمر: ﴿النفوس زوجت﴾ يزوج نظيره من أهل الجنة والنار
ثم قرأ ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾].

ش: قال ابن مردويه في تفسيره: ثنا أبو عمرو هو ابن حكيم، ثنا محمد بن
عبد الوهاب، ثنا آدم، ثنا حماد بن سلمة، ثنا سماك بن حرب، سمعت النعمان بن
بشير: سمعت عمر بن الخطاب يقول: في قوله ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ فسكتوا،
فقال عمر: لكني أعرفه، هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج
نظيره من أهل النار يوم القيامة ثم قرأ ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾
حكاه في التعليق هنا وأخرج ابن جرير والحاكم كلاهما عن سفيان عن سماك بن
حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿وإذا النفوس

زوجت ﴿ قال هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة والنار الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح. والله أعلم والآية المشار إليها: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾. ٩ - ﴿عسعس﴾ أدبر].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد وقتادة والضحاك وهو أحد قولين حكاهما في الآية. وثانيهما: بمعنى أقبل وبه قال الحسن وعطية واختار ابن جرير قول ابن عباس ومن وافقه قال وذلك لقوله ﴿والصبح إذا تنفس﴾ يقول بذلك على أن القسم بالليل مدبراً وبالنهار مقبلاً.

آخر تفسير سورة التكوير والحمد لله.

سورة ﴿إذا السماء انفطرت﴾

٤١٩ - سورة ﴿إذا السماء انفطرت﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن جابر قال: قام معاذ فضلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي: (أفتان أنت يا معاذ؟) أين كنت عن سبوح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت؟)

أخرجاه ولكن ذكر ﴿إذا السماء انفطرت﴾ في أفراد النسائي.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿إذا السماء انفطرت﴾ بمكة. وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [انفطارها: انشاقها].

ش: قال الفراء: (انفطرت) انشقت.

والآية المشار إليها ﴿وإذا السماء انفطرت﴾.

٢ - [ويذكر عن ابن عباس ﴿بعثت﴾ يخرج من فيها من الأموات].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس بلفظ: (بجثت)

والآية المشار إليها: ﴿وإذا القبور بعثت﴾.

٣ - [وقال الربيع بن خثيم ﴿فجرت﴾ فاضت].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن

أبي يعلى عن ربيع بن خثيم فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا البحار فجرت﴾.

٤ - [وقرأ الأعمش وعاصم (فعدلك) بالتخفيف وقرأه أهل الحجاز

بالتشديد، وأراد معتدل الخلق، ومن خفف يعني في أي صورة شاء، إما حسن

وإما قبيح وطويل أو قصير].

ش: قاله الفراء.

قلت: وحكى القراءتين ابن جرير.

آخر تفسير سورة الإنفطار.

سورة ﴿ويل للمطففين﴾

٤٢٠ - سورة ﴿ويل للمطففين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

قال القرطبي هي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في

قول الحسن وعكرمة، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة.

وآياتها ست وثلاثون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿ران﴾ ثبت الخطايا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: اثبت على قلبه الخطايا حتى غمرته. وأخرج نحوه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد. ورواه الحافظ في التعليق من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: اثبت على قلوبهم الخطايا حتى غمرتها. وهذه الأقوال متفقة على أن الران هو الختم على القلوب من جراء المعاصي.

روى الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

والآية المشار إليها: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

٢ - [﴿ثوب﴾ جوزي].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. والآية المشار إليها ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾.

٣ - [وقال غيره: ﴿المطفف﴾: لا يوفي غيره].

ش: قال أبو عبيدة: المطفف الذي لا يوفي على الناس من الناس.

والآية المشار إليها ﴿ويل للمطففين﴾.

٤ - [الرحيق: الخمر].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وابن مسعود وابن زيد وقال أبو عبيدة: الرحيق الذي ليس فيه غش، رحيق معرق من مسك أو خمر.

والآية المشار إليها ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾.

٥ - ﴿ختامه مسك﴾ طيبته].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن زيد وهو أحد أقوال ثلاثة حكاه في الآية.

وثانيها: بمعنى مزاجه وخلطه مسك وبه قال ابن مسعود وعلقمة.

وثالثها: بمعنى أن آخر شرايبهم يخنم بمسك يجعل فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك وإبراهيم النخعي والحسن وأبي الدرداء واختار ابن جرير ثالثها.

والآية المشار إليها ﴿ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

٦ - [التسنيم: يعلو شراب أهل الجنة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد والكلبي.

والآية المشار إليها: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾.

٤٥٣ - ثنا إبراهيم بن المنذر: ثنا معن قال ثنا مالك عن نافع عن عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى قوله «يوم يقوم الناس لرب العالمين» والمعنى يوم يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين أو جزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه، وفي وصف اليوم بالعظيم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه لكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفضاعة عقابه.

الثانية: قوله «حتى يغيب أحدهم في رشحه» في الرقاق باب قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من رواية أيوب (يقوم أحدهم في رشحه) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أيوب (يقومون في الرشح).

الثالثة: قوله: «إلى أنصاف أذنيه» هو من إضافة الجميع إلى الجميع حقيقة ومعنى، لأن لكل واحد أذنين، وعند مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة يوم القيامة من حديث المقداد قال: سمعت رسول الله يقول: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل) فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً، وأشار رسول الله إلى فيه) وسبب كثرة العرق وبلغه هذا الحد من كل إنسان ثلاثة أمور وهي تراكم الأهوال، ودنو الشمس من رؤسهم وزحمة بعضهم بعضاً.

آخر تفسير سورة المطففين.

سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾

٤٢١ - سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله سجد فيها رواه مسلم والنسائي. وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنشقاق بمكة. وآياتها خمس وعشرون آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [قال مجاهد ﴿كتابه بشماله﴾ يأخذ كتابه من وراء ظهره].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (يجعل يده من وراء ظهره).

والآية المشار إليها هي الخامسة والعشرون من سورة الحاقة.

٢ - [﴿أذنت﴾ سمعت واطاعت لربها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والضحاك مثله.

والآية المشار إليها ﴿وأذنت لربها وحقت﴾.

٣ - [﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى ﴿وتخلت﴾ عنهم].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن قتادة نحوه. والآية المشار إليها ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾.

٤ - [﴿وسق﴾ جمع من دابة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد والحسن.

والآية المشار إليها ﴿والليل وما وسق﴾.

٥ - [﴿ظن أن لن يحور﴾ لا يرجع إلينا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة وسفيان وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾.

٤٢٢ - [باب ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾]

ش: قلت: الآية مرتبطة بما قبلها وهي قوله تعالى ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾.

والمعنى يقول تعالى ذكره فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً بأن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها.

٤٥٤ - ثنا عمرو بن علي: ثنا يحيى: عن عثمان بن الأسود: سمعت ابن أبي مليكة: سمعت عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ: ...

ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي ﷺ: ...

ثنا مسدد عن يحيى عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة^(١) عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (ليس أحد يحاسب إلا هلك) قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال (ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» في العلم باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه من رواية نافع عن ابن عمر (من حوسب عذب) وفي الرقاق باب من نوقش الحساب عذب من رواية عثمان بن الأسود (من نوقش الحساب

(١) هو أبو يونس حاتم بن أبي صغيرة، وأبو صغيرة اسمه مسلم، وهو جده لأمه وقيل زوج أمه ثقة من السادسة، ع.

عذب) وعند مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب اثبات الحساب من رواية أيوب (من حوسب يوم القيامة عذب).

قال القاضي: وقوله عذب له معنيان:

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليه هو التعذيب لما

فيه من التوبيخ.

والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار ويؤيده قوله في الرواية الأخرى هلك

مكان عذب هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن شاء. حكاه النووي (٢٠٨/١٧).

الثانية: قوله: «قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك» وفي العلم (كانت

لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه).

الثالثة: قوله: «أليس يقول الله عز وجل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه

فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾»، وفي العلم (أوليس يقول الله تعالى ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾) وعند مسلم من رواية عبد الرحمن (أليس الله يقول ﴿حساباً يسيراً﴾).

الرابعة: قوله «ذاك العرض يعرضون» وفي العلم (إنما ذلك العرض) وعند

مسلم من رواية أيوب (ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض)، وفي حديث ابن عمر وهو مخرج في الصحيحين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستزّه من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن

قد هلك قال فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته).

الخامسة: قوله: «ومن نوقش الحساب هلك» في الرقاق (وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب).

من فقه الحديث

أولاً: ينبغي للسائل في الأمور المهمة تقديم عبارة لطيفة توطئة لسؤاله.

ثانياً: الإيمان بالحساب والجزاء وأن الناس قسمان أحدهما : حسابه بعرض

أعماله وإيقافه عليها، والثاني: مناقشٌ عُرضةٌ للهلاك.

٤٢٣ - [باب ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾]

ش: قوله تعالى ﴿لتركن﴾ أي أيها الناس ﴿طبقاً عن طبق﴾ أي أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً وممیزاً، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموجد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير، عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم.

فائدة

قال ابن القيم: «وأنت إذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية، وتغيير الله سبحانه - للعالم وتصريفه لها كيف أراد، ونقله إياه من حال إلى حال، وهذا محال أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له، ومحال أن يكون فاعله غير قادر ولا حي، ولا مرید ولا حكيم، ولا عليم، وكلاهما في الإمتناع سواء.

فالمقسم به وعليه من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده، وصفات كماله وصدقه وصدق رسله، وعلى المعاد». اهـ من التبيان (ص ٧١).

من فقه الآية

أولاً: لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته أما العبد فليس له أن يقسم بغير الله.

ثانياً: في الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة وهذا يظهر جلياً فيما قدمناه:

٤٥٥ - ثنا سعيد بن النضر: أخبرنا هشيم: أنا أبو بشير جعفر بن إياس

عن مجاهد قال: قال ابن عباس: ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: ﴿لتركب﴾ اختلفت القراءة في قراءته على قراءتين:

إحداهما: قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه وابن عباس وعامة قراء مكة والكوفة ﴿لتركب﴾ بفتح التاء والباء، واختلف قارئوا ذلك كذلك في معناه على أربعة أقوال:

أولها: أن معناه لتركب يا محمد أنت حالاً بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد وهو قول مجاهد وعكرمة والحسن ومرة بن كعب وسعيد بن المسيب والضحاك.

وثانيها: أن معناه لتركب أنت يا محمد سماء بعد سماء وبه قال ابن مسعود ومسروق والشعبي وهو الرواية الثانية عن الحسن.

وثالثها: أن معناه لتركب يا محمد الآخرة بعد الأولى وبه قال ابن زيد.

ورابعها: أن معناه أن السماء تتغير ضرباً من التغيير، وتشقق بالغمام وهو قول عبد الله بن مسعود في الرواية الثانية عنه.

القراءة الثانية: قراءة عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (لتركب) بفتح التاء وبضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدة حالاً بعد حال. حكى القراءتين والمعنى على كل منهما ابن جرير.

الثانية: قوله: ﴿طبقاً عن طبق﴾ فسر به بقوله حالاً بعد حال وهو إحدى الروايات عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير عن أبي إسحاق عن رجل عنه قال: منزلاً بعد منزل، وأخرج من طريق العوفيين قال أمرأ بعد أمر، وليس بين هذه الروايات اختلاف إلا في اللفظ.

الثالثة: قوله: «قال هذا نيكم ﷺ» في رواية يعقوب عند ابن جرير قال: (يعني نيكم ﷺ حالاً بعد حال) وعنده من رواية شعبة (قال محمد ﷺ) قلت: ويقول ابن عباس هذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وسعيد بن المسيب والضحاك ومرة بن كعب.

آخر تفسير سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾.

سورة البروج

٤٢٤ - سورة البروج

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ و ﴿السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾. وهي مكية بالإجماع ويدل لذلك ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ بمكة. وآياتها اثنتان وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿الأخدود﴾ شق في الأرض].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثنى الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (كان شقوق في الأرض بنجران، كانوا يعذبون فيها الناس).

والآية المشار إليها: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾.

٢ - [﴿فتنوا﴾ عذبوا].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وأخرج عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن أبي نويه. وفتنوا الذين آمنوا بالمؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم

عذاب جهنم وهم عذاب الحريق. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وهم عذاب الحريق.

٣ - [وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الودود﴾ الحبيب].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿وهو الغفور الودود﴾.

٤ - [﴿المجيد﴾ الكريم].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد الذي قبله.

والآية المشار إليها: ﴿ذو العرش المجيد﴾.

آخر تفسير سورة البروج والحمد لله.

سورة الطارق

٤٢٥ - سورة الطارق

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية بلا خلاف، وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت والسماء والطارق بمكة. وآياتها سبع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [الطارق هو النجم، وما أتاك ليلاً فهو طارق].

ش: قاله الفراء وزاد: لأنه يطلع بالليل.

والآية المشار إليها: ﴿والسما والطارق﴾.

٢ - [النجم الثاقب المضيء].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وبه قال الفراء وأبو عبيدة.

٣ - [وقال مجاهد: ﴿الثاقب﴾ الذي يتوهج].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني

الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿النجم الثاقب﴾.

٤ - [وقال مجاهد: ﴿ذات الرجوع﴾ سحاب يرجع بالمطر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله بلفظ: (السحاب يعطر

ثم يرجع بالمطر).

وأخرج عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والحسن والضحاك نحوه.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن المراد به شمسها وقمرها يغيب ويطلع، وبه قال ابن زيد وعلى

الأول مشى ابن جرير في تفسيره.

والآية المشار إليها ﴿والسما ذات الرجوع﴾.

٥ - [﴿ذات الصدع﴾ تتصدع بالنبات].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (ذات

النبات) حكاه في التعليل هنا، وأخرج ابن جرير المعنى عن ابن عباس وقتادة

والحسن وعكرمة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿والأرض ذات الصدع﴾.

٦ - [وقال ابن عباس: ﴿لقول فصل﴾ لحق].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن قتادة معناه.

والآية المشار إليها ﴿إنه لقول فصل﴾.

٧ - [﴿لما عليها حافظ﴾ إلا عليها حافظ].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. حكاها في الفتح.

والآية المشار إليها ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾.

آخر تفسير سورة الطارق.

سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

٤٢٦ - سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وتقدم حديث معاذ وفيه ذكر سورة الأعلى. وسيأتي حديث البراء عند المصنف وفيه: فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها . قال الضحاك هي مدنية، وأخرج ابن مردويه عن الزبير وعائشة أنها نزلت بمكة.

وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿قدر فهدى﴾ قدر للإنسان الشقاء والسعادة،

وهدى الأنعام لمراتعها].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني

الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ هدى

الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى هدى الذكور لمأتي الإناث.

وقد أخرجه في تفسير قوله تعالى ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه

ثم هدى﴾

(١٧٢/٩)، عن ابن عباس والسدي.

واختار ابن جرير أن الله عم بقوله (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه ولم

يخصص من ذلك معنى دون معنى. اهـ.

قلت وهذا اختيار حسن.

والآية المشار إليها ﴿والذي قدر فهدى﴾.

٢ - [وقال ابن عباس ﴿غشاءً أحوى﴾ هشيماً متغيراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره.

وأخرج عن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه.

والآية المشار إليها ﴿فجعله غشاءً أحوى﴾.

٤٥٦ - ثنا عبدان: أخبرني أبي عن شعبة^(١) عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئانا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور (مثلها).

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير» في رواية عن شعبة عند الحاكم في الإكليل) عن عبد الله بن رجاء في روايته (من المهاجرين) وعند ابن أبي شيبة (أول من قدم علينا المدينة) قال الحافظ: زاد في رواية عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي إسحاق عند الإسماعيلي (أخو بني عبد الدار بن قصي والده عمير.

قلت: وكان مقدم مصعب المدينة بعد بيعة العقبة الأولى.

قال ابن إسحاق (٤٣٤/١) (فلما انصرف عنه القوم، بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة). ١.هـ.

الثانية: قوله «وابن أم مكتوم» هو عمرو بن زائدة أو ابن قيس بن زائدة ويقال زيادة، القرشي، العامري ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله ﷺ الأعمى

(١) هو عثمان بن جبلة ابن أبي رواد العتكي مولا هم المروزي، ثقة من كبار العاشرة، مات على رأس المائتين خ، م، س.

الصحابي المشهور، قديم الإسلام، ويقال اسمه عبد الله، ويقال الحصين، كان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة، مات في آخر خلافة عمر د، س، ق. وقد وقع في رواية ابن أبي شيبه (ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، فقلنا ما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه؟ قال هم على أثري) وفي رواية عبد الله بن رجاء (من وراءك).

الثالثة: قوله: «ثم جاء عمار» في فضائل الصحابة باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة من رواية غندر (فقدم) وهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين، بدرى، قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين، ع.
الرابعة: قوله: «وبلال» هو أبو عبد الله بلال بن رباح المؤذن وقد تقدمت ترجمته.

الخامسة: قوله: «وسعد» زاد في رواية الحاكم (ابن مالك) وهو ابن أبي وقاص أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وهو صاحب القادسية. وقد تقدمت ترجمته.

السادسة: قوله: «ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين» في رواية عبد الله بن رجاء (في عشرين راكباً) وقد سمي ابن إسحاق ثلاثة عشر رجلاً وهم (زيد بن الخطاب وسعيد بن زيد بن عمرو وعمرو بن سراقه وأخوه عبد الله وواقد بن عبد الله وخالد وإياساً وعمراً وعاقلاً بني البكير وخنيس بن حذاقة وعياش بن ربيعة وخولي بن أبي خولي وأخوه) قال ابن إسحاق (٤٧٧/١): فنزلوا جميعاً على رفاعة بن عبد المنذر بقباء).

السابعة: قوله: «ثم جاء النبي ﷺ، فمارأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به» عند النسائي في تفسير السورة ثم قدم رسول الله ﷺ فمارأينا أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ).

الثامنة: قوله: «حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولون: هذا رسول الله قد جاء» في الفضائل (حتى جعل الإمام يقلن قدم رسول الله ﷺ) وفي رواية عبد الله بن رجاء (فخرج الناس حين قدم المدينة في الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم^(١) جاء محمد رسول الله، الله أكبر، جاء محمد رسول الله) وروى ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكلنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وإنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا جدكم قد جاء قال فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فاظله بردائه، فعرفناه عند ذلك. اهـ.

التاسعة: قوله: «فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها» في الفضائل (فما قدم حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور من الفصل).

(١) لعله سقط من قلم الناسخ: (وهم يقولون) أو نحو ذلك.

ومقتضاه أن ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ مكية، وهذا ظاهر من لفظ الحديث وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق حيدة أن قوله تعالى ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ نزلت في صلاة العيد وزكاة الفطر قال الحافظ: وسنده حسن وكل منهما شرع في السنة الثانية فيمكن الجمع بأن نزول السورة كان بمكة ونزول هاتين الآيتين كان بالمدينة ثم بين النبي ﷺ أن المراد بصلى صلاة العيد ويتزكى زكاة الفطر فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز. قلت: وهذا الجمع حسن يندفع به الإشكال ويزول به التعارض.

من فقه الحديث

أولاً: في فرح الأنصار بمقدم رسول الله ﷺ دليل على كمال محبتهم له وأعظم بذلك من منقبة.

ثانياً: على الإمام أن يبعث إلى الأقطار من يرشد الناس ويصبرهم بدين الله.

ثالثاً: فضيلة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم.

آخر تفسير سورة الأعلى.

سورة ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾

٤٢٧ - سورة ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير أنها نزلت بمكة.

وآياتها ست وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس ﴿عاملة ناصبة﴾ النصارى].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس وزاد: اليهود، وذكر الثعلبي من رواية أبي الضحى عن ابن عباس قال الرهبان، حكاه الحافظ، وقال ابن جرير (عاملة في النار وقوله ناصبة يقول ناصبة فيها) وأخرج في المعنى عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿عاملة ناصبة﴾.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿عين آنية﴾ بلغ إناها وحن شربها].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى، وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ (قد بلغت إناها...).

ضمن القائلين أن معناه أني حرها فبلغ غايته في شدة الحر وهم ابن عباس والحسن وقتادة وهو أحد قولين حكاهما في الآية.
وثانيهما: بمعنى من عين حاضرة وهو قول ابن زيد.
قلت: ولا منافاة بين القولين، فإن تلك العين قد أحضرت للقوم مع بلوغها الغاية في الحرارة.

والآية المشار إليها ﴿تسقى من عين آنية﴾.

٣ - [﴿حميم آن﴾ بلغ إناه].

ش: قلت: هذه الآية هي الرابعة والأربعون من سورة الرحمن وقد ذكرها المصنف هنا على سبيل الإستهاد وما حكاه في تفسيرها أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وأخرج في المعنى عن ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

٤ - ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ شتماً].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وأخرج عن ابن عباس وقتادة نحوه.

والآية المشار إليها ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾.

٥ - [ويقال الضريع: نبت يقال له الشبرق، يسميه أهل الحجاز الضريع

إذا يبس وهو سم].

ش: قاله الفراء وفي الآية ثلاثة أقوال هذا أحدها وبه قال مختصراً ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وشريك بن عبد الله.

وثانيها: أنه الحجارة وهو قول سعيد بن جبير.

وثالثها: شجر من النار وبه قال ابن زيد وابن عباس في الرواية الثانية عنه

حكى هذه الأقوال ابن جرير واختار في تفسير الآية أول هذه الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾.

٦ - ﴿بِمَصِيْطٍ﴾ بمسقط، ويقرأ بالصاد والسين].

ش: قال الفراء: بمسقط والكتاب (بمصيطر) والمصيطرون بالصاد والقراءة

بالسين، ولو قرئت بالصاد كان مع الكتاب وكان صواباً.

قلت: وفي الآية ثلاث قراءات إحداها: بالسين وهي قراءة هشام.

والثانية: بين الصاد والزاي وهي قراءة حمزة.

وثالثها: بالصاد وهي قراءة الباقيين، حكاهما مكّي.

والآية المشار إليها ﴿لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ مَّصِيْطٌ﴾.

٧ - [وقال ابن عباس ﴿إِيَابِهِمْ﴾ مرجعهم].

ش: وصله ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وذكره

ابن أبي حاتم عن عطاء ولم يجاوز به. حكاه في الفتح.

والآية المشار إليها ﴿إِنْ إِلَيْنَا إِيَابِهِمْ﴾.

آخر تفسير سورة الغاشية والحمد لله.

سورة ﴿الفجر﴾

٤٢٨ - سورة الفجر

ش: وشاهد التسمية واضح.

وهي مكية بلا خلاف يدل لذلك ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن

مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت والفجر بمكة.

وآياتها ثلاثون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿الوتر﴾ الله].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن حميد: ثنا مهران عن سفيان عن جابر عن مجاهد فذكره.

وهو قول ابن عباس وأبي صالح وهو أحد خمسة أقوال حكاه في الآية.
وثانيها: أنه يوم عرفه قاله عكرمة والضحاك والرواية الثانية عن ابن عباس.
وثالثها: أنه اليوم الثالث من أيام النحر وبه قال ابن زيد.
ورابعها: أنهم الخلق، وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه وبه قال الحسن.
 وخامسها: أنها الصلوات منها وتر ومنها شفيع وهو قول عمران بن حصين
والربيع بن أنس وهو الرواية الثانية عن قتادة.

واختار ابن جرير في تفسيره العموم فقال: والصواب من القول في ذلك أن
يقال إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفيع والوتر ولم يخص نوعاً من الشفيع، ولا
من الوتر دون نوع بخير ولا عقل وكل شفيع ووتر فهو مما أقسم به.

والآية المشار إليها: ﴿والشفيع والوتر﴾.

٢ - [إرم ذات العماد] يعني القديمة، والعماد أهل عمود لا
يقيمون].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، حكاه في
التعليق.

وأخرجه ابن جرير من هذا الوجه بلفظ: (القديمة) وهو أحد أقوال ستة
حكاه في الآية.

وثانيها: أنها الإسكندرية وبه قال القرظي.

وثالثها: أنها دمشق وهو قول المقبري.

ورابعها: بمعنى الأمة وهو قول مجاهد في الرواية الثانية.

وخامسها: أنها قبيلة من عاد وبه قال قتادة وابن إسحاق.
 وسادسها: بمعنى الهالك وهو قول ابن عباس والضحاك والذي اختاره ابن
 جرير في تفسير الآية إنها إما بلدة كانت عاد تسكنها وإما اسم قبيلة. اهـ.
 والآية المشار إليها ﴿إِرم ذات العماد﴾.
 ٣ - ﴿سوط عذاب﴾ الذي عذبوا به.

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني
 الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وبه قال
 ابن زيد والسوط كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب تدخل فيه السوط
 جرى به الكلام والمثل ونرى ذلك أن السوط من عذابهم الذي يعذبون به،
 فجرى لكل عذاب إذ كان فيه عندهم غاية العذاب، قاله الفراء.
 والآية المشار إليها ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.
 ٤ - ﴿أكلأ لما﴾ السف.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن
 عباس وقتادة والضحاك وابن زيد.
 والآية المشار إليها ﴿وتأكلون الثراث أكلاً﴾.
 ٥ - ﴿وجماً: الكثير﴾.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن
 عباس وقتادة والضحاك وابن زيد.
 والآية المشار إليها ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾.
 ٦ - [وقال مجاهد: كل شيء خلقه فهو شفع، السماء شفع والوتر الله
 تبارك وتعالى].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله وقد مضى مفرقاً ضمن
 الأثر الأول.

٧ - [وقال غيره: ﴿سوط عذاب﴾ كلمة تقوله العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط].

ش: قاله الفراء وقد تقدم برقم ثلاثة.

٨ - [﴿للمرصاد﴾ إليه المصير].

ش: قاله الفراء، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: (يرى ويسمع). والآية المشار إليها ﴿إن ربك للمرصاد﴾.

٩ [﴿تحاضون﴾ تحافظون. و﴿تحضون﴾ تأمرون بإطعامه].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾.

١٠ - [﴿المطمئنة﴾ المصدقة بالثواب].

ش: قاله الفراء، وأخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس وقتادة والحسن وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما بمعنى المصدقة الموقنة بأن الله ربهما، وهو قول مجاهد.

والآية المشار إليها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾.

١١ - [وقال الحسن: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾] إذا أراد الله عز

وجل قبضها إطمأنت إلى الله واطمأن الله إليها ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها، وأدخلها الله الجنة، وجعله من عباده الصالحين].

ش: أخرج ابن أبي حاتم من طريق الحسن قال: إن الله تعالى إذا أراد قبض

روح عبده المؤمن واطمأنت النفس إلى الله واطمأن الله إليها ورضيت عن الله ورضي الله عنها أمر بقبضها فأدخلها الجنة وجعلها من عباده الصالحين. حكاه الحافظ.

قلت: ووصف الرب جل ثناؤه بالطمأنينة لم أعلم فيه حتى الساعة نصاً من

كتاب ولا سنة والله أعلم.

١٢ - [وقال غيره: ﴿جابوا﴾ نقبوا، من جيب القميص: قطع له جيب

يجوب الفلاة يقطعها].

ش: قال أبو عبيدة: جابوا (نقبوا) ويجوب الفلاة أيضاً يدخل فيها ويقطعها.
وقال الفراء: خرقوا الصخر، فاتخذوه بيوتاً.

والآية المشار إليها ﴿وتمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾.

١٣ - [﴿لما﴾ لمته أجمع: اتيت على آخره].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها تقدمت ضمن الأثر الرابع.

آخر تفسير سورة الفجر والحمد لله.

سورة ﴿لا أقسم﴾

٤٢٩ - سورة ﴿لا أقسم﴾

ش: أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس
قال: نزلت سورة لا أقسم بهذا البلد بمكة.
وآياتها عشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ مكة، ليس عليك ما على

الناس فيه من الإثم].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثني عيسى وثنى الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره، وأخرج معناه عن قتادة ومنصور بن المعتمر وعطاء وابن زيد.

٢ - [﴿ووالد﴾ آدم ﴿وما ولد﴾]

ش: أخرجه ابن جرير: ثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد (ولده)، وأخرجه ضمن القائلين أنه عنى بذلك آدم وولده وهم قتادة وأبو صالح والضحاك وسفيان وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه عنى بقوله (ووالد) كل والد وما ولد كل عاقر لم يلد وبه قال

ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنه عنى إبراهيم وما ولد وهو قول أبي عمران الجوني.

واختار ابن جرير أنها عامة لأن الله عم كل والد وما ولده.

٣ - [﴿لبدا﴾ كثيراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثني عيسى وثنى

الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرجه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾.

٤ - [﴿النجدين﴾ الخير والشر].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرجه عن ابن مسعود

وابن عباس والضحاك وعكرمة والربيع بن خثيم وغيرهم.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أن معناه الثدين سيلي اللبن وهو قول ابن عباس والضحاك في الرواية الثانية عنهما.

واختار ابن جرير أول القولين فقال: فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه، بقوله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل﴾ إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه فكذلك قوله ﴿وهديناه النجدين﴾ ١هـ.

والآية المشار إليها ﴿وهديناه النجدين﴾.

٥ - [مسغبة] مجاعة.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ الجوع وبه قال ابن عباس وعكرمة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾.

٦ - [متربة] الساقط في التراب.

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله وهو قول ابن عباس وعكرمة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أنه المحتاج سواء كان لاصقاً بالتراب أو غير لاصق وبه قال ابن

زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وعكرمة.

وثالثها: أنه ذو العيال الكثير اللذين لصقوا في التراب، وهو قول الضحاك

وقتادة وهو الرواية الثالثة عن ابن عباس.

واختار ابن جرير قول من قال إنه المسكين الذي قد لصق بالتراب من الفقر

والحاجة قال: لأن ذلك هو الظاهر من معانيه، وأن قوله متربه: إنما هي مفعلة من

ترب الرجل إذا أصابه التراب.

والآية المشار إليها ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾.

٧ - [يقال ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ فلم يقتحم العقبة في الدنيا ثم فسر العقبة فقال: ﴿وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو اطعام في يوم ذي مسغبة﴾].
ش: قاله أبو عبيدة وزاد (في جماعة).
آخر تفسير سورة البلد.

سورة ﴿والشمس وضحاها﴾

٤٣٠ - سورة ﴿والشمس وضحاها﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية واضح.

وفيه حديث معاذ المتقدم.

وأخرج المصنف في باب من شك إمامه إذا طول من كتاب الأذان عن

جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لمعاذ: فلولا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك

الأعلى﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾ فإنه يصلي وراءك

الكبير والضعيف وذو الحاجة.

وهي مكية ويدل لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن ابن الزبير أنها نزلت

بمكة.

وآياتها خمس عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ضحاها: ضوءها].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى النهار وهو قول قتادة.

واختار ابن جرير ثانيهما.

والآية المشار إليها ﴿والشمس وضحاها﴾.

٢ - [إذا تلاها] تبعها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿والقمر إذا تلاها﴾.

٣ - [طحاها] دحاها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد الذي قبله، وبه قال ابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى ما خلق فيها وهو قول ابن عباس.

وثالثها: بمعنى وما قسمها وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير في تفسيره للآية القول الأول.

والآية المشار إليها ﴿والأرض وما طحاها﴾.

٤ - [دساها] أغواها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن

عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وقد خاب من دساها﴾.

٥ - ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عرفها الشقاء والسعادة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله، وأخرج معناه عن ابن عباس والضحاك وسفيان وهو أحد قولين حكاهما في الآية. وثانيهما بمعنى أن الله جعل فيها ذلك وبه قال ابن زيد والذي اختاره ابن جرير في تفسيره القول الأول.

والآية المشار إليها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

٦ - ﴿بَطْغَوَاهَا﴾ بمعاصيها].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: معصيتها، وبه قال ابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى العذاب وهو قول ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى بأجمعها وبه قال محمد بن كعب القرظي.

واختار ابن جرير في تفسيره للآية ثاني هذه الأقوال.

والآية المشار إليها ﴿كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطْغَوَاهَا﴾.

٧ - ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ عقبى أحد].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله بلفظ: (الله لا يخاف عقباها) وأخرج نحوه عن ابن عباس والحسن وقتادة وبكر بن عبد الله المزني وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى لم يخف الذي عقرها عقباها أي عقبى فعلته التي فعل وبه

قال الضحاك والسدي.

والآية المشار إليها ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

٤٥٧ - ثنا موسى بن إسماعيل: ثنا وهيب: ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة^(١) أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة. وذكر النساء فقال: يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه. ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل؟ وقال أبو معاوية حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة (قال النبي ﷺ: مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام).

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر» في الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ من رواية سفيان (سمعت النبي ﷺ وذكر الذي عقر الناقة) وفي كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون عند مسلم من رواية ابن عمير (خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها).

والناقة هي ناقة صالح والواو عاطفة على شيء محذوف تقديره: فخطب فذكر كذا وذكر الناقة.

الثانية: قوله: ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ قال ابن جرير في تفسير الآية: يقول إذ ثار اشقى ثمود وهو قدار بن سالف.

وأخرج عن قتادة قال: أحيمر ثمود.

الثالثة: قوله: (انبعث لها رجل عزيز) في الأنبياء (انتدب لها رجل ذو عز) أي قليل المثل.

(١) هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد القرشي الأسدي، صحابي مشهور استشهد يوم الدار مع عثمان رضي الله عنهما، ع.

الرابعة: قوله: (عارم) بمهملتين أي صعب على من يرومه كثير الشهامة والشر.

الخامسة: قوله: «منيع في رهطه» في الأنبياء (ذو عز ومنعة في قومه) والمعنى ذو قوة ومنعة فرهطه يمنعونه من العظيم.

السادسة: قوله: «مثل أبي زمعة» في الأنبياء (كأبي زمعة) وفي الرواية الثانية وهي رواية أبي معاوية (مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام) وأبو زمعة هو الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، وكان يعلق ابن أخيه الزبير في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول لا أكفر أبداً.

السابعة: قوله: «وذكر النساء» عند مسلم (ثم ذكر النساء فوعظ فيهن) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية عبدة (ثم سمعته يذكر النساء) والمعنى أنه ذكر في هذه الخطبة النساء استطراداً إلى ما يقع من أزواجهن.

الثامنة: قوله: «يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد» في النكاح باب ما يكره من ضرب النساء برواية محمد بن يوسف (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد) وفي الأدب باب الحياء من الله من رواية بن المديني (بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل) وعند مسلم (إلام يجلد أحدكم امرأته) وعنده من رواية أبي بكر (جلد الأمة) وفي حديث لقيط بن صبرة عند أبي داود (ولا تضرب ضعيتك ضربك أمتك) وحاصل هذه الروايات النهي عن الإسراف في ضرب المرأة وسوء معاملتها.

التاسعة: قوله: «فلعله يضاجعها من آخر يومه» في النكاح (ثم يجامعها في آخر اليوم) وفي الأدب (ثم لعله يعانقها) وعند مسلم (ولعله يضاجعها من آخر يومه) وفي رواية بن عيينة عند أحمد (من آخر الليل) وله عند النسائي كتاب النكاح باب ضرب النساء (آخر النهار).

العاشرة: قوله: «ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطه وقال لم يضحك أحدكم مما يفعل»، وعند مسلم (إلام يضحك أحدكم مما يفعل) وفي هذا النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره بل ينبغي أن يتغافل عنها ويستمر على حديثه ويظهر أنه لم يسمع وذلك سراً على الفاعل وبعداً عما يخذش كرامته ويجرح مشاعره ويعرضه للسخرية.

الحادية عشرة: قوله: (وقال أبو معاوية... الخ) وصله اسحاق بن راهوية في مسنده قال: أنبأنا أبو معاوية فذكر الحديث بتمامه) قاله الحافظ.

من فقه الحديث

أولاً: تذكير الإمام الناس ووعظهم حسب ما يقتضيه حالهم.
ثانياً وجوب الإيمان بالغيب وهذا ظاهر في إخبار النبي ﷺ عن حال عاقر الناقة.

ثالثاً: جواز تأديب الرجل امرأته بغير إسراف.

رابعاً: ينبغي للرجل حسن العشرة مع امرأته.

آخر تفسير ﴿والشمس وضحاها﴾.

سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾

٤٣١ - سورة الليل إذا يغشى

ش: شاهد التسمية ظاهر

قال الجمهور هي مكية، قال ابن عباس: نزلت سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾

بمكة، رواه ابن الضريس والنحاس والبيهقي.

وآياتها إحدى وعشرون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال ابن عباس: ﴿وكذب بالحسنى﴾ بالخلف].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا حميد بن مسعدة: ثنا بشر بن المفضل: ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس فذكره، وأخرج نحوه عن قتادة وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: بمعنى كذب بتوحيد الله وهو قول الضحاك والرواية الثانية عن ابن عباس.

وثالثها: بمعنى كذب بالجنة وبه قال مجاهد.

واختار ابن جرير أولها.

والآية المشار إليها ﴿وكذب بالحسنى﴾.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿تردى﴾ مات].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد فذكره.

وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى إذا تردى في جهنم، وبه قال قتادة وأبو صالح.

واختاره ابن جرير قال: لأن ذلك هو المعروف من التردى.

والآية المشار إليها ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾.

٣ - [﴿تلظى﴾ توهج].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني

الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها ﴿فانذرتمكم ناراً تلظى﴾.

٤ - [وقرأ عبيد ابن عمير : تتلظى]

ش: وصله سعيد ابن منصور عن ابن عيينة وداود العطار كلاهما عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أنه قرأ (ناراً تتلظى) حكاه في الفتح .
قلت : وللخبر قصة أخرجهما الفراء في تفسير الآية .

٤٣٢ - باب ﴿والنهار إذا تجلّى﴾.

ش: يقول تعالى ذكره مقسماً بالنهار إذا هو أضواء فأنار، وظهر للأبصار، وهذا من أعظم الدلائل على وحدانيته وكمال قدرته وبديع صنعه.

٤٥٨ - ثنا قبيصة بن عقبة: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة قال: دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إلي، فقال: أقرأ، فقراءت ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، والذكر والأنثى﴾ قال: أنت سمعتها من في صاحبك؟ قلت: نعم. قال: وأنا سمعتها من في النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا).

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله: «دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام» في رواية حفص بن غياث الآتية في الباب بعده (قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء) وعند مسلم في صلاة المسافرين باب ما يتعلق بالقراءات من رواية مغيرة (أتى علقمة الشام فدخل مسجداً فصلّى فيه، ثم قام إلى حلقة فجلس فيها) وعند النسائي في تفسير السورة برواية شعبة عن مغيرة (قدمنا الشام فدخلت مسجد دمشق).

الثانية: قوله: «فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا» في الباب بعده (فطلبهم فوجدهم) وعند مسلم (فجاء رجل فعرفت فيه تحوش القوم، وهيئهم قال: فجلس إلى جنبي) قال القاضي: ويحتمل أن يريد الفطنة والذكاء يقال رجل حوشى الفؤاد أي حديده.

الثالثة: قوله: «أفيكم من يقرأ فقلنا نعم» في الباب بعده (أفيكم يقرأ على قراءة عبد الله قال: كلنا) وعند مسلم (أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله فقلت

نعم أنا) وعند النسائي (فقال من أين أنت قال من أهل العراق، قال من أيهم قلت: من أهل الكوفة قال فتقرأ على قراءة ابن أم عبد؟ قلت: نعم).

الرابعة: قوله: «فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إلي» في الباب بعده (فأيكم أحفظ فأشاروا إلى علقمة).

الخامسة: قوله: «فقرأت ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى﴾ والذكر والأنثى» في الباب بعده (قال كيف سمعته يقرأ ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال علقمة ﴿والذكر والأنثى﴾ وعند النسائي (قال أقرأ علي ﴿والليل إذا يغشى﴾ فقرأت عليه ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى﴾).

السادسة: قوله «أنت سمعتها من في صاحبك؟ قلت: نعم». وعند النسائي (هكذا كان يقرؤها عبداً لله).

السابعة: قوله: «وأنا سمعتها من في النبي ﷺ» وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أبي معاوية (فقال أبو الدرداء: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها وفي الباب بعده: (أشهد أنني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا) وعند مسلم (فضحك ثم قال: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها).

الثامنة: قوله: «وهؤلاء يأبون علينا» في الباب بعده (وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ والله لا أتابعهم) وعند مسلم (ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ، ﴿وما خلق﴾ فلا أتابعهم) قال القاضي: قال المازري: يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه أن ذلك كان قرآناً ثم نسخ ولم يعلم من خالف النسخ فبقى على النسخ قال ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه، وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان

لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء وكان رأى عثمان
والجماعة منع ذلك لقلا يتناول الزمان ويظن ذلك قرآنًا حكاه النووي ج ٦
ص ١٠٩

والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن
مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام
حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا، فهذا مما يقوي أن التلاوة
بها نسخت. قاله في الفتح هنا.

من فقه الحديث

أولاً: الحرص على طلب العلم وأخذه وإن كان عن الأصاغر.
ثانياً: حرص السلف الصالح رضي الله عنهم على معرفة السنة والتمسك
بها.

٤٣٣ - [باب ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾]

ش: إن كانت (ما) موصولة، كان إقساماً بنفسه الكريمة الموصوفة، بكونه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسماً بخلقه للذكر والأنثى. وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنف من الحيوانات، التي يريد ابقاءها ذكراً وأنثى ليبقى النوع، ولا يضمحل، وقاد كلاً منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسباً للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. اهـ من تيسير الكريم الرحمن.

٤٥٩ - حدثنا عمر حدثني أبي حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: (قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال كلنا. قال: فأيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال علقمة ﴿والذكر والأنثى﴾ قال أشهد إنني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ والله لا أتابعهم).

ش: مضى شرحه في الباب قبله.

٤٣٤ - [باب قوله: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله واتقى الله واجتنب محارمه.

٤٦٠ - حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي^(١) (عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار. فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى - إلى قوله - للعسرى﴾).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة»، في رواية شعبة بعد هذا بياب عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة فأخذ عوداً ينكت في الأرض) وفي رواية منصور بعده بثلاثة أبواب (فأتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله، ومعه محصره، فنكس فجعل ينكت بمخصرته) والمخصرة بكسر الميم قضيب أو عنزة ونحوه يشير به الخطيب إذا خاطب الناس، وعند الترمذي في تفسير السورة (فرفع رأسه إلى السماء).

الثانية: قوله: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، بعده بثلاثة أبواب (ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة) وعند مسلم كتاب القدر

(١) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة ثقة ثبت من الثانية مات بعد السبعين، ع.

باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار) وعند الترمذي (إلا وقد كتب مدخلها).

قلت: و (أو) في الحديث للتنويع.

الثالثة: قوله: «فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟» بعده بثلاثة أبواب (قال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة) وعند مسلم (أفلا نمكث على كتابنا) وعنده من حديث جابر قال جاء سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فقيما العمل اليوم... الحديث.

والجمع بينهما بتعدد السائلين إن كانت القصة واحدة. فحاصل هذه الأسئلة ألا نترك مشقة العمل فإننا سنصير إلى ما قدر علينا.

الرابعة: قوله: «اعملوا فكل ميسر» بعده بثلاثة أبواب (قال أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء) وفي رواية شعبة في آخر باب في السورة (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وعند مسلم (لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وحاصل هذه الأجوبة لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له، وهو يسير على من يسره الله عليه.

الخامسة: قوله: «ثم قرأ...» ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى - إلى قوله - للعسرى﴾ عند مسلم (ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴿.

من فقه الحديث

أولاً: جواز الموعظة عند القبور إن دعت الحاجة.

ثانياً: هذا الحديث أصل لأهل السنة بأن كلاً من السعادة والشقاوة مقدر في اللوح المحفوظ.

ثالثاً: فيه رد على الجبرية.

رابعاً: الحث على العمل وعدم الإتكال على القدر.

خامساً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

سادساً: أن العبد فاعل على الحقيقة.

٤٣٥ - [باب قوله: ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ﴾]

ش: أي صدق بلا إله إلا الله وما دلت عليه من العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء وهذا هو قول ابن عباس والضحاك وأبي عبد الرحمن السلمي وهو أحد أقوال أربعة حكاهما ابن جرير في الآية.

وثانيها: وصدق بالخلف من الله وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية وعكرمة ومجاهد.

وثالثها: بمعنى صدق بالجنة وهو قول مجاهد في الرواية الثانية عنه.

ورابعها: صدق بموعود الله وبه قال قتادة.

قال ابن القيم بعد حكايته الأقوال الثلاثة الأولى: والأقوال الثلاثة ترجع إلى أفضل الأعمال وأفضل الجزاء فمن فسرها بلا إله إلا الله فقد فسرها بمفرد يأتي بكل جمع فإن التصديق الحقيقي بلا إله إلا الله يستلزم التصديق بشعبها وفروعها كلها. وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة، فلا يكون العبد مصداقاً بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ولا يكون مؤمناً بالله إلا العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله، ولا يكون مؤمناً بأن الله لا إله إلا هو حتى يسلب خصائص الإلهية عن كل موجود سواه، ويسلبها عن اعتقاده وإرادته كما هي منفية في الحقيقة والخارج... إلى أن قال... ومن فسر الحسنی بالجنة فسرها بأعلى أنواع الجزاء وكمالها، ومن فسرها بالخلف ذكر نوعاً من الجزاء فهذا جزاء دنيوي، والجنة الجزاء في الآخرة، فرجع التصديق بالحسنی إلى التصديق بالإيمان وجزائه، والتحقيق أنها تتناول الأمرين). اهـ من التبيان.

٤٦١ - حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش عن سعد بن

عبيدة عن أبي عبد الرحمن (عن علي رضي الله عنه قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ...) فذكر الحديث.

ش: تقدم ضمن الباب قبله.

٤٣٦ - [باب ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِيَسْرَى﴾]

ش: أي فسهيؤه للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليجب له به في الآخرة الجنة.

وقال ابن القيم: «و حقيقة اليسرى أنها الخلة والحالة السهلة النافعة الواقعة له، وهي ضد العسرى، وذلك يتضمن تيسيره للخير وأسبابه، فيجري الخير، ويسر على قلبه ويديه ولسانه وجوارحه، فتصير خصال الخير ميسرة عليه، مذلة له منقادة، لا تستعصي عليه، ولا تستعصب لأنه مهياً لها، ميسر لفعلها، يسلك سبلها ذلك، وتقاد له علماً وعملاً، فإذا خالته قلت هو الذي قيل فيه:

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين» اهـ من التبيان

٤٦٢ - حدثنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن

سليمان عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه (عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة، فأخذ عوداً ينكت في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، أو من الجنة. قالو: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الآية) قال شعبة وحدثني به منصور فلم أنكره من حديث سليمان.

ش: سبق شرحه.

٤٣٧ - [باب ﴿وأما من بخل واستغنى﴾]

ش: يقول تعالى ذكره، وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربه فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته، بالزيادة فيما حوَّله من ذلك.

٤٦٣ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن

أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقلنا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - إلى قوله - فسنيسره للعسرى﴾).

ش: سبق شرحه

٤٣٨ - [باب قوله: ﴿وكذب بالحسنى﴾]

ش: أي بما أوجب الله على العباد، التصديق به من العقائد الحسنة وهذا تعطيل لقوة العلم والشعور عن التصديق بالإيمان وجزائه.

٤٦٤ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن

عبدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: (كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعده وقعدنا حوله، ومعه مخضرة، فنكس فجعل ينكت بمخضرته، ثم قال: ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا كُتبت شقية أو سعيدة. قال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ (الآية).

ش: مضي شرحه.

٤٣٩ - [باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾]

ش: والمعنى فسنيهته في الدنيا للخلة العسرى، وهو من قولهم قد يسرت غنم فلان إذا ولدت وتهيات للولادة.

وهذا التيسير للعسرى المتوقع به ذلك الإنسان المكذب بالحسنى يكون بأحد أمرين:

أحدهما: أن يحال بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشر على قلبه ونيته ولسانه وجوارحه.

والثاني: أن يحال بينه وبين الجزاء الأيسر كما حال بينه وبين أسبابه.

٤٦٥ - حدثنا آدم حدثنا شعبة عن الأعمش قال سمعت سعد بن عبيدة

يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الآية).

ش: تقدم شرحه.

آخر تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة.

سورة ﴿الضحى﴾

٤٤٠ - سورة ﴿الضحى﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن

عباس نزلت ﴿الضحى﴾ بمكة.

وآياتها إحدى عشرة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿إِذَا سَجَى﴾ استوى].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن حميد: ثنا مهران وثنا أبو كريب: ثنا وكيع جميعاً عن سفیان عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره.
وأخرج نحوه عن الضحاك وقتادة وابن زيد وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى إذا اقبل وبه قال ابن عباس والحسن.

وثالثها: بمعنى إذا ذهب وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية عنه.
واختار ابن جرير أولها.

والآية المشار إليها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

٢ - [وقال غيره: أظلم وسكن].

ش: قال الفراء: ﴿إِذَا سَجَى﴾: إذا أظلم وركد في طولته كما تقول بحر ساج وليل ساج إذا ركد وسكن وأظلم.

٣ - [﴿عَائِلاً﴾ ذو عيال].

ش: قال أبو عبيدة: «ذا فقر قال:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
أي يفتقر» اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾.

٤٦٦ - حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأسود بن قيس^(١)

قال: سمعت جندب بن سفیان^(٢) رضي الله عنه قال: (اشتكى رسول الله ﷺ،

(١) هو أبو قيس الأسود بن قيس العبدي ويقال العجلي، الكوفي ثقة من الرابعة، ع.

(٢) هو أبو عبد الله جندب بن عبد الله بن سفیان البجلي ثم العلقي، وربما نسب إلى جده له صحبة، ومات بعد الستين، ع.

فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً» وقع عند مسلم من رواية ابن عيينة (كان رسول الله ﷺ في غار، فنكيت إصبهه)، وعنده في الجهاد باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين من رواية أبي عوانة (دميت اصبع رسول الله ﷺ في بعض تلك المشاهد فقال:

هل أنت إلا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

قلت: فالظاهر أن هذا هو سبب الشكاية والله أعلم.

الثانية: قوله: «فجاءت امرأة» عند ابن جرير من طريق مفضل بن صالح (فقال امرأة من أهله) وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث زيد بن أرقم (لما نزلت ﴿تبت يدا أبي هب وتب - إلى - وإمرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾، فقيل لامرأة أبي هب إن محمداً قد هجاك... الحديث. وفيه (فأنته فقالت يا محمد ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك فأنزل الله والضحى) الحديث.

الثالثة: قوله: (إنى لأرجوا أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً) في الباب بعده (قالت امرأة يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك) فالظاهر أن هذه غير تلك لإختلاف عبارتيهما فإن هذه مسلمة ولهذا قالت يا رسول الله وتلك كافرة ولهذا قالت يا محمد) وهذه قالت (صاحبك) وتلك قالت (شيطانك) وبهذا يتبين لك أن هذه مسلمة وتلك كافرة.

الرابعة: قوله: «فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾» هذا هو محل الشاهد من الحديث وفيه دليل على أن هذه القصة سبب لنزول الآيات تسليية لرسول الله ﷺ وتكذيباً لأم جميل والمشركين من قومها.

٤٤١ - [باب قوله ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾]

ش: هذا هو جواب القسم والمعنى: إن ربك يا محمد ما تركك وما أبغضك كما زعم المشركون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿ما ودعك﴾] تقرأ بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد، ما تركك

ربك).

ش: قال أبو عبيدة: ﴿ما ودعك﴾ من التوديع وما ودعك مخففة من

ودعت تدعه.

٢ - [وقال ابن عباس: ما تركك وما أبغضك].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن

عباس فذكره.

وأخرج عن ابن زيد مثله.

٤٦٧ - ثنا محمد بن بشار: ثنا محمد بن جعفر غندر: ثنا سعيد عن

الأسود بن قيس قال: سمعت جندياً البجلي (قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى

صاحبك إلا أبطأك. فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله: «قالت امرأة»، حكى ابن بطلال عن تفسير بقي بن مخلد قال

قالت: خديجة للنبي ﷺ حين أبطأ عنه الوحي: إن ربك قد قلاك، فنزلت

والضحى. وقد تعقبه ابن المنير ومن تبعه بالإنكار، لأن خديجة قوية الإيمان لا يليق

نسبة هذا القول إليها، لكن إسناد ذلك قوي، أخرجه اسماعيل القاضي في

أحكامه، والطبري في تفسيره وأبو داود في أحكام النبوة له كلهم من طريق عبد

الله بن شداد بن الهاد وهو من صغار الصحابة). اهـ من الفتح (٩/٣).

قلت: وهذا تعقب جيد من ابن المنير رحمه الله وذلك أنه لا يجرؤ من دون خديجة في الإيمان والمكانة من رسول الله ﷺ على أن يقول (إن ربك قد قلاك) وأما قولها (ما أرى صاحبك إلا أبطأك) فهذا ليس فيه نكارة وليس بمستغرب من خديجة رضي الله عنها لإمكان حمله على المواساة لرسول الله ﷺ.

الثانية: قوله: «ما أرى صاحبك إلا أبطأك» قلت: لاشك، أنها تعني به جبريل وقد رأت تأخره عن النبي ﷺ وذلك خلاف ما عرفت من عادته وهذا من شفقتها عليه ﷺ.

الثالثة: قوله: (فتنزل ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾) هذا هو شاهد الحديث للترجمة وقد مضى شرحه أول الباب.

آخر تفسير سورة الضحى والله الحمد والمنة.

سورة ﴿الم نشرح لك﴾

٤٤٢ - سورة ﴿الم نشرح لك﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما رواه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه

والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت ﴿الم نشرح﴾ بمكة.

وآياتها ثمان آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿وزرك﴾ في الجاهلية].

ش: وصله البغوي عن مجاهد بلفظ: (حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية).

وأخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (ذنبك).

والآية المشار إليها ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾.

٢ - [﴿أنقض﴾ أثقل].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله. وأخرج معناه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿الذي أنقض ظهرك﴾.

٣ - [﴿مع العسر يسراً﴾ قال ابن عيينة: أي مع ذلك العسر يسراً آخر

كقوله ﴿هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ ولن يغلب عسر يسرين].

ش: أما قوله: قال ابن عيينة: هذا مصير من ابن عيينة إلى اتباع النحاة في قولهم إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، ووجه الشبه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالأخر الثواب فلا بد للمؤمن من أحدهما.

أما قوله: «ولن يغلب عسر يسرين» فقد روي هذا مرفوعاً موصولاً ومرسلاً وروى أيضاً موقوفاً. أما المرفوع فقال الحافظ: (أخرجه ابن مردويه من حديث جابر بإسناد ضعيف ولفظه: (أوحى إلي أن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين) اهـ. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن جعفر بن سليمان عن ميمون أبي حمزة قال سمعت إبراهيم النخعي قال: قال ابن مسعود: لو كان العسر في حجر لتبعة اليسر حتى يستخرجه لن يغلب عسر

يسرين لن يغلب عسر يسرين) وأخرجه ابن جرير بنحوه إلا أنه قال عن رجل عن ابن مسعود، وأخرج عبد الرزاق واللفظ له وابن جرير عن الحسن قال خرج النبي ﷺ مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً.

والآية المشار إليها ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ إن مع العسر يسراً.

٤ - [وقال مجاهد: ﴿فانصب﴾ في حاجتك إلى ربك].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره ضمن القائلين بأن معناه فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك وهم ابن عباس والضحاك وقتادة.

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاه في الآية.

وثانيها: بمعنى فانصب في عبادة ربك وبه قال الحسن وابن زيد.

وثالثها: بمعنى إذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عبادة ربك وهو قول

بجاهد في الرواية الثانية.

واختار ابن جرير أن الآية عامة لذلك كله فقال: ولم يخص بذلك حالاً

من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة كان فراغه أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مستقلاً لعموم الشرط في ذلك من غير خصوص حال فراغ دون حال أخرى.

والآية المشار إليها ﴿فإذا فرغت فانصب﴾.

٥ - [ويذكر عن ابن عباس ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ شرح الله صدرك

للإسلام].

ش: قال ابن مردويه: ثني محمد بن الحسين ثنا محمد بن العباس بن أيوب،
ثنا إسحاق بن الضيف ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.
حكاه الحافظ وقال عقبه إسحاق ضعيف.

قلت: وهذا أحد أربعة أقوال في الآية حكاه الماوردي ج ٦ ص ٢٩٦:

وثانيها: أنه ملئ حكمة وعلماً قاله الحسن.

الثالث: بما من عليه من الصبر والإحتمال، قاله عطاء.

رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوة. قاله الماوردي.

آخر تفسير سورة الم نشرح والحمد لله.

سورة ﴿والتين﴾

٤٤٣ - سورة ﴿والتين﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي : (يقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه) أخرجه الجماعة.

قال ابن عباس إنها مدنية حكاها القرطبي وكذا قال الجمهور.
وآياتها ثمان.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: هو التين والزيتون الذي يأكل الناس].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: (الفاكهة التي تأكل الناس ضمن القائلين أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر، وهم الحسن وعكرمة والنخعي والكليبي وهو أحد أربعة أقوال حكاهما في الآية.

وثانيها: أن التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس وهو قول كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعكرمة في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أن التين مسجد نوح، والزيتون مسجد بيت المقدس وبه قال ابن عباس.

ورابعها: أن التين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام ولم يخرجها عن أحد.

واختار القول الأول فقال: لأن ذلك هو المعروف عند العرب.

والآية المشار إليها ﴿والتين والزيتون﴾.

٢ [﴿فما يكذبك﴾ فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟

كأنه قال: ومن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب؟]

ش: قاله الفراء وزاد: بعد ما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا.

والآية المشار إليها ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾.

٤٦٨ - ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة قال: أخبرني عدي^(١) قال سمعت

البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر، فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.

(١) هو عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي ثقة روي بالثبوت من الرابعة، مات سنة ست عشرة ومائة. ع.

ش: قلت زاد في صفة الصلاة من رواية مسعر: (وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة). قال ابن دقيق العيد في كيفية القراءة في الصلاة: وقد ورد عن النبي ﷺ في ذلك أفعال مختلفة في الطول والقصر، وصنف فيها بعض الحفاظ كتاباً مفرداً، والذي اختاره الشافعية التطويل في قراءة الصبح والظهر والتقصير في المغرب، والتوسط في العصر والعشاء، وغيرهم يوافق في الصبح والمغرب، ويخالف في الظهر والعصر والعشاء، واستمر العمل من الناس على التطويل في الصبح، والقصر في المغرب، وما ورد على خلاف ذلك من الأحاديث فإن ظهرت له علة في المخالفة فقد يحمل على تلك العلة كما في حديث البراء بن عازب المذكور، فإنه ذكر أنه في السفر فمن يختار أوساط المفصل لصلاة العشاء الآخرة يحمل ذلك على أن السفر مناسب للتخفيف لإشتغال المسافر وتعبهم، والصحيح عندنا أن ما صح في ذلك عن النبي ﷺ مما لم يكثر مواظبته عليه فهو جائز من غير كراهة كحديث جبير بن مطعم في قراءة الطور في المغرب، وكحديث قراءة الأعراف فيها، وما صححت المواظبة عليه فهو في درجة الرجحان في الإستحباب إلا أن غيره مما قرأه النبي ﷺ غير مكروه. اهـ من إحكام الأحكام.

قلت: وفي آخر الحديث مشروعية، تحسين الصوت بالقراءة في الصلاة.

[تقويم: الخلق].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد والنخعي وأخرج نحوه عن أبي

العالية.

آخر تفسير سورة التين والحمد لله.

سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾

٤٤٤ - سورة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

وأخرج ابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال أول ما نزل من القرآن

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

وآياتها تسع عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال قتبية: ثنا حماد عن يحيى بن عتيق عن الحسن قال: اكتب في المصحف في أول الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، واجعل بين السورتين خطأ].

ش: في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني (ثنا قتبية) وقد أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن. ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد بهذا، وحماد هو ابن زيد وشيخه بصري ثقة من طبقة أيوب مات قبله ولم أر له في البخاري إلا هذا الموضوع. قاله الحافظ.

وقوله (أول الإمام) أي أم الكتاب وهي الفاتحة، وقوله (خطأ) قال الداودي: إن أراد خطأ فقط بغير بسملة فليس بصواب لإتفاق الصحابة على كتابة البسملة بين كل سورتين إلا براءة، وإن أراد بالإمام أمم كل سورة فيجعل الخط مع البسملة فحسن، فكان ينبغي أن يستثنى براءة. حكاه الحافظ.

وقال الكرمانى (١٨/١٩٨): أي أكتب في أوله البسملة فقط ثم اجعل بين كل سورتين خطأ علامة صلة بينهما وهو مذهب حمزة في القراءة السبعة وتعقبه الحافظ فقال: المنقول ذلك عن حمزة في القراءة لا في الكتابة. اهـ.

٢ - [وقال مجاهد: ﴿ناديه﴾ عشيرته].

ش: قال الفريابي: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. حكاه الحافظ

وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة بلفظ حيه وليس بين العبارتين خلاف في المعنى.

والآية المشار إليها ﴿فليدع ناديه﴾.

٣ [﴿الزبانية﴾ الملائكة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثنى الحارث ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وأخرجه عن قتادة والضحاك.

والآية المشار إليها ﴿سندع الزبانية﴾.

٤ - [وقال معمر: ﴿الرجعى﴾ المرجع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد والرجوع.

والآية المشار إليها ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾.

٥ - [﴿لنسفن﴾ لناخذن، ولنسفن بالنون وهي الخفيفة، سفعت بيده،

أخذت].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿كلا لئن لم ينته لنسفن بالناصية﴾.

٤٦٩ - حدثنا يحيى: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب.

حدثني سعيد بن مروان^(١): حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة^(٢):

أخبرنا أبو صالح سلموية^(٣) قال: حدثني عبد الله، عن يونس بن يزيد قال:

أخبرني ابن شهاب: أن عروة ابن الزبير أخبره: أن عائشة زوج النبي ﷺ

قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا

يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار

(١) هو أبو عثمان سعيد بن مروان بن علي البغدادي، نزيل نيسابور، ولم يفرق الكلاباذي بينه وبين الرهاوي، صدوق كان يستملي على أحمد، مات سنة إثنين وخمسين من الحادية عشرة خ، ق.

(٢) هو أبو عمرو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، غزوان المروزي ثقة من العاشرة مات سنة إحدى وأربعين، خ، ٤.

(٣) هو سليمان بن صالح الليثي مولاهم، المروزي يلقب سلموية، ثقة من العاشرة، مات قبل سنة عشر ومائتين، وقد بلغ المائة، خ، س.

حراء، فيتحنث فيه - قال: والتحنث التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (ما أنا بقارئ). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم.﴾. الآيات إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾). فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: (أي خديجة، ما لي، لقد خشيت علي نفسي). فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، ذكر حرفاً، قال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم). قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ.

٤٧٠ - قال محمد بن شهاب: فأخبرني أبو سلمة: أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: (بينما أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فدثروه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكْبِرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون - قال: ثم تتابع الوحي).

ش / فيهما خمس وعشرون مسألة:

الأولى: قوله: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم» في رواية عقيل في بدء الوحي باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم). قال النووي (١٩٧/٢): وهذا الحديث من مراسيل الصحابة رضي الله عنهم فإن عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القضية، فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ أو من الصحابي.

قلت: وقد عرفت فيما سبق أن مرسل الصحابي حجة.

الثانية: قوله: «فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» يعني ضوءه وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البين. قال القاضي رحمه الله وغيره من العلماء إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدئ بأول خصال النبوة، وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة. حكاه النووي.

الثالثة: قوله: «ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء» في بدء الوحي (يخلو بغار حراء) قال الحافظ: وهذه الرواية أوجه. اهـ.
 ووقع عند ابن اسحاق (٢٣٥/١) برواية عبيد بن عمير (فكان يجاور).
 الرابعة: قوله: «فيتحنت فيه - قال والتحنت التبعث الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله» في بدء الوحي (قبل أن ينزع إلى أهله) وعند مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (أولات) بدل (ذوات) وعند ابن اسحاق (من كل سنة شهر).

قلت: ولقطة وهو التبعث من كلام عروة أو من دونه. تفسير للتحنت.
 الخامسة: قوله: «ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء» في بدء الوحي (فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء).

السادسة: قوله: «فجاءه الملك فقال: اقرأ» وعند ابن اسحاق (حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله).

السابعة: قوله: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد» عند ابن اسحاق (فغطني به حتى ظننت أنه الموت) أما غطي فبالغين المعجمة والطاء المهملة ومعناه عصرتني وضمي يقال غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد.

وأما الجهد: فيجوز فيه فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته، قاله النووي.

قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الإلتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه، لما يقوله له.

الثامنة: قوله: «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد» عند ابن اسحاق (فغطني به حتى ظننت أنه الموت).

التاسعة: قوله: «فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد» عند ابن اسحاق (فغطني به حتى ظننت أنه الموت) والحكمة في تكرير اللفظ ثلاثاً هي المبالغة في التنبيه. ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه.

وأما الحكمة في تكرير الأمر بالقراءة هي الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول، والعمل، والنية وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد، والأحكام، والقصص.

العاشرة: قوله «ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم﴾» الآيات إلى قوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ عند مسلم ﴿الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ وهذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من هذه السورة، والقصة صريحة الدلالة على أنها أول ما نزل من القرآن وأما بقية السورة فقد نزل بعد ذلك بزمن والحكمة في هذه الأولوية أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن وهي التوحيد والأحكام والأخبار، ففيها براعة الإستهلال فقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها بسم الله وفي هذا الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بالتوحيد بأنواعه الثلاث الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

الحادية عشرة: قوله: «فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره» في بدء الوحي (يرجف فؤاده) ومعنى ترجف ترعد وتضطرب وأصله شدة الحركة وبوادره بفتح الباء الموحدة قال ابو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب إنها اللحم

التي بين المنكب والعنق يضطرب عند فزع الإنسان. والحاصل أن رسول الله ﷺ حصل له مما رآه فزع ارتجف له فؤاده وبوادره.

الثانية عشرة: قوله: «حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني)» قال النووي: هكذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعنى زملوني غطوني بالثياب ولفوني بها.

الثالثة عشرة: قوله: «فزملوه حتى ذهب عنه الروع» هو بفتح الراء وهو الفزع والمعنى أنهم غطوه ولفوه بالثياب حتى ذهب عنه الفزع.

الرابعة عشرة: قوله: «أي خديجة ما لي، لقد خشيت على نفسي فأخبرها الخبر» قال القاضي عياض رحمه الله: ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من الله تعالى لكنه ربما خشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر، ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأول ما رأى التبشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحققه رسالة ربه فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز عليه الشك فيه فلا يخشى من تسلط الشيطان عليه وعلى هذا الطريق يحمل جميع ما ورد من مثل هذا في حديث البعث، هذا كلام القاضي رحمه الله في شرح صحيح مسلم وذكر أيضاً في كتابه الشفاء هذين الإحتمالين في كلام مبسوط، وهذا الإحتمال الثاني ضعيف لأنه خلاف تصريح الحديث، لأن هذا كان بعد غط الملك واتيانه باقراً بسم ربك الذي خلق والله أعلم. اهـ من شرح النووي (٢/٢٠٠).

الخامسة عشرة: قوله: «كلا ابشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً» أما قولها كلا فهي هنا كلمة نفي وابعاد وهذا أحد معانيها وقد تأتي كلا بمعنى حقاً ومعنى ألا التي للتنيه يستفتح بها الكلام وقد جاءت في القرآن العزيز على أقسام وقد جمع الإمام أبو بكر بن الأنباري أقسامها ومواضعها في باب من كتابه الوقف والإبتداء، وأما قولها لا يخزيك فهو بضم الياء وبالخاء المعجمة كذا هو في رواية

يونس وعقيل وقال معمر في روايته لا يحزنك بالحساء المهملة والنون ويجوز فتح الياء في أوله وضمها وكلاهما صحيح والخزي الفضيحة والهوان، اهـ من شرح النووي.

قلت: وعند ابن اسحاق «فقال ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة».

السادسة عشرة: قوله: «فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» هذه ست خصال لا يحملها إلا كمل الرجال وقد ذكرتها أم المؤمنين رضي الله عنها تخفيفاً على زوجها ﷺ ومطمئنة له ومبشرة بجميد العاقبة ومعنى هذه الخصال تفصيلاً:

أولاً: صلة الرحم وهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.
ثانياً: صدق الحديث وضده الكذب ولم يجرب ذلك على النبي ﷺ قبل نبوته كما صرح أبو لهب حين قال: ما جربنا عليك كذباً، وكان ﷺ معروفاً بين قومه بالصادق الأمين.

ثالثاً: حمل الكل وأصله الثقل ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء.

رابعاً: كسب المعدوم وهو بفتح التاء هذا هو الصحيح المشهور يقال كسبت الرجل مالاً وأكسبته مالاً لفتان أفصحهما باتفاقهم كسبته بحذف الألف وأما معنى تكسب المعدوم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً فحذف أحد المفعولين، وقيل معناه تعطي الناس ما لا يجدونه عند

غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعلوم لا سيما قريش وكان النبي ﷺ محظوظاً في تجارته.

الخامسة: إقراء الضيف قال أهل اللغة يقال قريت الضيف أقرية قرى بكسر القاف مقصوراً وقراء بفتح القاف والمد ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى بكسر القاف مقصوراً ويقال للفاعل قار مثل قضى فهو قاضي.

السادسة: الإعانة على نواب الحق: والنواب جمع نائبة وهي الحادثة وإنما قالت نواب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر.

قال العلماء: معنى كلام خديجة رضي الله عنها إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم السمائل.

السابعة عشرة: قوله: «فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة أخي أبيها» لأنها خديجة بنت خويلد بن أسد وهو ورقة بن نوفل بن أسد وفي بدء الوحي (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة) وعند ابن اسحاق (ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها).

الثامنة عشرة: قوله: (وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي) في بدء الوحي (وكان يكتب الكتاب العبراني) وفي الأنبياء باب ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ (يقرأ الإنجيل بالعربية) والمعنى أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث أنه صار يتصرف في الإنجيل.

التاسعة عشرة: قوله: «يا ابن عم اسمع من ابن أخيك» عند مسلم (أي عم) وكلاهما صحيح أما الأول فلأنه ابن عمها على الحقيقة كما تقدم في نسبهما.

وأما الثاني: فسمته عمّاً احتراماً وهذه عادة العرب في مخاطبة كبير السن.

العشرون: قوله: «هذا الناموس الذي أنزل على موسى» في بدء الوحي (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى) الناموس بالنون والسين المهملة وهو جبريل ﷺ.

قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخير والجناسوس صاحب سر الشر ويقال نمست السر بفتح النون والميم ائتمسه بكسر الميم نمساً أي كتتمته ونمست الرجل ونامسته ساررته واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يسمى الناموس، واتفقوا على أنه المراد هنا.

قال الهروي: يسمى بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي، وأما قوله الذي أنزل على موسى ﷺ فكذا هو في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور وروينا في غير الصحيح نزل على عيسى ﷺ وكلاهما صحيح. اهـ من شرح النووي على مسلم.

الحادية والعشرون: قوله: «ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً ذكر حرفاً» في بدء الوحي (ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك) والضمير بفيها راجع إلى أيام النبوة والمعنى ليتني شابٌ قويٌّ حتى أبلغ في نصرتك.

الثانية والعشرون: قوله: «أو مخرجي هم» هذا استفهام استنكار واستغراب والمعنى هل يخرجني قومي من بينهم وأنا فيهم ذو مكانة.

الثالثة والعشرون: قوله: «نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً» في بدء الوحي (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي) وعند ابن اسحاق (ولتكذبنه، ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرك الله نصراً يعلمه).

الرابعة والعشرون: قوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ» والمعنى أنه لم يلبث ورقة أن مات ثم بعد ذلك انقطع الوحي واحبس عن النبي ﷺ حتى حزن لذلك.

من فقه الحديثين :

أولاً: فيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها
وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها.

ثانياً: جواز مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة راجحة.

ثالثاً: تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيريه وذكر أسباب
السلامة له.

رابعاً: أن النبي ﷺ يجري عليه ما يجري على سائر البشر من الخوف
يُستغرب من الأمور .

الخامسة والعشرون : قوله : (ففرقتُ منه) الفرق بالتحريك : الخوف
والفرع ، يقال : فرق يفرق فرقا ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها (ترجفُ
بوادره) .

٤٤٥ - [باب قوله: ﴿خلق الإنسان من علق﴾]

ش: قلت هذه الآية متصلة بالتي قبلها وهي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ يأمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بالقراءة مبتدئاً إياها باسمه جل ثناؤه ووصف نفسه بصفة من أعظم صفاته وهي الخلق، ثم بين الذي خلق فقال: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ يعني من الدم وقال من علق، والمراد به من علقه، لأنه ذهب إلى الجمع كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب وكذلك علقه وعلق، وإنما قال من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع وإن كان في لفظ واحد.

فائدة

قال ابن القيم: «وخص الإنسان من بين المخلوقات لما أودعه من عجائبه وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وكمال رحمته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه» اهـ من مفتاح دار السعادة (١ / ٥٨).

٤٧١ - حدثنا ابن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة: أن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة، فجاءه الملك، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم.

ش: تقدم في الباب قبله.

٤٤٦ - [باب قوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾]

ش: يأمر تعالى نبيه ﷺ بقوله ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ أي كثير الصفات واسعها كثير الكرم والإحسان، واسع الجود.

٤٧٢ - حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن

الزهري (ح) وقال الليث: حدثني عقيل: قال محمد: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، جاءه الملك فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾.

ش: تقدم في الباب الأول من تفسير هذه السورة.

٤٤٧ - [باب ﴿الذي علم بالقلم﴾]

ش: قلت: تمام السياق ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾

قوله ﴿الذي علم بالقلم﴾ فيها وصف من أوصاف الباري جل وعلا الذي أمر النبي ﷺ أن يتدئ القراءة باسمه وذلك الوصف أنه علم بالقلم والمعنى علم الإنسان الكتابة بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على أن يعلم كل مكتوب.

فإن قلت: ما الحكمة في التنصيص على القلم؟ فالجواب: قال ابن القيم في معرض كلامه على الخمس آيات الأول من السورة كما في مفتاح دار السعادة ٢٧٨/١: ثم ذكر ثالثاً التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده، إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق، وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تقيد أخبار الماضين، للباقيين اللاحقين، ولولا الكتابة لا نقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف.

وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم وديناهم إنما يعزبهم من النسيان الذي يحو صور العلم من قلوبهم، فجعل لهم الكتاب وعاءاً حافظاً للعلم من الضياع: كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان.

فنعمة الله - عز وجل - بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم.

والتعليم به وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة، فإنه الذي بلغ به ذلك، وأوصله إليه عطية وهبها الله منه وفضل أعطاه الله إياه وزيادة في خلقه وفضله، فهو الذي علمه الكتابة، وإن كان هو المتعلم، ففعله فعل مطاوع لتعليم الذي علم بالقلم فإنه علمه فتعلم، كما أنه علمه الكلام فتكلم.

هذا ومن أعطاه الذهن الذي يعي به، واللسان الذي يترجم به، والبنان الذي يخط به. ومن هياً ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيونات. ومن الذي أنطق لسانه وحرك بنانه. ومن الذي دعم البنان بالكف، ودعم الكف بالساعد.

فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم، فقف وقفة في حال الكتابة، وتأمل حالك وقد أمسكت القلم وهو جماد، وضعته على القرطاس وهو جماد، فتولد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم، وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر وجوابات المسائل، فمن الذي أجرى فلك المعاني على قلبك ورسمها في ذهنك، ثم أجرى العبارات الدالة عليها على لسانك، ثم حرك بها بنانك حتى صارت نقشاً عجيباً، معناه أعجب من صورته، فتقضى به مآربك، وتبلغ به حاجة في صدرك، وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتباعدة، فيقوم مقامك ويتزجم عنك، ويتكلم على لسانك، ويقوم مقام رسولك، ويجدي عليك ما لا يجدي من ترسله، سوى من علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

والتعليم بالقلم يستلزم المراتب الثلاث: مرتبة الوجود الذهني، والوجود اللفظي، والوجود الرسمي، فقد دل التعليم بالقلم على أنه - سبحانه - هو المعطي لهذه المراتب. اهـ

٤٧٣ - حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فرجع النبي ﷺ إلى خديجة، فقال: (زملوني، زملوني) فذكر الحديث.
ش: تقدم.

٤٤٨ - [باب ﴿كلا لمن لم ينته لنسفن بالناصية. ناصية كاذبة

خاطئة﴾]

ش: قوله: ﴿كلا لمن لم ينته﴾ كلا حرف ردع وزجر والمعنى أي لمن لم ينته أبو جهل عن محمد ﷺ ﴿لنسفعا بالناصية﴾ يقول: لناخذن بمقدم رأسه فلنظمنه ولنذله يقال منه سفعت بيده، إذا أخذت بيده. والمعنى: لنسودن وجهه فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله إذ كانت الناصية في مقدم الوجه.

وقوله: «فاصية كاذبة خاطئة» خفض ناصية رداً على الناصية الأولى بالتكرير، ووصف الناصية بالكذب والخطية والمعنى صاحبها.

٤٧٤ - ثنا يحيى: ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن

عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة). تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله عن عبد الكريم.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله: «لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه»

وعند ابن مردويه بإسناد ضعيف عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال: إن الله علي أن رأيت محمداً ساجداً فذكر الحديث. حكاه الحافظ.

الثانية: قوله: «فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال: لو فعله لأخذته الملائكة» وقع

عند البلاذري (نزل اثنا عشر ملكاً من الزبانية رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض) حكاه الحافظ.

قلت: وزاد النسائي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى ﴿ثم نبتهل

فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (وإن اليهود لو تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم

من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مبالاً ولا أهلاً.

آخر تفسير سورة ﴿اقرأ﴾ والحمد لله.

سورة القدر

٤٤٩ - سورة القدر ﴿إنا أنزلناه﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر وفي المصحف القدر والشاهد ظاهر قال الماوردي هي مكة عند أكثر المفسرين وقال الثعلبي: هي مدنية في قول أكثر المفسرين. وآياتها خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [يقال المطلع: هو الطلوع والمطلع: الموضع الذي يطلع منه].

ش: قال الفراء: المطلع بالفتح هو الطلوع والمطلع المشرق، والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعاً فيكسرون، وهم يريدون المصدر.

كما تقول: أكرمك كرامة، فتجتزى بالإسم من المصدر، وكذلك قولك: أعطيتك عطاء اجتزى فيه بالإسم من المصدر.

والآية المشار إليها ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾.

٢ - [﴿أنزلناه﴾ الهاء كناية عن القرآن (أنزلناه) مخرج الجميع، والمنزل هو الله، والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع، ليكون أثبت وأوكد].

ش: عزاه الحافظ إلى أبي عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾.

آخر تفسير سورة القدر.

سورة ﴿لم يكن﴾

٤٥٠ - سورة ﴿لم يكن﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: والمعتمد في المصحف سورة البينة وشاهد التسمية لكليهما واضح.
 عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال: وسماني لك؟ قال نعم، فبكسى) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿منفكين﴾ [زائلين].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾.

٢ - ﴿قيمه﴾ القائمة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: العادلة، وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال:

مستقيمة معتدلة.

والآية المشار إليها ﴿فيها كتب قيمة﴾.

٣ - ﴿دين القيمة﴾ أضاف الدين إلى المؤنث].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال الفراء: وفي قراءة عبد الله ﴿ذلك الدين

القيمة﴾ وفي قراءتنا ﴿وذلك دين القيمة﴾ وهو مما يضاف إلى نفسه لإختلاف لفظيه. اهـ.

والآية المشار إليها ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله حنفاء مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

٤٧٥ - ثنا محمد بن بشار: ثنا غندر: ثنا شعبة: سمعت قتادة عن أنس بن

مالك رضي الله عنه قال: النبي ﷺ لأبي (إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ قال وسماني؟ قال نعم. فبكي).

حدثنا حسان بن حسان^(١) ثنا همام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال

النبي ﷺ لأبي: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن) قال أبي: آله سماني

(١) هو أبو علي حسان بن حسان بن أبي عباد البصري، نزيل مكة، صدوق يخطئ من العاشرة، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين. خ.

لك؟ قال (الله سماك لي؟) فجعل أبي ييكي. قال قتادة: فأثبت أنه قرأ عليه ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾.

٤٧٦ - ثنا أحمد بن داود أبو جعفر المنادي^(١)، ثنا نوح، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ قال لأبي بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرئك القرآن) قال: آله سمانى لك؟ قال نعم. قال وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال نعم. فذرفت عيناه).

ش: فيهما خمس مسائل:

الأولى: قوله: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾» في رواية سعيد بن أبي عروبة الثانية (إن الله أمرني أن أقرئك القرآن) والجمع بين الروایتين يحمل المطلق في الرواية الأولى على المقيد في الرواية الثانية.

الثانية: قوله: «وسمانى؟!» في الرواية الثانية (آله سمانى لك؟!) في الرواية الثالثة: (قال: قد ذكرت عند رب العالمين؟!). قال النووي: فيه أنه يجوز أن يكون الله تعالى أمر النبي ﷺ يقرأ على رجل من أمته ولم ينص على أبي فأراد أبي أن يتحقق هل نص عليه أو قال على رجل فيؤخذ منه الإستثبات في المحتملات.

الثالثة: قوله: (نعم) زاد في الرواية الثانية ((الله سماك لي)).

الرابعة: قوله: (فبكي) في الرواية الثانية (فذرفت عيناه) وفي الرواية الثالثة: (فجعل أبي ييكي) وكذا عند مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق) وكتاب الفضائل (باب من فضائل أبي) (فجعل أبي ييكي).

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادي بن أبي داود بن المنادي صدوق من صغار العاشرة، مات سنة اثنتين وسبعين ومائتين وله مائة سنة وسنة خ.

الخامسة: قوله: «قال قتادة: فأثبت أنه قرأ عليه ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾» القائل هو همام بن يحيى العوذى راوية قتادة وظاهره أن قتادة لم يتحمل ذلك عن أنس لكن أخرج مسلم الحديث من طريق خالد بن الحارث: ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنساً يقول قال رسول الله ﷺ لأبي عمته) يعني يمثل حديث غندر عن شعبة: سمعت قتادة يحدث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾... الحديث).

قلت: فهذا وما قبله صريح في تحمل قتادة هذا الحديث عن أنس والله أعلم.

من فقه الأحاديث:

أولاً: استحباب قراءة القرآن على الخذاق فيه وأهل العلم به والفضل وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه.

ثانياً: المنقبة الشريفة لأبي بقراءة النبي ﷺ عليه ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا.

ثالثاً: في تسمية الله أياً للنبي ﷺ وأمر الله إياه بالقراءة عليه منقبة أخرى عظيمة.

رابعاً: في الحديث إشارة إلى أن أبي هو أقرأ أصحاب النبي ﷺ.

خامساً: لا غضاضة بالبكاء فرحاً وسروراً مما يبشر الإنسان به.

آخر تفسر سورة البينة والحمد لله.

سورة ﴿إذا زلزلت الأرض﴾

٤٥١ - سورة ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

قال ابن مسعود وعطاء وجابر مكية وقال ابن عباس هي مدنية.
وآياتها ثمان آيات.

قوله: [﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾] ، يقال ﴿أوحى لها﴾ أوحى إليها، ووَحَى لها ووَحَى إليها واحد].

ش: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أوحى لها: أوحى إليها. وقال أبو عبيدة: قال العجاج: أوحى لها القرار فاستقرت.

٤٧٧ - حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الخيال لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنة. ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنة له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه - ولم يرد أن يسقي به - كان ذلك حسنة له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقبها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فيها على ذلك وزر. فسل رسول الله ﷺ عن الحمر، قال: ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾).

ش: فيه ثنتي عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «الخيال لثلاثة» زاد النسائي في كتاب الخيل والترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من ارتبط فرساً في سبيل الله كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) والحديث أخرجه مسلم في الزكاة باب إثم مانع الزكاة من طريق عبد العزيز بن المختار عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليه في نار جهنم... الحديث وفيه (قالوا

فالخيل يا رسول الله قال الخيل في نواصيها - أو قال - الخيل معقود في نواصيها - قال سهيل أنا أشك - الخير إلى يوم القيامة).

قال النووي: جاء تفسيره في الحديث الآخر في الصحيح الأجر والمغنم وفيه دليل على بقاء الإسلام والجهاد إلى يوم القيامة والمراد قبيل القيامة بيسير أي حتى تأتي الرياح الطيبة من قبل اليمن تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة كما ثبت في الصحيح. ا.هـ.

فائدة

قال الحافظ: وقد فهم بعض الشراح منه الحصر فقال: اتخاذ الخيل لا يخرج عن أن يكون مطلوباً أو مباحاً أو ممنوعاً، فيدخل في المطلوب الواجب والمندوب ويدخل في الممنوع المكروه والحرام بحسب اختلاف المقاصد، واعترض بعضهم بأن المباح لم يذكر في الحديث لأن القسم الثاني الذي يتخيل فيه ذلك جاء مقيداً بقوله (ولم ينس حق الله فيها) فيلتحق بالمندوب. ا.هـ من الفتح (٦٤/٦).

الثانية: قوله: «لرجل أجر ولرجل ستر، وعلى رجل وزر» هذا بيان لقوله في أول الحديث الخيل لثلاثة.

الثالثة: قوله: «فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله» وعند مسلم (فأما التي هي له أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله وبعدها له فلا تُغيب شيئاً في بطونها إلا كتب الله له أجراً) وعند النسائي (فأما الذي هي له أجر فالذي يحتبسها في سبيل الله فيتخذها له ولا تُغيب في بطونها شيئاً إلا كتب له بكل شيء غيب في بطونها أجر).

الرابعة: قوله: «فأطال لها في مرج وروضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كانت له حسنات» عند مسلم (ولو رعاها في مرج ما أكلت من شيء إلا كتب الله له بها أجراً) فقوله (في مرج) هو موضع الكلاً وأكثر ما يطلق على الموضع المظمن، والروضة أكثر ما يطلق في الموضع المرتفع، وقوله (طيلها)

يكسر الطاء المهلمة وفتح التحتانية بعدها لام هو الخيل الذي تربط به ويُطَوَّل لها لترعى.

الخامسة: قوله: (ولو أنها قطعت في طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأروائها حسنات له) عند مسلم (حتى ذكر الأجر في أبوالها وأروائها ولو استنت شرفاً أو شرفين كتب له بكل خطوة تخطوها أجر) وقوله (فاستنت شرفاً) أي الحث في العدو. والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهلمة هو الشوط، وسمي به لأن العادي به يشرف على ما يتعرجه إليه.

السادسة: قوله: «ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر» عند مسلم ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر) قلت: فالحاصل أن الأجر واقع لصاحب تلك الخيل بشربها من النهر الذي مرت به وسواءً أراد سقياها منه أم لم يرد.

السابعة: قوله: «ورجل ربطها تغنياً وتعففاً» عند مسلم (وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تكراً وتحملاً) والمقصود أنه اتخذ هذه الخيل اظهاراً للتعفف والإستغناء عما في أيدي الناس فهو يتردد عليها إلى متاجره ومزارعه ونحوها فتكون ستراً له تحجبه عن الفاقة.

الثامنة: قوله: «ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر» عند مسلم (ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها) قلت: وفيه دليل لما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله من وجوب الزكاة في الخيل ومذهبه في ذلك أنه إذا كانت كلها ذكوراً فلا زكاة فيها وإن كانت إناثاً أو ذكوراً وإناثاً وجبت الزكاة وهو بالخيار إن شاء أخرج عن كل فرس ديناراً وإن شاء قومها وأخرج ربع عشر القيمة وذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور إلى أنه لا زكاة في الخيل وهذا هو الراجح لما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة) وفي لفظ لمسلم (ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر).

فإن قلت: كيف تصنعون بقوله في الحديث (ولم ينس حق الله في رقابها) فالجواب من عدة أوجه:

أحدها: أن المراد أنه يجاهد بها وقد يجب الجهاد بها إذا تعين.

وثانيها: أن المراد الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤننها والمراد بظهورها أطراق فحلها إذا طلبت عاريتها.

وثالثها: أن المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة.

التاسعة: قوله: «ورجل ربطها فخراً ورياء ونواءً فهي عليه وزر» زاد في الجهاد (ونواء لأهل الإسلام) وعند مسلم (فالذي يتخذها أشراً بطراً وبذخاً ورياء الناس) والنواء بسكر النون وبالماء أي مناوأة ومعادة وأصله من ناء إذا نهض.

العاشر: قوله: «فستل رسول الله ﷺ عن الحمرة» عند مسلم (قيل يا رسول الله فالحمرة).

الحادية عشرة: قوله: «ما انزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة» معنى الفاذة القليلة النظير والجامعة أي العامة المتناولة لكل خير ومعروف وفيه الإشارة إلى التمسك بالعموم حتى يرد ما يخصه لأنه هو الأصل.

الثانية عشرة: قوله: «﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾» وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء وجوزي عليها، فما فوق ذلك، من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: «﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾» وقال «﴿ووجدوا ما عملوا

حاضراً ﴿ وهذا فيه الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً.

من فقه الحديث

أولاً: مشروعية اقتناء الخيل في طاعة الله أو اظهار الإستغناء والتعفف.

ثانياً: جواز اقتناء الحمر وأنه لا زكاة فيها.

ثالثاً: الحث على فعل الخير وإن قل.

رابعاً: التحذير من الشر وإن كان قليلاً.

خامساً: وجوب الإيمان بوزن الأعمال يوم القيامة.

٤٥٢ - [باب ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾]

سبق شرحها في مسائل الباب قبله.

٤٧٨ - حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني مالك

عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه (سئل النبي ﷺ عن الحمير، فقال: لم ينزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

ش: تقدم معناه ضمن الباب قبله.

آخر تفسير سورة الزلزلة.

سورة العاديات

٤٥٣ - سورة العاديات

ش: شاهد التسمية ظاهر.

قال ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مكية وقال ابن عباس

وأنس وقتادة أنها مدنية.

وآياتها إحدى عشرة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: الكنود: الكفور].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد فذكره.

وأخرج مثله عن ابن عباس والحسن وسماك بن حرب وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾.

٢ - [يقال ﴿فأثرون به نقعاً﴾ رفعن به غباراً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: النقع الغبار.

وأخرج ابن جرير المعنى عن عكرمة وقتادة وغيرهما.

٣ - [﴿حب الخير﴾ من أجل حب الخير].

ش: قاله أبو عبيدة.

٤ - [﴿لشديد﴾ لبخيل ويقال للبخيل شديد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ومتشدد قال طرفة:

أرى الموت يعتام النفوس ويصطفي عقيمة مال الباخل المتشدد

والآية المشار إليها ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾.

٥ - [﴿حُصِّلٌ﴾ مُيِّزٌ].

ش: قاله أبو عبيدة. وقال الفراء: بين وكلا المعنيين صحيح ولا منافاة بينهما

وبالأول قال سفيان وبنحو الثاني قال ابن عباس: ابرز أخرجه عنهما ابن جرير.

آخر تفسير سورة ﴿والعاديات﴾.

سورة القارعة

٤٥٤ - سورة القارعة

ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت
سورة القارعة بمكة.

وآياتها إحدى عشرة آية. ٨

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿كالفراش المبثوث﴾ كفوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً كذلك

الناس يجول بعضهم في بعض].

ش: قاله الفراء.

والآية المشار إليها ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾.

٢ - ﴿كالعهن﴾ كألوان العهن، وقرأ عبد الله: كالصوف].

ش: قاله الفراء. وقوله (وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود وهذه القراءة ذكرها

ابن أبي داود عنه حكاها في عمدة القاري (١٧٩/١٦).

وأخرج ابن جرير في الآية عن قتادة قال: العهن المنفوش: الصوف المنفوش.

والآية المشار إليها ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾.

آخر تفسير سورة القارعة.

سورة (أهاكم)

٤٥٥ - سورة (أهاكم)

ش: قلت: وفي المصحف التكاثر: وشاهد التسمية لكليهما ظاهر.
روى البخاري أنها مدنية وقال ابن عباس مكية رواه ابن مردويه.
وآياتها ثمان آيات.

- [وقال ابن عباس: ﴿التكاثر﴾ من الأموال والأولاد].
ش: وصله ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. حكاه
في الفتح.
آخر تفسير سورة التكاثر.

سورة ﴿والعصر﴾

٤٥٦ - سورة والعصر

ش: شاهد التسمية واضح. وروى الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر... إلخ. ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وهي مكية قاله ابن عباس أخرجه ابن مردويه.
وهي ثلاث آيات.

[وقال يحيى: ﴿العصر﴾ الدهر، أقسم به].

ش: قاله الفراء. وهو أبو زكريا يحيى بن زياد وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه العشي وهو قول الحسن.

واختار ابن جرير أن الآية عامة في الأمرين قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ﴿والعصر﴾ اسم للدهر وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الإسم معنى دون معنى.

تنبيه

وقع في نسخة الحافظ وقال مجاهد خسر ضلال ثم استثنى فقال إلا من آمن، قال الحافظ عقبه: ولم أره في شيء من التفاسير المسندة إلا هكذا عن مجاهد: إن الإنسان لفي خسر قال إلا من آمن.

آخر تفسير سورة العصر والحمد لله.

سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾

٤٥٧ - سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية واضح.

وهي مكية يدل لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت

﴿ويل لكل همزة﴾ بمكة.

[﴿الحطمة﴾ اسم النار مثل ﴿سقر﴾ و﴿لظى﴾].

ش: قاله الفراء وزاد (وجهنم).

آخر تفسير سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾.

سورة ﴿الم تر﴾

٤٥٨ - سورة ﴿الم تر﴾

ش: وفي المصحف الفيل وشاهد التسمية لكليهما ظاهر.
وهي مكية قال ابن عباس: انزلت بمكة رواه ابن مردويه.
وآياتها خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم.

ش: (وللمستلمي ﴿ألم تر﴾ قال مجاهد: ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم. «والصواب الأول فإنه ليس من تفسير مجاهد». قاله الحافظ.

وقال الفراء: ﴿ألم تر﴾ ألم نخبر.

والآية المشار إليها ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾.

٢ - [قال مجاهد: ﴿أبا بيل﴾ متتابعة مجتمعة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثنى الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج في المعنى عن ابن عباس والحسن وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزي وإسحاق بن الحارث بن نوفل وقتادة والضحاك وابن زيد.

والآية المشار إليها ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾.

٣ - [وقال ابن عباس: ﴿من سجيل﴾ هي سنك وكل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب: ثنا وكيع عن سفيان عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس فذكره، وزاد: حجر وطين.

وأخرج في المعنى عن عكرمة وأبي الكنود، وعمران وجابر بن سابط وقتادة وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانیهما: بمعنى ترميهم بحجارة من سماء الدنيا وبه قال ابن زيد وسعيد بن أبي هلال.

وقال الفراء: كالأجر مطبوخ من طين.

والآية المشار إليها ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾.

آخر تفسير سورة الفيل.

سورة ﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾

٤٥٩ - سورة ﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وهي مكية عند الجمهور وقال الضحاك والكلبي: هي مدنية.

وآياتها أربع آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿لأيلاف﴾ الفوا ذلك، فلا يشق عليهم في الشتاء

والصيف].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ: (إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف).

وأخرج عن ابن عباس قال: (نعمتي على قريش).

والآية المشار إليها: ﴿لأيلاف قريش﴾.

٢ - [﴿وآمنهم من خوف﴾ : من كل عدوهم في حرمهم].

ش: أخرجه ابن جرير بإسناد ما قبله.

والآية المشار إليها: ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾

٣ - [قال ابن عينة: ﴿لأيلاف﴾ : لنعمتي على قريش].

ش: قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن ابن عينة في تفسيره قال

﴿لأيلاف قريش﴾ قال: لنعمتي على قريش. حكاه في التعليل هنا.

آخر تفسير سورة قريش.

سورة ﴿أرأيت﴾

٤٦٠ - سورة ﴿أرأيت﴾

ش: وفي المصحف سورة الماعون وشاهد التسمية لكليهما واضح.
قال عطاء وجابر هي مكية وفي قول لابن عباس، وقال قتادة مدنية.
وآياتها سبع آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿يدع﴾ يدفع عن حقه، يقال هو من دععت

﴿يدعون﴾ يدفعون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث قال ثنا الحسن: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره بلفظ: (يدفع اليتيم فلا يطعمه).

وأما ما حكاه المصنف فقال أبو عبيدة: دعته دفعته وبعضهم يقول يدع مخففة وقال الفراء: من دععت وهو يدع يدفعه عن حقه ويظلمه، وكذلك ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم﴾.

والآية المشار إليها ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾.

٢ - [سأهون﴾ لا هون].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله ضمن القائلين بأن معناه يتهاونون بها ويتغافلون عنها ويلهون وهم قتادة وابن زيد. وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى أنهم يؤخرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها وهو قول سعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن أبيزى ومسروق وأبي الضحى. وثالثها: بمعنى أنهم يتركونها فلا يصلونها وبه قال ابن عباس ومجاهد في الرواية الثانية عنهما.

واختار ابن جرير أن معناها يتغافلون عنها قال: وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها تضييعها أحياناً وتضييع وقتها أخرى. قال مقيده هذا اختيار حسن يجمع القولين الأولين وأما الثالث فإنه بعيد عن ظاهر الآية.

والآية المشار إليها ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾.

٣ - [والماعون المعروف كله].

ش: أخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي وبلغظ المصنف قال
الفراء وهو أحد أربعة أقوال حكاه ابن جرير في الآية.
وثانيها: بمعنى الزكاة المفروضة وهو قول علي ومجاهد وابن عمر وسعيد بن
جبير وقتادة والحسن.

وثالثها: أنه ما يتعاوره الناس بينهم من مثل الدلو والقدر ونحو ذلك وبه
قال ابن مسعود وابن عباس وأبو مالك وهو الرواية الثانية عن مجاهد وسعيد بن
جبير.

ورابعها: أنه المال وهو قول سعيد بن المسيب والزهري.
واختار ابن جرير أن معناه يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من
كل شيء منفعته.

٤ - [وقال بعض العرب: الماعون: الماء].

ش: قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء وأنشدني فيه:
يمج صبيره الماعون صباً

٥ - [وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع].

ش: قال سعيد بن منصور: ثنا أبو عوانة وهشيم عن إسماعيل بن سالم عن
عكرمة قال: الماعون: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها المتاع. حكاه في التعليق.
والآية المشار إليها ﴿وَمِنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

آخر تفسير سورة الماعون.

سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

٤٦١ - سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: مكية وروى ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنها مكية، وقال الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة إنها مدنية. وآياتها ثلاث آيات.

[وقال ابن عباس: ﴿شانتك﴾ عدوك].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي: ثنا أبو صالح: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وأخرج مثله عن سعيد بن جبير.

والآية المشار إليها ﴿إن شانتك هو الأبر﴾.

٤٧٩ - حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه

قال: (لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر).

٤٨٠ - حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي^(١) حدثنا إسرائيل عن أبي

إسحاق عن أبي عبيدة^(٢) (عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله

تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت: نهرٌ أعطيته نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف آيته كعدد النجوم) رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق.

٤٨١ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن

سعيد بن جبير (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير

الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون

أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه).

(١) هو أبو الهيثم خالد بن يزيد بن زياد الأسدي الكاهلي الطبيب الكوفي صدوق مقرئ

له أوهام من العاشرة، مات سنة اثنتي عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين، خ.

(٢) هو أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود مشهور بكنيته والأشهر أنه لا إسم له غيرها

ويقال اسمه عامر كوفي ثقة من كبار الثالثة والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه مات

بعد سنة ثمانين، ع.

ش: فيها إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله: «لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء» في الرقاق باب في الحوض من رواية همام (بينما أنا أسير في الجنة) وعند النسائي في تفسير السورة برواية حميد (دخلت الجنة).

الثانية: قوله: «أتيت على نهر» في الرقاق (إذا أنا بنهر) وعند الترمذي في تفسير السورة برواية الحكم بن عبد الملك (إذ عرض لي نهر).

الثالثة: قوله: «حافاته قباب اللؤلؤ مجوفاً» في الرقاق (حافاته قباب الدر المحوف) وفي حديث عائشة المذكور بعده (شاطئه عليه در محوف والشاططان الجانبان والحافتان).

الرابعة: قوله: «فقلت ما هذا يا جبريل» عند النسائي (فغربت بيدي في مجرى ماءه، وإذا مسك إذفر قلت يا جبريل ما هذا) والمسك الأذفر هو طيب الريح والأذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به. قاله ابن الأثير.

الخامسة: قوله: «هذا الكوثر» زاد في الرقاق (الذي أعطاك ربك، فإذا طينة أو طيبه، مسك إذفر) وعند الترمذي (الذي أعطاك الله قال ثم ضرب بيده إلى طيبه فاستخرج مسكاً، ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً).

السادسة: قوله: «سألتهما عن قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾» عند النسائي من رواية مطرف (قلت لعائشة ما الكوثر).

السابعة: قوله: «نهر أعطيه نبيكم ﷺ» وعند النسائي (نهر أعطيه رسول الله ﷺ في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها) وبطنان بضم الموحدة، وسكون المهملة بعدها نون، ووسط بفتح المهملة والمراد به أعلاها أي أرفعها قدرأ أو المراد أعلاها.

الثامنة: قوله: «شاطئاه عليه در مجوف» عند النسائي (حافته در مجوف).
 التاسعة: قوله: «آئته كعدد النجوم» وعند المصنف في الرقاق من حديث
 عبد الله بن عمرو (وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظماً أبداً) وفيه
 من حديث أنس (وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء).
 العاشرة: قوله: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه» في الرقاق من رواية
 عمرو بن محمد (الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه).
 الحادية عشرة: قوله: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله
 إياه».

قلت: هذا التفسير من سعيد بن جبير جمع بين حديث ابن عباس وبين ما
 قيل في الباب.

من فقه الأحاديث

أولاً: الإيمان بالإسراء والمعراج.
 ثانياً: في هذه الأحاديث تفسير الكوثر وهو دليل على تفسير القرآن
 بالسنة.

ثالثاً: حرص السلف على فهم ما يشكل من المسائل.
 آخر تفسير سورة الكوثر والحمد لله.

سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾

٤٦٢ - سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾

ش: شاهد التسمية واضح.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة
وب﴿قل هو الله أحد﴾ في ركعتي الطواف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي
الفجر) رواهما مسلم.

وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وإحدى الروایتين عن ابن
عباس ومدنية في الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول قتادة والضحاك.
وآياتها ست.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [يقال ﴿لكم دينكم﴾ الكفر ﴿ولي دين﴾ الإسلام، ولم يقل ديني، لأن الآيات بالنون، فحذفت الياء، كما قال ﴿يهدين، ويشفين﴾].
 ش: قاله الفراء . قلت: والمعنى أي لكم دينكم فلا تتركونه أبداً لأنه قد ختم عليكم، وقضي أن لا تنفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه أبداً، لأنه قد مضى في سابق علم الله أني لا أنتقل عنه إلى غيره.
 قاله ابن جرير.

وقال ابن القيم: وأما المسألة التاسعة وهي ما هي الفائدة في قوله (لكم دينكم ولي دين) وهل أفاد هذا معنى زائداً على ما تقدم، فيقال في ذلك من الحكمة والله أعلم: إن النفي الأول أفاد البراءة، وأنه لا يتصور منه ولا ينبغي له أن يعبد معبوديهم، وهم أيضاً لا يكون عابدين لمعبوده، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أيضاً، فقال له: لا تدخل في حدي ولا أدخل في حدك، لك أرضك، ولي أرضي. اهـ من بدائع الفوائد.

٢ - [وقال غيره: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ الآن، ولا اجبيكم فيما بقي من عمري].

ش: قاله أبو عبيدة.

٣ - [﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وهم الذين قال ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾].

ش: قلت: جاءت هذه الآية في سورة المائدة مرتين:

إحدهما: قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾.

والثانية قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم علي شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين﴾ فأولى الآيتين في اليهود وثانيهما في أهل الكتاب عامة وهذا لا مراء فيه، وسبب نزول سورة قل يا أيها الكافرون كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره أن قريشاً عرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الله سنة) وهذا مشكل جداً على ما قاله المصنف رحمه الله ولا وجه له عندي إلا أن عرض المشركين على رسول الله ﷺ من الزيادة في الكفر والطغيان وسبب ذلك حسدهم إياه ما أنزل الله عليه وأنفتهم من اتباعه على دينه.

آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون والحمد لله.

سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ﴾

٤٦٣ - سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث عائشة رضي الله عنها عند المصنف قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها (سبحانك ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي).

وحديث ابن عباس وسيأتي.

وهي مدنية وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ بالمدينة.
وآياتها ثلاث.

٤٨٢ - حدثنا الحسن بن الربيع^(١) حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق (عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾ إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبمحمدك، اللهم اغفر لي).

٤٨٣ - حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق (عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن).
ش: فيهما مسألتان:

الأولى: قوله «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾» إلا يقول فيها سبحانك اللهم وبمحمدك. اللهم اغفر لي) في الرواية الثانية (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك. اللهم اغفر لي) قال بعض أهل العلم: اختار النبي ﷺ الصلاة لهذا الدعاء لأن حالها أفضل من غيرها.

وليس المراد التخصيص بالصلاة ويؤيده ما أخرجه مسلم في الصلاة من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت سبحانك وبمحمدك استغفرك وأتوب إليك) قالت قلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثها تقوها، قال جعلت لي علامة في أمي إذا رايتها قتلها، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾ إلى آخر السورة.

(١) هو أبو علي الحسن بن الربيع البجلي الكوفي البغدادي ثقة من العاشرة مات سنة عشرين أو إحدى وعشرين [ومائتين] ع.

الثانية: قوله «يتأول القرآن» قال النووي: معنى يتأول القرآن يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية. قلت: والمراد بالقرآن الذي يتأوله بعضه وهو السورة المذكورة والذكر المذكور كما تدل عليه الرواية الأولى.

من فقه الحديثين

يؤخذ من هذين الحديثين إباحة الدعاء في الركوع وإباحة التسييح في السجود، ولا يعارضه قوله ﷺ: (أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء) ويمكن أن يحمل حديث الباب على الجواز وذلك على الأولوية، ويحتمل أن يكون أمر في السجود بتكثير الدعاء لإشارة قوله (فاجتهدوا) والذي وقع في الركوع من قوله (اللهم اغفر لي) ليس كثيراً فلا يعارض ما أمر به في السجود. قاله ابن دقيق العيد (٢/٨٠).

٤٦٤ - [باب قوله ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾]

ش: قلت هذه الآية وإن كانت في وسط سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ إلا أنها مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بما قبلها وما بعدها فالسورة الكريمة متضمنة شيئين: أحدهما: بشارة الله نبيه ﷺ بالنصر المبين والفتح العظيم ودخول الناس في دين الله أفواجا أي جماعات والمعنى بالناس أهل الجزيرة ومن حولهم. وثاني ذينك الشيئين: أمر الله نبيه بتسيحه واستغفاره وهذا الأمر شكراً على ما أنعم به عليه من الفتح والنصر واطهار دينه وحمله ﴿إنه كان تواباً﴾ تعليل لأمره ﷺ بالإستغفار أي من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواباً من صيغ المبالغة، ففيه دلالة على أنه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين.

٤٨٤ - حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أن عمر رضي الله عنه سأهم عن قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مثل ضرب محمد ﷺ، نُعِيَتْ له نفسه).

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله: «أن عمر سأهم عن قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾» في الرواية الآتية: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم قتال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وعند النسائي في تفسير السورة (أن عمر كان يسأل المهاجرين عن هذه الآية ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾) وعند الترمذي في تفسير السورة من رواية أبي بشر (كان عمر يسألني

مع أصحاب النبي ﷺ فقال له عبد الرحمن بن عوف، أتسأله ولنا بنون مثله فقال له عمر إنه من حيث تعلم فسأله عن هذه الآية ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾. والحاصل أن أمير المؤمنين لما رأى في نفوس القوم شيئاً من اشراكه ابن عباس معهم وهو حدث أراد أن يظهر بالبرهان فضل ابن عباس وغزارة علمه ودقة فهمه.

الثانية: قوله: «قالوا فتح المدائن والقصور» في الرواية الآتية (أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً) وفي المغازي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح من رواية أبي بشر (وقال بعضهم لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً).

الثالثة: قوله: «ما تقول يا ابن عباس» في الرواية الآتية (فقال لي أكذاك تقول يا ابن عباس) وعند النسائي (قال عمر: ألا أعجبكم من ابن عباس، يا ابن عباس هلم، مالك لا تتكلم).

الرابعة: قوله: «أجل، أو مثل ضرب محمد ﷺ نعت له نفسه» في الرواية الآتية (هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال فإذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول)، وفي المغازي (هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك). وزاد سعيد بن منصور عن هشيم عن أبي بشر في هذا الحديث في آخره (فقال عمر: كيف تلوموني على حب ما ترون).

من فقه الحديث

أولاً: فضل ابن عباس وسعة علمه ودقة فهمه.

ثانياً: فطنة عمر رضي الله عنه وحنكته.

ثالثاً: يسوغ للإمام اشراك الأصغر في مجلسه إذا وجد منهم الكفاءة.

رابعاً: جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم.

خامساً: جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزلته.

٤٦٥ - [باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾]

ش: تقدم شرحها في الباب قبله.

[﴿تواب﴾ على العباد، والتواب من الناس التائب من الذنب].

ش: قاله أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات

فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾.

٤٨٥ - حدثنا موسى ابن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن

سعيد عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم

وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر: إنه من

حيث علمتم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم فمارأيت يومئذ إلا ليريهم قال

ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم:

أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل

شيئا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فماتقول؟

قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿فإذا جاء نصر الله والفتح﴾

وذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال

عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

ش: مضى شرحه في الباب قبله.

آخر تفسير سورة النصر والله الحمد.

سورة ﴿تبت يدا أبي هب﴾

٤٦٦ - سورة ﴿تبت يدا أبي هب﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث عن ابن عباس: عند المصنف وسيأتي.

والشاهد منه قوله: فنزلت ﴿تبت يدا أبي هب وتب﴾ وتسمى المسد كما

في المصحف وشاهده قوله تعالى ﴿في جيدها حبل من مسد﴾.

وهي مكية ويدل له الأحاديث الآتية في السورة.

وهي خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - ﴿وتب﴾ خسر، ﴿تباب﴾ خسران].

ش: قاله الفراء وزاد: كما تقول للرجل: أهلكك الله وقد أهلكك أو تقول جعلك الله صالحاً، وقد جعلك.

وقوله ﴿تباب﴾ إشار إلى الآية السابعة والثلاثين من سورة غافر وهي ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾.

٢ - ﴿تسيب﴾ تدمير].

ش: قاله أبو عبيدة. وزاد: واهلاك وهو من قولهم تيبته.

والآية المشار إليها هي الحادية بعد المائة من سورة هود.

٤٨٦ - حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا

عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما

نزلت: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين، ورهطك منهم المخلصين﴾ خرج رسول

الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه،

فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟

قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال

أبو هب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿تبت يدا أبي هب

وتب﴾. وقد تبَّ. هكذا قرأها الأعمش يومئذ).

ش: تقدم في تفسير سورة الشعراء ضمن الباب الستين بعد المائتين.

٤٦٧ - [باب قوله ﴿وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾]

ش: قلت: السياق هكذا ﴿تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ما له وما كسب﴾.

والمعنى خسرت يدا أبي لهب وخسر هو وأي شيء أغنى عنه ما له ودفع من سخط الله عليه وما كسب وهم ولده.

قلت وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب فهو عم النبي ﷺ وفي الآية دليل على أن النسب لا يقرب من أبعد الدين.

٤٨٧ - ثنا محمد بن سلام: أخبرنا أبو معاوية: ثنا الأعمش عن عمرو

بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم. أكنتم تصدقونني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: أهذا جمعنا تبا لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى آخرها).

ش: تقدم.

٤٦٨ - [باب قوله ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ هَبٍ﴾]

ش: هذا وعيد من الله لعدوه أبي هب بأنه سوف يدخله النار وهو دليل على أنه يموت كافراً نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

٤٨٨ - ثنا عمر بن حفص: ثنا أبي: ثنا الأعمش ثني عمرو بن مرة عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو هب تبا لك أهدا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ﴾.

ش: تقدم.

٤٦٩ - [باب ﴿وامراته حمالة الحطب﴾]

ش: كما توعد جل وعلا عدوه أبا لهب بصليبه إياه النار كذلك توعد
زوجه أم جميل وقد وصفها سبحانه بوصفين أحدهما: أنها حمالة الحطب.
وفيه لأهل العلم بالتفسير قولان:

أحدهما: أنها كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وهو
قول ابن عباس ويزيد بن زيد الهمداني وعطية الجذلي والضحاك وابن زيد.
وثانيهما: أنها كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة، وتعير النبي ﷺ بالفقر
وبه قال عكرمة ومجاهد وقتادة وسفيان والمختار هو القول الأول لأنه أظهر في
كلام العرب.

وثاني الوصفين: أنها في جيدها حبل من مسد والمعنى أنها في عنقها حبل
من مسد وفي معناه أربعة أقوال لأهل العلم:

أولها: إنها حبال تكون بمكة وهو قول الضحاك وابن عباس وابن زيد.
وثانيها: إنها الليف وبه قال عروة ومجاهد وسفيان.
وثالثها: إنها الحديد الذي يكون في البكرة وهو قول عكرمة وهو الرواية
الثانية عن مجاهد.

ورابعها: إنها قلادة من ودع وبه قال قتادة والصواب أنه حبل من أنواع
مختلفة كذا قال ابن جرير، والآيتان برهان على أن أم جميل ستموت على الكفر
مثل زوجها.

شرح جملة من الكلمات

١ - [قال مجاهد: ﴿حمالة الحطب﴾ تمشي بالنميمة].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا ابن بشار: ثنا عبد الرحمن: ثنا سفيان عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢ - ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ يقال من مسد ليف المقل وهي
السلسلة التي في النار].
ش: قاله الفراء.

آخر تفسير سورة المسد والله الحمد.

سورة ﴿قل هو الله أحد﴾

٤٧٠ - سورة ﴿قل هو الله أحد﴾

ش: وشاهد التسمية ظاهر في أول آية.

وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عند المصنف وسيأتي: قوله (وأنا الأحد الصمد... الحديث).

وتسمى سورة الإخلاص لأنها اخلصت في التوحيد.

وفي فضلها ما أخرجه البخاري وأحمد وغيرهما عن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث

القرآن) يعني ﴿قل هو الله أحد﴾.

قال ابن القيم: والأحاديث في كونها تعدل ثلث القرآن تبلغ حد التواتر.

قال أهل العلم: والسر في كونها تعدل ثلث القرآن، أن القرآن يتضمن

ثلاثة أشياء: وهي التوحيد والقصص والأحكام فهي خاصة في التوحيد ولذلك

عدلت ثلث القرآن والله أعلم.

وهي مكية قاله ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر وهي إحدى

الروايتين عن ابن عباس، ومدينة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه وهو قول

قتادة والضحاك والسدي.

وهي أربع آيات.

[يقال: لا ينون أحد: أي واحد].

ش: قاله أبو عبيدة.

٤٨٩ - حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذبيه إياي، فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفأً أحد).

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله: «قال الله» في بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ من رواية سفيان (قال الله تعالى) وعند النسائي في تفسير السورة باب قوله ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ من تفسير سورة الأنبياء من رواية ابن عجلان (قال الله عز وجل).

الثانية: قوله: «كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك» وعند النسائي (كذبي ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبي).

الثالثة: قوله: «وشتمني ولم يكن له ذلك» في بدء الخلق (يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني).

الرابعة: قوله: «فأما تكذبيه إياي فقلوه لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته» وفي تفسير البقرة من حديث ابن عباس (فأما تكذبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان) وعند النسائي (أما تكذبه إياي فقلوه إنني لا أعيده كما بدأته وليس آخر الخلق بأعز علي من أوله).

قلت: وليس المراد به كل بني آدم بل بعضهم وهم منكروا البعث من العرب وغيرهم وأعلم أن الأدلة على البعث في القرآن قد جاءت مبينة على ثلاثة أحوال:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه وتعالى كما قال في جواب من قال ﴿من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم.

وثانيها: تقرير كمال قدرته كقوله ﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾.

وثالثها: كمال حكمته كقوله ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيين﴾.

الخامسة: قوله: ﴿وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد﴾ في الرواية الآتية (وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد). (لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) وفي حديث ابن عباس (فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً) وعند النسائي (وأنا الله الأحد الصمد... الخ) قلت: وليس المراد كل بني آدم بل اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب.

تنبيه

يلحظ القارئ أن في آخر حديث الباب زيادة لم تكن في حديث ابن عباس المتقدم في تفسير سورة البقرة ضمن الباب العاشر ولا تعارض فهو محمول على أن كلام من الصحابين حفظ ما لم يحفظه الآخر.

من فقه الحديث

أولاً: كفر منكري البعث.

ثانياً: تنزيه الرب جل وعلا عن النقائص.

ثالثاً: كمال غناه جل وعلا.

رابعاً: أن نسبة النقيصة إلى غير فاعلها شتم له وطعن فيه.

٤٧١ - [باب قوله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾]

ش: يثني جل وعلا على نفسه بأنه الصمد.

والمعنى بضم الآيه إلى سابقتها أنه هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له. وقد اختلف أهل العلم في معنى الصمد على خمسة أقوال أخرجها ابن

جرير:

أحدها: أنه الذي ليس بأجوف ولا يأكل ولا يشرب وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والشعبي والضحاك وغيرهم.

وثانيها: هو الذي لا يخرج منه شيء وبه قال عكرمة في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: هو الذي لم يلد ولم يولد وهو قول أبي العالية ومحمد بن كعب

القرضي.

ورابعها: أنه السيد الذي قد انتهى في سؤده وبه قال ابن عباس في الرواية

الثانية عنه.

وخامسها: أنه الباقي الذي لا يفنى وهو قول قتادة.

قلت والآية وحديث الباب نص في الثالث من هذه الأقوال وليس بينه وبين

الرابع والخامس منافاة فالله هو السيد الكامل في السؤدد وهو الباقي الذي لا

شيء يبقى سواه.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [والعرب تسمي أشرافها الصمد].

ش: قاله أبو عبيدة. وزاد قال الأسدي:

لقد بكر الناعي بخير بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال الزبرقان: ولا رهية إلا سيد صمد.

٢ - [قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤده].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو السائب: ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق مذكوره.

وقد تقدم من قال به في القول الرابع.

٤٩٠ - حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. أما تكذبه إياي أن يقول إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم آلد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ش: تقدم شرحه في الباب قبله.

[كفواً وكفيناً وكفياً واحداً].

ش: قاله أبو عبيدة.

آخر تفسير سورة الإخلاص.

سورة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾

٤٧٢ - سورة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث أبي عند المصنف وسيأتي.

قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر هي مكية، وفي إحدى الرويتين عن ابن

عباس أنها مدنية وهو قول قتادة.

وهي خمس آيات.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [وقال مجاهد: ﴿غاسق﴾ الليل].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى وثني الحارث: ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وهو قول ابن عباس والحسن والقرظي وهو أحد ثلاثة أقوال حكاهما في الآية. وثانيها: أنه الكوكب وأنه الثرياء وبه قال أبو هريرة وابن زيد. وثالثها: أنه القمر وهو قول عائشة ويزيد بن هارون. واختار ابن جرير أول هذه الأقوال فقال وهو الذي يظلم يقال غسق الليل يغسق غسوقاً، إذا أظلم.

وعندي أنه لا منافاة بين هذه الأقوال الثلاثة لأن ظاهر الآية أمر النبي ﷺ بالإستعاذة من كل مضىء إذا أظلم. والله أعلم.

٢ - [﴿إذا وقب﴾ غروب الشمس].

ش: أخرجه ابن جرير: بهذا اللفظ عن محمد بن كعب القرظي.

٣ - [يقال: أبين من فرق وقلق الصباح].

ش: قاله الفراء. والقلق بفتح الحين هو ضوء الصباح.

٤ - [﴿وقب﴾ إذا دخل في كل شيء وأظلم].

ش: قاله الفراء وزاد: ويقال غسق وأغسق.

٤٩١ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن عاصم وعبدية عن زر بن

حبيش قال: (سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ فقال:

قيل لي فقلت. فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ).

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى قوله «سألت أبي بن كعب عن المعوذتين» في الرواية الآتية (سألت أبي بن كعب قلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا) وأبو المنذر كنية أبي رضي الله عنه وله كنية أخرى وهي أبو الطفيل.

وقوله «كذا وكذا» هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً عند البخاري والنسائي في التفسير وغيرهما وكان بعض الرواة أبهماً استعظاماً له، وقد صرح به سفيان عند أحمد ولفظه: (قلت لأبي إن أخاك يحكها من المصحف) وقد أخرجه أحمد ج ٥ ص ١٣٠ وابن حبان (٧٧/٣) كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر قال قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب في مصحفه المعوذتين).

الثانية: قوله: «سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لي فقلت» وفي رواية عاصم عند ابن حبان (قال لي رسول الله ﷺ قال لي جبريل (قل أعوذ برب الفلق) فقلتها وقال لي ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فقلتها).

الثالثة: قوله: «فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ» عند ابن حبان (فنحن نقول ما قال رسول الله ﷺ).

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة.

قلت: وقد أخرج مسلم في باب فضل قراءة المعوذتين من كتاب صلاة المسافرين من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ (ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم ير مثلهن قط، ﴿قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس﴾ زاد ابن حبان (إنك لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾) وعنده من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ يا جابر) قال قلت: ما أقرأ بأبي وأمي أنت قال ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ﴿وقل أعوذ برب الناس﴾ فقرأتهما فقال ﷺ (اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما) قلت: فصح بهذا أن المعوذتين سورتان من سور القرآن.

آخر تفسير سورة الفلق والحمد لله

سورة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾

٤٧٣ - سورة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾

ش: شاهد التسمية ظاهر.

وفيها حديث أبي عند المصنف وسيأتي.

قال ابن عباس: أنزل بمكة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أخرجه ابن مردويه

وعن ابن الزبير قال: أنزل بالمدينة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أخرجه ابن مردويه.

وآياتها ست آيات.

[ويذكر عن ابن عباس: ﴿الوسواس﴾ إذا ولد خنسه الشيطان.
فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه].

ش: أخرجه ابن جرير والحاكم في المستدرک (٥٤١/٢) واللفظ لابن جرير كلاهما من طريق سفیان الثوري عن حکيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ (ما من مولود إلا على قلبه الوسواس فإذا عقل فذكر الله خنس، وإذا اغفل وسوس فذلك قوله ﴿الوسواس الخناس﴾) وفي إسناده حکيم بن جبير الأسدي الكوفي ضعيف، قال الحافظ: «أخرج سعيد بن منصور من وجه آخر عن ابن عباس ولفظه (يولد الإنسان والشيطان جاثم على قلبه، فإذا عقل وذكر اسم الله خنس وإذا غفل وسوس) وجاثم بجيم ومثثة، وعقل الأولى بمهملة وقاف والثانية بمعجمة وفاء ولأبي يعلى من حديث أنس نحوه مرفوعاً وإسناده ضعيف» اهـ.
قلت: ويبدو لي أن الخبر بمجموع طرقه إلى ابن عباس لا يقل عن درجة الحسن لغيره. والله أعلم.

٤٩٢ - ثنا علي بن عبد الله حدثنا سفیان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبیش ح. وحدثنا عاصم عن زر قال: (سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال أبي: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: قيل لي، فقلت. قال: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ).
ش: تقدم في الباب قبله.

تم بحمد الله وتوفيقه ما يسر الله لنا جمعه وتحريره في هذا الكتاب وكان الفراغ منه ضحى الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة لعام ستة عشر وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ بالمدينة النبوية والله نسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

عبيد بن عبد الله الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس المراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث

رقم الحديث	الحديث
١٦٦.....	﴿إن شر الدواب﴾ قال: هم نفر من بني عبدالدار
٢٢٥.....	﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ هم أهل الكتاب
٢٢٦.....	﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾. آمنوا ببعض وكفروا ببعض
٤١.....	﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ نزلت في النفقة
٩٧.....	﴿وإذا حضر القسمة﴾ قال هي محكمة
٢٤٢.....	﴿ولا تجهر بصلاتك﴾، نزلت ورسول الله محتف بمكة
٢٦٢.....	﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ كان الرجل يقدم المدينة
١٧٤.....	آخر آية نزلت
٦٧.....	آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا
١٢٦.....	آخر سورة نزلت سورة براءة
١١١.....	آية اختلف فيها أهل الكوفة
٤٨.....	أبغض الرجال إلى الله الألد
٤٠.....	أتاه رجلان في فتنه ابن الزبير
٤١٠.....	أتبايعوني
٥٥.....	أتجعلون عليها التعليل
٢٢٩.....	أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به
٣٣٤.....	أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ
٧.....	أخبرني بهن جبريل أنفاً
٢١٨.....	أخبروني تشبه أو كالرجل المسلم
٣٢٠.....	أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسبكم
٤٢٩.....	أردت أن أسأل عمر
١٩٩.....	أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة

- أطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال : نزلت في عبد الله بن حذافة ١٠٥
- أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ٢٩٩-٢٩٨
- أعوذ بك من البخل والكسل ٢٢٧
- أعوذ بوجهك ١٤٩
- أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ٣٥٥
- أفلا أكون عبداً شكوراً ٣٥٤
- أفي ص سجدة؟ قال : نعم يارب ١٥٣
- أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ ٤١٤
- ألا أخيركم يا أهل الجنة ٤٣٣
- ألا تعجبون لابن الزبير ١٨٦
- ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله ٤٠٥
- ألم تر أن قومك بنو الكعبة ١١
- ألم يقل الله ﴿استجيبوا لله وللرسول﴾ ٢٢٣، ١٦٧
- أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً ٢٧٩
- أم القرآن هي السبع المثاني ٢٢٤
- أما بعد : أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر ١٤٠
- أما بعد : اشيروا علي في أناس ٢٧٦
- أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ٤٢٨
- أما صاحبكم هذا فقد غامر ١٦١
- أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ١٦٤
- أمرني عبدالرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس ٢٨٥
- أمره أن يسبح في أدبار الصلوات ٣٦٩
- أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام يكفر ٤٢٦
- أن النبي ﷺ قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ٤٥٣

- ٣٣٩..... أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة
- ٢٨٠،٤٤..... أن يجعل لله نداً وهو خلقك
- ٧٣..... أن رجلاً أقام سلعه في السوق
- ١٧١،١٧٠..... أن رجلاً جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن
- ٢٦٨..... أن رجلاً رمى امرأته فانتفى من ولدها في زمان رسول الله ﷺ
- ٩٤..... أن رجلاً كانت له يتيمة فكحها
- ٢٤٤..... أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة، قال : ألا تصليان ؟
- ١١٤،١١٣..... أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿ لا يستوي القاعدون ﴾
- ١٣..... أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس
- ٣٠٨..... أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا
- ٤٠٧..... أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات
- ٤٠٠..... أن رسول الله ﷺ حرق نحل بني النضير
- ٨٧..... أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة
- ٣٠١..... أن زيد بن حارثة ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد
- ٣٧٤..... أن محمداً خيركم رأى جبريل له ستمائة جناح
- ٣٢٩..... أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا
- ٣١١..... أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب
- ٢٦٤..... أنا أول من يمشو بين يدي الرحمن
- ٢٣٢..... أنا سيد الناس يوم القيامة
- ٤١١..... أنتن على ذلك
- ٢١٣..... أنزل ذلك في الدعاء
- ٤٧..... أنزلت آية المتعة في كتاب الله
- ١٣٤..... أنزلت هذه الآية ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾
- ٣٩٤..... أنشدك عهدك ووعدك

- ٣٧٣ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح
- ٩٥ أنه سأل عائشة عن قول الله ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا...﴾
- ٢٠٣-٢٠١ أنه سمع ابن عباس يقرأ : ﴿ألا إنهم تننوني صدورهم...﴾
- ١٨٤ أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير
- ١٣١ أنه كان جالساً خلف عمر ابن عبدالعزيز فذكروا وذكروا
- ٣٨٧ أنه كان يقرأ ﴿فهل من مدكر﴾
- ٢٦٣ أنه كان يقسم فيها إن هذه الآية ﴿هذا خصمان...﴾
- ٤٠٤ أوصى الخليفة بالمهاجرين الأولين
- ٣٨٠ أول سورة نزلت فيها سجدة : والنجم
- ٣١٣ أو لم رسول الله ﷺ حيث بنى بزئب بنت جحش
- ٢٩١ أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله
- ٢ إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم
- ٢١٩-٢٢١ إذا قضى الله الأمر في السماء
- ٣١٩ إذا قضى الله الأمر في السماء
- ٢٨٧ إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه
- ١٤١ إن الخمر التي أهرقت الفضيخ
- ١٨٢ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
- ٤١٨-٤١٥ إن الله قد صدقك يا زيد
- ٢٠٦ إن الله ليملي للظالم
- ٢٣٨ إن الناس يصيرون يوم القيامة
- ٨٨ إن رجالاً من المنافقين على عهد رسول ﷺ
- ٣٢٧ إن عفرتها من الجن انفلت على البارحة
- ٣٩٦ إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مخوفة
- ٣٣٧ إن في الجنة شجرة

- ٢١٣..... إن قريشاً لما أبطروا على النبي ﷺ بالإسلام
- ٢١١، ٢١٠..... إن كنت بريئة فسيبرك الله
- ٤١٢..... إن لي أسماء : أنا محمد وأنا أحمد
- ١٣٢..... إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره
- ٢٤٥..... إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
- ٣١٨..... إن موسى كان رجلاً حياً
- ٣٠٦..... إن هذه الآية ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه...﴾
- ٣٥٦..... إن هذه الآية التي في القرآن ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾
- ٣٦..... إن وسادك إذا لعريض
- ٣٥٢..... إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً
- ٣٧..... إنك لعريض القفا
- ٣٦٨..... إنكم سترون ربكم كما ترون هذا
- ٢٦٠..... إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً
- ١٤٧..... إنكم محشورون وإن ناساً يوخذ بهم ذات الشمال
- ٣٧٨..... إنما كان من أهل بمناء الطاغية التي بالمشلل
- ٤٠٩..... إنما هو شرط شرطه الله للنساء
- ٢٤٩..... إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
- ٢٩٥..... إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان
- ٦٨٠، ٥٩..... إنها قد نسخت ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾
- ٢٢٨..... إنهن من العتاق الأول
- ٣٣٥..... إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي
- ٣٣٢..... إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة
- ٢٠٥، ٣٠٤..... إني ذاكر لك أمراً
- ٢٩٦..... الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله ولقائه

- ٣٣٧ اجتمع عند البيت قريشان وثقفي
- ٤٣١ اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه
- ٢٨٢ اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن
- ٣٦٣ اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار
- ٨٩ اذهب يرافع إلى ابن عباس
- ٢٧٣ استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة
- ١٠٦ اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك
- ٣٨٢ اشهدوا، اشهدوا
- ١٠٣ اقرأ عليّ
- ٣٨١ انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين
- ٣٨٥ انشق القمر فرقتين
- ٣٨٣ انشق القمر في زمان النبي ﷺ
- ٤٣٦ انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من اصحابه
- ٤٠٦ انطلقوا حتى أتوا رضة خاخ
- ٤٠٨ با يعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا
- ٩٣-٩٠ بت عند خالتي ميمونة
- ٧٦ بخ ذلك مال رابح
- ١٧٧-١٧٥ بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين
- ٢٥٩ بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول
- ٣١٢ بني علي النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم
- ٣٣٣ بين النفختين أربعون
- ٤٤١،٤٤٠ بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً
- ٢٤١ بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب
- ٢٠،١٨-١٥ بينا الناس يصلون الصبح

- ١١٩..... بئنا النبى ﷺ يصلى العشاء إذ قال سمع الله لمن حمده
- ٤٤٩، ٤٤٦..... بئنا نحن مع النبى ﷺ فى غار
- ٢٦٧..... البئنة أو حد فى ظهرك
- ٣٦٧..... نجات الجنة والنار
- ٢٥٦..... التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم
- ٧٠..... تلا رسول الله ﷺ هذه الآية
- ٢٥٢..... جئت العاص بن وائل السهمى أتقاضاه حقاً لى عنده
- ٢٧٤..... جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت : أتأذنين لهذا
- ٤٢٤..... جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده
- ١٥٩..... جاء رجل من اليهود إلى النبى ﷺ قد لطم وجهه
- ٤٣٩-٤٣٧..... جاورت بحراء فلما قضيت جوارى
- ٨٢..... جعل النبى على الرجالة يوم أحد عبداً لله بن جبير
- ٣٩٥..... جنتان من فضة آنتهما وما فىهما
- ٢٥٨..... حاج موسى آدم
- ٥٦..... حبسونا عن صلاة الوسطى
- ٨٤..... حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار
- ٤٢..... حملت إلى النبى ﷺ
- ٣١٤..... خرجت بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها
- ٤١٨..... خرجنا مع النبى ﷺ فى سفر فأصاب الناس فىه شدة
- ١٢٨..... خرجنا مع رسول ﷺ فى بعض أسفاره
- ١٨١..... خرجنا مع عبداً لله بن عمر فقال : هذا قبل أن تنزل الزكاة
- ١٤٦..... خطب رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس
- ٢٣٣..... خفف على داود القراءة
- ٣٥٠..... خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم

- ٢٨٦ خمس قد مضين
- ٧٨ خير الناس للناس
- ٢٤٠ دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب
- ٢٧٥ دخل حسان بن ثابت على عائشة فشيب
- ٣٧٥ رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق
- ١٤٥ رأيت جنهم يقطع بعضها بعضاً
- ٤٦١ رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا
- ١٤٤ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
- ١١٠ رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد
- ٤٣٢ رجل من قريش له
- ٣٨٤ سأل أهل مكة أن يريهم آية
- ٢٤٨ سألت أبي ﴿قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ هم الحرورية قال لا
- ٢٨٣ سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿فجزاؤه جهنم﴾
- ٣٢٦، ٣٢٥ سألت مجاهداً عن السجدة في ص
- ٢٨٤ سئل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾
- ٢٠٩ سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم
- ٣٧٩ سجد النبي ﷺ بالنجم
- ١٢٩ سقطت قلادة لي بالبيداء
- ٣٥٧ السكينة تنزلت
- ٢٢٠ سمع ابن عباس ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرة﴾
- ٣٢ سمع ابن عباس يقرأ ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾
- ٣٤٠ سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يا مالك...﴾
- ٣٧١ سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب
- ٢٧٢ سمعت عائشة تقرأ ﴿إذ تلقونه بالسلك﴾

- صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب ٤٣٥
- صبح أناس غداة أحد الخمر ١٣٩
- صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي ٢٨٩
- طوفي من وراء الناس وأنت راكبة ٣٧٠
- عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ٩٨
- غدوت على ابن عباس فقلت ١٨٥
- غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ٨٣
- فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ٢٣٧
- فيم ترون هذه الآية نزلت ٦١
- قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها حملوها ١٥٤
- قال الله عزوجل : انفق ينفق الله عليك ٢٠٤
- قال الله: كذبتني ابن آدم ٩
- قال المقداد يوم بدر يا رسول الله ١٣٠
- قالت اليهود لعمر تقرؤون آية ١٢٧
- قام رسول الله حين أنزل الله ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾ ٢٩٠
- قام موسى خطيباً في بني إسرائيل ٢٤٧
- قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك ٢٦٥
- قد قضى الله فيك وفي امرأتك ٢٦٦
- قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء ٢٠٠
- قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ١٦٣
- قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح ٣٥٣
- قرأ رسول الله ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته...﴾ ٣٣٠
- قرأت على النبي ﷺ ﴿فهل من مدكر﴾ ٣٩٠-٣٨٩
- قطع على أهل المدينة بعث ١٧

- ٣٩٨..... قلت لابن عباس : سورة التوبة
- ٣٩٩..... قلت لابن عباس سورة الحشر
- ٥٩٠٥٣..... قلت لعثمان بن عفان ﴿والذين يتوفون...﴾
- ٢١٧٠٢١٦..... قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.....
- ٦..... قيل لبي إسرائيل
- ١٦٢..... قيل لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً
- ٣٦٢..... كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما
- ٨٥..... كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار
- ٨١..... كان إذا أراد أن يدعو على أحد
- ٥٨..... كان إذا سئل عن صلاة الخوف
- ٥٠..... كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يكلم حتى يفرغ
- ٣٧٦..... كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج
- ٩٩..... كان المال للولد
- ٤٤٤-٤٤٢..... كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه
- ٣٨٦..... كان النبي ﷺ يقرأ ﴿فهل من مدكر﴾
- ٤٧..... كان النبي ﷺ يقول : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة
- ١١٢..... كان رجل في غنيمة له فلحق به المسلمون
- ٣٣٦..... كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف
- ٢٧٠..... كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه
- ٢٩..... كان عاشوراء يصام قبل رمضان
- ٢٨..... كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية
- ١٤٣..... كان قوم سألوا رسول الله ﷺ استهزاءً
- ٢٣٥٠٢٣٤..... كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن
- ٤٠١..... كانت أموال بني النضير مما آفأ الله على رسوله

- كانت اليهود تقول ٥١
- كانت عكاظ ومجنة ٤٤
- كانت قریش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ٤٥
- كانت لي أخت تخفف علي ٥٣
- كانوا إذا أحرموا في الجاهلية ٣٩
- كانوا إذا مات الرجل ١٠٠
- كتاب الله القصاص ٢٧، ٢٦
- الكريم ابن الكريم ابن الكريم ٢٠٨
- الكمة من المن ٥
- الكمة من المن وماؤها شفاء العين ١٦٠
- كنا عند حذيفة فقال : ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ١٧٨
- كنا عند رسول الله ﷺ وأنزلت عليه ٤٤٥
- كنا نتكلم في الصلاة ٥٧
- كنا نرفع الخشب يقصر ثلاثة أذرع ٤٤٧
- كنا نعلم إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك ٤٤٨
- كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا ١٣٦
- كنا نقول للحبي إذا اكرتوا في الجاهلية ٢٣١
- كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة ٣٥٧
- كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني ١٦٧
- كنت أغار على اللاتي وهين أنفسهن لرسول الله ﷺ ٣٠٧
- كنت أنا وأمي من المستضعفين ١٠٩، ١٠٨
- كنت رجلاً قيناً ٢٥٥
- كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة ١٤١
- كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلى ٤٢٥

- ٢٥٣ كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي
- ٢٥٤ كنت قيناً في الجاهلية
- ٧١٣ كنت مع النبي ﷺ في الغار
- ٧٧ كيف تفعلون بمن زنى منكم
- ١٥٨-١٥٥ لا أحد أغير من الله
- ١٣٥ لا أرى يمينا أرى غيرها خيراً منها
- ٢٢٢ لا تدخلوا على هؤلاء القوم
- ١٢ لا تصدقوا أهل الكتاب
- ١٥٧-١٥٦ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
- ٤٢٧ لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش
- ٢٩٢ لرادك إلى معاد
- ٤٠٢ لعن الله الواشحات والمؤشحات
- ٤٠٣ لعن رسول الله ﷺ الواصلة
- ١٢٣ لقد أنزل النفاق علي قوم خير منكم
- ٣٩٣ لقد أنزل علي محمد ﷺ بمكة
- ٣٥١ لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس
- ٣١٠ لما تزوج رسول الله زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا
- ٢٧١ لما رميت عائشة خرت مغشياً عليها
- ٢٣٠ لما كذبتني قريش أقمت في الحجر
- ١١٥ لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾
- ١٧٢-١٧٢ لما نزلت ﴿وإن يكن منكم عشرون صابرون﴾
- ٣٤٤ لما نزلت ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾
- ١٥٠ لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾
- ٦٦-٦٣ لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة

- ٣٥ لما نزلت صوم رمضان
- ٢٧٨ لما نزلت هذه الآفة ﴿ولضرفن بخرهن على جلوبهن﴾
- ٣٠٣ لما نسخنا الصحف فف المصاحف فقدت آفة
- ٣٤٢ لمضر ؟، إنك لجرئ
- ٢٠٧ لمن عمل بها من أمئ
- ٣٤٥-٣٤٣ اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف
- ١٦٩-١٦٨ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
- ٣٩٢ اللهم إنئ أنشدك عهدك ووعدك
- ٤٢١ اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار
- ٨٠ اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً
- ١٤٢ لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكتكم كثيراً
- ٤١٣ لو كان الإيمان عند الثرفا لناله رجال أو رجل من هؤلاء
- ٧٤ لو يعطى الناس لدعواهم
- ٤٢٣ لراجعها، ثم بمسكها حتى تطهر
- ٦٢ لفس المسكفن الذف ترده التمرة
- ٤٢٢-٤٢٠ ما بال دعوى الجاهلفة
- ٤٥٠ ما بفن النفختفن أربعون
- ١٣٨ ما كان لنا لمر غير فضفحكفم
- ٣٠٠ ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فف الدنيا والآخرة
- ٧١ ما من مولود إلا والشفطان بمسه حفن فولد
- ٢٩٤ ما من مولود إلا فولد على الفطرة
- ١٠٧ ما من نبف إلا لخر بفن الدنيا والآخرة
- ٣٤٩ ما يؤمنف أن فكون ففه عذاب
- ٢٥١ ما بمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا

- ١٢٦..... ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى
- ٣٢٣..... ما ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس بن متى
- ١٥٢-١٥١..... ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى
- ٤٥٢..... مثل الذي يقرأ القرآن
- ١٨٠..... مررت على أبي ذر بالربذة
- ٣٢٢..... مستقرها تحت العرش
- ٢٩١..... المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله
- ٣٤١..... مضى خمس : الدخان، والروم والقمر والبطشمة
- ١٤٨..... مفاتيح الغيب خمس
- ٢١٧، ٢٩٧..... مفاتيح الغيب خمس
- ٨٦..... من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته
- ١٣٣..... من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب
- ٣٧٧..... من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله
- ٧٢..... من حلف يمين
- ٢٩٣..... من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم
- ١٢٥..... من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
- ٢٣٩..... من قال حين يسمع النداء
- ٢٤..... من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار
- ٢٤٦..... موسى رسول الله عليه السلام قال ذكر الناس يوماً
- ٦٠..... نحن أحق بالشك من إبراهيم
- ٢٥٧..... نحن أولى بموسى منهم فصوموه
- ٧٩..... نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة
- ٣٠٢..... نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر
- ١٣٧..... نزل تحريم الخمر وإن في المدينة يومئذ

- ١٠٢..... نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة
- ٣٥٩..... نهى النبي ﷺ عن الخذف
- ٢٨١..... هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة
- ١٠٤..... هلكت قلادة لأسماء
- ١٢٢-١٢١..... هو الرجل تكون عند اليتيمة
- ٢٣٦..... هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به
- ٢٥٠..... يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح
- ٣٤٧..... يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر
- ٣٢١..... يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس
- ١٩٧..... يا أم سلمة تيب على كعب
- ٣٧٢..... يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه
- ١٣٢..... يا أنس كتاب الله القصاص
- ٣٦١..... يا ابن الخطاب : إني رسول الله
- ٣٠٩..... يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
- ٣..... يجتمع المؤمنون يوم القيامة
- ١٤..... يدعى نوح يوم القيامة
- ٢٠٥..... يدنى المؤمن من ربه - وفي رواية - يدنو
- ٢١٤..... يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد
- ٢٧٧..... يرحم الله نساء المهاجرات الأول
- ٤٦..... يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً
- ٣٦٦..... يقال لجهنم هل امتلأت
- ٣٣١..... يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه
- ٢٦١..... يقول الله عز وجل : يوم القيامة يا آدم
- ٤٣٤..... يكشف ربنا عن ساقه

- ١٧٩..... يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع
 ٢٨٨..... يلقي إبراهيم إياه فيقول
 ٣٦٥..... يلقي في النار وتقول هل من مزيد

ثبت المراجع مرتب حسب حروف الهجاء

- ١- الإلتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ط. المكتبة الثقافية. بيروت
- ٢- الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان - ابن بلبان الفارسي - ط. الرسالة. تحقيق شعيب الأرنؤوط.
- ٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - ابن دقيق العيد - ط. دار الكتب العلمية.
- ٤- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري - أحمد بن محمد القسطلاني. دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٥- أسباب النزول - أبو الحسن علي بن محمد الواحدي - دار القبلة للثقافة الإسلامية.
- ٦- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية. بيروت.
- ٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - مطبعة المدني.
- ٨- إعلام الموقعين - ابن القيم الجوزية - دار الجيل.
- ٩- ألفية الحديث - أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم العراقي - مكتبة السنة.
- ١٠- ألفية ابن مالك - محمد بن عبدا لله بن مالك الأندلسي - مكتبة السنوادي.
- ١١- الأم - محمد بن إدريس الشافعي - دار المعرفة.
- ١٢- الإنصاف بمعرفة الراجح من الخلاف - علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ١٣- الإيمان - محمد بن إسحاق بن مندة - تحقيق علي بن ناصر فقيهي - ط.
الجامعة الإسلامية.
- ١٤- البحر الزخار المعروف بمسند البزار - أبو بكر أحمد بن عمرو البزار -
تحقيق محفوظ الرحمن زين الله - مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- ١٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية - جمع يسري السيد محمد -
دار ابن الجوزي.
- ١٦- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - دار
المعرفة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ١٧- بلوغ المرام - ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية -.
- ١٨- التبصرة في القراءات السبع - مكّي ابن أبي طالب - الدار السلفية.
- ١٩- التبيان في أقسام القرآن - ابن قيم الجوزية - مكتبة الرياض الحديثة -.
- ٢٠- تحرير الأحكام بتدبير أمر أهل الإسلام - بدر الدين بن جماعة -.
- ٢١- تعليق التعليق - ابن حجر العسقلاني - المكتب الإسلامي - تحقيق سعيد
عبدالرحمن القرقي.
- ٢٢- تفسير ابن أبي حاتم - عبدالرحمن بن أبي حاتم - مخطوط.
- ٢٣- تفسير عبدالرزاق - عبدالرزاق الصنعاني - تحقيق الدكتور مصطفى مسلم
محمد - مكتبة الرشد.
- ٢٤- تفسير ابن عيينة - جمع وتحقيق أحمد صالح محايري - المكتب الإسلامي.
- ٢٥- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل ابن كثير - مكتبة المعارف.
- ٢٦- تفسير محمد بن كعب القرظي - جمع المؤلف - مطبوع بالآلة الكاتبة.
- ٢٧- تفسير النسائي - أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي - تحقيق سيد
الجليمي - مكتبة السنة.
- ٢٨- تريب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - دار الرشيد - تحقيق محمد
عوامة.

- ٢٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - أبو عمر بن عبد البر - مؤسسة قرطبة .-
- ٣٠- تهذيب السنن - ابن قيم الجوزية - تحقيق أحمد شاكر - مكتبة السنة المحمدية.
- ٣١- التوحيد - ابن مندة - تحقيق علي بن ناصر فقيهي - ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة.
- ٣٢- تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله. المكتب الإسلامي.
- ٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - دار المدني - جدة.
- ٣٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر.
- ٣٥- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي -
- ٣٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير - ط. دار إحياء التراث العربي.
- ٣٧- الجامع لشعب الإيمان - البيهقي - الدار السلفية - تحقيق عبدالعلي عبدالحميد -
- ٣٨- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام - ابن القيم - ط. دار ابن كثير. تحقيق محي الدين مستو .-
- ٣٩- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع - عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .-
- ٤٠- الدرر السنية في الأحوية النجدية - جمع عبدالرحمن بن قاسم -
- ٤١- دلائل النبوة - البيهقي - دار الكتب العلمية.
- ٤٢- الرحبية في علم الفرائض - محمد بن صمر الشافعي - دار كاتب وكتاب.

- ٤٣- رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت -
عبيدا لله بن سعيد بن حاتم السجزي - المجلس العلمي للجامعة - تحقيق
محمد باكريم - الجامعة الإسلامية.
- ٤٤- زاد المسير في علوم التفسير - ابن الجوزي - المكتب الإسلامي.
- ٤٥- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - مؤسسة الرسالة - تحقيق
شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط.
- ٤٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجر الهيتمي - دار المعرفة - بيروت.
- ٤٧- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس.
- ٤٨- سنن الترمذي - أبو عيسى الترمذي - مصطفى الباني - تحقيق أحمد شاكر.
- ٤٩- سنن الدارقطني - علي بن عمر الدارقطني - دار المحاسن - تحقيق عبدا لله
هاشم.
- ٥٠- سنن الدارمي - الحافظ الدارمي - ط. حديث أكاديمي - تحقيق عبدا لله
هاشم.
- ٥١- سنن سعيد بن منصور - سعيد بن منصور الخرساني - دار الكتب العلمية
- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي -
- ٥٢- السنة لابن أبي عاصم - أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني - المكتب
الإسلامي - الألباني.
- ٥٣- السنة لعبدا لله بن أحمد - عبدا لله بن أحمد بن حنبل - دار ابن القيم -
تحقيق محمد القحطاني.
- ٥٤- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس
- ٥٥- السنن الكبرى - الإمام البيهقي - دار المعرفة.
- ٥٦- السنن الكبرى للنسائي - الإمام النسائي - دار الكتب العلمية.
- ٥٧- سنن أبي داود - الحافظ أبو داود - دار الحديث - تعليق. الدعاس سنن
النسائي - الإمام النسائي - دار المعرفة - تحقيق مكتب التراث الإسلامي.

- ٥٨- سير أعلام النبلاء - الحافظ الذهبي - مؤسسة الرسالة.
- ٥٩- السيرة النبوية - ابن هشام - مطبعة البابي الحلبي. مصر.
- ٦٠- شرح السنة للبغوي - الإمام البغوي - المكتب الإسلامي. تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤط.
- ٦١- شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد ابن أبي العز - المكتب الإسلامي - الألباني.
- ٦٢- شرح مشكل الآثار - الإمام الطحاوي - مؤسسة الرسالة - تحقيق شعيب الأرنؤط.
- ٦٣- الشريعة - الإمام الآجري - دار الكتب العلمية. بيروت - تحقيق محمد حامد الفقي.
- ٦٤- شفاء العليل - ابن القيم - دار الكتب العلمية.
- ٦٥- صحيح ابن خزيمة - الإمام ابن خزيمة - تحقيق مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي.
- ٦٦- صحيح البخاري - الإمام البخاري - دار ابن كثرة. تحقيق مصطفى البغا.
- ٦٧- صحيح البخاري بشرح الكرمانى - الإمام الكرمانى - دار إحياء التراث العربى.
- ٦٨- صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج - دار إحياء التراث العربى - ترتيب محمد فؤاد عبدالباقى.
- ٦٩- صحيح مسلم بشرح النووي - الإمام النووي - دار الفكر.
- ٧٠- صفة صلاة النبي ﷺ - محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الإسلامى.
- ٧١- الضوء المنير على التفسير - ابن القيم - جمع علي الصالحى - مؤسسة النور.
- ٧٢- الطبقات الكبرى - ابن سعد - ط. دار صادر.
- ٧٣- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية - ابن القيم - مكتبة المؤيد.
- ٧٤- العقيدة الواسطية - ابن تيمية -.

- ٧٥- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري - محمود بن أحمد العيني - ط.
مصطفى البابي.
- ٧٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار
المعرفة.
- ٧٧- فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق حسن القنوجي - المكتبة العصرية.
- ٧٨- فتح القدير - الإمام الشوكاني - ط. مصطفى البابي الحلبي.
- ٧٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية - دار أولي النهى،
- ٨٠- الفرق بين الفرق - عبدالقاهر محمد البغدادي - دار المعرفة - تحقيق محمد
محي الدين عبدالحميد.
- ٨١- فضائل الصحابة - الإمام أحمد بن حنبل - مطبوعات جامعة أم القرى -
تحقيق وصي الله عباس.
- ٨٢- الفوائد - ابن القيم - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - محمد الصالح بن عثمان -
الجامعة الإسلامية.
- ٨٤- كتاب التوحيد - محمد بن عبدالوهاب - مكتبة المعارف.
- ٨٥- كتاب الصلاة - ابن القيم - المكتبة الإسلامية - تحقيق تيسير زعيم.
- ٨٦- كشف المشبهات - محمد بن عبدالوهاب - الجامعة الإسلامية.
- ٨٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع - مكّي بن أبي طالب. مؤسسة
الرسالة - تحقيق همي الدين رمضان.
- ٨٨- الكشف - الزمخشري - دار المعرفة.
- ٨٩- لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف.
- ٩٠- مجاز القرآن - أبو عبدة معمر بن المنفى - مؤسسة الرسالة.
- ٩١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي - دار الكتاب العربي.

- ٩٢- مجموع الفتاوى - شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبدالرحمن بن قاسم.
مكتبة النهضة الحديثة. مصر.
- ٩٣- المجموع شرح المذهب - الإمام النووي - دار الفكر.
- ٩٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية الأندلسي - مكتبة ابن تيمية.
- ٩٥- مدارج السالكين - ابن القيم - دار الكتب العلمية.
- ٩٦- المستدرک - أبو عبدا لله الحاكم البيع - دار المعرفة.
- ٩٧- مسند أحمد - الإمام أحمد - دار الفكر العربي.
- ٩٨- مسند أبي داود - الإمام أبي داود الطيالسي - دار
- ٩٩- مسند أبي يعلى - الإمام أبو يعلى الموصلي - دار المؤمن للتراث.
- ١٠٠- مصنف ابن أبي شيبة - الإمام ابن أبي شيبة - إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي.
- ١٠١- معالم التنزيل - الإمام البغوي - دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٢- المعجم الكبير - الإمام الطبراني - تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
- ١٠٣- المغني في الفقه - عبدا لله بن أحمد بن قدامة - مكتبة الرياض الحديثة.
- ١٠٤- مغني اللبيب عن كتب الأعراب - عبدا لله بن هشام - دار الباز.
- ١٠٥- المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - دار الفكر.
- ١٠٦- المفهم لما أشكل في صحيح مسلم - أبو العباس أحمد القرطبي - دار ابن كثير.
- ١٠٧- معالم السنن - الخطابي - تحقيق أحمد شاكر - مكتبة ابن تيمية.
- ١٠٨- معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفرا - عالم الكتب.
- ١٠٩- مفتاح دار السعادة - ابن القيم - دار الكتب العلمية.
- ١١٠- الملل والنحل - محمد بن عبدالكريم الشهرستاني - مكتبة الرياض الحديثة.
- ١١١- منهاج السنة النبوية - ابن تيمية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ١١٢- الموضوعات - ابن الجوزي - مكتبة ابن تيمية - تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان.
- ١١٣- الموطأ - الإمام مالك - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي.
- ١١٤- النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - دار الكتاب العربي - تحقيق محمد الدمشقي.
- ١١٥- النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت - تحقيق ظاهر أحمد.
- ١١٦- نيل الأوطار - الإمام الشوكاني - دار الجيل.